الملف الوثائقي

للدكتورة

عائشة عبد الرحمن

(بنت الشاطئ)

المجلد الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الملف الوثائقي

للدكتورة

عائشة عبد الرحمن

(بنت الشاطئ)

المجلد الثاني

التاريخ : ١٠ / ٢ / ١٩٥١

بعثة جامعة فؤاد

فى ضيافة عاهل الحجاز

جدة فى ٧ ــ غادرنا مطار فاروق الجوى فى الساعة الثامنة من صباح الاحد، وكان فى توديعنا بالمطار الاستاذ السيد فؤاد شاكر رئيس ديوان سمو الامير فيصل آل سعود ؛ ووصلنا الى المدينة المنورة فى ساعة الظهر ، حيث انتظرت الطائرة ربع ساعة ريثما احرم الاعضاء ، ثم استأنفنا الطيران الى جدة محرمين ، فاذا فى انتظارنا بالمطار صاحب العزة الاستاذ حسن شعيب بك القائم باعمال المفوضية المصرية ، والاستاذ السيد حسن عبد الله مندورة معتمد المعارف بجدة وحضرات مدير الضيافة ومندوب الخارجية ، ومندوب الاذاعة وعدد من الحجازيين الذين اتموا دراستهم العليا بجامعة فؤاد

وكانت مفاجأة كريمة لنا ان ابلغنا ساعة نزولنا من الطائرة، اننا ضيوف المملكة العربية السعودية ما اقمنا بالحجاز

وقد تناولنا طعام الغداء فى اكبر فنادق جدة ، حيث تتابعت الوفود لتحيتنا والترحيب بنا

وقصدنا الى مكة بالسيارة : فبلغناها بعد الغروب ، وسعينا الى بيت الله الحرام ملبين ، حيث طفنا طواف العمرة : ثم خرجنا نسعى بين الصفا والمروة حتى اذا اتممنا السعى وتحللنا ، عدنا الى « فندق ... » فى جرول

وصلينا الفجر فى الحرم : ثم عدنا الى جدة حيث حظينا بلقاء صاحب السمو الملكى الامير عبد الله الفيصل فى القصر الملكى ؛ وتفضل حفظه الله فدعانا لتناول الغداء معه فى القصر العامر ظهر اليوم؛ ودعى معنا الاستاذ حسن شعيب بك ؛ وعدد من كبار رجال المملكة السعودية

وامضينا فى حضرة سمو الامير نحو ساعتين لقينا خلالهما من جميل رعايته وسامى عطفه ، ما عجزنا عن شكره وكان سموه الملكى يتحدث عن مصر فى مودة واعزاز ، ويتناول شئون العرب والاسلام فى توجيه ؛ وفقه وتفاؤل.

ونستعد للتوجه الى منطقة الظهران باذن ملكى كريم ، وستستغرق رحلتنا اليها خمس ساعات ونصف بالطائرة وقد نقضى بالمنطقة خمسة ايام نتوجه بعدها الى الرياض لنتشرف بمقابلة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، ثم ... ...

... ... الى المدينة المنورة لزيارة الروضة الشريفة

بنت الشاطئ

التاريخ : ٢٤ / ٣ / ١٩٥١

فى صحراء الجزيرة

للدكتورة "بنت الشاطئ"

حملتنا الطائرة من « جدة » فى مشرق الصبح ، وحلقت بنا عاليا ثم مضت تشق اجواز الفضاء وتطوى البيد والقفار ، ونحن نحدق من نوافذها الصغيرة فى الصحراء الممتدة من تحتنا ، فلا نرى خلال اربع ساعات متتاليات ، غير التيه الذى ضل فى مثله بنو اسرائيل اربعين عاما ، تتدافع امواج الرمال فوقه متلهبة فى وهج الظهيرة ، وتتطاير ذراتها فتعقد من حولنا سحبا كالضباب ، يلف هذا القفر اليباب !

اربع ساعات متتاليات عبر المهمه القفر ، لم نلمح فيها اثرا لحياة او معلما من معالم الطريق ، ولا سمعنا سوى ازيز الطائرة وهى تتعثر فى كهوف الهواء بين مثار النقع !

بين الناقة والطائرة

ونظرت الى رفاق السفر فى الطائرة ، فاذا فيهم نفر من البدو ، قد ركبوا متن الهواء وامتطوا جناح هذا الطير على بساط من الريح ، وأن فيهم من ادرك عهد الناقة وشق اكباد الابل فى مسيره عبر هذه الفيافى التى ظلت حتى امس ، ماوى للجن وملعبا للغيلان ومراحا للوحوش !

وانثنيت الى « بدوية » كانت تجلس امامى مختفية فى عباءتها الخشنة السوداء ، انثنيت اسالها ان كان لها بركوب الطائرة عهد من قبل ؟

فاجابت فى صوت هامس ، حرصت على الا يبلغ مسامع «الرجال الغرباء» :

— بل تلك اول مرة اخرج فيها من نجد ، وما عرفت قط غير الابل وسيلة للانتقال

قلت : فماذا ترين فى رحلة اليوم ؟

اجابت على الفور : عجب اى عجب ! انها والله فعلة ساحر من مردة الجن ، او معجزة وارث لملك سليمان !

ولما سالتها اين تحط رحالها ،



الجيل الجديد فى الصحراء ، هل تراه يدرك بقايا ((عصر الناقة)) ؟

اجابت انها لاحقة برجلها الذى يعمل فى « الكامب السعودى » بالظهران !

فابتسمت للمفارقة الطريفة بين التعبير البدوى العريق : « تحط الرحال » وبين اللفظ الغربى المستحدث : « الكامب »

وحمل لنا مضيف الطائرة لحما طريا وخبزا شهيا وشراب الكوكاكولا ، فاخذت ارقب صاحبتى وهى لاتجرؤ

التاريخ : ٢٤ / ٣ / ١٩٥١

على لمس الشراب ، ظنا منها انه حرام!
وكنا فى هذه اللحظة قد دنونا من الخليج الفارسى. فحدقنا فيه ماخوذين وحامت الطائرة حول مطار « الظهران » وقد تناثرت فيه الحظائر والمبانى كأنها اعشاش الطير ، وجثمت الطائرات على ارضه شبيهة بجراد منتشر ! ولبثت الطائرة تدرج فوق هذه الارض بعض ساعة ، ونحن فى ذهول مستغرق لانكاد نصدق اننا قطعنا جزيرة العرب من اقصى مغربها الى اقصى المشرق ، فى بضع ساعات معدودات ! لا نكاد نصدق اننا عبرنا الصحراء ما بين « جدة » على البحر الاحمر ، و « الظهران » قرب الخليج الفارسى ، فى غفوة حالمة ، بين ضحى واصيل !

وتمثل لى آنذاك شاعرنا « طرفة » وهو يضرب بناقته فى الدهناء اياما وليالى ، ومضيت اردد ابياتا من قصيدته « المعلقة » فى وصف تلك المطية الامون الذلول !

هكذا من الناقة الى الطائرة فى وثبة واحدة ؟ !

هكذا من الهودج الى « صالون داكوتا وبريستول »

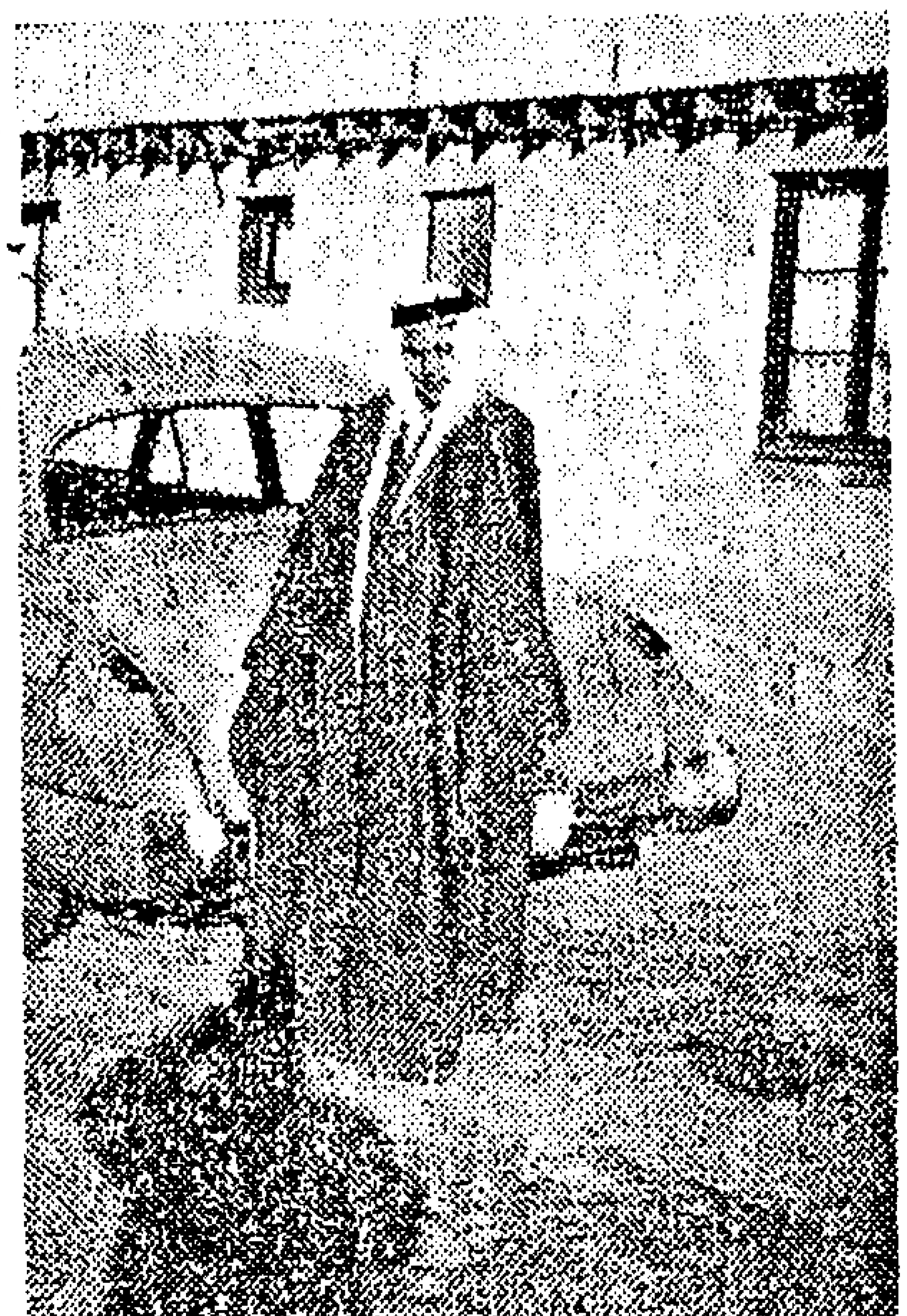
هكذا من ماء الامطار والعيون ، الى شراب الاناناس والكوكاكولا ؟ !

يالها من وثبة عاتية، لم تمر بمراحل التطور التى مررنا بها ، فما عرفت الدهناء من قبل العربة او السيارة ، ولا رءت — حتى اليوم — قطارا يمزق احشاءها ويمرق بين كثبانها ووهادها!

وكان مقامنا بالظهران فى غرفات فخمة ، مضاءة بالكهرباء مزودة بالماء الساخن والبارد ، لانلقى فيها شمسا ولا زمهريرا ، وانما هو الجو اللطيف المنعش قد كيفه القوم حسبما ارادوا فاذا بنا نعيش فى جنة ، وليس بيننا وبين الصحراء بقيظها وسمومها ، سوى جدار بسيط تسفعه السافيات وتلطمه الهبوب !

اية ثورة ؟ ! واى انقلاب ؟ !

لقد كانت هذه البيد لاتعرف من المساكن سوى الخيام المتنقلة تقام على العمد والاوتاد، ولاترى من الطعام سوى الخبز القديد وماء المطر ، ولحم الابل والوحش ويابس التمر ، اما الغرفات المبنية ، والنعم الطيبة ، فكان موعدهم بها فى جنة الخلد، اذ المؤمنون يومئذ «فى الغرفات آمنون » «لهم غرف



- المطايا والخيام فى الظهران : « سيارة بويك » وغرف مكيفة الهواء !

من فوقها غرف مبنية » « وفاكهة مما يتخيرون ، ولحم طير مما يشتهون »!

سر الصحراء !

انها الثروة الطارئة ! بثت الحياة فى ذاك الخراب ، وحولت ذلك التيه المخوف قطعة من الفردوس !

التاريخ : ٢٤ / ٣ / ١٩٥١

(٣)

هذه آبار الزيت ، تدل عليها شعل حمراء ساطعة الذوائب ، تضيء هذا الظلام مؤذنة بانبثاق عهد جديد فى الدهناء التى طال ليلها وضل فيها الخيال ، ومذكرة بنار القرى التى كان « حاتم الطائى » يأمر غلامه ان يوقدها على جبال طي وهو ينشد :

اوقد فان الليل ليل قر
والريح ياغلام ريح صر
على يرى نارك ، من يمر
ان جلبت ضيفا فانت حر !

وهذه أضواء الكهرباء ، تنبث بين كثبان الرمال ، مبددة ظلال الاشباح المرهوبة التى طالما تنقلت بين جبال الظهران والنهدين ، ومعلنة ان العلم قد انتصر على الصحراء ، كما انتصر من قبل على البحر ، واذل شوامخ الجبال وسخر السحاب !

وهذه انابيب الزيت ، تعترض مسيرنا هنا وهناك وهنالك ، وهى تمتد شرقا وغربا ، الى « البحرين » فى الخليج الفارسى ، والى « صيدا » على البحر الابيض المتوسط ، عبر المياه والرمال ، مسجلة ان الانسان قد عرف السر الخطير الذى اجنته احشاء البيداء دهورا ، وازاح القناع عن منجم الذهب الاسود ، المطمور تحت الحصى والرمال ..

بنت الشاطىء
« من الامناء »

التاريخ : ٩ / ٥ / ١٩٥١

الأهرام في تاريخ مصر :

صاحبة الجلالة

اترك لسواي من المؤرخين والكتاب ان يتحدثوا عن تاريخ مصر كما وعته « الاهرام » خلال خمسة وسبعين عاما ، شهدت انقلابا عنيفا في شتى نواحي حياتنا السياسية والاجتماعية والادبية

واتحدث عن «الاهرام في تاريخ مصر» فلا اكاد ابدا الحديث حتى اشعر بقلمي شبه ملجم ، لايملك ان ينطلق الا بقدر في مجال ضيق محدود ، لايتسع لما ينبغي ان يقال عن «الاهرام» في تاريخنا ، وانما هي الاشارة الموجزة واللمحة العجلى ..

دخلت « الاهرام » في تاريخ مصر كما لم تدخل صحيفة في تاريخ امة من امم هذا الشرق . اقول هذا وانا آمنة من ان اتهم بالتحيز او الغلو والاسراف لما عرف الشرق قبل « الاهرام » صحيفة استطاعت ان تفرض نفسها على تاريخ بلادها بما شاركت في صنع النهضة وتوجيه الحياة ، ولاعرف قومنا قبل « الاهرام » صحيفة استطاعت ان تجعل من « كلام الجرانين » صوتا بالغ النفوذ بعيد الصدى ... فلقد ظهرت «الاهرام» في زمن هانت فيه الصحافة على آبائنا واجدادنا فلم يروا فيها اكثر من وسيلة رخيصة للارتزاق ، وكان « كلام الجرانين » اذ ذاك لايعني اكثر من لغو مبتذل ، او فضول بغيض او دردشة غير جديرة بالاهتمام او الالتفات . واقصى ماكانت الصحافة تصل اليه من قوة ، او تطمع فيه من نفوذ ، هو ان تكون سلاح تشهير او وسيلة دعاية واعلان ، فكان « الجرنالجي » لايعالج الصحافة الا من حيث كونها مكسبة للرزق فاتحة بالارهاب او الاستجداء لخزائن ذوي المال . كان يطوف بدور الشركات ويقف بابواب الاغنياء ذليلا سائلا ، فان ارضاه العطاء ملأ جريدته بآيات المدح والتقديس « للوطني اللوذعي » ، والاريب الهمام ، والعلامة المفضال ، تاج العصر ودرة الاوان ! » اما اذا رد عن احد هذه الابواب خائبا ، ففي صفحات « الجرنان » مجال اي مجال ، لاقذع التشهير واقذر البذاء وافحش السباب .

ولم يكن هذا ذنب الصحافة وحدها بل كان — في الواقع — امتدادا للوضع التافه الذي انحدرت اليه صناعة القلم واثرا للهوان الذي صارت اليه حرفة الادب : وهل ثمت فرق كبير بين ذلك « الجرنالجي » وبين تلك العصبة من مرتزقة الشعراء الذين عرفتهم حياتنا في عصور الانحطاط الادبي ، ينظمون « المدائح » ويتنقلون بها من باب الى باب ، فاذا تأخرت الصلة نبحوا كالكلاب وعووا كالذئاب ؟

كلا لا فرق ، ولعلنا لو رجعنا الى صحافة القرن الماضي لقرأنا نماذج من المنظومات لا تختلف بحال عن تلك التي عهدنا «المداحين» يرتلونها على الابواب استجلابا لقروش معدودات او يلقونها في ولائم الافراح لقاء (فضالة من كاس) او بقية من طعام !

كذلك عرفنا الصحافة قبل «الاهرام» ولعل المصريين قد عجبوا لهذين الرجلين الشاميين من « آل تقلا » ، ينزلان راضيين عن منصب التدريس الرابح المحترم ، وينضمان بمحض اختيارهما الى زمرة « الجرنالجية » ، التي كانت — حتى ذلك العهد — تضم الفاشلين و « البلطجية والصياع » الذين لفظتهم الحياة الجادة ، او اشباه الاميين الذين عز عليهم ان يظفروا بوظيفة في (الدواوين) ! .

وكان دخولهما في هذا الميدان ، كافيا وحده لاحداث انقلاب في حياة الصحافة ... انقلاب لا اغلو اذا شبهته بالذي حدث حين نزل «سعد زغلول » الى ميدان المحاماة ، فما زال يصحح راي الناس فيها ويسمو بنظرتهم اليها ، حتى جعل منها مهنة شريفة يجلها المصريون ويصفونها « بالقضاء الواقف » ويعتز بها رجالها حتى ليابى بعضهم ان يستبدل بها منصب وزير !

كذلك فعل الرائدان من آل تقلا ! نزلا الى ميدان الصحافة وفي عزمهما ان يرتفعا بها من حضيض (التفاهة ، والبلطجية ، والتهريج ، والسخف ، واللغو الذي لا محصول له) الى حيث يجب ان تكون : مرآة امة ، ولسان

التاريخ : ٩ / ٥ / ١٩٥١

شعب ، ورسول نهضة ، وحارسة آمال ومثل وغايات !

وشق الرائدان طريقهما المظلم الوعر في عزيمة لاتهن ، وايمان لايتزعزع وحماسة لاتفتر ، فما هل القرن العشرون الا وطلائع الفجر تغزو الظلمات ، و « الاهرام » في الطليعة : تقود ، وتوجه ، معلنة ان الصحافة الحرة الكريمة ، قوة عالية يجب ان يحسب لها الف حساب !

ولم يضع شيء من هذا النضال النبيل عبثا ، فلقد ارغمت «الاهرام» قومنا على احترام الصحافة وتوقيرها وعلمتهم ان من بين « الجرنالجية » قادة جبابرة ، ذوى رسالات : وآمنت مصر ، وآمن الشرق كله بصحافته الرشيدة ، ووكل اليها مهمة النضال في سبيل الظفر بحقه في الحياة العزيزة والوجود الكريم واتاح لها من النفوذ والسلطان مانستطيع به ان ترهب العدو ، وتخيف الظالم ، وتوقظ النيام .

وكانت المعجزة الكبرى ، ان ارتفعت « الاهرام » بالصحافة الشرقية — في نحو نصف قرن — من حضيض المهانة الى قمة العزة ، وهيأت لها في عهد « جبرائيل تقلا باشا » ان تكون (سلطة رابعة) ذات مهابة وجلال !

ولم يكن شيء مما ظفرت به «الاهرام» من مكانة في تاريخنا ونفوذ في حياتنا ، هبة ممنوحة او صدفة واتفاقا ، وانما هو الكفاح الظافر ، والجهاد الباذل ، والسعي المثابر ، يعرف سبيله ، ويستبين هدفه ، ويحقق غايته !

وكان من اثر هذا الجهاد ، ان انسح المرتزقة واشباه الاميين من (جرنالجية) العهد الماضي ، مكانهم للصفوة من المثقفين وقادة الراى وتستطيع « الاهرام » ان تباهي بانها التي اعزت الصحافة ، فاعتز بها رجال ذوو مكانة وجاه وثراء ، واليها تدين الصحافة — فيما تدين — بانها جعلت منها مكانا كريما يرضى به امثال «مصطفى كامل باشا : صاحب اللواء» و«احمد لطفي السيد باشا : صاحب الجريدة» و«الدكتور طه حسين باشا : الكاتب المصرى ، وامير الادباء» و« الدكتور حسين هيكل باشا محرر « السياسة » و « احمد حمزه باشا صاحب لواء الاسلام » . وغيرهم ممن اشرقوا في افق الصحافة نجوما باهرة السنا ، وحققوا الامل الكبير الذى طالما رنت اليه الصحافة منذ عرفت « آل تقلا والاهرام » . .

واى مثقف لا يرضى اليوم ان ينتسب الى هذه الفئة الكريمة التي انتسب اليها اساتذة الجيل ، من حملة الالقاب الرفيعة والدرجات العلمية العالية !

وكذلك ظهرت الى جانب «الاهرام» منذ ارتقت بالصحافة الى المكان الرفيع المرموق ، صحف اخرى ذات عدد ، شاركتها العبء الجليل حينا ، وساهمت بنصيب لايجحد في مجد الصحافة ومجد الوطن ، وكان لبعضها دوى بعيد المدى ونفوذ اى نفوذ ، لكن «الاهرام» ستظل في تلك الفترة من تاريخ مصر — الصحيفة الوحيدة التي استطاعت ان تعيش كصحيفة معتمدة على ذاتها ، وطاقتها ، وحيويتها ، ومتانة قواعدها ، وسلامة اسسها ، على حين مضت الصحف الاخرى تستمد « انفاس الحياة » من جهود فرد او رعاية طائفة او تاييد هيئة ، فاذا تخلى عنها الفرد ، او ضعفت الطائفة ، او انهارت الهيئة ، انقطع عن الصحيفة مدد الحياة ، فماتت قصيرة العمر ، او انزوت واهنة الحركة فاترة الانفاس . . .

وكان هذا الثبات الصحافى «للاهرام» مدى خمسة وسبعين عاما لم تحتجب فيها عن الصدور يوما « لتخرج في ثوب قشيب » كافيا لان يشهد للصحافة بالقوة ، كما كانت الطاقة الحيوية الذاتية غير المستمدة من تاييد فلان ولا المرهونة بمؤازرة علان ، كافية لان تحدث في تاريخ صحافتنا حدثا ذا بال !

وهيأت لها هذه الحيوية الذاتية ميزة الاستقلال في الراى والاعتزاز بالكرامة والجرأة في الحق ، فكانت جريدة كل احد ، دون ان تكون جريدة لاحد ، وحسبها ذلك قوة وفخارا !

كم نامت اعين عن الظالم والغاصب والمجرم والعابث ، وعين « الاهرام » ساهرة يقظة لاتنام ! !

كم خرست السن امام جبروت السلطة او غلبة الهوى ، ولسان «الاهرام» ناطق ابدا ، يملك الشجاعة ليقول كلمة الحق وان اغضبت الجميع !!

كم تحطمت اقلام تحت ضغط الوعد او الوعيد ، والخوف او الرجاء وقلم « الاهرام » ماض لاينثنى ولايهاب ممتنع بعفته ونزاهته وتسوله ، على الترغيب والارهاب ! !

التاريخ : ٩ / ٥ / ١٩٥١

غير ان « الاهرام » لاتدين بحياتها ومكانتها الى متانة قواعدها وصحة اسسها فحسب ، بل آزرت ذلك كله قدرة على ابسم الحياة ، وملاقاة العواصف والانواء،هيات لهاالصلاحية لادارة الدفه بين الصخور والشعاب دون ان ترتطم بها . مع مرونة في مسايرة الزمن والاستجابة لدواعي التطور ، فكانت بتجديدها السابقة ابدا لا تلحق ، المتقدمة ابدا لا تتخلف ، وكانت ــ في الوقت نفسه ــ المحافظة على عريق تقاليدها ، الثابتة على قديم مبادئها ، المعتزة دائما بطابعها الاصيل والمتصلة ابدا باصلها الراسخ الوطيد !

فاليوم اذ تحتفل الصحافة بالعيد الماسي « للاهرام » ، تنظر وهي في القمة الى الطريق الشاق الرهيب الذي قطعته من الحضيض الى الاوج فترى، سلما من اعداد صحيفة « الاهرام » طوال خمسة وسبعين عاما ، كانت هي معارج السمو بالصحافة من حرفة تافهة محتقرة ، الى عرش ذات الجلالة ، السلطة الرابعة ! . . .

بنت الشاطىء
(من الامناء)

التاريخ : ٥ / ٧ / ١٩٥١

كتاب :

جريدة الاهرام

لم يوضع هذا الكتاب ليكون لونا من الوان الدعاية للاهرام ، وانما اريد به ان يكون عرضا تاريخيا لحياة مصر والصحافة فى خمس وسبعين سنة ، كما روته صحيفة « الاهرام » التى وصفها امير الادباء معالى استاذنا « الدكتور طه حسين باشا » بانها ديوان الحياة المعاصرة

ولمثل هذه الغاية من عرض تاريخ الصحافة فى مصر ، تنشر « الاهرام » كتابها اليوم ، وتقدمه هدية الى هذا البلد الامين الذى عرف لها جهادها مدى ثلاثة ارباع قرن ، واثابها عليه ثقة غالية ، وتقديرا كريما

اجل ، هى هدية « الاهرام » فى عيدها الماسى ، الى مصر المستنيرة الواعية ، التى بوأت « الاهرام » مكانا رفيعا بين الصحف ، والقت اليها مقاليد السلطة الرابعة

⁂

وتاريخ مصر الحديث كما تعرضه « جريدة الاهرام » تاريخ حافل مثير نلمح فيه انبثاق الوعى وبوادر اليقظة ونرى الوان الصراع المحتدم بين شتى المعسكرات التى تلاقت على الارض الطيبة فى هذه القطعة من الزمان : صراع بين القديم والجديد ، صراع بين التحرر والاستعباد ، صراع بين الديمقراطية والدكتاتورية ، صراع بين المصرية والدخلاء ، صراع بين العناصر والطبقات ، او بعبارة جامعة موجزة : صراع بين الحياة والموت !

وقد عاصرت « الاهرام » هذا كله ، وكانت له سجلا واعيا لم يكد يدع صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ، ومن هنا تبدو اهمية كتاب كالاهرام ، نضعه اليوم فى مكتبتنا التاريخية ، راويا قصة مصر الحديثة فى صحيفة الراى الحر

وليس استخلاص هذا التاريخ من صفحات الاهرام فى ذلك العمر الطويل ، بالامر الهين الميسور . وحسب القارىء ان يذكر ان الخطوة الاولى فى هذا الكتاب ، هى مراجعة نحو الفين وثلاثمائة عدد من الاهرام حسب القارىء ان يذكر هذا ليتمثل الجهد المضنى الذى بذله « الدكتور ابراهيم عبده » فى جمع مادة الكتاب ثم تنسيقها واخراجها . وانه لجهد يعيى كثيرين ، ويستنفد من الوقت سنين .

على ان مراجعة هذه المجموعة الضخمة من اعداد الاهرام ، لم تكن سوى خطوة اولى كما قلنا : خطوة اعقبتها خطوات اخريات من مراجعة ما فى تاريخ الصحافة المصرية من كتب ووثائق ، اتخذها « الدكتور ابراهيم عبده » مصادر ومراجع لتاريخ الاهرام ، ثم مضى من بعد ذلك يروى قصة حياة هذه الصحيفة المجاهدة المناضلة ، العجوز الفتية ، ويصف لنا المعارك الفاصلة التى خاضتها دفاعا عن وجودها ، او عن حريتها ، او مبدئها ، ويجلو لنا نصيبها الذى شاركت به فى صنع تاريخنا الحديث وبناء نهضتنا الحاضرة .

وواضح ان هذه الاكبر ، كان تاريخ جريدة « الاهرام » فى نشأتها ، وتطورها ، ونموها ، لكن « الاهرام » فى هذه الفترة ، قطعة من تاريخ مصر ، بل هى « ديوان » حياتها المعاصرة ، فلا عجب ان قرانا فى (هذه السيرة) نقرات من تاريخ كفاحها السياسى ، وشاهدنا صورا من تطورها الادبى والاجتماعى ، ونماذج من اساليب التفكير والتعبير ، لها قيمتها عند من يؤرخون للحياة المصرية منذ ظهرت « الاهرام » الى ان احتفلت بعيدها الماسى !

⁂

وبعد فهذا مرجع تاريخى حافل ، يسر « الاهرام » ان تقدمه الى المصريين الاعزاء : قراء ، ودارسين ، وقادة راى ، ودعاة نهضة ، آملة ان يتاح لها ان تقدم فى عيدها المئوى ، كتابا يؤرخ معركة النصر ، ويبارك جهاد الوادي فى سبيل الحياة الحرة والوجود الكريم

بنت الشاطىء

« من الامناء »

التاريخ : ١١ / ٧ / ١٩٥١

من الحياة :

لكيلا ننسى !

ليس فى ابناء هذا الجيل من ادرك ذلك اليوم المشئوم ، يوم لوح « الاميرال سيمور » باشارة من يده ، فاطلقت البارجة «الكسندرا» قنبلتها الاولى على الاسكندرية ، مؤذنة بعهد بغيض من الذلة والاستعباد

مضى آباؤنا المجاهدون الذين ادركوا ذاك اليوم وسمعوا تلك الطلقة الاولى ، فاندفعوا على اثرها الى المعركة فى غضب مجنون ، مؤثرين ان يموتوا كراما على ان يشهدوا باعينهم نعال الغاصب تطأ الارض الطيبة وهم يتفرجون!

وكانت المعركة قصيرة المدى ، لم تتجاوز يومين اثنين ، حصدت فيهما مناجل الانجليز رءوس آبائنا الكرام ، الذين ابوا ان يعيشوا اذلة .

وابيحت الابواب للغاصبين !

ومن تلك اللحظة التعسة ، بدات قصة رهيبة تتابعت فصولها ـ ذات العدد ـ على الارض التى روتها دماء الشهداء ، وكانت جثثهم الطاهرة فى ثراها ، بذورا مباركة جديرة بأن تنبت شجرة الحرية ، لكن اقدام الغاصب كانت هنا دائما ، تطأ النبت الطيب قبل ان ينمو ، ثم لما أعياها أمره ، راحت تقاومه ببذور اخرى لئيمة ، انبتت فى ارضنا النفاق والغدر والوصولية والتحلل ، وبلتنا بغمر من الحشائش الطفيلية ، كاد أن يخنق الغرس الكريم ويحول بينه وبين النور والهواء ، لولا فئة قليلة مؤمنة بحق مصر فى الوجود النبيل ، قد اتخذت من قلوبها وارواحها وعقولها منبتا للمصرية المضطهدة فى ارضها ، وجعلت رسالتها ان تقضى على تلك الحشائش المهلكة التى صنعها الاحتلال وهيأ لها النمو والتكاثر

فاذا صحنا اليوم بالانجليز : « **اخرجوا من ديارنا** » ، فلعلنا لا ننسى أن نكافح مخلفات الجيش الغاصب ، وان نفتح اعين ابنائنا على صنائع العدو ، ونلقنهم فى اصرار ان الاحتلال السافر الصريح قد يكون اهون من احتلال خفى مقنع ، يتولاه جنود منا باسلحة مسمومة من الانحلال الخلقى والانهيار المعنوى

بنت الشاطىء

(من الامناء)

التاريخ : ٣٠ / ٧ / ١٩٥١

من الحياة

صناعة انجليزية !

جاءتنى غاضبة ثائرة ، تحدثنى فى انفعال عن مشهد اليم راته بعينيها يوم ذكرى الاحتلال المشئوم : رات موظفا ضخم المركز يشغل منصبا من ادق المناصب واجلها واخطرها ، جالسا فى ملهى الكوبرى الذى نسميه (كوبرى الجلاء ! !) يحتسى الشراب مع (كابتن انجليزى) مشتغل بالتدريس عندنا ، لايكتم عداءه لمصر والمصريين .

وسالتنى صاحبتى – وهى طالبة بالدراسات الجامعية العليا – :

– هل تجدين تفسيرا لمثل هذه الخيانة ؟

اجبت :

– أجل ، ذاك أحد الذين صنعهم المحتلون على اعينهم ورفعوهم الى اخطر المناصب ، كيما يكونوا لهم جنودا وصنائع ، يرون من الوفاء لسادتهم الانجليز ان يكفروا بمصريتهم ، ويخذلوا عنها ، ويحاربوا دعاتها !

ثم ذكرت مشهدا آخر ، شهدته فى عاصمة النمسا ، فى سبتمبر الماضى

ذهبنا ذات اصيل فى رفقة صديقة لنا نبيلة الى ضاحية « كوبنزل » فملأنا اعيننا من جمالها ، ثم جلسنا نتناول عشاءنا فى فندق « هوبنر » الذى اضاف « نسيم باشا » منذ اعوام !

وطاب لنا السهر وحلا السمر ، فمضى الوقت سريعا لم نكد نشعر به حتى كان اوان عودتنا الى « فيينا » قد فات ، وكنا على موعد مع « الاستاذ عبد الله عنان » ان نلقاه عند محطة الجنوب قبيل مغادرته النمسا الى مصر .

ووقفنا على الربوة الجميلة المطلة على الدانوب الازرق ، نتدبر الامر فى حيرة ، فاذا سيارة انيقة تقف على مقربة منا ، وتنزل منها سيدة بادية النعمة والثراء لتحيى رفيقتنا فى احترام ، وتسألها أن تشرفها بركوبنا معها الى المدينة .

فحسبناها نجدة من السماء !

لكن الصديقة النبيلة لم تدعنا نهنا بها ، بل اشاحت بوجهها عن العربة فى جفاء مشوب بالاحتقار ، وخيل الينا انها عانت كثيرا ، كى تحمل نفسها على الاعتذار للسيدة ، اعتذارا مبتورا بادى التكلف.

وحدقنا فى العربة وهى تهبط السفح فى صمت اخرس ، حتى اذا غابت عنا انثنينا الى رفيقتنا نسأل فى احتجاج :

– لماذا بحق السماء ؟

اجابت فى صرامة :

– لانى اوثر ان ابيت ليلتى هنا بالعراء ، على ان اصافح سيدة رضيت ان تعمل فى احد مكاتب الاحتلال ، وان تتعاون مع قوم اذلوا كبرياء وطنى وانتهكوا حرمته ، وجعلوا من ارضه المقدسة موطئا لحقير النعال . كلا ... فلتذهب السيارة وصاحبتها الى الشيطان ، فلان احمل فى عربة الموتى ، اهون عندى واجمل بى من اركب سيارة فخمة جاءت بها نقود الاحتلال !

ثم صمتت النبيلة ريثما هدأ انفعالها ، واقبلت علينا تقول شبه معتذرة :

– أعرف انكم على موعد هام فى « فيينا » ولكن هلا غفرتم لى ؟ انكم – فيما اعلم – قد عانيتم من وطأة الاحتلال مثل ماعانينا فهل كان فيكم من تسمح له نفسه ان [illegible] مع عدو الوطن ، الا ان يكون مارقا كا[illegible] بنفسه وبقومه وبلاده ؟

فلم نجب ...

وذكرنا نفرا من [illegible] يباهون علنا بانهم **« صناعة انجليزية »** ويتصدون جهرا لحماية النفوذ الاجنبى ، وهم مع ذلك يعيشون بيننا مطمئنين ، ضخام النفوذ ، دعاة تخاذل وانحلال !

ولكن ، هل هم حقا يعيشون مطمئنين ؟ !

هونى عليك ياصاحبتى ، فوالله لن تغفر لهم مصر ابدا ، وسياتى يوم – يرونه بعيدا ونراه قريبا – يؤدون فيه الحساب العسير عن كل مااقترفوا ! يومئذ يتوارون منبوذين موسومين بوصمة الذل والعار « وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون »

بنت الشاطىء

(من الامناء)

التاريخ : ٢٨ / ٧ / ١٩٥١

من الحياة :

صنف نادر !

رحم الله هذا البلد ..

لقد اصبحت استقالة وزير من وزرائه مثار الدهشة والغرابة والعجب ، كأنما صار كرسى الوزارة اغلى من الكرامة ، واعز من المبدأ ، واقدس من الوطن !

وفى تاريخنا رجال لفظوا هذا الكرسى فى ترفع واباء ، ورضوا لانفسهم الحرمان من ابهة السلطان وجاه الحكم وسطوة النفوذ ، لكنا كدنا ننسى هذا الصنف من الاعزة الكرام ، حتى ذاك الذى شيعناه الى مثواه الاخير منذ اشهر معدودات ، بل حتى هؤلاء الذين يعيشون بيننا !

وما نسينا الا لان « الصنف » امسى نادرا الى حد خيل الينا انه انقرض ! وكان الاستعمار المشئوم الذى رزئنا به ، كفيلا بان يزهدنا فى كل منصب ، لو انه اكتفى باحتلال عسكرى سافر صريح ، ولم يعمد الى قتل النفوس ، ووأد الضمائر ، وخنق الارواح !

فاذا هبت مصر الواعية تبارك استقالة « الدكتور احمد حسين باشا »

واذا رأى الوطن الحى فى مثل هذا التخلى الكريم عن الجاه غير الكريم ، ما يثبت ان الارض الطيبة لاتزال قادرة على أن تنبت الحق والخير والكرامة والترفع ..

واذا تحمس الكتاب الاحرار «للبطل» الذى اصر على أن يجرد نفسه من لقب « حضرة صاحب المعالى » فى الوقت الذى تبذل فيه النفوس والضمائر من اجل ماهو اهون واضأل!

فلنذكر أن « وزارة الشئون » قد خسرت حقا مثل هذا الرجل الذى استطاع ان يقول . لا !

وانها لخسارة جديرة بأن تشوب فرحة الامة باستقالته ، وان تجعلنا نرى فى حرمان الوزارة من مثل « الدكتور احمد حسين » ثمنا باهظا لانتصار المبادىء السامية والمثل العليا !

بنت الشاطىء

التاريخ : ١٢ / ٨ / ١٩٥١

من الحيـاة :

المهـاجرات !

« ... ليتنا نقدر ان الغرب الظـافر الغـالب ، يدين لهؤلاء المهاجرات باكثر ما يتمتع به من نفـوذ سـياسى واقتصـادى فى ارضنا الطيبة المغتصـبة، وشرقنا المغلوب المستباح ! »

لقيتهن هنـاك ، فى صحراء الجزيرة ، قد تخلين طائعات عن الحياة الناعمة فى اوطانهن ، وتبعن ازواجهن الى ذلك المهجر النائى الموحش ليهيئن لهم من دفء العش وانس الاسرة ، ما يعينهم على العمل الكادح بين الصخور والرمال ..

لقيتهن هناك فى الدهناء : امريكيات واوربيات واسيويات ، مصريات مثقفات ، قد رضين بالعيش فى تلك الفـلاة المهجورة ، ليمسحن بانامل الرقيقة العرق المتصبب من جبـاه رجالهن العاملين فى وقدة الرمضاء ..

ورأيتهن هناك ابتسامة وضيئة فى قلب الصحراء الغضوب ، واطيافا رقيقة انيقـة وسط المهمه القفر ، ونغمة عذبة فاتنـة ، تسرى اصداؤها فى الافق ، لتهدهد الرجال الذين يعملون بين ضجيج الالات الضخمة الماردة وصفير الرياح الصرصر العاتية ، وعواء الوحوش الضالة الهائمة ..

***

لقد استطاعت شركة الزيت بفضـل الثروة المتدفقة من آبار الذهب الاسـود ، ان تبنى للمهاجرين مساكن طيبة ، تحيط بها حدائق مزهرة غناء ، لتصـد عنها بعض لفح الهجير وعواصف الرمال ولطمات الرياح السـافيات !

لكنها لم تكن لتستطيع ـ ولو ظفرت بمال قارون وعثرت على كنوز سليمان ـ أن تذود عن الرجال الضجـر والمـلال ، او ان تمس مسـاكنهم بتلك اللمسة اللطيفة السـاحرة التى تتركها الانثى حيثما مسـت يداها او ان تلقى على المسـاكن المزودة بالات التبريد والتسـخين والاضـاءة والتكييف ، ظلالا من الانس واللطف والرقة والحنان ، كتلك التى تلقيها الزوجات والامهات !

هن اللواتى يجعلن المساكن بيوتا ، ويبعثن الحيـاة فى ذلك الخراب اليباب ، وينبتن فى الارض القاحلة الماحلة ، زهرات انسانية يانعة تعطر الجو الصحراوى باريج الطفولة الباسمة المتفتحة للحياة !

ومن اجل هؤلاء الاطفال ، انشئت المـدارس والملاعب فى منطقة الزيت بالصحراء واستطاب الآباء مرارة الكفاح واستمرأوا طعم العيش مع وحشة الاغتراب !

***

ومضيت التمس مصريا واحدا بين الرجال العاملين فى شركة الزيت ، فلم اجد !

وقيل لى فيما قيل ، ان الجزيرة الحت فى

طلب مهندسين واطباء وعمال من ابناء مصر ، فلم يستجب لها احد ، كما استجاب آخرون : من الهند ، واندونيسيا ، وسوريا ، ولبنان ، وفلسطين ، واوربا ، وامريكا ..

لماذا رفض المصريون ان يستجيبوا لدعوة الجزيرة ، مع أنها تلقاهم بترحاب حار لايظفر به اجنبى ، وتنزلهم بين ابنائها مكانا عزيزا تضن به على الغربيين الغرباء ؟.

لسبب بسيط ، هو ان المصريات يابين الهجرة ولو الى قطر شقيق ، ويرفضن ان يتبعن ازواجهن ولو الى بلاد العرب ، مهما تكن المغريات !

أليس من العجيب ان تعيش هناك غربيات لايعرفن حرفا من العربية ، ولا يؤذن لهن بان يؤدين شعائر دينهن ، لان الجزيرة تحرم بناء الكنائس ودق النواقيس ودخول القسس والرهبان ، فى الوقت الذى تابى فيه تلك الحياة مصريات ينزلن هناك بين أهل وجيران واخوان فى الجنس واللغة والدين ؟

أليس من العجيب ان ترضى بالعيش فى « الظهران » غربية مصرية قد تكون ولدت فى نيويورك او روما او باريس ، ولا ترضى به مصرية قد تكون مولودة فى قلعة الكبش او صفط تراب أو زاوية الناعورة او دشنا وفرشوط ؟

لكن لا . . .

ليس فى الامر مايستغرب ، فكذلك كانت نساؤنا من قديم الزمان ، واى هكذا خلقت ، والامر لله !

ان المصرية تابى ان تنزح من القاهرة الى الجيزة ، او من الاسكندرية الى دمنهور ويندر ان ترى قاهرية ترضى بالزواج من رجل يعيش فى الريف ، ولو كان من ملاك الاراضى واصحاب الضياع !

ويتعذر على شبابنا المتعلمين الذين يعملون فى الاقاليم ان يجدوا زوجات صالحات يحتملن العيش بعيدا عن اضواء العواصم ! واعرف من فتياتنا المخطوبات من تشترط لاتمام عقد الزواج ان ينقل الخطيب الى القاهرة ..

فهل نعجب اذا لم نجد بيننا من تتبع زوجها الى صحراء جزيرة العرب ؟ !

انى لاذكر زوجات لبعض الموظفين باحدى المزارع النموذجية قرب القاهرة ، فى منطقة اشبه بالجنة ، وقد رفضن مع ذلك ان يعشن هناك فى (الفيلات) الانيقة المضاءة بالكهرباء ، والمتصلة بالعاصمة بخطوط تليفونية مباشرة ! وآثرن جحيم المدينة على جنة الريف ..

وهناك فى المنطقة نفسها — وهى مكتظة بالمصانع — تعيش سيدات اوربيات ، يفهمن حق الفهم دورهن فى الحياة ، ويؤمن اعمق الايمان برسالتهن العظمى نحو رجالهن واوطانهن !

فليتنا ندرك ان الغرب ، الظافر القاهر ، يدين لهؤلاء المهاجرات باكثر مايتمتع به من نفوذ سياسى واقتصادى فى ارضنا الطيبة المغتصبة وشرقنا المغلوب المستباح !! .

بنت الشاطىء

(من الامناء)

التاريخ : ٤ / ٩ / ١٩٥١

من الحيـــاة :

يرحمهن الله !

رثيت لهن ، وقد اخرجن من بيـــوتهن الى الدواوين ودور الاعمال ، وفرضت عليهن حياة كادحة مرة ، ترهقها مهانة الاحتراف ويشقيها التمزق بين اثقال الامومة واعبـــاء العمل خارج البيوت ، ثم لايظفرن مع هذا كله بنظرة رحمة او تقـــدير ، فاندفعن فى مظاهرة غاضـــبة نحو مجلس العموم ، واقتحمن الابواب يطلبن حق المســـاواة فى الاجور مع العمال ، ويصحن امام دار المجلس :

نحن هنا ، ونحن ننتظر !

حدث هذا فى انجلترا ، وهى ـ فيما يقال ـ اعرق الامم ديمقراطية وارعاها لحقوق الافراد فبأى عذر تبرر مثل هـــذا الوضـــع المجحف ، مع اننا فى الشرق الموصوف بالرجعية والموصوم بالتاخر ، قد سوينا النســاء بالرجال فى الاجور والمرتبات ، فلســـنا نعرف فى وظائف الحكومة عندنا (كادرا) للرجال وآخر خاصا بالنساء !

انها العوامل الاقتصادية تحتكم هناك فى كل شئون الحياة ، دون ان تبدى اكتراثا بالعواطف او تطيل الاصغاء الى رنين الالفاظ الضـــخمة التى ابتـــدعها العصر . والمراة لاتســـتطيع ان تفرغ للعمل وحـــده كما يفعل الرجل ، لانهـــا بفطرتها وبحكم ظروفها ، عاجزة عن التخلص تمـــاما من اعبـــاء الامومة ، اللهم الا فى حالات شاذة لايمكن ان يكون لها كبير حساب . واقصى ما تســـتطيعه المراة العـــاملة اليوم ، ان تهب العمل شطر اهتمامها وعنايتها وجهدها ، وتدع الشـــطر الباقى لبيتها وأولادها . فمن العدل ـ فى الحـــساب الاقتصـــادى ـ ان تعطى اجرا دون اجر الرجل الذى أعفى منذ بدء الخليقة من اعباء الحمل والوضع والحضانة والرضاعة

ويقول الحق : ان المراة فى هذا اجدر بالرحمة اذ تحمل مع هم العمل همومها الاخرى ، وانها اولى بالعطف والتقدير اذ تشتغل فى ميدانين اثنين لا فى ميـــدان واحـــد ، لـــكن العوامل الاقتصـــادية كما قلت لاتـــكترث بهـــذا لان المسالة عندها مســـالة « كم » ، ويســـتحيل فى عرف « الـــكم » أن تنتج المراة قـــدر ماينتج الرجل ، حتى لو وهبت العمل كل وقتها ، او كانت عانســـا لا زوج لها ولا ولد !

هى فى الحالين مظلومة ، وليس من شأن « الدائرة الاقتصادية » أن تحدد المسئول عن هذا الظلم ، وانما ذاك شأن المجتمع الذى زين لها الخروج والانطلاق ، باسم التحرير من اغلال الرق والاستعباد !

ليت الشرق يعى مثل هـــذا الدرس الذى تلقيه تلك الامبراطورية العجوز ، فيتحرر من الارتجال ، ويعرف أن مسالة تحرير المراة لم تكن ـ من أولها الى اخرها ـ سوى احتـــكام ضرورات اقتصادية ، وليس منحة من المجتمع ولا ايمانا منه بما يسمونه حقوق النساء ! !

بنت الشاطىء

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ١٧ / ٩ / ١٩٥[illegible]

من بعيد

مصر دائما !

في حفل « الاستاديوم » الفخم ، وعلى مرأى من ممثلي الدولة الافريقية الاسلامية ، اقامت اليونان حديثا متحفا لحضارتها ، يعرض صور حياتها ومجالي نشاطها ومراحل تطورها ، ويروى احوالا موجزة ثمارا من تاريخها ذلك الذي بدأ رائعا مشرقا ثم عدا عليه الخمول حين وقعت « اثينا » تحت سنابك خيل الغزاة من الرومان ، فتوارت من مسرح الحياة واحتجبت من التاريخ بضعة عشر قرنا ، ريثما هب الغرب اخيرا للدفاع عن ارض ارسطو وسوفوكليس وارشميدس ، فبعثت اليونان من جديد

اقامت اليونان، هذا المتحف من اموال المهاجرين : ونادت المهاجرين من ابنائها ليعودوا الى ارض الوطن ، ويقرأوا كتاب الاجداد والاباء ، ثم يلتقوا بالمشهد المؤثر لتاريخ اليونان في السنوات العشر الاخيرة ، ملخصة في اربع صور رمزية :

اولاها ، تحمل تاريخ « ١٩٢٠ » وفيها نرى اليونان جريحة مكبلة بالاغلال ، ولكنها مع ذلك تمد يديها المغلولتين الى السماء في ضراعة وترنو الى اعلى في رجاء وابتهال !

واليونان في الصورة الرمزية الثانية « عام ١٩٢٣ » جندي يناضل مستبسلا تلوح عليه مخايل الحزم والصلابة ، التي ارغمت « هتلر » على الاعجاب بهؤلاء الابطال ، فامر بالا ينزع سلاحهم !

وتحمل الصورة الثالثة تاريخ « ١٩٢٦ » وفيها نرى عددا من الرماح ابناء الشهداء ، تخلف منهم اليونان رمزا لما عانت من المحن في اعقاب الحرب .

وهي في الصورة الرابعة : « عام ١٩٥٠ » جندي يرفع العلم اليوناني مزهوا مختالا ارفي قمة الاولمب .

وغير بعيد من هذا المتحف تربض « الاكروبول » فوق الذروة الشماء ، يطل من عل على العاصمة التي ظل يحميها زمنا طويلا ، ويحدث في صمت بليغ عن مجد تليد ، ويستقبل في كل آن افواجا من الحجاج الذين يفدون اليه من شتى انحاء الغرب ، مرددين هناك « لفكتور هيجو » : « اعطني رصاصا لاناضل عن ارض الالهة » ومترنمين بانشودة « لورد بايرون » وهو يقاتل هنا ، في سبيل وطنه الروحي !

ولقد كنت مثلهم اتلو هذه الاناشيد واردد ذلك الهتاف ، وانا واقفة بالاكروبول متجهة بقلبي الى مصر ، تلك التي لم تجد من يدافع عنها وهي ذات حضارة اعرق ، وتاريخ امجد !

جحد العالم فضلها الاول ، والمعتدي مجنبة من جنود الاستعمار وهم يستهدفون حرمة الارض المباركة التي قادت البشرية من ظلمات الجهالة ومتاهة الغابة ، الى نور الحضارة والعرفان !

ولكن لا . .

ان مصر لم تكن في حاجة الى العون الخارجي

بنت الشاطىء

التاريخ : ١ / ١٢ / ١٩٥١

في حياة المرأة :

من قصص الكفاح !

هي واحدة من عشرات الالوف يعشن في [illegible] اولئك [illegible] [illegible] وردوا للنار المقدسة التي اشعلتها مصر لتطهر أرضها الطيبة من هؤلاء الذين انتهكوا حرمتها واستعبدوا كرامتها ..

واحدة منهن ، اسمها [illegible] ، لم تقرأ صحيفة أو كتاباً ، ولا عرفت من الحياة سوى أنها كفاح [illegible] في سبيل الرغيف ، مات زوجها في [illegible] وترك لها ثلاثة صغار [illegible] والطرقات تلتمس رزقاً [illegible] الجوع القاتل في معسكر الاحتلال ، [illegible] [illegible]

[illegible]

[illegible] !

[illegible]



وشب هؤلاء أبناؤها [illegible] ولا يعرفون الراحة ، حتى [illegible] إلى خط النار [illegible] !

قال بعض الذين سمعوا قصتها :

« [illegible] »

أما أنا فما أعرف حرباً واحداً [illegible] ، ذلك لأني أعلم أن المرأة — التي [illegible] في نفسي — لا تستطيع أن تكون إلا هكذا ، مادام [illegible] وصدق الطريق ".

بنت الشاطئ

« من الاهرام »

التاريخ : ٨ / ١٢ / ١٩٥١

ركن المرأة

محنة الجامعيات .!

كدت انكر على نفسي ان اشتغل بغير ما يشتغل به قومي في معركتهم الكبرى ، لكني لم استطع ان اصم اذني عن شكوى فئة كريمة من فتياتنا الجامعيات ، يفرض عليهن ان يكابدن محنة « المواصلات » التي ضج منها زملاؤهن الطلاب ؛ رغم ما يطبعهم القدر على الاحتمال والقدرة على المشقة والاذى ..

واسميها محنة ، وانا اقدر ما في هذه التسمية من قسوة وعنف ، فما اعرف ان طالبات الجامعة يمكن ان يحتملن اليوم بأيسر من تلك الرحلة الاليمة التي تفرض عليهن مرتين في اليوم غاديات الى الكليات والمعاهد ثم آيبات منها ، في هذه العربات التعسة التي يحشر فيها الآدميون كأنهم اكداس من سقط المتاع !

ولن اقوم هنا شركتي (الترام وتورنيكروفت) او اتوجه اليهما برجاء ، فما مثلهما بالذي يرجى او يلام ، لكنما اود بذوي الضمائر الحية من رجال الجامعة ، متسائلة : كيف يرضون لبناتهم الكريمات مثل ذلك النكر ؟ ان تكن قيود الميزانية تحول دون تهيئة مسكن جامعي لكل الطالبات ، فهل يأبى « اتحاد الجامعة » ان يدبر لهن عددا من السيارات على نحو ما تفعل وزارة المعارف في مدارس البنات ؟

اعلم ان « مالية الاتحاد » مرهقة بمصروفات شتى ، لكني اعلم ايضا ان لهؤلاء الطالبات حرمة يجب ان تصان ، وعزة لا يجوز ان تبتذل في الطرقات وعلى (سلالم الترام) ، وما ارضى للآباء من كبار الجامعيين ان يسكتوا على ضيم كهذا في الوقت الذي يبذل فيه « اتحاد الجامعة » الوف الجنيهات كل صيف ، لرحلات ترفيه في الخارج ، يسمح بها لقلة قليلة بعينها عاما بعد عام ، على حساب عشرات الالوف من طلبة فقراء ، الله يدري كيف يشقون هم وآباؤهم ليسددوا رسوم الاتحاد

على اني ما كتبت لاطلب تعطيل الرحلات فلعل هذا الحرمان يشق على الذين الفوا نعمة الترف الرخيص ، وانما الذي يعنيني ان اطلب لبناتنا في الجامعة لفتة كريمة من اولي الامر فينا ، تصون عزة لا عاصم لها من محنة الابتذال !



بنت الشاطئ

« من الامناء »

التاريخ : ١٤ / ١٢ / ١٩٥١

ركن المرأة

ذكرى المولد

اذا كان للانسانية ان تحتفل بذكرى مولد الرسول الذى حرر الفكر البشرى من الاغلال الوثنية ، فنحن الامهات جديرات بان نرى فى عيدنا هذا تحية خاصة للامومة . ذلك لان فى تسمية الاحتفال « بالمولد » تذكيرا بالوالدة الكريمة ، وتمجيدا للساعة المباركة التى ولدته فيها ، وتكريما للامهات اللواتى جعلت الجنة تحت اقدامهن !

ولقد مضت قرون وتتابعت اجيال ونحن نحتفل فى هذا العيد . وفى كل اعيادنا - بنصب الزينات ومد الموائد واقامة الولائم وتدبيج الخطب والقصائد والمقالات ، دون ان نتجه الى عمل جليل يليق بجلال المناسبة ،



افلا يجدر بنا معشر السيدات ان ننهض بدعوة نبيلة تجعل عيدنا هذا موسما لخير عظيم ؟

اننا نستطيع ان نذيع فى الناس ذلك النداء الداعى الى ان يكون يوم « المولد » عيدا لليتيم ، ذلك لان رسولنا ولد يتيما ، وعاش ما عاش يدعو الى رعاية اليتيم وينذر من يقهرونه بعذاب من الله اليم .

وانى لاتلو اليوم فى ذكرى مولده عليه الصلاة والسلام ، تلك الآيات البينات التى بلغها الينا من وحى الله :

« الم يجدك يتيما فآوى ، ووجدك ضالا فهدى ، ووجدك عائلا فاغنى ؟ فاما اليتيم فلا تقهر ، واما السائل فلا تنهر . واما بنعمة ربك فحدث »

« يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ، ويطعمون الطعام - على حبه - مسكينا ويتيما واسيرا ، انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا »

« ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا »

اتلو هذه الآيات البينات ، فاحس انها انشودة يومنا المبارك ، لانى اذكر بذكرى يتيمنا العظيم ، يتامى صغارا ، فقراء مضيعين ، تحدق فيهم عين الشيطان ، وتتلقطهم بؤر الفساد واوكار الاجرام ، مع اننا لو اقمنا فى كل عام دارا واحدة لليتامى ، نحتفل بافتتاحها يوم المولد لكان لنا على مر الايام دور تكفى لايواء اليتامى ورعايتهم وتوجيههم للحياة الطيبة العاملة توجيها رشيدا !

٭٭٭

ولقد اذيعت هذه الدعوة الى « عيد اليتيم » منذ اعوام ، لكن حياتنا الاجتماعية لم تتهيأ بعد لمثل تلك المشروعات الجديدة ، وعلينا نحن السيدات ان نقوم بدورنا المجيد ، فندعو ونحرض ونحفز ، ولن تموت الدعوة اذا حملتها فئة كريمة من الفتيات الواعيات ، وبشرن بها فى بيوتنا ومجامعنا ومجالسنا ومدارسنا . . واذا كان الرجال هم الذين ينهضون باعباء الحياة العامة عندنا ، فنحن اللواتى نصنع الرجال . . نحن فى كل زمان ومكان ، حارسات المثل العليا والداعيات الى الحق والخير والجمال . .

وسلام على « امنة » ام اليتيم الذى اختارته السماء « شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا »

بنت الشاطئ

من الاهرام

الأهرام

قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٣١ / ١٢ / ١٩٥١

في حياة المرأة

زوجة الرئيس ...

حدثتني زميلة شرقية عادت قريبا من امريكا ، عن لقاء بينها وبين « مسز روزفلت » افضت فيه السيدة الكبيرة الى شكوى ابنة الشرق مما تسميه ظلم الاوضاع وحنينها الى مثل تلك الفرصة التى اتاحت للغربيات - دوننا - ان يشغلن في الحياة العامة مراكز ذات بال .

وانتظرت الزميلة ان تتحمس الزعيمة لبنات جنسها المستعبدات في ارض الشرق وان تعدنا بتأييد شكوانا والدفاع عن حقنا المغتصب ! لكن السيدة لم تنكر شيئا مما سمعت ، وانما اكتفت بان تسأل الشابة :

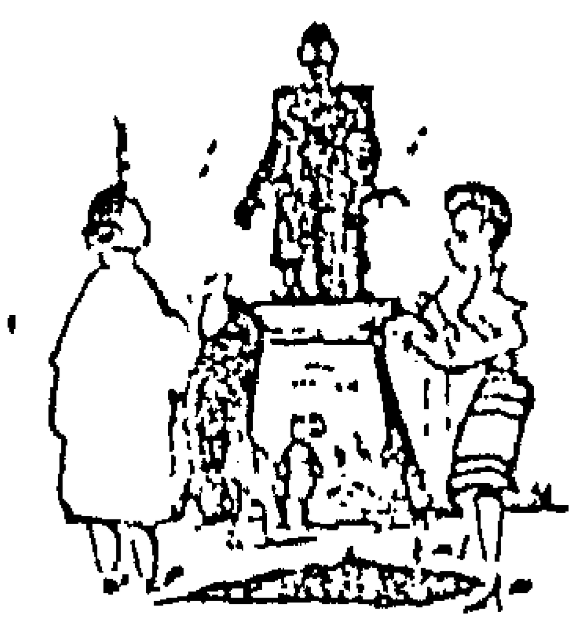
- او تعرفين اسمى يا ابنتى ؟

فعجبت الفتاة للسؤال ، ولم تدر بم تجيب .

وهنا ابتسمت لها السيدة وقالت :

- اعلم انك تعرفينه . ولكن ، هل فكرت في دلالة هذا الاسم الذى احمله ؟ اننا معشر الغربيات - الظافرات دونكن بالحرية - مانكاد نشب عن الطوق حتى نبدأ بالزواج حياة جديدة ، نلغى فيها شخصياتنا الاولى وتندمج احدانا في شخصية زوجها ، والمرأة ان تلغى اسمها الذى عرفت به منذ ولدت ، لتستبدل به اسم الزوج . وهذا وحده يكفى للدلالة على ان ليس للمرأة حياة مستقلة تماما عن زوجها وانما هي منه ، وله ! ولم نفكر في التمرد على هذا الوضع الذى يبدو ظالما مجحفا بنا ، ولا حال ذلك دون ان ننهض بدورنا الخطير في الحياة ..؟

وصمتت السيدة لحظة ثم استأنفت قائلة :



« انني زوجة الرئيس ! ذاك موضع عزى وفخرى ومجدى ، ولن تستطيع الناس ان اى وضع - مهما يبلغ من السوء والاجحاف - قد حال او يحول دون قيامكن بالمهمة العظمى ، والتى بها صنع الحياة وتوجيهها . اللهم الا اذا زعمت لى ان ابطال الشرق لا تلدهم امهات وليست لهم زوجات ! »

وخرجت الزميلة تسير كأن غشاوة رفعت عن بصرها ! لقد ذهبت الى امريكا وهى تحسب ان رسالتنا معشر الشرقيات في هذا الجيل ، ان ننافس الرجال كما فعلت الغربيات قبلنا .. او هكذا قيل لها ، ثم عادت وهى تؤمن ان اعز ما تطمح اليه انثى ، هي ان تكون اما لبطل ، او زوجة عظيم !

بنت الشاطئ

« من الامناء »

التاريخ : ٢٨ / ١٢ / ١٩٥١

في حياة المرأة

رسالة السماء !

اصغيت الى دعاء السلام يردده حناجر اللاين من ابناء هذه البشرية المعذبة المجهدة ، قد اضناها الثكل وهدها الحزن وانهكتها الجراح ، لتراءت لي صورة انثى كريمة ، تطل من عرشها الاسنى على هذه الجموع التي اخذت في ساحتها ليلة عيد الميلاد : مبتهلة داعية، شاكية ضارعة متوسلة راجية !

انها « مريم » ام النبي الذي بشر بالسلام ! اختارها الله – جل في علاه – ليلقي اليها كلمته ، ويودعها سره الاكبر ، فكانت الآية العظمى التي علمت البشرية ان كلمة الله قد القيت الى انثى ، وان النبي المختار لا يمكن ان يوجد الا اذا حملته ام !

وكأنما ارادت السماء بهذا ان تلقي على الانسانية درسا الهيا ، تعرف به ان النبوة من الامومة ، وان من الانوثة ما يسمو حتى تحل فيه روح الله ، ثم لا تكون الانثى – التي اصطفاها الخالق – نبية مرسلة ، بل حسبها جلالا وقدسية ، ان تكون ام نبي ، ووالدة رسول !

فيا للامومة الخالدة ، يجثو المسيحيون امام تمثالها الوضيء، خشعا متعبدين ، ويتلو المسلمون فيها قول كتابهم الكريم :

« واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك ، واصطفاك على نساء العالمين .

« ... يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم ، وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين .. »

فكم منا من يذكر اليوم في عيد الميلاد ، ان نبي السلام قد حمل اسم السيدة التي حملته ، وانتسب الى الام التي ولدته ؟ !

« ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون . »

بنت الشاطئ
(من الانباء)

التاريخ : ١٩ / ١ / ١٩٥٢

في حياة المرأة

حرم الزعيم !

لم تسعدني الظروف بلقائها ، ولكنها عاشت ملء أسماعنا ، قاربنا ، تتحدث عنها سمارنا في الريف فتروى ما كان لها من دور جليل في تاريخنا القومى ، كزوجة كريمة وشريكة صادقة للزعيم الذى حمل اللواء بعد « مصطفى كامل » و « محمد فريد »

زوجة عرفت مكانها الى جانب رجلها ، ورضيت عنه ، فلم تحاول قط أن تستبدل به مكانا آخر في الحياة العامة ، ولا شاقها أن تخوض معركة الاحزاب لتكون « الزعيمة » بين الزعماء ، أو « وزيرة » مع الوزراء ، وانما استجابت لهدى الفطرة ، فأرضاها أن تكون للزعيم زوجة ، وللمصريين أما !

ولو رغبت « صفية » في أى حق سياسى لكان حسبها أن تعرب عن هذه الرغبة فتلبى أو تأمر فتطاع ، وهل كان يشق على « سعد زغلول » — وهو في أوج سلطانه — أن يجعل زوجته عضوا في الوفد أو في البرلمان ؟ أو كانت الأمة تضن بهذا على مثله ومثلها ؟ كلا ! انما هى « صفية » التى لم تتعلق بشىء من هذا ، ولم ترض أن تتخلى عن مكانتها الرفيعة كسيدة لبيت الأمة وأم المصريين ، لتنزل الى معترك الاحزاب والأسواق العامة ، فبقيت فوق هذا كله عزيزة مترفعة ، لا تجرحها كلمة ، ولا يتطاول الى علاها غبار !

وحين جد الجد واحتدمت المعركة بيننا وبين العدو ، لم تر « صفية زغلول » في (حرمانها) من الحقوق السياسية ، ما يحول دون العمل والكفاح : حدثوا أنها



برزت من مخدعها غداة ، اعتقلوا « سعدا » لترأس اجتماع الوفد في بيت الأمة ، وتسامع بهذا أولئك النفر الذين اختلفوا مع « سعد » وجاهروه بالخصومة ، فدخلوا الى بيت الأمة سراعا يلبون النداء ، فكانت صفية هى التى حطمت الفرقة وألفت القلوب ، ووجهت الرجال الى الميدان يقاتلون في سبيل الوطن صفا كأنهم بنيان مرصوص !

والآن ، تحل ذكرى أم المصريين والمعركة قد احتدمت من جديد ، دامية حاطمة ، ونحن مانزال فرقا مبعثرة وطوائف متباعدة وأحزابا شتى وقلوبا بددا ، فهل من « صفية » ثانية ، ترأب الصدع ، وتلم الشمل ، وتؤلف القلوب ، وتضم الصفوف ؟!

بنت الشاطئ

(من الأنباء)

التاريخ : ٢ / ٢ / ١٩٥٢

الكتب الجديدة

مطبعة مصر : ٢٢٠ ص متوسطة

هي مجموعة من الابحاث العلمية والدراسات الادبية ، كتبها الاستاذ الكبير « الدكتور محمد كامل حسين » فقدم بها لمكتبتنا نموذجا فريدا من الطراز العالي في الدرس الادبي حين يجمع بين علمية الفكر وفنية الاسلوب

وقراؤنا في غير حاجة الى ان نقدم لهم الاستاذ « الدكتور كامل بك » طبيبا عالما من الصفوة الذين تعتز بهم مصر في الدوائر الطبية العلمية ، ولكن قليلين من القراء ، هم الذين يعرفون عنه اديبا موهوبا يتسم ادبه بالعمق والجدة والاصالة ونضج الفكرة مع اناقة التعبير وجمال الاداء

ولقد عالج عنه في (متنوعات) طائفة من اهم المسائل الفنية والعلمية ، فتحدث عن : « القرآن ، واحسن القصص ، والمتنبي الذي ملأ الدنيا وشغل الناس » كما تحدث عن « الحرمان واثره في الفن والحياة ومن تاريخ الكيمياء القديمة ، وتاريخ الطب عند العرب والفلسفة والعلم في كتاب القانون »

ونقل الينا – في ترجمة امينة دقيقة – الدم رسالة علمية في الطب الفرعوني العريق بعد ان عرض لها مؤرخا دارسا ناقدا

ولانقول هنا ان المكتبة العربية شكت الحاجة الى مزيد من المؤلفات والمطبوعات ، فالحق انها ضاقت بما تقذفه المطابع في كل آن بغير حساب ، وانما الذي شكوناه ، هو ندرة الدراسات الادبية الرصينة العميقة التي ترد عن الفكر العربي ما اتهم به باطلا من السطحية

واقل مايقال في كتاب « الدكتور محمد كامل حسين بك » انه احد المؤلفات القليلة التي ندفع بها عن الفكر العربي هذه التهمة والتي نرجوها – في الوقت نفسه – لتصحيح ماشاع فينا من ان الادب مجرد صنعة كلام : قائمة على تنميق العبارة وتزويق الالفاظ فحسب ! وما اشد حاجتنا في هذا العصر بخاصة ، الى من يصطنعون الدرس الادبي عندنا حتى يبرئوه من اللغو والعبث والفضول !!

المسألة السودانية
مدعمة بالوثائق البريطانية
مطبعة مصر : ١١٢ ص ق

في هذه الآونة الحاسمة من تاريخنا نشرت وزارة الخارجية المصرية بحثا باللغة الانجليزية عن المسألة السودانية مدعمة بالوثائق البريطانية » كتبه « الاستاذ عبد المنعم عمر المراقب بدار الكتب المصرية » وجمع فيه الوثائق التاريخية التي تروي مأساة الاستعمار في السودان كما كتبها ساسة الانجليز انفسهم وتلمح الاساليب التي احتالوا بها « كي يثبتوا اقدامهم على ضفاف النيل » كما قال كرومر

والمشتغلون بالقضية المصرية يستطيعون ان يلتمسوا في مثل هذا البحث مرجعا هاما يؤيد نضالهم من وحدة الوادي ، ويفضح الاستعمار الغاشم بوثائق بريطانية اصيلة ، كما يستطيع قراء الانجليزية – في وادي النيل بخاصة وفي الغرب بعامة – ان يتابعوا في الكتاب فصول المأساة التي مثلها الانجليز على مسرح الارض الطيبة لما كادوا يضعون اقدامهم في السودان باكراه المصريين على اخلائه عام ١٨٨٤ حتى منعوا الدول الاوروبية من التدخل فيه بحجة انه « كان وما يزال ملكا لمصر » كما قال وزيرهم « سالسبوري » في الوقت الذي رسموا فيه الخطة لفصل شمال الوادي عن جنوبه !

هذه هي خلاصة المأساة التي كتبتها اقلام المستعمرين ورواها التاريخ ، ونقلها « الاستاذ عبد المنعم عمر » كي تثأر مصر على مسمع من عالم اليوم

بنت الشاطيء
(من الانشاد)

التاريخ : ١٦ / ٢ / ١٩٥٢

الكتب الجديدة

صوت مطران!

١ ـ الى الشباب
٢ ـ مسرحية السيد

اليوم وعلى غير انتظار ، نتلقى سفرين جديدين من تراث «مطران» فقيد العروبة وشاعر العصر

اولهما ، ديوان له جديد ، تحدث فيه الى شباب العرب حديث شيخ مجرب ، عرك الحياة وكابد همومها وذاق خيرها وشرها ، فاراد ان يقدم من تجاربه خلاصة مركزة ، يهديها الى الشباب من قومه

ولقد آثر ـ رحمه الله ـ ان يصوغ هذه التجارب والحكم ، في منظومات من الرجز لاتخطىء فيها شخصية مطران في تدفقه وشاعريته ، ولكنك قد تفتقد فيهما مرح الصبا وروح الفتوة ، فتحس انك تصغى الى موعظة حكيم مجرب ، لا يريد ان يمضى قبل ان يلقى الدرس الاخير على فتيان الجيل .

ورحم الله « مطران » ! فكأنه قائم بيننا اليوم ، ينشدنا ـ في محنتنا الحاضرة ـ بصوته الهادىء الوقور :

لا تدرك الحرية بالشوق والامنية
تلك عروس الملى لهـا المحل الاعلى
ليس يلدهـا مهرا بذلك فيها العمرا
سعادة لا توهب لكنها قد تكسب

او يقول في التسامح بين عناصر الامة :

ان تعتبر بمن سلف او تختبر فعل الخلف
تجد بحكم الفطرة مع السماح القدرة
سيع دين من تعايش وكر من تلاشي
ولا تفسق الا بمن بخؤن وحدة الوطن !

أما السفر الثاني ، فهو ترجمة عربية لمسرحية « السيد » احدى روائع الادب الفرنسي ، والماساة الانسانية الخالدة التى احاطت اسم الشاعر « كورنى » بهالة من السنا .

ترجمها « الخليل » منذ نحو عشرين عاما ، وقدمتها الفرقة القومية لاول مرة على مسرح الاوبرا الملكية عام ١٩٣٦ . واليوم تصدرها « المطبعة البولسية بلبنان » في طبعة انيقة اشرف عليها « الاستاذ البير مطران » شقيق الفقيد .

فى اعقاب الثورة المصرية

مكتبة النهضة المصرية : ٤٤٢ ص ك

هى الحلقة الاخيرة من تاريخنا القومى الذى يكتبه الاستاذ الجليل « عبد الرحمن الرافعى بك » على ضوء الحركة القومية التى ارخت نهضتنا الحديثة

وهذا الجزء الثالث من تاريخ مصر (فى اعقاب الثورة) يستقل بالحديث السياسى عن خمسة عشر عاما من عهد جلالة الفاروق (١٩٣٦ : ١٩٥١) ليعرض المراحل الكبرى لهذه الفترة الحافلة بجليل الاحداث ، ويروى ماكان من انبائها رواية شاهد عيان لمعاصر هذه الحقبة ورصد حوادثها وتابع تطوراتها وجمع وثائقها ، ثم عكف على تاريخها ، حريصا ـ قدر ما استطاع ـ على التجرد من الهوى .

واذا كان من المؤرخين من يميلون الى التجرد المطلق ، ويؤثرون ان يتركوا الحوادث وحدها تنطق وتحكم ، فان الاستاذ الجليل ـ فيما يبدو لى ـ لا ياخذ نفسه بهذا المذهب ، ولا يجد حرجا فى ان يصدر الاحكام ، ويعلق على التصرفات ، ويبدى ماشاء من دهشة او عجب او انكار (انظر صفحات ١٢ ـ ١٧ ـ ١٩ ـ ٤٥ ـ ١٠٦ ـ ١١٢ ـ ١٥٢ ـ ٢٧٠) . وهو فى هذا يبدو اقرب الى السياسى منه الى المؤرخ

وللاستاذ الرافعى بك ، اسلوبه الذى يتسم بالرصانة والاتزان ، غير ان الحوادث التى يؤرخها قد تصل الى حد يفلت الاتزانه ويستنفد حلمه (انظر صفحات ٨٤ ـ ٩٢ ـ ١٠٤ ـ ١٠٦ ـ ٢٠٠) . واذ ذاك يتوارى تحفظ الذى يؤرخ لاشخاص احياء واحداث معاصرة ، وراء صراحة الوطنى الغاضب (انظر صفحات ١٠٤ ـ ١١٧ ـ ١١٩ ؛ وهى صراحة لا تعوزها الجراة احيانا ، عندما تمس مسائل ذات دقة وخطر (ص ٤٥ ـ ٢٩٩ ـ ٢٠٠ ـ ٢١٨)

والكتاب بعد هذا ، سجل جامع لمادة التاريخ فى هذا الدور من حركتنا القومية وقد ذيله المؤرخ الجليل بنداء الى قومه ، يرجو فيه أن تنتصر العقيدة الوطنية على الشهوات السياسية ، وان تصلح الاستقامة الخلقية ما افسده النفاق الذى فشا وشاع !

بنت الشاطىء
(من الامناء)

التاريخ : ٢٩ / ٢ / ١٩٥٢

الكتب الجديدة

ادب ، وتاريخ ، واجتماع

مطبعة مصر : ٥١٠ ص ق

للاستاذ « الدكتور محمد صبرى بك » مكانته بين رجال التاريخ الحديث الاعلام، ولقد لقيت ابحاثه في تاريخ مصر الحديثة تقديرا صادقا من الدوائر العلمية هنا وفي الخارج . على ان تخصصه في التاريخ الحديث لم يمنعه من الاشتغال بالدرس الادبي ، فاخرج لنا في عامي ١٩٢٤، ١٩٢٦ كتابه (الشوامخ) في اربعة اجزاء ، كما نشرت له الصحف والمجلات مقالات ادبية قيمة ، ظهر فيها طابع المؤرخ الاديب

وهذا الكتاب الذى نقدمه اليوم الى قرائنا ، يمثل شخصية الدكتور صبرى بك ، ويرينا الآفاق الجديدة الرحبة التي يجول فيها قلمه اذ يعرض بعض المختار مما نشره موزعا في نحو سبعة وثلاثين عاما في الادب والتاريخ والاجتماع

وهو في الواقع جزءان يضمهما سفر واحد : اولهما كتاب (ادب وتاريخ) الذى ظهر من قبل في عام ١٩٢٧ ونفدت طبعته، واما الثاني فمختارات اخرى من مقالات وابحاث له لم تنشر في الجزء الاول ، ومن بينها فصول جديدة ،كتبت لصيف ١٩٥٠ وتناولت موضوعات ادبية واجتماعية منها: « امرؤ القيس وجوته — على النيل — في حديقتي — سر تأخر المصريين » .

وربما آثر بعض النقاد الا تجمع مقالات في الادب والتاريخ والاجتماع في سفر واحد رعاية لحرمة التخصص المرجو من الجامعيين الكبار . بل ربما ضاقوا بوضع بحث عن (تاريخ الحركة الاستقلالية في ايطاليا) الى جانب دراسات ادبية عن (البارودى واسماعيل صبرى) ولكن للدكتور المؤلف عذره الواضح ، فلقد اراد ان يضم شتات هذه الفصول القيمة وان يقدمها الى مكتبتنا (صورة من نفس كاتبها ، مصورة في سعتها وتنوعها) وما من شك في أن الكتاب بهذا قد حقق غايته المرجوة ،ووضع بين ايدينا نماذج عالية من بحوث مؤرخ اديب يؤمن بمصريته ، ويتجه فيما يكتب الى المشاركة في بناء ادبنا القومى

القوة البحرية والاسلامية في شرق البحر المتوسط

يظهر هذا الكتاب :

«Muslim Sea Power, In The Eastern Mediterranean»

والشرق في حاجة ماسة الى كسب الرأى العام الدولى ، عن طريق الدعاية الصالحة المثمرة ، التي تقوم على الدرس لا على الارتجال ، فهو كتاب جديد في موضوع البحرية الاسلامية ، لا نذكر ان احدا تفرغ له من قبل ، او افرده بالبحث المتخصص

وضعه « الدكتور علي محمد فهمى : المفتش بوزارة المعارف ، والزميل بمعهد التربية في لندن »

وقدم فيه الى قراء اللغة الانجليزية قطعة من تاريخنا الحى ، يقرأون فيها صفحة مجلوة من (القوة البحرية الاسلامية في شرق البحر المتوسط من القرن السابع الى القرن العاشر الميلادى) يوم كان للعرب اسطول حربى متفوق ، يحمى ثغورهم بسياج من المهابة والقوة والرهبة

والموضوع طريف وشائق معا ، بداه الدكتور فهمى بمراجعة ما وصل الى يده من امهات المصادر المخطوطة والمطبوعة ،حتى اذا جمع مادته المبعثرة في شتى الكتب والمجلات العلمية ، عكف عليها يدرسها ، ويزنها بموازين النقد الصحيح ، ثم فرغ لضبطها وتنسيقها وايضاحها بالجداول والمصورات ،فكان لنا من هذا الجهد البالغ سفر قيم يحدث الغرب عن مجد لنا قديم ويحثنا على استرداد مكاننا في هذا البحر المتوسط .

بنت الشاطئ
من الاهرام

التاريخ : ٢٨ / ٣ / ١٩٥٢

الكتب الجديدة

الامم المتحدة

المطبعة العالمية : ٢٧٦ ص . ق

قدم حضرة « الدكتور زكي هاشم » كتابه هذا الى المشتغلين بالشئون الدولية راجيا ان يجدوا فيه تحليلا لنظام الامم المتحدة كما رسمه منشئوها ، وعلى ضوء ما اسفرت عنه تجاربها واستقرت عليه تقاليدها ، وما ادى اليه تفاعلها مع الاوضاع الدولية القائمة من تأثر بها وتأثير عليها

ولست من المشتغلين بهذه الشئون الدولية ، لكني – رغم هذا – مضيت في قراءة الكتاب ، وشاقني ان اتتبع مراحل نمو هذه الهيئة التي يقال انها ستسيطر على عالم اليوم الذي نرتبط به ، وتعالج القضايا الكبرى للعصر الذي نعيش فيه .

والمثقفون بعامة ، لديهم فكرة ما ، عن نشأة الامم المتحدة ، ومبادئها ، واهدافها ، وعضويتها ، وعن الجمعية العامة لها ، ومجلس الامن ، والمجلس الاقتصادي والاجتماعي ، ومجلس الوصاية ، ومحكمة العدل الدولية . لكنها فكرة عامة ، لاتكفي مثقفا يريد ان يعيش في عصره ، ويتصل بعالمه الاكبر

وهذا كتاب (الامم المتحدة) يضعه « الدكتور زكي هاشم » بين ايدي المشتغلين بالشئون الدولية ، ونقدمه نحن الى كل مثقف حريص على فهم روح العصر

وليس من حقي بعد هذا ، ان اجترئ على ابداء الرأي في موضوع لم اتخصص فيه ، وانما ادع الكلمة لمعالي الاستاذ الكبير « الدكتور عبد الحميد بدوي باشا » الذي رأى في كتاب « الامم المتحدة » صورة واضحة لتلك الهيئة ، تجاوز اثر السنوات الست التي انقضت ، بكل ما فيها من تجارب ، وتكيف ، وتطور .

قال معاليه : « ولقد سرني وشرح صدري ان ارى في ثمرة جهد المؤلف ، تحقيق العالم الذي يتقصى جوانب البحث ، ويميز بين الاصل والفرض ، ويزن المسائل بالدقة والقسطاس ، وان ارى الى جانب ذلك ، تحرير الكاتب القدير الذي يبسط تلك المسائل الدقيقة في سهولة ويسر يقربان منالها ، ويوضحان غامضها

« واذا كانت الرغبة في عدم الاطالة في موضوع قد يحتاج الافاضة فيه الى مجلد ضخم ، قد دعت المؤلف للايجاز ، فان ذلك الايجاز لم يفوته الضبط او تفته الدقة ، وهو بعد يجمع كل ما يحتاج اليه الباحث ويهدي الطريق لمن اراد المزيد » .

صفحة من تاريخ مصر السياسي الحديث

مطبعة مصر : ١٦٥ ص ق

اما هذا الكتاب ، فما احسبه الا كتاب كل مصري يود معرفة تاريخ نهضته التي غاب فجرها عن ابناء هذا الجيل ، وبعد العهد به ، وطوت الايام والاهواء ما طوت من اسراره وخفاياه

كتبه حضرة صاحب العزة « الدكتور يوسف نحاس بك » وسجل فيه الصفحة الاولى من قصة (المفاوضات) التي ملأت تاريخنا السياسي الحديث . تلك هي « مفاوضات عدلي ، كرزن » التي لانكاد نعرف عنها سوى القليل ، حتى اخرج « الدكتور نحاس بك » هذه المجموعة من يومياته التي شرع في تدوينها عندما وصل « عدلي » وصحبه الى باريس ، في اليوم السادس من شهر يوليه عام ١٩٢١ ، في طريقهم الى لندن لمفاوضة لورد كرزن في قضيتنا الكبرى

وكان « الدكتور يوسف بك » قد صحب عدلي باشا ، مستشارا للشئون المالية والاقتصادية ، فأتاح له مكانه ذاك ، ان يرقب المفاوضات عن كثب ، وان يطلع على الكثير من خباياها

ولئن كان « التاريخ » عادة يكتفي في مثل هذه المفاوضات بتسجيل نتائجها ، فان يوميات « الدكتور نحاس بك » تلقي الضوء على كثير مما اجمله التاريخ ، او اهمل ذكر ملابساته ودواعيه ، مما يسميه الافرنج « التاريخ الصغير La Petite Histoire » ونسميه نحن « ماحول التاريخ »

ومن هنا لانرى حرجا في ان نقول ان هذه الصفحة من تاريخ مصر ، اقرب الى ان تكون صفحة من تاريخ بطل مصري ، ابى تزمت ، عف نبيل ، بل لا على الدكتور المؤلف ان نقول انه قد بذل الجهد الاكبر في ان يقدم لنا « عدلي باشا » كما عرفه الحق والتاريخ ، وكما لم تعرفه الجماهير !

على ان هذا الجهد المبذول لانصاف البطل ، لم يصرف المؤلف عن رصد خطوات المفاوضة وتتبع تياراتها وتسجيل نتائجها

وحسب الكتاب ان يشهد له معالي استاذنا الجليل « الدكتور بهي الدين بركات باشا » بالصدق والصراحة والاخلاص وان يقول فيه : انه ينشر لنا « صفحة كاملة من خبايا تاريخنا المصري وما يكابده المفاوض المصري من الآلام المبرحة والمتاعب المضنية » .

بنت الشاطئ
(من الاهرام)

التاريخ : ١٠ / ٤ / ١٩٥٢

الكتب الجديدة

الاحتلال الانجليزى لمصر

دار الفكر العربى : ٢٨٢ ص.م

لحضرة « الدكتور محمد مصطفى صفوت بك : استاذ التاريخ الحديث بجامعة فاروق » مكانته بين المؤرخين الجامعيين ، الذين عرفوا بسلامة المنهج واتزان الاسلوب ونضج الرأى . وهو هنا يعرض قضية (الاحتلال الانجليزى لمصر) عرضا علميا رصينا ، لاتكاد تلمح فيه أثر الاسلوب الاستهوائى الخطابى ، الذى تغيب فيه الحقائق التاريخية وراء ضجيج الالفاظ وطنين العبارات .

وقد استطاع الدكتور أن يجلو لنا الظروف والعوامل التى مهدت للاحتلال ، وان يبين موقف الدول الكبرى ازاءه . ونعنى بالدول الكبرى : فرنسا ، والمانيا ، والنمسا والمجر وروسيا وتركيا . ثم مضى من بعد ذلك يلقى ضوءا تاريخيا على سياسة الاحتلال فى مصر والسودان ، ممهدا بذلك لحديثه القيم عن « القومية المصرية »

...

وربما افتقد القارىء فى هذا الكتاب ماألفه عند اكثر الكتاب من خلابة الاداء واناقة المظهر ، لكنه لن يلبث ان يقدر قصده النبيل ، واصالة الراجح ، وحسن الاحاطة بظروف قضية الاحتلال وملابساتها

الطريق

مط السلفية : ١٦٠ ص.م

يتواصى المسلمون اليوم بالاتحاد والتعاون ويتنادون بالرجوع الى دستورهم الاعلى الذى رسم لهم طريق العزة ، وجعلهم سادة الدنيا زمانا ، واورثهم تيجان الاباطرة والاكاسرة وعروش القياصرة والفراعين .

وقد اخذ هذا الوعى الاسلامى الحاضر يثمر بعض ثماره المرجوة فى ميدانين : اولهما المؤتمرات والجمعيات ، والآخر الصحافة والتأليف . وبين ايدينا اليوم كتاب عن (الطريق) كتبه « الدكتور يحيى احمد الدرديرى : المراقب العام لجمعيات الشبان المسلمين » وحاول فيه أن يرشد الشبان الى منهج الحق وطريق الوصول الى كريم الاهداف .

بدأ الدكتور المؤلف بحثه متسائلا : اين المسلمون من الاسلام ؟ ثم مضى يتحدث عن الجهاد ، وعن القدوة الحسنة ، وعن المثل العليا التى رسمها لنا ديننا الحنيف .

و « الدكتور الدرديرى » يبدو فى كتابه صادق الرغبة فى خدمة الاسلام ، شديد الحرص على نشر مبادئه الحقة ، داعيا — فى حماس — الى توطيد العلاقات بين الامم الاسلامية بخاصة ثم بينها وبين الامم الشرقية ولغيرها بوجه عام

ودعوة كهذه لن تضيع عبثا ، اذا صح فهمنا للدين ، وادركنا سلامة اصوله ، وحيوية مبادئه ، ومرونته العجيبة التى جعلته صالحا لان يساير الزمن ويستجيب للتطور ، ويلبى نداء الحياة

بنت الشاطىء
(من الاهرام)

التاريخ : ١ / ٥ / ١٩٥٢

فى حياتنا العلمية

الطبعة الثالثة

لم تجر عادة « الاهرام » على ان تقدم الى قرائها الطبعة الثانية من اى كتاب ، اللهم الا أن تكون اشارة موجزة ، تعلن عن ظهور هذه الطبعة . لكننا اليوم – على خلاف العادة – نحتفل بطبعة ثالثة من كتاب (مواقف حاسمة فى تاريخ الاسلام) للكاتب المؤرخ « الاستاذ محمد عبد الله عنان » . وما ذاك الا لاننا نرى فى اعادة طبع كتاب للمرة الثالثة ، ظاهرة طيبة تستحق التسجيل . فطالما شكونا كساد البضاعة الادبية عندنا ، الى الحد الذى يجعل نفاد الطبعة الاولى – من اى الكتب الدراسية – حلما يعز تحقيقه ، ومن هنا كان اهتمامنا بنفاد طبعتين من كتاب « الاستاذ عنان » واحتفالنا بطبعته الثالثة .

ولا اريد هنا ان اقدم الكتاب الى القراء او اعرض له بنقد . فقد تناولته بالعرض والنقد مع الطبعة الاولى ، انما الذى يعنينى اليوم ، ان اسجل هذه الظاهرة ، وان انبه اليها القائمين على حركة التأليف والمشتغلين برصد تطوراتها وتتبع ظواهر قوتها او مظاهر ضعفها

والذى يجب ان تتجه اليه عناية هؤلاء هو : هل يعد ظهور الطبعة الثالثة من (مواقف حاسمة فى تاريخ الاسلام) بادرة خير تبشر بان الكساد الذى ضج منه الناشرون والمؤلفون ، قد آذن بزوال ؟ او ان الامر لا يعدو ان يكون لمصنف بعينه من الاستثناء!

ان تكن الاولى ، فقد وجب علينا الا ندع الفرصة تفوت ، دون ان نتقصى الدواعى الحقيقية التى خففت من حدة الكساد وروجت للبضاعة ، وذلك لكى نحتفظ بهذه الحيوية الطارئة ، ونمضى بها حتى لا ترجع بنا الى التعطل والجمود

وان تكن الثانية ، فحتم على المشتغلين بصناعة التأليف او النشر ، ان يدرسوا الاسباب التى روجت لكتاب مثل (مواقف حاسمة فى تاريخ الاسلام) لعلهم يستطيعون على ضوء هذه الاسباب ، ان يوجهوا حركة الانتاج توجيها صحيحا راشدا ، يساير ذوق قرائنا فى المطالعة ، ويهيء لمصر ان تنتفع بما يبذل فى التأليف من جهد ومال!

بنت الشاطىء
« من الامناء »

التاريخ : ٦ / ٥ / ١٩٥٣

الكتب الجديدة

فن الأدب

ط النموذجية – ٣٢٤ ص ك

« الادب بغير فن ، رسول بغير جواد في رحلة الخلود ، والفن بغير ادب ، مطية سائبة بغير حمل ولا هدف . ولقد كان همي دائما ، محاولة الجمع بين الرسول وجواده ، ولقد رايت دائما ، الادب مع الفن والفن مع الادب .

« لهذا سميت هذا الكتاب : فن الادب »

تلك هي العبارة التي صدر بها الاديب الكبير « الاستاذ توفيق الحكيم بك » كتابه الجديد في (فن الادب) ، وقد اخترناها لنقدم بها الكتاب الى القراء ، اذ نرى فيها ما يدل عليه فكرة واسلوبا

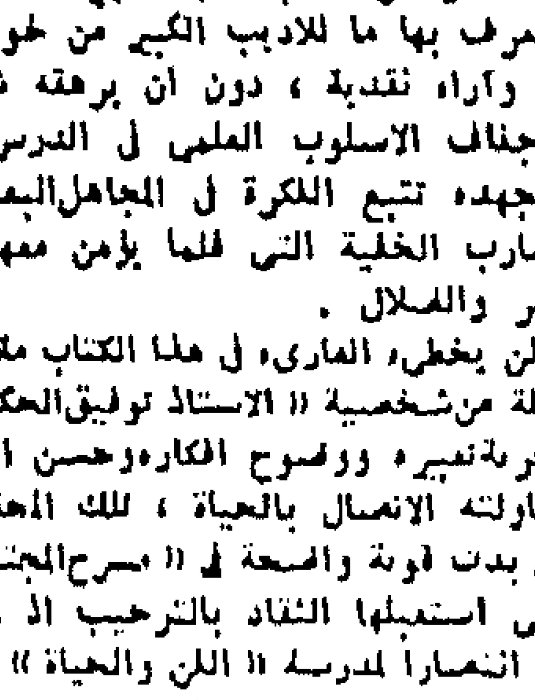
والكتاب فصول ومقالات عددها اثنان وسبعون ، نسقها الاستاذ المؤلف في اثنى عشر بابا هي : الادب وبداء، الادب والفن، والدين ، والعلم ، والحضارة ، والمسرح ، والسينما والاذاعة ، ومشكلات الادب ، واجياله ، والتزاماته .

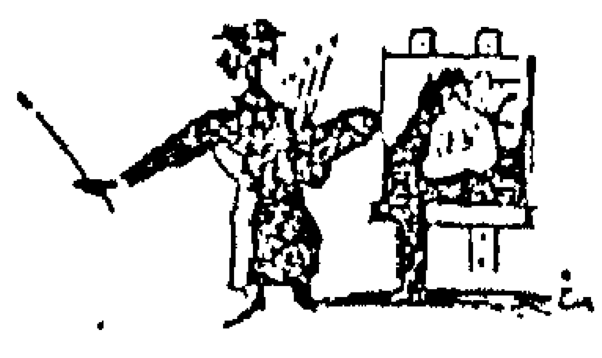


ولم يعالج الاديب الكبير كل جانب من هذه الجوانب الاثنى عشر ، في بحث مطرد متخصص على النحو المألوف من الدراسات وانما هي جولات موفقة في هذا الجانب او ذاك من فن الادب ، يستطيع القارئ ان يعرف بها ما للاديب الكبير من خواطر فنية وآراء نقدية ، دون أن يرهقه شيء من جفاف الاسلوب العلمي في الدرس ، او يجهده تتبع الفكرة في المجاهل البعيدة والمسارب الخفية التي قلما يؤمن معهما التعثر والضلال .

ولن يخطيء القارئ في هذا الكتاب ملامح اصيلة من شخصية « الاستاذ توفيق الحكيم » في حرية تعبيره ووضوح افكاره وحسن ادائه ومحاولته الاتصال بالحياة ، تلك المحاولة التي بدت قوية واضحة في « مسرح المجتمع » والتي استقبلها النقاد بالترحيب اذ راوا فيها انتصارا لمدرسة « الفن والحياة » على مدرسة « الصوامع والابراج »

وبعد فقد اشفق كثيرون من تعيين « الاستاذ توفيق الحكيم » مديرا لدار الكتب ، وظنوا





به الفنون وهو اليوم يؤكد لهؤلاء المشفقين ، أن الاديب لا يستطيع ان يهجر الكتابة او يتخلى عن الفلم بحال ما

ابن جلا

ط المعارف : ٢٧٠ ص م

الاستاذ الكبير « محمود تيمور بك » اديب اصيل ، يعرفه النقاد رائدا للقصة المصرية الحديثة ، ويشهدون له بالقدرة على تصوير جانب خاص من حياتنا والتعبير عنها تعبيرا رائعا في صدقه وبساطته . لكن الاستاذ « تيمور بك » يطيب له احيانا ان يدع حياتنا هذه التي نحياها ، ويلتفت راجعا الى وراء ، حيث يقف عند حياة العرب في الامس البعيد ، ويأخذ منها مادة لفنه ، او ينقل منها صورا مجلوة ذات الوان تاريخية

لعل هذا في قصتيه : (اليوم خمر ، وحواء الخالدة) واليوم يقدم الينا مسرحية جديدة من (ابن جلا) فنعيش بها فترة في صميم العصر الاموي ، حيث الصراع المحتدم بين دولة بني امية ، وبين الثائرين عليها والخارجين

وابن جلا هو « الحجاج بن يوسف » القائد البطل الذي رفعته شجاعته وقوة شكيمته وشدة باسه ، من معلم صبيان ، الى منصب القائد الاول في الجيش الاموي ، فاستطاع ان يقتحم معاقل آل الزبير في الحجاز والعراق ، وان يبعث فيمن حوله الرهبة والذعر حيثما اتجه واينما راح ..

ولا اتحدث هنا عن مدى توفيق « الاستاذ تيمور بك » في عرض صورة البطل وتمثيل حياته وعصره ، كما لا اصف هنا ما لقلم الكاتب من دقة الوصف وقوة التعبير ، وانما انبه الى شيء آخر ، هو تمكن الاديب الكبير من الفصحى ، وفقهه لاسرارها في التعبير والاداء . فالاستاذ « تيمور بك » يدير حواره في المسرحية ، باسلوب رصين جزل ، وديباجة فخمة ملائمة للدولة العربية في العصر الاموي .

وهذا جدير بالاعجاب حقا ، غير اني اود مع ذلك ، الا ينصرف « تيمور بك » عن حياتنا المصرية الحاضرة ، وان يظل على العهد به مصورا امينا لنفوس الملايين الذين يعيشون حوله على ارضنا الطيبة ، فلمثل هذا رجونا الاديب الكبير ، وبمثله ارتفع الى المكان المرموق بين كتاب القصة من ادباء العصر ..

بنت الشاطيء
(من الانشاء)

الأهرام
مركز الأهرام للتنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

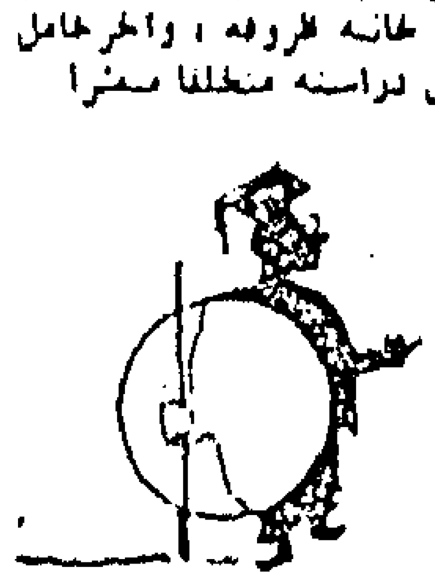
التاريخ : ٨ / ٥ / ١٩٥٢

في حياتنا الاجتماعية

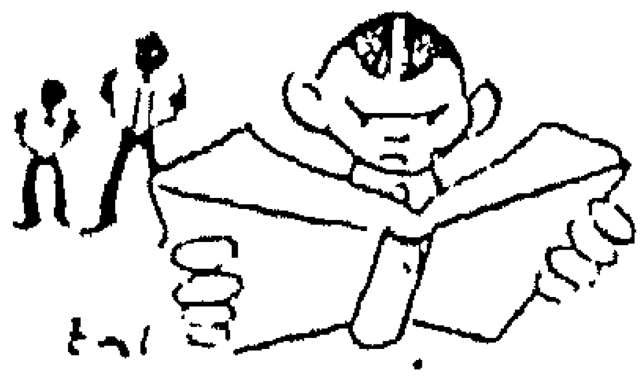
نقطة تحوّل !

ذكرت وانا اشهد احتفال الجامعات بالمتفوقين من الطلاب ، ان قد مضى على مصر حين من الدهر ، وهي لا تسمع في مثل هذا الموسم من كل عام ، سوى ضجيج الشاكين من صعوبة المقررات ، الصارخين من طول المناهج وضيق الوقت ، المطالبين — في ذلة واستجداء — بتسهيل الامتحانات وتبسيط اجراءات النجاح .

وعانت مصر من ذلك ما عانت ، من نزول بالمستوى الدراسي ، واهدار لكرامة العلم ، وتجاهل لمهمة معاهده ، وامتهان لحرمة درجاته ، حتى بلغ بنا الحال من السوء اقصى مداه ، حين جعلنا التشريع يتدخل لحماية الضعف ، وخدمة الكسالى ، فيهبط بمجموع درجات النجاح مرة بعد مرة ، ويقرر مبدأ الملاحق للراسبين بالجملة ، دون تفريق بين طالب مجتهد معذور نبا به حظه او خانته ظروفه ، وآخر خامل فاشل ظل طول دراسته متخلفا متعثرا



اجل ، مضى على مصر حين من الدهر وهي لا تسمع في هذا الموسم سوى ضجيج الشاكين من صعوبة المناهج وجزار الخائفين من اسئلة الامتحانات ، وكنا نلمح في هذا الضجيج شكاية مرة من الذين يلتمسون النجاح بوسائل ملتوية غير شريفة ،



وهمنا مريبا من مصطفات انصبه تباع فيها الاسئلة وتشترى في السوق السوداء !

ثم لطف الله بنا فاذا بنا نسمع نغمة كريمة وسط ذلك الضجيج اللاغب الهمس المريب ، ونرى مشهدا نبيلا في تلك المسرحية السنوية السقيمة ، فبدأت مصر منذ منتصف عام ١٩٤٩ تحتفل بالمتفوق ، وتكرم العلم ، وتحيي المجدين الظافرين

وباتصال هذه اللفتة المباركة ، اصبح موسم الصراخ والشكوى والاستجداء ، عهدا للعلم واحتفالا بالنبوغ ، وهكذا صارت مصر تحترم القوة بعد ان كانت تكتفي بان تسند الضعف ، معلنة بذلك تقديرها للامتياز ، وتمجيدها للعمل ، وايمانها بان الحياة للاقوى !

أترانا نسرف في الاماني ، حين نرجو ان يكون هذا الاحتفال الموسمي بالنجاح الظافر نقطة تحول في حياتنا العلمية بخاصة ، والقومية بعامة !

ان كل تمجيد لاي مظهر من مظاهر القوة يعني — اول ما يعني — اننا صالحون للحياة مدركون لقوانينها ، مقدرون انها لا يمكن ان تقوم على حماية الضعف ، وتبرير الفشل وجبر الرسوب !

بنت الشاطئ
من الاهرام

التاريخ : ١٣ / ٥ / ١٩٥٢

كتب جديدة

مستقبل السياحة

وأثرها في الاقتصاد القومي

ط دار الكتب — ٢٥٠ ص ك

اتيح لحضرة صاحب العزة « الاستاذ علي اسماعيل بك » القدرة التي نعب فيها مديرا عاما لمصلحة السياحة ، ان يدرس شئوننا السياحية عن كثب ، ويدرك مدى حاجتنا الى العناية بهذا الجانب الخطير من اقتصادنا القومي

وقد رأى من واجبه ، ان يضع بين ايدي المعنيين على خير البلاد ، كتابا عن « مستقبل السياحة وأثرها في الاقتصاد القومي » درس فيه هذا الموضوع من شتى نواحيه ، على ضوء ما علمه وما شهد ، واضاف اليها خلاصة تجاربه وخبراته التي اكتسبه اياها تنقلاته في اوربا وامريكا ، عاملا في السلك السياسي ، او زائرا سائحا مدى ثلث قرن او يزيد

مهد عزته للكتاب بمقدمة في تاريخ السياحة بمصر ، والمساح لما لها في اقتصادنا القومي من اثر يستوجب اعتبارها جزءا في سياسة الدولة . ثم نسق فصول الكتاب في بابين ، اوضح في اولهما التعريف الدولي للسائح ، والم بالنشاط السياحي في ربوع العالم المتحضر . وجعل الباب الثاني لدراسة شتى مناطق السياحة في مصر وما ينبغي لها من اصلاح . ثم رسم في خاتمة الكتاب نظاما لمصلحة السياحة باعتبارها الاداة الحكومية التي يناط بها تحقيق المرامي الاصلاح المرجو

دراسات سياحية

ط مصر : ٨٦ ص ك

منذ عام ١٩٢٢ « والاستاذ محمود كامل المحامي » يجاهد بقلمه في سبيل العروبة ، متحدثا بها او عنها . ويستطيع الناقد ان يميز في مؤلفاته — التي قاربت خمسين مؤلفا — اتجاهين واضحين ، فهو اما اديب قصاص ، يأخذ مادته من صميم حياة العروبة او بعض جوانب منها ، واما دارس يعالج شئوننا القومية العامة معالجة تتسم بسعة الافق وقوة الاسلوب

ومن هذا الصنف الثاني ، كتابه « دراسات سياحية » الذي يقدم فيه خلاصة قيمة مركزة لتجاربه في هذا الميدان بوصفه خبيرا للسياحة والدعاية في وزارة المالية والاقتصاد

ودراساته هنا ، تبدأ بالنظر في بعض المناطق التي يمكن ان نجعل منها مناطق سياحية جديدة ، لو عرفنا مزاياها واحسنا استثمارها واستغلالها . واهم هذه المناطق : تلك التي تمتد بين رشيد ومرسى مطروح وحلوان : مدينة المياه الكبريتية والمعدنية

وانتقل الاستاذ من هنا ، الى عرض « زيارات سياحية » قام بها حضرته في ايطاليا وسويسرا والسويد والدانمرك وفرنسا ، وكسب خلالها خبرة طيبة بشئون السياحة ، عن طريق الملاحظة الدقيقة والاتصال المباشر .

اما القسم الاخير من الكتاب ، فبرنامج سياحي يهدف الى بعث وعي سياحي في النشء والعمل على اطالة مدة اقامة السائح في مصر ، والتحرر من نمط الضعف في اساليبنا ، والاهتمام بالسياحة الدينية ، وخلق موسم للسياح ذوي الايراد المحدود

والكتاب بهذا يشبه ان يكون تقريرا عن السياحة عندنا باعتبارها مصدر ثروة قومية واسلوبا من اساليب الدعاية المثمرة لبلادنا وسبيلا لكسب انصار للنهضة المصرية في الميدان الدولي

نحو الرشد الاقتصادي

ط دار النيل : ٢٥٠ ص ك

مصر اليوم في حاجة ماسة الى جهود علماء الاقتصاد ، كيما يضعوا لها الاسس السليمة لنهضتها المنشودة دون ان تتعثر في اخطاء الارتجال

والكتاب الذي نقدمه اليوم الى قرائنا يلبي هذه الحاجة الماسة ، ويقدم لمصر الحديثة دراسة شاملة لنظريات الرشيد ووسائله التي ترمي الى رفع مستوى المعيشة للشعوب عن طريق التنظيم الفني المطرد للحالة الاقتصادية

الفه « الاستاذ عبد الغني سعيد : مدير البحوث والاحصاء بمصلحة العمل » بعد ان عكف طويلا على مراجعة اهم الابحاث والكتب ذات الشأن في الميدان الاقتصادي والم بالنظريات الاقتصادية المستحدثة التي كان لها اثر في التطور الحديث في وقد نسق الاستاذ بحثه في ابواب سبعة ، ساق في اولها تاريخا دقيقا موجزا لحركة الرشيد ، ثم مضى يعالج موضوع الرشيد بمختلف انواعه : الفني والاقتصادي والزراعي مبينا آثاره وتطوراته ، وافرد الباب السابع لبيان مدى امتداد حركة الرشيد في مصر

بنت الشاطىء

(عن الاهرام)

التاريخ : ١٥ / ٥ / ١٩٥٢

في حياة المرأة

يوم الأمهات

لايكاد يوم الاحد الثاني من شهر «مايو» يهل في كل عام ، حتى ينسى الاوربيون مايشغل الدنيا حولهم من ازمات اقتصادية ومشكلات سياسية ومتاعب اجتماعية ، كي ينصرفوا في يومهم هذا لتحية الامومة والاحتفال بالامهات ...

وانما اختاروا هذا اليوم بالذات لانه يرمز الى رسالة الامومة وعملها العظيم : فيوم الاحد هو يوم عيدهم ، وشهر مايو هو شهر الحياة ، والامهات هن صانعات الحياة !

وهذا يومهن ...

يذكر فيه كل افراد الاسرة ، تلك التي ظلت طوال العام تمنحهم من صحتها وراحتها وجهدها ورعايتها ، مايحمي وجودهم ويؤمن سعادتهم حتى مع الفقر والحرمان ، ويشعرهم بجمال الحياة حتى مع البؤس والهزيمة والمأساة ، ويحفظ لهم ابدا بشعاع من النور ، مهما تكاثف الظلمات

اجل هو يومهن ...

يعفين فيه من كل عمل لقاء الخدمات الجليلة التي اديتها في بذل وتضحية وايثار ، ويلقين من الرعاية والعناية والتدليل مثل الذي يبذلن كل يوم لكل فرد من افراد الاسرة في كرم وسخاء !

* * *

يمضي الاطفال منذ الصباح الباكر ، ليجمعوا اجمل الزهور لامهاتهم ، ويتحدث القس في الكنائس عن نعمة الامومة وقدسيتها وسرها الاكبر . ويسعى الساعون الى المستشفيات والملاجئ ، يحملون الى الامهات هدايا الجمعيات الخيرية والهيئات الاجتماعية .

وتكون الأمهات ضيفات الشرف في ولائم الغداء التي تقيمها الاسر ، حتى اذا دنا المساء اقيمت الحفلات في كل مكان ، ورددت الافاق اصداء الجموع الحاشدة ، تغني في حرارة وحماسة :

امي ...

ياجمال الوجود ويانور الحياة !

يانعمة السماء للارض ، ويا آية الله في الكون ، ويا ملاكا في صورة بشر ...

اي قلب ذهبي تحملين ؟ واي سر الهي قد حل فيك ؟ !

اماه !



يا اجمل من الحب ، ويا اغلى من الصحة ويا اعز من الحياة !

ياذات الصوت الساحر النغم ، واليد المباركة اللمسة ، والنظرة التي تليس حنانا وتشع نورا ...

ياكنزي المدخر ، وياملاذي الاخير في هذه الدنيا

عندك وحدك اجد الامان والحب ، عندما يظنني الناس خاطئا ، وينفضون من حولي مهزوما ، ويبتعدون عني مريضا !

وبك استطيع ان اعرف الله ، وارى الجنة !

* * *

والشرق - منذ كان - لم يجحد هذه الامومة ولا غض من جلالها وسناها ، فلقد خلد قصة « هاجر » وجعل من قصة امومتها سفرا يتلى في (الكتاب المقدس) ، وآية منزلة في « القرآن الكريم » . كما سما الاسلام بالامهات الى مافوق البشرية فجعل الجنة تحت اقدامهن . ورووا ان رجلا جاء الى رسول الله عليه الصلاة والسلام يسأله : من احق الناس ببري ؟ قال الرسول : امك . فسأل الرجل . ثم من؟ قال الرسول : ثم امك . فسأل الرجل ؟ ثم من ؟ قال الرسول : ثم امك . قال الرجل: ثم من ؟ اجاب صلى الله عليه وسلم : ثم ابوك !

غير انا اليوم قد نسينا - او كدنا - ذلك التراث القديم المجيد من كريم المثل وعالي المبادئ ، وكاد الامومة عندنا الى حد اليم ، فهل من يوم لنا كيوم الامهات ؟ !

بنت الشاطئ

« من الانباء »

التاريخ : ٣٠ / ٥ / ١٩٥٢

كتب جديدة

قناة السويس

ثلاثة كتب عن قناة السويس ، تتلقاها في آن واحد ، معلنة عن اهتمام الدارسين المصريين بتلك القناة التي كتبت تاريخ مصر الحديث كله ، ولعبت الدور الاهم في الصراع المحتدم بين الشرق والغرب ، وشاركت في صنع التاريخ العالمي المعاصر

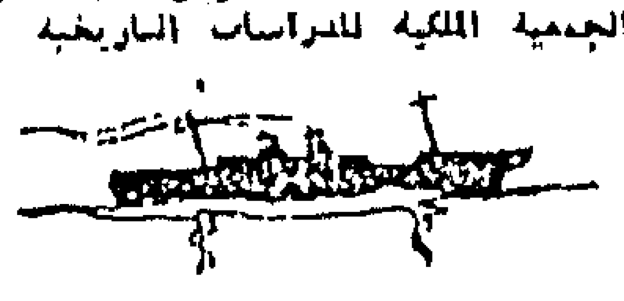
وتكاد هذه الكتب الثلاثة تتشابه وتتلاقى ، لا من حيث وحدة الموضوع فحسب ، ولكن من حيث صدورها ايضا عن اساتذة جامعيين ، عكفوا على دراسة هذا الموضوع الواحد ، كل في ناحية تخصصه ، فقدموا الى مكتبتنا القومية مجموعة متكاملة عن قضية القناة

انجلترا وقناة السويس
ط رمسيس : ٢١٠ ص م

واول هذه الكتب ، يدرس مسالة القناة من الناحية التاريخية الخالصة ، فيما بين عامي ١٨٥٤ و ١٩٥١ ، ومؤلفه الدكتور محمد مصطفى صفوت بك : استاذ التاريخ الحديث بجامعة فاروق » ولعل قراءنا يذكرون اننا قدمنا لهم في هذا الموسم ، كتاب الدكتور عن « الاحتلال الانجليزي لمصر ، وموقف الدول الكبرى ازاءه » وهو في كتاب اليوم يركز الحديث حول القناة التي هي مدار هذا الاحتلال ، مبدئا ببيان موقف انجلترا من امتياز قناة السويس ، ثم تدخلها السافر الحاسم بشراء اسهم الخديو فيها عام ١٨٧٥ ، ثم احتلالها مصر كلها عام ١٨٨٢ ، اى بعد ثماني سنوات فحسب من صفقة الاسهم

وينتقل « الدكتور صفوت » من هذا الى تتبع قصة القناة في مراحلها الثلاث : الاولى من عام ١٨٨٢ الى عام ١٨٨٨ ، والثانية من عام ١٨٨٨ الى عام ١٩٣٥ ، والثالثة من عام ١٩٣٥ الى وقتنا هذا . ثم يلحق بالكتاب نص مذكرة الحكومة المصرية الى السفارة البريطانية في ٧/٦/١٩٥١ ، ومحضر المحادثة بين وزير الخارجية المصرية والسفير البريطاني في اليوم نفسه ، وبيان رفعة النحاس باشا في البرلمان يوم ٨/١٠/١٩٥١ ونص المشروعات الرباعية التي قدمت في ١٣/١٠/١٩٥١

والكتاب يحمل طابع الاستاذ المؤلف في رزانته واتزانه ، وبعده عن التطرف في القول والغلو في العاطفة والعرض ، وقد نشرته الجمعية الملكية للدراسات التاريخية



قناة السويس
ومشكلاتها المعاصرة
ط مصر : ١٥٠ ص ك

اما الكتاب الثاني ، فجزء اول من (قناة السويس ومشكلاتها المعاصرة) فرغ فيه « الدكتور مصطفى الحفناوي » لعرض تاريخ القناة واصول مشكلاتها من وجهة نظر القانون الدولي العام ، وقدمها رسالة علمية الى كلية الحقوق بجامعة باريس ، فناقشتها في شهر يونيه ١٩٥١ ، ومنحت صاحبها درجة الدكتوراه في القانون بتقدير جيد جدا ، مع التهنئة وتبادل الرسالة

ويقول « الدكتور الحفناوي » انه ظفر اثناء البحث والتنقيب : « بوثائق ذات خطر بالغ ، تقلب — فيما اعتقد — دراسة تاريخ القناة ، وتكشف عن كثير من المغالطات التي اشاعتها اقلام كتب لحساب الاستعمار ومنعت من وجهة نظره ، وطامس البطل — صاحب القناة — في تاريخه ، وعدت على حقوقه »



ومدار البحث في هذا الكتاب ، هي المشكلات التي يعنى ببحثها القانون الدولي العام ، او بتعبير آخر ، تلك المشكلات التي تمثل اللاجئة الدولية في القناة في زمن الحرب او في اوقات السلم، وتخل بالتوازن الدولي ، لان دولة بعينها انفردت في القناة عن طريق قوات مسلحة تحتل بها المنطقة

و « الدكتور الحفناوي » يفرغ لهذه المشكلات واحدة واحدة ، فلا يدعها دون ان يوفيها حقها من الدرس والتمحيص ، ودون ان يدعمها بمستندات اصيلة، ترفع منها المنهج الجامعي . وقد استطاع بجهد واضح ، ان يوفق بين عاطفته القومية المتحمسة، وبين ما يجب لدرس قانوني كهذا، من قوة الحجة وسلامة المنطق وفقه بالقانون الدولي

وفي عزم الدكتور ان يترجم هذا البحث القيم الى اللغة الانجليزية ، ليقف الاممم العالمي على حقيقة هذه المأساة ، ويعرف الناس ان مصر اذ تجاهد لتحرير القناة ، انما تريد ـ في الوقت نفسه ـ ان تنقذ العالم من اخطار التنافس المؤدية للحروب، وهل قضية مصر الا الحلقة الاهم في قضية السلام العالمي ؟

المركز الدولي
لمصر والسودان وقناة السويس
لد النهضة : ٢٢٢ ص ك

ويهتم الكتاب الثالث ، بنشر مجموعة هامة من الوثائق السياسية التي تحدد المركز الدولي لمصر والسودان وقناة السويس . جمعها وقدم لها وعلق عليها « الدكتور راشد البراوي : الاستاذ بكلية التجارة بجامعة فؤاد الاول » حريصا على ان يجلو الظروف التي احاطت بتلك الوثائق، والنتائج الهامة التي ترتبت عليها

وكان يهدف بعمله هذا الى غايتين . الاولى علمية تاريخية ، وهي ان يضع تحت تصرف المعنيين بالشئون المصرية ،مجموعة من اهم الاوراق الرسمية المتعلقة بالتطور السياسي الحديث لمصر

والثانية سياسية قومية ، تكشف عن مدى جرأة بريطانيا على خرق الاتفاقات ، ومبلغ اصرارها على التمتع بمزايا وامتيازات دون سند من حق او قانون

وقد مهد بمقدمة لهذه الوثائق ببحث في تطور مركز مصر الدولي منذ القرن التاسع عشر، ثم ترك الوثائق تسجل ما حدث من استقلال مصر في معاهدة لندن عام ١٨٤٠ وفرمانات عام ١٨٤١ ، وتؤرخ وحدة وادي النيل (١٨٢٠ : ١٨٩٩) وتؤكد زوال السيادة العثمانية والاعتراف بالاستقلال (١٩١٤ : ١٩٢٢) ثم تجاوز مظهرا للصراع بين القومية المصرية السودانية ، وبين النزعات الاستعمارية الخارجية

وافرد الدكتور الفصلين الاخيرين للوثائق الخاصة بمعاهدة ١٩٣٦ ، والغائها مع اتفاقيتي عام ١٨٩٩ في السنة الماضية

والكتاب بهذا ، يروى قصة الاستعمار في تاريخ مصر الحديث ، ويبين ادوار الكفاح في سبيل الحياة المستقلة

بنت الشاطئ
« من الاهرام »

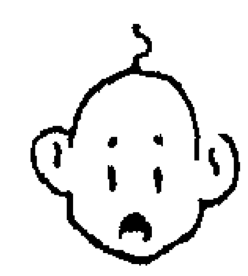
التاريخ : ٢٢ / ٥ / ١٩٥٢

في الحياة

أحباب الله !

بين يدى النداء الذى اذاعه من «البلد» اللجنة الدولية لمؤتمر الدفاع عن الطفولة ، وخاطبت به الرجال والنساء فى العالم باسره ، باسم اربع وستين دولة من دوله تلاقت على حب الطفولة والرغبة فى حمايتها وتامين حقها فى الوجود الكريم ، على الرغم مما بين هذه الدول من تباين العناصر والاجناس، وتعدد اللغات والاديان ، واختلاف الاراء السياسية والنظم الاجتماعية والمذاهب الاقتصادية .

لقد هالها ان عشرات الملايين من الاطفال ساغن واجمل ماتملك الانسانية يعيشون فى عالم اليوم فريسة للجوع او الجهل او الخوف ، او المرض والموت : ففى الشرق الاقصى الوف من الاباء يضطرهم البؤس الكافر الى بيع اطفالهم ، وفى الشرق الاوسط بلاد تكسو العالم بقطنها ، واطفالها عراة مهزولون ، وفى افريقيا وآسيا وبعض مناطق من امريكا اللاتينية واوربا ، ملايين وملايين من الاطفال ، لا يجدون الخبز والماوى



ويهيب النداء بذوى الضمائر الحية ، ان يفعلوا كل ما فى طاقتهم لكى يمحوا « العار عار على الانسانية » ، وليجعلوا من يوم « اول يونيه » عيدا دوليا للطفولة ، فى كل حى ، وكل قرية ، وكل مدينة

ولست اريد ان اعقب على هذا النداء



المؤثر بالحديث عن محنة الطفولة عندنا ، كلا ، ولا احب ان اشوه جمال العيد المنتظر ، بعرض مواكب للصغار المشردين او الضالين او المحرومين ! انما اسال فى ترقب . كيف يكون صدى النداء فى هذا البلد الشرقى الذى يسمى الاطفال « احباب الله » ! !

انى لاذكر الان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما معناه : « ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الصوم ولا الصلاة وانما يكفرها السعى على العيال »

ويذكر تاريخنا ان امير المؤمنين « عمر ابن الخطاب » رضى الله عنه ، اختار رجلا ليوليه بعض عمله ، ثم بلغه ان هذا الرجل لايكاد يدخل بيته حتى يسكن اولاده خوفا فعزله امير المؤمنين وقال له : والله لا تلى عملا قط !

ذلك لان قسوة الرجل على اولاده ، اهدرت مروءته عند « عمر » ، ودلت على ضعف فى انسانيته ، لا يجوز معه ان يولى بعض شئون الناس .

فهل يكون عيد الطفولة عندنا جديرا بروحانية هذا الشرق ؟

ارجو ، وامل ...

بنت الشاطىء
« من الامناء »

التاريخ : ٢٧ / ٥ / ١٩٥٢

كتب جديدة

في المكتبة التاريخية



مصر القديمة ــ ٨

ط دار الكتب المصرية : ٨٤٠ ص ق

هو الجزء الثامن من الموسوعة التاريخية الضخمة ، التي عكف المؤرخ الجليل « الدكتور سليم حسن بك » على كتابتها منذ سنين ، وبذل لها من الجهد المضني ما يقدره الذين يعرفون مشقة الدرس التاريخي على النحو الجدير بعظمة مصر الفرعونية وجلال تاريخها

وهذا الجزء يؤرخ نهاية «عصر الرعامسة» وقيام دولة الكهنة بطيبة ، في عهد الاسرة الحادية والعشرين ، والمعروف عن تلك الحقبة من تاريخ الكنانة ، ان الذين حكموها من الفراعنة كانوا ضعافا خاملين ، لكن البحث الدائب ، قد كشف عن وثائق هامة عرفتنا بكثير من اولئك الملوك النكرات بعد ان كنا لا نكاد نعرف سوى اسمائهم ، كما كشفت عن حالة المجتمع المصري ، والقت ضوءا على الاسباب والعوامل التي ادت الى انهيار عصر الرعامسة

ولقد استطاع الاستاذ « الدكتور سليم حسن بك » أن يعرض علينا تاريخ تلك الحقبة الهامة ، عرضا مجلوا منسقا ، لا يخطيء القارئ فيه آثار الجهد الباذل ، والاتصال بالجديد في مجال « المصريات » التي اشتغل بها الغربيون قبلنا ، وكانوا هم الحجة والمرجع فيها

تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي

دار الفكر العربي : ٢٠٠ ص ق

يدين هذا الكتاب بسبب وجوده لعميد الادب والصحافة « استاذنا انطون الجميل باشا » الذي آمن بالترجمة كوسيلة فذة من وسائل نهضتنا الفكرية ، واراد ان يوجه اليها انظار الدارسين ، فرصد لذلك جائزة مالية يمنحها مجمع فؤاد الاول لاحسن بحث عن « حركة الترجمة في مصر في القرن التاسع عشر » .

واستجاب « الدكتور جمال الدين الشيال » الاستاذ المساعد بجامعة فاروق الاول ، لهذه الدعوة الكريمة ، غير انه آثر ان يتخصص في دراسة « تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي » اي في النصف الاول من القرن التاسع عشر وعكف حضرته على الموضوع دارسا مؤرخا مبتدئا من نقطة بعينها هي : « التنقل من الغرب وسيلة محمد علي للاصلاح » ومن ثم بدأ يدرس الادوات غير المباشرة للترجمة كالمدارس والبعثات ، ثم الادوات المباشرة كمدرسة الالسن وقلم الترجمة وانتقل من هذا الى التأريخ لاعلام المترجمين وامهات الكتب التي ترجموها ، ثم النظر في مصادر الترجمة في ذلك العصر من حيث اغراضها وطريقتها ، واسلوبها ، وتأثيرها في اللغة العربية ، وفي المجتمع المصري

وقد تم للدكتور الشيال من هذه الدراسة التاريخية المتخصصة ، بحث جامعي منحته اجازته جامعة فاروق الاول لدرجة الماجستير في الاداب مع مرتبة الشرف الاولى ، ومنحه المجمع جائزة البحث الادبي عام ١٩٤٦ ، وكان مما قاله فيه فقيدنا الجميل باشا « هو تاريخ خطوات مصر الاولى في سبيل تحريرها ، او تاريخ العلماء والادباء الذين كفلوا بوادر نهضتها ، او تاريخ محاولتها الخروج من عزلتها ولحوقها بالغرب لوصل ما انقطع من حضارتها ، او تاريخ الوسيلة المثلى التي اصطنعها محمد علي في اقالة عثرتها »

معالم تاريخ الانسانية

ط لجنة التأليف : ٤٥٠ ص ق

هو السفر التاريخي القيم الذي كتبه الفيلسوف الانجليزي « هـ . ج . ولز » وتابع فيه سير الانسانية في تاريخها الطويل ، موضحا المعالم الكبرى لهذا التاريخ

ولعل حضرات القراء يذكرون اننا قدمنا لهم من قبل ، المجلدات الثلاثة الاولى من الترجمة العربية لهذا السفر القيم ، وهي الترجمة التي نهض بعبئها « الاستاذ عبد العزيز توفيق جاويد ، وكيل مدرسة مصر الجديدة الثانوية » وبذل لها ما هي اهل له من عناية وامعان

واليوم نقدم الى قرائنا الترجمة العربية للمجلد الرابع ، وفيه يفرغ «ولز» لتاريخ عصر الدول العظمى ، وزمان المدى الذي بلغته ابهة الملكية في اوروبا في القرنين السابع عشر والثامن عشر ثم يقف بنا عند مرحلة حاسمة في التطور السياسي والاجتماعي ، فنشهد مولد الجمهوريات الديمقراطية الجديدة في امريكا وفرنسا ، كما نشهد الانقلاب الآلي في القرن التاسع عشر ، وكارثة (الاستعمار) العصرية التي اشعلت نار الحرب العظمى ، ثم يختم تاريخه بنظرة نافذة يلقيها على العالم وهو يجتاز بعد الحرب دور اجهاد حلمي ، ويعاني التنافس بين الانتاج والحاجة والتنازع بين العامل والعمل ، مستشرفا جهدنا الواعي موحدا لها ــ في عقل وايمان ــ الى مستقبل للبشرية تسوده مبادئ الاخاء والحب والسلام

بنت الشاطئ

« من الاهرام »

في حياتنا العملية

ظلم فادح !

لم ادع يوما الى حماية الضعف ، ولا خطر ببالي لحظة ، ان اقف مع النادين بسرير الفشل وجبر الرسوب ، غير اني الساعة اشعر بالغضب لطائفة من الراسبين ظلموا افحش الظلم وحرموا ابسط حق في المساواة بزملاء لهم ، كان المفروض ان يعاملوا بالحزم ويؤخذوا بالشدة

وليس كالظلم مثيرا لغضب الكرام ، ومهدرا الهمم ، ومدعاة الى الياس الكافر والقنوط المرير !

وهذا هو ما يدعوني الى ان اتصدى اليوم للدفاع عن فريق من الراسبين ، وارفع ظلامتهم الى استاذنا الكبير ، معالي وزير المعارف الذي عرفناه منذ كنا ، كريما يابى الضيم ، وعادلا يغضب للحق ، ويكره الظلم والظالمين !

انها قضية الوف من طلاب المدارس الثانوية ، واظبوا على دراستهم وادوا امتحان الفترتين الاولى والثانية ، في ظروف شاذة عصيبة ليس من المستطاع تجاهلها . على حين اصر آخرون على الاخلال بالنظام فانقطعوا عن المدرسة وفاتهم الامتحان في فترتيه .

وكان النظام المقرر يقضي بحرمان هؤلاء من امتحان الفترة الثالثة ما دام تغيبهم عن المدرسة قد جاوز الحد المفروض ، دون ان يبرره عذر مقبول .

وهو اجراء محتوم ، يتفق مع ما قرره المجلس الاعلى للتعليم من احتساب النجاح تبعا لنتيجة الفترات الثلاث جميعا ، وهؤلاء المتغيبون المتخلفون لم يؤدوا امتحان الفترتين ، فلا سبيل الى تطبيق القرار

لكن وزارة المعارف اصغت الى شكوى الشاكين من اباء اولئك التلاميذ ، ثم قدرت الظروف الشاذة التي مر بها عامنا الدراسي هذا ، فاصدرت قرارا يسمح لهم بدخول امتحان الفترة الثالثة ، على ان تكون هي وحدها مقياس نجاحهم .

وتقرر تبعا لذلك ان يكون هذا الامتحان الاخير ، شاملا للمنهج كله ، وليس خاصا بالجزء المدروس في الفترة الثالثة

وما في ذلك كله باس ، بل ان فيه رحمة بابنائنا التلاميذ لا يملك ان نمنعها ، وتقديرا للظروف جديرا بالتقدير ، ومرونة في مواجهة الموقف ، تستحق الحمد والثناء !

والى هنا ، تبدو الامور كانها تسير سيرا طبيعيا سليما لا عوج فيه ولا التواء . ولكنها عند التطبيق ، تكشف عن ظلم فادح ، وقع على الذين شهدت لهم المدرسة بالمواظبة وحسن السلوك !

وبيان ذلك ان طالبين امتحنا في الفترة الثالثة التي تشمل المنهج المقرر كله ونال كل منهما خمسين في المائة من الدرجات ، وهي النسبة المقررة للنجاح .

فماذا كانت النتيجة ؟

اعتبر احدهما ناجحا لانه غاب طوال السنة ، ولم يؤد سوى هذا الامتحان الذي نجح فيه .

واعتبر الثاني راسبا ، لانه كان مواظبا على الدراسة ، وادى امتحان الفترتين ، وخانه الحظ في احداهما او كلتيهما ، ثم لم يستطع التعويض !

اي ان مواظبته جنت عليه ، فلو انه تغيب طول العام ، وادى الامتحان الثالث فحسب لكان نجاحه فيه كافيا لنقله الى فرقة اعلى

والامر هكذا لا يستقيم ، فما يجوز في شريعة العدل او الرحمة او التربية ، ان يضار التلميذ لمواظبته على الدراسة ،

ولوزارة المعارف ان تتشدد في نظام الامتحان ما شاءت وشاء لها حرصها على رفع المستوى العلمي للتلاميذ ، بشرط ان تزن التلاميذ جميعا بميزان واحد ، فان كان ولا بد من التمييز في معاملة الفريقين ، فليكن المواظبون هم المفضلين !

والذي لا اشك فيه ، ان معالي استاذنا الوزير سوف يبادر بتصحيح هذا الوضع الشاذ الظالم ، فيامر بان تكون نتيجة امتحان الفترة الثالثة ، هي التي تقرر نجاح الطالب او رسوبه . بل اني لاطمع من معاليه في اكثر من هذا ، حين ارجو ان ينتفع الطالب بدرجاته في الفترتين الاوليين ، بدلا من ان يضار بهما

فما دمنا قد ابحنا للطالب المخل بالنظام ان ينجح بالفترة الثالثة وحدها ، فان العدل يقتضينا حتما ان نسمح بمثل هذا للمواظب على الدراسة ، ومن حقه علينا فوق ذلك ، ان نرفعه على زميله درجة ، بان نحسب له درجة لاعمال السنة ، من متوسط درجاته في الفترتين الاوليين ، فتجبر هذه الدرجة ضعفه في الفترة الثالثة ان كان في حاجة الى جبر ، وتقدمه في الترتيب اذا كان في غنى عن التعويض

بنت الشاطىء

(من الاهرام)

في حياة المرأة

احدى اثنتين !

هو موضوع لا أمل الحديث عنه ، ولا اريد ان اكف عن الكتابة فيه حتى اللحظة التي اطمئن فيها الى ان الدولة بدات تقدر خطره ، وتدبر له ، وتوليه ما يستحق من عناية واهتمام !

انه موضوع يتصل بعشرات الالوف من اطفالنا الصغار : جيل الغد ، واصحاب المستقبل .

وقومنا لا يجهلون هذا ، لكن علمهم به لا يتجاوز الالفاظ المرددة والعبارات المسجعة ، ينطقون بها فحسب ، ويلقنونها للتلاميذ في حصص الانشاء ، فاذا جاوزنا هذا الى الحياة العملية ، لم نجد اثرا لما يعلمه القوم ويعلمونه ، من ان الاطفال هم اصحاب الغد وقادة المستقبل

ولا بد لي من وقفة هنا ، اعود فيها الى مطلع القرن العشرين ، حيث امتلا الافق فيه بالدعوة الى تحرير المراة وتعليمها ، ولم يجد اصحاب هذه الدعوة ما يؤيدون به ثورتهم اخطر من الحديث عن حاجة مصر الى امهات صالحات .

واخذ الدعاة يعرضون صورا بشعة من جهل الامهات ، ويتساءلون : كيف يمكن لبلد ان يطمح الى حياة عزيزة كريمة ، وهؤلاء هن صانعات ابنائه !

ولم نسمع اذ ذاك شيئا عن هدف اخر لحركة التحرير والتثقيف ، سوى الزوجة الصالحة والام المستنيرة !

وقد نجحت الثورة الاجتماعية الكبرى: تمزق الحجاب ، وتحررت المراة ، وتعلمت دون ان تعرف حدا للثقافة تقف عنده

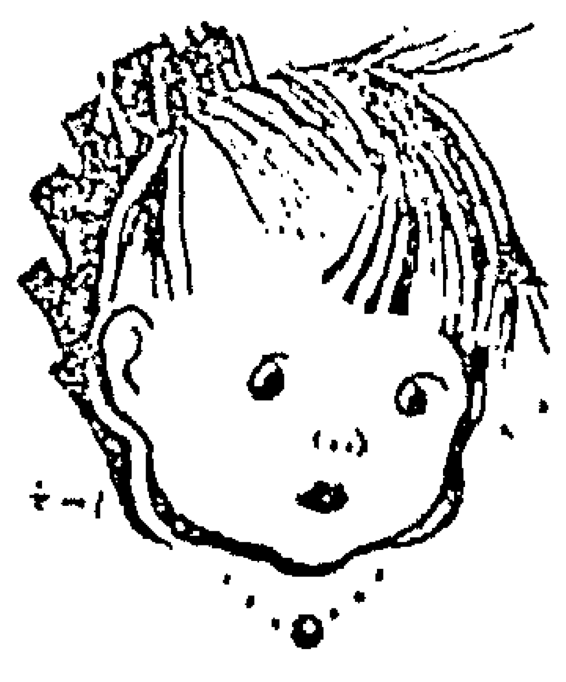
وحين آن للثورة ان تحقق هدفها الاكبر فتورد للوطن زوجات صالحات وامهات مستنيرات ، حدث ما لم يكن في الحسبان .

دخلت عوامل جعلت هؤلاء المتعلمات جميعا يتجهن الى ميدان العمل ، واصبح التعليم لا يعني رسالة البيت ، ولا يؤمن حق الطفل ، وانما تتعلم المراة لتعمل وتكسب !

وكانت الحكومة تحرم على موظفاتها الزواج بمقتضى تعهد يوقعنه قبل دخولهن المدارس للتعلم ، فكان هذا التحريم وحده تحولا حاسما خطيرا في حركة التعليم والتحرير ، وخيانة لمبادىء الثورة التي ارادت للوطن اما متعلمة ، وخروجا على الدعاة الذين كافحوا في سبيل هدف صريح ، هو اسعاد البيت بربة مستنيرة !

ثم تحررت الموظفات شيئا فشيئا من تلك القيود فباح لهن الجمع بين الوظيفة والزواج

وواضح ان الحكومة في اباحتها زواج الموظفات ، لم تفكر في حقهن الطبيعي ، او في البيت ، او الطفل ، وانما الذي اضطرها الى هذه الاباحة ، اضطراد التوسع في التعليم ، بحيث لا تستطيع الاستغناء عن



معلمة واحدة ، ولذلك صرحت لهن بالزواج دون ان تفكر كثيرا او قليلا فيما بعد هذا من مشكلات !

وبدات ترتجل الحلول السطحية لكل ازمة تعرض ، فلما اعياها الامر تركت الازمات تتعقد دون اكتراث لها .

فكانت النتيجة ، ان المعلمات المصريات - الا القلة النادرة - يخرجن مع مشرق الشمس الى المدارس والدواوين ودور العمل ، واطفالهن في البيوت ، يرعاهم الخدم ، وهم عندنا من تعرف جهلا وقسوة وسوء حال !

ونحن قد قلدنا الغرب في اخراج نسائنا الى ميادين العمل ، لكن دون ان ندبر لهذا الاخراج او نواجه مشكلاته كما واجهها الغرب الذي قلدناه !

فهناك بيوت للاطفال ، ومحاضن مثالية ، اما هنا فماساة !

ووجه الخطر في هذه الماساة ، ان الدولة لا تشعر بها !

انها تضج كل عام شاكية من المدارس ، وتسعى جهدها لكي تجد مكانا في المدرسة لكل طفل بلغ الخامسة من عمره ، اما ما قبل الخامسة ، فمسالة لا تخطر لها على بال .

واسالوا رجال التربية ، والاجتماع : هل هناك مرحلة اخطر من مرحلة ما قبل الخامسة ! ؟

احدى اثنتين :

اما ان تكون الدولة في غير حاجة ماسة الى وجود هؤلاء الامهات المعلمات في ميادين العمل ، واذ ذاك يجب ان يردهن الى البيوت ، ويحرم العمل على كل ام لها اطفال دون الخامسة !

واما ان تكون في حاجة حقيقية الى تجنيد هؤلاء الامهات في الاعمال العامة ، وحينئذ يجب عليها عدلا وقربة وانسانية ، ان ترعى ابناءهن الصغار ، وتهيئ لهم دور الحضانة التي تتولى العناية بهم في الاوقات التي تكون الام فيها بعيدة عن البيت !

بنت الشاطئ
« من الامناء »

التاريخ : ١٠ / ٦ / ١٩٥٢

كتب جديدة

معاجم وموسوعات

نود أن نزجي التحية خالصة ، لهؤلاء النفر من الدارسين الذين أبت عليهم همتهم أن يؤثروا السلامة والعافيه ، فتركوا ميدان التأليف السهل المريح ، والتصنيف البسيط المألوف ، وعكفوا على خدمة اللغة والعلم من الجانب الشاق ، يريدون أن يعبدوا الطريق أمام الشباب ، وأن يضعوا بين أيديهم معاجم تقرب البعيد ، وتذلل الصعب ، وتضبط التعبير .

ومن الناس من يتوهمون — خطأ — أن وضع المعاجم عمل الى سهل ، يقوم على جمع المفردات وترجمتها وترتيبها ، والواقع أن الجزء الآلى من هذا العمل ، لا يكاد يذكر الى جانب الجهد المضنى الذى يقتضيه ضبط مدلول اللفظ ، وتحديد معناه ، وفهم ايحائه ، ثم التماس مثيله فى لغة أخرى ، لها ذوقها الخاص فى التعبير وطاقتها المميزة فى الايحاء . والذين تضطرهم حياتهم العملية أو عملهم العلمى الى الترجمة والنقل ، يدركون مدى العناء الذى يتكبدونه فى الظفر بلفظ يطمئنون الى دقته فى التعبير عن اللفظ المنقول دلالة ومعنى وايحاء . وهم — ولا شك — يرحبون بكل محاولة تبذل فى هذا السبيل ، لأنها تحمل عنهم بعض ما يتكلفون من مشقة وينفقون من وقت .

القاموس الحديث

فرنسى : عربى

ط المصرية — ٦٥٠ ص

يظهر هذا القاموس الحديث ، فيضع لبنة فى البناء المتين الذى شيده المرحوم « الاستاذ الياس انطون الياس » بمعجمه العصرى الحى ، الذى لا أكاد أعرف أول منه مرجعا فى مفردات اللغتين الانجليزية والعربية ، ولا أهدى منه دليلا فى ضبط النقل من احداهما الى الاخرى . فلقد عاش الفقيد لمعجمه فى رهبنة علمية ، يجدد طبعه من حين الى حين ، كيما يساير به تطور الزمن ، ويلبى حاجة العصر ، وينميه مع الأيام ، ويضيف اليه الجديد من مستحدثات الالفاظ والمصطلحات ، حتى مات رحمه الله منذ نحو شهرين وترك معجمه من بعده حيا لا يموت .

واليوم يعاود « الاستاذ ادوار الياس » على اثر الفقيد ، فيخرج القاموس الحديث للفرنسية والعربية ، ويبذل له من الجهد والامعان ما يجعله مرجعا قريب التناول ، وافيا — قدر المستطاع — بالمصطلحات الفنية والعامية الدقيقة .

والقارىء لا يخطىء فى هذا القاموس الحديث ، ما تعودنا فى معاجم الاستاذ الياس انطون الياس من دقة التناول ، وسلامة النقل ، مع الفقه بأسرار اللغة فى التعبير والاداء .

دائرة المعارف الحديثة

دار النيل للطباعة — ٨٠٠ صفحة

وهذه موسوعة جامعة عامة ، فى اللغة والعلوم والفنون ، نهض « الاستاذ احمد عطيه الله » بعبئها الثقيل الذى تنوء به العصبة من الرجال ، فلبى بها حاجة المكتبة العربية الى موسوعة حديثة ، مختصرة مبسطة ، تضاف الى ما تزخر به هذه المكتبة من موسوعات قديمة ، عامة وخاصة ، تعد من مفاخر العربية اذا قيست بالعصور التى وضعت فيها .

وقد شهد العصر الحديث مولد (دائرة معارف البستانى) عام ١٨٧٥ لكن الفقيد مات قبل أن يجاوز حرف (العين) ثم (دائرة معارف القرن العشرين) التى

صدرت منذ نحو ثلاثين عاما ، في عشرة اجزاء متوسطة .

وهذه الاعوام الثلاثون ، قد حفلت باحداث ضخام وتطورات حاسمة في تاريخ العلم بخاصة ، والانسانية بعامة ، مما جعلنا نفتقد مثل هذه الموسوعة الحديثة التي يقدمها « الاستاذ عطية الله » الى الشباب ، معتمدا فيها على اصدق المصادر واحدث المراجع

والمادة التي قدمها لنا (دائرة المعارف الحديثة) تجمع بين الايجاز وحسن التنسيق والاخراج ، وهي تشهد لصاحبها بسعة الاطلاع ، والاتصال بالمصادر الاصيلة في لغات عدة ، مع الصبر على مشقة البحث واحتمال العناء في عمل كهذا قل من يصبر على مثله .

وامل « الاستاذ عطية الله » يجد من تقدير المنصفين ما يكافئ جهده المبذول في جمع مادة هذه الدائرة وتنسيقها ، وما يشجعه على المضي في تنقيحها وتصحيحها في طبعة ثانية وثالثة ورابعة ان شاء الله

معجم في اللغة الفارسية

ط مصر - ٢٩٠ صرم

لعل كثيرين منا ، لا يعلمون اننا لم نكن نملك حتى اليوم ، معجما عربيا للالفاظ الفارسية ، على الرغم مما بين اللغتين من محكم الروابط ووثيق الصلات . واذكر اننا كنا - اثناء دراستنا للغات الشرقية في الجامعة - اذا اعوزنا تحديد المدلول الدقيق للفظ فارسي ، التمسناه في المعاجم الاوربية التي كانت مرجعنا في ذلك الحين .

واحسب ان الاقدمين لم يشعروا بحاجة ماسة الى مثل هذا المعجم ، فلقد كان ما بين اللغتين والشعبين متصلا ممتزجا لا يحتاج الى وسيط ، لكنا اليوم نحس بالاسى فلقد باعدت بيننا الظروف السياسية والاعتبارات الاقليمية منذ استقرت اجزاء الامبراطورية الاسلامية العظمى في القرون الاولى ، وان بقيت الصلات التاريخية والدينية لم تنل منها الاحداث .

وجامعاتنا الثلاث ، تحفل بدراسة تاريخ الفرس ولغتهم وادابهم ، وتعرض مشكلة الطلاب الذين يتخصصون في العربية ان يحصلوا من قرب تلك الفارسية التي تركت طابعها الاصيل في ادبنا وفكرنا .

فاذا جاء « الدكتور محمد موسى هنداوي مدرس الفارسية بجامعة فؤاد » ووضع لنا اول معجم عربي في هذه اللغة ، فله الى جانب ميزة السبق ، فضل السعي في تذليل ما يلقى الطلاب من عناء حين يضطرون الى التماس الالفاظ الفارسية في مثل معجم « بالمر » او « استنجاس »

وميزة ثالثة ، هي ان « الدكتور هنداوي » لم يكتف بمراجعة الكلمات المترجمة في تلك المعاجم الاجنبية ، وانما استخدم في المقابلة والتحقيق معاجم فارسية اصيلة ، مثل (فرهنك نفيسي - وبهار - وبرهان قاطع)

وعاونه في المراجعة « الاستاذ كاظم ازرمي : الملحق بالسفارة الايرانية في مصر » والاستاذ « الترجاني » الاستاذ بجامعة تبريز .

وبفضل هذا الجهد الباذل والتعاون المخلص ، استطاع « الدكتور هنداوي » ان يمد الطلاب والدارسين في الجامعات والمعاهد العليا بمعجم دقيق يملأ بعض الفراغ الذي طالما شكوه وشكوناه نحن من قبلهم

بنت الشاطئ

(من الامناء)

التاريخ : ١٢ / ٦ / ١٩٥٢

المدرسة والحياة

درس في المحفوظات

كتبت هنا منذ حين ، كلمة وصلت بها مدى البعد بين المدرسة والحياة ، لمناسبة درس في (التصغير) شهدته في احدى المدارس الثانوية للبنات بالعاصمة ، وقد اجهدت المعلمة تلميذاتها واجهدتها — كي تحملهن على ايراد صيغ للتصغير مثل «انيديل ، ومعيلير ، ومعيطشان ، وانيسان وعبيقري» حين كانت تستطيع أن تأخذ مادتها من الحياة ، فتستبدل بتلك الصيغ الغريبة ، صيغا تعرفها حياتنا ، وتدور على السنتنا ، من مثل : « حليوه ، وبثينه وزهيرة ، وزبيدة ، وجديري ، ونهيي ، ولويح ، وسويعه ، وصغير بتشديد الراء ».

واليوم اعود فاكتب من « المدرسة والحياه » أيضا ، كي اروى لمن يعنيهم الامر ، حادثة ثانية شهدتها في مدرسة اخرى . وكان الدرس في هذه المرة ، قطعة من المحفوظات للمرحوم «علي الجارم بك» قال فيها من قدماء المصريين :

مروا كاشرطة السيما وما تركوا
سوى خيال من الذكرى يؤسينا

وقد قرأت المعلمة القطعة ، وقرأتها التلميذات من بعدها قراءة اطمأنت اليها ثم اباحت لهن ان يسألن عما يجدنه صعبا او غامضا من مفردات النص .

ولشد مادهشت المعلمة حين سألتها فتاة ثانية ورابعة وخامسة .

— مامعنى اشرطة « السيما » ؟

والتفتت المسكينة الي ، وقد ارتبكت لهذا السؤال الذي لم اكن لتنتظره بحال !

اما انا فما دهشت ولا انكرت الذي سمعت ، ذلك لاني اعرف ان اسلوب تعليم العربية في مدارسنا لايمكن ان ينتهي بنا الى غير هذا الموقف الشاذ !

والذنب العذر للفتيات ، فهكذا تعلمن — متلمسمن بالعربية ان اللغة الفصحى شيء اخر غير ماتعرفه حياتنا . وبالله استعمالنا ويدور على السنتنا .. وهكذا فهمن منذ اول عهدهن بالمدرسة والدروس ان هذه الالفاظ التي نستعملها كل يوم عامية مبتذلة لاتعترف بها لغة المتعلمين . ومن ثم لم يجز عند التلميذات ، ان يسمو مثل لفظ « السيما » الى المقام الرفيع للفصحى ، او ان يتقمص بحيث يمكن لشاعر كبير كالجارم بك ، أن يستعمله في قطعة « محفوظات » مختارة ، تفرض المدرسة عليهن حفظها عن ظهر قلب !

الى مثل ذلك الحد ، ابتعدت المدرسة من الحياة ، وصارت مفردات اللغة الجديرة بتلاميذ المدارس ، آثارا متحفية . لايجوز ان يدنسها الابتذال ، او ان تتجاوز نطاق المدرسة ، الى عالمنا المألوف !

ونعجب بعد هذا اذ نرى ابناءنا يتمون دراستهم الجامعية ، دون ان يتمكنوا من لغتهم التمكن البسيط الذي يتيح لهم ان يستخدموها وسيلة للتفاهم ، واداة طيعة للتعبير ! !

ونبكي وننوح على « العربية » التي يراها اكثر المتعلمين عندنا ، لغة اجنبية غريبة ، مليئة بالرموز والاسرار !

ولو انصفنا لعذرناهم ، فان نظرة عابرة الى مابين ايديهم من كتب مدرسية ، او وقفة عجلى امام درس من دروس العربية تكفي ان تدع عنهم اللوم وتشعر لهم بالرثاء !

بنت الشاطيء

« من الامناء »

التاريخ : ١٧ / ٦ / ١٩٥٣

الكتب الجديدة

فى المكتبة الأدبية

الوفاء المرمرى
دار المعارف — ٢٢٦ ص م

اعترف بانى بدات اقرا هذه القصة فى شىء من الجفوة ، وما ذاك لانى اسىء الرأى فيما يكتب « الاستاذ فريد ابو حديد بك » من قصص تاريخية بارعة ، فلطالما استمتعت من قبل بقراءة قصصه الثلاث : (زنوبيا ، والملك الضليل ، وابى الفوارس) وطاب لى فيها ان انتقل الى تلك العوالم الذاهبة ، التى يبث فيها الحياة مؤرخ اديب . لكن الى اليوم اشعر بما يصدنى عن الالتفات الى امس الدابر ، واسمع نداء الحياة من حولى يلح علينا ان نعيش فى دنيانا ، ويهتف بنا ان نأخذ منها مادة الفن وموضوع الادب ، بل اكاد اشعر فوق هذا ان انفجار الذرة قد ضرب بيننا وبين العالم القديم بسور كثيف من انقاض متراكمة وكتل حجرية متراصة متراكبة ، كانها البقايا البشرية المتحجرة التى تخلفت من « هيروشيما ونجازاكى »

بمثل هذا الشعور الزاهد فيما مضى وراح ، المنصرف عما وراء السنين الخوالى ، الى يومنا هذا المثقل باعبائه وهمومه ، بدات اقرا (الوفاء المرمرى) ، ثم لم يخلف من شعورى هذا ، ان الكاتب ساق بين يدى قصته مقدمة لبقة ، اعلن فيها انه انما يروى القصة تحية لذكرى لورنسيا الكبرى ، ليالى كان يجلس فى احد مقاهى « الحسينية » ملقيا سمعه الى الشاعر وهو يترنم بقصة « سيف بن ذى يزن ، بطل اليمن »

اعترف بهذا كله فى صراحة ، لاقرر بعده انى ما كدت امضى فى قراءة القصة حتى شغلت فلم استطع ان ادعها حتى اتممتها ، وقد كادت الحيوية المنبثة فيها تنسينى ان المسرح غريب عنى بزمانه ومكانه وشخصياته ، فاين نحن اليوم فى مصر ، من سيف بن ذى يزن ، وابرهة ، ويكسوم ، وذى جدن ، فى حواضر اليمن وبوادى الجزيرة قبل الاسلام !

انها الحياة المتجددة ابدا ، تتجسد فى شخوص شتى من جيل بعد جيل ، دون ان تتغير حقيقتها او تتبدل !

انه الزمن ، تمر به الاجيال تباعا ذاهبة فانية ، وهو حيث كان من سحيق العصور وغابر القرون ، لا يهرم ولا يشيخ !

وما قصة جهاد سيف بن ذى يزن فى سبيل وطنه المسلوب ومجده المغتصب ، الا صورة من الحقيقة الانسانية الخالدة المتجددة ، ومشهد من مشاهد الزمن الذى لا يهرم ولا يفنى !

هى قصتنا ، وقصة كل كريم مغلوب ، يابى ان يرضخ للذل او يرضى بالهوان ، ويؤمن بان الحياة لا تستحق شيئا اذا لم تكن فى ظل الكرامة والحرية

او هى قصة الانسانية فى صراعها الطويل — على مر الحقب والاجيال — فى سبيل مقوماتها ومثلها وحقها فى الوجود النبيل

ولقد يعنينى ان اشير هنا بصفة خاصة الى دور الانثى فى تلك القصة الخالدة . لقد كانت هناك وراء ابنها البطل تثبت ابدا بذكرى وطنها الضائع ومجد قومها المسلوب ، لم تفتنها عنه لذات الدنيا مجتمعة ، ولا اعشى عينيها بريق تاج رصعه الغاصب على مفرقها ، ولا اغواها عرش اجلسها عليه عدو وخذها ملكة حاكمة

وبعد فلعل بعض القراء يسالون عن هذا (الوفاء المرمرى) الذى اختاره الراوى رمزا لقصته . هى قطعة من المرمر الجميل ، كانت يوما ملقاة فى جوف صخرة ، قد يضعها حجار فى جدار بيت ، وقد تتخذ منها راعية عجوز حجرا تصنع منه رحى ، او تربط به حبل عنزها لكن الفن استطاع ان يصوغ منها قطعة من الحياة القوية الخالدة التى تقهر احداث الزمان وعوادى الدهر . وكذلك يستطيع الانسان ان يصنع حياته بيديه ، وان يبث فى الحجارة الملقاة ما شاءت له ارادته وفنه من جمال وحيوية وخلود !

نماذج فنية
من الادب والنقد
لجنة النشر للجامعيين — ٢٥٢ ص ق

اما هذا الكتاب فيندمج فى حياتنا

التاريخ : ١٧ / ٦ / ١٩٥٢

العاصرة انتماجا صريحا مباشرا ، ويخوض احدى معاركها الكبرى فى شجاعة لا تخلو من جرأة ومخاطرة ! أقول (مخاطرة) لانى اعلم أن (النقد) عندنا قد صار اشبه بخطرة من نار ، لا يقوى على اقتحامها الا قلة من الابناء ذوى الحس الحى والقلم الحر الطليق

ولقد تقدم « الاستاذ أنور المعداوى » الى معركة النقد الادبى ، وهو مدرك حق الادراك ما يلاقيه الناقد الحر فى مصر من حرب واضطهاد ، عالم علم اليقين ان قومنا لا يطيقون النقد ولا يصبرون على المؤاخذة ، وانما النقد عندهم ان تصانع فيهم « دور المدح » وتنظم فى كل ما يكتبون « عقود الثناء » !

ومن الانصاف أن نقول ان كثيرين قد تنبهوا الى ما فى هذا النقد الرخيص من عبث لا تحتمله حياتنا الكادحة الجادة ، لكنهم اشفقوا من المخاطرة وآثروا السلامة والعافية ، اللهم الا تلك القلة النادرة التى تصدت فى شجاعة لحمل الامانة الصعبة !

وهذه (النماذج الفنية) ليست سوى جزء من رسالة هؤلاء الاحرار الذين يحاولون أن ينحوا عن ميدان النقد الادبى فضول المتطفلين وعبث العابثين ، وان يبرئوه من ظواهر الفلفلة وأعراض البلادة والانحلال ، لكى يقيموه على دعائم جديدة قوية ، هى الثقافة ، والتجربة ، والذوق ، والعمق والتخصص .

وكانت الطريقة التى آثرها الاستاذ « أنور المعداوى » فى معالجة المشكلة ، هى أن يضع فى الميدان الادبى دراسات ادبية نقدية ، من ذلك الطراز الذى نبشر به المدرسة الفنية الجديدة ، ونجاهد فى سبيل الدعوة اليه

وقد يختلف القارىء مع الاستاذ المؤلف فى هذا الموضع او ذاك ، وقد ينكر عليه رايا او يأبى منه فكرة ، لكنه سيظل ــ على المخالفة والانكار ــ مقدرا ما فى هذه النماذج من فكر اصيل ورأى مستقل ، ونقد صريح امين ، واتصال قوى مباشر بالحياة .

حلية الطراز

دار الكتاب العربى ــ ٢٨٨ ص ق

هو ديوان « عائشة عصمت تيمور » تخرجه « لجنة نشر المؤلفات التيمورية » فى طبعة مصرية متقنة ، لتزود المكتبة العربية بالتراث الفنى لشاعرة تعد رائدة نهضة وطليعة جيل ، والشعاع الاول الذى انبثق من بين حجب « الحريم » ليعلن عن وجود المرأة الشرقية ، ويشهد بتطلعها الى ليل طال مداه !

لقد صحت « عائشة » مع الفجر ، وانطلق صوتها برنينه العذب ، يغرد للنور الوليد ، ويهتف للحياة الخارجة من جوف الظلمات ، فكانت هذه البادرة الشاعرة ايذانا بان (المرأة) لم تتخلف عن موكب البعث الذى لاحت طلائعه منذ مطلع القرن التاسع عشر ، ولم تحل الحجب والاستار دون تطلعها للنور ، وتشوفها للمعرفة ، وتطاولها الى الافق الحر الطليق الذى كان ينفسح تدريجيا امام مصر فى فجر عهدها الجديد .

ولم ترقد « عائشة » فى مضجعها الاخير عام ١٩٠٢ ، الا وبذر الثورة الاجتماعية الكبرى قد لاحت على الافق ، وصوت قاسم امين يهز مصر والشرق اعنف هزة

فهذا الكتاب الذى تنشره اللجنة اليوم ليس مجرد ديوان شاعرة ، وانما هو الهتاف الاول المبشر بمولد الفجر ومشرق النور ويزيد فى قيمة الديوان ، ان اللجنة قدمت بين يديه مجموعة من الدراسات القيمة لعدد من صفوة الكتاب ، تحدثوا عن الشاعرة ، وبيئتها ، وظروفها وعصرها ، وفنها ، وما تركت من اثر واضح فى حياتنا الادبية والاجتماعية

وانها ليد جديدة ، تسديها اللجنة الى مصر والعربية ، وتفسح بها فى المكتبة التيمورية سطرا له قيمته واهميته .

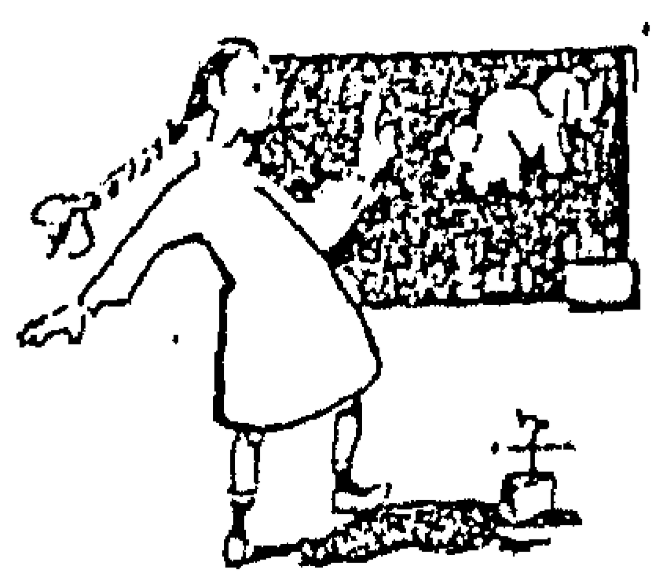
بنت الشاطىء

من الابناء

التاريخ : ١٩ / ٦ / ١٩٥٢

المدرسة والحياة

مصائب أمة !



كدت لا أصدق عيني وأنا أراجع بعض كراسات « الإنشاء » لإحدى المدارس الثانوية ، وإذا بالمدرس قد أبى أن يجيز للتلميذات استعمال لفظ « ابنة » وكتب مكانها بقلمه الأحمر كلمة « بنت »

ولما أخذته أسرع إلى مكتبة المدرسة فجاءني بعدد حديث من مجلة أدبية أسبوعية ، تفرضها وزارة المعارف على مدارسها ، ، وتحاسب المعلمين على مدى انتفاع التلاميذ بما فيها من ثقافة وعلم وفن .

وأشار المدرس إلى مقالة في نقد كتاب جديد ، جاء فيها تخطئة جازمة لاستعمال لفظ « ابنة » مكان « بنت »

ماذا ؟

الخلاف بيننا وبين الله ؟

أن القرآن الكريم ـ قاموس العربية الأكبر ، والمثل الأعلى للفصاحة والبلاغة ، قد نزل بقوله تعالى في سورة التحريم

« ومريم ابنة عمران »

ولم يستعمل مكانها لفظ بنت

وأن معاجم الفصحى تقرر أن ابنة هي اللفظ الأصيل لمؤنث « ابن »

وأن ديوان الشعر الجاهلي يحفظ لنا من قول العربية الخالصة قبل المهمة :

يا ابنة الأقوام إن لمت فلا
تعجلي باللوم حتى تسألي
فإذا أنت تبينت الذي
يوجب اللوم فلومي واعذلي

وأن شيوخ العربية كالمبرد ، والقالي ، والمعري ، قد استعملوا لفظ «ابنة» دون أن يخطر لهم على بال ، أن يخطئ هذا الاستعمال في القرن العشرين .

ولكن كيف أذكر هؤلاء الشيوخ ، وأستشهد بالمعاجم وبالشعر الفصيح ، بعد أن جاء القرآن الكريم بالقول الفصل !؟

ذلك خطأ أعتذر عنه بما أرى وأسمع من انزعاج الطلاب بتخطئة ما يكتبون حتى حين يكون صحيحا فصيحا لا ريب في أصالته .

والمسألة هكذا شيء من « مرض » لا بد أن نطب له وندبر أمر علاجه

***

وثانية

سألت تلميذة في امتحان شفهي أن تعرب « الجار والمجرور » في قولهم ، أبصر الطفل خياله في الماء . .

فأعربته مفعولا فيه ، ظرف مكان .

لكن المعلمة خطأتها في قسوة ، وصاحت بها ، إنه حال وليس ظرف مكان

وكنت حاضرة أسمع ، فراجعت المعلمة في هذه التخطئة ، وإذا ذاك جاءتني بكتاب القواعد المقرر رسميا ، فإذا الجملة عينها قد جيء بها مثلا للحال شبه الجملة .

وعدت إلى كتب النحو أسألها ، فإذا شاهدهم على الحال شبه الجملة قوله تعالى في سورة القصص :

« فخرج على قومه في زينته »

والحالية هنا صريحة ، لا تحتمل لبسا ، على حين عجزت كتب القواعد النحوية المقررة ، أن تأتي في هذا الباب بمثل واحد ، يطمئن التلاميذ إلى إعرابه حالا لا غير !

ثم نحاسبهم على الخطأ ، حين يهديهم حسهم اللغوي السليم إلى أن الإعراب جزء من المعنى .

كأننا موكلون بإفساد هذا الحس ، وإقناع التلاميذ في كل لحظة ، بعجزهم عن إدراك العربية ، بل كان رسالة المدرسة في هذا ، أن تخطئ كل ما يستعمله التلميذ ولو كان صوابا .

***

كذا نزلة وجمودا . .

إنها الحياة من حولنا تلح علينا في تطويع اللغة ، وتمكين الطلاب منها ، لكننا نأبى إلا أن ننأى باللغة عن الحياة ، بمثل هذا الأسلوب من التخطئة والتعجيز والتشكيك

إنها محنة أمة ، تصاب في أعز مقوماتها ، إذ توضع لغتها القومية بمعزل عن الحياة ، ويحرم أبناؤها من الانتفاع بها ، ويحال بينهم وبين استعمالها أداة طيعة للتفاهم والتعبير !

بنت الشاطئ
من الأستاذ

التاريخ : ٢٦ / ٦ / ١٩٥٢

كتب جديدة

مذكرات ويوميات

مذكراتي

ط دار الهلال : ١٦٠ ص ق

لم يكد المؤرخ المحقق « الاستاذ عبد الرحمن الرافعي بك » يفرغ من تاريخ الحركة القومية في مختلف مراحلها ، ويترجم للشخصيات الكبرى التي شاركت في صنع التاريخ المصري الحديث أو توجيهه ، حتى فرغ لتدوين مذكراته الخاصة

والمذكرات التي يكتبها الساسة والمؤرخون تعنى عادة بتسجيل الاحداث العامة ، اكثر من عنايتها بالجانب الخاص من حياة المؤلف ، غير اننا في مذكرات « الاستاذ الرافعي بك » نظفر بترجمة وافية لحياته كتبها بقلمه ، وهو في هذا يذكرنا بالعمل الذي افرده المرحوم « علي مبارك باشا » في (الخطط التوفيقية) لترجمة حياته الخاصة

على ان اهتمام « الرافعي بك » بكتابة تاريخه الشخصي ؛ قد هيأ لنا في الوقت نفسه مادة أسباب تعين على فهم تاريخ العصر ، واجتلاء بعض غوامضه ، ذلك لان عزله قد اشترك في الحياة السياسية اشتراكا فعليا ، واشتغل بالحركة القومية راصدا ومؤرخا ، ومن لم كانت حياته جزءا من حياتنا العامة ، بقدر ما اتصل بهذه الحياة ، وعرف من اسرارها وخفاياها او سجل من وقائعها واحداثها .

ﭏﭏﭏ

والكتاب بعد هذا جدير بان يكون درسا لشباب الجيل ، يجدون فيه مثالا كريما لمواطن صالح ، نضج وعيه السياسي في ظل تنشئة مهذبة وتربية طيبة ، فأدى واجبه نحو قومه وامته في نزاهة واخلاص

ولعل من حق « الاستاذ الرافعي بك » علينا ان نسجل له هنا تواضعه في الكتابة عن نفسه ، وبراءة مذكراته من اللغو والزهو والمباهاة ! اطال الله عمره وامده بروح من عنده

ﭏﭏﭏ

٥٠ يوما في باريس

ط دار الكتاب العربي — ١٦٠ ص م

هي ايام حافلة ، قضاها « الاستاذ محمد رفعت المحامي » في باريس ايام انعقاد الدورة السادسة للجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة ، في « قصر شايو » ، واتيح له خلالها ان يشهد ما وراء الستار ، وان يتصل بعدد غير قليل من اعضاء الوفود الحاشدة التي سعت الى باريس ، من شتى انحاء الامم المتحدة

والقراء قد عرفوا انباء هذه الدورة في حينها وتتبعوا جهود الوفد المصري برياسة سعادة « الدكتور محمد صلاح الدين باشا » في سبيل قضية مصر ، وقضايا جيرانها واصدقائها

لكن « الاستاذ محمد رفعت » يدع هذا الذي عرف وذاع ، ليحدثنا عما كان يجري هناك خارج اروقة القصر ، وخلف مسرحه ، ثم ينتقل بين حين وآخر الى معالم باريس ومفاتنها لينقل الينا من هناك صورا شائقة ، في اسلوب لبق بسيط

وقد اهدى الاستاذ كتابه الى سعادة « الدكتور صلاح الدين باشا » تقديرا ووفاء ، وذكرى لتلك الفترة الحافلة الحافلة التي امضاها المؤلف في صحبة وفد مصر في الدورة السادسة للأمم المتحدة

ﭏﭏﭏ

ظلام السجن

دار احياء الكتب العربية : ٨٩٥ ص ق

قدمنا الى قرائنا في الموسم الماضي ، كتاب (معتقل هاكستب) الذي الفه « الاستاذ محمد علي الطاهر » وروى فيه ظروف اعتقاله ، ووصف ايامه في المعتقل

واليوم ينتقل بنا حضرته الى تلك الفترة العصيبة الحرجة ، التي اجتازتها مصر والعالم ، قبل اعلان الحرب العالمية الثانية . وكان الاستاذ الطاهر قد قضى عامه في ذلك الحين واودع السجن من يوم ٢٠/٦/١٩٤٠ الى يوم ٤/١/

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٢٦ / ٦ / ١٩٥٢

(٢)

١٩٤١ ، ثم نال الحرية وهرب من مستشفى السجن ، واختفى مختارا مدى أحد عشر شهرا ، عكف خلالها على تسجيل مذكراته عن حياة السجن ، بعبارات ورموز وإشارات لا يفهمها سواه ، حتى إذا انزاح كابوس الحرب الجاثم على أنفاس مصر ، أخرج الأستاذ الطاهر من طراشه ما أودعه فيها من جزازات وتنثاثرت لم تشرع في صقل صورها وصياغة حوادثها وتنسيق مادتها ، حتى تم له منها بعد الجهد المضني ، سجل دقيق شامل ، يصور حياة السجن ، والهرب ، والتنكر ، تصويرا مؤثرا ، ويصف ما صادف السجين الهارب من مفاجآت ومباغتات خلال مخاطراته الكبرى ، ويحكي مخاوفه وتأملاته في ظلام السجن ، وفي عهد التنكر والاختفاء

وأخرجته دار الإحياء إخراجا حسنا في مجلد ضخم ، يخيل لقارئه أنه قد عاش مع السجين الهارب في ظلام السجن ، وصحبه في مخاطراته وتنقلاته ، وشاركه آلامه ومتاعبه

مذكرات واعظ أسير

دار الكتاب العربي — ١٨٩ ص ٨

وهذا أسير آخر ينتقل من محنته على منابر الوعظ وكراسي التدريس في الأزهر ، إلى معتقل فايد مع جموع من زملائه الإخوان المسلمين

والأستاذ الشيخ أحمد الشرباصي ، يعالج هنا نفس الموضوع الذي عالجه ، الأستاذ محمد علي الطاهر ، في كتابه (معتقل هاكستب) ، لكن المؤلفين يختلفان بعد ذلك في روح التناول ، وأسلوب العرض ، وطريقة الوصف والأداء ، ذلك لأن أولهما مجاهد سياسي تناول الموضوع من الزاوية التي تعنيه ، ولمح فيه بقلم رجل عاش المعارك السياسية وصلي نارها ، أما الشيخ الشرباصي فيتحدث بروح رجل الدين الذي اشتغل بالوعظ والتدريس ، ونزل إلى الميدان داعيا مرشدا تحت لواء الإخوان المسلمين

وهذه مذكراته ، تصور لنا حياة الاعتقال كما عاناها واعظ أسير ، وتصف محنة الجماعة بأسلوب يحمل الطابع الديني ، وله — إلى جانب هذا الطابع — حظه من الصياغة الفنية والتعبير الأدبي

بنت الشاطئ
(من الاستاذ)

التاريخ : ٢٧ / ٦ / ١٩٥٢

في حياتنا

اللغة والأمة!

للدكتورة بنت الشاطئ
المدرسة بجامعة ابراهيم

لم اكد افرغ بعد مما اريد ان اقوله من بعد ما بين المدرسة والحياة ، ووجود كل منهما بمعزل عن الاخرى لاتتصل بها ولا تعرف عنها شيئا ، كأنما نحن في غنى عن الانتفاع بهذه الجهود الضخمة والملايين الباهظة التي ننفقها على التعليم .

ان المدرسة في كل بلاد الدنيا تعد الطالب للحياة ، وتصله بها ، وتخرجه اليها مزودا بعدة الكفاح ، مستعدا للاندماج في البيئة التي يعيش فيها والتعاون معها ، فهل الامر عندنا كذلك ؟

هل تتحرى المدرسة حاجة الحياة لتلبيها ؟

هل تتعرف الى المجتمع حولها لتهيء التلاميذ للاندماج فيه والتلاؤم معه ؟

هل تقدر طبيعة العصر الذي نعيش فيه ، فتلائم بينه وبين المنهج الدراسي قدر المستطاع ؟

هل ترقب التطور الذي يحققه الزمن في سيره يوما بعد يوم ، فتجتهد في مسايرة هذا التطور والاستجابة له والتجدد معه ؟

ما اراني في حاجة الى ان اجيب عن هذه الاسئلة ، فكلنا يعرف الجواب !

انما الذي يعنيني هنا ، ان امضي في تسجيل بعض ما ارى وما اسمع ، في الجانب الذي تخصصت فيه وهو دراسة اللغة

لقد اتاح لي عملي في التفتيش من قبل ، ويتيح لي عملي في الجامعة اليوم ، ان اشهد من اخطائنا وعثراتنا في تدريس العربية ، مايفسر عجز المدرسة عن ان تجعل ابناءنا ينتفعون بما يتعلمون من هذه اللغة ، فما هي الا ان يؤدوا الامتحان فيها ويخرجوا الى الدنيا حتى يذهب كل الذي تعلموه هباء مع الريح !

والامر في غير لغتنا القومية هين او يكاد ؛ لكنه حين يتصل باللغة التي هي لسان الامة ، واداة التعبير ، ووسيلة التفاهم ، وطريق الثقافة ، لهو جد خطير

لقد قلت انها محنة امة ، تصاب في اعز مقوماتها اذ تعزل لغتها بمنأى من الحياة ، والحق اني لا ارى هذا الوصف — على ما فيه من ضخامة وتهويل يتفر منهما منهجنا العلمي — كافيا للدلالة على مبلغ ما وصلت اليه الحالة من السوء وما تنذر به من خطر ؛ فان اصرارنا على عزل اللغة عن الحياة ، والحاحنا في اقناع التلاميذ بأن هذه اللغة فوق مداركهم ، وابعد من منالهم ، يؤذي الامة ابلغ الاذى ، ويصيب منها مقتلا !

واي سوء ابشع من ان ندأب على تخطئة مايستعمله التلاميذ ولو كان صوابا ؟ اي اذى ابلغ من ان نرفض منهم استعمال لفظ لاشك في اصالته وفصاحته ، لمجرد كونه مما يدور على الالسنة ويعرف في الحياة ؟ او ان المسألة كانت مجرد جهل بصحة الاستعمال ، لدفعنا الجاهلين الى التعلم ، ولكان حسبنا مثلا ان نقول للجاهلين مأقاله « عنترة العبسي » في معلقته :

هلا سالت الخيل يا « ابنة مالك »
ان كنت جاهلة بما لم تعلمي ؟ !
يخبرك من شهد الوقيعة انني
اغشى الوغى ، واعف عند المغنم !

لكن الذي بنا ليس الجهل ، وانما هو « مرض » التفاصح ، و « داء » التخطئة ، و « بلوى » عزل اللغة عن الحياة !

وارمنا يتألمون لهذه النتيجة الغريبة ، اذا يلحظون بشدة ضعف التلاميذ في العربية ، ويأسهم من فهمها وادراكها ، غير اني لا اريد ان اقف عند هذا ، بل امضي الى ما وراءه من نتائج بعيدة ذات خطر ، فاقرر ان فشل المدرسة في تعليم العربية ، او بتعبير ادق واضبط : ان « نجاح » المدرسة في تيئيس التلاميذ من فهم لغتهم القومية والتمكن منها والقدرة على استعمالها ، هو المسئول الاول عن محنة الادب ، وعن محنة الثقافة ، وعن الجمود الفني الذي نشكوه ، وعن ازمة الثقافة التي نلقى منها ، ثم هو المسئول الاول عما بين المتعلمين من عزلة فكرية ، انهم طوائف واحزاب : اطباء ، ومهندسون ، ومحامون ، ومعلمون ، وما شئت من هيئات وجماعات ، لكل منها ثقافتها الخاصة ، واسلوبها ولغتها ، دون ان يلتقي الجميع على امة موحدة ، وادب قومي يتذوقونه جميعا على تعدد الثقافات واختلاف الاتجاهات !

هل يعرف عالم اليوم بلدا عريقا في النسب والحضارة مثلنا ، يعجز الناشرون فيه عن توزيع بضعة الآف نسخة من كتاب في التاريخ القومي ، او الادب الحي ؟

هل سمعت الدنيا بأمة مثلنا ، لها مكانتها في التاريخ منذ كان ، تعجز عن الصدية بغذاء روحي موحد ، لانهم عاجزون عن قراءة لغتهم القومية وفهمها ؟

ونحن مع ذلك لاهون ، لانريد ان نفعل شيئا لعلاج الازمة ، كأن الامر يقف عند فشل الطلاب في مادة من المواد ، او كأن اليأس قد اراحنا فما عاد الامر يهمنا في كثير ولا قليل !

بنت الشاطئ

« من الاهرام »

التاريخ : ١ / ٧ / ١٩٥٣

كتب جديدة

في علم النفس

محاولات سيكولوجية

مكتبة الخانجي : ١٢٦ ص م

هي محاولات في دراسة مشكلاتنا الاجتماعية في اللغة ، والفن ، والدولة ، والحياة ، وليس من هذه المشكلات ما هو جديد علينا او قريب منا ، بل لعلها جميعها قد طرقت بمناسبة الكتاب واهتمام الدارسين ، وانما الجديد فيها هو الاسلوب الذي يعالجها به اليوم الكاتب الاجتماعي « الاستاذ سلامة موسى » والجانب الذي ينتهجه منه ، فهو لا يعالجها المعالجة الادبية المرسلة او الوعظية الثائرة ، وانما يدرسها من الناحية النفسية دراسة تهدف الى التماس الاصول الثائرة لتلك المشكلات ، والاتصال بجذورها الخفية الكامنة .

وانما دفعه الى هذه (المحاولات السيكولوجية) لانه الفنا في مصر — وفي الشرق بعامة — نعيش في مجتمع قلق مريض ، يرتطم بعقبات قد احتزمها جهاله ، فهو يخشى المستقبل ، ويتوهم الاخطار ، وينظر الى الماضي ، ويستند الى ما يسميه التقاليد ، فنشأ من هذا كله اضطراب في السلوك ، وانحراف في التفكير ، ومعاناة لالوان من الكبت والكظم جعلت الحركات التي تبدو في ظاهرها دعوة الى الاصلاح — اقرب الى النشاط الهستيري والحركة التشنجية .

وربما لاحظ الناقد على « الاستاذ سلامة » انه يسرف ويغلو حين يرد امراضنا الاجتماعية الى علة يعدها يراها علة كل الشرور والعراقيل ، هي « الفصل بين الجنسين » وليس شيء في هذه الدنيا ادعى الى التحسر والاسف من هذا البؤس السيكولوجي الذي يحيا فيه شبابنا الذين حرموا شبابهم ، لقد حظرنا عليهم الاختلاط مع الجنس الآخر ومنعناهم من مزاولة الحب بمقاطعة الرقص ، وجعلنا الرقابة بين الشباب والفتاة ... !

والحق الذي لا يستطيع منصف ان يجحده ، هو ان هذا الانفصال المرضي بين الجنسين ليس العقدة الخطيرة التي يرد اليها كل ما يعاني المجتمع من امراض ، لمصر قد تحررت الى حد كبير من هذه العقدة ، وحطمت في فترة قصيرة تكاد لا تجاوز ربع قرن ، كثيرا من الحدود والحواجز التي كانت قائمة بين الجنسين ، فتمزق الحجاب ، وانقرض عصر الحريم ، واختلط الجنسان في معاهد التعليم وفي الاسواق وفي ميادين العمل في القرية والمدينة على السواء . واذا كنا لا نستطيع ان ننكر انه ما تزال هناك بعض حدود وحواجز قائمة ، الا انها في طريقها حتما الى الزوال مع الزمن ، ولعل من الخير انها لم تتحطم دفعة واحدة ، والا تعرض المجتمع الشرقي لمحنة الطفرة ، ومآسي الاندفاع الطائش الذي لا يعترف بفروق البيئة ، ولا يلوي على شيء !

اقول هذا لا رجو كاتبنا الاجتماعي ان يخفف من حسرته واسفه ، فان العقدة التي يتحدث عنها قد اوشكت على الحل والزوال ، ولست ارتاب في ان « الاستاذ سلامة موسى » نفسه سوف يكون اول من يصحح رأيه في مجتمعنا ، فلا يرى « ان بؤرة انحطاطنا النفسي والاجتماعي والسياسي والثقافي هو هذا الانفصال بين الجنسين ، هذا الانفصال الذي لا يفصل بيننا وبين الجنس الآخر فقط ، بل بيننا وبين الانسانية ، اذ هو يعلمنا من المفاهيم الشاذة من قيمة المرأة وقيمة الرجل ، ما لا يكاد يعقله رجل متمدن او رجل انسان » !

علم النفس الحربي

مكتبة النهضة : ٢٩٦ ص ك

يعترف عالم اليوم بما اداه علم النفس من معونة جليلة في الحربين العالميتين ، ويقدر المكانة التي شغلها علماء النفس في الميدان ،

التاريخ : ١ / ٧ / ١٩٥٢

تقديرا بكفاء مابذلوا من جهود لا تقدر بثمن

ولقد يكون من الاسراف أن يقال أن العناية بالحالات النفسية للجنود ، ظاهرة مستحدثة في الحروب الاخيرة ، فلقد عرفت البشرية شيئا من هذا منذ كانت ، وما الاساطير المأثورة التي استخدمت في الحروب من قديم الزمان ، سوى مظهر للاعتراف بقيمة الحالة النفسية للجنود ووجوب رعايتها والعناية بها ، غير ان تقدم علم النفس في العصور الحديثة ، واتساع آفاقه ، وتعدد مجالاته ، قد جعل منه اداة ذات شأن وخطر في الحروب ، بعد أن كان مجرد تجارب بسيطة محدودة المجال

ومصر اذ تتطلع اليوم الى غد مرموق يصلها بماضيها الحربي المجيد ، وتعد لذلك الغد عدته من سلاح مادي ومعنوي ، تحتاج الى أساس من الدراسات الفنية تقوم عليه نهضتها المرجوة ، وهذا هو « الدكتور محمد عثمان نجاتي » مدرس علم النفس بجامعة فؤاد ، يتقدم الى أمته بدراسته العلمية في (علم النفس الحربي) الذي تفتقر اليه المكتبة العربية .

وللبحث صبغته العلمية ، من حيث ارتكازه على نظريات علم النفس وتجاربه ، لكن الدكتور نجاتي حاول قدر المستطاع ، ان يبسط اسلوبه في عرض النظريات الخاصة بسلاح البصر في الميدان ، وادراك الابعاد ، وتقدير مسافات الاهداف ، وفن التمويه ، والتوازن ودوار الحركة ، وحاستا السمع والشم في ميدان الحرب الخ

والمؤلف يرجو — ونرجو معه — ان يؤدي هذا الكتاب غرضه ، ليهتم الجيش بالاستعانة بخبرة علماء النفس في اعداد الافراد المحاربة

بنت الشاطىء

(من الاهرام)

التاريخ : ٦ / ٧ / ١٩٥٢

في حياتنا

رائد الضمان الاجتماعي

شاء الله ان اقرأ في صحيفة امريكية مقالا عما تدين به مصر لامريكا من فكرة الضمان الاجتماعي ، في الوقت الذي يذاع فيه نبأ اختيار « معالي الاستاذ الشيخ محمد احمد فرج السنهوري » وزيرا للاوقاف . فقد ذكرت على الفور قضية هامة عرضت على معاليه عام ١٩٢٠ حين كان قاضيا لمحكمة « نجع حمادي » الشرعية ، فاصدر فيها حكما خطيرا اقر به حق الفقير والعاجز على الدولة ، وذلك الحكم يكفي وحده لان يرد على اولئك الذين يزعمون - واهمين او متجنين - ان فكرة الضمان الاجتماعي بعامة ، واردة من امريكا !

▲▲▲

وخلاصة القضية ، ان امرأة فقيرة معوزة غاب عنها زوجها غيبة منقطعة ولم يترك لها سوى طفل فقير مريض ليس له من ذوي قرباه من يعوله ، فتقدمت الى المحكمة الشرعية شاكية ، فحكم لها فضيلة الاستاذ الشيخ فرج السنهوري بفرض نفقة شرعية لها ولابنها من زوجها الغائب ، وقرر فضيلته « الزام حضرة صاحب الدولة يوسف وهبه باشا وزير المالية المصرية ، الذي هو والي بيت مال المسلمين - اذ ذاك - في مصر ، باداء هذا المفروض الى المدعية ، ليكون دينا على زوجها يرجع به عليه بالوجه الشرعي »

وجاء في حيثيات الحكم : « ... والمدعية عاجزة شرعا لانها انثى والانوثة عجز ، وابنها مريض فقير فهو عاجز حتما ، فنفقتهما - لولا وجود الغائب - مستحقة في بيت مال المسلمين ووزارة المالية هي ذلك البيت

« على ان العدالة والواجبات الاجتماعية احتمان على وزارة المالية ذلك ، لما فيه من صيانة الاعراض ورعاية الاطفال والتقليل من نشر الاخلاق الفاسدة وارتكاب الجرائم ، والقضاء على الفوضى ، وكل راع مسئول عن رعيته .

« والمحكمة قد عرضت على مندوب وزارة المالية ارسال المدعية الى احدى التكايا والولد الى المستشفى ، فاجاب بما تضمن ان ذلك غير ميسور فيما يعلم »

وهذا الحكم ، صدر في الجلسة المنعقدة علنا بمحكمة نجع حمادي الشرعية ، يوم الثلاثاء ١٣-١-١٩٢٠ صدر منذ اثنين وثلاثين عاما ، قبل أن تفكر امريكا في توريد مبادئ الخدمة الاجتماعية ونظمها الى الاسواق الشرقية !

وهذا فاضينا الفقيه قد الزم الدولة باداء حق العجزة من بيت المال ، متكئا على الاصول والمبادئ الاسلامية ، واحكام فقهاء الشرع الذين قرروا ذلك الحق منذ زمن بعيد

ان فقهاء المسلمين قد عينوا موارد بيت المال وحددوا مصارفها ، بحيث يذهب الفقراء والمحتاجون باكثر هذا المال . وان تاريخنا الاسلامي ليطالعنا بمحاولات كريمة لاولي الامر من المسلمين ، دلت على شعور مبكر فيهم بكرامة البشرية ، وايمان بما لها من حق في الحياة الصالحة . وما هنا مكان الاحصاء الكامل لتلك المحاولات ولا هاهنا أوان التتبع الدقيق المفصل لتاريخ الضمان الاجتماعي في حياتنا ، وانما حسبي من ذاك المثل او المثلان ، دليلا على ما اتجهت الحياة الاسلامية اليه في تطبيق فكرة الضمان .

من ذلك مارواه التاريخ ان « الوليد بن عبد الملك » اجرى على العميان ، واصحاب العاهات ، والمجذومين ، وجعل لكل مقعد خادما »

وان « عمر بن عبد العزيز » كتب الى امصار الشام ان يرفعوا اليه كل اعمى في الديوان ، او مقعد ، او مفلوج ، فامر لكل اعمى بقائد ، وللآخرين بخدم . كما امر ان يرفعوا اليه كل يتيم ، وفرض للدوالي والفقيرات »

واذا كانت تلك المحاولات الكريمة لاتبلغ ماتعرف اليوم من الضمان ، فما ذاك الا لان ظروفا لم تكن موالية ولا معينة على ادراك فكرة الضمان وتمثله في صورته هذه ، فلما تقدم الزمن ، كان احد فقهاء الشريعة الاسلامية هو الذي سبق الى اعلان حق الضمان وصيغها وصيره حكما قضائيا قبل أن تخرج امريكا من عزلتها التاريخية ، وقبل ان تولد وزارة شئوننا الاجتماعية باكثر من ربع قرن من الزمان !

▲▲▲

لقد قامت الدنيا يومئذ وقعدت ، واستكثرت الآذان ماسمعت من فضيلته

وبحث التفتيش الشرعي في الموضوع ، واستغرق بحثه نحو عامين ، اصدر بعدهما المنشور رقم ٢٦ لسنة ١٩٢٢ ، بتوجيه نظر المحاكم الشرعية الى عدم سماع هذه الدعاوى

وكتب التفتيش مذكرة في قضية نجع حمادي لم يملك فيها ان ينكر ان نفقة الفقير واجبة شرعا في بيت المال ، لكنه لم يسلم « بان هذا الحق يدخل تحت القضاء ، او انا نستطيع ديانة وادبا الزام ولي بيت المال بمقدار محدود من النفقة ، يعطى لكل فقير يطلب ذلك بالقضاء »

ثم اراد الله لفضيلة القاضي الفقيه ، ان يرى الدولة تعترف في عام ١٩٥٠ بانها ملزمة دينا وادبا وقومية وانسانية ، بضمان حق الفقير والمحتاج

وسمع فضيلته من يقترح في جلسة مجلس النواب التي اقر فيها مشروع الضمان - ٢٨/٦/١٩٥٠ - « ان يتقدم كل مستحق الى المحكمة الشرعية لتفصل في امره »

▲▲▲

فلتكن كلمتي هذه تحية لمعالي الفقيه الرائد الذي يتولى اليوم « وزارة الخير » لتستبشر مصر بمعاليه ، ونرجو ان يكتب صفحة جديدة في تاريخها الاجتماعي

بنت الشاطئ
« من الاهرام »

التاريخ : ٨ / ٧ / ١٩٥٣

كتب جديدة

ديوان عزيز
الشاعر الشهيد

الهلت اقرأ ديوانه وملء مسمعي اصداء النغم الفاجع والرثاء الحزين ، ولم اكن في الحق التمس في الديوان شعر الشاعر ، فما عرفت الشهيد من قبل سوى الشاب المناضل الجرىء الذى يتقد حماسة ووطنية ، والمحامى النبيل الذى يقدس الحق ويهيم بالحرية ويعيش لها

واحسب لو ان « عزيزا » لم يمت تلك الميتة البالغة الفاجعة ، لما عجلت بقراءة ديوانه ، ولما همهمت النفس فيه صوت الراحل الذى لقى شهيدا فى الميدان ، فترك فى قلب كل مصرى جرحا ، وفى كل حبة من الارض الطيبة مأتما ، غير انى لم اكد اجاوز الصفحات الاولى من الديوان ، حتى بدا لى منه الشاعر الملهم الاصيل ، الذى خسره الفن بقدر ما خسره الوطن

▲▲▲

بدأت البشائر الاولى من شعر عزيز تلوح فى افق محدود منذ كان طالبا فى السنة الرابعة بمدرسة الجيزة الثانوية عام ١٩٢٦ ولا يخطىء الناقد فى تلك المحاولات المبكرة آثار التقليد واحتذاء المدرسة القديمة فى اللفظ والصياغة والاداء ، مع سذاجة بادية وغلو واضح :

لو قد رأتك الشمس سافرة لما
طلعت ولاكتمل الكسوف خدورا
واذا رآك البدر ولى مسرعا
خجلا ، ولاكتمل الخسوف دهورا
واذا رآك الغصن احنى عوده
خجلا ، وطأطأ رأسه مكسورا
هيفاء اسكرها الجمال فمايلت
وسط الرياض فخلتها مخمورا
سبحت على مصائب اورانها
سبحت على جهل لذا معذورا

▲▲▲

جعلتني ، وجسمي ، والفؤاد ، ...
بيد ، سقيم ، دائم الخفقان
ولقد اكتسبت الدهر ضيعة معشر
حسبوه يقتسم راحة السلوان
والبيتان الاخيران يذكراننا بقدر ما فيه التهويمة فى الحريات الارن المائى ، كما تذكرنا قصيدة « عزيز » :
ماتت كالورد فى الصبا
مات مثل الورد فى اسنانه

بقصيدة « ... » فى انتحار الطلبة ، والطالع واحد او يكاد .

على ان تأثر « عزيز » بمن سبقه من الشعراء ، لم يحل دون ظهور ملامح اولية من شخصيته الفنية ، بشرت بمولد الشاعر الناضج المطبوع ، نفى قصيدة له نشرت بمجلة الارادة عام ١٩٢٧ هتاف مبكر للطموح ، والعلا ، والتعصب للمرض وللفروسية ، والتعاون الاجتماعى ، وفى قصيدته « اللذنب ذنب الوالدين » — وقد نشرت فى العام نفسه — تبدو شخصية الشاعر الذى يهتم بمشكلات المجتمع من حوله ويصور مآسيه .

ثم لم تك الا سنوات معدودات ، حتى تخلص « عزيز » — او كاد — من آثار التقليد ، فيروعنا منه فى قصيدته التى رثا بها صديقا له مات عام ١٩٣٠ ، نغم اصيل مؤثر ، يعبر عن شعور عميق بمأساة الموت ، ويرجع اصداء وجدان يقظ وحس مرهف ، ويترجم الملامة الفلسفية ، ترجمة شعرية ناضجة ساحرة الايقاع :

يا « ابى » صبرا جميلا خانها
ما تواتى القلب من سلوانه
كلكلى يا « ام » دمعا قانيا
كعقيق الدر او مرجانه
ان يكن قد مات فى شرخ الصبا
فهو اعطى برضا رحمانه
يا عبير الورد فى وادى الجنان
وطاهر الروح فى رضوانه
لم تر العين هضيما مثلما
كان فى الاطهار من اقرانه
ام تجعلنا من الموت ومن
عالم الروح ومن سكانه
ثم اعصر هذه النفس الخضرا
فى واحى القلب من اللذاته

انه الشاعر الملهم ! ! أكان يرثى نفسه فى زميل دراسته ورفيق صباه ! أكان يتمثل اباه الشيخ الثاكل ، يبكى بعضه على بعضه ، فيرثى على سمعه لحن العزاء

وبعدى عام واحد ، فاذا بصحيفة الجامعة تنشر فى عددها السادس عام ١٩٣١ — نشيد « اسامى يا مصر » وفيه نسمع صوت الشاعر القومى الذى رأيناه بعد اعوام فى ساحات

التاريخ : ٨ / ٧ / ١٩٥٢

المحاكم ، وعلى صفحات الصحف ، وفي قاعة البرلمان ، يهز أعواد المنابر هزا ، ويحيي صيحة الحرية والكرامة بملء شبابه وحماسه وإيمانه :

اسلمي يا مصر على مر القرون
حسبك الله نصيرا ومعين
لن تساني أنت يامهد الفخار
وهذا بعض النشيد المصري
من كان ليصلاة مصر لا يهب
ساحة البذل والفداء المصون
لا تسلني أن لصباني المصري
أصبر داء مادعاني أم جنون !
لا تسلني ، لا تسلني ، لا تلم
هو داء في صميم الدم يسري
لا رعاك الله يامهدا مضى
مهد نفسي والشباب والمنى
محلية لا مهد الشباب يوما
جلوع الصبر لهما والصابرون
فعلني بالحرث والنسل معا
وأسارت مهد كسرى وقرون
لا تسلني ، لا تسلني ، لا تلم
هو داء في صميم الدم يسري

وإذا لنشهده في شباب مصر عام ١٩٢٢ ، ثم لساعده الوطنية بعد عشرة أعوام ، ثم صيحاته من وراء قضبان السجن عام ١٩٢٦ ، لنرى الشاعرية الدالة المرهفة ، أميم بأكرم المثل ، وتشارك أبعد الغايات .

ثم دع ذا ، واصغ إلى ألحانه في الرثاء ، وإلى مناجاته للشاعر ، وتسهيلته ، حين بين الأحياء ، والقيثارة المحطمة عام ١٩٢٤ ، فإذا بك أمام الشاعر الملهم الذي سمعته يبكي صديقه عام ١٩٣٠ ، وله رثت منه الحجب ، ودرلت أمامه الأستار ، وقلت مشاعره ترق وتدق ، ووجدانه يرهف ويصفو ، حتى بلغ مرتبة « الإشراق » الذي نكاد لا نعرفه في غير

شعراء الحلبة الأولى من المعاصرين :
يالثارى الكف ماذا أضمر القدر !
ولا عليك إذا لم يعدل الدهر
وما اهتمامك يامصر ! هيه منثرة
وهيه الزبداء وجدى عمرو أو عمرة
يا ليك بالليل ثائرا بين أسطرها
ماذا يدل عليه الضحك والأثر
خير من الفأل ، لا يجزل لسانحة
شدى كبارحة ، والشر ينتشر
هل أنا الله في عمري إلى أجل
يلح فيه على الوهم والسكر !
أم أنا في مسبح الحوت منقلبي
يوم الرحيل إذا زارني البشر ؟
قل ما بدا لك ، وأصرف غير مبتدع
فالرجم بالغيب ساو كدري — هو الهذر
اللحد كالمهد ، والأكفان واحدة
ولا خيار لديه ، حين يقتدر !

إلا الرحمك الله أيها الشاعر الملهم ! لرحمك الله غائبا كحاضر ، وبعيدا كأدنى ما يكون القرباء ، وميتا كأحيا ما يكون الأحياء !

وفي ختمي الذي اختارته لك تعطفت ، بعدما كانت عرائسك ماشت :
حتى إذا طمع السباع طرحتها
وأويت أعدا ما تكون جوارها
ولقد عليك حياتها ، إذ تهتها
بالله عليك ، إذا قدحت أوارها
لولاك ما نطقت بآه حسرة
يوما ولا شق الحنين إزارها
مات عروس الشعر أول لقائها
والعرس مهتز ، راويا أشعارها
وحكى الصدى الحانها المتجاوبت
مدمعا ، والذل معها معارها !

بنت الشاطئ
« من الأمناء »

التاريخ : ١٣ / ٧ / ١٩٥٢

كتب جديدة

الحياة الفكرية في مصر الحديثة

هو البحث المجدي الذي قدمه استاذنا « الدكتور محمد كامل حسين بك » في حفلة استقباله بالمجمع اللغوي . ولقد اتيح لي ان اكون من جمهور الحفل الذين اصغوا مستمعين الى ذلك البحث الفكري الاصيل ، وودوا اذ ذاك ان يتاح لهم الظفر به مطبوعا ليكون بين ايدي الدارسين والنقاد بمادة للبحث ومرجعا ، ذلك لان دراستنا الادبية – كما قلت غير مرة – تفتقر الى هذا الصنف من الدرس الذي يجمع بين عمق التفكير ودقة الاداء ، ومن هنا كان الترحاب الحار الذي قوبلت به ابحاث طبيبنا الاديب منذ ربع قرن او يزيد . يوم كان الدرس الادبي عندنا يقوم على التفنن في الالفاظ وصياغة العبارة ، دون عناية بصحة الاسلوب وضبط التفكير .

وهذا البحث الذي اخرجه اليوم مطبعة مصر في طبعة انيقة دون زخرف ، يضع صفحاته الستين تحت مجهر الطبيب وبين انامل الجراح ، ليكشف عن دقائقها واسرارها لم يدون قلم الاديب برغمها في اسلوب اديب ، لقد برئ من اللغو والفضول ، وسلم من التكلف والصنعة والرياء .

اما فكرة البحث ، فناخذ من عاملين اثنين : اولهما ، الايمان بالفكر الحر وأثره البعيد النافذ في الحياة العامة . والثاني ، الاطمئنان الى حاضر البشرية والايمان بمستقبلها ، ايمانا لا يهزه ما نرى من ظواهر الشك والالحاد ، ولا يفسده الدلالات الى الامس وتقديس ما فات . « ولنناس ان يجادلوا في ذلك ما طاب لهم الجدل ، ولكن لاريب في ان نجم الفكر لم يأفل ... وان مستقبل البشرية الى الكمال لا الى الانحلال » .

بمثل هذا الايمان القوي ، ينظر استاذنا « الدكتور محمد كامل حسين بك » الى الحياة الفكرية في مصر مبتدئا من نقطة التحول الحاسمة في تاريخنا الحديث ، حين اتصلت الاسباب بيننا وبين التفكير الغربي بدخول الحملة الفرنسية ، فكان اعجاب بالفكر الغربي « يشبه اعجاب المراهقين بالكبار » وكانت هزة تحاول ان تدرك ما فات ، ثم تبدى لنا من الغرب جانب الاستعمار البشع وجاءتنا جنود الاحتلال باسرا ما في المدنية الغربية من جشع وقسوة وانانية ، فاضطربت حياتنا الفكرية اضطرابا شديدا ، وفقد اكثرنا ايمانهم بالمدنية الغربية ، وقامت بيننا حرب اهلية في ميدان الفكر ، واصبح الخلاف في الرأي ريبا في العقيدة ، وتدخلت السياسة فاشاعت في حياتنا العامة الاكاذيب المنسية وهي المدح والتكبات وابعدها اثرا .

وعلى مثل هذا النحو من التتبع الدقيق ، مضى الاستاذ الباحث يرصد مراحل السير لحياة الفكرية عندنا ، ويسجل ما استكملنا من مقوماتها ، وينبه الى ما شابها من هنات واخطاء ، ثم يدعو الى « درس خصائص التفكير والقوى التي اثرت فيه ، وما هو عليه اليوم ، وما يرجى له في الغد » .

« ومن لم نتناول ذلك كل جانب من هذه بالدرس الدقيق والنقد المتزن الرشيد دون ان يأخذه بصر الواهم ، او يتحلى من لذته في التحليل ، او بزاياه المتشائمة الى ان اكثر ما من عيوب ، صائر حتما الى زوال .

ومضى من بعد ذلك يعرض في ايجاز اهم الوسائل التي تحقق ما نرجو من غايات واهداف . وعنده ان الوسيلة الاولى هي العناية بالعربية ، « فان احدا لا يستطيع ان يأتي بعمل فني ذي خطر الا ان يكون ذلك بلغته ، والذين لا يملكون ناصيتها ، يظلون حياتهم لا يقدرون على شيء من الادب الرفيع ... واللغة اذا اضطربت ذهب رواؤها ، ويعيبها كثرة ما يقال : هذا خطأ وهذا صواب ، واحجام الناس عنها خوفا من صعوبة الجهل والوقوع في الخطأ » .

ويعد ليس الحق ان اقرر هنا ان البحث مجهد لقارئه ، فما باليسير ان يتتبع سير الحياة الفكرية في قرن ونصف من الزمان ، وان يلم باسرارها وخصائصها واخطائها ، واهدافها ووسائلها ، في مثل هذه العبارات الرصينة المركزة الموجزة ، التي لا تأذن بشيء من الراحة

او تسمح بالعمل لوضع رموزه من التفسير والإيضاح .

وما أكثر همينا من هذا فى بحث مجمعى ، لكنى اود لو وجد استاذنا الجليل من وقته ما يسمح له بان يفصل ما اجمل ، ويبسط ما أوجز لعل الدارسين من شباب الجيل وطلاب الجامعات ، يستطيعون ان يشاركوا ذلك الافق العالى الذى حلق فيه عرفه معاطيا الصفوة من رجال الفكر وقادة الرأى

النقد الذاتى

طبع العالمية : ١٢١ ص ق

يعرف القراء فى السيد « علال الفاسى » زعيم حزب الاستقلال» بطلا من أبطال الجهاد فى المغرب لكنه اليوم لا يكتب لنا بوصفه زعيما سياسيا يناضل فى معركة الاستقلال ، وانما يكتب كقائد من قادة الفكر ، هامته تجاربه مدى ربع قرن من الزمان ، ان نهضات الامم العربية بصورها — والها — اساس وطيد من سلامة الفكر وصحة الرأى ، حتى اذا ظفرت باستقلالها استطاعت ان تشيد بناء حياتها الجديدة شامخا راسخا ، وفى أمنة من التعثر والاضطراب ، محصنة ضد سموم الشك وجراثيم التفكك

وهذا كتابه (النقد الذاتى) يقدم محاولة مجدية فى سبيل تصحيح اساليب التفكير وموازنة النقد ، جمع فيه الزعيم المغربى خلاصة تجاربه الطويلة ، وثمرات مطالعاته الواسعة التى وصلته بمنابع الفكر فى الشرق والغرب ، وعرفته بكبار الفلاسفة والمفكرين ، وحدثته عن تجارب الامم فى البناء والتجديد

والكتاب ابواب اربعة ، يعالج اولها مسائل الفكر من جوانب شتى ، ليتحدث عن التفكير الاجتماعى ، وعن ارستقراطية التفكير ، وعن حرية التفكير ، وشموله ، وارتجاله ، وعن الفكر بين العصرية والمعاصرة

وفى الباب الثانى فصول متسقة عن الفكر الدينى والوطنى والادارى والسياسى والحزبى والنضالى

ويتتبع الباب الثالث ، أهم المحاولات التاريخية ، والحلول العصرية لمشكلة الاقتصاد

كما يختص الباب الرابع بالفكر الاجتماعى ، ليدرس مسائل العائلة والتعليم والصحة العامة والجهاز الاجتماعى والنظام النقابى

والاستاذ السيد « علال الفاسى » فى معالجته لهذه القضايا الكبرى ، ياخذ بمناهج الفلاسفة فى البحث والنظر ، ويغلب على أسلوبه طابع علماء الاجتماع فى دراساتهم النظرية ، لكنه استطاع ان يلائم بين هذا الدرس النظرى لقضايا الفكر ، وبين النقد الذاتى الصريح لما يعرف من أمراض المجتمع الشرقى واخطاء اساليبه فى

التفكير ، تدفعه الى ذلك كله نية صادقة فى الاصلاح ، ورغبة مخلصة فى التعمير والبناء .

طريق الطرق

مطبعة مصر : ٦٠ ص ق

هى المسرحية الرمزية البارعة التى صاغها « الدكتور بشر فارس » باللغتين العربية والفرنسية ، لكانت موضع الاهتمام والتقدير وحسبها — او حسبنا منها — ان تقدمت الى الغربيين نموذجا من الفن المصرى الراقى ، فمثلت على مسرح Theâtre de Poche فى شتاء عام ١٩٥٠ ، ثم اخرجت باللغة الالمانية — نقلا من الفرنسية — على مسرح St. Peter فى مدينة سالزبورج صيف عام ١٩٥١

ولقد ظهرت القصة بالعربية لاول مرة عام ١٩٣٨ ، فرأى فيها النقاد أسلوبا مبتدعا فى تصوير دمى بشرية ، امثالها الزلف ومن تعيش فى زاوية لقيرة من البيئة المصرية ، حائرة مجهدة ترهقها الحياة الجائشة فى أعماقها ، ويثيرها السر المتهيب الذى تطوى عليه بشريتها ، لم تملك فى النهاية سوى الاستسلام لقدرها المحتوم ، والسير فى طريقها المرسوم

ومضى على ظهور القصة فى القاهرة اكثر من عشرة اعوام قبل ان يظهر نصها الفرنسى فى المجلة المسرحية بباريس عام ١٩٥٠ ، ويتاح لها ان تخرج على المسرح الغربى ، وهنا يعرض سؤال : لم احجم المسرح المصرى عن اخراج مسرحية « مفرق الطرق » وهو كان اولى بها الحق ان للقصة موضوعها ، وظلالها ، وأسلوبها ما ينأى بها عن مسرحنا ومن يمثلنا ، فقد ابتدع « الدكتور بشر فارس » شخصياتها الثلاث من صميم البيئة المصرية ، بأوصافها ومظاهرها ، لكنه صاغ على السنتها حوارا فلسفيا رمزيا لا يصدر عن مثلها ، وهام بها فى آفاق الحرية وتغيبه تاهت ، لا تدرك اوهامها

على ان هذه الطبعة الثانية للمسرحية ، قد تكفلت بالقاء اضواء جديدة على الظلال التى حفت بالنص فى طبعته الاولى ، فبين يديها اليوم ، فاتحة وتصدير وتوطئة فسرت أهم الرموز وجلت اكثر الغموض ، ثم قدمت المسرحية بعد هذا التفسير للذهن ... الشخصية من شخصيات القصة دون ان يغفل « الدكتور بشر » شخصية « الثانى » التى كانت الحانة البارعة ، ان لونا لنا من ... التعبير عن خفى الخلجات وكامن ... وقادهن الرأى ... الاحلام .

بنت الشاطىء

[من الاهرام]

التاريخ : ٢٣ / ٧ / ١٩٥٢

كتب جديدة

المعلقة الثامنة !

قصيدة لعبد العزيز فهمي باشا

لعل احدا من القراء ، لا يعرف ان معالي الفقيد الكريم ، شيخ القضاة ، عبد العزيز باشا فهمي ، كان ممن ينظمون الشعر ، بل ان مبلغ علمنا من صلة معاليه بفن القول ، انه كان يكتب باسلوب عربي جزل مبين . ولذلك كانت مفاجأة للدوائر الادبية ، ان تنشر اليوم قصيدة لمعالي الفقيد الكريم ، بلغت عدة ابياتها ثلاثمائة وستة وثلاثين ، وهو عدد قل ان تراه قصيدة عربية ، ذات قافية واحدة وعلى بحر واحد ...

ويقدم « الاستاذ عبد الحميد عمر » بمحكمة النقض « بين يدي القصيدة » حديثا لطيفا عما يعرفه حضرته من صلة الفقيد بالشعر واشتغاله به ، فاذا معاليه قد عالج النظم لاول مرة عام ١٨٨٦ وهو اذ ذاك طالب بمدرسة الحقوق . ولكنها كانت مرة واحدة يتيمة ، مضت بعدها اعوام قاربت اربعة وستين ، لم يقل ـ رحمه الله ـ خلالها بيتا واحدا ، حتى كان منتصف عام ١٩٤٩ وقد زاره سعادة محمد العلمي الجزايرلي باشا وحياه ببيتين من الشعر فاذا بمعالي القاضي الشيخ ، يعاوده حنين مفاجيء الى الشعر ، فينظم ابياتا يرد بها تحية صاحبه .

ثم بدا لمعاليه ان يعكف على النظم ، فراح يسلي عزلته بتلك الرياضة الذهنية اللذيذة ، وما زال يعلي القصيدة بيتا بيتا ، حتى اربت على الثلاثمائة بيت ، على روي « الدال » عالج الشاعر فيها كثيرا من المسائل الاجتماعية والاخلاقية والادبية

▲▲▲

وفي القصيدة مجال للدرس الناقد ، يعرض له الخبراء بموازين الشعر ومقاييسه الفنية والتقليدية ، ويهتم بها طلاب الدراسة الادبية كقصيدة ذات طابع خاص ، تسجل خواطر قاض شاعر ، وتترجم آراءه ومشاعره ، حين جاوز قمة النضوج ، وعرك الدنيا وبلا الناس ، ويحسبنا هنا ان ننقل الى القاريء من مطلع هذه المطولة العصماء ، مقطعا يعطي فكرة عن اسلوب الفقيد في النظم .

قال رحمه الله :

ياحادي العمر ابعدت المدى امني
[illegible] عصاك وخلصني من الكمد
تسع وسبعون ميلادية عبرت
قضيتها بشقاء الروح والجسد
ان ساءني الطبع الجأني الى دعة
صالت على الاماني صولة الاسد
في اثرها رحلة اللذات تحسبها
[illegible] ولهانة تعطو الى ولد
لكن عدتني الاماني كلها كذب
وصابها [illegible] في الدهر واحد
[illegible] وانا المسرور [illegible]
انا [illegible] ، وانا [illegible] الورد
[illegible] تسكن نفسي والمنى درج
مسلسلات بلا حصر ولا امد !

اجل ، حسبنا ان ننقل الى القاريء هذا المقطع ، وندع الكلمة بعد ذلك للنقاد والدارسين

كيف انشئت الولايات المتحدة ؟

لم يعد ابناء هذا الشرق ، في غنى عن الاتصال بالعالم الجديد ومعرفة تاريخه على حقيقته فمنذ خرجت امريكا من عزلتها وظهرت فجأة على المسرح الدولي ، اشتركت في توجيه السياسة العالمية وتقرير مصاير الشعوب ، وصارت لها كلمة نافذة وصوت مسموع ، في هذا الشرق الادنى ، وطننا الاكبر ومثوانا الغالي

وقد نشرت « دار المعارف » اخيرا كتاب « كيف انشئت الولايات المتحدة الامريكية » الذي الفه « ج . ب . وايت » وترجمه « الاستاذ حسن جلال العروسي بك » في الوقت الذي زاد فيه اهتمام قراء العربية بشئون الولايات المتحدة ، مع افتقادهم في مكتبتنا ما يرضي هذا الاهتمام ، ويشبع الرغبة في الاطلاع على تاريخ دولة تلعب دورا ذا بال ، في تاريخ العالم الحديث

▲▲▲

وقد تتبع المؤلف مراحل النشأة الاولى للولايات المتحدة ، والصراع المرير بينها وبين الانجليز في سبيل الاستقلال ثم تطور الدستور الامريكي ، ومتاعب الحروب الداخلية (الحرب الاهلية وحرب تحرير العبيد)

كما تعرض الكاتب للمشكلات والاحزاب السياسية هناك ، ملقيا ضوءا على معركة الانتخاب لرياسة الجمهورية ، وهي المعركة المحتدمة الآن في امريكا ...

والكتاب مترجم بلغة سليمة واسلوب قوي ، يستمد قوته من بساطة التعبير ووضوح الاداء ...

بنت الشاطيء

(عن الاهرام)

التاريخ : ٢٨ / ٧ / ١٩٥٢

من بعيد

الجماد الثائر

للدكتورة بنت الشاطئ

كنا في قاعة الطعام نتناول غداءنا ، عندما أعلن المذيع بلسان الباخرة سوف تمر بـ « سوسطا » قبيل الغروب ، فتلقى الركاب النبأ الذائع في فرحة ظاهرة ، وقاموا بقية يومهم على ظهر المركب متأهبين أن يشهدوا المشهد الفريد ، على متعة الفهلوة في ذلك القمر الحالم !

وكنت قد شهدت العبور غير مرة ، شهدته في جلوة الفجر وفي شفق الذهب وفي المساء الساجي والأصيل الفاتن ، فأرقب هذه المرة أن أجتنب الزحام وأدع لسواي من السفر الذين يركبون البحر لأول مرة، لذة اجتلاء المشهد الرائع ، حين يلوح الساحل الصخري من بعيد ، بعد أن ظلت السفينة يومين كاملين لا ترى من الأرض معلما ..

وتناهى الى سمعي ضجيج الركاب وهم يستقبلون معالم الحياة الأرضية وهي تبدو واحدا بعد الآخر من وراء الأفق السائق ، ويتبادلون التحية مع أصحاب زوارق الصيد الصغيرة الراسية ، التي حفت بالسفينة الضخمة تزفها وهي تمر المضيق في أبهة وجلال

وعاودني الشوق الى اجتلاء المشهد الساحر للمرة السابعة ، فانتبذت من الرفاق مكانا قصيا ورحت أرنو في خشوع الى عروس الماء وهي تختال في معبرها بين الجبال الشم ، وكان الجو سحرا والبحر ساجيا والسماء مرشاة بوشاحها الرقيق الوضاء

وأذنت الشمس بمغيب ، وبدأت أضواء الشفق تنبثق من بين الذرا حمراء ساطعة ، كأنها شات المشاعل ... الباخرة وهي تنساب من المضيق وتستقبل الفضاء الرحب

ولم تكن نشوة المشهد قد زايلت الركاب بعد ، حين أعلن المذيع أن الباخرة سوف تمر ببركان « استرامبولي » في الساعة العاشرة من ذلك المساء ، فإذا الركب ينطلق عائدا الى الشرفات الشرقية للسفينة في تزاحم يذكر بالحشر ، ومضت ساعة وبعض ساعة ، ولا حديث القوم سوى هذا البركان الذي ملا اسمه الدنيا وشغل الناس ، منذ اقترن باسم « انجريد برجمان » عدة الشمال وفاتنة الغرب تلك التي وفدت على ايطاليا بأثرة مضللة .

فإذا بها تواجه الدور الذهبي الرائع في قصة رائعة مؤثرة مثيرة ، لم تكن تنتظر أنها ستنال ..

واحسست في أعماقي بزلزال إثر الرجيب ، حين ذكرت ما عانت وعانى من محنة التمزق ، حين أعلن عليها ... تدافع لمن حولها قالوا رهيبا ... من ... كيد أنها ... ، ... هنالك بعيدا وراء الأطلنطي ومعها ... أم مرهفة

وتدفقت الملاى فجأة حين اطفأت الباخرة أنوارها جميعا ، فحدقنا في الشرق فإذا كتلة ضخمة من الصخر تبدو على ضوء المجذوم النحيل ، صامدة متجهمة بادية الوجوم !

لم ... سوى دقائق معدودات ، حتى انبثق من قمتها عمود الدخان الفاحم ، اندفعت على أثره السنة من النيران الحمر ، ترمي بشرر كالقصر !

ووجمت السماء برهة أمام غضبة البركان ، وخبا الشعاع الهزيل الذي كانت النجوم ترسله لم ذهب في تلك الدفقة الدامية من النور الأحمر ، وأمسك النيل أنفاسه وهو يصغي معنا الى تنهدات الصخر الثائر الهادر

لم ... كل شيء فجأة حين كف البركان من تنهداته الملتهبة وعاوده وجومه الرهيب !!

وبقينا حيث كنا نحدق في البركان الذي يبدو ساكنا هامدا جامدا في جوه الجهم ، وهم بعضنا بأن يثوب الى مخدعه ، حين عاودت الصخر غضبته المارد ، فأخذ يقذف باللهب من جديد ، ويدفع الى السماء بكتل من الدخان متكاثفة راكبة ، فغلت الأفق كله بظلة ربداء !

وأمسينا ومالنا من سمر سوى ذلك الجماد الذي سكن أعواما حتى ظن به الخمود والموت ثم إذا به فجأة ينفجر متنفسا من كبت طال عليه الأمد ، فيا ليت شعري كيف يأمن الغرب المستعمر غضبة شعوب كريمة أرهقها الكبت

إلا أبقى العاسبون المستعمرون هذا البركان البشري الذي ظنوا به الجمود والهمود ، ولينظروا الى الجماد يثيره الكبت والى الصخر بلهيبه المتسلط ، فكيف بالأعصاب والدماء ؟!

... بنت الشاطئ

من بعيد

الكنوز المعطلة

للدكتورة بنت الشاطئ

لم تكن هذه اول مرة ارى فيها كنوز « سان بيتر » في مدينة الفاتيكان ، فلقد زرتها من قبل صيف عام ١٩٤٩ . لكنى اليوم وقفت امامها طويلا ، وفي اذنى صدى قريب من حديث سمعته على ظهر الباخرة منذ ايام

كانوا جماعة من الفرنجة زاروا مصر لاول مرة ، وهم في طريقهم الى بلادهم لا يجدون ما يتحدثون به هنا ، سوى العجب لهذه الكنوز التى تحتفظ بها مصر في متحفها الفرعوني المجيد وهي تعاني محنة اقتصادية كافرة ، لم يعد في وسع الدولة انكارها او تجاهلها

ويسأل سائلهم : ماذا على مصر لو باعت بعض هذه الكنوز المعطلة ، واستعانت بثمنها على مواجهة الازمة ، واقامة اسس راسخة لحياة اقتصادية تهيء للشعب سبيل العيش الانساني الكريم !

وكنت اسمع حديثهم دون ان احاول الاشتراك فيه ، وقد بدا لي – أول الامر ان القوم على حق او ما يشبه الحق ، فنحن نقاوم الازمة الطاحنة بالدعوة الى التقشف والتقليل في عجز سلاح خطر ، اذا تذكرنا ان اكثر اهلها لا يعرفون الحياة الا كفاحا قاسيا مريرا من اجل ما يمسك الرمق ويقيم الاود ، ومطالبة هؤلاء بمزيد من التقشف فيه معنى من التجاهل لواقعهم الاليم ، واذن فلا سبيل الى الاتكال على سياسة التقشف عندنا ، الا ان يكون معناها تعطيل مشروعات الاصلاح والكف عن الاعمال الانشائية الجديرة بان تزيد من مواردنا ، وهذا هو ما عنيته بقولي ان التقشف في مثل حالنا سلاح خطر ، لانه يحول دور الحكومة عندنا الى شبه ملجأ لموظفين لا يجدون عملا !

في مثل هذا كنت افكر عندما سمعت اولئك الغربيين ينكرون على مصر ان تشكو الفقر وفي ذاتات (توت عنخ آمون) وحدها ما يكفى لان تنال العطاء بدلا من الخبز ! ولعلى لو دعيت الى المشاركة في الحديث لجنحت الى الاقتناع والتسليم ، حتى اذا وطئت قدماي الممر الطويل المؤدى الى « كنز سان بيتر » في الكنيسة الكبرى ، اخذ بصرى فجاة وميض الذهب المتالق في نامتى الكنز ، حتى اذا الف الشعاع الوهاج تنبهت الى ان المكان يضيق بوفود من الحجاج والزائرين ، وكانت ساحة الكنيسة في الخارج تغص هي الاخرى بجموع حاشدة من السائحين ينتظرون دورهم لكى يزوروا الكنز الثمين

ماذا ! أولا تئن اوربا من الجوع والحرمان ! او لم تمر بها سنوات عجاف ، لم تكن تجد فيها ما يقيم الاود !او لا تعيش اكثر دولها على المعونة تستجديها من امريكا وتبتدع لها اسماء رنانة ، بتخلى وثيقها بالعمل من ذلة الاستجداء !

فيم احتفاظها اذن بمثل هذا الكنز المعطل ، وبين ابناء المسيح جياع محرومون ؟ !

ان ثوبا واحدا من هذه الثياب الكهنوتية المزركشة بعروق الذهب وثمين الاحجار يكفى لان يكسو فقراء الشعب الايطالى باسره ، وان قطعة واحدا من هذه الاوانى المرصعة باللؤلؤ والياقوت والماس ، يكفى ان يطعم الجياع في المنطقة التى يرعاها القديس بطرس صاحب الكنز . ومع ذلك ابت اوربا المسيحية ان تفرط في شيء من هذا الكنز وان اضر بابنائها السغب والجوع .

ذلك لان هذه الذخائر الثمينة لم تعد ملكا لامة او شعب ، وانما هي جزء من التاريخ ، وما الشعوب التى ترث هذه الكنوز سوى حارسة امينة على التراث التاريخي ، لا تملك ان تتصرف فيه ببيع أو استبدال !

△△△

ومصر ليست بدعا بين الامم حين تحتفظ بكنوزها فلا تفرط فيها ؛ بل لعلها اولى من امم الغرب بان تفعل ، مهما يبلغ بها الفقر وتعصف بها عواصف الزمن وتقس عليها المحن والازمات ، ذلك لان الغرب في ازمته وغروره ، جدير بان يجحد ماضينا كله ، لو لم تظل هذه الآيات شاهدا على ما يدين لنا العالم به من حضارة ورقي . وربما لا تغنينا هذه الشهادة اليوم او غدا ، فما في دنيا الذرة مجال للحديث عن مجد عتيق وعز باد ، لكن الانسانية سوف تخلص حتما من غبار المعركة ، وتسترد ايمانها بالحضارة والفكر ، وتجد في بناء ما هدمته الذرات المحطمة هنالك تكفيرا من سيئات عهد اباح للغرب ان يستعبد امرا بعيد عن سنن التاريخ منذ كان !

△△△

لم يبق بعد هذا كله الا ان تراث آبائنا الغالي خليق بان يحفزنا دائما الى ان نكافح ونجد ، لكى نرد على مصر مجدها القديم ، ونبنى لها مثل الذى بناه آباء لنا واجداد قرابين ، تحدوا الفناء وقهروا الزمن وادركوا الخلود !

ومعاذ الحق ان تكون هذه كنوزا معطلة ! انها الشعلة التى ظلت تنتقل عبر الاجيال والقرون دون ان تنطفيء او تخبو ، وكان شعاعها الوضاء هو الذى انار لنا الطريق خلال الظلمات المتراكبة والمحن المتعاقبة التى ابتليت بها مصر في تاريخها الطويل ، وكانت هي السر العتيد الذى حفظ على ارض النيل مصريتها فلم تفن في غاصبيها ولم يقض عليها محتل اليم ! .

روما

كتب جديدة

في المكتبة الفلسفية

مشروع للسلام الدائم

هو حلم البشرية منذ جاوزت دور الغابة واستشرفت الى الامن والاستقرار ، والفكرة التى شغلت الفلاسفة من قديم الزمان . حمل الرواقيون لواءها منذ القرن الثالث قبل الميلاد حين اهابوا بالانسانية ان تحرر نفسها مما يفرق بين الانسان واخيه الانسان من فروق اللغات والاديان والاوطان ، ونظروا الى الناس كانهم اسرة واحدة ، قانونها العقل ودستورها الاخلاق

والى هذه الفكرة دعا « الفارابى » فيلسوف الاسلام فى كتابه (آراء أهل المدينة الفاضلة) منذ القرن العاشر الميلادى ، حتى اذا كان القرن الثامن عشر ، وضع الاب « دوسان بيير » مشروعا لانشاء حلف دائم من الدول المسيحية يضمن لكل دولة مشتركة فيه ، سلامة ارضها « وحماية اوربا من اى اعتداء جديد تقوم به دول الاسلام »

غير ان الفيلسوف الالماني « كانت » جاوز هذا الافق المحدود ، واذاع آراءه فى الحقوق الدولية ، وضمنها اساسا لفكرة السلم كما يفهمها التاريخ الحديث . و « كانت » هو واضع الاصطلاح الالماني

الذى اطلق بعد وفاته بنحو قرن وربع قرن ، على « عصبة الامم » . وله رسالة مشهورة عنوانها « مشروع للسلام الدائم » نشرها عام ١٧٩٥ ، وقيل ان « الرئيس ويلسن » كان يحتفظ بنسخة منها لقراءته اليومية

وقد اعلن « كانت » فى مشروعه ذاك ، ان انشاء حلف بين الشعوب ، هو السبيل الوحيد للقضاء على شرور الحرب وويلاتها . ويتكون هذا المشروع من ست مواد تمهيدية أو كما سماها ، مواد سلبية ، تليها ثلاث مواد أساسية ايجابية

اما المواد الست الاولى ، فخلاصتها : ان معاهدات السلام لا تكون سبيلا الى السلام ، اذا لم تخلص نية عاقديها . ولا يجوز لدولة مستقلة ان تملكها اخرى بطريق الميراث او التنازل او الشراء او الهبة ـ ويجب أن تلغى الجيوش الدائمة ، والا تعقد قروض وضعها من اجل المنازعات الخارجية للدولة ، ويحظر على كل دولة ان تتدخل بالقوة فى نظام دولة اخرى او حكومتها ، كما لا يسمح لدولة فى حرب مع اخرى ، ان ترتكب اعمالا من شانها استحالة اعادة الثقة بين الدولتين

واما المواد الثلاث الاساسية ، فتوجب ان يكون الدستور المدني لكل دولة ، دستورا جمهوريا ، وان يقوم القانون الدولى العام للشعوب ، على اساس التحالف بين دول حرة ، وان يكون حق النزيل الاجنبى ، مقصورا على اكرام مثواه

تلك هى مبادىء السلام الدائم فى مشروع « كانت » الذى ترجمه « الدكتور عثمان أمين ـ الاستاذ بكلية الاداب فى جامعة فؤاد الاول » ترجمة واضحة يقدرها الذين يعرفون اسلوب « كانت » فى صعوبته وتعقيده . وقد كتب « الاستاذ يوسف كرم » الى الدكتور المترجم ، يشهد بما بذل من مجهود منهك فى متابعة الفاظ « كانت » وتاديه عباراته ، ويثنى على هذه العناية باذاعة افكار نبيلة ، تقدس الكرامة الانسانية وتبشر بها فى شجاعة وايمان

المنطق الوضعى

هى محاولة جريئة يريد بها « الدكتور زكى نجيب محمود » مدرس الفلسفة فى جامعة فؤاد ان يقيم المنطق على قواعد صحيحة دعمها المذهب الوضعى ونحى منها ما خالط القواعد القديمة من عناصر الضعف والجمود ، وما شابها من فضول وعبث ، لكى يسلم المنطق لنا اداة قوية فعالة فى ضبط الفكر وتصحيح النظر

والمحاولة شاقة مجهدة ، والغاية بعيدة المنال لكن « الدكتور زكى نجيب » استعان عليها بالصبر والداب والبذل ، فكان هذا الكتاب الذى يقدمه بين ايدى الدارسين ليكون ـ كما قال فى مقدمته ـ بمثابة « الاساس من البناء الذى صح منى العزم على اقامته طابقا فى اثر طابق ، تجىء كلها لدعم المذهب الوضعى فى شتى نواحيه »

بنت الشاطىء
« من الاهالى »

التاريخ : ١٣ / ٨ / ١٩٥٢

من بعيد

الأسطورة المشئومة

للدكتورة بنت الشاطئ

... النفس أن التى مشلة على المنحدر ... الوعر قرب احدى القمم العالية فى ... الغرول . كان شيخنا راعى القرى ... البصر ، يحمل على كاهله عبء ستين ... تقريبا سبعين عاما ، اما الذى جاء به ... الهضبة المضطربة البارزة التي لم تكد ... الا بعد أن تقطعت أنفاسنا وارتجفت ... وكادت اقدامنا من فرط الاعياء تسلمنا ... مهاوية !!

... حسبه بعضنا واحدا من خلفاء الجهال ... رأس القافلة الذين يقضون العمر او ... فى بقعة بعينها لا يخرجون منها ولا ... من الدنيا سواها ولا يبغون منها سواه ... لم تكد تحدث الشيخ علمنا انه يقطن ... السفح وانما صعد به الى ذاك المنحدر ... سعياه فى سبيل انجاز عمل ظل يحلم ... اعواما طوالا ، ولا يريد ان يرحل من ... قبل ان يحققه !

واستطرد الشيخ يحدثنا من حلم شيخوخته ... : « كنت فى ابان رجولتي ومنذ ان تواتى ... هذا الماء ينحدر متدفقا من القمة العليا ... فى طريقه بدارنا ، ومتدفقا من بعد ذاك ... تلك القناة التي تروتها هنالك فى قاع الوادى ... حدثتنى نفسي ان انتفع بتلك القوة الهائلة ... تطلق موجاتها على بابنا متدافعة متلاحقة ... السيل الهادر ، لكنني دعيت الى الجندية ... فى الميدان اعواما ذات عدد ، رجعت ... الى بيتنا وقد اكلت الحرب كل الذى ... لنا من مال ورجال ، فاضطررت الى ان ... عما كان يشاغلني من آمال ومشروعات ، ... الكفاح فى سبيل الاسرة التى اعولها ، ... من الجوع والهلاك حتى اذا اعفتنى ... السنون من ذاك الكفاح الشاق المرير ، وكبر ... من صغار العائلة من يحمل عني اكثر ذلك ... رأيت ان اشغل هذه المرحلة من العمر ... العمل الذى ارجأته مرغما نحو خمس ... عشرة سنة او تزيد . وما تشغلني اليوم سوى ... فى السفح لاتتبع مسقط السيل وادعم ... كى احمى مياهه من التسرب او التشعب ... الانحراف وقد انتهيت من ذلك ما يقرب من ... الطريق ، ولم يبق الا ان اتم التلبهل ... الم اليم آلة على منحدر السيل بجانبها ... ، ليكون لنا منها على مر السنين قوة ... وما شئنا من طرات الكهرباء » !

وابتسمنا للشيخ ونحن نذكر له قصة ذلك ... القروي المجوز ، الذى مر به كسرى ... يحرث الحقل ، فلما سأله : لم الحرث ... يمهله العمر حتى اوان الحصاد ؟ اجاب ... : زرع من قبلنا لحصدنا ، ونزرع نحن ... لحصد ابناؤنا من بعدنا !

... « شيخ الغرول » هز رأسه وعبر ... قول :

« ليس الامر كذلك بالضبط وانما يرضى ... ان اجد فى شيخوختي ما يدفع عني ارهاق ... وللمة التعطل ويلوى الفراغ والخمول ... وأنى فى الوقت ذاته ، حقي فى الحياة » .

... ذكرنا الذى نسمع ، وسألناه : اما يعترف ... بحق الشيخ فى أن يستريح بعد ان ظل ... ضريبة الحياة حتى سن الستين !؟

... اجاب على الفور :

« بلى ! لكن الحياة نفسها لا تعترف بهذا ... ! فما هو الا ان يستكين احدنا الى الفراغ ... حتى تلفظه الدنيا وتنكر عليه المكان ... يشغله والهواء الذى يستنشقه !! ... والغنى فى ذلك سواء ، وانما يخدع ... نفسه ليزعم ان لشيخوخته المتعطلة ... على امته او على بنيه ، ولو تدبر ... قليلا لايقن ان حقا كهذا لايعدو ان يكون ... خدعة ، فما يضجر الابناء باحد ضجرهم ... متعطل ، ان كان فربما استعجلوا ميراثه ، ... كان فقيرا استعجبوا الراحة منه والتخلف ... التثقل ...

« حتى الملوك انفسهم ، ما ان يستنيموا الى ... والترف ، ويفسدهم السلطان ، حتى ... بهم الدنيا وتجحد كل حق لهم فيها ، ... ان صاروا عالة على شعوبهم وعبئا على ... »

...جنا برهة لفلسفة الشيخ ، ثم هبطنا ... نلتمس طريقنا على السفح المنحدر فى ... بالغ ، حتى اذا بلغنا مأمننا بشق الانفس ... حكمة الشيخ الفيلسوف هى التى ... سمرنا وملأت امسيتنا ، وانما كان ... شغلنا حديث « خزان اسوان » ... الذى كادت تصير فى حساب هذا ... اسطورة من الاساطير !

ان شيخنا فى الغرول جاوز الستين من عمره عز عليه ان يمر السيل ببابه متدفقا دون ان ينتفع بما ينبعه لعمن قوة محركة ، ولقد عبرت عشرات السنين وفى مصر الوف من الحكام واولى الامر ، يرون مسقط الشلال فى اسوان ويعلمون علم اليقين انه قادر على صنع المعجزات ، ولكنهم مع ذا العلم يمنعهم من امره الا ان يشغلونا فى شأنها باعداد مشروعات وهمية واقامة الجدل يطرحها للمنافسة وترب التلفيق ، كانما الصغار الذين رأى « عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، انهم يعللهم بما فى القدر ، وما فيه الا الحصا والسراب !

لم لا نرى بعد هذا سوى لعنة الاسطورة المشئومة ، قد لحقت بنفر ممن اشتركوا فى مهازلة مشروعاتها فلوثتهم بالريب والشكوك والاتهام ، كما حقت على هذا الشعب الذى قضى عليه ان ينتظر السنين والاعوام جائعا مهزولا ، وفى صعيده الاعلى مثل ذاك المصدر العجيب للثروة والثراء !

ترى هل وقفت هنا الثورة المباركة لعنة الاسطورة المشئومة ، فصار من حقنا ان نطمع فى ان تنجز الدولة فى عهدها الجديد ، مثل الذى اداه شيخ الغرول ليؤمن حقه فى الحياة !؟

أسيوط

التاريخ : ٢٩ / ٨ / ١٩٥٢

كتب جديدة :

في المكتبة التاريخية

الفن والحضارة

في الاسرتين الاولى والثانية

اصدرت « مكتبة الانجلو المصرية » سفرا تاريخيا هاما من « الفن والحضارة في الاسرتين الاولى والثانية » ، وضعه « الاستاذ زكي يوسف سعد » ، امين المتحف المصري ، ومدير الحفائر الملكية بحلوان ، ونشر فيه النتائج التي اسفرت عنها اعمال الحفائر في تلك المنطقة وهي الاعمال التي بدأت من اغسطس عام ١٩٤٢ ، ولقد سبق لحضرته ان نشر بعض هذه النتائج التاريخية الهامة ، في كتاب باللغة الانجليزية صدر الجزء الاول منه عام ١٩٤٧ والثاني عام ١٩٥٠ ، وما يزال منه جزء ثالث تحت الطبع

وكان من حق المكتبة المصرية ان تظفر بنص عربي لتلك النتائج الباهرة التي تتحدث من حضارة مصر في ذلك الزمن السحيق الموغل القدم ، وتجلو لمحة من تاريخها الفني المجهد منذ اكثر من خمسة الاف عام

ولقد استغرقت اعمال الحفر في حلوان ، نحو تسعة اعوام تم فيها كشف تسعة آلاف وثلاثمائة واحدى وخمسين مقبرة ، وكان مما عثرت عليه بعثة الحفائر في كثير من تلك المقابر ، مجموعات من الآثار النادرة والقطع الفنية الرائعة التي يعدها الخبراء كنزا لا يقوم بمال ، ويرون فيها آية من آيات الابداع الذي وصل اليه فن اجدادنا الاقدمين

وكتاب اليوم ليس مجرد سجل لما اكتشف من آثار المنطقة ، وانما هو عرض واسع دارس ، يستنطق كل اثر ، ويرصد النتائج التي يدل عليها ، في المباني ، والصناعة ، والكتابة والديانة ، والتقاليد والعادات ، وفيه الى جانب ذلك مجموعة ممتازة من الصور التاريخية واللوحات الفنية البارعة .

قيام الدولة العربية الاسلامية

في حياة محمد صلى الله عليه وسلم

دار الفكر العربي — ١٧٥ ص ق

يتناول « الدكتور جمال الدين سرور » استاذ التاريخ الاسلامي المساعد في كلية الآداب بجامعة فؤاد الاول ، في هذا البحث الجديد ، ناحية هامة من نواحي تاريخ العرب والاسلام ، ليتتبع نشأة الدولة العربية الاسلامية منذ بدئها في « المدينة » بعد أن هاجر الرسول اليها وحقق الوحدة بين المسلمين من اهلها ، ويتابع مراحل نموها تبعا لانتشار الدعوة ، حيث بسطت سلطانها اول الامر على مكة ، ثم اتسعت فشملت بلاد الحجاز كلها ، ولم تنته السنة العاشرة للهجرة حتى امتد نفوذها الى انحاء جزيرة العرب وبدأ الرسول عليه الصلاة والسلام يولي وجهه الى خارج الجزيرة ، داعيا الى دين الاسلام

وقد بدأ الدكتور سرور بحثه بدراسة مظاهر الحياة السياسية والدينية في جزيرة العرب قبل الاسلام ، ثم تحدث عن ظهور الدعوة وانتشارها موجها عنايته الى توضيح السياسة التي اتبعها الرسول صلى الله عليه وسلم لنشر دعوته ، وما كان من استجابة القبائل العربية لها وانضوائها تحت لواء الداعي الكريم ، مما أدى الى توطيد اركان الدولة العربية الاسلامية واتساع رقعتها .

بنت الشاطئ

الأهرام
مركز الأهرام للتنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٧ / ٩ / ١٩٥٢

من بعيد

الجنة الضائعة

للدكتورة بنت الشاطئ

ليست هي الجنة التي عناها « ملتون » شاعر الانجليز في قصيدته الخالدة « الفردوس المفقود » ، ولكنها شبيهة بها او تكاد .. تلك هي الجنة التي اضاعتها المرأة الجديدة واستبدلت بها اوهاما ضخمة بريقها لها التمرد على فطرتها باسم المساواة .

ولو كان لي شيء من الفراغ وخلو البال ، لعقدت امرهن ما بين « الفردوس المفقود » وبين هذه الجنة الضائعة من وجوه الشبه ، لا اقول التماثل — ، لكن الاحداث الجليلة التي تشغل الوطن اليوم صرفتنا عن التأمل الشعري والالتفات الى قصيدة من روائع الآداب الانسانية التي ورثناها من بضعة قرون خلت .

وانما هي ذكرى عابرة ، عرضت لي وانا اقرأ البرامج الجديدة التي اعلنتها احزابنا السياسية متأثرا بالتدبير الذي اذاعه البوق المقدس يطلب به الاحزاب ان تنظر في تطهير برامجها التي وضعت في عهد الظلمات

قرأت وعجبت ! ففي الوقت الذي اسمع فيه في كل مكان هنا ، شكوى الغربيات من ظلم الاوضاع التي اخرجتهن من جنة البيت ، ودفعت بهن الى الاسواق عاملات كادحات ، وحملتهن من الاعباء ما تنوء به طبيعة الانثى وطبيعة « حواء » ، في هذا الوقت الذي اصغي فيه الى انين الاوربيات من الحنة التي ارهقتهن ، وحنينهن الى ما فقدن من سلام وطمأنينة واستقرار ، اجد مواطناتي المصريات ما يزلن مندفعات وراء وهم المساواة مجاهدات في سبيل الانطلاق الى الميدان الشائك الذي بلغته الغربيات قبلنا ، ثم ضجرن منه بالشكاة والانين

وهي شكوى واحدة لا تتغير ، وان اختلفت الالسن الناطقة بها وتعددت الجنسيات وتباينت الشخصيات : سمعتها بأذني في اسبانيا وايطاليا واليونان وفرنسا وانجلترا والنمسا والمانيا وتشيكوسلوفاكيا ، ترددها لو ان الامواج المتدفقة من شمالنا ، اصغين اليها واحسسن ما فيها من مرارة ولهب ! انها تساؤل المرأة الجديدة التي اخرجتها من جنتها دوافع اقتصادية وضرورات سياسية وعوامل اجتماعية ، فشغلها اول الامر هذا الاعتراف بشخصيتها ، وطاب لها ان تستمتع على قدم المساواة بما استأثر به الرجل دونها من امجاد العمل والكسب ، وبهرتها التجربة بكل ما فيها من سحر المجهول وطرافة الجديد ، حتى اذا بلغت ذلك كله ، وزايلها سحره وبريقه ، عادت المرأة تتفقد ما كان لها من دفء البيت وانس العائلة وعزة التصون ونعمة الهدوء والاستقرار ، وتحن — في شوق — الى عملها الاول من شمائل الزوجية واعباء الامومة ، هنالك ارادت ان تأوي الى الجنة التي اضاعتها فبدت شبه راضية ، فالفت الباب امامها موصدا ، فما تستطيع اوربا اليوم — بعد ان طحنتها الحرب — ان تعفي نساءها من الكدح والنصب ، ولا هي قادرة — ولو ارادت — على ان تجد لكل امرأة زوجا وبيتا !

✽✽✽

واكاد التمس العذر قريبا من مواطناتي يرغبن في هذا الذي اقول ، اذ قد يظنن ان يحسبن ان الغربيات سعيدات بما كان من خروجهن وتحررهن ، مغتبطات بما ظفرن من حقوق مستحدثة وما ادركن من مساواة ، ولست انكر ان هذا حقا قد كان ، لكني اؤكد انهن اليوم قد كفرن بنعمة الخروج والامتهان وامست كل خارجة تبكي الجنة الضائعة ، وتود لو استقبلت من امرها ما استدبرت ، كي تحيا الحياة الطبيعية بكل همومها ومشاغلها واعبائها وقيودها وروابطها ، وما من اوربية تحدثت اليها في رحلتي المديدة الا وجدتها مرهقة بتمردها وتفردها ، مؤمنة — بعد التجربة — بان البيت اكرم مكان للمرأة ، وان الامومة امجد عمل لها

ولا طاقة لقلم ان يعبر عن محنة هذه الانثى وهي ترى شبابها يدبر وربيعها يولي ، والمة العمل والانطلاق تتضاءل وتنسرب ، دون ان تظفر بحقها الطبيعي .. والحكومات هنا عاجزة حقا من ان تعمل من اجلها شيئا ، فقد اثبتت الاحصاءات الاخيرة ان عدد الشبان القادرين على الزواج هنا قد تضاءل الى حد رهيب ، بعد ان التهمت الحرب من التهمت في ضراوة ولهم ، ثم لم تشبع الا بعد ان لم تجد سوى الاطفال والشيوخ ، والمشوهين العاجزين .

✽✽✽

اما نحن فقد حمينا ويلات الحرب ، لكن مأساتنا ان الفتاة الجديدة وقعت — وما تزال واقعة — تحت سحر دعاية صاخبة ، افهمت لها ان البيت سجن ، وان الزوجية قيد ، والامومة عبء ، فمضت تتمرد على كل هذا وترى فيه اونا من الامتهان لشخصيتها المستحدثة ، في الدقيقة تترفع على ما رضيته امها والاجيال من خدمة البيت وحضانة الصغار ورعاية الازواج وغرها البريق الخادع الذي احاط بحفنة من « الشهيرات النابهات » ، فتعلقت بالجديد وطمحت الى الشهرة ، وولت الى جاه المنصب وتعلقت بأوهام المساواة ، حتى اذا عانت التجربة بنفسها ورفع عن عينيها الغطاء حاولت في حسرة متأخرة ان تستدرك ما كان ، لكن بعد ان يكون الاوان قد فات .. !

يومئذ ترهقها الحسرة ، ويعنيها الملل ، ويقتلها الكآبة ، ثم لا تجد في امجاد الشهرة وجاه المناصب ما يعوضها — ولو قليلا — من الجنة الضائعة ! !

وزارة الثقافة والإعلام
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ١١ / ٩ / ١٩٥٢

من بعيد

برامج جديدة !

للدكتورة بنت الشاطئ

لم افرغ بعد مما اريد ان اعلق به على هذه البرامج التى اذاعتها الاحزاب المصرية عندنا تلبية للنداء الصارم الذي اذاعه قائد الثورة المباركة . ولقد عجبت حقا حين لم اجد كلمة واحدة جديدة فى هذه البرامج المذاعة حديثا . كل ما فيها مكرر معاد ، يردد فى لهجة رتيبة مملولة ، ما سمعت مصر منذ عشرات السنين من تحرير المرأة ، ومساواتها بالرجل فى كل الحقوق والواجبات ! كأن الطبيعة تؤمن حقا بهذه المساواة او تستطيع ان تهدر الفروق الصارخة بين الجنسين !

ولقد تحدثت فى مقالتى السابقة عن « الجنة الضائعة » التى افتقدتها نساء الغرب هناك ، ويشعرن بالبؤس الحنين اليها والحسرة على فقدها ، تحدثت عنها راجية ان تحمى الفتاة المصرية الجديدة من سحر الدعاية السامة التى تؤكد لها ان البيت سجن وان الزوجية قيد والامومة عبء ، فتتمرد المسكينة على كل ذلك فى سبيل اوهام لن تعترف بها الطبيعة ما دامت الحياة على سطح هذه الارض ! وكيف تعترف بها وهى التى لم تسو لطبيعتين اللتين من الناس ولو كانا توأمين !

واليوم اريد ان اقول ان بين يدى مجموعة من قصص ومجلات اوربية وامريكية ايضا ، تصور فى بشاعة مثيرة مدى ما تكابد « فتاة السوق » - هكذا يسمونها - وبخاصة عندما يذبل شبابها ، وما اسرع ما يذبل ، ويضمحل فى ظل الحياة الكادحة المتعبة المرهقة . يسرنى حقا ان اضع هذه القصص تحت اعين الزعيمات الفاضلات فى مصر ، اماهن يضعن على ضوئها برامج جديدة تحمى الولد الانثى فى مصر الواعية ، وتطالب بحقوقها الطبيعية قبل ان تفكر فى الحقوق السياسية وتؤمن مستقبلها بعد ان يذوى شبابها ويزهد اصحاب الاعمال فيها !

بل انى لاود حقا لو تفضل حضرة الاستاذ الكبير وزير المعارف ، فعرض على طالبات المدارس الثانوية ان يقرأن هذه الاعترافات التى ادخرها لابنتى ، كيما اوقيها الاندفاع الطائش الضال فى طريق يقوده نحن لمتاهات المظلمة ، وذهبت الوف منا ضحايا لضعة للتغرير والتضليل

واعلم ان فى وزارة المعارف مراقبة للاحصاء ، مهمتها ان تحصى عدد المدارس والمعلمين والتلاميذ احصاء آليا يكتفى بالارقام الصماء ، والامر حين اذا ليس بما نرجوه فى العهد الجديد من دراسة حالة المتعلمات والمعلمات واحصاء العوانس منهن والمطلقات ، والشقيات فى حياتهن الزوجية شقاء مريرا مهلكا ، ثم دراسة شئون ابنائهن الصغار ، لمعرفة عدد من يتولى الخدم رعايتهم وتعليمهم ، ومن يتركون فى المنازل هملا ريثما تعود الامهات العاملات من الدواوين والمدارس والمكاتب مجهدات مرهقات !

وبغير هذا الاحصاء ، لن يستطيع اولو الامر عندنا ان يصنعوا شيئا من اجل حماية الجيل الجديد من الناشئات ، وحسبنا ما اضعنا وما دفعنا من ضحايا ، بسبب الارتجال والتضليل وسوء التوجيه !

لقد كنت اتمنى ان اقرأ فى « البرامج الحديثة » للاحزاب النسوية عندنا ، مطالبة بتشجيع الزواج عن طريق فرض ضرائب باهظة على الذين يصدون عن الزواج لغير عذر قاهر ، وتحريم الدعايات المسمومة الفاجرة التى تستخف بالحياة الزوجية وتشوه سمعة الاسرة ، وحظر « المكافحات » المسجلة التى يتندر بها « العزاب » الذين اعياهم حمل العبء الجليل ، فراحوا يدارون عجزهم وقصورهم بالسخرية من الروابط المقدسة والمسئوليات النبيلة !

اجل كنت اتمنى ان اقرأ شيئا كهذا فى برامجنا الحديثة فهو اولى مما قررته من « المطالبة بالمساواة فى الاجور للعمل الواحد بين الرجال والنساء » وهى مطالبة لم تعد ذات موضوع بعد ان سعرت الشهادات عندنا وصار الاجر يدفع بها للرجل والمرأة على السواء !

ولتصدقنى الزعيمات الفاضلات ، اذا قلت لهن ان الرأى العام العالمى لن يحفل كثيرا وهنا « بتقرير حقوق المرأة السياسية كاملة غير منقوصة » فليس هذا هو المقياس الصحيح الذى يقاس به رقى الشعوب ، والا لاخرجت سويسرا مثلا من قائمة الدول المتحضرة بسبب تأخرها - حتى اليوم - عن منح نسائها الحقوق السياسية ، ولجاءت استراليا سابقة فى « ركب الحضارة » على انجلترا ، اذ قررت الاولى منح هذه الحقوق قبل انجلترا بنحو ثلاثين عاما ، وكانت اذ ذاك مستعمرة من مستعمرات التاج البريطانى العتيق !

افلا ترى « الزعيمات النابهات » اننا قد نثير سخرية « الرأى العام العالمى » اذا زعمنا اننا باقرار منحنا الحقوق السياسية نستطيع ان نلحق الى طليعة الركب الميمون ، ونحن عاجزات حتى عن الاستفادة بتجارب الامم التى سارت قبلنا الى آخر الشوط فى تحرير نسائها ، ثم عادت تعلن ان البيت قبل البرلمان ، وان المرأة فى الاسرة تصنع الحياة ، على حين لا تعدو وظيفة البرلمان فى ادنى اوضاعها ، على ان تكون تشريعا وتنظيما لما اتجهت اليه الجماعة وارادته !!

وبعد ، فلقد آن الاوان لكى نقوم مقاييسنا ونضبط موازيننا ، ونصحح الاوضاع المقلوبة عندنا ، كيما نكون جديرين بمجد الثورة التى اخرجتنا من الظلمات الى النور !

التاريخ : ٢٨ / ٩ / ١٩٥٢

من بعيد

في ذكرى النسر

للدكتورة بنت الشاطئ

[illegible] طفلنا «ميونخ» ، زرناها وما تزال تتراءى لنا من بعيد صورة كئيبة لما أبقت لها الحرب الطاحنة من خراب ودمار ، تتحدث عن محنة الإنسانية الكبرى ، وتروي مأساة المدينة العريقة التي اتخذها «الفوهرر» ، فعقد لها مؤتمره التاريخي قبل أن يطلق مردة الجحيم ، ويطلق الأشباح الدامية !

وابتعد بنا القطار ، ونحن نتذكر ما شاهدنا من أطلال ذلك العالم المنهار ، حتى إذا صرنا في «برخسجادن» ، فلبسنا غاشية من الوحشة والرهبة ، بتلك الأحداث الخاطرة ، تمر بنا سهول في بافاريا الخصيبة الجميلة ، لنلقى أحضان الجبال الوعرة ، في طريقها إلى الذروة الشماء التي بنى النسر لنفسه وكره ، وهو يظن أنه بمنأى من منال أهل الأرض ...

ومهما حاولنا أن نصرف الفكر عن موكب هتلر ، وهو يجتاز هذا الطريق مصعدا إلى قلعته المنيعة ، يوم كان مصير الدنيا كلها رهن كلمة تخرج من شفتيه ، أو إشارة تتحرك بها يداه !

أهكذا يتاح لمن شاء أن يجتاز مسرب النسر دون أن يسأل من أين ؟ وإلى أين ؟ ...

أهكذا نرتقي مدارج [illegible] أنفسنا ، في سلام ، السيارة تمشي في مرونة والرهبة ، دون أن تلقانا صيحة حارس عتي غليظ ، ينكر علينا أن نتنفس في «حمى الفوهرر» هو الشيطان الألماني النقي !

أهكذا تتتابع الوفود من شرق وغرب ، وشمال وجنوب ، لتحرر المعقل المنيع ! مختلفة السحن متباينة الألوان متغايرة الأجناس ، دون أن يروعها زاد ، أو يقف في سبيلها من يذودها عن الحرم المرهوب !!

وراعنا وجومنا حين هدأت القاطرة من سيرها معلنة إلينا أن نوشك أن ندخل «برخسجادن» ، فكان أول ما وقعت أعيننا عليه ، لافتة تجدها الطلقاء تام عند مدخل الحصن المستباح ، وكتب عليه بالخط الأحمر العريض «الترحيب» Wellcome تحية لرواده من جنود الاحتلال ، إذ ذاك ذكرنا ما رواه المؤرخون في أسبانيا ، من حاكم من حكام الفرنجة ، أبى إلا أن يجلس مرة فوق قبر «المنصور بن أبي عامر» ذلك القائد المظفر الذي شهد خمسين معركة ضد أعداء العرب ، لم تنكس له فيها راية قط ، وطاب لذلك الحاكم يوما أن يسأل رسولا عربيا من «غرناطة» آخر معقل للمسلمين في الأندلس :

— أتدري أين أنا جالس ؟

فلم يملك الرجل إلا أن يجيب :

— أجل ، أدري أنك جالس فوق من لو يلقى من يحملك لاحترق !

يا ذلها !! كانت هذه البقعة حراما على الأجنبي إلا أن يأذن له «الفوهرر» ... بل كانت كلمة Auslander بمثابة لعنة ... بمثابة لعنة يقذفها الألمان في وجه كل غريب لم يسعده القدر بالانتماء إلى الجنس الآري !

واليوم ، اليوم يمرح فيها جنود الاحتلال بأحذيتهم الثقيلة وشاراتهم العسكرية وزيهم الحربي ، ويفرضون سلطانهم على القوم الذين اعتزوا زمانا بجوارهم للحرم المنيع !

وانطلقت بنا سيارة صغيرة صاعدة إلى أعلى السفح في خطوات وئيدة مجهدة ، كنا نسمع لها صوت الآلة المحركة كحشرجة لاهثة . وهناك على القمة الشامخة ، لمح لنا السائق الباب والمبنى قائلا في هدوء :

— هنا مقصدكم ...

ثم استأنف سيره ، تاركا إيانا بلا قائد ولا دليل ... !

وأدرنا أعيننا فيما حولنا ، فنلتمس الوكر أو أنقاضه ، فإذا بنا وحدنا في المنزل النائي الشاهق ، وقد تراكمت من حولنا الجبال في لوحة منسقة ، يعجز الفن عن وصف جمالها أو نقل صورة معبرة من عظمتها وروعتها . والصمت عميق ، لم نكد نسمع فيه سوى عزف الريح بين الصخور الحمر ، وبعض أصداء هامسة فوق قلل الجبال ، كأنها أنفاس أطياف تحوم حول الربع الذي خلا من سكانه ، وتنوح على مجد اندثر ، وجبروت تضاءل وراح !

والتزمنا أنفسنا مما عراها من الافتتان بروعة المشهد الساحر ، فما جئنا إلى هنا من أقصى الشرق ، لنستمتع بجمال منظر أو حسن طبيعة ، ولا اغتربنا عن الأهل والوطن ، لنلتمس هنا متعة السمع والبصر ، ولا تجشمنا وعثاء الطريق وتكبدنا نفقات السفر ، لنقف هنا هاتفين ما أجمل وما أبدع !

إنما جئنا لنقرأ التاريخ الحي لجيلنا الذي كتب عليه أن يشقى بمأساة الحرب العالمية ، ولنرى المسرح الذي لعب عليه الجبابرة دورهم الرهيب ثم ولوا إلى غير مآب ...

ومضينا نتجول في المنطقة الخالية ، فلم نجد غير بناء صغير حديث ، قد أقيم على مقربة من القمة ، ووضعت على بابه لافتة تحمل اسم «المقهى التركي» !

يا عجبا ! وما شأن الترك هنا !

وسألنا فتاة المقهى : هل نجد دليلا يقودنا إلى قلعة هتلر ؟

فرجعت ضاحكة : لم [illegible] هنا [illegible] والمارة [illegible] قالت :

— هنا كان منزل هتلر ...

[illegible] فلم نجد شيئا ...

وعدنا فاتجهنا إلى حيث أشارت ، فإذا كومة من الأنقاض المبعثرة ، هي كل ما بقي من وكر النسر بعد أن دكه الأمريكان بالديناميت في شهر إبريل الماضي !

والتقينا هناك بعامل ألماني من أهل المنطقة ، يشتغل في جمع قطع من الصلب [illegible] الديناميت ، فسألناه في [illegible] ... [illegible] كان عليها [illegible] هتلر [illegible]

التاريخ : ٢٨ / ٩ / ١٩٥٢

... أجلب في جمود أجل ... ! وهذه القطعة من الجدار ، التي ترونها ما تزال وحدها قائمة ، هي جزء من حائط (الجراج) ... وهذه الأساس الحجرية التي تتحسسها قبولكم ، هي البقية الباقية من جناح الصيانة ، حيث كان « الموعر » يطل من يريد من السفراء السياسيين وهنالك ... في تلك الزاوية الهيداء ، حيث للنهدون بعض الانابيب المدلية ، كانت مطابخ الحصن وجناح الخدمة !

لقد تقوض كل شيء !! ولم يبق لنا الا أن نحاول النسيان ...!

لم أستطع من الكلام ، حين لمع جماعة من الجنود يطلون مدخل الوكر المهدم ، وصوبوا وجوههم ...

وأسمعنا — ونحن نزور أشهب كلنا — الى ما كان الدليل يقول ، وكان الأصيل الباهت يلقي على أنقاض الوكر ظلالا شاحبة من أشعة الشمس الغاربة ، فيزيد من وحشة المكان ، ويؤذننا بالرحيل ...

هنالك التفتنا في خشوع وعلى مهل ، نتلمس خطانا بين الانقاض وملء مسمعنا صدى حزين من مرثية أبي العلاء : خفف الوطء ...

▲

وهنا في (منهجي مدينة « سالزبرج ») ، تلبيا الحياة تجدد في سيرها ، تريد أن تبني جديدها فوق الانقاض ، دون أن يتلهيها عن البناء هول من حرب الدانية ، لتذهب في لحظة مجنونة ما بنته الحياة في السنين الطوال ...

ويلقانا بين خطوة وأخرى ، بقايا رجال من مشوهي الحرب ، يكافحون بأجساد مبتورة ونفوس محطمة ، من أجل عيش يقيم أودهم ، والهم يعلمون أن الدنيا قد تمهل هؤلاء الاشلاء ريثما يشبون ويتنفسون ، ثم تزودهم الى مجزرة هائلة ، كتلك التي حصدت الآباء من قبلهم والاجداد ...

▲

الا أن وقفة واحدة على أطلال وكر النسر ، لتكفي نذيرا للجبابرة ، وواعظا للساسة والقادة الذين يمسكون بأيديهم أزمة الامم والشعوب ، ولكن هيهات ... !

فليكن حسبنا اليوم أن نبارك ثورتنا التي قامت على الطغيان والظلم والفجور ، دون أن تسفك دما أو تدمر لنا بناء ، ثم لندع الله أن يحمي مصر الغالية المفداة ، ويرعى الوادي الخصيب الامين !

التاريخ : ٤ / ١٠ / ١٩٥٢

من بعيد

فوق السحاب !

للدكتورة بنت الشاطئ

لم يتلبث عجبي ونحن ندخل للمرة السادسة أحد الزوارق الطائرة Gondel Bahn لنتسلق بها سفوح الألب معلقا في سلك كهربائي ولهج كأنه الصراط ، ثم ينطلق كالشهاب الثاقب ليحلق فوق الهواء صعدا الى قمة « شتوبنر كوجل » Stubner Kogel ، وهي من أعلى القمم في هذه المنطقة الجبلية ، ونحن في جلستنا المريحة المطمئنة نطل على أروع المشاهد ، ونجاوز منطقة الغابات الى حيث لا ينمو شجر وانما هي المروج الخضر تزينها قطعان الغنم والبقر ، وتنتشر فيها أكواخ الرعاة الذين ضاق بهم سطح الأرض فالتمسوا رزقهم فوق السحاب !!

وعلى ارتفاع [illegible] متر ، يلقانا منطقة الثلج الدائم ، يحفزونها المعربة الشهباء ، وتفتح لنا أبواب الاستراحة القائمة على الذروة الشامخة ، فجلسنا في أحد أبهائها الفسيحة نستمتع بالدفء اللذيذ الممتع ، ونترقب الجبال الساطع الشمس ، وقد بعد ما بيننا وبين الأرض ، وبدا لنا كل ما تحت السحاب ضئيلا تافها كأن لم تكن منذ ثوان معبرا ذليلة فحسب ، فتلك في أدنى السفح ونحاول أن نرفع البصر الى ملء الأفق العالي فيرتد البصر حسيرا كليلا !

وتطلقه الزوارق الطائرة تغدو وتروح صاعدة هابطة ، حاملة من أهل الأرض أفواجا في اثر فوج ، أرادوا مثلنا أن يجلسوا فترة فوق السحاب ، وأن يشهدوا جبروت الطبيعة حين يلقاه جبروت الانسان فاذا هما كفتان !

هنالك ذكرت — وياطول ما أذكر — أنه عجزنا عن تذليل السهل المنبسط ، حين كبرت هؤلاء الناس السماء ، وذللوا صخر القمم ، وزاحموا النسور في مسارحها العالية ، والأملاك في آفاقها العليا !

وحين هبطنا فانحدرنا الى « بادجاشتين » تلقى هنا العلم المصري بين الأعلام الأخرى التي تخفق عاليا فوق أكبر الفنادق بهذا المصيف العالمي الشهير ، فننبه الى أن كثيرين من الساسة والزعماء والذين كانوا من أولى الأمـ[illegible] لينا ، يترددون دواما على هذه المنطقة وأشباه لها في سويسرا وفرنسا وايطاليا ، وأسبانيا ، فتساءلت : أتراهم ركبوا ولو مرة ، ليروا هذه التزلت من الزوارق الطائرة التي تشهد بأن الله قد كرم حقا بني آدم ، وكرم جنس آدم حقا أنفسهم ، حين أبوا الا أن يكونوا جديرين بهذا العقل الانساني الذي وضعهم في أعلى درجات سلم الكائنات ، وصيرهم سادة الكون !

أم تراهم قد اكتفوا بأن ينعموا بما تهيء هذه المصايف لنزلائها من أساليب الراحة وفنون المتعة ، فاذا ما عادوا ما انفكوا يتحسرون على ما فاتنا من مثل هذا ، ناسين أن الطبيعة لم تبخل علينا بالماء [illegible] المتدفق والجو الدافيء المشمس ، وانما عانت علينا أنانيتنا وعقولنا كما عانت علينا بلادنا لتركنا أجمل وأسمح مشتى عالمي بها ، أشبه بمقبرة كئيبة مهجورة من مقابر الأحياء !!

ولست أريد الآن أن أخوض في ظلمات العهد البائد — لا أرجعه الله أبدا — غير أني لا أستطيع أن أرى هذه السفوح الصعبة المعبدة ، والقمم الشامخة المذللة ، والحياة المتيقظة هنا في صميم الصخور الصم الصلاب ، لا أستطيع أن أرى هذا كله ، دون أن أشعر في مرارة وألم ، الى ما شهدته الكنانة في أمسها الدابر من مأساة أحالت أرضها الطيبة الى مباءة للذل والفقر والحرمان ، وفرت بقدرة عجيبة من معدنها الكريم ، حين سخرت كل هبات الطبيعة السخية علينا ، لخدمة حفنة معدودة !

وحسبي هنا أن أشير على عجل ، الى حادثة بعينها شهدتها منذ أعوام قاربت عشرة ، وما تزال ذكراها تعاودني وان يكن العهد بها قد نأى وطال . تلك هي أن أحد رؤساء الوزارات في الماضي المندثر ، نزل يوما وأعلن أنه سيشرف بزيارته الكريمة قريتنا المغمورة في قلب المنوفية ، فقامت الدنيا هناك وقعدت استعدادا للحفلة المرتقبة التي تطأ فيها قدماه الشريفتان أرض بلدنا المهجور .

وكنت حينذاك أقضي فترة استجمام بدارنا

هناك ، الى مصاب لفادح الم بنا ، فانكرت على القوم حماسهم الذى شمل الحياة فى القرية ، من اجل زيارة عابرة لعلها لا تستغرق اكثر من ساعة ، غير انى ما لبثت ان تفاءلت واستبشرت حين رأيت الطريق الوحيد الذى يمتد من قلب القرية الى الطريق الزراعى العام ليصلها بالعمران ، قد غص بمئات من العمال وعشرات من المهندسين وملاحظى الطرق ومندوبى المديرية ، لكى يمهدوا الطريق للركب الميمون .. . . .

وكنا نقاسى من ذلك الطريق عناء لا يوصف ، وبخاصة عندما يسقط عليه رذاذ من مطر الشتاء ، فيحوله الى مخاضة من الاوحال ، يستحيل معها ان نجتاز الا على ظهور الدواب ، ومن هنا كان تفاؤلى الذى رجوت معه ان يمن الله على كل قرية من قرى مصر ، بزيارة احد السادة او الحكام ، مادام هذا هو السبيل الوحيد لكى يظفر الريف المنكود بمثل تلك اللفتة المباركة حقا ! . . .

ثم ..... وجئت بما لم يخطر لى قط على بال رغم يأسى من القوم وسوء رأيى فيهم ! ذلك ان جنود التعمير والاصلاح ، وقفوا عند « دوار العمدة » حيث ينزل الضيف المكرم ، فلم يجاوزوها بشبر واحد ، وبقى نصف الطريق الى يومنا هذا ، مخاضة قذرة كما كان ... بل لماذا لا اقول انه بقى شاهدا حيا قائما ، على اسلوب الاصلاح فى ذلك العهد الاثيم !

اجل هو ذاك ولا اسلوب غيره ، وقد طبق حرفيا وبمعناه الدقيق ، فى كل مشروعاتنا ، ومن اجل هذا حرصت شركات الاراضى — الزراعية منها واراضى البناء — على ان تقدم احدى قسائمها او قصورها هدية متواضعة الى واحد من ذوى النفوذ ، كى يسهل عليها تعبيد طرقها وتعمير منطقتها وكهربة خطوطها ورى اراضيها ، وانجاز ما لها من مصالح لدى الادارات الحكومية والدواوين !

النفت الى هذا ومثله معه ، ثم اعود فابدأه من مكانى هذا النائى — مصر الخالدة الممتدة التى استطاعت ان تحتمل كل ذاك الطغيان ، والتعرض لكل تلك المحن ، دون ان تفقد شيئا من حيويتها او تستسلم للموت والفناء ، وكان بحسبى الذى لقيت وكابدت ، كفيلا بان يقضى عليها ، لولا حيوية كامنة مذخورة يريد الله لها الا تستنفد ولا تذوب !

« سالزبورج »

التاريخ : ٦ / ١٠ / ١٩٥٢

كتب جديدة :

في الدراسات الاسلامية

التأليف ، ٥٢٧ صفحة

قال تعالى : « ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب ، واقام الصلاة وآتى الزكاة ، والموفون بعهدهم اذا عاهدوا ، والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ، اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون » .

هذه هي « آية البر » التي اختارها فضيلة الاستاذ الشيخ عباس الجمل ، ليكتب فيها ذلك السفر الضخم ، مستعذبا عناء الدرس والتامل ، وملتمسا في « الاية الباهرة من الهدى والضياء ما ينير الطريق ويهدي السبيل » .

وجاء فضيلته يقدمه لنا قائلا :

« قرأت هذه الاية فاسالت النور في عيني وملأت حكمتها قلبي ، ثم قرأتها فالسعت على آفاقها وابتعدت عن نظري غاياتها ، فكلما رجعت البصر في سعة افق من آفاقها لادرك مداه ، وكلما رجعت ابصر لاعرف اين منتهى غاياتها ، ينقلب الي البصر خاسئا وهو حسير ...

« لكني كلفت بآية البر وازداد حبي لها وسروري بها ، ودمت على تلاوتها صابرا محتسبا مهما يجهدني تعلم حكمتها ومهما يبعد عني ادراك مدى احاطتها ، ومهما يقصر الفؤاد عن الاقتباس من نورها ، انما ييسر الله عليها لتفهمها على من اراد هدايته ، فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام » .

اما طريقة فضيلة الاستاذ في التفسير ، فتبدأ بتقطيع الاية الكريمة الى خمسة عشر مقطعا على النحو الآتي :

(ليس البر – ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب – ولكن البر من آمن بالله – واليوم الاخر – والملائكة – والكتاب – والنبيين ..) الخ

ثم تناول فضيلته هذه المقاطع – او المناهج كما راى ان يسميها – واحدا واحدا ، فراح يتتبع مواضع ورودها في الكتاب الكريم ، ويحاول ان يفهم سياقها في كل موضع ، ليستخلص بعد ذلك ما يهتدي اليه من حكمتها ومعناها ، متخذا القرآن الكريم مرجعه في التأويل ، ومهتديا بآيات الله البينات الى الحكمة في « آية البر »

واصحاب الثقافة الاسلامية الادبية ، قد قرروا ما قرر المنهج الجامعي من ضرورة سبق التفسير الادبي للقرآن على كل انواع التفاسير الاخرى من فقهية واصولية ونحوية وغيرها ، وذلك بما هو كتاب العربية الاكبر ، ومثلها المعجز البيان ، فكان طلاب الدرس الادبي في الجامعة يراضون على القيام بابحاث مستوفاة من لفظة واحدة في الكتاب الكريم ، متسلحين بالاصول الادبية الكبرى في ذلك ، ومن اهمها ان للقرآن قاموس استعمالاته الخاصة ، فلا تفسر الفاظه بمعاني معانيها المعجمية ، ولكن بالتتبع المستقرئ لما يريده منها القرآن في استعمالاته المتفرقة ، فيجمعون هذه الاستعمالات ويستقرئونها ، ليحددوا على ضوء هذا التتبع للاستعمال وتقدير السياق ، المعاني الخاصة للمفردات القرآنية ، فلا يخدعهم عن الفهم الصحيح لمراد القرآن ، معنى للفظ متأخر ، او استعمال اصطلاحي لم يقصده الكتاب ، او ما الى ذلك من معان تطور اليها المفردات اللغوية على مر الازمنة .

وفضيلة « الاستاذ الشيخ عباس الجمل » قد اخذ بهذا التتبع الدقيق لمفردات (آية البر) تعرفا لمراد القرآن الكريم من كل لفظ ورد في هذه الاية ، وردا لبعض القرآن على بعض ، او كما قال الاندلسي : « القرآن يفسر بعضه بعضا » ، نقدم كتابه هذا الى المكتبة القرآنية ضربا من التفسير الادبي ، بذل فيه من الجهد واحتمل من المشقة والعناء ، ما لا يجحده الا الذين لم يكابدوا شيئا منه ، كما نقدم الى زملائه من رجال الدين نموذجا من التأليف الصابر المتأني المتامل ، قل من يصبر عليه وبخاصة في عصرنا هذا الواثب الطائر ! .

مكتبة النهضة المصرية : ٧١ ص

هي رسالة موجزة ، اعدها « الدكتور راشد البراوي » الاستاذ في كلية التجارة ، استجابة لدعوة خاصة من بعض المعنيين بهذه المسألة وقد عالج الدكتور في رسالته ، موضوع « الكتلة الاسلامية » في صراحة وحرية ، على ضوء التجارب التي عانتها شعوب الاسلام والاحداث التي تعرضت بها ، ومع عناية خاصة بالظروف والاعتبارات التي تتحكم اليوم في حياة هذه الشعوب وتشترك في تقرير مصيرها

والرسالة اقسام ثلاثة : اولها عرض تاريخي لفكرة الكتلة الاسلامية ونشأتها ومراحل نموها وتطورها ، والثاني تحليل وتفسير لبنيان هذا التكتل وهل يقوم على وحدة جغرافية وما يكتنفه من الاختلافات الجنسية واللغوية ومن الاوضاع الدولية ؟ ثم ما صلته بجامعة الدول العربية ؟

اما قسمها الثالث ، فبيان لحقيقة التنظيم المقترح ، ومن الكاسب فيه ومن الخاسر !

وختم « الدكتور البراوي » رسالته بكلمة حق وتحذير ، تدعو الى اليقظة والاتزان ، وتنادي بأن يكون هدفنا الاول هو الظفر بالحرية ، ثم فليكن لنا بعد ذلك ما شئنا من وحدة او تكتل : يجمع بين احرار كرام ، لا بين المستعبدين الضعاف ..

بنت الشاطئ
(ابن الامناء)

التاريخ : ٢٤ / ١١ / ١٩٥٢

الكتب الجديدة

في المكتبة القومية

حقيقة الانقلاب الاخير

مكتبة النهضة ٢١٥ ص م

من حق « الدكتور راشد البراوي » ان نعترف له بالجهد في تتبع الاحداث الكبرى بمصر والشرق ، والاهتمام برصد آثارها والبحث عن عللها واسبابها ، ثم تسجيل ذلك كله في اوانه كان الوقت ملك يده ، وكانت المطبعة تحت تصرفه ، تنتظر ما يدلفه اليها من حين الى حين ، لتطبعه وتخرجه الى الناس

واذكر انني قدمت منذ شهر وبعض شهر كتاب (الكتلة الاسلامية) للدكتور راشد ، واليوم اقدم كتابه الجديد : (حقيقة الانقلاب الاخير في مصر) شاهدا على ما اثرت اليه من اتصال الدكتور بالحياة ، وتتبعه لاحداثها ونشاطه في تسجيلها ، فهذه حركتنا المباركة ، لم يكد يمضي على بدئها سوى اشهر معدودات ، حتى كان حضرته قد اخرج كتابه عنها

واعلم ان من بين النقاد من يؤثرون التريث والاناة في تاريخ الحركات المعاصرة ، ويفضلون الانتظار ريثما تبلغ ذروتها وتؤتي كل ثمارها على حين يرى آخرون ان من الخير تسجيل مراحلها في ابانها ، كيلا يفوتنا منها شيء ، او ينسينا آخرها اولها

وكتاب (حقيقة الانقلاب الاخير في مصر) لا يصدم المطالبين بالاناة والتريث ، لانه في الواقع لا يتعجل تاريخ الانقلاب ، بقدر ما يبحث في الاسباب البعيدة التي ادت اليه . فقد مضى المؤلف يلتمس المقدمات التي انبثقت عنها ثورتنا السلمية المباركة ، ويفتش عن الجذور الغائرة في اعماق تاريخنا الحديث ، والتي ظلت تعمل عملها في بطء وخفاء ، حتى خرجت الى النور مكتملة النضج ، وان حسبها بعض الافراد مفاجأة لم تكن تخطر لهم على بال

ففي الفصول الثلاثة الاولى من الكتاب ، يتحدث حضرته عن (ضربة القدر) التي اطاحت بعرش الطغيان ، ويصف (ثورة جيش وشعب) في اليوم التاريخي الاغر ، ثم لا يلبث حضرته ان يلتفت الى ما قبل الثورة ليكشف عن العوامل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي مهدت لها ، ويصف صراع القوى الذي تلاقي فيه جبروت السلطان ، مع نمو الطاقة الثورية ونضج الوعي ، في شعب لم يسغ الضيم وان صبر عليه ، ولم يحتمل الضغط وان كبت التمرد ، ولم يرض الهوان وان كظم الغيظ

ويغلب على « الدكتور راشد » ـ وبخاصة في الفصل الرابع من كتابه ـ طابع الدارس الاقتصادي الذي يجعل للعوامل الاقتصادية المكان الاول في توجيه الاحداث ، ويفسر بها التاريخ في ثقة واطمئنان

اما في الفصول الثلاثة الاخيرة ، فقد عاد الدكتور الى صميم الحركة الظافرة ، وقد وقف فيها « فاروق » بعيدا يتنصل من المسئولية يواجه ابطال الحركة الضباط الاحرار الذين يحملون آلام الشعب وآماله ، وامجاده ، وادخرتهم مصر ليومها الموعود الذي لم يفته البعث ، واعلن « دستور الثورة » ايذانا بالعهد الجديد

مصر الغد

مطبعة مصر : ٩٦ ص . ق

اما هذا الكتاب فلم تثمره النهضة الحاضرة ، وانما كان صاحبه احد الذين سبقوا ليبشروا بها واشاروا الى طلائعها منذ سنين ...

ففي شهر يونيه عام ١٩٢١ نشر « الاستاذ محمود كامل المحامي » كتابه هذا عن « مصر الغد » فلمح المصريون فيه نذر العاصفة التي اطاحت بالامس القريب ، واصغوا الى صيحة النذير الذي مد نظره الى بعيد حيث تكاثفت الغيوم وتراكمت السحب لتحجب عنا النور والضياء

ولم يكن « الاستاذ محمود كامل » في نظرته تلك مسرفا في التشاؤم ، وانما عالجه ـ بوجه خاص ـ مسألة الدخل القومي ووزعه نتائج دراسته لهذه المأساة التي كانت تهدد كيان الامة : انسانها ، وصحتها ، وثقافتها ، واجتماعها وسياستها

ثم لم يكتف حضرته باعلان تلك النذر ، بل مضى يلتمس مخرجا من الظلمات ، حتى رأى ان نجاتنا رهن بزيادة الدخل القومي عن طريق استثمار عشرة ملايين من الافدنة الصالحة للزراعة ، ومضاعفة الانتاج الصناعي ، وتأميم شركة قناة السويس وعد السياحة موردا من موارد الدخل القومي

وكانت النذر قوية واضحة ، لكن حكام الامس لم يلتفتوا اليها ، وراحوا يتخبطون في متاهة الضلال بخطوات متعثرة ، حتى دهمتهم العاصفة وهم لاهون ، فأتاحت لنور الفجر الصادق ان ينبثق على الافق ، وبدا عهد البعث والاحياء

فاليوم اذ تظهر الطبعة الثالثة من كتاب (مصر الغد) لا يسعنا الا ان نحييها بالتحية ونذكر للاستاذ المؤلف ما شهدت له به الايام من بعد النظر وصحة الرأي وسلامة التقدير

بنت الشاطئ

(من الاهرام)

التاريخ : ٣٠ / ١١ / ١٩٥٢

في ذكرى المولد

أم النبي ...

للدكتورة بنت الشاطئ

أماه آمنة !

الذكرى السامية ، والعالم الإسلامي كله يحتفل بذكرى اللحظة الخالدة التي ولدت فيها صغيرك العظيم ، فأستشك وقد جاءك المخاض في أوائل السحر ، وأنت — كما يقول الرواة — وحيدة ليس معك أحد سوى جاريتك «أم أيمن» فماذا بك تحسين أن الله معك ، وأن أطيافا ملائكية تحوم حول مضجعك وتحنو عليك في لطف وإيناس ، فيزايلك أكثر ماكنت تشعرين به من وحشة ، ثم لم يكد الفجر يلوح حتى توارت تلك الأطياف ، إذ لم تعودي وحدك يا أماه ، وإنما كان وليدك إلى جانبك ، يملأ دنياك أنسا ونورا وجمالا ، وكانت نظرتك إلى كيانه اللطيف المشرق ، كأنها لأن تنسيك كل الذي لقيت بتربيتك من آلام التجربة ، وتذكرك بزوجك الحبيب الذي أودعك إياه ، ثم رحل عنكما إلى غير مآب ...

ولتراءى لي من بعيد صورتك وأنت في المولد الأزهر المنير ، يوم وفدت المراضع من البادية يلتمسن أبناء الطبقة الأرستقراطية الموسرة في مكة ، وقد عرض عليهن وحيدك اليتيم فزهدن فيه أنه لم يك ذا ثراء عريض يكافئ نسبه الشريف ، وكاد القلب الكريم ينفطر أسى ورحمة وحنوا ، لولا أن عادت إحدى مرضعات بني سعد تلتمس وليدك وقد زهدت فيه أول الأمر ، ثم كرهت أن ترجع وحدها — دون صواحبها جميعا — بغير رضيع !

وتظلين في انتظار عودته على جمر الشوق والحنين ، حتى يؤوب إليك بعد أن أينع صباه في جو البادية الطليق ، لكي تستمدي من حضانته مايمسك عليك حياتك ، وتقبس من نوره شعاعا يضيء مالك الذي ظللته كآبة الترمل الباكر والشجن المر والأسى الأليم لفقد الحبيب ..

وما أنا في حاجة يا أماه إلى من ينقل إلينا ماكنت تحدثين به وليدك منذ عاد من البادية حتى افترقتما الفراق الذي لا لقاء بعده في هذه الدنيا ، وهل يكون لمثلك حديث إذ ذاك ، إلا تذكر العزيز الغائب ، ووصف شمائله ، وتمثل ماكان معقودا عليه من آمال كبار ؟ !

حتى إذا بلغ صبيك السادسة من عمره ، ولمحت فيه مخايل الرجل العظيم الذي طالما رجوته وحلمت به ، أدركت أن الأوان قد آن لكي تحجا إلى يثرب ، وتزورا مرقد الحبيب النائي ...

ولم تكوني تجهلين مشقة السفر عبر الصحراء القاحلة ذات الرمال المتحجرة ، ولا غابت عنك المتاعب التي يتكبدها الضاربون في أحشاء البيداء بسهولها الموحشة وقفارها المرهوب ، لكن حنينك إلى زيارة قبر «عبدالله» ، وشوقك إلى أن تلمي به في صحبة ولده الوحيد ، كانا أقوى من أن تغلبه مشقات سفر هو في الحقيقة قطعة من العذاب ، وهكذا حملت وليدك وسعيت به إلى يثرب ، حيث طاب لكما العيش هنالك شهرا في جوار الفقيد الراقد ، وتنسمت في الجو عطر الذكريات الأثيرة ، ثم آن لك أن تعودي بوليدك إلى بلده وقومه ، فإذا الأجل المحتوم يلقاك في الطريق ، لتودعك «أم بركة» جوف الثرى ، وتعود بصغيرك إلى مكة وحيدا معزولا يحمل ألم اليتم ...

....

إلى هنا يا أماه ، تنتهي حياتك على سطح هذه الأرض ، ويشغل عنك التاريخ إلى حين ، ليعود بعد أربعة وثلاثين عاما لينفض عنك غبار النسيان ، ويفسح لك أعز مكان ، كأم للنبي البطل الذي تركته وحدك في السادسة من عمره ، حزينا منتحبا في بادية الجزيرة بين مكة والمدينة لما بلغ مبلغ الرجال حتى اختارته السماء للرسالة العظمى ، وبعثته بالدين الذي يتبعه

....

اليوم ملايين البشر ، من شتى الأجناس ومختلف الألوان ، في مشارق الأرض ومغاربها .

ولقد ثوى وليدك الرسول — بعد أن أدى رسالته — في ثرى يثرب حيث رقد أبوه من قبل ، وآب إلى المصير المحتوم الذي يؤوب إليه كل حي ، « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل » ولكنه ماض ملء الخلود في حساب التاريخ وملء الحياة في حساب الإنسانية ، وفي قلوب هؤلاء الملايين ممن آمنوا برسالته !

أماه آمنة ،

من مجد الأمومة فيك ، وبطولة الأنثى منك ، جئت الحدث اليوم من سيدة الأمهات التي جادت على الإنسانية بوليد وحيد ، حملت الملايين رايته في أرجاء الأرض على مر الزمن ، من يتيم ، افتخر به الآباء الصيد والأصول الأمجاد ...

لقد أنجبت باسمه الدنيا ، وفاضت الخيرات ...

وماذا كنت تبلغين يا أماه من ذلك ، لو أنك كنت ملكة متوجة ، أو فارسة مغوارا ، أو زعيمة خالدة ، أو عالمة مبتكرة ، ثم لم تلدي « محمدا : رسول الله » ؟ ! !

وأي عمل لك يا أماه أجل وأمجد من أنك كنت النجيبة لهذا السيد العظيم ، ووالدة ذلك البطل الرسول ؟ !

وما أنذا أقف خاشعة أمام صورتك وقد حفت بها أمومتك الخالدة أضواء باهرة السنا ، يكاد جلالك يثنيني عن إطالة النظر إليك ، لولا أن أعود فأذكر أنك أم « محمد » الذي أصر على الاعتراف ببشريته ، وهتف بصوت جهير مايزال يملأ سمع الزمان على مر الآباد :

« إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد » يحتقر كبرياء الملوك ، ويزدري غطرسة السادة ، ويسمو بأمومتك إلى أفق لايتطاول إليه ترف الغنى أو سلطان المادة ، إذ يجعل منك أيتها الأنثى الوديعة المتواضعة ، والأم الطيبة الرءوم ، روح إنسانيته وآية عظمته ..

أماه آمنة ...

هو أبدا مجد الأمومة الذي خلد وأحيت الحياة على الدهر ، ومأثورات التاريخ منذ الأزل وإلى الأبد ، زيد توجك وحيدك العزيز بتاج سماوي من هذا المجد الأزلي الأبدي ، حين قال فأسمعت الدنيا وآمنت الإنسانية :

« الجنة تحت أقدام الأمهات » !

وسلام عليك في ذكرى المولد !

كتب جديدة

في المكتبة الإسلامية

محمد المحارب

طبع الاعتماد – ١٥٠ ص م

ظهر هذا الكتاب منذ بضعة اشهر ، لكني لم افرغ لقراءته حتى بزغ هلال ربيع ، وحل موسم الذكرى الخالدة لمولد الرسول العظيم ، فاذا بي التمس كتاب (محمد المحارب) كي اقرأ ماكتبه ضابط اديب عن البطل الرسول .

والحديث عن هذا الجانب من جوانب الشخصية المحمدية الكريمة ، هو حديث اليوم بلا ريب ، فهذه ثورتنا المباركة التي حطمت الاغلال وبددت الظلمات ، قد قام بها قادة ابطال ، كرهوا لانفسهم ولقومهم ولوطنهم ؛ ان يسكتوا على الضيم ويصبروا على الهوان ، فاعلنوا تمردهم على الطغيان ، وخاضوا المعركة الثائرة وارواحهم على اكفهم ، مخاطرين بالحياة في سبيل ماهو اعز من الحياة

فيالذكرى المجيدة ، نحيي فيهاالیوم ذكرى القائد الاعظم ، قائد الذي حرر امته من ربقة الجهالة ومحا عنها وصمة الوثنية ، وكان رائدها الى الحق والخير والايمان

ومحدثنا اليوم عن « محمد المحارب » هو « اليوزباشي محمد فرج » الذي قرأنا له من قبل كتابه الاول (جبابرة حرب) فلم نعجب لتوفيقه في تحليل شخصيات القادة ، وخبرته بالعبقرية الحربية ، فالميدان ميدانه والحرب صنعته ، اما كتابه الجديد فيدعو الى العجب حقا ، لا لانه وفق في عرض شخصية « محمد المحارب » ، ولكن لان الكتاب يشهد بالصلة الوثيق بالتاريخ الاسلامي ، وصبره على مراجعة المصادر الكثيرة عن حروب الرسول ، والتماسه الشواهد والادلة من منابعها الاصيلة في القرآن الكريم وتاريخ نبي الاسلام .

والحق ان « اليوزباشي فرج » يبدو في دراسته هذه (لمحمد المحارب) كانه احد الذين تخصصوا في التاريخ الاسلامي وتمرسوا به ، ومرنوا على التأليف فيه ، وتلك ميزة في المؤلف تضاف اليها ميزتان اخريان اولاهما فهمه للمواقف الحربية وتحليله اياها على ضوء الخبرة الفنية والتجربة العملية ، والثانية هذا الاسلوب الادبي في العرض والاداء .

ولعل اعجابي بالكتاب ، هو الذي يدفعني الى نقده ، اذ النقد عندي مظهر عناية ودليل تقدير واهتمام .

واول ما آخذه على المؤلف : انه يميل احيانا الى اطلاق احكام عامة جازمة ، حيث يجب الحذر والاحتياط ، كحكمه (بان البيئة العربية جمعت الجهالة لنشر الوثنية على جزيرة العرب – ص ٥) مع أن الذى شهد به التاريخ أن للبيئة العربية من قديم حظها من المعرفة والنور ، وحسبي ان اذكر هنا انها عرفت « دين ابرهيم » و « حلف الفضول » وكانت لها تقاليد صالحة ابقى عليها الاسلام وامتز بها .

ومثله قول المؤلف في ص ٧١ : (قد يقول البعض أن محمدا كان يوحى اليه بالخطة التي يستعملها) وفي هذا القول سفه كبير وخبل واضح ، فان القيادة فن ، وان محمدا قد اكتسبها بالخبرة والمران)

والحكم بالسفه والخبل على من قالوا بان الرسول كان يصدر خططه عن وحي ، يصدم الحس المؤمن ، كما ينكره الاسلوب العلمي الذي ينفر من استعمال الفاظ « السفه والخبل » هنا ، ويستطيع ان يلتمس تعليلا مقبولا لما انكره المؤلف .

كما يصدم الحس المؤمن ، مثل قول المؤلف (وقيل ان سيدنا محمدا كان غيورا على الحق – ص ١١٧) اذ التعبير بـ « قيل » هنا تعوزه الدقة واللباقة .

وفي الاسلوب بعد هذا اخطاء لغوية ، بعضها هين يمكن التجاوز عنه ، وبعضها جدير بان نلفت اليه لما له من اثر على المعنى ، مثل قوله في ص ٩٠ : (فاستجارها واستجارته) والصواب انها (اجارته) ...

وفي ص ١١٠ : (وارسل كعبا الى محمد) ... من لعب الكامل ، والصحيح ان يقال : (وارسل كعب الى محمد)

وفي ص ١٢٢ ، ينقل من الحديث الشريف قوله عليه الصلاة والسلام : ...

(فرأيت في سريري عبد الله بن رواحة) والسياق يمنع اضافة السرير هنا الى ياء المتكلم ، وانما هو (فرأيت في سرير « عبد الله »)

ومن حق المؤلف الفاضل ان نقرر هنا ان هذه الاخطاء ومثلها ، لاتفوت ذوي الخبرة بتاريخ الاسلام ، لكن الكتاب قيم وجدير بان يقرأه – الى جانب هؤلاء – آخرون ممن لم يسبق لهم اتصال بهذا التاريخ ...

هواتف اسلامية

دار الفكر الحديث ، ١٩٢ ص

(وهذا كتاب كان اطلب لي ان اقرأه في موسم الذكرى المحمدية ، وان اصغي فيه الى هواتف صادقة ، لايملك القارئ ان يصرف عنها قبل ان يتم قراءتها .

لقد اختار فضيلة « الاستاذ ابراهيم ابو الخشب الاستاذ بكلية الشريعة » مواقف مأثورة من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحياة صحبه الابرار ، كما اختار الى جانبها بعض المسائل الدينية الكبرى ، وراح يعرضها علينا عرضا يصلها بحياتنا الحاضرة ، ويكشف لنا عن موضع العظة والعبرة فيها ، مع حرصه البالغ على التأنق في العبارة ، واهتمامه الواضح بالصياغة اللفظية الى حد يجعلها السمة الاولى للكتاب .

والايجاز هو السمة الثانية التي لايخطئها القارئ في اسلوب الاستاذ الاديب اذ يتحدث مثلا عن « السيرة المحمدية » وعن ائمة الصحابة مثل « ابي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وعائشة » حديثا مجملا لايكاد يتجاوز ومضتي التلميح ، دون تعمق او استقصاء ، وتكاد التالية

التاريخ : ١ / ١٢ / ١٩٥٣

ينكر على المؤلف مثل هذه الاحاديث الخاطفة التي لا توفي الموضوع بعض حقه من البحث ، لولا ان فضيلته بادر في مقدمة الكتاب الى الاعتذار عن هذا بقوله ان اسلوب مقالاته في معالجة الموضوعات الدينية والمشكلات الاسلامية قد يبدو غريبا ، والناس لم يألفوا الا اساليب التعمق والاستقصاء والتوسع في نقل الشواهد والأدلة ، وانا اطمئنهم جميعا - الى انى لم اعمد الى هذه الطريقة الا بعد تأكدي انها الخطة الوحيدة للغزو الخاطف ، لان الشباب المعاصر اصبح لا يؤمن الا بما قل ودل ، ولم يطل فيمل - ص ٤ »

وهو اعتذار يعفيه من المؤاخذة ، وان كنت اشك في اننا (جميعا !) نطمئن الى ما سماه فضيلته (الطريقة الوحيدة للغزو الخاطف)

بقيت هناك بعض مآخذ يبرر ذكرها ، حسن رأينا في الاستاذ المؤلف ، وصدق تقديرنا لجهده . من ذلك اننا نكره لعالم جليل ، يقدر حرية الرأى ويمثل روح الاسلام ، ان يصطنع في المناقشة مثل قوله :

« وانتهت الفتنة بفريق سموا انفسهم المتصوفين الى ان يقولوا كذا .. ص ١٧ »

او قوله :

« ان المرأة التى دل التاريخ وبرهنت الحوادث على النعرة التى يجول منها الضعف ويتطرق الوهن ويتهدم بناء الابطال - ص ٢٠ »

كذلك نلاحظ على فضيلته ، ان حرصه على التأنق اللفظى ، يشغله احيانا من دقة التعبير ، وبخاصة في مواقف حساسة تقتضى بالغ الحرص والحذر ، فهو مثلا يضيف (الزهو والخيلاء) الى صفوة المؤمنين في قوله : « وكلما احسوا من انفسهم انهم يلتزمون الجادة ويسيرون على صراط ربهم المستقيم ، ازدادوا زهوا وخيلاء ، وتناسوا ما في الدنيا من زخرف ص ١٩ » .

أو قوله : « على أن الذى يلفت النظر في حياة ام المؤمنين عائشة ، انها مع ماوهبها الله من نضارة ونضارة ، وجمال وروعة ، وسحر وبهاء ، كانت تبادل النبى صلى الله عليه وسلم حبا بحب واخلاصا باخلاص - ص ٢١ »

لم يكتف فضيلته بهذا ، بل « يحتم علينا ان نفهم انها رضى الله عنها لم تبادل بالحب حبا وبالوفاء وفاء ، الا حين وجدت من صاحب الخلق العظيم ماحملها على أن ترد الجميل بمثله والمعروف بما يضاهيه - ص ٢٢ »

ترى هل يرضى السيدة عائشة ان يكون حبها للرسول ظاهرة غريبة تلفت النظر ، مع جمالها وشبابها ؟ أو يرضيها أن يكون هذا الحب ردا للجميل بمثله والمعروف بما يضاهيه ؟

واعترف اخيرا ان هذه المؤاخذات ليست بالتى تؤثر في قيمة الكتاب ، وما كنت لاوردها هنا لولا صدورها من شيخ جليل له مكانته بين علماء الشريعة الغراء .

بنت الشاطئ
(من الاهرام)

كتب جديدة

فى المكتبة الفلسفية

الشفاء

المطبعة الاميرية : ٢٠٠ ص ق

اجتمع لهذا الكتاب ما قل ان يجتمع لسواه من اسباب العناية ووسائل الاتقان والتفوق ، لمؤلفه « الشيخ على بن سينا » الذى يعتبر الممثل الاول للفلسفة الاسلامية ، وعنه اخذ الباحثون على اختلافهم من فلاسفة ومتكلمين ومتصوفة ، وللكتاب شهرته الدائمة فى عالم الفكر الانسانى ، ومكانته المرموقة عند العلماء باعتباره عرضا طريفا للفلسفة الرئيسية ، والصورة المثالية لما كانت عليه الحياة العقلية فى القرن الرابع الهجرى من حيث الخصب والنشاط ، وقد ترجم (الشفاء) كله او بعضه الى لغات عدة قديما وحديثا ، لمعرفته الفارسية ، ونقل اكثره الى اللاتينية ، كما ترجمت منه اجزاء شتى الى اللغات الاوربية ، لتنقل منه الى الانجليزية (كتاب الشعر) والى الفرنسية (كتاب الموسيقا) والى الالمانية ابواب مختلفة من (الطبيعيات والالهيات والفلك)

واليوم يظفر منا بما هو اهل له من عناية ، لتجند لخدمته ونشره طائفة من الدارسين النبهاء ، هم الاساتذة : « الاب قنواتي ومحمود الخضيرى والدكتور فؤاد الاهوانى » ويراجعه استاذنا « الدكتور ابراهيم مدكور » الذى يعد فى طليعة العلماء بالفلسفة الاسلامية وتاريخها ، ثم يأتى استاذنا العميد « الدكتور طه حسين » ليصدره ببيانه الخلاب ، محدثا عن مولد الفكرة الجليلة التى اريد ان يكون الاحتفال بالعيد الالفى للشيخ الرئيس ، نشرا لنصوصه محققة ، واحياء لتراثه الغالى المجيد

وهذا الذى ينشر اليوم من (الشفاء) هو جزؤه الاول المعروف بالمدخل « ايساغوجى » الذى اعتبره كثير من مؤرخى العرب مدخلا للمنطق جميعه ، على حين عده بعض الفلاسفة مؤلفهم [illegible] من كتب الرئيس المنطقية

هل قلت ان عمل استاذنا « الدكتور مدكور » فى الكتاب هو المراجعة ؟ انى الآن اظلمه ، لما اكتفى حضرته بالمراجعة — وياما اشقها واجلها ! — وانما قدم الكتاب بمقدمة تاريخية للشفاء ومنزلته ، تكفى وحدها لان تعتبر بحثا علميا من الطراز الممتاز ، فقد الم فيها الباحث بتسمية الكتاب ونسبته الى ليلسوفنا الكبير ، وظروف تأليفه ، وموضوعه ، واسلوبه ومنهجه ، ومدى تعبيره عن فلسفة الشيخ الرئيس ، وشرحه وترجمته ، واثره فى العالمين العربى واللاتينى ، ثم مضى بعد هذا كله يتقدم للمدخل بدراسة دقيقة وافية ، عن « ايساغوجى » واثره فى العالم العربى ، ثم عن مدخل « ابن سينا »

واكاد حين اتمثل الجهد المضنى الذى بذل فى جمع مخطوطات (الشفاء) ثم مقارنتها وتحقيقها وضبطها ، والتعليق عليها ، اكاد استحيى من ذكر اى مأخذ على هذا النص المحقق الذى ظفرنا به ، وبخاصة حين اذكر ان الذى اشرف عليه استاذ لى جليل ، ادين له بالكثير ، واعتز بتلمذتى له فى الفلسفة الاسلامية وفى الدراسات الجامعية واحتفظ لعهده فى كلية الآداب بذكرى مهيبة لجلال الاستاذية فى انبل صورها

غير انى اعود فاذكر ما علمنى من امانة النقد وحرمة العلم ، فارى من حقه على ، ومن حق هؤلاء العلماء الكرام الذين اضطلعوا بهذا العبء الجليل ، ان اعرض هنا بعض ما لفتنى اثناء قراءتى لمنهج النشر ، دون ان اتجاوز هذا الى عالم التخصص فيه من الدرس الفلسفى الاصيل

من ذلك ان محققى النص ، يذكرون فى (ص ٢٩ مقدمة) ان « مخطوطات الشفاء موزعة بين اركان العالم الاربعة ، شرقا وغربا ، وكانوا يودون ان تجمع كلها فى معهد واحد ، بحيث يمكن الحكم عليها عن درس وروية ، لا عن مجرد سماع او وصف » وهذه — بلا شك — لفتة فى عملهم الكبير ، اذ كان يجدر ان تجمع المخطوطات اولا حيثما كانت حتى يكون التحقيق صحيح المنهج ، اما الرغبة فلا تسعف هنا على اى مهما تكن طيبة وصالحة .

وقد اعترفوا فى المقام نفسه ، بان تحقيق النص يتطلب مفاضلة وموازنة « لاتفى اتخاذ وليها » وفى هذا اعتراف صريح بان ولمن الهدف فى تحرير النص وليها) لم يحن بعد .

ثم يقررون فى (ص ١ مقدمة) انهم « فى ضوء ما توفر لديهم من مخطوطات ، حاولوا ان يقدموا النص الذى يخيل اليهم انه يفصح عن راى المؤلف ويؤدى عبارته اداء كاملا »

والتعبير هنا بلفظ « يخيل » يبدو لنا فى تحقيق نص علمى ، اذ ليس الامر تخيلا ، بل هو ترجيح لقدر الكلمة ، وظن غالب بقدر الطاقة .

واذ ننظر فى وصف الاساتذة الناشرين للمخطوطات التى ظفروا بها واعتمدوا عليها فى نشر « النص المختار » يلفتنا فيها ان ليس من بينها مخطوط يتصل نسبه بالمؤلف ، فضلا من كونها مجهولة الناسخين ، واولى مخطوط لها ، نسخة بخيت (او مخطوط ب) الذى وضعه الناشرون فى (القمة) ورأوا انه اصح النسخ واضبطها « لانه فضلا عما اشار به من نقط وضبط ، يشتمل على التصحيحات والتعليقات التى بدقة تروع نص التحقيق العلمى ... ومن حسن الحظ انه مكتمل الاجزاء ، مما سيجعله دعامة ثابتة لنشر الشفاء جميعه — ص ٧٦ » .

هذا مع انهم حين قدموه الينا فى ص ٦٩ ، نصوا على انه : « ليس فيه اسم الناسخ .. ولا مكان النسخ ولا زمانه ، والارجح انه يسعد الى القرن السابع الهجرى » وذلك لقرائن اخرى

في العمل الكبير ، فما يعرفه الشيخ المجرب بمخطوط نجهل ناسخه ، و... ، و... !

والنفس بهذا وحده ماخذا على اخص الذى بين ايدينا دون الامور – نحاليا – من قيمة الجهد المبذول ، وانما هى الثقة بهؤلاء المهرة من الدارسين المحدثين ، الذين نقادهم اذا لم ننتظر منهم الكمال !

اسس الفلسفة

مكتبة النهضة : ٢٢٨ ص ق

للدكتور « توفيق الطويل » : استاذ الفلسفة المساعد بجامعة فؤاد ، نشاطه الجم فى الدرس والتأليف ، وليس هذا النشاط بالذى يحسب له ، لو لم يقترن بصحة المنهج ودقة البحث ، فالحق ان اكثر مؤلفاته ، تحمل طابع البحث العلمى الذى قد نفتقده فى كثير ممن عرفوا بوفرة الانتاج ، ولقد سألت نفسى واننا القى كتابه الجديد : كيف يتاح له ان يخرج هذا العدد من المؤلفات الفلسفية – وهى ما نعرف مشقة وصعوبة ، دون ان ينزل الى السطحية والابتذال !!

واحسبنى ظفرت بالجواب ، فى العبارة الكريمة المعبرة ، التى اهدى بها المؤلف كتابه الى زوجته «اية تقدير للعطايا وعرفان بجميلها» !

و (اسس الفلسفة) كتاب يجمل اصول الفلسفة فى دقة وبساطة ووضوح ، ولقد مهد له الدكتور المؤلف بعرض موجز للفلسفة مجالا ومنهجا ، ثم مضى يتناول بالدرس مشكلاتها الرئيسية الثلاث : مبحث الوجود ، ونظرية المعرفة ، ومبحث القيم ، وعقب على هذه الابواب الاربعة ، بباب خامس خصصه للحديث من الفلسفة الاسلامية ، متناولا فى ذلك علم الكلام والتصوف

واورد فى ختام البحث كشافا للمذاهب والمسائل والموضوعات العامة ، ودليلا لاشهر الاعلام من فلاسفة ومفكرين ، ومعجما يترجم للمصطلحات الواردة فى الكتاب . اما المصادر فقد اثبتها فى هوامش الصفحات اولا باول ، ثم اضاف الى كل فصل ، ثبتا بمجموعة من المراجع التى يمكن ان يرجع اليها من شاء التوسع فى دراسة الموضوع

ولقد قلت ان الدرس الفلسفى شاق مجهد ، وما من شك فى ان اية محاولة لتبسيطه واجماله تضيف الى المشقة الاولى ما يشبه المخاطرة ، وذلك لما تقتضيه من بالغ الحرص والحذر ، كيلا يعتدى التبسيط على المعنى ، او يفسد الايجاز الفكرة ، او يمسها بشائبة من السطحية التى تاباها طبيعة الفلسفة . ومن هنا قدرت للدكتور المؤلف ، مابذل من جهد لكى يخرج كتابه فى نطاق البحث العلمى ، كما قدرت له محاولته الاعتدال وعدم التحيز عند عرض المذاهب المختلفة ومناقشتها ، وانه للمخلصين فى الفلسفة بعد هذا ، الراى الاول ومدى ما وصل اليه حذره من توفيق فيما حاول .

Les Propos du Sheikh Barnil

ط باريس : ٢٠٠ ص م

من احاديث مصرية كتبها « الاستاذ عسكر نحاس » باللغة الفرنسية ، واما انتماؤها للمكتبة الفلسفية وان بدت الى المكتبة الادبية اقرب ، ذلك لانها فى حكمتها ورمزيتها ، تصوغ فلسفة الحياة الاجتماعية صياغة لا يحول اسلوبها الادبى فى العرض دون عمق التأمل ، وصدق الحكمة فالشيخ برميل هدفة لروى ، يواجه المجتمع بكل بساطة ، ويلقى احداث الحياة بنظرته التى لم يمسها لهذيب من النفاق او الرياء ، وهكذا يعرض الكتاب علينا حوارا شائقا عميق المغزى ، بين هذا الشيخ القروى ، وبين الاستاذ المؤلف ، او بينه وبين من يعيشون فى دنياه : زوجه فاطمة ، وموظفى الادارة ، وحلاق الصحة ، وطبيب المركز ، وكثيرا ما يدور الحوار بينه وبين الحيوان الاعجم !

وفى هذا كله ، يقدم الكتاب وصفا صادقا للحياة الريفية البسيطة ، كما يعرض فلسفة الرجل الذى لم تفسده المدنية المسرفة ، الحكيم الذى ينظر الى الحياة نظرة واقعية ، فى حساسية تدل على سليقة طيبة المنصر ، فهو ينقد بلا حقد ، ويتألم بغير حقد ، ويعرف كيف يبتسم لخيبة الامل ، و... من صروف الزمان .

وهذه طائفة من حكم «الشيخ برميل» لنرى فيها نموذجا من اسلوب الاستاذ المؤلف :

– من السهل تصغير رجل ، يتكبر من حوله

– كثير من مظاهر القوة ، ليس فى الحقيقة الا رد فعل من الشعور بالخوف .

– الرجل ، فى عدم المبالاة ، اقوى منه فى الغضب .

– ليس من الحتم ان العليل اسبق الى الموت من الصحيح .

– تهوى عصاى على ظهر القرد ، صونا لمصلحة الجماعة .

– الحقيقة اننا جميعا مقيدون ومن يمسك بعصا التهديد ، ليس حتما من يكره .

– من السهل ان تثنى من تخاطب ، وليس تردده فى بدله !

– يكرم الناس من يرجون منه خيرا ، فنحن مدينون بعطاء لمن كرمونا ...

– ... كلمة تطلق تاتى فى اوانها ، لقد تكون لونا من الوفاء بالدين !

والكتاب يقدم بكلمة للاستاذ « جان ماسب » الرئيس السابق لتحرير البورص ايجيبشيان ، يحيى فيها ويقدر هذا النموذج من الادب الحى الذى نقدمه الى قراء الفرنسية

بنت الشاطئ
(عن الاهرام)

كتب جديدة :

تراجم وشخصيات

محيي الدين بن عربي

مكتبة الخانجي : ١٢٥ ص

الشيخ الأكبر « محيي الدين بن عربي » مكانه المعروف بين شيوخ التصوف والمتصوفة، وقد عيابة طرقه ويثبه لبلوغ هذه الغاية الرفيعة ، فهو سليل بيت علم ودين وجندية، ولقد ولد في القرن السادس الهجري ، أي في صميم العصر الذهبي للحضارة الاندلسية ، وكانت مدرسة التصوف قد استراحت جهاد اوجهادولم لها اذ ذاك نفوذها القوى وسلطانها الواسع ، لتلقى مسرق « مرسية » ذلك التراث الكريم ووثب به نحو النضج والكمال ما كان له من فضل ومكانة ، بل ظلوا ينهلون من مورده ويستقون من (فتوحاته) و (مسامراته) و (فصوص حكمه) معترفين له بالسبق معترفين له بالامامة ، وان لم يسلم مع هذا من خصوم كادوا له ، وانكروا عليه ، ولاحقوه بلعناتهم حتى عصرنا هذا .

كذلك وضعه مؤرخو التصوف الاسلامي — من شرقيين ومستشرقين في موضعه العالي، وراحوا يجدون في البحث عن آثاره وادامة مآثره ، غير اني لا اذكر أنني قرأت عن « ابن عربي » كتابا جامعا كهذا الكتاب الذي يقدمه لنا اليوم ، « الاستاذ طه عبد الباقي سرور » الذي نعرف له عنايته بالتصوف وعكوفه على درسه والترجمة لاعلامه . وهو هنا يجلو لنا شخصية الشيخ، فيبدأنا بوصف الافق المشرق الذي بزغ فيه نجمه ، ومصاحبا اياه من مولده ونشأته ونموه ونضجه ، ومتطلعا اليه وهو ينتقل في (مقاماته وأحواله) من مقام النور ، والوجد ، والوله ، الى مقام الفتح ، فالفناء . ثم يحدثنا الاستاذ عن « ابن عربي والكرامات » ومن منهجه الصوفي ، ومكانته من العلم اللدني وعلم الاسرار والتجليات ، وموقفه بين الفلسفة والتصوف ، ومن ثم يمضى حضرته فيطوف بنا في الآفاق الواسعة التي جال فيها الشيخ ، لكي يخلص بعدهذا للدفاع عنه ضد من انكروا عليه ، ويوضح لنا المتشابهات في كلامه ، ويناقش الذين كتبوا عنه هنا في الشرق أو هناك في الغرب

***

ولايستطيع ناقد منصف ، ان ينكر ما للاستاذ المؤلف من قوة حجة ، ووضوح بيان ودقة الالمام بالتصوف ومعرفة بالامام، واحاطة بما كتب عنه ، غير انا مع هذا لانملك الا ننكر مايبدو من افتتان الاستاذ بصاحبه الشيخ ، افتتانا ربما لا يقبل من باحث يستطيع — بلا شك — أن يتجرد للبحث بروح علمية ، وان ينتهي بنا الى ما يشاء من تقدير واعجاب ، دون أن يشعرنا منذ السطر الاول باننا لن نقرأ عن المترجم له، كلمة تمس جلاله وكماله، او تقدر بشريته !

وليت شعري هل كان يضير الاستاذ ، ان يؤجل ماصدر به الكتاب من « الامام والزعيم الاكبر في علم الفيض والالهام ولقن العطايا الالهية والمعارف اللدنية ، والقطب المصطفى الذي يهب الحياة والخلود لكل ما تدركه خواطره ، او يمسه قلمه ... اعتلى قمة التصوف ، فهو اولها وهو ايضا ختامها — ص ٨ »

لقد كان حضرة الاستاذ يستطيع — ولله طوع يده — أن يدع لنا نحن ، مشاركته هذا الايمان بعظمة المترجم له؛ دون ان يفاجئنا — قبل ان يبدأ في عرض شخصية الشيخ ، بمثل قوله :

« انه تغلب بمواهبه العقلية والروحية ؛ وبالهاماته الدينية وكشوفه القلبية ؛ على جيله وعلى الاجيال التي سبقته ، بل لقد احتفظ بتفرده وتفوقه على الاجيال التي تعاقبت بعده؛ فمضى في التاريخ منارة لاتطاول وصرحا شامخا متمردا ترتد عنه العيون وتخشع لديه الافئدة — ص ١٠ »

« وكذلك هو .. قمة شامخة في سموها الرائع ، شامخة باسرارها وعلومها والهاماتها، قمة قد احاطها صاحبها بالمصاعب والمشاق والمجاهل ، حتى غدا الوصول اليها ضربا من المحال لا يجدي ، وغدا المرتقى اليها متعبا مرهقا حتى الحيرة الابدية ...

« واذا قال الاصمعي يوما : ان الصحابة اشبه بساحات الحرم ، يجمع فيها الجوهر والذهب والتراب والشوك ، فساحة محيي الدين كالمحراب ، لايجمع فيه الا ماء زمزم او سر مصون ، او نور موهوب ، لاساحة ولا قمة ، قمة متطاولة الى السماء .. » ص ١١

***

ومتى ان هذا الوصف فضلا عن خروجه على سنة الحياة وناموس الطبيعة — لا يستقيم مع ما ذكره الاستاذ الفاضل قبل صفحتين اثنتين من أن محيي الدين « جاء على عرش قدر واحد ، في عصر ماحول بالعلماء عامر الافق بنجوم السماء »

وقوله في الصفحة نفسها :

« فاذا ثبت للتصوف في القرن الخامس الهجري مدرسة جامعة ، واذا تم له تفوقه المروي الغلاب على الارواح والقلوب في سائر انحاء المجتمع الاسلامي ، وأسهم الصرح الاسني وارتفعت قوائمه ، بعد ان له أن يتحلى بالمحراب والامام والزعيم الاكبر .. » ص ٨

وهذا صريح في أن تراث العصور السابقة قد هيأ لظهور محيي الدين وشارك في تكوينه وان الشيخ لم ينفرد ببناء الصرح ، وانما جاء والقواعد راسخة والاسس مستقرة ، فاضاف جهده الى جهود من قبله ، وارتفع بالبناء الذي شيد بالفعل قبل عصره ..

واعود فأؤكد ان مثل هذه المآخذ ، لاتهدر حق الكتاب في تقديرنا الصادق ، ولا تنسينا ما بذل حضرة الاستاذ — ويبذل — من جهود موفقة في دراسة التصوف والمتصوفة .

بنت الشاطيء

« من الاهرام »

التاريخ : ٢٥ / ١٢ / ١٩٥٢

في ذكرى الميلاد

أمهات الأنبياء

للدكتورة بنت الشاطئ

هي ظاهرة مشتركة في حياة الانبياء الاربعة، أصحاب الرسالات الدينية الكبرى: اسماعيل، وموسى، وعيسى، ومحمد عليهم الصلاة والسلام. ظاهرة لم الحظها من قبل، حتى عكفت منذ حين على دراسة حياة ام الرسول، فاذا بي الفف مبهورة امام الدور الذي اختارته السماء لامهات هؤلاء الانبياء.

ولعلي قد دهشت بادئ ذي بدء، وبدا لي من عجيب الاتفاق أن يكونوا جميعا قد عهد بهم في طفولتهم الى الامهات وحدهن، غير أني ما لبثت أن رأيت الامر طبيعيا لا غرابة فيه ولا مصادفة، اذ الام صانعة الحياة، وهي بروحانيتها وامومتها — التي جعلت الجنة تحت قدميها — أقرب الى روحانية الدين، وأقدر على الاضطلاع بالعبء الجليل في صنع الرسل المختارين.

هذه «التوراة» تروي لنا قصة «هاجر ام اسماعيل» في تفصيل مسهب، وهذا «القرآن الكريم» يشير اليها في مواضع شتى على اسلوبه الفريد في التقصص، وما لها من قصة الامومة في أروع مواقفها وأقوى مشاعرها. أراد الله أن يؤثر هذه الام برعاية «اسماعيل» الوليد وانقاذه من الهلاك، فتركه لها وحدها في واد قفر غير ذي زرع عند بيته المحرم لتكون لهفتها على الصغير والالم الذي ذاقته حين رأته يكابد حرقة الظما، وسعيها المؤثر في سبيل قطرة ماء تمسك عليه الحياة، حديث الزمان وعبرة الدهر، وصورة تخلد فيها الامومة وتتقدس آلامها، الى حيث تغدو عبادة وصلاة، على مر الحقب والدهور.

و«القرآن الكريم» لا يذكر لنا من والد «موسى» شيئا، وانما يخص بالذكر امه، ويكل اليها أمر حمايته وليدا ورضيعا، حين استبد فرعون ببني اسرائيل، فأذلهم واستعبدهم وراح يسومهم سوء العذاب: يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم.

قيل انه رأى رؤيا أزعجته، فدعا الكهنة والسحرة والمعبرين والمنجمين وسألهم عن تأويل رؤياه، فقالوا: «يولد في بني اسرائيل غلام يسلبك الملك ويغلبك على سلطانك ويخرجك وقومك من أرضك ويبدل دينك، وقد أظلك زمانه الذي يولد فيه».

فأمر الطاغية بذبح كل غلام يولد لبني اسرائيل. وولد موسى اذ ذاك خفية، بعد أن ذبح في طلبه الوف ذات عدد، فارتجفت امه رعبا وجزعا، لولا أن أوحى الله اليها أن ترضعه، وتضعه في تابوت ثم تلقي به في اليم وتسلمه لرعاية الرب. فلما فعلت، ووقفت على ضفة النهر وقلبها يجري في اثر الوليد الحبيب، الى أن غاب التابوت عن عينيها فكادت نفسها تطير شعاعا . .

ثم انزل الله سكينته عليها، فأمسكت عبرتها وطوت لوعتها، على حين مضت الامواج بالتابوت حتى انتهت به الى روضة عند قصر فرعون، فحمل الى امرأته، ووضع بين يديها، فاذا الصغير الجميل يرنو اليها ووجهه يشرق بابتسامة وضيئة.

وأطالت النظر اليه وقد احست أن قلبها ينفتح له، ولم يكن لها ولد، فما أروعها هدية يقدمها القدر الى امومتها المحرومة!!

وهم فرعون بأن يذبحه، فتوسلت اليه ألا يفعل، وقالت ضارعة:

«قرة عين لي ولك، لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا»

وهنالك في حي بني اسرائيل، كانت «ام موسى» تضع يدها على قلبها الذي ما فتئ يلح في طلب الغائب الغالي.

قالت لاخته: اتبعيه وتقصي اثره هل تسمعين له ذكرا؟

فخرجت اخته تلتمس الاثر، وحملتها قدماها الى قريب من قصر فرعون، لتسمع هنالك أن ربة القصر تبنت غلاما رضيعا يأبى المراضع.

فجمعت الاخت شجاعتها وقالت لآل فرعون: «هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون»؟!

وعرضوا الصغير على امه، فأمسكت صيحة فرح كادت تنطلق من اعماقها فتنم عليها، وأقبلت على فلذة كبدها متجلدة متماسكة، فضمته الى صدرها وألقمته ثديها، فما كان أشد عجب القوم — الذين عرضوا اباه موسى للمراضع جميعا — حين رأوه يلتقف الثدي في لهفة الظامئ يجد ريا . . .

وعيسى، عليه السلام؟

من حق الامهات أن يفخرن بنسبة نبي المسيحية الى امه «مريم»، هذه الام التي طهرها الله واصطفاها على نساء العالمين.

ولقصة امومة مريم، كما روتها كتب السماء، بالغة التأثير والعنف، فلقد تعرضت عليها السلام لأقسى ما تتعرض له انثى، فتاة في بيت دين وتقى، وكانت امها قد نذرتها لله حين حملت بها، فأمضت «مريم» صباها في المحراب عابدة قانتة، وفاء بنذر امها، على

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٢٥ / ١٢ / ١٩٥٢

اذا ادركت ، اختارها الله من دون النساء جميعا فأودعها سره الاكبر ، وبعث اليها في خلوتها من يبشرها « بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين » .

لما كادت تسمع البشرى حتى اخذ منها الروع اشد مأخذ ، واستعاذت بالله من هذا الذي سمعت ، ثم رفعت وجهها الى السماء قائلة : « رب انى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم اك بغيا ! - قال كذلك قال ربك هو على هين ، ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان امرا مقضيا » .

فاستسلمت العذراء لقضاء الله خاشعة صابرة ، الى ان شعرت بحركة الجنين ، « فحملته فانتبذت به مكانا قصيا - فأجاءها المخاض الى جذع النخلة ، قالت : ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا ، فناداها من تحتها الا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا ، وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا »

ــــــــ

وتأتى « آمنة بنت وهب » فى ختام هذا الموكب الرائع لامهات الانبياء ، لتكون ام النبى العربى اليتيم : محمد بن عبد الله ، المبعوث باخر رسالات السماء ..

ــــــــ

الا فلتكن كلمتى اليوم من صانعات التاريخ ووالدات الرسل ، تحية كريمة للام « مريم » فى ذكرى ميلاد ولدها العظيم الذى جعله الله وامه « آية للعالمين » !

(بنت الشاطىء)

التاريخ : ٢٩ / ١٢ / ١٩٥٢

كتب جديدة :

فى المكتبة اللغوية

فى اصول النحو

ط الجامعة السورية : ١٩٠ ص ق

اتيح لى من قبل ان اقرا عددا من مؤلفات « الاستاذ سعيد الافغاني استاذ العربية فى كلية الاداب بدمشق » فبدا لى من روحه العلمية وعمقه فى البحث ، ما جعلنى احرص على قراءة كل الذى يصل الى يدى من دراساته ومؤلفاته . وهذا كتابه الجديد (فى اصول النحو) لا اكاد اقرا الفقرات الاولى منه ، حتى تلقانى تلك الروح الصالحة التى اعرفها فى المؤلف ، فاصغى فى احترام وتقدير الى قوله وهو يقدم كتابه :

« وانا مؤمن بان بين هذه المحاضرات والكمال الذى اتصوره لها مراحل فساحا ، وان عمل الانسان ابدا فى حاجة الى الاصلاح ، وان الخطوات العلمية لا تسدد الا بالنقد يوجهه كل من هو له راى صالح ، وانه ما من احد يصغر من ان ينقد ، كما انه ما من احد يكبر من ان ينقد »

وفى هذا الجو من الثقة والاحترام والتقدير لمهمة الدارس والناقد اقدم اليوم كتاب الاستاذ الافغانى ، (فى اصول النحو) ، وهى مباحث اربعة ، تناولت (الاحتجاج . والقياس ـ والاشتقاق ـ والخلاف) تناولا دقيقا يمس ما قيل فى هذه القضايا ويحسن فقهها وعرضها ، ويعتمد فيها على مراجع اصيلة الا فى القليل النادر .

والموضوع ـ بلا شك ـ له خطره عند علماء اللغة والحاجة اليه ماسة عند المشتغلين اليوم بالدراسات اللغوية . وكان المرجو ان يجدوا جميعا فى كتاب الاستاذ الجليل ، ما يلبى هذه الحاجة ، الا انه قد تناول الموضوع فى افق محدود بقدر طلابه فى الجامعة ، وراعى مستواهم وحاجتهم ، فمر بكثير من القضايا خطفا لان للطلاب بها سابق عهد ، واجمل فى قضايا اخرى لانهم فى غير حاجة اليها .

والامر هنا هين على كل حال ، فمن حق الاستاذ الجليل ان يدع حاجة طلابه فى المقام الاول ، ولكن من حقنا نحن ايضا ان ننكر ضياع فرصة كهذه ، كان يمكن ان تستغل لعرض الاصول الكبرى للنحو ، فى افق ارحب واعدل .

وندع هذه ، لنلتفت الى اخرى ذات خطر ، لانها تمس صميم المنهج وتتصل باساس الدرس . تلك هى ان الاستاذ الافغانى اقام درسه للاصول اللغوية ، على مبدأ لا نستطيع بحال ما ، ان نسلم له بصحته . فقد اعتبر اللغة « عملا عقليا » وهو يبحث فى القياس والاشتقاق والخلاف على هذا الاساس ، وواضح ان حضرته متاثر فى هذا بالسيوطى تاثرا واضحا ، وبخاصة فى كتابيه (الاقتراح ، والمزهر) . مع ان الذى اطمأنت اليه مدرستنا الحديثة ، هو ان اللغة « ظاهرة اجتماعية وليست عملا عقليا » . والاستاذ الافغانى ـ فى نضجه واتصاله بهذه المدرسة التى نحمل له اكرم ذكرى ـ بحيث يقدر اتجاهها الجديد فى فهم طبيعة اللغة فهما يتصل بالحياة ويتفق باحدث ما انتهى اليه علم الاجتماع فى ذلك الميدان

الحق اقول ، وبين يدى من اقوال الاستاذ الافغانى فى كتابه ، ما يجعلنى اطمع فى تقديره لهذا المذهب الذى نطمئن اليه . فحضرته يبدو حريصا على ان يجعل مقالة طلابه فى النحو « مقالة قواعد لا مقالة قواعد » وهو يدافع عن (مدرسة السماع) فى غير موضع ويبدى نزعة حرة فى مناقشة (مدرسة القياس) ـ ص ١٢٩ ـ كما يدعو الى اعادة النظر فيما قعدوا من قواعد وقاسوا من مقاييس ـ ص ٢٥ ـ ثم يعلن فى صراحة انه « لا يعقل النحو الا استقراء ثم قياسا » ـ ص ٦١ ـ

تبقى بعد هذا ، مسائل جزئية ، لا يضير الاستاذ ان يختلف رأينا فيها . من ذلك ما قرره فى ص ٦ من ان « اللحن يعتبر الباعث الاول على تدوين اللغة وجمعها » ـ والاقرب من هذا فى رأينا ، ان هذا التدوين والجمع ، التمسا لتعلم اللغة التى احتاج الى تعلمها ، ملايين من الاجانب ، فى البلاد التى فتحها الاسلام

وفى الفصل الذى افرده الباحث للحديث عمن « يحتج به » ويستشهد بكلامه ـ ص ١٤ : ص ٢٠ ـ يسلم حضرته فى سهولة « بان اهل البادية ظلوا حتى القرن الرابع » يستشهد بكلامهم ، ثم زاد فتحمس لما ذكره « ابن جنى » فى باب « ترك الاخذ عن اهل المدر ، كما اخذ عن اهل الوبر » وكنا نؤثر للاستاذ الافغانى هنا بعض الاحتياط ، فالواقع ان العبرة فى

سلامة اللسان ، كانت – على قوامها – تتجنب المخالطة . ومن أهل البادية من تعرضوا لهذا الاختلاط في رحلاتهم التجارية الى خارج الجزيرة ، بدليل ما رووا من طور اللغة ايام الرسول صلى الله عليه وسلم وقبل ان ينتشر العرب من باديتهم مع حركة الفتح الاسلامي

وما اراني بعد في حاجة الى ان اعتذر لحضرة الاستاذ عما في كلمتي هذه من خلاف في الرأي او صراحة في النقد ، فلقد اعفاني حضرته من مثل هذا ، حين قرر في مطلع كتابه « ان الخطرات العامية لا تسدد الا بالنقد يسهم فيه كل من له رأي صالح ... وانه ما من احد يكبر من ان ينقد »

القراءة الناصرية

دار المعارف ، ٩٠ ص [illegible]

قد يستغرب كثير من القراء ان اقدم هذا الكتاب – وهو لتعليم الاطفال مبادئ العربية – مع كتاب الاستاذ الامامي (في اصول النحو) وهو دراسة جامعية عالية لاصول اللغة ، والحق اني فعلت هذا عمدا ، لاشعر قومي بوجوب العناية بالاسس الاولى للغة العربية في مدارسنا فهذه المرحلة الاولية المبتدئة ، لا تقل – او يجب الا تقل – في الاهمية عن تلك المرحلة الاخيرة التي يتم الطلاب فيها دراستهم ، ونحن مع الاسف الشديد ، قلما نبذل للمدرسة الاولية ما تستحق من عناية ، بل ننسى انها الاساس لما بعدها ، ثم نشكو بعد هذا ضعف البناء اللغوي عندنا ، وعجز ابنائنا عن التمكن من لغتهم القومية

و (القراءة الناصرية) تعدو هذا الوضع لتوجه اهتمامها الى الاطفال المبتدئين في التهجي والمطالعة ، وقد اشترك في وضع الكتاب ، « الاستاذان عبد الله [illegible] ومرتاض عبد الغفار: المدرسان بالمدارس الثانوية [illegible] لرغبة كريمة ابداها جلالة ملك اليمن ، عندما كان الاستاذان منتدبين في بعثة تعليمية الى ذلك البلد الشقيق

وتقوم (القراءة الناصرية) على الطريقة الجملية التي تعد احدث ما انتهت اليه التجارب الحديثة في مجال التربية وتدريس اللغة ، وهي طريقة لا تفاجئ الطفل بالحروف الابجدية ، بل تقدر ان الطفل يدرك كليات الاشياء قبل ان يدرك جزئياتها ، فتقدمه يعرف رسم الشيء جملة ، وتؤجل الى مرحلة تالية ، معرفة الحروف التي تتكون منها الكلمة

ويجد المعلم في دروس هذا الكتاب ، نماذج صالحة لطريقة التدريس ، مع طائفة من الارشادات الكافية للتوجيه

وفي القسم الاخير منه ، قطع مختارة للقراءة والكتابة ، روعي في اختيارها مستوى الطفل وبيئته

والكتاب مطبوع على نفقة جلالة ملك اليمن وقد قررت الحكومة هناك ، تدريسه بمدارسها

بنت الشاطئ

(من الاهرام)

التاريخ : ٤ / ١ / ١٩٥٣

وقفة على أطلال :

الصرح المنهار

للدكتورة بنت الشاطئ

لا اذكر انى قسرت فى حياتى الجامعية على طولها ، بمثل ذاك الحزن المر الذى ذقته وانا اقرأ فى «الاهرام» صباح يوم ١٩٥٢/١٢/٢٩ :

«ان مجلس جامعة فؤاد ، قرر ان يطلب الى حضرة وزير المعارف ، التقدم الى مجلس الوزراء لاستصدار مرسوم بالغاء مجلس كلية الآداب بالجامعة الى اجل غير مسمى ، ولتعيين مشرف على الكلية يقوم بتنظيم ادارتها واقسامها واعضاء هيئة التدريس بها ، وذلك للحالة السيئة التي اصبحت الكلية تعانى من جرائها»

ولو انصفت «الاهرام» لنشرت هذا النعى فى اطار اسود ، حدادا على ذلك الصرح العلمى الشهيد الذى انهار .

ومن حق الكلية علينا ـ وقد كانت دورنا العلمية السامقة ، وملاذنا الروحى والعقلى والمنارة الهادية التى سرنا على نورها نحو النضج والوعى ـ من حقها علينا ان نرثيها اليوم ونتبادل العزاء فيها ، نحن ابناؤها الذين تعلموا بين جدرانها ، ابان عهدها الزاهر ، جلال العلم ، وتمثلوا معنى الحرية والكرامة ، وتطلعوا الى الآفاق العليا للحق والخير والجمال .

اجل ، ولتلبس الامة ثوب الحداد على اعرق كلية جامعية فيها ، تلك التى كانت نواة الجامعة الاهلية ، ومناط الآمال المسكرة من المصريين الاحرار فى كفاحهم النبيل للاستعمار الخبيث عندما حاول افساد العبقرية المصرية ، والوقوف بالتعليم عند اخراج مطايا طيعة ذليلة ، لا ادى ما يطلب منها من اعمال الدواوين ، فى ظل المستشارين ! ! .

يا للمصير التعس !

لقد قامت هذه الكلية وابناؤها ، غرست الطليعة الكريمة من الجامعيين الاحرار ، البذور الاولى لشجرة الحرية ، وظلت ساهرة عليها فى عهود الطغيان ، تبث فيها من حيويتها وآمالها وتمثلها ما يعصمها من الذبول والجفاف . وكلما استشهد فى الجهاد النبيل طبقة من اولئك الاحرار ، اسلموا اللواء الى طبقة تالية : ميراثا كريما مقدسا ، يفتدى بالحياة لانه اعز من الحياة !

فما الذى دها الكلية اليوم حتى تتصدع ، ولقد كانت جديرة بان تأخذ مكانها المرموق فى موكب التحرير ! !

اى طائف مارد طاف عليها فى ليل الظلمات ، فاصبحت كالصريم !

اى عاتٍ مدمر اطاح بذلك الحصن العالى ، وهوى به فى الوقت الذى تشهد فيه مصر مشرق النور الجديد ! !

اللهم انه لم يكن الانهيار المباغت يلا سابق انذار او نذير ، فلقد ظهرت بوادر التصدع فى بنيان الكلية منذ اعوام ذات عدد ، وتتابعت النذر فى اصرار والحاح ، منبهة الى الخلل الذى تسرب لم تشعب ، ومنذرة بالهاوية التى كانت تتلقف كل ما انحدر من القمة الشماء !

ولا اذكر هنا ما حفلت به محاضر مجلس الكلية المنحل ، او دور القضاء من تلك الاسفار الصارخة ، بل هذه هى « الاهرام » بين يدى ، فى اعوام ١٩٤٨ و ١٩٥٠ ، اقرأ فيها مقالات صارخة ، من « الامانة » العلمية ـ ومظالمة الجامعية ، وبأس الشباب ، ومحنة الجامعة ، ومكافحة الطموح ، والابواب الموصدة ، والموازين المختلة ، وحزمة الدرجات و ٠٠٠ و ٠٠٠ مما لا احصيه الآن عدا ، وانما اتساءل فى مرارة ،

الم تبلغ احدى هذه الصيحات مسمع القائمين بامر الجامعة اذ ذاك ، بل ظلوا لا يدرون منها شيئا حتى بغتهم المصير الفاجع !

أم تراهم قد قرأوا ، وسمعوا ، لكنهم آثروا ان يتجاهلوا ، ويعالجوا الخلل بالصمت والاغفال والمداراة !

ان تكن الاولى ، فتلك مأساة ..

وان تكن الثانية ، فالمصاب أفدح ...

انى لا انسى الساعة اساتذتنا الاجلاء الذين مرت ايامهم فى الكلية ايام عزها ، ومهدتا من للاتهم فى حمل الامانة العظمى ما يرفعهم الى مستوى اصحاب الرسالات .

الفتهم لاشعر بالحزن من اجلهم ، واكاد ارى الاحياء منهم يشهدون فى اسى ، مصرع الامل العزيز ومهوى النجم الثاقب ، واكاد ارى ارواح الذين رحلوا منهم الى رحمة الله ، تطوف بالبناء الذى تقوض وانتثرت انقاضه على الساحة المهيبة التى طالما حججنا اليها فى خشوع واجلال ..

الا فليرحم الله استاذنا الاكبر «الشيخ مصطفى عبد الرازق» ...

وعزاء خالصا لاستاذنا الجليل « احمد لطفى السيد » وصحبه الجامعيين الاوائل ، الذين تلوذ بهم الجامعية فى محنتها الحاضرة ، ليبثوا فيها من الثقة والايمان ، ما يعينها على نضال جديد من اجل البعث ! ..

التاريخ : ٥ / ١ / ١٩٥٣

كتب جديدة :

في المكتبة المصرية

عبد الله جاك منو

طبع دار الكتاب العربي — ٢٠٥ ص م

اود قبل كل شيء ، ان اشيد بالمجهود الموفق الذي بذله « الدكتور محمد فؤاد شكري » في اعداد المادة التاريخية لهذا السفر القيم ، وجمعها من عديد المصادر ومن المراجع ، لم تيسيرها وعرضها عرضا يعين مثقفنا ما يلقى في اكثر الدراسات التاريخية من جهد واملال

والكتاب في ظاهره ، يتقدم ترجمة لحياة القائد « مينو » ثالث ابطال الحملة الفرنسية على مصر والذي قاد معركة انسحاب الفرنسيين من بلادنا بعد ان اقاموا بها ثلاث سنوات وثلاثة اشهر . لكن الدكتور المؤلف لم يعن بتاريخ حياة القائد ، بقدر ما عناه ان يعرض لتفصيل سبب ، قصة الحملة التي كان « مينو » احد قوادها

كذلك لم يشأ حضرته ان يمضي بنا مباشرة الى صميم المعركة ، قبل ان يمهد لها بأول بيان عن اسباب الغزو ، واهدافه ومقدماته ، وخطراته ، وبرامجه وادواته ، بحيث يمكن ان يقال ان الكتاب يؤرخ للحملة الفرنسية بعامة . وان آثر احد رجالها بعناية خاصة ، نظرا للدور الهام الذي قام به على مسرح التاريخ المصري في تلك المرحلة الحاسمة من حياتنا القومية

⁂

و « الدكتور شكري » في غنى عن التنويه بسعة اطلاعه ، وقوة احتماله لمشقة البحث ، ودقة المامه بالتيارات الخفية للسياسة الدولية في العصر الحديث ، فذلك كله مما يرجى من مثله ، وانما الذي يعنيني هنا ، ان ابدي بعض ما عن لي من ملاحظات على هذا العمل الجدير بكل تقدير واحترام

منها ان الاستاذ المؤلف ، يصر منذ الصفحة الاولى ، على ان الحملة الفرنسية « كانت اول تجربة استعمارية من نوعها ، قامت على اسس مغايرة لتلك التي شهدت عليها الدول الاستعمارية في السنين المائتين السابقة ، مستعمراتها » لم لا نكاد نمضي مع حضرته في الكتاب ، حتى نسمع شيئا من تلك المبادئ الجديدة والاسس المغايرة ، حتى يلقانا في كل مكان ، ما يؤكد الذي نعرفه من ان فرنسا لم تشذ برمتها عن مثيلاتها من دول الاستعمار ، ولا انحرفت عن مبادئها التقليدية في اتخاذ الشرق مزرعة لاوربا ومسرحا لتصريف بضائعها ووسيلة من وسائل الغلبة في الصراع الدولي . (راجع صفحات : ٢٢ — ٢١ — ١٨ — ٦٧ — ٦٨ — ٧٤ ...)

ولقد كانت لتقارير التجار الفرنسيين ، عما يلقون على ايدي المماليك من سوء المعاملة ، وعما يجني فرنسا من ارباح تجارية ضخمة لو استعمرت مصر (ص ١) : ٢٢) كما كانت لتقارير الساسة الفرنسيين بالشرق ، وفي مقدمتهم ممثل فرنسا في الاستانة ، وقنصلها في مصر ، من موارد الثروة في الارض الطيبة ، وما يمكن ان تجنيه الحكومة التي تستعمرها من ضرائب واحتكارات ، تقدرها « القنصل مور » بنحو مئة وعشرين مليونا من الجنيهات سنويا ، اقول كانت لتقارير التجار والساسة عن خيرات مصر ، من اهم الاسباب المباشرة لتحرك الحملة بعد ما مهدت لها رسائل « سافاري » عن النجم الذهبي في وادي النيل ، وبعد الذي ذاع في فرنسا من قرب انحلال الامبراطورية العثمانية ، « واعتبار مصر نصيب الفرنسيين من تركة هذه الامبراطورية المنحلة — ص ٥٠ ، ١١٢ — لكي تتمكن الجمهورية الفرنسية من تعويض خسائرها في جزر الانتيل ، ولتصون تجارة الفرنسيين في الشرق وجزر الارخبيل — ص ١٧٦ »

اعرف ان الدكتور المؤلف قد نقل المبادئ الجديدة للثورة كما بسطها بونابرت في الدستور الذي انشأه للحملة عقب وصوله الى مصر ، ص ١٢ . لكن الدكتور شكري نفسه ، لم يخدع من زيف هذه المبادئ ، بل لم يرض للمصريين الا ذاك ، « ان يكونوا قد بلغوا من قصر النظر وقلة الدراية ، حدا يسدل ستارا كثيفا على افهامهم ، حتى يصدقوا دعاوي الفرنسيين العريضة ويؤمنوا بها »

وحضرته يعرف اكثر مما اعرف ، ان الذي اذاعه الفرنسيون من تسامحهم الديني واحترامهم لاخوانهم المصريين ، لم يكن الا كما قال « مينو » الذي استبدل باسم فرانسوا اسم عبد الله ، وبالمسيحية الاسلام :

« وهل يعرف اولئك الحمقى الذين يعجبون من الزواج من سيدة مسلمة ، انني ما فعلت ذلك الا بدافع من حسن السياسة ، واستجابة لعاطفة الوطن — ص ١٧٦ » .

« ان مصر لتتمتع بثروة تجعلها من خير مستعمرات العالم ، فهي تنتج الارز والقمح والشعير و ... و ... مما يسهل معه انتظار حصول فرنسا على خير من هذه المستعمرة الغنية — ص ١٨١ »

الا يرى الدكتور ان هذا كله ، ينقض تأكيده الحاسم الجازم بان الحملة قامت على مبادئ جديدة ، واسس مغايرة لما كان معروفا من دول الاستعمار ! !

⁂

وملاحظة اخرى ادعى للدهشة والعجب ، وهي ان الدكتور المؤلف يقرر في صدر الكتاب ان الحملة الفرنسية « كانت اول تجربة للحكم الاجنبي ، صادفتها مصر في القرن التاسع عشر »

التاريخ : ٥ / ١ / ١٩٥٣

سبحان الله !! أو كان الحكم التركي لمصر اجنبيا ! أو كان (الباشوات المتمصرون) و (البكوات المماليك) الذين لم تزدهم الاستانة ليحكموا مصر ويجبوا جزيتها ، مصريين غير اجانب !

اللهم انها النغمة البهيجة التي حاولت ان تزيل سبة الاستعمار التركي ، وهيهات !

وادع هذه المآخذ المنهجية الكبرى ، الى جزئيات ليست بذات خطر ، اهمها انني احسست وانا اتتبع سيرة « جاك فرانسوا منو » وجود ثغرات واضحة في حياته ، فلم اكد اظفر بما يبرر لي ، كيف استطاع هذا النبيل الذي ترعرع في بيت عريق بالاخلاص للملكية « ان ينغمس في حرية وتسامح عظيمين ، تلك الاراء التي نادى بها فلاسفة الثورة ومفكروها الانسانيون » ــ ص ٦ : ٧

كما لم اجد ما يمهد امامي السبيل للتطور المفاجيء الذي جعل البارون السابق الماجن اللاهي يوائق بين مبادىء الثورة ، وبين اسلوب حياته البالغة الترف ، الماجنة المتحللة حتى آخر عمره !

بل عبثا حاولت ان التمس عند الاستاذ المؤلف ، تفسيرا معقولا لهذا الرضا المسرف الذي غمر به « نابليون » شخصا مثل « منو » ضج الشاكون من عبثه ، ومجونه ، واهماله واشتغاله ــ حتى في الشيخوخة ــ عن واجبات منصبه بما لا ينتظر ان يغفره نابليون لشاب غرير غير مسئول !

والمؤلف نفسه قد استغرب هذا الموقف (ص ٦٨٧) لكنه لم يحاول ان يفسره فأنى يا ترى نجد التفسير !!

ولا ادع الكتاب دون ان اعتب على حضرة المؤلف ، اكتفاءه في الحديث عن « السيدة زبيدة : زوجة منو » بالاشارة العابرة والمر الخاطف ، مع ان مصريتها كانت جديرة بان تحتم على « الدكتور شكري » ان يؤثرها باوفى حظ من عنايته ، فلا يكتفي ــ في كتاب عن « منو » جاوزت صفحاته سبعمائة ــ باسطر معدودات عن زواجها ، ورحيلها الى فرنسا حيث تبعها زوجها منسلا ، دون ان يبذل اية محاولة لتتبع مصير هذه السيدة التي نزحت من « رشيد » الى موطن زوجها ومعها ابنهما « سليمان مراد » .

ولو شاء حضرة المؤلف ، لبحث عمن بقي من اسرة السيدة في رشيد ، ولمضى الى فرنسا يسأل الوثائق عن مصير هذه المصرية المغتربة ، ومصير ابنائها ، لكنه ــ سامحه الله ــ لم يزد على ان قال في الصفحة الاخيرة من الكتاب :

« .. اما زوجه المصرية السيدة زبيدة ، فيبدو انها توفيت قبله ، اما في تورين واما في البندقية ، واما ابنها سليمان مراد ، فقد ذكرت المراجع الفرنسية انه عاش بعد والده وورث لقب الكونتية ومع ذلك فمن المرجح (!!!) ان سليمان مراد توفي في حياة والده .. وان الذي ورث اللقب ابن آخر غير سليمان ، ولد لمنو من زوجه المصرية اما في فرنسا واما في ايطاليا ، اي بعد سفره من مصر » ص ٦٨٧

الا انى لا اطمع في ان اقرأ عن قريب بحثا مفردا يجلو للامة الشخصية المصرية الجديرة بالعناية والدرس ومثل « الدكتور فؤاد شكري » اهل للرجاء .

بنت الشاطيء
(من الأستاذ)

التاريخ : ٢٠ / ١ / ١٩٥٣

كتب جديدة :

في مكتبة المرأة

مزيزلي انتونيا

دار المعارف : ٤٠١ ص م

انتهيت بسمع ونائل الأب هذا الكتاب في ودي لو قبل أن أقرأه ، وأنا في عجب من أمره وأمر الزميلة الكريمة « الدكتورة سهير القلماوي » التي ترجمته الى العربية ! ترى ما الذي أغرى مثلها باختيار هذه القصة التي لا يكاد عنوانها يوحي بشيء ! ولمحت الكتاب الشمس كلمة من « الدكتورة سهير » تجيب عن سؤالي ، فاذا القصة بتراء ، بغير مقدمة من المترجمة الفاضلة ، وبغير دليل !

وكنت بحيث أطرح القصة جانبا ، لولا ثقتي في أن « سهير » لا يمكن أن تكون قد أنفقت هذا الجهد الفني في ترجمة القصة عبثا ، لأننا أعرفها لغير يونيها على التفاهات ، وتقدر ما للترجمة من رسالة قل بين المترجمين عندنا من يعرفها ، ومن لم أنبلث أقرأ القصة ، وبي ما يشبه اليقين ، في أنني لا آثم نفسي باضاعة الوقت الغالي الذي أنفقته في قراءتها

وعبرت ميناء الصفحات الاولى في سرعة كأنما كنت أستعجل معرفة سر القصة ، غير أني ما لبثت أن هدأت من حيث بدأت أرتد استهوائي اسلوب الراوية في تدوينه وبساطته اذ تروى قصة لقاء عابر بينها وبين صديق من أصدقاء طفولتها ، في قطار كان يعبر ولاية « آيوا » ذات يوم قائظ ، فاذا حديثهما يدور أبدا حول شخصية بعينها لم ينسياها على كر الأيام والليالي ، شخصية فتاة من بوهيميا جاءت الى « آيوا » مهاجرة مع أسرتها ، حيث عرفاها ولهفا السفر هذان ، وظلا طوال الرحلة يتحدثان عنها ، لأنها تمثل لهما معنى الريف العزيز ، بل معنى تلك المغامرة اللذة ، مغامرة طفولتهما العجيبة

وبعد شهور من هذا اللقاء ، دفع « جيم » — وهو الذي كان يحدث الراوية في القطار عن انتونيا — الى صاحبته مذكرات قال انه دون فيها كل ما يذكره من تلك العزيزة .

وتناول قلمه وكتب على الصفحة الاولى كلمة واحدة : « انتونيا » ثم عبس لحظة ، وأضاف الى العنوان كلمة جعلته « مزيزلي انتونيا » ، وانفرجت أساريره ، كأنما قد ارضاه هذا والنعم !

ولعل القراء يحسبون أن « جيم » و« انتونيا » من طبقة واحدة ، أو من مستوى ثقافي أو اجتماعي متقارب ، لهذا هو الوضع المفهوم للصداقة والتقدير عند أكثر الناس والأنثون ، هم الذين يدركون هذا الشعور الفياض بالاعتزاز والاحترام والمودة ، يشعر به « مستشار » قانوني لاحدى الشركات الامريكية الكبرى ، نحو فتاة من بوهيميا : غريبة وضيعة النشأة ، مغدورة المرأة ، قد توارت نعومة الأنثى فيها وراء خشونة الفطرة وقسوة العيش وذل الحاجة .

ولم يبق لانتونيا من الفروق ما يدنيها من هلهة القوم ، بل عاشت في سهولها ، مهنة بكاملة مجاهدة ، خشنة للنساء ، وتعرضت للتجربة الفادحة ، وأثقلها أعباء الأمومة ، فكانت حياتها هذه في عدلها وانسانيتها ، أهلا لأن تحتل بينهما مدار الذكرى لابناء السادة هؤلاء الذين عرفوها في الطفولة ، ثم ساروا في طريقهم الى المجد نحو المجد ! .

هكذا لم يخب ظني في القصة التي ترجمتها « سهير » : انها قصة مخترقة عادية متواضعة ، لا تكاد تختلف عن ملايين من المخلوقات الآدمية التي تدب على هذه الأرض كادحة صابرة محتملة ، لا تكفر بالحياة أبدا مهما تقسو عليها الحياة !

ومن حق الزميلة الكريمة « سهير » أن أذكر لها هنا ما في أسلوبها من طابع شخصيتها التي تمتاز بالرزانة ، والدقة ، والبعد عن الفضول والسطحية والنفور ، ولكن من حقنا عليها أيضا ، أن نأخذها على عدد من

التاريخ : ٢٠ / ١ / ١٩٥٣

الأخطاء المطبعية مثل التي في صفحات : (٨ - ٦١ - ٧٩ - ١١٩ - ١٢٨ - ١٢٥ - ١٥٥ - ١٥٩ - ١٨٥ - ٢٠٠) ومن أخطاء ما كنت لأذكرها لولا مكانة « سهير » العلمية والأدبية ، ولولا ثقتي في أنها كانت قادرة على أن تلافاها بشيء من المراجعة المطمئنة .

أمواج

دار المعارف : ١٨٢ ص م ...

لو ترك لي أن اختار لهذا الكتاب عنوانا ، لما وجدت أنسب له من الأمواج في ترابطها وتدفقها وحيرتها ، وجيشانها الذي قد يخدعنا عنه سكون سطحي مؤقت ومدبر لأمر .

و «أمواج» ليست الكتاب الأول للأديبة اللبنانية اللامعة « السيدة هند سلامة » فقد ظهر لها في الموسم الماضي كتابها «صرخة حواء» الذي عالج أدق مسائل الجنس في صراحة لا عهد لنا بمثلها في الشرق ، وهذه «أمواج» تعبر عن عاطفة الأنثى تعبيرا حارا صريحا لا رياء فيه ، ولا تجمل ، ولا مداراة :

لقد جئت بي الأحاسيس .. فعشت جامحة
للنصيب : أحتقر الرق الأجرب . . .
متمردة أمام صنم التقاليد ...
المحاط بالمشارع المشتعلة والمباخر المعتقة
وكنت . . .

لقد جثوت أمام هذا الصنم عابدة مسبحة !

ومهما يكن رأي النقاد في هذا الأسلوب ، فالذي لا شك فيه ، هو أن الناقد المنصف لا يستطيع إلا أن يقدر « للسيدة هند » حرية التفكير ، وصدق الشعور ، وشجاعة التعبير ، وتمردها على قيود التكلف والنفاق والرياء

وللسيدة هند بعد هذا ، طابعها الخاص في الكتابة ، وطريقتها المتميزة في الانشاء ، فهي شاعرة وإن تحررت من كل وزن وقافية ، ولكنها بادي الأصالة ، وإن ظهر فيه التأثر بمدرسة «جبران» ولكنما يخطئ القارئ في أن يشهدها روح الأنوثة ، وأثر الأنثى . . .

وربما أحس القارئ نوعا من النفور ، وهو يقرأ المشهد الأول الذي قدمت به الشاعرة كتابها «إلى القارئ» ، لأنه لم يألف هذا اللون من التعبير الحر الطليق ، ولا تعود مثل تلك الصراحة الجريئة من كاتبة شرقية ، لكنه لن يلبث حين يمضي في القراءة ، أن يمضي في احترام إلى تلك النغمات الفياضة بالحيرة والأنين والتمرد والشجن ، إذ ذاك يدرك أن الشاعرة لا ترجع أصداء أشواق مادية تعوج بها دنياها وإنما هي أنين عاطفة مرهفة بالآلامها ، وترجيع لبشرية مثقلة بالهموم والأحزان . . . .

التبرج

ط السنة المحمدية : ٨٧ ص . ص ...

أما هذا الكتاب فينبع من نفس تقية ، ملهمة ، نجت من هموم الشك والقلق ، فشعرت بالراحة النفسية والطمأنينة الروحية في ظل التوحيد والإيمان . تلك هي السيدة الفاضلة «حرم الدكتور محمد رضا» ، ورئيسة جمعية الطائفة المحمدية ، التي ساءت بما ترى من مظاهر الخروج على تقاليدنا الطيبة ، والاسترسال في التبرج إلى حد ينبو عنه الذوق الإنساني ، فضلا عن الحس الشرقي المسلم ، وبدا للسيدة الفاضلة أن المرأة الجديدة عندنا قد تشابه عليها الأمر فاختلط عندها مفهوم الحرية بالفوضى المسرفة ، والتحلل من كل تقليد صالح ، وكل قيد من قيود المسئولية التي يفرضها علينا النظام الاجتماعي السليم .

هنا عكفت السيدة الفاضلة على الكتابة في «التبرج» فقدمت إلى مكتبة المرأة رسالة خلقية دينية اجتماعية ، كتبت بأسلوب قوي ، ناصع الحجة ، يستمد أدلته من القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، والعرف الإسلامي ، ويعالج قضايا في الفن مستنير ، يقسو بالأنثى على المهانة والابتذال ، ويتشدد لها عزة الكرامة والصون .

بنت الشاطئ
«من الأهرام»

التاريخ : ٢٦ / ١ / ١٩٥٣

كتب جديدة

في المكتبة اللغوية

تهذيب الصحاح

دار المعارف : ١٢٨٢ ص ٨

ذكرت حين تسلمت هذا السفر القيم الذي عني بنشره « الاستاذ السيد محمد سرور الصبان » من اعيان المملكة العربية السعودية ، ماراعني اثناء رحلتي في الجزيرة عام ١٩٥٠ ، من اهتمام اخواننا هناك بالحياة الفكرية ، وحرصهم على تتبع انبائها والتشاء لمراتبها ، ولعلي دهشت حين رأيت في مكتبة احد علماء « جدة » نسخة محققة من (رسالة الغفران) لم اكن اعلم — وانا التي حققتها — انها خرجت من المطبعة بعد ! ثم زالت دهشتي حين رأيت السادة الافاضل من سكان « الرياض » يحدثوننا في عاصمة نجد ، عن احدث انبائنا الادبية .. حتى اذا توغلت بنا الرحلة في قلب « الاحساء » وشارفت نهايتها عند ساحل الخليج الفارسي ، التقيت اخواننا هناك في « الخبر » و « الدمام » و « القطيف » يطلعون على مسامعنا ما كدنا ننسى من معاركنا النقدية ، ويتابعون للعربية الحديثة في « الالتزامية في الادب » و « فن القول » و تحقيق النصوص !

ذكرت هذا كله ، فلم اعجب لتوفر الاستاذ « السيد الصبان » بالعبء الجليل : عبء نشر المعجم اللغوي « تهذيب الصحاح » الذي الفه « الزنجاني » — من اعلام القرن السابع الهجري — واختصر فيه « الصحاح » معجم (الجوهري) المشهور .

وللاستاذ السيد الصبان ، عناية قديمة بالعربية ، اثمرت كتابه « المعرض » الذي طبعه منذ ثلاثة وعشرين عاما ، وعرض فيه مجموعة طيبة من الآراء والمقترحات في اصلاح العربية وتيسير قواعدها .

ثم اتيح لحضرة السيد ، ان يجد في خزانة كتبه العامرة ، مخطوطة من « تهذيب الصحاح للزنجاني » ، فود لو ان ظروفه تواتيه على القيام بتحقيقها ونشرها ، لكن مشاغله الكثار حالت دون التفرغ لهذا العمل الشاق ، فوكل الامر الى « الاستاذ احمد عبد الغفور عطار » من ادباء الطليعة في الجزيرة ، والاستاذ عبد السلام هارون بخاصة « الجزء الاول » . وبذل الاستاذان الفاضلان ما وسعهما من جهد وعناية ، فكان لنا اخيرا هذا المعجم القيم الذي يهيئ للدارسين موردا قريبا قد يغني كثيرين منهم عن الرجوع الى « صحاح الجوهري » — وليس بالقريب المتناول — او الى غيره من المعاجم المطولة كالجمهرة لابن دريد ، واللسان لابن منظور ، وتاج العروس للزبيدي

❊❊❊

وما بنا اليوم حاجة الى ان ننوه بمكانة « الصحاح » بين المعاجم الاولى ، او منزلة صاحبه « الجوهري » بين الائمة العلماء ، فذلك ومثله مما لا يجهله ذو اتصال بالعربية وعناية بدرسها ، كذلك لا نرانا في حاجة الى الاشادة بعمل « الزنجاني » في تهذيب الصحاح وتقريب متناوله ، فالذين يلقوا مشقة البحث في المعاجم المطولة ، يقدرون الحاجة الماسة الى نشر مختصر كهذا ، يدنى الجهد ويذلل الصعب . انما الذي يعنينا الآن هو ان نقدر الجهد المبذول لاخراج هذا المعجم اخراجا عصريا متقنا ، وهو جهد لا يدركه الا من كابده ، والحق ان الاستاذين « عطار وهارون » كانا عند حسن ظن السيد الناشر بهما ، فلم يقصرا على المهمة الجليلة بما هي اهل له من تدقيق وتحقيق مجهد ، يبدو اثرهما لا في النص الاصيل فحسب ، ولكن — كذلك — في الحواشي والتعليقات التي ملأت هوامش هذا السفر الكبير .

❊❊❊

ولن يضير الكتاب بعد هذا الا يسلم من بعض الاخطاء ، وبخاصة اذا ذكرنا انه — في مجلداته الثلاثة — لم يستغرق العمل فيه سوى ستة اشهر فحسب ، قال الاستاذ هارون في مقدمته انه « قدر لهذا العمل في بادئ الامر ثلاث سنوات ، ولكنه بفضل الله تعالى وبفضل التعاون الصادق والنية الخالصة ، لم يستغرق من الزمن اكثر من نصف السنة » ص ٢١ .

ويالها من مدة قصيرة ، لا تكفي — في رأينا وتجربتنا — لمراجعة النسخة الخطية ، والبحث عن اخواتها ، وضبطها ، فضلا عن تحقيقها وتخريجها والتعليق عليها ثم اعدادها للطبع !

واحسب ان قصر الزمن هذا ، هو المسئول عما شاب العمل من اخطاء ما كانت لتند عن الاستاذين الفاضلين لو لم يتعجلا !

والخطأ الاول ، انهما اكتفيا في النشر بنسخة واحدة يتيمة بلا عنوان ، مجهولة الصاحب ، يفصلها من الالف نحو ثلاثة قرون دون ان يتصل سندها ، بل دون ان تحمل من المعالم ما يؤكد انها نسخة اصيلة ، وما اسرع ما اطمأن الاستاذان الى انها « النسخة الفريدة » نادرة في مكتبات العالم جميعها ، مع اننا لا نستطيع اصدار حكم كهذا ، قبل ان نحصي تراثنا المبعثر في

التاريخ : ٢٦ / ١ / ١٩٥٣

انحاء الدنيا ، وأنى لنا ذلك ودور الكتب المصرية ملأى بما نجهل من نفيس المخطوطات !!

كذلك نسجل للاستاذين الفاضلين في اختيار اسم لهذا الكتاب ، الذي لم يسم في نسخة الاصل ولا في المراجع التاريخية ، فرأينا ان نقتبس له اسما من الكتاب الآخر للمؤلف وهو « ترويح الارواح في تهذيب الصحاح » فاسمياه « تهذيب الصحاح » .

وما كان لي أن أعترض على الاسم المختار لو ان « ترويح الارواح » هو كتاب آخر للزنجاني كما فهم الاستاذان الكن عبارة المؤلف لا تدل على ان هناك كتابين ، قال : « لما فرغت من كتاب ترويح الارواح في تهذيب الصحاح ، ووقع حجمه موقع الخمس من كتاب الصحاح ... اوجزته ايجازا ثانيا حتى وقع حجمه موقع العشر » فالكتاب واحد ، وما ذكره الزنجاني هنا هو تاريخ لتطور فكرته في التأليف ، ولهذا للقارئ يجد الاستاذان مثلا بينها في مقدمة (القاموس) ، فكل ما في الامر أن المؤلف اختصر (الصحاح) في الخمس من حجمه ، ثم عاد فاختصره ثانية حتى رده الى حجمه الاصغر الذي يقع موقع العشر من كتاب الجوهري .

والثانية : ان الاستاذين الفاضلين ... اطمأنا الى ان النسخة فريدة نادرة في مكتبات العالم جميعها (...) ... لنا ... على (الصحاح) ... مقابلة ... للنسخة بأنها صورة طبق الاصل من عمل المؤلف ، وأنها تشهد لتطلعه على صلة النسخة بالصحاح ... فاذا ذكرنا مع هذا ، قول الاستاذين : ان (التهذيب) هذا من الوثائق التي يعتمد عليها في نشر (الصحاح) ، اتضح لنا مال الوضع من قلب !

على ان هذه الاخطاء ومثلها معها ، لا يمكن ان تشوه هذا العمل القيم ، واذا كان في الناس من يتوهمون ان اخراج معجم كهذا ، عمل سهل يسير ، يمكن ان يبرأ من كل عيب ، ويسلم من كل نقص ، فما ذاك الا لانهم لم يجربوا هذا العناء ، ولم يكابدوا مشقته ...

تصريف الافعال

دار الكتاب العربي . ٢١٠ ص ...

تهيبت نقد هذا الكتاب حين قرأت الرسالة لفضيلة الشيخ عبد الحميد عنتر في نيل العالمية في جماعة كبار العلماء ، وذلك لأن للهيئة الموقرة حرمتها وبخاصة علماء الذين نشأوا في بحوث علم ودين ، فالحق من الهين أن نتعرض لرسائلها بنقد يجعل على غير محمله من خدمة العلم واداء حق الامانة فيه .

لكن تهيبي زايلني ، حين وجدت الرسم في الكتاب ، فقرأت على غلافه « في صفحته الاولى » : انه شرح لما تقرر تدريسه من علم الصرف على طلاب السنة الاولى في كلية اللغة العربية بالازهر طبقا للمنهج الجديد .

وكنت لا اعلم قبل اليوم ، ان هناك صلة ما بين رسائل كبار العلماء ، وبين المدرسيات التي توضع لشرح منهج مقرر ، على نمط يحمل الطالب على فهم مسائل العلم ، ويعينه على التحصيل والتطبيق ...

ومن الانصاف ان نقول ان الكتاب جدير بأن يحقق غايته هذه من شرح مسائل المنهج وتقريبه من الطلاب الذين يبدأون دراستهم في الكلية ، فقد بدأه فضيلة المؤلف بنقل صورة طبق الاصل من المنهج المقرر ، ثم سجل الاصول التي رجع اليها في جمع مادته ، فلما فرغ من ذلك ، بسط بين يدي الكتاب مقدمة وافية في تعريف الصرف ونشأته وتدرجه والتعريف بكبار رجاله واشهر المصنفات فيه ، ومن ثم اخذ يتناول كل مسألة بالدرس والشرح معقبا عليها بطائفة من الاسئلة المختارة ، مع نموذج للاجابة من تطبيق على الباب .

وعلى هذا النهج السليم ، سار فضيلة المؤلف في ابواب الكتاب جميعها ، وهو نهج ترضى عنه التربية الحديثة ، وان قل نصيبه ـ مع هذا ـ حريصا على الاحتفاظ بالطابع الازهري ، فهو يصل الطالب بالمتون الاصلية ويكره ان يتجاوز في التبسيط حدا يخرجه الى السطحية والتفاهة وهذا الجمع الموفق بين الاسلوب الحديث في الشرح ، وبين الطابع الازهري في المادة ، يجعل للكتاب ميزة خاصة في ميدانه ويتيح له التوفيق في اداء مهمته

بنت الشاطئ (...)
من الاساتذة ...

التاريخ : ٢ / ٢ / ١٩٥٣

كتب جديدة

فى المكتبة القومية

تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية

مكتبة النهضة المصرية : ٢٢٤ صفحة

لم يكن ظهور هذا السفر التاريخى القومى، مفاجأة غير منتظرة ، فالذين يعرفون مؤلفه استاذنا الكبير « محمد شفيق غربال » لا يستغربون أن يعكف على تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية ، فى هذه الفترة الحاسمة من تاريخ علاقتنا بانجلترا . ذلك ان للاستاذ الكبير مكانته الممتازة بين كبار مؤرخى العصر الحديث ، وما كان تاريخنا ليغفر له ان يشغل من نفسه بلاده وهى تجتاز نقطة تحول كاملة

وموضوع « المفاوضات المصرية البريطانية » قد شغل غير واحد من الدارسين والمؤرخين ورجال السياسة ، الذين تناولوه من هذا الجانب او ذاك ، ونظر اليه كل منهم من الزاوية التى تعنيه . ولعل الميزة الكبرى لكتاب اليوم، ان استاذنا المؤرخ ، قد عالج الموضوع من افق عال اتاح له ان يرى الجوانب المختلفة والتيارات المتباينة ، وان يلمح الزوايا الخفية التى غابت وتغيب عن كثيرين

ثم هو بعد ذلك ، يتميز باسلوبه الخاص فى العرض والاداء ، ذلك الاسلوب الذى تتجلى فيه شخصية «الاستاذ الجامعى» الذى عرفناه، وانها لميزة قلما ابحث لكثيرين ممن تناولوا موضوع المفاوضات .

والميزة الثالثة للكتاب ، انه — وان وقف فى هذا الجزء الاول عند عام ١٩٣٦ — قد ظهر بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ ، وما من شك فى ان احداث العهد الجديد — بما كشفت عنه من اساليب الانجليز — قد افادت الاستاذ المؤرخ الى حد كبير ، وامدته بموازين للحكم على الادوار الاولى من قصة المفاوضات ، لم يظفر بها الذين كتبوا عنها فى حينها .

ولا يعنى هذا ، ان الكتاب وضع فى الاشهر الستة الاخيرة ، فالاستاذ شفيق غربال ليس ممن يرتجلون الابحاث خطفا ، وانما لبث حضرته يرصد سير المفاوضات منذ عهد بعيد، ويسجل خطواتها ويتابع تطوراتها ، ثم شاءت الظروف ان تبدأ مصر عهدها الجديد بعد ان اجتمعت للاستاذ المؤرخ مادة الموضوع ، فتفرغ لاخراج كتابه على ضوء ما تكشفت عنه الاحداث الاخيرة من اساليب القوم ، فاذا البحث يجلو لنا صورة واضحة من الحوادث والوقائع ، والمساجلات والخطط ، والبراعث والاغراض، والامانى والاحلام والشهوات ، التى كتبت تاريخ العلاقات بين مصر وانجلترا الى هذه الايام .

وما كان استاذنا الجليل بالذى يجهل ما لهذا العمل من مشقة ودقة وحرج ، وبخاصة حين يؤرخ الدور الذى اداه رجال لم تمت اوساطهم فى العهد الحاضر ، لكنه واجه المهمة متسلحا بالحرص على الامانة والحق ، مع نبل الغاية وسلامة القصد واطمئنان الضمير .

ولن ازيد القراء علما بالاستاذ الجليل حين انوه بما يحمل هذا السفر من آثار الدقة والرصانة ، والاتزان ، والنقد التاريخى والوفاء بحق البحث ، فلادع ذا ، ولامض الى تسجيل بعض ملاحظات لست فيها متخصصة فى التاريخ ، وانما انا مجرد قارئة مصرية ، تمس لغبة بلادها وتاريخ قومها

من هذه الملاحظات ، ان الاستاذ المؤرخ ، انتهى فى درسه على راى بعينه ، هو ان « المفاوضة كانت الاداة التى اتخذها قادة الراى فى مصر ، لوضع العلاقات المصرية البريطانية على اساس يحقق لمصر امانيها القومية » .

وهو حكم عام ، يتجاهل فئة كريمة من القادة الذين عرفوا لمصر حقوقها واماني قومها ، ولم تكن المفاوضة وسيلة لتحقيق شىء منها، اولئك هم رجال الحزب الوطنى ، والى رأيهم انتهت الجمهرة منذ اعوام ، ومن هذا الراى استمدت مصر قوتها فى الميدان السياسى .

واطمأن استاذنا الى ان « المفاوضات كانت محورا لتاريخ مصر منذ الحرب العالمية الاولى الى وقتنا الحاضر ، ان اعتبرناها وسيلة لتحقيق غايات » ص — ١ —

وهو احتياط لا يحول دون اعتراضنا على ما اطمأن اليه حضرته ، فتاريخنا الحديث

يشهد بأن مصر لم تتخذ (المفاوضات) وحدها وسيلة لتحقيق غايتها في الحياة الكريمة المطمئنة دائما الى غد أفضل . وإلا فهم سالت دماء الفدائيين وبذلت أرواح الشهداء واشتعلت ثورات الساخطين على هذا الأسلوب العقيم في التماس حقنا في الوجود الكريم ! ولم كانت جهود الصفوة الواعية من قادة الرأي الذين حاربوا الاستعمار المذل ، بنشر الوعي وتحرير الفكر والنضال النبيل في حماية العروبة أو هل مثل مؤرخنا الجامعي الأصيل ، من يسقط من حسابه أن الذين بنوا صرحنا العلمي الشامخ ، إنما أرادوا أن يجعلوا منه سلاحا في معركتنا السياسية التي تعتبر بالنسبة الينا معركة حياة أو موت ! وهل كانت جهود الرواد في الميدانين الاقتصادي والاجتماعي ، إلا أسلحة أخرى ضد الاستعمار ؟ أو ليست هذه جميعا — وغيرها مما لا أحصيه الآن عدا — وسائل فعالة في الميدان السياسي ، للنجاة من هوان الاحتلال ولتحقيق الغاية التي لا نفتأ نرنو اليها أبدا !

هي كذلك في حساب الحق والواقع ، فليس من الانصاف أن نجعل « المفاوضات » محور تاريخنا الحديث كله ، باعتبارها وسيلتنا لتحقيق غاياتنا .

أعلم أن أستاذنا الكبير إنما يعرض لقصة المفاوضات . وله عذره إذ يركز كل اهتمامه فيها ، إلا أن عذره — مع هذا — كان مرجوا لأن يرعى وسائلنا الأخرى في الكفاح السياسي

ويقول أستاذنا في حذر « ان الرجال الذين ظهروا في تاريخ المفاوضات المصرية : فؤاد ، وزغلول ، وعدلي ، وثروت ، وصدقي ، ومحمد محمود ، وماهر ، والنقراشي ، كانوا من « طراز لم تعرفه مصر قبل حقبة المفاوضات ، فان هذه الحقبة خلقت رجال السياسة ، وخلقت الأمة المشتغلة بالسياسة . ولقد عرفت مصر السياسة في كل العصور ولكنها عرفتها تصورا ولم تعرفها عملا » .

والذي أحسبه ، أن مصر عرفت ذلك الطراز من رجال السياسة ، في مثل توفيق وعرابي ورياض وشريف ومصطفى فهمي ، وعرفتهم السياسة عملا ، لا تصورا فقط

وتلك على كل حال ، ملاحظات ما كنت لأوردها مطمئنة ، لولا ما أعرفه من حسن تقبل أستاذنا الكبير للنقد ، فلقد عود تلاميذه أن يلقوه بما فاءوا من ملاحظات ، ولم يكن يرضيه منهم أن يسلموا برأي الأستاذ دون تفكير أو مناقشة .

ويبقى الكتاب بعد هذا كله ، مرجعا أمينا في تاريخنا السياسي الحديث ، وسجلا وافيا لقصة المفاوضات التي شغلنا بها الانجليز سبعين عاما :

قناة السويس ومشكلاتها المعاصرة

ط دار أخبار اليوم — ٥٨٠ صفحة

لا أرى أن أمضي في عرض هذا الكتاب ونقده ، قبل أن أحيي في مؤلفه « الدكتور مصطفى الحفناوي » تخصصه المنفرد بموضوع كهذا ، يقف عليه نشاطه ، ويؤثره بوقته وجهده ، ويمنحه عنايته واهتمامه ، ويهب نفسه للدفاع عنه في حماس وإصرار

ولعل حضرات القراء يذكرون أني قدمت اليهم في صدر موسمنا الحاضر ، الجزء الأول من هذا الكتاب ، وقد أتيح لي من بعد ذلك أن أتابع نضال المؤلف في سبيل قضيته ، فقرأت أعدادا من مجلة (قناة السويس) التي يصدرها المؤلف ، وقدرت هذا التخصص اللافت ، في الوقت الذي لا تزال أكثر مجلاتنا فيه « مجلات للعلوم والفنون والآداب »

وقد عرض المؤلف في الجزء الأول (تاريخ القناة) عرضا مفصلا ، أما هذا الجزء الثاني فيختص أساسا « النزاع المصري البريطاني » الذي دار حول قناة السويس منذ احتل الانجليز أرض الوطن الى يومنا هذا .

ويبدأ البحث بعرض (أسباب النزاع ومقدماته) ثم ينتقل لبيان (مسألة السيادة على القناة) ، كي يفرغ بعد هذا لعالج مركز (القناة في آخر مراحل النزاع البريطاني) أي منذ عقدت معاهدة التحالف في أغسطس عام ١٩٣٦ ، الى أن أعلنت مصر الغاءها في أكتوبر عام ١٩٥١ ، وما أعقب ذلك من معركة القناة وحركة التحرير

ومن واجبي أن أشير هنا ، الى أن الدكتور المؤلف ، لم يعالج في كتابه قضية القناة وحدها ، بل عني بتاريخ مصر الحديثة صاحبة القناة ، فنحن نقرأ الحقيقة تاريخية من الاستعمار الأوربي في أواخر القرن التاسع عشر ، وعن احتلال مصر بالقروض الأجنبية ، وعن سعيد باشا ، وإسماعيل باشا ، والثورة العرابية ، ومأساة دنشواي

ويغلب على الدكتور ، طابع مهنته كمحام وهب خبرته ولباقته للدفاع عن قضية قومية ذات خطر . ومن هنا يجتمع في كتابه عن القناة ، تحقيق الدارس وحماس المواطن ، ويلتقي التفسير التاريخي والتطبيق القانوني لمشكلات القانون الدولي العام .

وليس من حقي أن أعلق على تطبيقاته القانونية أو أناقشها ، وإنما الذي يجوز لي ، هو النظر في الجانب التاريخي العام ، وهنا آخذ على حضرة المؤلف ، أن حماسه يغلبه أحيانا ، فينسيه بعض ما يجب للمؤرخ من دقة وضبط ، وإذ ذاك نراه يعلل الاتجاه العملي لحوادث التاريخ ، ببعض المشاعر النفسية التي تسيطر على قلمه . وحسبنا لذلك مثلا ، ما نراه من تعليله مسايرة الدول لأطماع انجلترا في مصر ، بأن ذلك الاتجاه « قد أملته عليهم الكراهة التي يضمرها الغرب للعالم الاسلامي منذ قيام الحرب الصليبية في القرن الثالث عشر » — ص ٨٣ : ٨٤ —

وهو تعليل نقدره ونجد له ما يبرره في مشاعرنا ، إلا أن الحق التاريخي يؤكد لنا أن هؤلاء القوم « يحالفون الشيطان » كما قال قائلهم ، وقد شهدنا ونشهد الحروب تشب بين المسيحي والمسيحي طاحنة مدمرة ، الشيب لهولها ، الولدان . وحديث المؤلف نفسه ، عن منطق الحق ومنطق القوة (ص ٥٧١) يؤكد أنه يفهم المحور العملي الذي تدور عليه حياة هؤلاء القوم

« بنت الشاطئ »
(من الأهرام)

التاريخ : ١٤ / ٢ / ١٩٥٣

في تحقيق النصوص

أمناهج أم وجهات نظر؟

للدكتورة بنت الشاطئ !

شغلت منذ أكثر من عشرة أعوام ، بدراسة منهج لتحقيق النصوص ، وتطبيقه ، والنظر فيما ينشره الناشرون هنا أو هناك من تراثنا القديم ، نظراً منهجياً ناقداً ، فأتيح لي بهذا كله أن أدرك من أمر النشر والتحقيق ، ما ربما لا يتاح لمن لم يباشروا هذا العمل

لذلك لم أعجب حين قرأت ، فيما كتبه حضرة الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار ، رداً على نقدي لمعجم تهذيب الصحاح ، قوله :

« وهذه النقاط التي وقفت عندها السيدة الجليلة وسمتها أخطاء ليست أخطاء ، فالاختلاف وجهات النظر ، لا يسمى خطأ بحال ... »

ثم قوله :

« وشيء آخر هو أننا نعلم أن هذه النسخة فريدة لا يوجد منها نسخة أخرى في جميع مكتبات العالم » - الأهرام ١٩٥٣/٢/٨

وهذا قول يدعو إلى العجب حقاً ، فما كان فهم النصوص ، أو تحقيقها ، أو نقدها ، موضعاً لوجهات نظر فردية شتى ، ولا هو مما للرأي فيه مجال ، وإنما نحن مقيدون في كل هذا بمنهج ملزم ، تحدده لنا طبيعة العمل ويفرضه علينا منطقه ، غير أن الذي عرفت من طول الممارسة لنقد ما ينشر من نصوص ، جعلني لا أعجب من احتساب المسألة فيها مسألة رأي ، ووجهات نظر !

وأراني اليوم ملزمة بمعاودة الحديث من تحقيق النصوص وبيان المنهج المقرر لهذا التحقيق ، بعد أن ثبت لي أن أكثر المشتغلين بهذا العمل ، لا يقدرون مدى ما فيه من دقة وخطر ، ويحسبون الأمر يغني فيه طبع ما يعثرون عليه من مخطوطات طبعاً عصرياً متقناً ، وشرح فيه المفردات وتنسق له الفهارس ! وبلغ الأمر إلى مداه ، حتى رأينا من يعلن في إحدى الهيئات العلمية الكبرى : « إن كتاب كذا ، قد ذيل بفهارس عديدة متقنة ، تستحق وحدها أن تظفر بجائزة تحقيق النصوص » مع أن الفهرسة تتصل بإخراج النص لا بتحقيقه ، بل هي عمل آلي قد يتقنه من لا عهد له بهذا التحقيق

تحقيق النص ، إنما هو نشر نسخة تكون وثيقة يطمئن معها الاطمئنان إلى صحة نسبتها إلى مؤلفها ، وأنها صورة ما كتبه قلمه وهذا التوثيق - ونؤثر اليوم هذا التعبير اللاتيني الخطير - عمل بالغ الدقة والخطر ، يكفي لبيان دقتها وخطرها ، تقديرنا أن المعاني تتغير بتغيير اللفظ بل بتغير الحرف والنقطة ، والمطلوب هو معرفة النصوص كما كتبها أصحابها ، لتكون عملاً محسوباً لهم وعليهم ، ولتكون كذلك مادة تاريخية في الفن الذي تنتمي إليه ، ثم لتكون مادة في تاريخ الثقافة ، والحضارة العامة

والنص المحقق الذي هو مادة ذلك كله ، لا قيمة له إذا لم نطمئن إلى صحة نسبته لصاحبه كأن يحمل توقيعه ، أو يكون قد قوبل على نسخة المؤلف الأصلية ، أو يكون قد وصل إلينا - عبر القرون - في طريق واضح .

فإذا أخذنا على (معجم تهذيب الصحاح) مثلاً ، أنه نشر عن نسخة واحدة يتيمة ، بتراء بلا عنوان ، مجهولة النسب ، لم تكن المسألة « وجهة نظر » وإنما هو منهج التوثيق على النحو الذي رسمه لنا علماؤنا الأولون الذين ضبطوا منهج التلقي والنقل ، ضبطاً لا تعوزه الدقة واليقظة

وأيسر ما يقتضينا توثيق النص - وجملته وثيقة ملزمة في نصابه العام - أن نجد في جمع ما يمكن العثور عليه من مخطوطات النص المراد نشره ، كي ندرسها ونقدرها ونقارنها ونوازنها ، ثم نقدم أصلها وأدناها إلى الثقة ، وفي سبيل هذا تلقانا صعوبات شتى : فتاريخ النسخ ، وورق المخطوط ومداده ، وما يحمل من توقيعات صاحبه أو تلاميذه ، أو قرائه أو مالكيه ، وما إلى ذلك مما يكشف عن نسب المخطوط ويوفر ما يمكن توفيره من الثقة به ، كل أولئك موضع للبحث التحقيقي الشاق الدقيق ، الذي لا تنهيأ سبله ولا تتيسر وسائله دائماً ولا كثيراً

ووراء ذلك كله ، صعوبة كبرى ، هي أن تراثنا - كآثارنا - مبعثر في أنحاء الدنيا ! وأننا لم نبذل ما يجب من جهد لجمعه والتعرف عليه ، بل لم نبذل مثل الذي بذل الأجانب في هذا السبيل ، فلا أقل من أن نلزم الذي يتصدى لنشر أحد النصوص الخطية ، أن يراجع أحدث الفهارس لدور الكتب المعروفة ، ثم يبقى بعد هذا احتمال الخطأ والنقص في الفهارس ، كما تبقى دور الكتب الخاصة التي قلما نعرف فهارسها : أذكر أني عندما قمت بتحقيق نص (الغفران) جمعت ما استطعت من نسخه المبعثرة في مصر وتركيا وأوربا ، حتى إذا فرغت من فحصها ومقارنتها ، عثرت مصادفة على مخطوطة كاملة للغفران ، مدفونة في مكتبة الأمير فاروق بسوهاج ، ولم يرد لها قط ذكر في الفهارس ، لأنها ذكرت بعنوان « كتاب في الأدب » مجهول اسمه واسم المؤلف ، فاضطررت إلى إعادة المقابلة من جديد لم تكف على خدمة النص وأنا أشفق من المفاجأة بنسخة أخرى تلجئني إلى أن أعود من حيث بدأت . وفرغت « دار المعارف » من طبع النص ، فإذا الذي خشيته قد وقع : ظهرت مخطوطة أخرى للغفران في مكتبة

التاريخ : ١٤ / ٢ / ١٩٥٣

جامعة الاسكندرية ، ولم تكن ذكرت في فهارسها لأنها أضيفت خطأ الى «ابن الفارض» لا الى «ابي العلاء» باسم «الهامشية» ولحمت المخطوط وسورته ، لم تكلفت من جديد على معارضته على ما عندى من مخطوطات الغفران ، بالرغم من مضى عامين على طبعه !

وهذا الذى مانيت من نقص الفهارس وأخطائها يكفى لأن أنكر على القارئ (تهذيب الصحاح) ما أكداه من ان نسخة «حضرة السيد الصباغ» نسخة فريدة فى مكتبات العالم أجمع ، لكن يرد الاستاذ عطار :

« وماذا نصنع اذا كنا قد بحثنا فى اكثر من مائة مكتبة ، فلم نجد الا هذه النسخة ؟ » .

فهل البحث فى مئة مكتبة ، أو مائتين ، أو خمسمائة ، يجيز لنا الحكم بأنها نسخة فريدة فى مكتبات العالم أجمع ؟ ان «الكونت فيليب دى طرازى» قد احصى فى كتابه (خزائن الكتب العربية — الذى نشرته الحكومة اللبنانية عام ١٩٤٧) نحو الف وخمسمائة مكتبة عامة (مجلد ١ ص ٩٢) غير ما فاته مما استدركناه عليه فى نقدنا للكتاب بالأهرام عام ظهوره ، وغير المكتبات الخاصة التى لم يذكر من بينها مكتبة «السيد الصباغ» ! ! — راجع ص ٢١٦ من المجلد الاول

ولسنا نلزم الاستاذ عطار بأن يحيط علما بكل هذا ، لكنها هى الدقة المنهجية التى تأبى عليه أن يقول انه بحث فى مئة مكتبة ، ثم يثب ليحكم بأن النسخة فريدة فى مكتبات العالم أجمع ، كما تلزمه بأن ينص على أسماء المكتبات التى بحث فيها ، ليجئ من بعده فيكمل البحث فيما لم يبلغه علم الاستاذ الفاضل ولم تصل اليه يده ! لكن حضرته يصر على أن المسألة مما للرأى فيه مجال ، فيرد قائلا :

« وما نزال عند رأينا أن هذه النسخة فريدة لا توجد منها نسخة أخرى فى جميع مكتبات العالم ... »

« ومن الأدلة على ذلك أن الدكتورة نفسها وهى من أعلم الناس فى البلاد العربية بالمخطوطات والمكتبات ، لم تستطع أن تدلنا على نسخة أخرى »

وأنا أشهد الاستاذ الجليل ، من أن يعد من الأدلة على تفرد نسخته ، عدم علمى بنسخة أخرى ، كأنى انا التى تصديت منفردة لنشر المعجم ، وكأنه يجوز عنده ان أحيط — انا او سواى — علما بما فى مكتبات العالم أجمع !!

***

قلت ان التحقيق المنهجى يستلزم أول الأمر جمع ما يمكن من مخطوطات مبعثرة من النص الذى يراد نشره ، والاعتماد على أصل هذه المخطوطات بعد مقارنتها وترتيبها حسب درجتها من الأصالة والثقة ، فاذا تم لنا ذلك ، وجب أن يكون النشر أمينا لا يمس الأصل بتغيير أو اكمال نقص أو سد فراغ ، وهذا هو ما جعلنا نهدر النسخة التى نشرتها لجنة التأليف والترجمة والنشر ، من (خريدة العصر) ، اذ عثر ناشروها على أوراق مبعثرة يظن أنها من الخريدة ، فجمعوها وأكملوا الثغرات بينها من كتب أخرى لم يسمع بها صاحب الخريدة ، ثم عمدوا الى ملء كل فراغ فى المخطوط بكلمات من عندهم قائلين :

« بياض فى الأصل ، وأكملناه بما يلائم السياق » ! فكان مثلهم مثل من يكمل تمثال فينوس بذراعين من عنده ، ثم يجرؤ على أن يؤكد لنا أن هذا هو التمثال الأصيل لفينوس ! !

وليس الذى ننكره هو نشر مخطوط غير أصيل ، أو التصرف فيه بحذف أو اضافة أو تعديل ، انما الذى ننكره هو أن يسمى هذا (تحقيقا للنص) وأن ينشر منسوبا الى صاحبه الذى لا علم له بالصورة التى انتهى اليها كتابه ، ولا يد له فيما طرأ عليها من تغيير !

***

وبعد فهذا الذى ذكرته اليوم عن منهج النشر ، يعتبر من البديهيات عند أبناء مدرستنا الأدبية فى تحقيق النصوص ، أما الذين لم يتمثلوا هذا المنهج أو لم يسمعوا به ، فيكفى لتوضيحه أن نقول لهم : ان النصوص الأدبية لا تخرج عن كونها « آثارا فنية » يجب التأكد أولا من أصالتها ثم لا يباح بعد ذلك العدوان عليها ، لأن قيمة الأثر رهن بأصالته وسلامته من أى عنصر دخيل ، والفرق بين النص المحقق وبين سواه ، مثل الفرق الذى بين صورة أصيلة تحمل توقيع الرسام ، وأخرى مقلدة أو مشكوك فى نسبها

وكلتا البضاعتين فى السوق ، لكن احداهما رخيصة مبتذلة ، والأخرى عزيزة فريدة لا تقوم بمال !

التاريخ : ٢٢ / ٢ / ١٩٥٣

في تاريخنا القومي :

دعوة مضطهدة !

للدكتورة بنت الشاطئ

هي دعوة كريمة ظهرت منذ اعوام ، وكان الداعي اليها مواطننا اتاح له عمله في (المتحف الحربي) لم تراثه الواعية لتاريخ بلاده ، ان يلمس حاجتنا الملحة الى « متحف وطني يخلد مراحل الجهاد القومي ، وذكرى الاحرار والشهداء الذين تازروا مجدلوراتنا التاريخية ، منذ طهر اجدادنا البلاد من رجس الهكسوس عام ١٥٨٠ قبل الميلاد ، وما من شك في ان مثل هذا المتحف قادر على ان يخلق جيلا حرا يخلص للوطن ، ويبذل عن يقين وايمان كل ما في طاقته ، للسير به في ركب الحرية ،

لكن تلك الدعوة التي دعا اليها « الاستاذ عبد العزيز حافظ دنيا » في شهر فبراير عام ١٩٥٠ ، ولم يقدر لها اذ ذاك ان تفلت من الاضطهاد ، لان العهد البائد لم يسغ تلك النغمة الخطرة التي تتحدث عن مجد الثورات ، ومن الحرية والبذل والايمان ، وتطهير البلاد من رجس الدخلاء ، فلم يسمح بان تشاد على الارض الطيبة ، مدرسة تعلم ابناءنا ما غاب عنهم من دروس الكفاح النبيل ، وتحدثهم عن المعارك الكريمة التي كتبت تاريخنا القومي ، وتكشف لهم عن الزيف الذي شوه امامهم هذا التاريخ ، فزعم ان مصر لم تعرف نعمة الاستقلال منذ الاف السنين ، بل تعاقب عليها المستعمرون من شتى الاجناس ومختلف الالوان : هكسوس ، ويونان ، وروم ، وطولونيين ، واخشيديين ، وفاطميين ، وترك ، ومماليك وفرنسيين وانجليز ، يتوارثون تاجها الذي لم تحمله رأس مصرية بعد الفراعين ، وتجاهل الذين زيفوا ذلك التاريخ ، ان احتمال مصر لتلك المحن المتعاقبة ، دليل حيويتها الفذة الخالدة ، وانها انتث كل اولئك الدخلاء ، دون ان تفنى في واحد منهم قط ، فكانوا هم الذين يتنكرون لاوطانهم الاولى ، ويتمصرون المصرية ويتزيون بزيها ، ومصر حيث هي ، لا تتخلى عن روحها وطابعها وسمتها ، ولا تتوارى في ظل اجنبي دخيل ...

ولقد ذكرت تلك الدعوة المضطهدة في الامس القريب عندما اسلم آباء الشهداء ملابس ابنائهم الامراء لمعرفة النشار ، فوددت لو احتفظنا بهذه الملابس تراثا ثمينا لابنائنا من بعدنا ، وكنا بحيث نفعل ، لو ان الدعوة الى المتحف الوطني لم تضطهد ..

لم عدت لذكرها ومصر تحتفل بنقل رفات الزعيم مصطفى كامل الى مثواه المختار ، والذ يظلم مصر من يحسب ان احتفالها هذا ليس الا اية وفاء للبطل المناضل ، ودليل اعتراف بما بذل في سبيل الوطن الغالي ، فما جحدت مصر يوما ابناءها البررة ، ولا كانت بحاجة الى ان تقدم دليلا على اعترافها بالذي بذل الباذلون من الاباة الاحرار ، فلقد كانوا دائما ملء خاطرها ، لم تنسهم حتى في احلك عهود الطغيان ، وما هذا الاحتفال بمصطفى الا صورة من تاريخنا الحي ، اضطهدنا الغدر الاثم زمنا ، نظرت مصر عليها جوانحها ، حتى اذا اتيح لها ان تتحرر من بعض قيودها ، بعثت الرفات العزيز من مرقده كي تشيعه من جديد على النحو الذي ترضاه

ومن قبل بعثت مصر صورة اخرى من تاريخها الحي الذي طواه الاستبداد الغاشم ، حين وقفت بالساحة التي يقوم فيها قصر عابدين المشؤوم ، فنزعت الاسم الكريه الذي شاء له حظه المنكود ان يقترن بالطغيان والجحود والكفر ، واستبدلت به اسم البطل الفلاح الذي قاد ثورتنا التاريخية ضد الاحتلال الاجنبي ، البطل النمس ، ذاك الذي اشترى الضلالة بالهدى ، فخان امة رفعت آباءه الى اعرق عرش عرفه التاريخ منذ كان ...

ورأت مصر في محو اسم « عابدين » ووضع اسم « عرابي » مكانه ، ما يطهر هذه الساحة التي دنسوا الغاصبون ، ويكفر بعض التكفير عن مأساة سبتمبر عام ١٨٨٢ ، ومحنة فبراير عام ١٩٤٢ .

التاريخ : ٢٢ / ٢ / ١٩٥٣

وهذه هي مصر، تلتفت الى التماثيل التي صنعها العهد الغابر على عينه، لتنكر منها ما تنكر، ولتعلن عزمها على «تأليف لجنة فنية خاصة، لاختيار بعض التماثيل الاثرية التي توحي بمعاني العزة والكرامة، او تمثل التقدم العلمي والفني في مصر منذ اقدم العصور حتى الآن، لاحلالها مكان التماثيل الحالية» على ما روت الاهرام يوم ١٩ من فبراير الحالي ...

انها الآن مواكب البعث، تشهدها سماء الوادي المبارك الذي وعى تاريخنا الصادق وأبى عليه أن يحرف أو ينسى!

لقد حاول الطغاة، والمتعصبون، والدخلاء وجنود الاستعمار، أن يمحوا هذا التاريخ المجيد، فلما عز عليهم ذلك راحوا يشوهونه بما يطوون من صفحاته الغراء، وما يدسون عليه من زوائد شائنة وظلال قاتمة؛ وطال عليهم الامد حتى ظنوا أن امجاد ماضينا قد وئدت لغير بعث، وطويت لغير رجعة أو نشور ...

فاليوم إذ ننشر هذه الصفحات من تاريخنا الصادق، ينتعش املنا في أن يكون لنا متحف قومي، يجمع ما وعى تاريخنا على مر العصور من صور الجهاد، وآثار الفدائيين، ومخلفات الأحرار الذين حطموا أصنام الذل برءوسهم!

وفي مصر متاحف شتى: للآثار الفرعونية، والاسلامية، والقبطية، والبحرية، والحربية وللقطن، والزراعة، والسكك الحديدية، والصحة، والتعليم، وما لا أحصي من أسماء، فأين من بينها المتحف الذي يروي تاريخنا القومي، ويسجل معارك أبطاله، ومصارع شهدائه الابرار!

أين المتحف الذي نضع فيه كل ما أبقى الزمن من تراث المجاهدين الذين توارثوا الشعلة المقدسة، وامدوها من دمائهم الزكية بالوقود الدائم، لتظل على الآباد وضاءة ملتهبة، لا تنطفئ ولا تخمد!

أو ما كان هذا المتحف أولى بالثياب الغالية التي قدمها آباء الشهداء لمعونة الشتاء!

أو ليس هو الملاذ الأمين، لكل ما ترك الفدائيون من رسائل وكتب ومذكرات!

ما أرانا نستطيع أن نستكمل مقومات نهضتنا إذا لم نجعل من كل هذا تراثا قوميا، يحدث عن مصر التي ظلت على الدهر تلفظ الدخلاء واحدا بعد آخر، لتراجعوا ... وبقيت هي بكل مقومات شخصيتها الخالدة، تحمي امجاد تاريخها وذكريات أبطالها وآثار شهدائها، لتنشرها يوم البعث في متحفها القومي الذي نرجو أن نراه قريبا، سجلا واعيا أمينا تعرض فيه مصر على المؤمنين بها ليزدادوا ايمانا، وعلى الكافرين ليزدادوا حسرة وخسارا، إذ يدركون وتدرك الدنيا أجمع، أن مصر كانت هنالك دائما، وستظل أبدا: تعي، وتحصي، وترصد، وتسجل، في حيوية يقظة لا تغفل ولا تنام!

بنت الشاطئ

التاريخ : ٣ / ٣ / ١٩٥٣

في حياتنا

متاحف لا مقابر!

للدكتورة بنت الشاطئ

ذكرني قارىء كريم — أثر الذي كتبت من الدعوة المستهدفة بذلك الأسلوب الشاذ الذي ابتدعناه في تخليد رجالنا وتكريم شهدائنا: فلقد كان — وما يزال — أقصى ما يبلغه أحدهم منا، أن نقيم له ضريحا فخما ليكون مثواه الأخير

ومصر معروفة منذ كانت بالخصب والإنجاب، ولكل عهد أبطاله وزعماؤه، فماذا تكون حالنا لو مضينا على هذا الأسلوب نقيم الضريح تلو الضريح، لكل عظيم يمضي أو بطل يستشهد أو زعيم يموت!

يا له من أسلوب شاذ حقا، يضفي على الحياة ظلالا من الموت، ويرصع أرضنا العامرة بالقبور، ويتنبع في التكريم بأضرحة يظفر بمثلها أو بأفخم منها، أنبياء الحرب وكبار اللصوص، ومصاصو الدماء، ويحرم خير الكادحين من أبناء الوطن!..

وأي هؤلاء لا يفتن في تشييد ضريح يليق بجثته المكفنة بالذهب!

بل إنهم ليعجزون أن يبنوا لرفاته البالية مسجدا فخما كتلك المساجد التي شيدها طغاة المماليك وحثالة الحكام، وأرباب الإقطاع، وملوك الظلام!

إن نكن أخذنا الفكرة تقليدا من الغرب، فلعمري لقد مسخناها صورتها وشوهنا جمالها، وسلبناها كل ما تدل عليه من معنى جليل، وربما أبعد الفرق بين «البانثيون» مثوى الخالدين، وبين هذه الأضرحة المبعثرة، لا يكاد المرء يفرق بينها وبين المقابر التي تملأ الرحب!

وما دمنا حريصين أبدا على التقليد، فهل أدلكم يا قوم على أسلوب كريم في التخليد يستحق أن يقلد؟..

إنه لا يحتفل بالجثث، ولا يتهالك على بناء القبور، ولا يعنيه من الأبطال أشخاصهم، بل الذي يعنيه هو تمجيد البطولة في الأشخاص وفي الأشياء.. الأشياء الضئيلة التي تظل مهملة، حتى ترتبط بحادث لبطل جليل، فترتفع فجأة من حضيض الهوان إلى سماء لا تطاولها سماء، إذ تغدو رمزا مقدسا وأثرا خالدا.

هنالك في أسبانيا.. في مدينة «طليطلة» غير بعيد من العاصمة، يرى الزائر على الربوة العالية التي تشرف على المدينة، أطلال قصر مهدم، تشوه جمال البقعة الفريدة

وربما خطر للزائر أن يسأل: لم الإبقاء على هذه الأطلال التي يوشك أن تتداعى أو لم لا تحاول المدينة أن تنقذها لتقيم في موقعها الممتاز قصرا جديدا أو فندقا يجتذب السائحين! فإذا الجواب دعوة ملحة لزيارة تلك الخرائب التي تعتز بها «طليطلة» كأمجد أثر في تاريخها الحديث

ولقد كنت من بين أولئك الذين دعوا لزيارة «قصر طليطلة Alcazar de Toledo» وطافوا بأطلاله، وسمعوا قصته، فلما عدت من أسبانيا رويت القصة للقراء، راجية أن يجدوا فيها عبرة ومثلا، وأراني اليوم — بعد مضي خمسة أعوام — في حاجة إلى أن أعود فأرويها من جديد.

كان ذلك القصر في الزمن الخالي، الأكاديمية الحربية في البلاد، فظل عامرا حتى اشتعلت الحرب الأهلية، فرأى فيه حماة المدينة ملاذا يعتصمون به من الويل الأحمر، حين امتدت السلطة المارقة لاجتياح البلد وتطويق الحصن.

ولم يكن بالحصن — عندما حاصره الأعداء — عتاد ولا زاد، ومضت الأيام ثقيلة قاسية، متباطئة، كأنما تجر الأثقال.. حتى إذا بلغت عدتها اثنين وسبعين يوما، جاءت لحظة حاسمة من تلك اللحظات التي يقف لها التاريخ مترقبا، ينتظر المآل ويرقب سير الأحداث، ويقرر مصائر الشعوب: ظفر الأعداء بفرانسوا ابن الجنرال «موسكاردو» رئيس المدافعين عن الحصن المحاصر، وكان «فرانسوا» شابا يافعا، بات أثيرا له في الحرب من تحصيل، وتحدث قائد الأعداء إلى «موسكاردو» في «التليفون» منذرا إياه بقتل ولده، إن لم يسلم الحصن في عشر دقائق، ثم بدا له أن يدع «فرانسوا» — الذي كان يقف أسيرا بجانبه — يحدث أباه، كيما يتأكد من ولوعه في لهفة الملهوف، ولكي يستثير عاطفة الأبوة في القائد الشيخ الذي ثكل ولده الأكبر...

وأرهف الزمن سمعه ليصغي إلى ما يقوله الفتى الأشيب لأبيه القائد، فإذا بفرانسوا يهتف في حماس المستشهد:

— أمرك يا أبي، ولتحيا أسبانيا! وداعا...

وانتهت المكالمة (التليفونية)، وأطبق على الكون صمت رهيب تربصا، أمسك التاريخ قلمه ليسجل المعادلة، ثم انطلق لرصد سير المعركة التي انتهت بالنجاة..

وهنالك في القصر المهدم الذي ما تزال خرائبه تحمل ندوب الصراع المرير، يرى الزائر صورة الشاب الشهيد في قاعة القائد، ويقرأ الحديث التاريخي مسجلا في لوحة علقت إلى جانب «التليفون» الذي صار أثرا قوميا، فإذا تركه القاعة التي تقف أمامها، تمثالا ينحنيه «موسكاردو» الجندي الشامخ الرأس بادي العزيمة

موهب السمات .

ويمضى به المر الى « مرقد الشهداء » حيث يلقاه مشهد بالغ الروعة والرهبة :

هذا نشيد الفداء :

« لاتبك على هؤلاء الذين ماتوا من اجل الوطن . . »

منقوشا على قطعة من الصخر ، مدرجا هامات الابطال . .

وهذه اسماؤهم ، محفورة فى لوحات رخامية متراصة : جنودا وضباطا ، لقد جمعهم الجهاد القومى المشترك ، وسوت بينهم المنية المجيدة فى ميدان واحد . .

وتحت هذه اللوحات المتماثلة ابتنى بتوسط القاعة : قبر بسيط خال ، عار من النقش والزخرف ، اعد لرسكاردى الشيخ البطل بين صفوف جنوده الشجعان

وقادنا الدليل بين خرائب القصر ، حتى انتهى بنا الى قاعة اخرى تحت الارض ، هى « قاعة الحياة » التى تسجل كل ما ابقى الحصار الطويل الشامل ، لاهل القصر من ذخائر ومؤن ، تركتها اسبانيا فى مكانها لتتلو على الاجيال الخالفة آية الشجاعة ، ونشيد البطولة ، وقصة الفداء . .

هنا حفنة من القمح لا تزن رطلا ، وكسرات من خبز قديد لا تشبع طفلا ، وقارورتان من البرومور والكحول ، وثلاث علب صغيرة فيها بقايا ضئيلة من المساحيق والعقاقير

وهناك . . واجهة زجاجية ، تعرض ما كان فى القصر يوم انقذ ، من اسلحة وذخائر قليلة وواجهة اخرى ، بها « الكوز الصغير » الذى كانوا يشربون به ، والاوعية البسيطة الساذجة ، التى اخترعتها لهم الحاجة وصنعها الاضطرار

اما صدر القاعة ، فتحتله « الفرن » الذى صنعوه مما لديهم من متاع قليل ، و« الموتوسيكل » الذى حولوه الى طاحونة للقمح ، و« آلة رفع الماء » !

بهذا الاسلوب ، تمجد اسبانيا شهداءها ، وتقدس ذكراهم ، وتحيى اسماءهم ، وتؤمن لمجدها

انها لم ترفع انقاض القصر القديم ، ولم تنسف خرائبه ، وانما احتفظت بكل ما بقى منه ، واقامت على اطلاله متحفها القومى الحديث ، ومدرستها الوطنية الاولى . .

اما نحن ، فلا شىء ، الا المقابر الخرساء المبعثرة ، والتماثيل الصماء المنتثرة ، ازورها المخازن حينا ، لم يفرج عنها لتحل محلها فى السجون تماثيل اخرى منبوذة .

ولقد نريد لنطلق اسم البطل على احد الشوارع او الميادين ، كأنما يعنى لهذا اى معنى من معانى التكريم ، وفى قلب العاصمة ميدان يسمى « لاظوغلى » ! ولمثال له قائم ! !

قلت انى كتبت من المتحف القومى الاسبانى قبل خمسة اعوام ، ترى احتاج الى ان اكتب منه مرة ثالثة ؟ ام ترى قومى يكفون ذلك اليوم عن التنافس على بناء اضرحة تتفاوت ابهة وفخامة ، ولا فرق بين رجال سوى بينهم الموت بعد جهاد كريم !

الا حسبنا ما بنينا من مقابر ، ولنستبدل بها متاحف قومية ، فذلك أجدر بالاحياء !

التاريخ : ٨ / ٣ / ١٩٥٣

في حياتنا العلمية

لا أدري !

للدكتورة بنت الشاطئ

لم أجد نفسي ناشري معجم (تهذيب الصحاح للزنجاني) حين أخذت عليهما أن يؤكدا أن نسختهما « فريدة في مكتبات العالم أجمع » وإنما هي الدقة المنهجية — أو الأمانة العلمية كما أوثر أن أسميها — تلزمنا بألا نطلق حكما جريئا قاطعا شاملا كهذا ، ونحن لم نحص تراثنا المبعثر في أنحاء الدنيا لعل فيه نسخة أخرى من معجم الزنجاني . فكان جواب حضرة الأستاذ الفاضل « عبد الغفور عطار » أن ما أخذته عليه ليس خطأ ، « لأن اختلاف وجهات النظر لا يعد خطأ » وأنه مايزال يرى أن النسخة الخطية التي نشر عنها المعجم ، نسخة فريدة لا توجد منها أخرى في مكتبات الدنيا جميعا .

واستدل حضرته على تفرد نسخته ، بأنه رجع إلى أكثر من مئة مكتبة (! !) وأنني لم أستطع أن أدله على نسخة أخرى مع علمي بالمخطوطات والمكتبات !

وقد اكتفيت يومئذ في الرد على هذا ، بأن الأمر في توثيق النصوص ، أمر مناهج لا وجهات نظر ، وأن الحكم على مكتبات العالم ، ليس مما للرأي فيه مجال ، ثم أهبت بالأستاذ الفاضل أن يبيح لنفسه مثل هذا الحكم لأنه رجع إلى مئة مكتبة أو مائتين ، وأن يتخذ من عدم علمي بوجود نسخة أخرى من المعجم دليلا على تفرد نسخته ، لأني لم أفرغ للبحث عن مخطوطات هذا المعجم ، ولم أتصد لتوثيقه ونشره ، ولست أجرؤ على أن أدعي الإحاطة بما في مكتبات الدنيا علما !

وحسبت أن المسألة وقفت عند هذا الحد ، فانصرفت عن « الزنجاني » ومعجمه ، وليس في نيتي أن أعود فأكتب عنه ، إلا أن يجد في الموضوع جديد ذو بال !

حتى تلقينا كتابا من حضرة « الأستاذ جمال الدين الشوربجي » المفهرس بدار الكتب المصرية » كتابا يكشف عن وجود نسخة أخرى خطية ، من ... معجم الفريد ! !

وأين ؟

في قلب مدينة القاهرة : وفي « دار الكتب » الكبرى على بعد خطوات من « دار الأهرام » قال حضرة « الأستاذ الشوربجي » في كتابه :

« قرأت مادار بين حضرتي السيدة الدكتورة بنت الشاطئ ، والأستاذ عبد الغفور عطار ، حول معجم (تهذيب الصحاح) للعلامة الزنجاني الذي نشره الأستاذان عطار وعبد السلام هارون عن نسخة خطية في حوزة حضرة الأستاذ الشيخ محمد سرور الصبان .

« وإني أضع بين يدي الأستاذ عطار نسخة أخرى خطية ، بقلم معتاد ، مضبوطة بالشكل .

« وهي موجودة بالخزانة التيمورية الملحقة بدار الكتب المصرية ، ورقمها (١) لغة ، بعنوان : مختصر الصحاح ، للعلامة الزنجاني » ا . هـ

وسعيت إلى الخزانة التيمورية ، فإذا النسخة بين يدي ، وهي — كالنسخة الحجازية — مجهولة الناسخ وتاريخ النسخ ، لكن خطها وورقها ، قد يهديان إلى تاريخها بالتقريب ، كما أنها تحمل توقيعات خمسة ، لأربعة من المالكين ، تملكها أحدهم عام ١٢٣٥ هـ . وهذه التوقيعات ، قد تلقي ضوءا أمام الباحث عن أصل النسخة .

وعدد صفحات المخطوطة التيمورية ، أربعمائة وخمسون صفحة ، وقد كتب على وجهها بيت من الشعر الفارسي ، وعلى صفحتها الأخيرة بيت فارسي كذلك ، بنفس المداد الذي كتبت به النسخة ، وربما كان بقلم ناسخها أيضا .

وليست النسخة بتراء بلا عنوان كالنسخة الحجازية ، لكن عنوانها قد انمحى شطره الأول بفعل الزمن ، وبقي شطر مبتور ، تطوع بعضهم بإكماله بالمداد الأحمر ، فسماه خطأ (مختار الصحاح) وهو خطأ ظاهر لكفي النظرة الأولى لأن تهدي إليه ثم نؤكده من بعد ذلك قراءة مقدمة الزنجاني ، التي نجدها بنصها كما وردت في (تهذيب الصحاح)

ولست الآن في معرض الحكم على قيمة هذه النسخة التيمورية وتوثيقها وإنما الذي يعنيني اليوم هو أن أؤيد بوجودها ، مادعونا وندعو إليه من وجوب الجد في معرفة تراثنا المبعثر المجهول ، فهذه هي نسخة من معجم الزنجاني في أشهر دار للكتب بمصر ، ومع ذلك جهل ناشرا المعجم مكانها ، ثم زادا فأكدا عدم وجود نسخة أخرى — غير نسخة السيد الصبان — في مكتبات الدنيا جميعا ، ثم فاتا بنا حين ترددنا في قبول حكم كهذا ، غير مؤيد بإحصاء علمي دقيق !

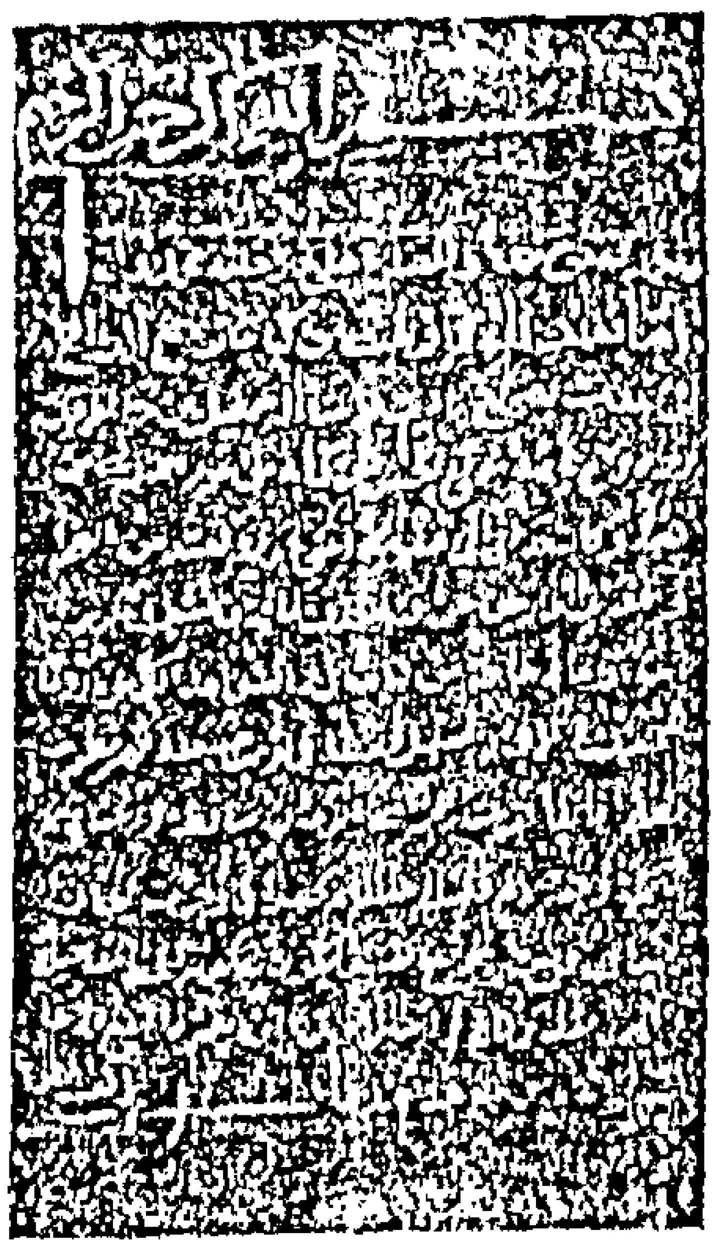
ودار الكتب المصرية ، ليست بالمجهولة ، ولا البعيدة ، ولا المغمورة ، فماذا ترى تخفي المكتبات الأخرى — الخاصة والعربية — من تراث لنا مدفون ! !

ويلفتني الحديث من هذا ، إلى ظاهرة خطيرة في حياتنا العلمية اليوم ، تلك هي أن المشتغلين بالعلم يضيقون بأيسر ماخذ يوجه إليهم ، وينكرون على العين أن تقع على هفوة فيما ينشرون من مؤلفات ، كأنما ارتفعوا عن البشرية فلم يعد يجوز عليهم مايجوز على البشر من خطأ ونسيان !

وهذا ما يأباه الخلق العلمي ، فالعلماء إذا نزهوا أنفسهم عن الزلل ، لم يعودوا علماء !

هكذا علمنا سلف لنا صالح ، وأئمة علماء ، قدروا التبعة والأمانة ، وكبحوا النفس عن الزهو والعجب ، فاعتزوا بقول : « لا أدري » ، حتى اشتهرت كلمتهم :

« من قال : لا أدري ، فقد أفتى ! »



يروى عن « ابن هرمز ، عبد الله الأصم الفقيه » — وليس عبد الرحمن الأعرج النحوي المحدث — أنه قيل له : نسألك فلا تجيبنا ، ويسألك « مالك » و « عبد العزيز » — أي ابن الماجشون — فتجيبهما ! فقال : دخل علي في بدني ضعف ، ولا آمن أن يكون قد دخل علي في عقلي مثل ذاك ، وأنتم إذا سألتموني عن الشيء فأجبتكم قبلتموه ، و « مالك وعبد العزيز » ينظران فيه : فإن كان صوابا قبلاه ، وإن كان غيره تركاه »

وحدث « الإمام مالك » أنه سمع شيخه الفقيه « ابن هرمز » « الأصم » يقول :

« ينبغي أن يورث العالم جلساءه قول : لا أدري ، حتى يكون ذلك أصلا في أيديهم يفزعون إليه ، فإذا سئل أحدهم عما لا يدري ، قال : لا أدري »

وكانت هذه القولة ، أشبه بتقليد متبع ، يحترمه علماء الصحابة والتابعين ، مقدرين الأمانة العلمية ، فأمير المؤمنين « عمر بن الخطاب » سئل عن أشياء فلم يجب . وينسب إلى « ابن عباس » أنه قال :

« إذا أخطأ العالم « لا أدري » أصيبت مقاتله »

وهو تقدير صادق لتبعة العلم ، وشعور واضح بخطر المسئولية وصعوبة الأمانة فيه ، فهل نطمع في أن يقتدي علماؤنا الأفاضل بالسلف الصالح ، ويحيوا تقليدهم الكريم بقول : لا أدري !

وهل يدركون أن العالم بشر يخطئ ، فلا يهدر الخطأ علمه ، ولا يطعن في كفايته ، وإنما الذي يهدره ويصيب مقاتله ، أن يخطئ « لا أدري » ! !

وهل يتهيبون إطلاق الأحكام العامة الشاملة البالة الجازمة ، حين يجب الحذر ويلزم الاحتياط ؟

وهل يتقبلون النقد الرشيد النزيه بصدر رحب ، وفي تسامح العلماء الذين يعتزون بقولة لا أدري ! !

أرجو ، وآمل ...

التاريخ : ٢٢ / ٣ / ١٩٥٣

في حياتنا :

حقوق المرأة .. وحقوق الإنسان !

للدكتورة بنت الشاطئ

تفضلت حضرة الزميلة الفاضلة « السيدة منيرة ثابت » فشغلت نفسها بالرد على رأي لي في (الحقوق السياسية للمرأة) رجوت فيه أن تعفى نساءنا من خوض المعركة الانتخابية التي تستحل عندنا كل سلاح ، وتبرر كل وسيلة وتنتهك أقدس الحرمات . كما رجوت أن يضع أولو الأمر نصب أعينهم مسألة « الأسرة » موضع الاعتبار عند النظر في هذه المسألة ، فيقدروا أن أضواء الحياة السياسية قد تعشي بصر الفتاة الجديدة ، فتزهدها فيما حملت أمها من أعباء الأمومة وهمومها .

فإذا فرض علينا الزمن وقضى التطور باشتراك المرأة في الحياة السياسية فلتكن ممارستها هذه الحقوق ، بطريق التعيين في مجلس الشيوخ وبذلك نوقي المرأة في سن الشباب ، أخطار الحزبية والسياسة ، وندعها لعملها الأصيل الجليل وهو صنع الحياة ، فإذا ما انتهت مهمته كان من حقها ، ومن حق الأمة أن تنتفع بتجاربها وآرائها في توجيه الحياة التشريعية ، دون أن نخشى انصرافها عن الأمومة ، أو نشفق مما تتعرض له عادة في سن الشباب ، من مواقف مريبة ، وإشاعات مغرضة وحملات تشهير ظالمة ، تبررها المعركة الانتخابية .

ولقد أغضب هذا الرأي ، حضرة السيدة الفاضلة صاحبة « الأمل » ، فثارت ترد علي في قسوة عنيفة لم تغضبني قط ، لأني — وقد مارست مهمة النقد — جديرة بأن أحتمل نقد سواي مهما يسرف في القسوة ، غير أني أشفقت على الزميلة المحترمة من هذا الانفعال الجامح ولعلها لو ذكرت ما يعتز به الفرنسيون من قول أبيهم الكبير .

« لست أوافق على ما تقول ، لكني أدفع حياتي ، لكي أدافع عن حقك في أن تقوله » لخفف هذا من حدة غضبها ، وثورتها الجامحة ، ولما أنكرت علي أن يكون لي رأي في الحقوق السياسية يخالف رأيها ، بل لعلها كانت جديرة بأن تشكر لي هذه المخالفة ، لأن خلو الميدان من خصم لها في الرأي ، يفقدها لذة النضال فيه ، بل يجعل نضالها كله غير ذي موضوع

والآن فلنتحدث في الموضوع :

ترى السيدة الفاضلة أني بهذا الذي قلته من الحقوق السياسية للمرأة : « أهدم مبدأ سياسيا مقررا في إعلان حقوق الإنسان »

وإنا أعيذها من الانخداع بمثل هذا الإعلان ذي البريق الزائف ، فما هو — في الحق — إلا سخرية بعقولنا وإنسانيتنا ، وإلا ففيم هذا الاستعمار الجاثم على أنفاس الشرق المغلوب ! وفيم هذه المعارك الدامية التي تخضب أرضه بدماء الشهداء ! ولمن هذه الأصفاد والأغلال التي ترهق « بني الإنسان » في مراكش ، وتونس ، وكوريا ، وكينيا ، والملايو ، وجنوب السودان ، و .. و .. ! وهل أهدر آدمية « الملونين » وبشرية « الزنوج » وإنسانية « الإفريقيين والآسيويين » إلا هؤلاء الذين تشدقوا ويتشدقون بحقوق الإنسان !

إنني — كما تقول حضرة السيدة — لا أعرف كثيرا عن (منظمة الأمم المتحدة) ، لكني أعلم أنه في الوقت الذي كانت فيه انجلترا ، وأمريكا ، وفرنسا ، وروسيا ، تعلن وثيقة « حقوق الإنسان » من فوق منبر « الأمم المتحدة » ، كانت أرض الشرق المغلوب المستباح تشرق بدماء ضحايا الاستعمار ، وكانت الإنسانية تئن من محنة الرق الجماعي لا الفردي ، وكانت صرخات المعذبين في الأغلال تنبعث من شمال أفريقيا وجنوبها ، وشرق آسيا وغربها ، بل من صميم أمريكا نفسها ، حيث الآدميون الملونون يسلبون إنسانيتهم على مرأى من « منظمة الأمم المتحدة » ومسمع ، فإذا الأصداء الجريحة تختلط بخطب أقطاب هذه الأمم ، وتجعل كلامهم عن حقوق الإنسان ، سخرية بالإنسان ما بعدها سخرية !!

ثم تلومني السيدة الفاضلة إذ خالفت « مبادئ منظمة الأمم المتحدة » ، ونظرت إلى موضوع الحقوق السياسية للمرأة ، من ناحية قومية خاصة ، حين رأيت لنسائنا أن يمارسن هذه الحقوق بطريق التعيين في مجلس الشيوخ .

فما الذي أنكرت السيدة المحترمة من هذا ؟

قالت بأسلوبها الطريف اللاذع : « إن مجلس الشيوخ — بالشكل — هو مجلس الأعيان الذوات ، مجلس الملاك الرأسماليين ، ويقوم خصيصا للدفاع عن مصالح هذه الطبقة ، وإن نظام التعيين فيه ، كان الثغرة التي تسللت منها السلطة الملكية الأرستقراطية » ثم [illegible] قبل أن أبدي رأيا في هذا الصدد ، لأني دكتورة في الأدب فقط .

وأجيبها صادقة أني لم أفهم هذا الذي تقوله عن « مجلس الذوات » وإنما الذي عرفته وتعلمته ، أنه مجلس « شيوخ » امتحنتهم التجربة ، وأسبغت عليهم « السن » وقارا وآراء قد تفتقدها في أتراب الشبان ، وإنه قد كان من بين أعضائه [illegible] واحدا من الطب ، وأن تعيين بعض أعضائه ، قصد به سد الثغرة التي قد يحدثها انتخاب لا يتحرى الكفاية ، ولا يضمن معه وجود فئة ممتازة متخصصة في الاقتصاد ، أو التعليم ، أو القانون ، أو الزراعة ، أو .. أو .. فإذا كان العهد المنهار قد أتاح للسلطة الملكية الأرستقراطية أن تتسلل من هذه الثغرة لتعطل حكمة التشريع ، ولتسد [illegible] فذلك خطأ فاحش في التطبيق ، وليس هو الأصل فيما أعلم

بقيت مسألة الأسرة التي يقتضي الدفاع عنها ، وتبصير قومي بما تتعرض له من خطر تجهله السيدة الفاضلة ، أو تتجاهله ، لتقرر أن الأسرة ستظل بخير إذا اشتغلت المرأة بالسياسة ، وخاضت معترك الأحزاب . وإنا أوثر أن أفرغ للحديث عن هذا في مقال خاص ، فإلى لقاء ، وللسيدة الفاضلة صادق احترامي لحقها في أن تقول ما تشاء !

بنت الشاطئ

من الامناء

التاريخ : ٢٣ / ٣ / ١٩٥٣

كتب جديدة

في المكتبة الفنية

بين الآثار الاسلامية في العالم .
دار المعارف بالاسكندرية — ٩٦ صفحة

لا اتهم حضرات القراء اني ضقت بهذا العنوان الذي اختاره المؤلف حضرة « الدكتور عبد العزيز مرزوق » لكتابه ، فلفظ (العالم) كبير ضخم ، وليس من المستطاع ان نجمعه او نحصره في كتاب ، اللهم الا ان يكون التناول السطحي الخاطف ، الذي يأخذ العلم اخذا لما .

واذا كنا نقبل مثل هذا الصنيع من المراهقة الذين ينظرون الى التأليف نظرة تجارية ، فانما نقبله من الجامعيين الذين نرى أنهم أولى الناس بالنفور من هذا اللفظ الضخم ، وتقدير خطره ، والشعور بفداحة المسئولية العلمية ازاءه.

لكنما يخفف شيئا من الهم ، ان الدكتور مرزوق لا يزعم انه احاط علما بما في العالم من آثار اسلامية ، ولا يدعي انه بكتابه هذا ، قد جاء ببحث شامل يستقصي انباءها ويحصيها عدا ، ويفيها حقها من الدرس ، وانما هي — كما يقول حضرته — جولة سريعة ونظرة عاجلة ، قصد بهما ، اولئك الذين يعدون انفسهم لدراسة الآثار الاسلامية ، فهم واجدون في هذه الصفحات القليلة ، عرضا موجزا للنواحي المختلفة لهذه المادة ، ليلمون بها هنا اجمالا ، قبل ان يدرسوها بعد تفصيلا .

هي اذن المامة عجلى ، يتجه بها الدكتور المؤلف الى الذين يرغبون في دراسة الآثار ، وقد مهد لها حضرته ببيان واضح لمعالم التاريخ الاسلامي ، استغرق ربع صفحات الكتاب ، ثم راح يطوف بنا بين الآثار الاسلامية في الاندلس ومراكش والجزائر وتونس وصقلية ومصر والشام وآسيا الصغرى والعراق وايران والهند والصين حتى اذا فرغ من جولته هذه ، مضى يحدثنا عن الفن الاسلامي وعوامل تطوره ، ويشير الى (تسرب الفن الاسلامي الى اوربا واثره في فنونها) ويذكر لنا (متاحف الفن الاسلامي في اوربا) ثم يضع بين ايدينا بعض المراجع الهامة في هذا الموضوع ، لمن شاء مزيدا من العلم بالآثار الاسلامية في العالم .

والكتاب على هذا الوضع ، اشبه بدليل لا شك في نفعه للدارسين وطلاب المعرفة الحريصين على العلم بما ترك اجدادنا المسلمون من آثار فنية ذات شأن ، واذا كان هذا هو ما قصد اليه حضرة المؤلف من كتابه ، فهو — فيما احسب — قد حقق مقصده وبلغ من التوفيق ما اراد .

***

والمأخذ الواضح على الكتاب ، انه في طوافه بآثار العالم ، نسي ان يعرج بنا على الجزيرة موطن العرب ومهد الاسلام ! !

ولست ادري كيف غاب هذا عن المؤلف ، مع ان جزيرة العرب ، ومنطقة الحجاز منها بوجه خاص هي اول مايتبادر الى الذهن حين يذكر الاسلام !

وفي الجزيرة آثار اسلامية اصيلة عريقة ، حسبي ان اذكر منها السامية ، المسجد النبوي بالمدينة المنورة ، حيث كان اول مسجد بني في الاسلام !

ويبدو خطورة هذا المأخذ ، حين نذكر مانص عليه عنوان الكتاب من ذكر الآثار الاسلامية « في العالم » ولو تحاشى حضرة المؤلف هذا اللفظ الضخم ، لكان له بعض العذر اذ ينسى الآثار الاسلامية في مهد الاسلام !

ثم فليسمح لي حضرته بعد هذا ، ان أبدي هنا بعض ملاحظات ، يشجعني على ابدائها ، مابين فني الادب والآثار من قربى : فحضرته في صفحة ٣ قد وصف الآثار الفنية بانها «الجانب المادي من حضارة اجدادنا المسلمين » كما اكد هذا بقوله في صفحة ٦ : « ومن ذلك الحين ، بدأت تتجلى مكانة الفن الاسلامي بين الفنون ، وبدأت تظهر معالم الحضارة المادية التي ابدعها المسلمون أيام عظمتهم »

وهذا الوصف بالمادية ، تعوزه الدقة بلا ريب ، اذ الآثار بفنونها ، ليست الا التعبير المجسم ، عن مزاج الامة واحساسها بالجمال الذي هو روح الكون ، وفرق بين البناء الهندسي ، وبين العمارة بالمعنى الفني . ثم ان المؤلف في حديثه عن الآثار الاسلامية ، قد تعرض للزخارف المعمارية (انظر لوحات ٢—٦—٨—١١) والتصوير : (لوحات ٩ ، ١٧) واواني الخزف : (لوحة ١٩) والتماثيل : (لوحات) —٥—٢١) والطنافس : (٢٠) والخطوط

العبية : ا لوحات ٢٢-٢٥-٢٦-١٧) والسبيع : (٢٤) والمساجد : (١١) والاراسات : (٢٠) كما افرد سمر تلك الفقرات الحديث عن « الفن الاسلامي » ومواطن بعد وحدة ، واثره في فنون اوربا » — من صفحة ٨٥ : صفحة ٩٢ ، فكيف يمكن ان يكون الحديث عن الفن في هذا الكتاب ، وصفا للعمارة المادية ؟

وملاحظة اخرى ، هي ان الدكتور مرزوق يؤكد ان « دراسة الاثار القديمة ، لم يعرفها الاقدمون ولم يهتدوا اليها ، بل هي ثمرة من ثمرات المدنية الاوربية الحديثة . وقد تمثلت اولى خطوات هذه الدراسة ، في جمع التحف الصالحة التي ابدعتها الاجيال السابقة » — صفحة ١

ثم يؤكد في الصفحة التالية ، ان المتاحف هي الخطوة الاولى لدراسة الاثار . . .

لكنه مع ذلك ، يقرر في الموضع نفسه ، ان العرب كانوا يعنون باقتناء التحف القديمة ، بل يزيد حضرته فيقرر انهم اهل السبق في هذا اذ « كانوا اول من اهتم بوضع ما جمعوه — من الاثار — في مكان معين ، ومراقبته في هذا المكان ، فكانوا بذلك اهل انشاء اول متحف اثرى .

« ولم يعرف الغربيون المتاحف الا بعد ان عرفها العرب بنحو خمسة قرون » — صفحة ٤ ام الا يرى حضرة المؤلف ، انه بهذا يهدم ما ادعاه من ان دراسة الاثار القديمة « ثمرة من ثمرات المدنية الاوربية الحديثة » ، اذ نص معه في ان « المستنصر » — منشئ المتحف الاول — لم يقصد ان يجعل من متحفه مكانا للدرس ، لكن الدكتور مرزوق هو الذي قرر ان انشاء المتاحف ، هو الخطوة الاولى للدرس ، ومعنى هذا ان العرب هم الذين خطوا الخطوة الاولى قبل ان يتجه الغرب الى هذا الميدان بخمسة قرون ، فلا يستقيم هذا مع القول بان الدراسة الاثرية ثمرة من ثمرات المدنية الاوربية الحديثة .

وفي صفحة ٥ ، يقول حضرة المؤلف : « ولقد اتى حين من الدهر لم تكن فيه الاثار الاسلامية شيئا مذكورا » ، وهو قول تعوزه الدقة كذلك ، اذ كيف يقال هذا والاثار الاسلامية شاخصة في مدن الشرق بمآذنها ، وقبابها ، ومساجدها الضخمة الفخمة بمذهباتها ومقدماتها ومسدها ومنقوشها ومنابرها ، فهل يستطيع الزمن نفسه — حتى الان — ان يقول : انها لم تكن شيئا مذكورا !

ان كان « الدكتور مرزوق » يريد ان يقول انها لم تكن شيئا مذكورا عندنا ، كما نلمس سياق الكلام في اخر الفصل ، رددنا عليه بان عناية المسلمين بادخار هذه الاثار على مر العصور — حتى في عهد المماليك الذي ندخله في عصور الظلمات — مظهر من مظاهر التقدير للفن ، ودليل على ما ظفرت به الاثار من مكانة ملحوظة عند القوم .

الفن الذرى

هي نظرية جديدة في الفن ، يقدمها « الاستاذ محمد فتحي البكري » الى المشتغلين بفن الرسم ولقد ظننت اول الامر ان الاستاذ البكري اختار هذا الاسم الذرى للنظرية ، لكي يلفت الى جانبها من عنصر الجدة والطرافة معا ، فلما قرأت الكتاب ، ادركت ان وراء هذا اللفظ الظاهر ، مغزى ادق واعمق ، فالنظرية تقوم على اساس من المرحلة الذرية الحديثة ، وتنتفع بما احدثه تفجير الذرة من اثر على الابحاث العلمية لان الفن اذا تخلف عن الاستجابة لروح العصر ، ومسايرة التطور العلمي ، فقد قوته وافلتت نفسه بمنهجه .

ولا ازعم اني فهمت النظرية حق الفهم ، لكني استطيع — على قدر ما فهمته من قراءتها — ان الخصها لحضرات القراء في كلمات قصار ربما تكفي لتقديمها : فالذرة هي اصغر الاجسام المرئية ، وبتجمع الذرات تتكون اجسام ذات اشكال شتى ، والوان متعددة ، وسطوح مختلفة ، هذه الاجسام التي تتكون من تجمع الذرات وحركتها ونموها ، هي موضوع اهتمام النظرية الجديدة التي تتجه الى دراسة « الشكل واللون والسطح » في الصور المؤلفة من الذرات .

ولقد بين الاستاذ البكري ، الاسس الفنية والنفسية للنظرية ، ثم تحدث عن المزايا الاجتماعية التي نكسبها اذا استعنا بالفن على حل العقد النفسية ، عن طريق التعبير عن الوجدان تعبيرا فنيا صريحا يهيئ لنا السلام النفسي .

وحضرته يبدو قوي الايمان بالنظرية ، شديد التحمس لها ، وبخاصة بعد ان طبقت في مدارس مختلفة على تلاميذ متفاوتي الاعمار كما طبقت على بعض الهواة من كبار السن فنجحت في الحالين .

ونحن نكتفي بتقديم النظرية الى حضرات القراء ، ثم ندع للمختصين منهم مهمة درسها ونقدها . ويطلب الكتاب مع البطاقات الخاصة بالنظرية ، من الاستاذ البكري : ٢٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة .

بنت الشاطئ
من الاهرام

التاريخ : ٣٠ / ٣ / ١٩٥٣

كتب جديدة

فى الاقتصاد والسياسة

النقطة الرابعة فى الميزان

مكتبة النهضة المصرية : ١١٢ ص م

هو كتاب جديد يضيفه حضرة « الدكتور راشد البراوى » الى مجموعة كتب التى يتابع بها التطورات الاقتصادية والسياسية فى حياتنا الحاضرة.

ولقد شغلت (النقطة الرابعة) اذهاننا الى حد كبير لقبل ، واثارت من الاهتمام والنقد ماجعلها احدى المسائل الكبرى فى عالم اليوم ، كما حفت بها ريب وشكوك) من حيث اتصالها بالحياة القومية والسياسية للشعوب المحتاجة الى العون الاقتصادى والفنى ، لتساءل المتسائلون : ماهذه النقطة الرابعة ؟ وماذا تخفى من اهداف وتطوى من نوايا ؟ والى اين يمضى بنا تدفق الاموال الامريكية عن هذه السبيل ؟

وقد تصدى « الدكتور راشد » للاجابة من هذه الاسئلة جميعها باسلوبه العلمى الذى يحتفل بالارقام ويحترم الواقع ويعتمد على المستندات فهو يضع (النقطة الرابعة) فى الميزان ، ويبين يديه حشد من الاحصائيات والبرامج والمقالات المتصلة بالموضوع ، ومن لم استطاع ان يتحدث فى جد واطمئنان ، من ظهور فكرة المعونة الفنية والاقتصادية ، وتطورها فى نطاق الامم المتحدة ، ثم راح يناقش مسالة الالتزامات السياسية التى ارتاب كثيرون منا فى امرها ، وعرض بعد ذلك للدوافع الكامنة وراء النقطة الرابعة ، فاستبعد منها عناصر (المثالية وحب الخير) وردها الى اسباب مادية وانية . ثم تحدث عن اهمية الخبرة الفنية ، واوجز اعمال النقطة الرابعة فى بلاد الشرق الاوسط ، كيما يفرغ بعد هذا لمناقشة كثير مما وجه اليها من نقد ، وازالة ما حف بها من شبهات .

و « والدكتور راشد » فى كتابه هذا ، هو من عهدناه فى كتبه السابقة ، قوة اسلوب وسعة افق ونضوج فكر ، ومن الحق انه وضع ببحثه هذا ، اول كتاب فى العربية عن (النقطة الرابعة) ، لكنه فى الغالب قد نظر اليها من زاوية اقتصادية بحتة ، ويبدو هذا واضحا فى تقريره « ان المشكلة الكبرى التى تئن من وطأتها غالبية شعوب الكرة الارضية هى الفقر » — ص ١٢ — مع انه لو مد بصره الى ماوراء الجانب الاقتصادى ، لابصر شبح الاستعمار جاثما على شعوب لم تكن لتئن من الفقر لو لم تسلب خيراتها فى ظل الاحتلال اللئيم . ان الفقر ليس هو المسئول عما يكابد هذا الشرق من جوع وتخلف ، وانما يسأل عنه الغاصبون الذين اهدروا حقه فى الوجود الكريم ، كيما يستثمروا بكنوزه الغنية ، ورحم الله شاعرنا اذ يقول :

ايشتكى الفقر غادينا ورائحنا
ونحن نمشى على ارض من الذهب ؟

وفى صفحة ٢٦ ، يصل بنا حضرة الباحث الى بعض نتائج لميثاق الامم المتحدة ، اولاها : « ان الامم المتحدة تعتبر تقديم المعونة الفنية الى الشعوب التى تحتاج اليها ، ضرورة من اجل تحقيق التعاون الدولى وتعزيز السلام العالمى » ترى لو أن هذه الامم المتحدة اخلصت فى مساعدة الشعوب الكافحة من أجل حريتها ، اما كان هذا اجدى على السلام العالمى والتعاون الدولى ؟

السياسة والاستراتيجية فى الشرق الاوسط

مكتبة النهضة المصرية — ٦٧٢ صفحة

لم اكن انوى حين تناولت هذا الكتاب الذى الفه حضرة « الاستاذ حسين فوزى النجار » ان اعرض له باى نقد ، لان ذلك يحتاج الى ثقافة واسعة المدى فى السياسة علما وعملا ، وفى الفن الاستراتيجى الذى لا اعرف منه سوى اسمه ، غير انى مالبثت ان ادركت بعد قراءة مقدمة الكتاب ، والنظر فى تصميم مواده ، انه كتب فى التاريخ السياسى لهذا الشرق الاوسط ، ومن لم سمحت لنفسى بالكتابة فيه .

ولست بحاجة الى التنويه بخطورة الموضوع ، فالكتاب يظهر فى اونة حاسمة من تاريخ هذا الشرق الاوسط ، حيث تتجه اليه الانظار من شتى انحاء الدنيا ، وتتلاقى فيه مختلف الامواج صاخبة هادرة ، وتصطرع التيارات العنيفة الاتية من يمين وشمال ومن هنا تظهر اهمية كتاب كهذا ، يصل بين حاضر الشرق وماضيه ، ويحدثنا عن الاهمية السياسية والاستراتيجية له ، ومن بداية الضغط الاوروبى والمسالة الشرقية ثم يفرد فصلا خاصا لكل من المسالة المصرية ، واليقظة الاسلامية والبعث القومى الجديد ، والحرب العالمية والشرق الاوسط ، والقضايا السياسية الكبرى مابين الحربين .

ويقول الاستاذ الكبير « الدكتور محمد حسين هيكل » فى الكلمة القيمة التى قدم بها هذا الكتاب : « انه الكتاب الاول من نوعه فى هذا الموضوع فى المكتبة العربية على ما أعلم ، والحق ان جدة الكتاب ليست فى موضوعه ، فلقد تناوله من قبل مؤلفون كثار ، عالجوا هذه الناحية او تلك لكثيرا من التيارات السياسية فى حوض البحر الابيض المتوسط ، ومن حرب البترول فى الشرق الاوسط ، ومن المسالة الشرقية والمسالة المصرية ، ومن مشكلات الشرق الاوسط ومشكلات العالم العربى ، ومن الكتلة الاسلامية وانما يمتاز كتاب الاستاذ النجار بجدة التناول ، وهذا الالمام الشامل الذى يجمع اطراف الموضوع على تباعدها ، ويضعه فى وحدة متميزة تربط بين جغرافية الشرق الاوسط وتاريخه ، وتجلو العوامل الروحية والمادية التى صنعت حياته ، ووجهت سيره ، وجعلت له هذا الدور الخطير الذى شارك به فى التاريخ الدولى من قديم الازمان .

ولست اجامل حضرة المؤلف ، حين اثنى على ماوفق اليه من مزج التاريخ السياسى للشرق بتاريخه الروحى والفلسفى ، وجمع هذا الشتات المنتشر من شئون هذا الشرق ، فى نسق يفسر لنا فى جلاء كيف ولم سارت الحياة بقومنا على نهج بعينه ، لروابط بينهم ، وترشح عوامل نفسية ومادية ، واشتركت فى تحديده وراثات محتكمة ، وطبيعة غالبة ، وظروف موجهة مؤثرة » .

اقول هذا دون ان اغفل ميزى عما فى الكتاب من مآخذ ، لعل ابرزها انه جعل من « الشرق الاوسط » موضوعا لبحثه مع انه يبدى اكبر احتفال « بالوحدة الاسلامية الكبرى التى تضم مجموعة بشرية هائلة ، تبلغ قرابة اربعمائة

مليون وتمتد في نطاق واحد من الارض ، يصل الى بلاد الصين في الشرق ، والى البلقان ونهاية امتداد افريقيا الشمالية في الغرب » ـ صفحة) ـ مؤكدا أن هذه الوحدة أقوى من تلك التى تربط شعوب امريكا اللاتينية ، أو الشعوب السلافية والجرمانية ، افلا يرى حضرته ان اقتطاع « الشرق الاوسط » من هذه الوحدة الكبرى ، يفصل مسلمي الهند ، ومسلمي اندونيسيا ، ومسلمي الصين ، وهم نحو تلك الملايين الاربعة من المسلمين او اكثر !

لقد أكد حضرته أن الوحدة الاسلامية الكبرى « لا يفصل بين دولها وشعوبها فاصل بشرى ، او اقليمي او ثقافي (! !) » وانها اقوى من كل ماعداها من « الوحدات الثقافية او الاقليمية في المنطقة قديما وحديثا » ص).

وهذا الترك فضلا من غرابته ـ اذ الالسنة شتى في الشعوب الاسلامية من الصين الى المغرب والاقاليم متغايرة ، والاجناس مختلفة ، والثقافات متعددة ـ قد يأبى على حضرة المؤلف ان يقتطع الشرق الاوسط من تلك الوحدة الكبرى التى تلغى ماعدا الرابطة الدينية من فروق واعتبارات ، وبخاصة حين يؤكد حضرته في صفحة ١٢ « أن اهمية الشرق الاوسط لاترجع الى اهميته التاريخية كموطن للثقافات او معبر للهجرات التاريخية ، او طريق تعبره اهم المواصلات العالمية ، او منبع هائل لاهم مواد الحرب وهو البترول ، وانما اهميته الحقيقية في انه حاجز ضخم يضم مجموعة من الشعوب يحددها حضرته في صفحة ٢١ من الفانستان الى البلقان والمغرب الاقصى ، ومن حدودروسيا الاسيوية في الشمال الى سواحل المحيط الهندى والسودان في الجنوب ـ تربطها اواصر تاريخية يقويها الدين ، وتدعمها الثقافة ، ويشدها الى بعضها في كثير من شعوبه من وحدة الجنس واللغة والاهداف ، مايجعلها اقوى وحدة بشرية تحتل مكانا هاما في العالم » ا . هـ .

كذلك غلا حضرة « الاستاذ النجار » حين جعل لكل من المادية والروحانية منطقة بعينها ، واقام بينهما حدا فاصلا وسدا منيعا يحول دون تسرب شىء من مادية الغرب الى الشرق ، او تسلل روحانية الشرق الى الغرب ، فيقرر ان حضارة الشرق حضارة روحانية منبعها الروح ، اما حضارة الغرب فمادية مصدرها العقل ، والواقع يشهد انه قد كان في الشرق دائما شىء من المادية النابعة من العقل ، كما لم يخل الغرب قديما من الروحانيات . ففى قديم الشرق قامت اثار مشيدة ضخمة شهدت بما اخذ القوم من جهد العقل ، كما تقدمت اليابان في مطلع هذا القرن مثلا وانما لحضارة روحية علمية معا وفي الغرب القديم والحديث ازدهرت وتزدهر فنون لم تصنعها المادية منفردة ، ولا نبعت من العقل وحده دون الروح والوجدان .

واذ يقول حضرته في صفحة ٢٠ ان حضارة الشرق حضارة اديان وفلسفات ، ينسى ان الفلسفة عمل عقلى ، كما يجحد في الوقت نفسه حظ الغرب من الفلسفة الاصيلة !

ويبدو لى ان حضرة الزميل الكريم ، يقرن المادة بالعقل حتى ليجعلهما شيئا واحدا ، فيقول « وكان الانهيار الذى يلم بحضارة الغرب مبعثه طغيان العقل وثورة وغروره ، مادفع الحضارة الى التبذل والاباحية والجشع » . وايد هذا بكلمة للمؤرخ الانجليزى « جيبون » وانا اكره أن نضع العقل في هذا الموضع الظالم ونجعله مسئولا من التبذل والاباحية والجشع . ولم يكن العقل هو الذى سبب انهيار حضارة الغرب ، وانما هي المادية المسرفة ، و « جيبون » قد عزا انهيار الامبراطورية الرومانية الى « ما اصاب حكامها وشعوبها من اباحية وتبذل وجشع نتيجة اغراقها في المادة ، وتحررها من مقومات الروح » ـ ص ٢٠ ـ فكيف نستبدل العقل بالمادية ونحمله وزرها !

على أن هذه المآخذ قد ترجع في أكثرها الى اختلاف وجهات النظر ، وفي كل حال لا اراها تنال من هذا البحث القيم ارلئسها مابذل فيه من جهد يستحق التقدير ، وحسبه أن يقول فيه الدكتور هيكل ـ وهو الخبير بالسياسة . « انه ملأ فراغا في ادبنا السياسى والتاريخى ، كنا في مسيس الحاجة ان يملأ .. بل لااحسبنى اغلو اذا قلت ان كل مشتغل بالشئون العامة لايستطيع ان يسير في طريقه على هدى ، اذا هو لم يتعمق في التاريخ العام وتاريخ المنطقة التى يمارس نشاطه فيها بنوع خاص ، ومصر والبلاد العربية جميعا ، وبلاد الشرق الاوسط كلها ، كثيرا ماعانت من سياسة الارتجال اكبر الضرر ، فلعل هذا الكتاب وما اليه من مثله ، يجنب هؤلاء الساسة ذلك الارتجال » .

بنت الشاطئ

في حياتنا

ذكرى الرائدة

للدكتورة بنت الشاطئ

سعيت الى دار «الاتحاد النسائي» في احتفاله بمرور ثلاثين عاما على انشائه، فتمثلتها هناك: بوجهها النبيل المشرق، وطلعتها المهيبة الآسرة، تطل على الكون من حولها اشراقا وحيوية، وتعرض الصورة الوضاءة للمرأة الجديدة التي تمثل فيها رمز امة باسرها، ثابت على الذل والجمود، وتمردت على القيود والاغلال ..

وحين وقفت على المنبر القي كلمة «اتحاد الجامعيات»، تراءى لي طيف حلو رقيق، من تلك التي كانت هناك: رقة الحلل، وروح الندى، وبعث كل ماله من جمال وجلال ..

وتساءل الدنيا من حولي في حزن:

- اين «هدى»؟!

- ولا والله ما غابت «هدى»، انها ملء الحياة، اراها رأي العين روحا ندية، تحيي الجمع، وتبارك الحفل، وتصافح كل ضيف، وتصغي لكل كلمة، وترنو في عطف ورقة وغبطة الى بناتها الجامعيات وقد اخذن مكانهن في صدر المجلس، يحققن حلمها الغالي وأملها الكبير ..

ايه ايتها الروح الكريمة المتألقة

نحن «الجامعيات» اشد كثيرة لذكراك الطيبة، وانا لنجددك معنا في كل آن، فلقد اودعت كياننا كل آمالك واحلامك، وبثثت في روحنا كل نبلك وسحرك، وصنعتنا على عينيك بكل املك وطماحك، فاذا جئنا اليوم استمرار لحياتك، نجد فينا مصر صورة تلك الرائدة التي قادت المعركة الظافرة في اشق ادوارها، وحققت بجهادها احسم انقلاب شهده التاريخ الاجتماعي للشرق منذ كان ..

ايتها الروح النبيلة الشامخة

نحن «الجامعيات» لا نفتقدك! وكيف ونحن نمتلك ابدا الى جانبنا ذاكرة منسجمة كلما ثقلت علينا اعباء «الانقلاب الاجتماعي»، والتمسنا الطريق ان لم نلق النور اللازم من اصحابنا ومن هنا وراحتنا، لكن لنحقق لمصر تقدمها، ونحمل من اسلافنا نصابا منيرا امينا نمر عليه وطننا من «مصر الحريم» الى «مصر الذرة»!

ايتها الرائدة المناضلة:

هؤلاء بناتك «الجامعيات» يسعين الى ناديك ليحتفلن بعيد «الاتحاد» الذي انشأته منذ ثلاثين عاما، ورسمت له طريق السير نحو اهداف بعيدة، كنت اول فرقة استشرفت لها ورنت اليها، ثم سرت في الطليعة تخطين الخطا، وتحدين الركب المجهد، وتواسين المتعبات اللواتي اعياهن السرى في حلك الليل، وترفعين من تساقطن على الطريق الوعر الشاق، وتباركين من استطاعت من فتيات الطليعة ان تصل الى حيث رجوت لها، فكان رفاقك للحركة النسوية طيلة ربع قرن من الزمان، كالها وحدها الان لتحمل من الخطوات المتعثرة في المناهضة الضالة، والاستجابات الحائرة لدعاء «قاسم امين»، والجهود المهدرة في سبيل تحقيق حلم الدعاة الاولين، نهضة ذات كيان، حتى ليصح للمؤرخ اذا سمى هذه الفترة الدقيقة الحاسمة من تاريخ الحركة النسوية في الشرق: «عهد هدى شعراوي».

ايتها الرائدة المجاهدة:

ان يتحدث القوم اليوم جادين من حقوق جديدة للمرأة المصرية، او يفكروا في الانتفاع بخبرتها وتجاربها في توجيه الحياة التشريعية، فما ذلك لان هذا الحزب او ذاك طالب بالحقوق السياسية للمرأة، ولا لان فلانا او فلانا دعا الى اشراكها في الحياة البرلمانية، وانما هو اثر لما رأى قومنا فيك من مثال كريم للمرأة الناضجة الرأي، الحرة الفكر، العفة الضمير، تلك التي استطاعت ان تميز «الخيط الرفيع» بين الحرية المتزنة والاباحية المسرفة، وان تستبين الفرق الدقيق بين الشعور بالشخصية وبين الجموح الطليق، كما استطاعت ان تبرأ — لقدر ما في طاقة البشرية — من الادعاء، والغرور الفارغ، والانانية، معلنة ان المرأة الجديدة ليست زيا انيقا، او مظهرا خلابا، او مرحا لاهيا، او ضجيجا صاخبا، وانما هي شخصية وخلق، وفكرة وروح ..

ايتها الرائدة الفاضلة:

ان المعركة لم تنته، فما يزال التطور يطلب مزيدا من الآلام والتضحيات، ومازالت الفتاة الجديدة تحارب بالاكاذيب والاباطيل، وتواجه بحملات قوية من التشهير الظالم والحقد المجنون، لكننا اذ نذكر ما احتملت ايتها السيدة الام في مطلع هذا القرن، وما لقيت في معركتي السفور والتحرير، نتأسى بك لنخجل من التخاذل في ظروف خير مئة مرة من الظروف التي تعرضت لها، ولنشعر بك تأبين علينا ان نشكو او نضعف وقد حملت من قبلنا الحمل المجهد، وتلقيت عنا صدمات الانقلاب الاولى، وواجهت الاعاصير العاتية الهوجاء في بطولة واستشهاد، وانت تعبرين الصراط الرهيب من الظلمات الى النور ..

فلتكن تحيتنا اليك في هذا العيد، ان نحمل من الامك وعزمك وتضحياتك لنفسنا مثالا لغاية كريمة، هي ان نحرص على ان يكون يومنا خيرا من الامس، لم نمض في الجهاد والنضال لكي نؤدي الثمن، وليمهد لنا من بعدنا ومطامحنا وتضحياتنا، يا ... مزالق الطريق ... وكلاب التضليل وخادع الوهم، وحسبك وحسبنا، ان يظفرن بعدنا بحياة اسمح واكرم واسعد ...

بنت الشاطئ

(من الأنباء)

التاريخ : ١٠ / ٤ / ١٩٥٣

في حياتنا

وماذا بعد ؟

للدكتورة بنت الشاطئ

منذ عام أو نحو عام ، روعتنا أنباء الجريمة البشعة التي خضبت أرض «المعادي» — أجمل ضواحي العاصمة — بدماء أم بريئة وابنة لها شابة ، في ربيع العمر وعز الصبا . ولا أذكر أني جزعت لإحدى المآسي التي تطالعنا بها الصحف يوما بعد يوم ، كما جزعت لمصرع هاتين الضحيتين ، وما كان ذلك لأني استغربت أن تقتل أم وابنتها بقصد السرقة ، فدنيانا تطالعنا كل يوم بجرائم لا تقل عن هذه بشاعة وشناعة ، وقد ضاق بطن الأرض الطيبة بأشلاء ضحايا كثيرين ، لا نحصيهم عدا .

لكن هذه — فيما أعلم — هي المرة الأولى التي نرى فيها « المدرسة الثانوية » تورد إلى المجتمع سفاحين من هذا الطراز ، وقد كان العهد بطلابها من قبل ، ألا يعرفوا القتل إلا جنونا في سبيل فكرة وعقيدة ، أو ثورة أعصاب معزولة في محنة الامتحان .

ولقد رأينا من المجرمين العريقين في الإجرام من يأبى أن يقتل عدوا احتمى ببيته ، ومن يعف عن ملاقاة أنثى هزلاء ، لكنا اليوم نرى من طلاب المدرسة الثانوية — وهم صفوة شبان الأمة — من يقتل زائرين في ضيافة أهله وتحت سقف بيته ، ثم يمزق جسديهما ويحمل — مع شريكيه — الأشلاء بعيدا عن الدار ، ثم يجلسون مطمئنين ليتقسموا الغنيمة التافهة : قطعا من الحلي لا يتجاوز ثمنها حفنة من الجنيهات .

ولماذا !

لأن السفاحين في حاجة إلى هذا المال ، كي يتزوجا ممن أحبا ! !

ومنذ أيام معدودات ، أصدرت محكمة جنايات القاهرة حكمها في القضية ، وهو يقضي بمعاقبة الشبان الثلاثة بالأشغال الشاقة المؤبدة وبذا كان الستار قد أسدل على هذه المأساة ، وأن القضية المروعة طويت كما تطوى الورق غيرها والوف ، بعد أن يقول القضاء فيها كلمته .

ولكن ، هل تكون كلمة القضاء في هذه القضية هي الكلمة الأخيرة !

اللهم لا ...

إنها لقضية ذات طابع خاص ، وليس يجوز أن ندعها هكذا تمضي في بساطة ويسر ، وأن نقنع بذلك المصير التعس الذي لقيه الأشقياء الثلاثة من دنيانا ، وذلك يوم أن يساقون إلى الليمان ، مصفدين بالسلاسل والأغلال .

إنهم فيحسبوا أول من تلقاهم مصر أحياء ، ولن يكونوا آخر من تنبذهم بعيدا وراء السور الرهيب ، وربما أعيتها الحيل في أمر هؤلاء الذين يتمردون من أبنائها على المجتمع ، لكنها — في أدنى الحالات — تستطيع ألا تخسر هؤلاء الضحايا عبثا ، وإلا تدعهم يمضون فرحا في الروح ، وهي تتفرج مكتوفة اليدين .

إنها أم ، وهؤلاء لا يعدون أن يكونوا أبناء مرضى ميئوسا من شفائهم ، فإذا دعتها ظروف قاهرة أليمة إلى أن تبترهم من جسدها ، فلا أقل من أن يكون هذا البتر سبيلا لحماية بقية أعضاء الجسم من انتشار الداء فيها وسريان السم . لكنها إذ تنفض يديها من جريمة «المعادي» على عجل بعد رحيل أبطالها إلى الليمان ، إنما تخسرهم بلا ثمن ، وتبتر هذا العضو الفاسد ثم تلقي به بعيدا دون أن تفحصه وتشرحه لعلها تعرف من سر فساده ، ما يحمي بقية الأعضاء في المجتمع ، من مثل تلك النهاية الفاجعة !

كتب جديدة

في السياسة والاجتماع

١ ــ الديمقراطية في التكوين
دار الكشاف ببيروت

٢ ــ الديمقراطية ... ابدا
مكتبة وهبة بعابدين

هذا كتاب من [illegible] ، [illegible] من « الديمقراطية » في هذه الفترة الدقيقة من حياة [illegible] ، حيث يدخل [illegible] من [illegible] الوجود [illegible] ، مرحلة [illegible] فيها في [illegible] من [illegible] الى [illegible] ، [illegible] في [illegible] افريقيا وجنوبها ومصرها ... [illegible] في قلب امريكا و[illegible] اوربا ، [illegible] من اجل الديمقراطية التي [illegible] اليها الانسانية من قديم ، وناطت بها كل امالها في فجر جديد ، [illegible] ما ران عليها من ظلمات القهر والاذلال والهوان

واول الكتابين ، نشرته دار العلم للملايين ببيروت ، وقدمت فيه دراسة تاريخية « للديمقراطية في التكوين » كتبها الاستاذ [illegible] بكري ، وتتبع فيها مراحل هذا التكوين ، ملتمسا جذور الديمقراطية في العصور القديمة والوسطى ، ومتحدثا بعد ذلك عن تطورها في القرن التاسع عشر ، في بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة . حتى اذا ادرك القرن العشرين ، مضى يصف ازمة الديمقراطية في حديث طويل عن الفاشستية وعلاقة السلطة بالفرد في نظرها ، ومن ثم يصل البحث في [illegible] ، اذ ينظر الى الديمقراطية الاشتراكية كنتيجة حتمية لتطور الفكر الديمقراطي

وفي هذا الباب ، يعرض « الاستاذ بكري » مراحل التطور الاجتماعي ، ثم يتحدث عن الثورة التجارية وعهد راس المال ، وعن الثورة الصناعية والحركة الاشتراكية ، ويفرغ في الصفحات العشر الاخيرة ، للحديث عن علاقة السلطة بالفرد

ويغلب على حضرة المؤلف هنا طابع الدارس المؤرخ ، لا الداعية المتحمس ، فهو قد طالع كثيرا مما كتب عن الديمقراطية في الانجليزية ، ولعله كتب بالعربية او نقل اليها من الفرنسية ، كما الم باكثر النظريات والاراء في علمي السياسة والاجتماع ، وله الى جانب هذا نظرات صائبة في تاريخ الشعوب ، وما كتابه اليوم الا ثمرة ناضجة لذلك كله ، تقرأ فيه تاريخ الديمقراطية بعلم رصين متزن ، قد يعوزه روح العرض الفني وحرارة الحماس المنفعل ، ولكنه يعطيك بلا شك ، فكرة شاملة عن مراحل تطور الديمقراطية ، في اسلوب اقرب الى دراسات علم الاجتماع ، منه الى اسلوب الدعاة من رجال المذاهب السياسية

اما الكتاب الثاني ، فيقدمه مصنفه « الاستاذ خالد محمد خالد » من العلماء » الى مكتبتنا القومية ، متحدثا فيه عن « الديمقراطية .. ابدا » حديث داعية مؤمن بها ، متحمس لها يجند قلمه لدعوته ويهب نفسه لفكرته

الفوارق تخرج من [illegible] والمجتمع واحتياجاتها كما يخرج النبات من الارض »

والثالث عن « [illegible] المجتمع » [illegible] كلمة [illegible] [illegible] واوامر [illegible]

وما [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ، اما [illegible] المؤلف [illegible] [illegible] [illegible] الديني والتجارب الاجتماعية ، [illegible] [illegible] ، [illegible] فيما لم [illegible] [illegible]

ففي الفصل الذي عقده [illegible] « الاسلام [illegible] العدل » لم [illegible] [illegible] يريد ان يدعو اليه من ان « العرف والمصلحة والعقل ، والتطور ، والاسلام ايضا ، تفرض علينا ان نظل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] بصبغة دينية [illegible] » ــ صفحة ١٤٧

ويصر حضرته في صفحة ١٤٨-١٥٠ على ان الدعوة لمرامي دينية ، ليست من صالح الذين يدعون اليها ، وهو فيما ارى قول [illegible] له مجال لغير قليل من المناقشة ، ومناقشة حتى نقدر ان الموضوع دقيق شائك ، لا يعالج بمثل هذه البساطة ، والاقوال المرسلة

[illegible] ، [illegible] [illegible] لمسألة تعدد الزوجات ، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ، فاستشهد [illegible] [illegible] الرسول ابى [illegible] على الامام [illegible] ان يتزوج [illegible] ــ الزهراء ــ الا اذا [illegible] ، ولم يعرض [illegible] [illegible] الرسول الكريم [illegible] تعدد الزوجات !

واذكر انني حين [illegible] الكتاب الاول لفضيلة الاستاذ خالد « من هنا ... نبدأ » لفت ما معناه : ان القارىء قد يختلف مع المؤلف في هذا الرأي او ذاك ، لكنه يظل على احترامه له ، واعجابه بحرارة [illegible] مما يؤمن به

واليوم اقرأ كتابه الجديد « الديمقراطية ... ابدا » فأرى موقفي منه قريبا من موقفي من كتابه الاول : اعجاب بهذا القلم في [illegible] وحماسه ، وتأثر باخلاص الكاتب للفكرة يؤمن بها ، وان لم اسلم بكل ما يقول

فالاستاذ خالد ، يشعرك حين تقرأ له ، انه يكتب باعصابه وقلبه وعقله جميعا ، وقلما يخطئه التوفيق في التعبير القوي والاداء [illegible]

وهو في حديثه عن الديمقراطية ، لا يعالجها كنظام سياسي من انظمة الحكم ، وانما يتحدث عنها في تقديس وتقوى كمتعبد يدين بها ويراها من عناصر الحياة ومقومات الاحياء

وهذا الحديث الشامل ثلاثة :

اولها عن « ديمقراطية الحكم » وشعاره : لان تكون فردا في جماعة الاسود ، خير لك من ان تقود النعاج

والثاني عن « ديمقراطية التشريع » وشعاره حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : « انتم اعلم بشئون دنياكم » وكلمة سالفيني : « ان

التاريخ : ٣٠ / ٤ / ١٩٥٣

بما ايد حضرته الدعوة الى منع التعدد ، بابيات من الشعر الهازل ـ ص ١٦٥ ـ لولي القدم بمقام هزل وفكاهة ! انها مسألة اجتماعية ذات خطر وشأن ، ولعل امثل من هذا الهزل ما قاله احد وزراء مصر منذ جيل ، حين طولب باصدار قانون يحرم تعدد الزوجات .

« ان الموقف في يد المرأة نفسها ، فلا تقبل تتزوج رجلا متزوجا » .

كذلك موقفه في مسألة الطلاق ، يستند الى قول الرسول الكريم " « الطلاق من وطر » في مطالبته بتدخل القضاء ، كيما يفحص ماوراء الطلاق من بواعث واوطار ، ويترك حضرته قول الله تعالى : « واشهدوا ذوى عدل منكم » وفيه باب ليجعل الطلاق اشهادا في المحكمة ، تناقش اسبابه ودواعيه .

وفي صفحة ١٧١ : يسأله سائل : لماذا لم يعهد الرسول للمرأة ببعض المناصب الوزرية ؟ فيجيب حضرته : « ولماذا لم يعهد الرسول بسفارة في لندن او في موسكو ؟ » .

والذي نعرفه ان الرسول قد اتخذ مسئولية السفارة فعلا ، حين قرر عموم الدعوة او حين امر الشاهد ان يبلغ الغائب .

وفي صفحة ١٧٧ يفسر حضرته الآية الكريمة : « الرجال قوامون على النساء » بأن القوامة في الآية « لا تعني اكثر من اشراف الرجل على زوجه واهله ، اشرافا يقوم على احترام حق المرأة في الرأي والتصرف . » ولا نرى الآية تحتمل هذا ، بل اولى منه ان نقول انه اشراف بالدرجة التي حددها الله تعالى في قوله :

« ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة » .

وارجو بعد الا يضيق صدر الاستاذ خالد بهذه المناقشة ، فمثله في ديمقراطيته وفي « علمه » جدير بالا يضيق .

بنت الشاطىء

التاريخ : ٢٥ / ٤ / ١٩٥٣

في حياتنا العلمية

النقد مر

للدكتورة بنت الشاطئ

بين يدى رسالة من قارئ كريم هو « الاستاذ احمد مختار عمر » بمعهد القاهرة أورد فيها بعض ملاحظات له على النص المحقق الذى نشرته من « رسالة الغفران » راجيا ان التفت اليها اذا اتيح لى ان اعيد طبع النص

ولا اريد أن اشغل حضرات القراء بايراد هذه الملاحظات ، وانما اريد ان اسجل على الملأ ، اعترافي بان كثيرا منها قد فاتني حقا اثناء اشتغالي بتحقيق رسالة الغفران ، وان في النص هنات غيرها ، تنبهت اليها بنفسي بعد ان تم طبعه ، واخرى نبهني اليها بعض اساتذة لي كرام ، يشرفني انهم قرأوا انفسهم بقراءة عمل لي ، ثم شملوا بنقده

وعذرى فيما فاتني ، اننا بشر ، وليس فينا مبرأ من النقص او معصوم من الخطأ والسهو والنسيان ، فنم الجزع والغضب اذا قال لنا قائل : اخطأت ! ؟

او ليس لنا اسوة فيما قال « العماد الاصفهاني » :

« انى رأيت انه لا يكتب انسان كتابا فى يومه الا قال فى غده : لو غير هذا لكان احسن ، ولو زيد كذا لكان يستحسن ، ولو قدم هذا لكان افضل ، ولو ترك هذا لكان اجمل ، وهذا من اعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر »

لقد ذكرتني رسالة « الاستاذ مختار » بموقف لزميل ناقد ، هو حضرة « الاستاذ سيد صقر » اذ طلبت اليه « مجلة الكتاب » الغراء ان يكتب لها دراسة نقدية عن نص الغفران ، فتحرج ان يفعل ، والتمس من المجلة اعفاءه من مثل ذلك ، لماذا ؟ لانه يقدرني ويقدر جهدى فى الغفران ، ومن ثم فهو يكره ان يتعرض له بالنقد !!

ولقد عجبت لموقف الزميل الفاضل ايما عجب ، فما كان النقد عندى الا مظهر تكريم للمنقود واحتفال به ، وهل ترانا نشغل بقراءة كتاب ، ثم نعنى بدرسه ونقده ، لو لم يكن فى حسابنا اهلا لذلك العناء الشامل ؟ او ليست هذه العناية وحدها ، دليلا على اننا نرتفع بالمنقود عن ذلك الصنف التافه الذى لا يستحق ان يقرأ ؟

اعلم ان النقد مر ، لكنها المرارة التى يجب ان يحتملها من لا ينسون بشريتهم ، ولا يسخرون بعقولهم وعقول الناس ، والذى يبدو لى ان اكثر المؤلفين عندنا لا يزالون يعيشون فى العهد الذى كان المؤلف فيه يرتفع الى السماء لمجرد انه اخرج كتابا مهما يكن هزيلا او مسروقا ، وكانت مهمة الناقد لا تعدو أن يصوغ عقود الثناء فى « البحترى الالمعى ، نادرة الزمان وزينة العصر والاوان » ثم يختمها بالبيت المشهور :

لهم الكواكب تدنو لى فانظمها
عقود مدح فما ارضى لكم كلمى

وعصرنا اليوم ، لا يحتمل هذا اللون من العبث التافه والاعلان الرخيص ، ولا يعترف بذلك الصنف من المؤلفين الذين يبرأون من البشرية ويريدون ان يكونوا اصناما مقدسة ، فى زمن جاد كادح ، يحملنا بالرغم منا على مر الحق ، وصعوبة الجد ، ومشقة الكفاح ، وقسوة المسئولية ، ويأبى علينا تلك النكسة التى تبرئ البشر من النقص ، وتلحقهم بركب الملائكة !

ولو مضيت اعرض هنا بعض الذى نلقى من غضب المؤلفين الذين نستجيب لرجائهم فنقرأ مؤلفاتهم ، ثم نكرمها بالدراسة والنقد ، لضاقت بها صفحات الاهرام جميعا وضقنا معها ، ولعلى افرغ قريبا لتسجيل هذا كله فى كتاب عن « معارك النقد » ويرى فيه بعض القراء ، الى اى حد صار النقد عندنا اشبه بحفرة من نار ، والى اى مدى ، تصير الخصومة فى الرأى خصومة شخصية ، تزرع العداوة والبغضاء للنقاد فى قلوب المؤلفين

وكنت احيانا اندم على جهد اضعته فى قراءة مؤلفات الذين اثار النقد غضبهم وحقدهم ، واسف على وقت قال انفقته فى قراءة من اثبتوا بهذا الغضب ، انهم ليسوا اهلا لتكريم النقد ومشقة النقاد ، لولا انها امانة صعبة يجب ان تؤدى : مهما نلقى فى سبيلها من عنت واذى بل حرب واضطهاد

ذلك ان جهودنا فى التاليف لن تثمر ، ما لم يقومها النقد ، ويلح عليها بالمؤاخذة والتهذيب ويدفعها — راضية او كارهة — الى التجويد والاتقان ، والساكت عن الحق شيطان اخرس

ولن يضار العلماء الجديرون حقا بمجد هذا اللقب ، بحكم النقاد مهما يسرف فى القسوة ، فقد اخطأ « عمر » امير المؤمنين ، واصابت امرأة اعرابية ، لاحظ لها من علم او فقه

ثم ان اى بحث علمى ، ليس الكلمة الاخيرة فى موضوعه ، فالعقل البشرى يجد دائبا فى غزو ميادين جديدة ، ويسعى دائما لاكتشاف آفاق مجهولة ، ويلح فى طلب مزيد من المعرفة

ولا اقول بعد هذا غير ما قاله « الجاحظ » فى كتابه « الحيوان » :

« وينبغى لمن كتب كتابا الا يكتبه الا على ان الناس كلهم له اعداء ، وكلهم عالم بالامر ، وكلهم متفرغ له »

لمن آثر الراحة والعافية من حضرات المؤلفين ، وكره ان تمسه يد نقد او مناقشة ، فليحبس كتابه عنا معشر القراء والنقاد ، فذلك اجدر بان يريحه من شر الحساب !

التاريخ : ٩ / ٥ / ١٩٥٣

آمنة بنت وهب

هذا سفر جديد ، تقدمه الزميلة الكريمة الدكتور (بنت الشاطىء) للمكتبة العربية من سيرة أم انجبت أعظم البشر انسانا فكان هاديا ارسله الله رحمة للعالمين لذلك هي سيرة (آمنة بنت وهب) ... لمجدت الامومة (في شخص آمنة) .. وفي شخص امهات الانبياء .. وفي شخص كل ام تنجب الابطال.

مجدت هذه الامومة في مطلع كتابها في صفحة (مناجاة) لقالت (اماه آمنة .. ؟ هو ابدا مجد الامومة الذى خلد راعيات الحياة على الدهر) وسالمت التاريخ منذ الازل) والى الابد) وقد توجك وحيدك العزيز بتاج سماوى من هذا المجد الازلى الابدى حين اعلن للانام ان الجنة تحت اقدام الامهات ...

اماه آمنة ... من مجد الامومة لك ، وبطولة الانوثة منك جئت الحدث اليوم من سيدة الامهات التى جادت على الانسانية بوليد وحيد ، حملت الملايين رايته في ارجاء الارض على مر الزمن ...

يتيم ، امتز به الاباء الصيد والاصول الامجاد ...

فقير ، حبيب باسمه الدنى وناسمت الخيرات ...

وماذا كنت تبلغين من ذلك يا اماه لو انك كنت ملكة متوجة ، او فارسة مغوارة ، او عالمة مبتكرة ، او زعيمة قائدة ، ثم لم تلدى (محمدا رسول الله) !

وتنتقل بنا المؤلفة الفضلى الى الماضى البعيد ، لنعيش معها في بطاح مكة قبل الاسلام .. ونعيش بين قبائلها بدرس حياتهم وعاداتهم وتقاليدهم ... وعلى اسس هذه الدراسة التحليلية كتبت المؤلفة كتابها .. وابرزت الحقائق معتمدة على القرآن والانجيل! لم تسلط الضوء بعد ذلك على سيرة امهات الانبياء .. فتحدثنا عن (هاجر) ام اسماعيل ، وعن ام موسى وما لاقته من الام ومحن ، وعن البتول مريم . ولنخرج من هذه الدراسات جميعا بتتويج هؤلاء الامهات بتاج الامومة .. الامومة صانعة الابطال ! ....

وقد تضمن الكتاب دراسة تاريخية قيمة لحياة العرب قبل الاسلام وبعده ، وانى لا اسجل اعجابى بهذه الدراسات القيمة ، اعد يدى من خلال هذه السطور لاصافح الزميلة الكريمة الدكتورة (بنت الشاطىء) مهنئا بتوليفها ! ....

عيسى متولى

التاريخ : ١١ / ٥ / ١٩٥٣

كتب جديدة

في المكتبة الاقتصادية

اراضينا

لجنة البيان العربي — ٢٦٠ ص . ك

بدأت اتصفح هذا الكتاب ، ولى حساب انى استطيع ان افرغ منه على عجل ، شأنه مع [illegible] على قراءة كتب « العلوم » او [illegible] ان [illegible] في صحبتها وقتا طويلا او قصيرا [illegible] امرا [illegible] قبل الفصل ، دون ان اصرف في [illegible] او اسبق [illegible] من اسر الامراض [illegible] قديمة من عهد التلمذة ، تلك هي ذكرى « احتمالي » في حصص دروس في الطبيعة والكيمياء ، [illegible] في المرحلة الثانوية التي لابد من اجتيازها للوصول الى الجامعة !

ولمحت على الافق البعيد ، غمة تبدو كابية في [illegible] الدراسية الطويلة [illegible] ! لقد رسبت مرة في « الطبيعة » وكان العجب الا ارسب ، وانا [illegible] في بيئة ريفية ازهرية ، لم [illegible] ، ولا رأت جهازا واحدا من اجهزته رأى العين !

وهانذا اليوم اقرأ كتاب « اراضينا » الذى الفه « الدكتور محمود يوسف الشواربي : استاذ الكيمياء بكلية الزراعه » وانا التي طالما تصورت اساتذة الكيمياء ، كسلالة قريبة من اولئك السحرة الذين [illegible] يلقون [illegible] معجزة موسى النبي ، [illegible] !

وكان عنوان الكتاب وحده هو الذى حمل « العقدة » في نفسي واغراني بتصفحه ، فان لكلمه « اراضينا » رنينا خاصا لا يكاد يستجيب له من نشأوا مثلى في الريف وتعلقوا بتربته الطيبة

ثم جاء اسلوب المؤلف في عرض مادته ، [illegible] الاثر الطيب المبهم الذى لا يزال اجده كلما [illegible]

[illegible]

وهذا الكتاب [illegible] اسس تطورت من [illegible] [illegible] من « تكوين الاراضي » [illegible] العلمية — [illegible] العلمية [illegible] الاراضي [illegible] — [illegible] الاراضي [illegible] الخصبة [illegible] الاراضي الزراعية [illegible] كيمياء الاراضي .

[illegible] العلمية [illegible] الاراضي [illegible] [illegible] في « الاراضي والمحاصيل » [illegible] في العالم ، [illegible] مساحة الاراضي الزراعية وادي النيل ، ومن « اراضي الواحات » .

في هذه الفصول [illegible] اراضينا ، [illegible] من الارض — [illegible] بحاجاتنا الطعام ، [illegible] بذلك [illegible] في السهول والوديان وادي [illegible] والصحارى [illegible] « الارض » !

[illegible] الحاضرة لاستغلال [illegible] المصرية والاراضي الزراعية [illegible] ، وتوزيع اراضي مصر على ابنائها ، وقانون الاصلاح الزراعي وهذه الفصول تشهد للدكتور الشواربي [illegible] [illegible] ولكن [illegible] من [illegible] الحاضرين !

بنت الشاطئ
من الاهرام

التاريخ : ١٣ / ٥ / ١٩٥٣

في حياتنا :

زواج المدرسات

للدكتورة بنت الشاطئ

لم يعد من حقي أن أقف صامتة متفرجة والكلام من حولنا كثير في موضوع زواج المدرسات وليست هذه هي المرة الأولى التي يثار فيها الموضوع ، لقد واجهته مصر منذ عهد بعيد نستطيع أن نحدده بالوقت الذي بدأت فيه البلاد تعلم البنات على نفقة الحكومة ، لا لكي تحررهن من ظلمات الجهل ، أو لتجد فيهن أمهات مستنيرات صالحات ، ولكن لكي تعدهن لوظائف معلمات في مدارس البنات التي أخذت تنتشر بعد مضي السنوات العشر الأولى من قرننا هذا العشرين

ولكن حكومة ذلك الزمن الخالي : خشيت أن تتعلم البنات ثم يخرجن من المدارس الى بيوت الزوجية ، استجابة لنداء الفطرة السليمة ولكي يؤدين دورهن الطبيعي ويقمن بعملهن الأصيل !

وأطالت الحكومة التفكير في ذلك الخطر ، حتى اهتدت الى طريقة عجيبة تنفي بها عودة المتعلمات الى البيوت ، وتضمن بها لمستقبل أبنيتها من تخريج موظفات ، وتحول قدر المستطاع دون اشتغالهن بتبعة الأمومة .

وذلك بأن تأخذ تعهدا على ولي أمر الفتاة ، أن تترهب [illegible] خمس سنوات على الأقل بعد إتمام الدراسة ، فإن تزوجت في تلك الفترة ، لم تفصل من وظيفتها فحسب ، وإنما ألزم ولي أمرها كذلك ، بدفع نفقات تعليمها ، كما تقدرها الحكومة .

أما إذا تزوجت المعلمة بعد سنوات الرهبانية الإجبارية ، فيعفى ولي أمرها من هذا العقاب المادي ، ويكتفى بفصلها من وظيفتها

وشاهد جيل الطليعة من فتياتنا المتعلمات ، مآسي بشعة نجمت من ذلك الوضع الشاذ .

والمجال الآن لا يتسع لعرض نماذج من تلك المآسي التي راح ضحيتها عدد من الشهيدات التعسات ، لقد كانت الواحدة منهن تجد أثناء السنوات الخمس ، فرصة لزواج مناسب ، فترفضه كارهة مرغمة أو تستمر في عملها ، وفي النفس حسرة مكبوتة وفي القلب تساؤل مر ، وخوف مبهم من حرمان طويل قد يمتد ليستغرق العمر كله ... ولعل هذه الهموم لديها طوال أعوام خمسة ، تكابد فيها المعلمة الشابة من الكبت والقهر والخوف والشك ، الى جانب ما تلقاه من مشاق العمل وأعباء التدريس ، ما يذوي نضرة الصبا ، ويطفئ جذوة الشباب نضرة نضرة ، حتى إذا اجتازت أعوام المحنة ، تأمت عملها ، وكل يوم يمضي يزيد في ذبولها وقلقها وخوفها ، وكل شهر ينصرم ، يطفئ شعاعا من أشعة الأمل في أن تتكرر الفرصة الضائعة ، وكل عام يفوت ، يباعد بينها وبين الحياة المستقرة المرجوة ، ويزهد فيها طالبي الزواج ، وهكذا تلقى المسكينة شبابها في عيشة قاتمة خانقة ، كادحة مغتصبة حتى تلقاها أشد فرحة بين الأولى التي تنتشلها إما راحة اليأس أو صرب الحرمان !

أجل ، وبذلك ضحت مصر بعدد غير قليل من جيل من الشهيدات ، فرضت عليهن الدولة تلك الضريبة التي يرتاع منها الضمير الإنساني وقتلت فيهن معاني الأمومة ، أو يشهدن أفول نجم الأمل وينطوين على يأس ، ووضعت أصابعها في أذنيها ، لكيلا تسمع أنين ضحاياها

***

وطال الأمد ، وتراكمت أشلاء الضحايا على ساحة الأرض الطيبة ، وملأ الأنين حتى عم سمع المجتمع ، فاستيقظ مرغما يطلب وضع حد لمأساة أولئك الراهبات !

وكانت الحكومة بحيث تمضي في تجاهلها ، وتصم أذنيها عن تلك الصيحة النبيلة المنبعثة من ضمير المجتمع ، لولا أن ألزمها التوسع في التعليم ، والزيادة المستمرة في عدد المدارس ، على ضرورة الاحتفاظ بكل المعلمات حتى اللواتي يرحمهن القدر ليتيح لهن فرصا للزواج ، ومن ثم اضطرت وزارة المعارف الى أن تبيح زواج المعلمات في غير المدارس الأولية ، ثم لم تستطع الاستغناء عن هؤلاء أيضا ، فأباحت لهن الجمع بين الوظيفة والزواج

ولم تفكر — وهي تقبل هذا الحل — في البيت أو المجتمع ، وإنما أرادت من ناحية ، أن تستريح من شكوى المعلمات ، وأن تضمن من ناحية أخرى ، وجود أكبر عدد ممكن من المدرسات ، لكي تسد حاجتها الملحة بعد أن تضاعف عدد المدارس في زيادة مطردة ، كنتيجة لتنفيذ قانون التعليم الإلزامي ، وأثر لانتشار الوعي في مصر الحديثة

وظنت الحكومة أنها استراحت بهذا الحل الارتجالي ، لكنها لم تكد تنفض يديها من المشكلة الأولى ، حتى واجهتها مشكلة أخطر وأشد تعقيدا : تلك هي أن إباحة زواج المعلمات ، كانت على حساب الأسرة التي هي الخلية الأولى للمجتمع ، لقد انتزعت منها أنانية الموظفات — ومن أكثر المتعلمات — تركوا للخدم أحرج وأخطر مرحلة من العمر ، أعني مرحلة الطفولة الأولى ، التي تتكون فيها الشخصية ، ويتقرر خلالها مستقبل الطفل جسما وعقلا وخلقا

ورزئت مصر من ذلك الوضع المنكر ، وما لها أن يترك أبناؤها الصغار — وهم أصحاب الغد وعدة المستقبل — بين أيدي الخدم ، والمشفقون من الآثار الفادحة التي تنجم من هذا ، يتساءلون :

هل علمت مصر بناتها ليخرجن من البيوت ؟

ويتركن صغارهن للخادمات !

ان دعاة النهضة النسوية ورواده الاوائل لم يطالبوا بتحرير النساء الا لكي تحصل الامة دون امهات مثقفات مستنيرات ، يحمين الرجال ويربين الجيل الذي يستطيع ان يمضي باعباء المستقبل الرجولي المصر الطامحة الراغبة فكيف انعكست الآية فاعدنا الطفولة من الامومة الامية لتلقى بها بين ايدي الخدم وهم من نعلم في مصر جهلا وسوء حال ! !

وشغل المجتمع المصري بمشهد السافرات مع مطلع كل شمس الى الدواوين وميادين العمل ، تاركات ابناءهن في المنازل ، لابد عابثة له امورها حنان الامومة وتهذيب العلم !

لماذا لم تلك الحكومة لكي تتقي الخطر ؟

لقد فتحت بضع مدارس للحضانة ، لا يتجاوز عددها اصابع يد واحدة ، لرعاية فئة محدودة من الاطفال في العواصم الكبرى من سن الثانية والنصف الى سن الخامسة ، وتجاهلت ما قبل هذه السن ، كما تجاهلت الاطفال الذين لم يسعدهم الحظ بان يولدوا في القاهرة والاسكندرية

وكان المرجو ان تزداد مدارس الحضانة عددا عاما بعد عام ، لكن وزارة المعارف ما لبثت ان خيبت الرجاء والغت مدارس الحضانة جميعا ثم رفعت سن القبول في مدارس المرحلة الاولى الى السادسة معلنة الا شأن لها بالصغار قبل هذا السن !

واليوم تثار المشكلة من جديد ، اذ تتقدم ادارة تعليم البنات بتقرير تقترح فيه ان ترجع القهقرى لتحول دون زواج المعلمات

لماذا ؟

لان المعلمة المتزوجة ذات الابناء ، غير قادرة على التفرغ لاعمال وظيفتها !

اما مسألة الصغار المهملين ، فلم تخطر للادارة على بال ، ولم تشر اليها في تقريرها بكلمة ، ولم تدخلها في حسابها في كثير او قليل!

يا سبحان الله ! الكرسي ! الوظيفة ! وحدها هي شغل الدولة الشاغل ، اما كيان الامة فلا ! !

الا يعني الدولة من امر المدرسات ، الا ان يكن موظفات ، فاذا ارتاب في المسئولون بهموم الابناء ، كان الحل امامها ان تستبدل بهن موظفات راهبات كاولئك اللواتي استشهدت بهن منذ ربع قرن !

ولا انكر ان الام الموظفة ، التي تترك صغارها كل يوم بين ايدي الخدم ، لمارس امومتها وواجباتها وهي قلقة مشغولة البال ، اذ يحرم انكارها حول الصغار الوهمين ، ويتزعزع قلبها الوهم في وحدتهم وحرمانهم .

ومن شأن هذا التمزق ، ان يؤثر على عملها بلا ريب ، ولكنا نعلم في الوقت نفسه ، ان الظروف الاقتصادية والاوضاع الاجتماعية ستضطر نساءنا الى التمسك بالعمل مرغمات وان ازمة الزواج سوف تزداد حدة اذا منعت المعلمة من العمل عندما تتزوج ، فشبابنا اليوم اضعف من ان يحملوا وحدهم عبء الاسرة في هذه الضائقة الاقتصادية ، فهل يظن المنادون بتحريم الزواج على المعلمات ، انهن سوف يؤدين اعمال الوظيفة على اكمل وجه ، وهن مرهقات بالقلق والشك والطموح والكبت والحرمان !

ما دامت « الوظيفة » هي التي تعنى اصحاب الاقتراح ، فليذكروا ان المدارس اسوأ حالا من الامهات المتعلمات البسال ، وليفكروا في انهم يستنجدون من الرمضاء بالنار !

والحديث بقية تأتي اذا شاء الله

بنت الشاطئ
من الاهرام

التاريخ : ١٨ / ٥ / ١٩٥٣

كتب جديدة

في المكتبة المصرية

١ ـ السقا مات

مكتبة الخانجي بالقاهرة

سنبلا الهجوم

مطبعة حليم بالقاهرة

قصة اليوم ، لانس من سمات الادباء .

لكن اولاهما تغلب عليها الصبغة الادبية ، وما تكاد تحس ان كاتبها من رجال الجيش او ... الميدان .

على حين تغلب الصبغة العسكرية على الثانية تبدأ وكل سطر من سطورها ، انها رواية تحدى تشهد المعارك ولا الحرب وكابد اهوالها !

وقد يعجب القارئ اذا علم ان « السقا مات » هي قصة جديدة « للاستاذ يوسف السباعي » الذي قرأنا له « بين الاطلال » منذ اشهر معدودات

لكني لم اعجب ، واركت انفتح على الادب من مرحة الكتابة وخشيت ان تسرب التجربة من قصة اثرا لهذه السرعة ... والتأليف والنشر

فلما قرأت القصة ، لم الح عليها بادرة تسرب او اثرا من ذلك !

وهي مع ذلك قصة طويلة ، بلا ... تقع اكثر من ... صفحة دون ان يغشاه الفتور على ان القصة لتزداد قوة كلما اوغلت في مسار الاحداث حتى اذا قاربت نهايتها كانت قد بلغت اقصى ما يستطيعه الكاتب من حماس واستثارة ، حين كان الظن ان تبرز فيه السرعة والصناعة ، بحيث يبدأ القصة قويا متحمسا ولهب نفس ، ثم يفتر شيئا فشيئا حتى يلقى ثمة اخر الامر مجهدا جامدا لا حياة فيه

وليست هذه هي المرة الاولى التي يغيب لبها « الاستاذ السباعي » مثل ذلك الظن ، ليهزنا بالتمني في قراءة القصة على طولها ، ويأبى على شر الملذات ان نتبرمنا منها حتى نفرغ من قراءتها !

والقصة تنبع من صميم البيئة المصرية ، وتتدفق فيها مشاعر هذا الشعب وهمومه ومتاعبه ومسراته وافراحه ، في بساطة مطلقة واطلاق لا مرح فيه ولا التواء . وليس من العسير ان تلخص القصة للقارئ في اسطر ، قائل انها تعرض مشاهد متتابعة لحياة صبي صغير ، نشأ في حي شعبي فقير بعد الام ، يكفله ابوه « السقا » وترعاه جدة شريرة .

حياة اعوزتها كل وسائل العيش السعيد المريح ، لكنها ابعد ما تكون من الجدب العاطفي والحرمان من المتع النفسية واللذات الروحية وقد راح ابي السقا يرشف مسرات حياة نامعا بحنان حدته ورعاية ابيه الرجل في العطف الكبير والوجدان الحي .

حتى مات الاب . .

ورجع صبية الحي وهم يذكرون في ندم مرير ما كانوا يعابثون به رفيقهم في معارك الحداثة ، ليهمسون من ورائه كلما ارادوا ان يغيظوه :

« ابوك السقا مات » !

فلما مات السقا فعلا ، بدأ الحزن يمزق قلوب الصغار عطفا على رفيقهم اليتيم .

وحل الفتى الصغير محل ابيه ، وحمل من بعده عبء الحياة في شجاعة ، وربما لذكرى الذين رحلوا .

ولكن . . هل لكل هذه الكلمات القصار لتعطي القارئ فكرة عن قصة كتلك ، تنبض بالحياة !

لقد استطاع الكاتب ان ينقلنا ببراعة الى دنيا قريبة من مواطننا فاذا نحن هناك نتجول في عالم الفقر الخشن ، ونشهدهم وهم يمارسون عيشهم الكادح في صبر جميل ، ونكاد نسمع خفقات قلوبهم الكبيرة وننقل رسومهم الصالحة التي لم يرهقها تعقد ولا افسدها ترف .

هنالك لا يملك القارئ وهو يمضي الى جوار القصة ويتجول في الدروب والحارات الا ان يتساءل :

ترى هل نشأ الكاتب في حي كهذا ، ومارس

التاريخ : ١٨ / ٥ / ١٩٥٣

مهشمة امنه ، وبلا همومهم واشواقهم وتكلم حينا بلغتهم ! !

ان براعة الحوار في لهجته العامية الاصلية مع دقة الوصف وعمق التحليل ، تكاد تجزم بأن « الاستاذ السباعي » أمضى صباه في حي الحسينية ثم نقلته الايام الى « مصر الجديدة » لكنه مازال يعي ذكريات الحداثة ، ويلين لايامها الخوالي ويجد متعة في الانطلاق على اجنحة سحرية الى ملاعب صباه

والا فمن اين له هذا العلم الدقيق بحياة قوم نبلناهم في الاحياء الشعبية حتى صاروا اقرباء منا وهم منا والينا !

من اين له هذه القدرة على النطق بلسانهم الذي يترفع عنه اكثر المتعلمين ويضنون به الهوان والابتذال ؟ !

لكن في القصة لفتات ، تدع للشك في هذا سبيلا الى القارىء ، فلقد افلتت من الكاتب هنا وهناك ، الفاظ لايمكن ان تكون من قاموس « حي الحسينية ودرب السماكين » ، كما افلتت منه في مطلع القصة ، عبارات ليست من نتاج بيئتنا المحلية الخالصة كالسؤدد ، والاطلال البالية ، والدمن العافية !!

ثم .. لماذا عدل الكاتب من اللغة العربية الى اللغة الفصحى في الفصول الاخيرة من « الكتاب ؟ لو انه قد صاغ حديثه بالعربية منذ البداية لاتسق اوله مع آخره لكنه ترك القوم يتحدثون بلغتهم في بساطة ثم فاجأنا في الفصل الحادى عشر « بالسقا » وهو يصف لولده « سيد » كيف ماتت امه بلغة فصحى عالية ، واسلوب فلسفي دقيق ، ويستغرق هذا الحديث عشرين صفحة (٦٩ : ٨٨) يحلق فيها « السقا » .

[illegible]

تلك الام والاب .. [illegible] .. لا اذكر الموت ابدا [illegible]

[illegible]

وعل من لايسمع ..

واخرى ، هي ان الكاتب حدثنا على [illegible] من نشأة ابن السقا [illegible] من امور [illegible] الا [illegible] ثم .. اذا به في الصفحة الاخيرة يطوى الاعوام طيا ، ويثب بالصبي الى الرجولة [illegible] ووقف بنا عند موت السقا ، [illegible] من هذه الاسطر التي جعلت الغلام زوجا وابا ، حتى لايثب بنا تلك الوثبة الهائلة في اواخر قصته ، وهو الذي عودنا ان نسير على [illegible] الى [illegible] من خلجات هذه النفس [illegible]

حفاظا على درب الشهداء .

او من يدرى ؟ لعل الاسعد [illegible] هذا الجبل الذى مر به [illegible] ليعود اليه [illegible] يتطلعوا الى [illegible] الاصيل !

اما قصة « ستبدأ الهجوم » فترقى بنا راويها ، البوزباشى محمد عبد الله ، الى جنوب الوادى ، حيث شهد [illegible] المعركة الرهيبة التى [illegible] استشهدوا في [illegible] من اجل مصر والسودان !

هناك .. حيث [illegible] بين ابناء الوطن الواحد ، [illegible] الصراع بين الاحرار [illegible] البلاد [illegible] الشهداء !

وقد اختار الضابط الاديب [illegible] الابطال ، ليقدم لنا منه النموذج الاصيل لشباب الوادي ، ويعرض علينا صورة رائعة [illegible] للجندي المصرى في [illegible] الروح ، والاستشهاد [illegible] !

ولكن .. اهى قصة معركة [illegible] ؟

كلا ... بل هى قصة [illegible] ربطت مابين الشمال والجنوب [illegible] الابد ، ومزجت دماء ابنائها [illegible] تفترق ...

وهى قصة [illegible] في الارض [illegible] بذور العداوة والشقاق ، وتحاول ان تضرب بين شطرى الوادى [illegible] المسمومة والكيد ..

ونكاد نقتنع ، لولا [illegible] الذى عرف [illegible] يمسك به [illegible] ..

حتى احرقته النار [illegible] ، واستشهد في اصيل يوم الثلاثاء ، ٧ من ابريل عام ١٨٩٧ ..

وبقى قبره هناك في [illegible] ، رمزا للتضحية والفداء ، وشاهدا على الوحدة المقدسة ...

وبقى صدى خالد من [illegible] على الرمال الذهبية ، حيث [illegible] في معركة الفداء والموت ، والخلود ...

كما بقى [illegible] البوزباشى محمد جاد ، ليسجل هذا الذى كان ، في اسلوب لايستطيعه الا جندى اديب ، ينبض قلبه حبا للوادى ، وايمانا بحقه في الوجود الكريم ، ونقمة على العدو المشترك الذى جاء من جزيرته في اقصى الشمال ، ليعزل الشطرين ، ويمزق مابين الاخوين ...

وسلام على الشهداء !

بنت الشاطىء
(من الاهرام)

التاريخ : ٢٣ / ٥ / ١٩٥٣

في حياتنا :

رسالة الجامعية

للدكتورة بنت الشاطئ

شهدت منذ ايام ندوة حافلة ، دعا اليها « اتحاد الخريجين » للبحث في مدى ما تدين به مصر للتعليم الجامعي من وعي واستنارة ، فكان اعجب ما لفت السامعين من امر هذه الندوة ، ان المتحدثين — وكلهم من صفوة الجامعيين — قد انقسموا بين ذاكر للجامعية فضلها في حماية المثل ، وبث الكرامة ، وصنع الرجال ، وآخر يتحدث عن مظاهر المرض والعقم في الجامعة ، ويروي مآسي فادحة امتحنت فيها الجامعية اقسى امتحان

وموضع العجب هنا ، ان هؤلاء وهؤلاء جامعيون اصلاء ، ليس فيهم من لا يحمل للجامعة اصدق الحب واخلص الاعزاز ، وما اولئك منهم ...

كانوا بالجامعية او جاحدا لرسالتها او ضنينا عليها باي عزيز وغال !

فقيم خلافهم ؟ .

لقد بدا للمستمعين ان الفريقين ، كليهما ، على حق ، فما من شك في ان الجامعية كانت المنار الذي شع اشعة الوعي لمدلهم الظلمات ، والمعقل الذي بناه قادة الفكر لكي يحمزوا العروبة ويدافعوا عن مقومات الحياة العزيزة والوجود الكريم ولكن ما من ريب ، ايضا ، في ان اعداء الوطن قد تسللوا الى ذلك المعقل ، وبذروا فيه تحت جنح الظلام الاستعماري بذورا خبيثة فتكت باكثر العناصر الصالحة ، وانبتت شجرة شيطانية ذات ظلال ربداء ، تحجب النور المرتقب ...

ولتشابه الامر على كثيرين ممن استمعوا الى حديث هذا الفريق وذاك ، لما يدرون كيف يجتمع الشر والخير في مكان ، ولا كيف يمكن ان تناط اخطر الرسالات وامر الامانات ، بكيان متصدع هكذا مريض !

اما نحن الذين افنينا العمر في الجامعة ، وبذلنا لها ما بذلنا من ولاء وحبنا لها من تضحيات ، فما انكرنا شيئا مما نسمع ، ولا خامرنا منه ريب او استياء

ذلك لاننا نفرق بين الجامعية والجامعة !

والجامعية هي التي كانت ، ولا تزال ، وستظل ابدا ، مناط الرجاء وموضع العزة ومبعث النور ...

والجامعة هي الكيان المادي الذي اريد به ان يكون ملاذ الجامعية ومستقرها الامين ، لولا ان عدت عليه العوادي ودب اليه الخلل والمرض ، فامسى خطرا على الجامعية السليمة ...

وربما استغرب ناس ان نفرق بين الجامعة والجامعية ، مع ان الامر واضح اوضح ما تكون الغرابة فيه :

الجامعة هي البناء الضخم ، ذو القبة الشامخة ، والساعة التي تذاع دقاتها على موجات الاثير ..

وهي الموظفون في سلمهم ذي الدرجات العديدة التي تفصل ما بين الذروة والقاع ..

وهي الاروقة الانيقة ، والصور اللامعة يكاد يريدوا يخطف الابصار

وهي فلان وفلان ، من ذوي الطول والحول وحملة الالقاب الرنانة التي تقرع الاسماع

اما الجامعية ..

اما الجامعية ففكرة ، ومشهد ، وامل ، ومثل وروح

فكرة لمنشئها الرواد البناة ، يوم اتجهوا الى محاربة الاستعمار بهذا السلاح البتار ..

ومشهد آمن بها الشعب وهو يتململ في القيود والاغلال والاستبداد .

وامل لاح سناه على الافق الكابي فتعلقت به القلوب ورنت اليه الابصار ..

ومثل رفيع صاغته العروبة من امجاد ماضيها وجهاد حاضرها واماني مستقبلها ، واودعته كل ما لشخصيتها من عبقرية عصيت على احداث الدهر والاعيب الزمان ..

وروح ترف فيها وهي تستمد اصيل حس وطموح بلد عريق لم يتوار لحظة عن مسرح التاريخ ، رغم ما ابتلي به من فادح الكوارث وشديد المحن ..

هذه هي الجامعية كما بشر بها دعاتها ، والتزم انصارهم ساهرين على حراستها فلم يتسرب اليها وهن ، ولا وجد الفساد سبيلا اليها ، حين مرضت « الجامعة » ومالت لها جراثيم الشر

ومن هنا سقط الذين ظنوا ان مصر تدين للجامعية بمنشئها العامرة او بربيها الطامح ، وسعيها الدائب في تحصيل فيه الفضل .

ولم يكذب الذين قالوا ان « الجامعة » مريضة موبوءة ، تهب منها ريح خبيثة تسمم الهواء الذي يتنفسه آمر ابناء الامة ، وتعصف بالبنيان الذي اقامته الدولة من عرق الكادحين ، وتدفع له كل عام مئات الالوف من جنيهات هي في الحقيقة خبز الجياع ..

ولم يحدث مرة ، ان شكا الشعب الامين من مطالب الجامعة ، او تضجر لحظة من كفاحه المرير في سبيلها ، لانه — على امتنه —

بنت الشاطئ

يؤمن بالجامعة أصدق الإيمان ، حريص أشد الحرص على أن يتيح لأبنائه نعمة الكرامة وعزة العلم .

ولا أصف هنا ، مدى ما يتكلفه الأب الفلاح الفقير ، أو العامل الهزيل لكي يعلم ولده في الجامعة ، يحسبي أن أقول أن من بين طلابها ألوفا ذات عدد ، من أبناء صغار الزراع والعمال والمراكبية ، والسماكين

وأشعر بالحزن يملأ قلبي ، حين أذكر أنه لمست الجامعة بتلك الأمانة الصعبة ، حين تسمم الجو الذي يعيش فيه أبناء المجاهدين ، لتعلمهم — فيما تعلمهم — بطولة التضحية ، ومهارة الوصولية ، وأساليب الاتجار بالكرامة ، وللتهكم السخرية بالمثل العليا والتندر بالقيم الرفيعة ، والتنكر للمبادئ الكريمة

***

لكنه ، كما قلت من قبل ، ليس مرض الموت كلا ، ولا هو الظلام الأبدي والليل الدائم الذي يتطاول حتى نقول إنه ليس بعده

فالذي كان للجامعة دائما رسلها الأمناء في تلك البيئة الموبوءة ، يأخذون الطلاب إلى الأفق العالي ، ويلهدون لهم المثل ، ويبشرون في مصر بالفجر الجديد ، ويحملون في الحاح من الأجيال الآتية

وليس يضيرنا أنهم قلائل بين كثرة المتهمين الذين الحرمات ، وتتجر بالعلم ، ويختل الميزان في يدها إلى حد دفع عددا من زملائنا إلى الانتحار

أجل ، ليس يضيرنا أن الرسل الكرام قلة ، لأن يدا واحدة — كما يقول أستاذنا الجليل ، معلم الجيل أحمد لطفي السيد ، مد الله في عمره — تكفي لحمل الشعلة !

ولم تفتقد أبدا ، في أسوأ العهود ، تلك اليد القوية الأمينة النظيفة التي تحمل الأمانة وتضيء الشعلة ، وترفع اللواء !

بنت الشاطئ

من الأهرام

التاريخ : ٢٥ / ٥ / ١٩٥٣

كتب جديدة

في التاريخ الاسلامي

النظريات السياسية الاسلامية

لجنة البيان العربي — ٢٧٦ ص ق

كتب [illegible] هذا البحث اعوام في المجلة [illegible] وحدث صاحبه الاستاذ محمد ضياء الدين الريس « اسرارا » [illegible] في التاريخ الاسلامي ، وظهورا واضحا بالصفة التي [illegible] كاستاذ مساعد لهذا التاريخ في « دار العلوم » .

واحق اني لا اعرف فيما قرات حديثا من مؤلفات المشتغلين بهذه المادة ، بحثا كهذا ، امتزج فيه النظر الفلسفي بالتحقيق التاريخي دون تكلف او تعثر او اضطراب ، واذا كانت الدراسات الجامعية تنتهي سلامة منهجها ومدى جدواها في النشر وافادتها اياه فائدة محققة ، فان كتاب « الاستاذ الريس » جدير بان ياخذ مكانه بين هذه الدراسات ، دون ان يجحد ناقد منصف ، ما فيه من نضوج واصالة .

ولقد اختلف مع حضرته في تحديد مدلول « الجدة » حين يصف عمله بانه « رسم معالم محددة لعلم ينبغي ان يصير جديدا ، يضاف من اليوم الى ثروة الثقافة الاسلامية » — ص ٨ — فلست ارى في الحديث عن نشاة النظريات الاسلامية وتطورها ، مادة جديدة لا عهد لنا بها من قبل ، وان في تراثنا القديم امتدادا من الاقوال والابحاث في « الامامة ، والخلافة ، ونظم الحكم ، والولايات ، والامة والحاكم » كما نجد بين ايدينا كتاب « الاستاذ الجليل علي عبد الرازق » عن الاسلام واصول الحكم لكن الجديد في بحث « الاستاذ الريس » هو هذا التناول الفلسفي لجانب دقيق من جوانب التاريخ الاسلامي او هو تاريخ الاحداث الكبرى فيه باسلوب علمي جديد وليس الذي يعنيني من الكتاب انه جمع ما قيل في هذا كله ونسقه ثم اخرجه لنا في طبعة متقنة فذلك مما برع فيه تجار التاليف ومرتزقة العلم ، وانما الذي يعنيني هنا ، هو ما يحمل البحث من اثر الجهد الباذل الذي لا يقف عند جمع ما تناثر من اقوال الاقدمين ، وانما يبدا بعد هذا الجمع ، مرحلة شاقة من النظر الدقيق والنقد الرشيد ، تتلوها مرحلة ابهى ، هي اتساق الفكرة وسلامة المادة في طمانينة توحي بالثقة وتبعث على الاحترام .

كذلك اقدر في البحث ، امانة الدارس فليس بين مراجعه — على كثرتها — مرجع واحد يعجز مثله من الوصول اليه ، حيث التقى حضرته بالرجوع الى ما كتب في الموضوع باللغتين العربية والانجليزية اللتين يتقنهما . على حين نرى كثيرين يتزيدون — في جراة منكرة — بادعاء الاتصال بمراجع من كل اللغات مع انهم قلما يعرفون احداها معرفة تمكنهم من قراءة عناوين الكتب .

[illegible]

واجد في الكتاب بعد هذا ، بعض اخطاء لغوية كان « الاستاذ الريس » اهلا لان يتداركها ، كما اجد في مقدمته اسرافا في المقارنة بين الشرق والغرب ، باسلوب يعوزه شيء من ضبط التعبير واتزان الراي ، كقول حضرته : « ان الدولة الحديثة — في الغرب كانت اشباها الى حد قريب او بعيد ، من الدول التي كانت موجودة في بلاد الشرق الاسلامي » صفحة ( )

ولست ادري كيف يستوي عنده القريب والبعيد ، في قضية كهذه ذات خطر ؟ !

وكقوله « ان النهضة القانونية التي حدثت في اوربا وادت الى تكوين تلك الدولة — يعني الدولة الحديثة — كانت صدى لانشاء الدراسات القانونية في الممالك الاسلامية ... فنشات الجامعات في ايطاليا وفرنسا متاثرة بهذه الروح عاملة على تقليد المنهج وفي النمط الذي شهدته في الشرق . فاذا كان هذا هو اثر المجتمع الاسلامي في ميدان السياسة العملية ، وذلك هو انتاج الفكر في مختلف نواحي العلوم فلا يتوقع الا ان يكون ايضا مثل هذا الانتاج في افق السياسة النظرية » . صفحة ٥

ولا اريد ان اناقش الاستاذ الفاضل في قوله هذا ، وانما اريد ان اؤكد لحضرته ان العلماء في عصرنا لم يعودوا يحفلون بمثل ذلك الصنف من المقارنات القائمة على نظرية « التاثر والاخذ » التي شاعت في القرن الماضي وفتنت كثيرين . كما لم يعودوا يستريحون الى اطلاق احكام كهذه تؤثر جنسا بذاته او اقليما بعينه او زمنا بمفرده ، بالعبقرية والنبوغ او تتهم ما عداها من اجناس البشرية واقاليم الدنيا واجيال الناس ، بالعقم والجدب .

وانما هم مطمئنون الى ان ما يستمتع به عالم اليوم من حضارة او رقي اجتماعي او نضوج سياسي ليس الا ثمرة كفاح « النوع الانساني » منذ عهد النشاة الى يومنا هذا ، ومشاركة الشرق والغرب ، كلاهما ، في هذا الجهد الطويل . واصابة النوع [illegible] في حيرته وجهوده وتجاربه .

[illegible] تتضح بلا شك في بحث لهذا الاصل ، قل ان نظفر بمثله في المكتبة الحديثة للتاريخ الاسلامي .

[illegible]

حول النقد :

امنه : ام الرسول

تلقيت من حضرة صاحب الفضيلة « الشيخ سيد علي الطوبجي » من العلماء باسيوط ثلاث رسائل نقدية

اولاها : عن كتابي « امنة ام الرسول » وهذه هي ، انشرها بنصها تقديرا لفضيلة الناقد الكريم ، واعترافا بما يجود علي من تشجيع في سمو ونبل .

« بعد التحية

« قرات كتابك (ام الرسول) صلى الله عليه وسلم ، فاعجبت بسلامة مادته وطيب [illegible] [illegible] مع [illegible] في احط [illegible]

« والاسلوب ، وان كان نثرا الا انه في مستوى الشعر ، لما فيه من الخيال الرائع ودقة التصوير لاصوات الاشياء ، فيراعك مطواع ما كان جامدا ، فرده سهلا زاخرا بالحيوية ،

« بيد ان في الكتاب شيئا احب ان الفت اليه النظر :

« كتبت في صفحة ٦٦ خبرا عن هاتفة في امر الصفا والمروة (كذا) وكتب التفسير كالقرطبي وغيره تقول ان هذا زعم اهل الكتاب

« وكتبت قبل هذا في صفحة ٦٥ ان جرهما خئولة اسماعيل ، فيفهم من ذلك ان هاجر مصرية ؟ لو قلت ان جرهما خئولة ابناء اسماعيل لكان صوابا .

التاريخ : ٢٥ / ٥ / ١٩٥٣

« ولولا علمي بحبك الى التحقيق لاحجمت عن ابراد هذا النقد ، ولاضربت عن الثناء على ذلك المجهود .. »

واني لاتقبل النقد شاكرة لصاحبه الاستاذ جميل عنايته بقراءة كتابي والتعليق عليه .

وردي على المسألة الاولى ، اني عنيت بحكاية الصحابي في سياق الحديث عما تعنيه حرمة مكة عند القوم ، والتزام الصحابة بها ، من زعم اهل الكتاب ، لا يسع مدعي من ... الا ... من تلك الحرمة

. واما المسألة الثانية ، فواضح ان استخلاص عن بني اسماعيل ، وانما ذاك سهو قلم ، لعل فضيلة الشيخ يغفره لي ، اذا ذكرته بان ذمة سهوا حين نقل بعضه اسطر من الكتاب ، فنسب الى ابي ثلث عن « الصفا والمروة » كذا وكذا ، مع ان الذي في صفحة ٦٦ اساف ونائلة !
وجل من لا يسهو

والرسالة الثانية ، خاصة بعمرة عن مقال لحضرة استاذنا الكبير « الدكتور طه حسين » وقد عرضتها على حضرته فاصغى اليها اصغاء العالم الكريم الذي يقدر حرمة النقد ويحترم الناقد ، ثم اجاب حفظه الله :

« ان كان في الامر خطأ فيجب ان يحمل على « ابن سعد » في « الطبقات » ـ صفحة ٢١١ الجزء الثالث من القسم الاول في تاريخ عمر ابن الخطاب ـ رواه ابن سعد عن اسحق بن يوسف الازرق عن مقاتل بن عثمان البصري عن انس بن مالك »

والرسالة الثالثة ، تحمل ردا لفضيلته على مقال عن مناهج البحث عند المسلمين ، نشر بمجلة الازهر ، واني لارجو ان يعفيني فضيلته من التعرض لها هنا ، فمجلة الازهر اولى بمثل هذا

ولفضيلة الشيخ ، خالص الاحترام .

بنت الشاطىء
من الامناء

التاريخ : ١ / ٦ / ١٩٥٣

كتب جديدة

في المكتبة اللغوية

١ـ اساس البلاغة : للزمخشري
٢ ـ سيبويه : امام النحاة

طالعت في الموسم الادبي هذا العام اوشك على الانتهاء ، فاذا بي القى منذ ايام ، طبعة جديدة من « اساس البلاغة » للزمخشري ، يفتتح بها حضرة « الاستاذ محمد نديم : المدير الفني لمطبعة دار الكتب ، مشروعا جليلا لاحياء المعاجم العربية ، باخراجها على طريقة « الفوتو اوفست » التي تعد احدث ما عرفناه من الطباعة المصرية التصويرية

وليس « اساس البلاغة » بمجهول لدى دارسي العربية ، ولا صاحبه « جار الله محمود ابن عمر الزمخشري » بالذي تجحد مكانته بين ائمة اللغويين والبلاغيين والمفسرين ، فان مكتبتنا لتعتز باساس البلاغة وترى فيه صنفا ممتازا من المعاجم ، يفرده عن سواه انه لايقتصر المادة اللغوية ذلك التقسيم المعجمي الذي لايعدو ان يتتبع دوران الفاظها على السنة البلغاء والفصحاء ، وادراك ما بين الكلمات المتقاربة من فروق دقيقة هي في الواقع مما تحرص عليه العربية وتراه من اسرارها في التعبير

والزمخشري قد توفي في القرن السادس ، فلم يدرك المدرسة الادبية في البلاغة ابان ازدهارها ، لكنه استطاع ان يحفظ عليها ـ في ذلك العصر المتاخر ـ شيئا من حيويتها الفنية ، تاركا به الى حد ما ، بعض ما كان يلح عليها به « علماء البلاغة » من حدود وضوابط فلسفية تجعل من الدرس البلاغي عملية عقلية آلية تضبطها مقاييس جامدة محددة بعد ان كان يقوم على التذوق ، واستقراء الاساليب البيانية العالية والشواهد الاصيلة الحرة

وهذا « الاساس » بين معاجمنا اللغوية ، يمتاز اللفظ بايراد استعمالاته عند الفصحاء ويستكثر من نوابغ الكلم البادية الى النطق الحر الذي لاتشوبه شائبة من عجمة ،

ومن هنا احتفلت به المدرسة الحديثة لفن القول ورأت فيه عنصرين افتقدناهما في غيره : اولهما هو اثر الاستعمال في حياة الكلمة وتطور دلالتها حتى القرن السادس بما يهيء لنا اهم النصوص الادبية حتى عصر الزمخشري

والعنصر الثاني : هو شيء من ايحاء الكلمة ووقعها على نفس سامعها وهذا مالاتتيحه لنا الدلالة المعجمية المجردة التي تقدمها لنا المعاجم عادة حين تسرد المعاني سردا غير لافت الى الدلالة الادبية التي تحمل عنصر التاثير النفسي للكلمة الذي هو معيار لتقديرها الادبي ، ووسيلة لتقويم النغم الفني .

وذلك هو ماجعل معجما كاساس البلاغة ، صالحا للبقاء في يومنا هذا وفي غد بعده ..

على اني ماجئت اقدم « الاساس » او اعرف بصاحبه ، فما اولهما بنكرة ولا ثانيهما بالمغمور وانما جئت احيي الجهد الكريم الذي بذله حضرة « الاستاذ محمد نديم » حين يسر لنا هذا المعجم الحي في صورة لاعهد لنا بمثلها من قبل متمثلا في ذلك بخبرته في فن الطباعة ، وتجاربه الطويلة فيها ، فجاءت الطبعة الجديدة تحمل من مظاهر الاتقان واناقة الاخراج وسهولة التناول مانرجو ان يتاح مثله لمعاجمنا اللغوية الاخرى ، وما اجدره من عمل يتوج به « الاستاذ نديم » جهاده في خدمة الكتاب العربي ! وما انبله من حب يتصدى لحمله في الوقت الذي تطيب فيه الراحة لمثله ، بعد ان ادى واجبه في الحياة العملية على قدر ما استطاع !

وانزع « اساس البلاغة » جانبا فالقى كتابا ابها من « سيبويه : امام النحاة » الفه حضرة « الاستاذ على النجدي ناصف : الاستاذ المساعد بدار العلوم ، وقدم فيه ترجمة جامعة وافية لامام النحاة ، وعرضا دارسا ... للكتابه النحوي

واذا كان للكاتب الاستاذ ناصف مكانه بين كتب التراجم ، فان حديثه عن كتاب سيبويه في النحو ـ وقد استغرق اكثر من نصف المجلد ـ يفسح له مكانا في المكتبة اللغوية

وقد مهد حضرة الاستاذ لكتابه بمقدمة الم فيها على عجل باحوال النحو وتاريخه ، والشكرى ...

[illegible]

التاريخ : ١ / ٦ / ١٩٥٣

منه ، ثم اثار النحو في البصرة على الائمة ! يحدث في اولها من عصر « سيبويه » في نواحيه السياسية والاجتماعية والعلمية ، على قدر ما يقتضيه المقام ويتسع له الكتاب ، واورد الباب الثاني الحديث عن حياة سيبويه والاحداث التي عرضت له والمؤثرات التي تركت في نواحيه اما الباب الثالث فاستأثر بالحديث عن « الكتاب » مع فهرست ابجدي له واخر دقيق فالسماع للائمة العرب بدقة الشواهد التي جاءت في الكتاب من القرآن الكريم ومن الشعر ومن الرجز على التوالي ، وقد وضع امام كل شاهد رقم الجزء والصفحة ليسهل الدراسة في موضعه من « الكتاب »

وكتاب الاستاذ ناصف ، يحمل من آثار الدرس المتمهل والاطلاع الواسع والاتصال بامهات المصادر في تراثنا اللغوي القديم ، ما يجعل منه عملا علميا جديرا بالتقدير والاحترام ، ولا يحتاج القارىء الى ان يقلب من ابواب الكتاب الاثار الدالة على تمرس مادة المؤلف وقوة معرفته بصاحبه الذي يترجم له وصدق اهتمامه بدراسة العصر الذي ظهر فيه ولكم وددت لو ان معرفته قد الزم ابوثلة سيبويه المكانية بابا خاصا كهذا الذي افرده للحديث عن عصره !

وما انكر ان الاستاذ الفاضل قد الم بشيء من هذا حين تكلم عن موطن سيبويه ورحلته الى البصرة ، وسفره الى بغداد وغيرها ، لكنه الالمام العابر يأتي في ثنايا الحديث عن حياة الرجل ، ، ونؤثر له ان يجيء مفردا مستقلا ، على النحو المرجو من مثل الاستاذ ناصف

وكلمة اخرى اريد ان اعقب بها على قول الاستاذ الفاضل في مفتتح كتابه : اننا اذ نعنى بدراسة اعلام الاسلام والترجمة لهم ، « تكاد عنايتنا تكون مقصورة او كالمقصورة على الاعلام من عظماء التاريخ وبناة الدول وامراء البيان ، اما الاعلام من العلماء ، ولا سيما اللغويون ، فليس لهم هناك الا قليلا »

وذلك حق بالنسبة الى محاولات المرتزقة في سوق التأليف وبضاعة التجار ، اما في ميدان الدرس الجامعي فمن الانصاف ان نذكر عناية غير قليلة من صفوة الدارسين ، بالاعلام من العلماء ولا سيما اللغويين

ولست اذكر هنا ما كتبه المستشرقون عن النحو العربي ورجاله ، ولا ما اشتغل به اساتذتنا في الجامعة وشيوخنا في الازهر من كلام طويل في تاريخ النحو والنحاة ، كما لا احصى هنا اعمال زملاء لي افاضل ، وقفوا دراستهم العليا على بحوث علمية قيمة في المدارس النحوية واعلامها ، وانما حسبي ان اذكر الاستاذ ناصف بتلك الرسالة الجامعية التي اعدها صديقه « الدكتور مصطفى ناصف » عن « الزمخشري النابغ » ونال بها درجته العالية بعد ان نوقشت الرسالة علنا في العام الماضي ، بمدرج جامعة ابراهيم على بعد خطوات من دار العلوم

كما اذكر حضرته بالبحث الطيب الذي اعده زميله « الاستاذ احمد احمد بدوى : المدرس بدار العلوم » عن « سيبويه : حياته وكتابه » وقد نشرته صحيفة الدار في شهر يناير عام ١٩٤٨ ، ثم طبعته في نسخة مستقلة

ولكتاب « الاستاذ ناصف » ـ بلا ريب ـ طابعه الخاص واسلوبه المميز ، لكنه جدير لان ينظر في جهود الدارسين المحدثين ، كما ينبغي بذلك التعاون العلمي الذي يقيم بناء متكاملا من اعمال المعاصرين او اللاحقين بعد السابقين ، ويعترف بكل خطوة خطاها الطريق هذا الميدان ، ليبدأ الدارس من حيث انتهى الذين سبقوه

الذى حصد رجالهم حصدا ، وكانوا اصابوا المجاعة التي احدثت الحرب ، واستقبلوا بنوب (؟) تاليفهم من جديد ، دون ان يصرفهم عن البناء خوف من غد قد يأتي بحرب ثالثة ، تدمر كل الذي يقيمون ...

وادركت كذلك انه كلما كان نصيب الانسان من شقاء الدنيا افدح ، كان احوج الى جرعة كهذه من المتعة والسرور ، تخفف مرارة الكأس ، وتعين على حمل العبء !

فهل لقومي ان يستقبلوا العيد بقلوب متفتحة راجية ، ونفوس مؤمنة بحقها في الحياة ، مصرة على ان تنال نصيبها من الدنيا ، قبل ان يرهقها الشحي ، وتطحنها الرحى ، وينال منها الاعياء والكلال !؟

وهل لنا ان نغني مع « الخيام » : « غد بظهر الغيب ، واليوم لي »؟ ارجو ، وامل !

بنت الشاطىء

من الامناء

التاريخ : ٢ / ٦ / ١٩٥٣

كتاب جديد

الفتنة الكبرى (٢)

علي وبنوه

دار المعارف : ١٨٧ ص ق

أردت أن أمسك الآن عن قراءة هذا السفر الثاني من كتاب (الفتنة الكبرى) كما أمسكت [illegible] القراءة الدارسة الفاحصة ، بعد أن [illegible] الإمتحان [illegible] ومشاغله ، [illegible] الواحد الكتاب من يدي ، حتى [illegible] أستمع إلى حديث أستاذي الأكبر ، الدكتور طه حسين ، في [illegible] ، وقد [illegible] من [illegible] ، ولن [illegible] أستمع [illegible] هذا [illegible] ، [illegible] العذب ورنينه العميق وأداء الأثر ، يردني إلى الأيام [illegible] التي [illegible] في [illegible] الآداب ، [illegible] عليها العوادي ...

حتى إذا أتم أستاذي العميد حديثه عن (الفتنة الكبرى) ، لبثت لحظة أستثبت ذكرى الجامعة في عهدها الزاهر ، وأستعيد أيامها الغوالي يوم كانت أبهاؤها تزدان بأساتذة لنا كرام ، بعثرتهم يد الزمن وأمست الجامعة بعدهم قفراً خلاء ...

ثم [illegible] الكتاب بين يدي ، وفي سمعي سؤال ملح ، ردده غير واحد من زملائي الذين يعز عليهم ما تعاني الجامعة اليوم من أذى :

« ما هذا الحديث عن الفتنة الكبرى في الوقت الذي رجونا فيه أن يحدثنا أستاذنا العميد عما مر بنا من المحنة الكبرى في حياتنا العلمية ؟ »

وكنت بحيث أنكر ، متألمة ، على أستاذنا حديثه هذا عن فتنة الأمس البعيد ، لو لم أقرأ الكتاب فآخذ فيه ما يردني عن الإنكار

ذلك أن شبابنا ، أزهد الناس في قراءة تاريخنا ، وإذا استثنينا هذا العدد القليل الذي يدرس التاريخ عن رضى أو كره ، فالشباب من المثقفين ، قد انقطع ما بينهم وبين تاريخ قومهم ، فما يعرفون منه سوى ما يعرضه الأجانب الغرباء . والأمر قد يبدو لبعض البسطاء غير ذي خطر ، لكن الحريصين على خير هذا البلد ، يكرهون أن تنقطع بيننا وبين ماضينا الأسباب ، وأن [illegible] ثقافتنا بترا يفصلها عن جذورها ويحرمها مقومات النمو وعناصر الحيوية ، والمسألة ربما تهون إلا في هذا التاريخ الذي شاءت له الظروف أن يكون قوام الثقافة العربية ، فلست أعرف أمة أوصل تاريخها الديني بحياتها العقلية والثقافية والاجتماعية والسياسية ، على النحو الذي كان في الإسلام .

ولم يكن زهد شبابنا في قراءة التاريخ الإسلامي ، لأن هذا التاريخ تعوزه الأحداث المثيرة ، ولا لكونه بعيد الصلة بالفن والحياة أو ضعيف الأثر فيهما ، ولكنه الأسلوب الذي كتب به هذا التاريخ ، وقام في أكثر حالاته على جمع المتنات من الروايات ، جمعا لا يلائم ذوق العصر ولا يساير روح الجيل ، فضلا عما يعوزه من تحقيق يشفي منه ما شابه من تناقض واضطراب ، وما داخله من زيف ودخل ، وما أضيف إليه من منحولات أفسدت حيويته وباعدت بينه وبين العمل الجديد في نضجه ورشده ، وقد بذل نفر من أساتذتنا في التاريخ الإسلامي — ممن أوتوا موهبة أدبية — محاولات لا نجحدها ، لكي يتخذوا ذلك التراث التاريخي ويعيدوا إليه بعض رواءه ، لكنها محاولات ظلت محصورة في دائرة الدرس الجامعي ، بعيدة عن عامة القراء المثقفين ، وهكذا بدا أن المسألة في حاجة إلى الجهد الأكبر ، ومحاولة أوسع دائرة وأبعد أثرا ، وظهرت الحاجة إلى صنف جديد من الكتاب الأدباء ، يصورون هذا التاريخ صياغة فنية تلك التي [illegible] ، ويساوون المادة التاريخية [illegible] ، [illegible] من [illegible] .

ومن أولى [illegible] الأدب [illegible] الأداء ؟

من له مثل الدكتور طه حسين في [illegible] الأصيلة وذوقه العربي [illegible] ؟

من [illegible] ؟

من [illegible] هذا [illegible] من أولياء الشباب [illegible] ذلك الماضي البعيد ، [illegible] العالم من [illegible] والزمن والمدى !

وما كان ليشق على الدكتور طه أن يدرس [illegible] ، لولا أن طبيعته [illegible] تأبى عليه أن يقف [illegible] معركة كهذه ، ويمنعه من واجبه للعلم ومن مسئوليته كقائد من قادة الفكر ، مطالب بأن يمد عقول الشباب بزاد من الثقافة العربية الرفيعة ، بقدر ما هو مطالب — كأديب — بأن يرضي وجدان قرائه ويعبر عن مشاعر أمته ومواطنيه .

ومن هنا يظلمه الذين يزعمون أنه بكتابيه (على هامش السيرة) و (الفتنة الكبرى) قد ابتعد عن حياة اليوم ، فما حسبنا هذه سوى ميراث أجيال متعاقبة شاركت في صنعها على مر الزمن ، وما نعانيه اليوم إلا مزاج من نتاجات شتى تمتد أصولها البعيدة في أعماق تاريخنا الطويل ، وما [illegible] ، إلا أثر لوقع الرعود على وجداننا ووجدان آبائنا وأجدادنا من قديم الزمان .

ولكن ، أتراني بهذا قد وضعت كتاب (الفتنة الكبرى) في المكتبة التاريخية ؟

لظالمة أن فعلت ، فحديث الدكتور طه عن هذه الفتنة التي بدأت في ظاهر الأمر بمقتل أمير المؤمنين عثمان ، قطعة من الفن الحي . وكل ما في الأمر أنه أخذ مادة فنه من تاريخنا الإسلامي في أعنف مواقفه ، واستمد موضوع أدبه من أكبر فتنة شهدها التاريخ الذهني والسياسي للعرب والمسلمين ، واختار أشخاصه من نماذج إنسانية عرفت فيها الحياة صورا صادقة مثيرة ، يعيي الخيال أن يبدعها ، فجاءت كل منها لمحة إنسانية مؤثرة ، [illegible] القصص التاريخية [illegible] ، [illegible] ، وكأصدق ما يطمح إليه الرسول [illegible] ، واحتمل ما يحمل إليه الأداء الفني من روعة وإثارة .

وأوثر الآن ألا أعرض لنقد المادة التاريخية في الكتاب ، انتظارا لهذا العدد [illegible] أرجو أن [illegible] للكتابة عما قريب ، ويكفيني في يومي هذا أن أقدم كتاب أديبنا الكبير إلى قرائه ليظاهروا فيه تاريخ « علي وبنيه » كما لم يظاهروه في كتاب من قبل ، وليقرأوا « الفتنة الكبرى » في مأساة إنسانية تهز أعمق ما في النفس من مشاعر ، وليسمعوا حديث المعركة الرهيبة التي صبغت تاريخنا السياسي والذهني بصبغة دامية ، وتركت في سمع الزمان صدى حزينا موجعا ما يزال — حتى اللحظة — يذل الدمع الكريم الغالي !

فلتكن كلمتي هذه تحية لأستاذي الكبير ، أما النقد فموعدنا به إن شاء الله في عدد قريب

بنت الشاطئ

(عن الأهرام)

في حياتنا :

فرحة العيد !

للدكتورة بنت الشاطىء

شعرت امس بشىء من وخز الضمير حين تذكرت بضع مقالات لى كتبتها في مثل هذا الموسم من اعوام مضت ، دعرضت فيها بعض الصور الباكية التى تلقانا في الريف ، فتلقى على الكون من حولنا ظلالا ربداء ، وتحول بيننا وبين فرحة العيد .

كيف سمحت لقلمى ان يعرض تلك الصور ، في الايام الطيبة الجديرة بان ننسى فيها المشاغل والهموم ؟

ان اعيادنا قليلة ، لاتستغرق اياما معدودات من العام الطويل ، فماذا لو اعفينا انفسنا وقراءنا من الاحاديث المقبضة . وامامنا بقية العام ، نكتب فيها ماشئنا عن الاشقياء والبؤساء والمحرومين ؟

اتراها عدوى بيئتنا التى لم تعرف حتى اليوم كيف تحتفل باعيادها ، ولم تعلمنا كيف نجد وكيف نلهو ؟

عفا الله عن قومنا ! لقد نشأنا في بيوت لايطيب لها ان تزور المقابر الا في ايام العيد ، ولايسيغ ان تستقبل لياليه الا في المدافن ، ولاتنشط لذكر الموت الا في مواسم الراحة والانس .

وكنا معشر الكتاب مرجوين لنحارب هذا الاسلوب الشاذ في الاحتفال بالعيد ، كيما ننفى تلك الظلال التى تغشى الافق المشرق ، وننقى الهواء من رائحة الموت والقبور ، ونتخفف من تلك الاحمال التى ندخرها لاعز موسم واطيب وقت !

كنا جديرين بان نجند اقلامنا لكى نرد اعيادنا اعيادا ، يبتسم فيها المكروب ، ويستريح المتعب ، ويهدأ المشغول ، وينام الذى الح عليه السهاد لكنا مع الاسف ، مضينا نبرز باقلامنا الصور القاتمة ، ونزيد الظلال كآبة وسوادا ، بما نكتب في العيد من مآسى الذين لايعرفون العيد !

الا فليغفر الله لنا ...

وليعف عن قومنا ، فان الحياة لتمسى غير محتملة ، اذا لم نبذل جهدنا مرة لكى نمسح دمعة الباكى بدلا من ان نبكى دواما معه ، وان الظلام ليطبق على الكون اذا لم يكن فينا من يحاول أن يضىء شمعة ، بدلا من ان نقف جميعا نلعن الظلام !

والعيد هو فرصتنا الواحدة التى يتاح لنا فيها ان نهادن شواغلنا واحزاننا ، وان نهتف بكل ما نملك من قوة وايمان !

[illegible] يا قوم اليوم نحرر ونهدأ [illegible] ان الباقيات نستطيع ان نتخطى ايام معدودات ، ريثما نستريح من جهاد مضى ونتزود لجهاد آت !

وما اجمل ان هذه الهدنة «شائقة» على ناس تعودوا ان يغنوا باحزان ماضيهم ، ويستعجلوا هموم مستقبلهم ؛ لكن لماذا لا نحاول ، كما فعل زميل شاعر من مواطنينا ، حيره الدهر بفراق وشيك لمن يحب ؛ فصاح في اصرار :

صرخ القلب في الضلوع انينا
قبل ان يصبح الوداع يقينا
قلت : يا قلب ما غد ببعيد
فانتظره ، وجن فيه جنونا
ودع اليوم للسرور ، ممن
هو زاد النفوس انسا ولينا !

ان معركة الحياة تستنفد العمر كله ؛ وما ارانا قادرين على مكابدتها اذا لم نتوقف بين حين وحين ؛ لنستمد من فرحة العيد قوة على مواصلة النضال .

هكذا يفعل اهل الغرب الذي طالما رنا اليه اكثرنا مفتونين ، فهل تراهم هناك قد خسروا المعركة ؟

اللهم كلا ...

واني لاذكر الساعة ، ليلة وصلت الى «برشلونة» منذ ستة اعوام ؛ وهي تحتفل باحد اعيادها الدينية ؛ فخيل الى ان القوم قد جن جنونهم ، اذ راحوا ...

يسلمون انفسهم الى مباهج العيد في مرح مسرف ، ومضى الليل كله والمدينة ساهرة ... ، وترقص وتلهو ... طننت ان العيد لن ينتهي الا والقوم هامدون سكارى لايقوون على عمل ، فما راعني الا ان رأيتهم يعودون الى حياتهم العامة في جد ونشاط واقبال ، ذكرني باولئك الذين يدفعون عنا عن اللهو ، ويزهدون في المرح ، ويعكفون ابدا على اعمالهم ، لكنه العكوف الجامد الذي لموزهم فيه الروح ؛ ويجعل منهم الات آلية مسخرة !

وشهدت من بعد ذلك ؛ عيد الموسيقا في سالزبورج وفيينا ، وعيد الزهور في النمسا العليا وعيد السنة المقدسة في روما ؛ وعيد الكرنفال في فينيسيا ؛ واعيادا اخرى مختلفة في بلدان واقاليم شتى ؛ فاذا الظاهرة واحدة لاتكاد تختلف وان اختلفت الصور وتعددت الاسماء والازياء : اصرار عجيب على تذوق ما يستطاع من مسرات الحياة ، واقبال ، بكل الكيان ، على التمتع بافراح العيد ، ونسيان متعمد ، لكل ماتضج به الدنيا من متاعب ...

وعجبت لاولئك المحتفلين بالعيد : ارى بينهم جرحى الحرب ومشوهيها واعلم ان بينهم يتاماها وثواكلها وارامله ، والمح وراء زينات العيد انقاض العالم الذي دمرته الحرب ، واطلالا حزينة تحدث من هول ماكان .. لكني مالبثت ان ادركت لماذا احتملوا ذلك الاعصار المدمر الذي حصد رجالهم حصدا ، وكيف اطاقوا المجاعة التي اعقبت الحرب ، واقبلوا يبنون دنياهم من جديد ، دون ان يصرفهم عن البناء خوف من غد قد ياتي بحرب ثالثة ، تدمر كل الذي يقيمون ...

وادركت كذلك انه كلما كان نصيب الانسان من شقاء الدنيا افدح ، كان

احوج الى جرعة كهذه من المتعة والسرور ، تخفف مرارة الكاس ، وتعين على حمل العبء !

فهل لقومي ان يستقبلوا العيد بقلوب منفتحة راجية ؛ ونفوس مؤمنة بحقها في الحياة ؛ مصرة على ان تنال نصيبها من الدنيا ، كيلا يرهقها الضجر ، وتطحنها الرحى ، وينال منها الاعياء والكلال ؟!

وهل لنا ان نغنى مع « الخيام »:
« غد بظهر الغيب ، واليوم لي »؟
ارجو ، وآمل !

بنت الشاطىء

من الامناء

التاريخ : ٢٣ / ٦ / ١٩٥٣

كتب جديدة

في المكتبة المصرية

١ – مصر القديمة (٩)
مطبعة جامعة فؤاد
٢ – شعر الاسكندرية
مكتبة النهضة المصرية

[illegible] العصر الذي [illegible] المصرية [illegible] من كتب « مصر القديمة » للاستاذ المؤرخ « سليم حسن » الذي [illegible] من المتخصصين [illegible] المصري [illegible] من [illegible] وقرأ [illegible] في [illegible] وبحدا في خدمة [illegible] من [illegible] . وقد [illegible] حضرته منذ سنين عزمه على وضع موسوعة تاريخية كبرى عن « مصر القديمة » [illegible] مجلدات ارخت لمصر الفرعونية [illegible] عصر الرعامسة [illegible] الحديثة [illegible] وهذا هو المجلد التاسع من تلك الموسوعة التاريخية ، يقدم فيه حضرة الاستاذ تاريخ نهاية الاسرة الواحدة والعشرين ، وحكم دولة النوبيين لمصر حتى بداية العهد الاثيوبي . ولعل الذين ابهجت بهم قراءة المجلد الثامن ، يذكرون كيف لاحت نار الحضر حين [illegible] البلاد وحدتها الداخلية بانتهاء عصر الرعامسة [illegible] حوالي عام ١٠٨٥ ق . م . وقد [illegible] الشرق لعزله [illegible] ، [illegible] مصر في [illegible] ولقد [illegible] الحسود [illegible] من الاجانب [illegible] ، ونرى [illegible] الاول ، [illegible] تاج [illegible] ، معلنا قيام الدولة النوبية في مصر حوالي عام ٩٥٠ ق . م .

أيها [illegible] القديمة الجديدة [illegible] الملوك [illegible] من الجنود [illegible] ، فلا [illegible] معدودات حتى نرى [illegible] العرش الذي [illegible] ، ويتزعون التاج من رأس [illegible] !

[illegible] القديمة الجديدة ، [illegible] في [illegible] ، [illegible] ، [illegible] ويسعفها [illegible] الاف السنين ، [illegible] مع [illegible] ، لدولة [illegible] بجنود الاجانب !

[illegible] المادة التاريخية في [illegible] لذوي الاختصاص [illegible] ، اما اسلوبه [illegible] [illegible] هذه الموسوعة [illegible] ، رغم [illegible] وكثرة [illegible] [illegible] ، [illegible] لولا [illegible] موضوعه من ناحية ، [illegible] البارع [illegible] من ناحية اخرى ، فالاستاذ سليم حسن [illegible] تاريخنا القديم [illegible] جذاب السرد [illegible] ، لاحداث [illegible] في القدم .

وقد رجع حضرته الى عشرات من المراجع التي كتبها علماء المصريات الاجانب ، وهو ما نحمده له ونقدره حق قدره ، لكنا مع هذا نرجو الا تكون هذه المراجع [illegible] المصادر التي اعتمد في كتابه تاريخنا القديم [illegible] حضرته اولى من هؤلاء الاجانب بقراءة تاريخ [illegible] الاصلية في اوراق البردي ، وفي النقوش والزخارف ، وعلى الاحجار والمعابد والتماثيل ، لا لان المنهج التاريخي يحتم هذا فحسب ، ولكن لان المؤرخ المصري كذلك ، هو الامين على هذه المادة التاريخية ، التي ربما عبثت بها اهواء الاجانب ، وشابتها اغراض [illegible] ، نعرفها في اكثر الذين كتبوا تاريخنا الادبي من المستشرقين . ومثل الاستاذ سليم حسن في مصريته ، وسعة اطلاعه ، [illegible] من

[illegible] ، [illegible] قراءة ما كتبوا ، لا [illegible] [illegible] ، [illegible] [illegible] تاريخ [illegible] ، [illegible] ([illegible] المقدمة) ومن ثم [illegible] حضرة الاستاذ [illegible] [illegible] من [illegible] [illegible] من [illegible] ١٩١ [illegible] ٥٥٨ [illegible] [illegible] ، [illegible] مصر [illegible] في [illegible] [illegible] ارض فلسطين ، [illegible] ما [illegible] [illegible] .

[illegible]

[illegible] من [illegible] الادب القديم [illegible] .

شعر

اما الكتاب الثاني ، [illegible] في [illegible] في مصر الاسكندرية [illegible] المعاصر : « فيليب اميل لجران » عضو المجمع الفرنسي ، وترجمه الدكتور محمد صقر خفاجة »

[illegible] هذا الكتاب [illegible] « مصر القديمة » اليوم ، انه ليس [illegible] [illegible] ، وانما هو دراسة [illegible] في مصر الاسكندرية ، [illegible] المصري القديم قد [illegible] بالادب [illegible] ، [illegible] [illegible] [illegible] الى جانب [illegible] للتاريخ مما [illegible] من [illegible] [illegible] ، [illegible] [illegible] القديمة ، هم الذين [illegible] [illegible] الادب القديم [illegible] من اشتغل بتاريخ هذا [illegible] حضرة الاستاذ سليم حسن [illegible] في الادب المصري القديم [illegible] حضرة الدكتور احمد [illegible] ، [illegible] ابراهيم [illegible] [illegible] [illegible] بالاثار [illegible] ، ولا [illegible] الادبي [illegible] .

وهذا كتاب « لجران » [illegible] مصر الاسكندرية الى دراسة [illegible] من تحليل [illegible] ، [illegible] التاريخ في [illegible] الدارس [illegible] الشعراء [illegible] ، [illegible] وبين اسلافهم ، باسلوب [illegible] ، [illegible] المشكلات [illegible] والمسائل [illegible] الجافة التي [illegible] .

وليس من حقي ان اعرض لترجمة [illegible] مادام الاصل الفرنسي ليس [illegible] ، وانما الذي يعنيني هو [illegible] هذا العمل من حيث هو استجابة لدعوة [illegible] ، [illegible] [illegible] و الاقليمية في الادب ، [illegible] بالادب المصري الذي [illegible] [illegible] مع ان الادب العربي في مصر [illegible] اذا لم [illegible] الاقليمية لمصر قبل الاسلام .

[illegible] الدكتور خفاجة بعد هذا يقدم كتابه قائلا :

« ولقد اثرنا ترجمة هذا الكتاب [illegible] من الكتب التي [illegible] العربية [illegible] القديم ، لانه يتعرض لفترة هامة في تاريخ الادب اليوناني ، [illegible] [illegible] ، لان في دراستها [illegible] لتاريخنا القديم ، [illegible] مصر دورا عظيما في المحافظة على تراث اليونان [illegible] [illegible] ابوابها [illegible] شعراء اليونان الذين هجروا بلادهم بعد [illegible] [illegible] ، [illegible] بمصر واتخذوا من الاسكندرية عاصمة لهم ومقرا لادابهم ، [illegible] وجدوا من الامراء تشجيعا [illegible] . كما وجدوا في المتاحف والمكتبات ، كل الوسائل التي تسهل لهم الاقامة [illegible] على البحث ، فانتجوا تراثا [illegible] [illegible] القارئ على اهميته عند قراءة الكتاب » .

« بنت الشاطئ »
من الاهرام

كتب جديدة

في المكتبة الإسلامية

مستقبل الإسلام

دار الفكر الحديث – ٢٢٠ ص ق

[illegible] القراء في الموسم الماضي [illegible] من الإسلام» الذي [illegible] «الأستاذ محمد عبد القادر العماوي» محاولة طيبة لفهم روح الإسلام فهما بعيدا عن الجمود [illegible] واليوم يبعث إلينا كتابه الثاني عن «مستقبل الإسلام» مرفقا بخطاب يرجونا فيه أن نقرأ الكتاب قراءة فاحصة ناقدة ، نبين مواضع الضعف فيه ، لم نغلف هذا النقد من أمر مجاملة أو مداراة

وإنا استجيب لدعوته ، فالمؤلف أول ما نايته بهذا الموضوع الحيوي الهام وحماسه الحامي في الدفاع عما يراه حقا ، وعنايته بدراسة الموضوع دراسة دقيقة شاملة ، من ناحيته الدينية والتاريخية ، وحرصه على أن يصل ما بين الدين والحياة وأن ينظر إلى المستقبل من خلال ماضيها الطويل ، راجيا أن نعبر التجارب القاسية التي ملأت تاريخنا ، لنوحد جهودنا ، ونفرض على العالم شخصيتنا

فكتابه اليوم ، ليس مجرد عبارات خطابية استهوائية كتلك التي نلقاها عادة في أمثال هذه الموضوعات ، ولكنه بحث متعمق يحاول أن يتفهم «المتجدد في الإسلام» ويستعرض «المراحل التي اجتازها» والمقومات التي نهضت به كدين ودولة ، ثم يطيل الوقوف عند «الفرق الإسلامية» المختلفة ليبين العوامل الحقيقية التي ساعدت على قيامها ، والغايات التي استهدفها زعماؤها ، والآثار التي تركت مذاهبهم ، من خوارج وشيعة ، ومعتزلة ، وإمامية ، وصوفية الخ . ليخرج أخيرا للحديث عن الغد ، محاولا أن يستبين ملامح المستقبل الذي ينتظر الإسلام ، والمكان الذي يرجى له بين المذاهب المعاصرة التي تتنازع عالم اليوم

***

وربما لاحظ القراء معي ، أن موضوع الكتاب وهو «مستقبل الإسلام» لم يظفر إلا بالفصل الأخير الذي لم تتجاوز صفحاته الثلاثين (١٨٦ : ٢١٦) من كتاب بلغت صفحاته مائتين وعشرين . ويستطيع الأستاذ المؤلف ، أن يعتذر عن هذا ، بأن الفصول الأولى تلقي ضوءا على ذاك المستقبل ، لما كان له أن يبدأ بحثه مبتورا ، دون أن يصله بمناشئه الأولى في الماضي البعيد ، وإلا كان الكلام عن المستقبل ضربا من التكهن غير الجدير باحترام العلم . لكن يبقى بعد هذا ، أن المقدمات التاريخية مطلق اعترافنا بأهميتها – لا يجوز أن تجور على الموضوع الأصلي ، فلا تبقي له إلا ثمن سبع صفحات الكتاب .

***

ولن يخطئ الناقد منذ الصفحات الأولى للبحث ، روح الحماس الذي يغلب على الكاتب أحيانا فيحرمه شيئا من الاتزان ويجعل أحكامه غالبا مشوبة بطابع المبالغة .

فالأستاذ يقطع بأن « الإسلام الصحيح كان على عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – وخليفتيه أبي بكر وعمر [illegible] ، لم [illegible] بعد ذلك عهدا من العهود [illegible] إلا عهد الخليفة الأموي ، عمر بن عبد العزيز [illegible] – ص ٨ – [illegible] حيث يؤكد المؤلف ، أن العالم الإسلامي لا يعرف شيئا من الإسلام الصحيح ، وأن علماء الدين المحترفين قد استمرأوا حياة الكسل والخمول ، وأصبح فهمهم للإسلام [illegible] ... »

« وبذلك أصبح الإسلام [illegible] إسلامي [illegible] » ص ١٠

التاريخ : ٢٩ / ٦ / ١٩٥٣

وان صح هذا الحكم على اطلاقه ، لمن ابى للاستاذ العمارى معرفته بالاسلام الحق او هو – فى مبالغته وتعميمه .. لم يستثن احدا من مسلمى اليوم !

وكذلك الحكم على الفرق الاسلامية جميعا بانها ضالة مضللة – ص ٨ – وانها « كانت فى الواقع معاول هدم فى جسم الاسلام النابض بالحياة لايمكن ان نعده حكما عادلا ولا اجتهادا صحيحا ، لان افتراق المسلمين الى فرق ، ظاهرة اجتماعية لابد منها ، وسماحة الاسلام تنفر من مثل هذا الحكم على فرقه بالضلال والتضليل .

وحكمه على اوربا – بعامة – بانها اصبحت بعد غزو امريكا لها اقتصاديا واخلاقيا « تخطو الى الهاوية بخطوات مسرعة ، وذلك لما اصبح يسيطر على حياتها من انحلال مروع من كل القيم الخلقية ، ومن الجشع المسعور فى التكالب على الماديات الحقيرة التى يتبعها حتما كل الرذائل » ص ١١ ، حكم تفسده المبالغة التى تصدم روح البحث العلمى بلفظ كل ، و حتما وحقيرة ، وبالحكم العام على قارة باسرها ، فضلا عما فيه من خلط بين الخلق والسياسة والحضارة فان الحضارة الانسانية جهاد عالمى مشترك ، لايؤثر فيه سقوط امة او قيام اخرى ، ولا يحول دون تقدم الانسانية « جملة » ان تنهار بعض الامم .

ولعل هذه المبالغة فى اطلاق الاحكام العامة، هى المسئولة عما يبدو من تناقض المؤلف، اذ حينا متفائل ، يرى « ان الدارس المدقق ، يظهر له فى وضوح لايقبل الشك، ان الانسانية مقبلة على عصر جديد سيسود فيه الدين . » ص ٦ ، ثم يبدو بعد اسطر متشائما ، منذرا «بكارثة عظمى لهذا العالم البشرى» لو استمرت قيادته فى يد هذه الحضارة المنحلة . « كل معنى من معانى الروح » . – ص ٦ –

ثم لم يحاول حضرته ان يوضح لنا ، كيف وبم يتخلص العالم من سيطرة هذه الحضارة، لينجو من الكارثة العظمى وينظر الى الغد فى مثل تفاؤل المؤلف ! كما لم يشرح لنا ، كيف وانى يستطيع الشرق – الذى يرشحه حضرته لقيادة عالم الغد – ان يتحرر من « الاشباح المخيفة التى تتراءى على مسرحه الان ليحول الغرب من قيادة البشرية التى افلس فيها كل الافلاس » ص ١٢

ان القارىء لكتاب الاستاذ العمارى ليصدم بكل مايبعث على التشاؤم من مستقبل هذا الشرق ، وحسبنا من ذلك ، ما يؤكده حضرته من ان حياتنا لم تعرف الاسلام الصحيح الا لفترة قصيرة لم تمتد حتى تبلغ منتصف القرن الاول الهجرى ، « وان التوفيق الذى لازم الاسلام كدين عالمى ، وكراعى حضارة للبشرية ... قد تخلى عنه فى عهد الخليفة الثالث عثمان .. وبتولى الامويين الحكم ، وفيه ولدت هذه الفرق الضالة المضلة التى تفرعت منها فيما بعد فرق كثيرة خرجت بالاسلام من طبيعته السمحة ، وكانت معاول هدم له » صفحة ٨ و١١٥ : ١٨٥

وكان المنتظر لمن يرجو « اعتراف العالم للاسلام اخر الامر بمكان القيادة فيما يسعى اليه من حياة الفضل – ص ٢١٩ » ان يعلم ان حيوية الاسلام باقية ابدا، والا فلو صح ان التوفيق خانه كدين عالمى ، بعد نحو ثلث قرن من هجرة الرسول فحسب ، لما بقيت له حتى يومنا هذا باقية ، وهو ما يكذبه التاريخ ويأباه الحق ، وينكره الواقع المشهود

هى المبالغة اذن ، لاخذها على الاستاذ المؤلف ولراها سر تفرده احيانا وتناقضه احيانا اخرى ، ثم لانظلمه بعد ذلك ، فننكر مايشهد به البحث من رحابة افقه ، وواسع اطلاعه ، ومحاولته التحرر الفكرى من اسر الاوهام التى هى علة مانشكوه من جمود وما نعانيه من تخلف .

بنت الشاطىء
من الاسناء

في حياتنا

مثل كبير !

بقلم الدكتوره بنت الشاطئ

خبر صغير ، كاد يضيع وسط الدوى الذى احدثه انتصارنا الرائع فى السباق العالمى للسباحة فى نهر السين :

ذلك هو تبرع السباح المصرى ، عبد اللطيف ابو هيف ، بجائزته المالية ، لزميل فرنسى مريض ، هو السباح « جورج لالهه » الذى يعالج الآن فى جنيف

قراه الكثيرنا قراءة عابرة ، ثم مروا به سراعا وقد شغلتهم عنه انباء النصر الرياضى الذى جعل منا جبابرة الماء ، وادمى الاكف تصفيقا لسواعد الابطال من ابناء النيل

والحب الذى ان نرشا له ننسره الآن او نتناسوه ، فنركره يمضى فى غمار النسيان ، وهو الجدير بالا ينسى !

ولن نكون جديرين بالحياة حقا ، اذا لم نجعل من مثل هذا الخبر الصغير ، قصة تروى وحديثا يذاع !

...

وم الربد ان اهون من شان مجدنا الرياضى فى عالم يعتز به وتتسابق الدول والشعوب من اجل الظفر بحظ منه ، كما اجهل مدى الدعاية الطيبة المثمرة التى نكسبها من وراء نصر عالمى كهذا ، يشهد بتفوقنا فى لون من الصراع الشاق ، ويكشف عما لابطالنا من عزيمة ماردة ، تقهر جبروت الطبيعة وتلقى الامواج العاتية بارادة من فولاذ ، قد صممت على الاحتمال حتى تبلغ الهدف ، ودونه اهوال واهوال . .

كلا ، وانى انس لحظة سعيدة من احدى امسيات الصيف عام ١٩٥٠ ، وكنت اذ ذاك فى قاعة للسينما بمدينة « ليبنا » ذاهلة الذهن من المفاجاة السعيدة التى كانت تنتظرنى هناك اذ ما كاد الستار يرتفع حتى رايت العلم المصرى العالى يخفق عاليا على ساحل القنال الانجليزى تحية للبطل المصرى الذى كان يدنو فى تلك اللحظة من ساحل المانش ، فى طليعة السباحين الذين جاءوا من شتى اطراف الدنيا ليتسابقوا على قهر البحر

ودمعت عيناى تاثرا وانا اشهد القوم من حولى يرنون الى البطل المصرى فى لهفة وانفعال ، ويصفقون فى خشوع واعجاب الى تيا لواء مصر فى المباراة ، حتى كدت لا املك نفسى من الوقوف وسط القاعة ، لاعلن انى « مصرية » فى اعتزاز ومباهاة ، كانما عز على الا يعرف الناس جميعا انى من الارض الطيبة التى انبتت ذلك البطل المظفر

ولكنى اليوم ارى لتبرع « ابى هيف » لزميله الفرنسى المريض ، مغزى اعمق واثرا ابعد مدى ، فليست البطولة الرياضية فى ميدان السباحة جديدة علينا ، ولا كنا بحيث نشك فى قدرتنا بها وقد ذلل لنا « المانش » منذ سنين ذات عدد ، وربما ظن ناس بنا الظنون لزعموا ان ابطالنا يتشبثون بالفوز استجلابا لربح مادى ، او ارجفوا ان بطولتنا انما تعتمد على قوة فى الجسد ، وطاقة الذة على احتمال المتاعب . فاليوم يعلن « ابو هيف » على مسمع الدنيا ، انها بطولة خلق ونبالة اصيل . وان وراء هذه السواعد القوية نفوسا كريمة وضمائر حية ومشاعر نبيلة ، اهزها الاريحية للخير ، ويسعدها البذل ، وتجد فى المنح والاعطاء لذة لا يجدها آخرون الا فى الاخذ والانتهاب !

اليوم يظهر « ابو هيف » ملء الابصار : بطلا انسانيا نبيلا متزنا ، يعرض على الغربيين صورة مشرقة من هذا الشرق الذى جحدوا حقه فى الحياة العزيزة والوجود الكريم ، ويلقنهم درسا فى الاخوة البشرية والخلق الرياضى ، حين تفرق السياسة ما بين الشرق والغرب ، ويضرب الاستعمار بينهما بسور رهيب من الحقد والعداوة والبغضاء !

ولو قد راى فتى النيل فى هذا المريض الفرنسى ، واحدا من الغربيين الذين هم اعداء الشرق وجلادوه ، ومستبيحو حرماته ، ومنتهكو مقدساته ، لما لامه فى ذلك لائم منصف لكنه ترفع عن الحقد . وعلى عن الاستعلاء فلم ير فى السباح الاجنبى المريض ، سوى اخ وزميل . على اختلاف الوطن . والجنس والدين ...

...

الا ما اجدرنا بان نكرم الخلق النبيل فى هذا البطل الذى استطاع باريحيته وسماحته وترفعه ، ان يمحو بعض الاثر الذى تركه فى نفوس القوم هناك ، نفر من العابثين الدخلاء على المصرية ، لطخوا سمعة مصر بالاوحال ، وشهدتهم شلالات « السين » ليما مضى ، فارتفين الى الآذان فى عبثهم ، متكالبين على ذل العبيد ، متهالكين على رخيص الموائد فى اندية الميسر والاثم الحرام !!

وما اكرمه من مثل ، نضعه امام الشبان فى هذه الفترة العصيبة ، بعد ان كادوا يفقدون ايمانهم بالحق والخير والجمال ، لطول ما شاهدوا فى مصر القشمات من مثل بشعة ، لبطولة النقبة وفن الوصولية ، وجنون الشره ، وصغار الاثرة !

ولقد فرع مجتمعنا من تسرة ما يسمع بين حين وحين ، من ماسى الانهيار الخلقى والنفسى للشبان الذين هم اصحاب الغد ، وعدته ورجاؤه ، وما عهدنا بجريمتى المعادى والاسكندرية ببعيد ، فلنذع فى الشبان حديث هذا الفتى النبيل ، ولنجعل من سيرته مثلا يضرب وقدوة تحتذى ، ولنتوجه فى حفل شعبى عام ، بطلا للشباب فى هذا الموسم ، على ان يكون لنا فى كل سنة ، عيد للشباب ، نختار فيه من ترشحهم اخلاقهم واعمالهم ، ليرشحوا مع « ابى هيف » فى كتيبة الشرف من جيش الشباب الذى تعده مصر لغدها ، وترجوه للمجد الجليل !

التاريخ : ٦ / ٧ / ١٩٥٣

كتب جديدة :

في مكتبة البيت

المراة بين البيت والمجتمع
دار الكتاب العربي

الطريق الى السلام العائلي
مطبعة سعد مصر

هما رسالتان من رسائل الاخوان المسلمين اولاهما اشار بوضعها حضرة الاستاذ حسن الهضيبي المرشد العام ، وندب لها الاستاذ البهي الخولي ، فلبى مرحبا ، وهذه هي بين ايدينا ، تبين حقوق المراة وواجباتها ، وتحدد مكانها بين البيت والمجتمع وما من ريب في ان للرسالة اهمية خاصة ، لخطورة موضوعها من ناحية ، ولكونها من ناحية اخرى تعبر في صراحة عن راي جماعة الاخوان المسلمين في مسالة ذات خطر ، وتذيع في الناس كلمتهم الفاصلة فيها ، في الوقت الذي يوشك فيه اعضاء لجنة الدستور ان يبتوا في هذا الموضوع ويقرروا مصير تلك المعركة الكلامية التي احتدم فيها الخلاف وطال

والموضوع الى جانب هذا دقيق لغاية الدقة، فقد اراد حضرة الاستاذ المرشد العام ان يكون القول فيه ، اخذا من الكتاب والسنة ، باسلوب بعيد عن تزمت المتزمتين وترخص المترخصين ، ونعرف ان الاخذ من الكتاب والسنة اجتهاد لا يتيسر لكل احد ، ويزيد في صعوبته ودقته ، انه يقوم ، او يجب ان يقوم ، على اساس تقدير الاعتبارات الخاصة بكل امة . ثم هذا التوازن بين الجمود والترخص ، منزلة ادق واخفى ، وهو يتطلب المرونة الواعية لحدود التزمت والترخص ، وانها لكبيرة

وقد نسق «الاستاذ البهي» رسالته في فصول قصار ، بداها بالحديث عن نظر الاسلام الى المراة ، ثم انتقل الى الحديث عن الاسرة والزواج والطلاق ، وفرغ بعد هذا كله للكلام في الموضوع الاصلي ، وهو مكان المراة بين البيت والمجتمع ، وما يتصل بذلك من اشتغال المراة بالاعمال الحرة ووظائف الدولة ، وحقوق المراة السياسية

وحرص المؤلف في كل مناسبة ، على الاستشهاد بآيات من الكتاب الكريم واحاديث الرسول ، والاستظهار بما عرفته الحياة الاسلامية الاولى للمراة من حقوق وواجبات ، ثم لم يكتف بسرد الادلة والشواهد ، بل اجتهد كذلك في تفسيرها باسلوب يلائم روح العصر ويساير حاجة المجتمع الحديث ، مهتديا في ذلك بالتوجيه الرشيد الذي رسمه حضرة الاستاذ الهضيبي حين اشار بوضع الرسالة .

والماخذ الواضح على الرسالة ، ان الاستاذ البهي يميل الى تناول المسائل تناولا جزئيا **يعرض جانبا واحدا من المسالة ، دون مبالاة بما عساه يكون من جوانب لها اخرى ، فهو مثلا في حديثه عن المراة العربية قبل الاسلام ،** اكتفى بترديد ما ذاع لدينا وشاع ، من مظاهر هوانها وذلتها ، مغفلا جانبا آخر ، عرفت فيه الجزيرة للانوثة قدرها ومكانتها ، وللامومة عزتها وكرامتها وبعيد اثرها في صنع الابطال وانجاب الرجال ، فكان منهن ملكات ، وقديسات ، وامهات الرسل الانبياء ، ومقاتل كريمات التحديث كرامتهن بالمهج والارواح ، فاطلاق الحكم بان العرب كانوا ينظرون الى الانثى على انها مجلبة للعار ، ص ٧ : ٨ ـ فيه عدوان على الحق ، وتجاهل ، لا ومن التاريخ ، الى جانب ما ذكر من واد المراة ومظاهر هوانها ، من مظاهر اخرى لمجدها والاعتراف بمآثرها في الجاهلية القديمة ، قبل ان تسمع الدنيا عن نهضة المراة وحقوق النساء ، بقرون ودهور ..

ويبدو خطر هذا التناول الجانبي للمسائل حين يمس العلم ، اذ يتسرع الاستاذ البهي فياخذ من قوله تعالى : « اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة » ما يؤيد به دعوى المساواة المطلقة بين الجنسين ، مستظهرا في ذلك بقانون الوراثة ، وينسى ان وحدة **الاصل لا تمنع التنوع في الفروع واختلاف الخصائص المميزة لكل جنس ، فليس من اليسير ان نقول ان المراة ترث الخصائص التي يرثها الرجل ، والا لفهم لم نرمت الفطرة وجعلت ذكرا وانثى ! واذا كان الاخوة الاشقاء يختلفون فيما يرثون من خصائص ابويهم كما يعترف المؤلف في صفحة ١٠ ، فكيف يقرر « ان لا معنى لان يرث احد الاخوين ما لا يرثه الآخر » ! واين المفر مما يقرره العلم من اختلاف الخصائص الجسمية والنفسية والعقلية لكل جنس ! هما مختلفان نطعا ، ولا على احدهما من هذا الاختلاف ، اذ انهما متكاملان وان لم يتساويا متكافئان وان لم يتماثلا**

ويزداد الامر ـ في مثل هذا التناول الجانبي ـ دقة وخطرا ، حين يتعرض للاخذ من الكتاب الكريم . فالاستاذ البهي يذكر فضل الاسلام على المراة ، « حين قام محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ينفض عنها غبار القرون ويعلن انها والرجال في الانسانية بمنزلة سواء لا تزيد عنه ولا تنقص » . لم لا يتعرض للجانب الآخر ، من مثل قوله تعالى : « الرجال قوامون على النساء ـ وللرجال عليهن درجة ـ فان لم يكونا رجلين فرجل وامراتان ـ للذكر مثل حظ الانثيين » ودع عنك ما في الحديث الشريف من مثل كونهن « حبائل الشيطان » وانهن « اكثر اهل النار ـ ولن يفلح قوم ولوا امورهم امراة .. وشاوروهن وخالفوهن ـ واخروهن من حيث اخرهن الله » و .. و ..

الا يكفي بعض هذا لان يردنا عن الاسراف المتطرف في تقرير المساواة بين الجنسين اخذا من الكتاب والسنة !!

واحسب القارئ بعد هذا ، في حاجة الى ان يعرف راي رسالة الاخوان في الحق السياسي للمراة . وقد اقامه الاستاذ البهي على اساس من قول الاستاذ الشيخ حسن البنا ـ رحمه الله :

« ان حقوق المراة السياسية لا يجحدها احد ، ولكن الوقت لم يحن بعد لاستخدامها » ـ ص ١٢٦

التاريخ : ٦ / ٧ / ١٩٥٣

ولبيان ذلك ، مضى المؤلف يسوق الادلة على ان « ليس هناك ما يمنع المرأة او من يمنعها ممارسة الحق السياسي ، فهو حق اقره الاسلام ومارسته المرأة المسلمة على نطاق واسع ايام الخلفاء الراشدين » ص ١٢٨

ثم يستدرك في صفحة ١٤٤ قائلا : « اما مزاولة هذا الحق والاخذ به ، فان المجتمع عندنا لم يتهيأ له بعد ، وحين تشيع الثقافة بين الرجال والنساء ، ويرتفع مستوى الخلق ويتطور الوعي ، وتوجد المرأة الفاضلة المنشودة ، فلا حرج من ان تباشر ما قرر لها الاسلام من حق » ص ١٤٥

ويرد عليه هنا ، ان الحق السياسي لم يمنح للرجل المثقف وحده ، ولا اشترط بالنسبة الى الرجال — حتى يرتفع مستوى الخلق ويتطور العرف والوعي ، ويوجد الرجل الفاضل المنشود . افلا يرى حضرته ان اشتراط الثقافة والخلق الفاضل في المرأة قبل ان تمارس الحق السياسي ، يخالف العدل ، وينافي المساواة التي الح حضرته في تقريرها والدعوة اليها !

وبعد لهذا عرض سريع للرأي الذي اذاعته رسالة الاخوان المسلمين ، اضعه امام الذي تتاثر الينا من اقوال الصحف . نقلا من رأي حضرة الاستاذ عودة وكيل الجماعة ، في مناقشات لجنة الدستور . ثم اضع معهما ما نشرته الصحف منذ ايام ، من رأي هيئة كبار العلماء في هذه القضية .

وانتقل الى الحديث عن كتاب « الطريق الى السلام العالمي » الذي الفه « الاستاذ ابراهيم الوليلي : المدرس الاول للرياضة بمدرسة اشمون الثانوية » وقدمه الاستاذ المغفور له الشيخ حسن البنا — قبل مصرعه — بمقدمة اشار فيها الى اهمية الموضوع ، وانكر على كتابنا « الشغف بالاراء حول كل المقالات يتصرفون على الاخذ من اراثها وصورها وحدها ، فيما يعالجون من المسائل والقضايا الاجتماعية او النفسية ، ويفسرون تعاليمهم الاسلامية بموازينها ، ويهملون طابعها وملامحها المستقلة ، وهذا اثر من اثار الغزو العامي الذي اجتاح العقل الشرقي ، واثر في طابع ثقافته واستقلاله الفكري »

ثم حيا — رحمه الله — في الاستاذ الوليلي اعتماده على ماجاء به القرآن وما قرره الاسلام ، الذي حل هذه القضية وصاغ مفتاح الوصول اليها بما لم تأت به شريعة اخرى » ص ٧

والموضوع واسع الاطراف متشعب النواحي وقد الم به المؤلف في ايجاز غير قاصر ولا مخل مبتدئا بالحديث عن « المرأة في حياة الرجل كام » وتذكر له هنا انه لم يجحد اثر المرأة العربية في صنع المسلمين الاولين مع انها لم تدرك الاسلام ، لكن الله « كان ابر بهؤلاء القوم من ان يخرجهم مخرجا سيئا او ينبتهم منبتا فاسدا ، ثم يكل اليهم الرسالة مطالب الحياة ويوردهم اسمى مقاصدها ، ولو فعل لكان قد كلفهم شططا وجشمهم محالا » ص ١١

ولست اميل بعد هذا الى مناقشة اراء المؤلف فيما تناوله من شئون الزواج والطلاق ، والخطوار الشريك واسلوب المعاشرة ، لاني ارى ان هذه المسائل ادق من ان تعالج بالجملة ، واخص من ان يضع لها الكاتب قواعد تطبق في كل الحالات ، وهي بعد احوال شخصية بحتة ، ولكل حالة ظروفها التي تختلف من سواها ، ولن نستطيع ان نضع لها دستورا شاملا لوصي به كل زوجين ، الا اذا ادعينا اننا نحيط علما بادق خفاياهما واخص شئونهما ، واخفى مواطنهما ، وهو ما لا يجرؤ احد على ادعائه .

اقصى ما نستطيعه ان نضع تجاربنا في خدمة الآخرين ، او ندع الاحكام العامة للاحصاءات الدقيقة التي لم تتح لمجتمعنا بعد ، ولا عرفها على النحو الجدي الذي يستنطق فيه الارقام

ومن هنا اقدم الكتاب الى القراء على انه آراء شخصية كونها المؤلف من تجربته الفردية ومن مطالعاته ، ثم اختار نماذج منها اراها تدل على اسلوب الكاتب في التفكير وطريقته في التعبير .

يقول يصف للفتاة المثل طريقة للتجميل واجدى وسيلة لصيانة الجمال والفتنة .

« احسن مرآة تنظرين فيها جمال وجهك ، الثقة بالنفس والصراحة . وخير مايمنح لجمال الوجه البشاشة والابتسام والتبسط . . ولاظهار الصدر في اجمل حالاته ، التدين والايمان ، ولتنوير العين ، التبصر والرزانة . ولا يجمل الشفتين قدر الصدق والتحدث بالنعمة ولا يحلي الاذنين قدر الطاعة ، اما اليدان فلا يجملهما مثل البر والاحسان » ص ٧٦ .

وقال يحدد لها مكانها بين البيت والمجتمع :

« انك بحرصك وحصافتك ولباقتك تستطيعين ان تخدمي المجتمع وانت على مقعد في شرفة دارك ، او على مائدة في ردهة بيتك ، او في ركن منزوٍ من حديقتك ، لتجمعين بذلك بين اداء خدمات مشكورة ، واتقاء اخطار المجتمع وشرور الاندماج فيه ، والاحتفاظ بسلطانك على مملكتك ورعايتك اياها » ص ١٢٢ .

ترى هل ترتاح الفتاة المصرية الى هذه الطريقة في التجميل ، وتسيغ مثل هذا الاسلوب في النصح والارشاد !

لعلها تفعل . . ! بنت الشاطئ

التاريخ : ١٥ / ٧ / ١٩٥٣

كتب جديدة

في الدراسات الأدبية

١ ــ صاحب الاغاني ــ مكتبة نهضة مصر
٢ ــ تاريخ الثقافة العربية في السودان ــ مكتبة الخانجي

احس كثيرا من الغبطة والفخر ، حين ارى اثنين من زملائي يتقدمان الى المكتبة الادبية ببحثين من طراز ممتاز ، لا تخطىء فيهما ملامح الشخصية العلمية الناضجة ، التي اخذت نفسها باذكى المناهج في الدرس ، ورضيت ان تسير في طريق البحث الشاق الشائك ، حين اثر كثيرون الراحة والدعة ، فاكتفوا بالموضوعات السهلة الهينة التي لا تكبدهم مشقة ولا تجشمهم عناء ولا نصبا .

واول الكتابين ، هو « صاحب الاغاني » للدكتور محمد احمد خلف الله » وليس صاحب الاغاني بالنكرة او المغمور ، بل انى لاكاد اسمع من القراء من يتساءل :

« فيم الاشتغال بابي الفرج ، وقد دخل به من قبل كثيرون ، نذكر منهم الاستاذ شفيق جبرى عميد الاداب بالجامعة السورية والاستاذ الاصمعى بدار الكتب المصرية ! » وجوابى عن هذا السؤال ، ان الدكتور خلف الله لم يتناول صاحب الاغاني جملة ، ولم يتعرض لما تعرض له الدارسان الفاضلان قبله ، وانما مضى في التخصص الى مدى بعيد ، فجعل موضوع بحثه « ابا الفرج الاصفهاني الراوية » وذلك جانب دقيق هام ، لا في حياة ابي الفرج وحده ، ولكن في حياة الادب العربي بعامة ، فابو الفرج قدم للاداب العربية اضخم مجموعة خبرية من المرويات ، ولعله شغل تلك الاداب باكثر ما شغلها به انسان ، فكان من الحق ان يجلو احد المتخصصين في الدراسة الادبية العليا ، شخصية ابي الفرج الراوية ، وان يلقى ضوءا من الضوء على ذلك الحشد الضخم من مروياته ، كيما نستبين الطريق الذي نقلت الينا عبره ، اكبر مجموعة من اخبار ادبنا العربي .

وقد مهد الدكتور خلف الله لبحثه ببيان موجز لمعنى الرواية ، والفرق بينها وبين التاريخ ، ثم اخذ يعرض « العوامل المؤثرة في حياة ابي الفرج » من زمان ، ومكان ، واسرة ، ومدرسة ، وخلطاء ، ورجال السياسة . وتناول في الباب الثاني « حياة ابي الفرج » من جوانبها المادية ، والاعتقادية والمذهبية ، والخلقية ، والعقلية ، والفنية ، حريصا في هذا التناول ، على ان يختار الزاوية التي تبين شخصية الراوية ، وبذلك هيأنا القراءة الباب الثالث الذي افرده للحديث عن « الرواية عند ابي الفرج » في مراحلها الثلاث : التحمل ، والضبط ، والاداء .

وقد سيقتضى امانة زاد الى تقدير ما في هذا البحث من سلامة المنهج ، ودقة التناول ، واصالة الراجع ، لمنحه درجة الدكتوراه في الاداب بتقدير جيد جدا ، كما قدرت في الدارس ايمانه بالعلم ، واخلاصه في ناموس التطور المتدرج ، وشجاعته في الجهر بالحقيقة من طمأنينة ودون اوجس ، وحسب الدكتور خلف الله ، ما سجله حضرات اساتذتنا المشرفون على الرسالة ، في الكلمة التي قدم بها الكتاب ، فلم تدع لمثلي مجالا لقول ، ولذلك اكتفى بان ابدى هنا ملاحظتين على الدكتور الزميل : اولاهما منهجية ذات خطر ، تتصل بما انتهى اليه الدكتور في الفترة الاخيرة من بحثه ، من انه « يحسن بنا ان نعتقد دائما ان مرويات ابي الفرج مصدر من مصادر التاريخ وليست هي التاريخ » ص ٢٧٦

وليس الدكتور خلف الله متفردا بالذي يقول ان الروايات ليست التاريخ (ص ٢٧٥) ولا كان بحاجة الى ان يتمس على هذا لانا لا نعرف اليوم من يقول ان المرويات ــ مهما تدل ــ هي التاريخ ، فالتاريخ عقل ودرس وتمحيص وفهم وتفسير نفسي واجتماعي يمكن من وصف سير الحياة بالكائن المؤرخ له ، وتفسيرها في الحياة ، اما ايراد الروايات لا يعنى انها تاريخا ، الا حين يكون التاريخ قصصا فحسب ، وذلك ما لا يقوله جامعى ، الا ان يكون التاريخ الاسلامى في الجامعة يحيا في الدور القصصى !

اما اعتباره مرويات ابي الفرج مصدرا من مصادر التاريخ ، فلا نستطيع قبوله منه ، بعد ان قرأنا منذ التمهيد ، الى انه « يجب الا يختلط علينا الامر في امر الشخصيات الادبية ، فنخلط بين الرواة والمؤرخين ، وخاصة حين يكون المؤرخ ممن يعتمدون اسلوب الرواية في التاريخ » ص ١١ وكذلك بعد ان قرأنا الفصل الذي كتبه الدكتور خلف الله عن « ابي الفرج وهل هو من الرواة او المؤرخين » ص ٢١٠ : ٢١٨ ، وانتهى فيه الى ان الرجل راوية يحمل مايصل اليه لا مايعتقد انه الحق « فهو حريص على جمع ما قيل حتى ولو كان من المصنوعات والاكاذيب » ــ ص ٢١١ ، ورواية هذا شأنها ، هي آخر ما يعد من مصادر التاريخ واقلها اعطاء للحقيقة ، وهي اشق الوان المرويات بحثا على دارس التاريخ

والملاحظة الثانية ، اسلوبية غير ذات خطر ، وهي ان الدكتور خلف الله يكتب في غير احتفال بالعبارة ولا عناية بالاسلوب ، وقد يعتذر من

هذا بان الحقيقة الدامية تنفذه من الصورة اللفظية ، وهو اعتذار يقبل ، او لم يصل الى حد يكفى فى التنزل له مثل قول الزميل :

« واضع صورة أبى الفرج كما استطعت الوقوف عليها » — ص ١٧٦ ، وما اظنه يريد ان يضع صورة ابى الفرج تحت قدميه ، كما قد يحس ذلك من يتلقى ايحاء التعبير فنيا !

ثم لا اطيل الحديث من هذا المأخذ ، لماهو الا ظاهرة أسلوبية ، ليس من حقنا أن نشق بها على الدارس ، وبخاصة فى بحث هام نهض به حضرته ملتزما الدقة المنهجية فى جد كاد يبدو مشوبا ببعض الصرامة

والنتقل الى كتاب « تاريخ الثقافة العربية فى السودان » الذى الفه الزميل « الاستاذ عبد المجيد عابدين : مدرس العربية بكلية الخرطوم الجامعية »

ولابد لى ، قبل تقديم الكتاب ، من التنويه بهذا الاتجاه الرشيد الذى جعل الزميل ينتهز فرصة اقامته فى جنوب الوادى ، ليعكف على دراسة تاريخه الثقافى ، دراسة مستقلة لا تتاح لغير المقيمين هناك . واذكر فى هذه المناسبة ، زميلا لنا فى كلية الخرطوم نفسها ، هو « الدكتور محمد النويهى » الذى لم يكف عن الدرس والتأليف منذ رحل الى السودان ، لكنه اخرج لنا كتبا ثلاثة عن « ثقافة الناقد الادبى » وشخصية بشار ، وابى نواس » غير منتفع بالفرصة المواتية لدراسة موضوع خاص بالادب فى السودان ، ولست بهذا أجحد فضل الزميل النويهى ، او أهون من جهده ونشاطه لكنى كنت أوثر له مثل اتجاه الزميل عبد المجيد عابدين ، فليس منا — معشر الذين لم يسعدهم الحظ بالاقامة فى السودان — من يستطيع ان يكتب مثلهما فى هذه الناحية الثقافية

وموضوع الكتاب بعد هذا ، علمى جاد ، يبين فيه اثر الجهد الباذل والبحث الشاق والدراسة المتعمقة المتأنية والاطلاع على ما كتب الغربيون ممن عنوا بدراسة السودان واهله

ثم هو ، ايضا ، موضوع شبه بكر ، لا اذكر انى قرأت كتابا بمثله ، وحسبى ان اشير الى ابواب الكتاب لاعطى القارئ فكرة عن خصب مادته واهمية موضوعه .

استهل الزميل بحثه بمقدمة تاريخية عن الهجرات العربية الى السودان ، واللهجات العربية فيه . ثم تحدث فى القسم الاول عن تاريخ الثقافة الدينية والاجتماعية فى السودان ، من عصر ما قبل الاسلام الى العصر الحديث ، وخص بالقسم الثانى ، تاريخ الشعر العربى هناك فى مختلف اتجاهاته : من الشعر الدارج ، الى الشعر الفصيح بانواعه : صوفى ، وتقليدى ، وتجديدى . ثم جعل القسم الثالث لتاريخ النثر العربى من شعبى دارج ، الى فصيح تقليدى وتجديدى ، مبينا مختلف المذاهب والمدارس فى المقالة ، والقصة ، والنقد

والاستاذ عابدين يحتفل بالفكرة العلمية ، مع عناية واضحة بتجويد الاسلوب . وايبدو فى الفصل الاول من كتابه ، شخصية الدارس المحقق الذى يؤرخ للثقافة العربية فى السودان ، على حين تبدو منه فى الفصلين الثانى والثالث ، شخصية الناقد المتذوق ، المتصل بالحركة الادبية فى السودان اوثق اتصال ، والحريص على ان يزن آثارها الفنية ويضع اصحابها فى اماكنهم الصحيحة .

واظهر ما يتسم به الاستاذ عابدين فى بحثه هذا ، نضوج الفكرة واتزان الرأى ورصانة الاسلوب ، وربما لاحظ الناقد على القسم الاول ، بعض مظاهر الجفاف ، لكن هذا الجفاف يأتى من طبيعة المادة ، اكثر مما يأتى من اسلوب التناول ، ومن ثم لا ارى من الانصاف ان نلوم الدارس عليه

وسيقدر القراء هذا الكتاب حق قدره ، حين يقفون منه على مبلغ العناية المركزة التى بذلها الغربيون — وبخاصة الانجليز — لدرس السودان وثقافته الشعبية وتاريخه الادبى والاجتماعى ، مع اننا أولى منهم بمثل هذا ، واقدر عليه ، بحكم الروابط الطبيعية والجنسية والثقافية والتاريخية والدينية ، التى تربط شطرى وادى النيل منذ الازل ، والى الابد !

« بنت الشاطئ »

التاريخ : ٣٠ / ٧ / ١٩٥٣

كتب جديدة

في المكتبة القانونية

١ ــ جوازات السفر واقامة الاجانب ــ مطبعة بروكانيا بمصر
٢ ــ ذكريات مستشار سابق ــ دار النشر المصرية
٣ ــ قوانين التشريع على طريقة ابى حنيفة واصحابه ــ مطبعة الجندى بالحسين

لست من المتخصصين في دراسة القانون ، لكن هوايتي للسفر اغرتني بقراءة الكتاب الذي وضعه « الاستاذ يحيى عبد القادر » عن « جوازات السفر واقامة الاجانب بمصر » فاذا بى امام بيان دقيق واف ، يفسر تلك الالغاز التي طالما شعرنا بتعقيدها ، كلما دعت الحاجة الى الاتصال بمكتب جوازات السفر

وما من شك في ان مكتبتنا كانت تفتقد كتابا كهذا ، يحصر الاجراءات الطويلة المعقدة للسفر والاقامة ، ويجلو لنا ما غاب عنا من حكمة هذا النص او ذاك ، ويعيننا على ان ننفذ تلك العملية الشاقة المربكة التي نضطر احيانا لمعاناتها ، وهذا هو الاستاذ « يحيى عبد القادر » يلبي حاجتنا ، ليضيف الى الكتبة العربية اول بحث في موضوع الجوازات والاقامة

وربما ظن ناس ان من المستطاع الوصول الى معرفة اجراءات السفر والاقامة عن طريق مكاتب الاستعلامات ، او التماس نصوص القوانين واللوائح التي تنظم الحركة لكن الذين كابدوا هذه المشاق ، يعلمون علم اليقين ان المكاتب والنصوص لا تغنيان شيئا ، لانهم ما تفعله لنا ، هو ان تطالبنا بكذا وكيت من الاوراق والمستندات والاجراءات والرسوم ، دون ان تنتهى بنا الى سائل يسال : لم هذا ! وكيف ذاك

ثم ان نصوص القانون في جفافها وايجازها لا تغرى كثيرين بمطالعتها ودرسها ، فضلا عما يعتريها بين آن وآن ، من تعديل او تبديل .

ثم انى اظلم الكتاب ان قلت ان عمل الاستاذ يحيى فيه ، قاصر على جميع التشريعات واللوائح وتنسيقها ، فالحق انه يقدم لنا دراسة قانونية فقهية قد استكملت عناصر البحث العلمي ومقومات المنهج الاصيل ، لقد بدأ بحدثنا عن التطور التاريخي لاقامة الاجانب منذ العهد الاسلامي الاول الى العصر الحديث ، ثم مضى يشرح نظام دخول الاجانب وخروجهم ، وقيود اقامتهم ، ونظم مراقبتهم وابعادهم ، شرحا لا يكتفي فيه بتفسير القانون بل يصل ذلك كله بحياتنا الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، ويبين العوامل التي دعت الى كل قيد من القيود التي وضعت لحماية كياننا القومي ، مع مقارنة هذا كله بالاجراءات المتبعة في كثير من الدول الاخرى ، والقيود التي فرضتها على اقامة الاجانب بها

ثم افرد الاستاذ بابا من كتابه لبحث موضوع اقامة اللاجئين على اختلاف ظروفهم ، فتحدث عن لاجئي الحرب العالمية الاولى ، والثانية ، وحرب فلسطين ، واورد نص اتفاقية جنيف سنة ١٩٥١

وذيل الكتاب بعد هذا ، بالنصوص الكاملة لقوانين الاقامة والجنسية ، ومذكراتها الايضاحية ، وثبت باسماء المراجع العربية والفرنسية والانجليزية .

والموضوع قد يبدو جافا ، لكن « الاستاذ يحيى » استطاع ان يفيض عليه من حيوية قلمه ، واقتدار اسلوبه ، ونظراته النافذة ، ما يزيل هذا الجفاف ، بحيث يمضى القارىء في مطالعته دون ضجر او ملال .

وادع الكلمة بعد هذا لذوى الحق فيها من رجال الادارة والقانون ، لقد شهد حضرة « الاستاذ حسين رالت : الوكيل الدائم للداخلية » بانه وجد في الكتاب « مرجعا قانونيا ، وبحثا تاريخيا ، وتفسيرا محمودا الاثر عميم النفع للمصرى والاجنبى » . كما كتب حضرة « الاستاذ ابراهيم سويلم : المدير العام لمصلحة الهجرة والجوازات والجنسية » يقول:

« لقد افتتح الاستاذ يحيى عبد القادر بكتابه بابا جديدا من ابواب البحث لم يكن قد طرق من قبل بمثل هذا التفصيل والتحليل ..

« ولم يكن غريبا ان يكون هو البادىء في هذا الباب ، اذ انه بحكم عمله بادارة الجوازات والجنسية ، كمدير للبحوث الفنية ، ثم مدير لادارة الاجانب ، قد اكتسب خبرة عملية بجانب الخبرة النظرية التي اكتسبها من زياراته المختلفة للادارات المشابهة في دول اوربا وامريكا ودراساته لقوانينها ونظمها ، مما اهله لاعداد هذا البحث الاول من نوعه في مصر »

اما « ذكريات مستشار سابق » فمجموعة مختارة من تجارب قانوني كبير ، هو حضرة

التاريخ : ٣٠ / ٧ / ١٩٥٣

«الأستاذ محمد شريف» الذي قرأنا له من قبل في بعض المجلات الإسلامية، لمحات جامعة تحدث عن خبرة بالحياة ومعرفة بالناس والدنيا.

وليست هذه هي المرة الأولى التي نقرأ فيها ذكريات لأحد رجال القضاء، فقد قرأنا منذ أعوام «يوميات محام» للأستاذ «عبده الزيات»، كما كتب الأستاذ محمود كامل المحامي «يومياته»، وكان لكل منهما أسلوبه الخاص في العرض، وطريقته المتميزة في استعادة الذكريات، واليوم نقرأ ذكريات الأستاذ محمد شريف، فإذا هي صنف آخر غير يوميات الأستاذين الزيات وكامل، ذلك لأن الأستاذ شريف، لا يعرض ذكرياته في القضاء فحسب، وإنما يحدثنا معها عن تجاربه في الحياة، ويستعيد ذكريات بعيدة وماضية من عهد الصبا الباكر، منذ كان تلميذا بالمدارس الثانوية.

والأستاذ شريف، قد مر بالوظائف القضائية سكرتيرا للمحكمة الرسمية ولجنة المراقبة، ونائبا في المحاكم الجزئية والكلية، ورئيسا للمجلس الحسبي، ووكيلا للنائب العام ثم رئيسا للنيابة، ومستشارا، فكان له من هذه الحياة الحافلة الحافلة، ثروة من التجارب لا يظفر بها كثيرون، ومن حق الوطن عليه وعلى أمثاله من حضرات المستشارين أن يضعوا تجاربهم بين أيدي الشباب، لعل فيها ما يقوم عثرات السير في طريق الحياة الشاق الشائك.

وقد اختار حضرته من بين ذكرياته طرائف ذات بال، أضاف إليها بعض مطالعاته، ثم جاء بروايتها في بساطة وإيجاز، لا نلمح معهما أثرا من آثار التكلف أو التعقيد أو فضول القول.

ولا يخطئ القارئ في حديث السيد المستشار نزعته الإسلامية الواضحة، بل إنه ليلمح مخايل تدينه وإيمانه وتقواه، منذ تخرج من مدرسة الحقوق الخديوية عام ١٩٠٥ إلى الإمام «الشيخ محمد عبده» ليلقي عليه هذا السؤال:

«ما قولكم دام فضلكم في شاب على وشك أن يتم دراسة الحقوق، فإذا نجح في الامتحان النهائي، وقبلته النيابة العمومية التي توصل إلى القضاء، ليحكم بغير ما أنزل الله، أم يجب عليه شرعا رفضها؟!»

ويجيبه الشيخ الإمام عن السؤال:

«يا بني، إنا نفسي معين كقاض في المحاكم الأهلية، ولكني أحكم بهذا القانون معتقدا أنه غير مخالف للشريعة الغراء، إلا الأرباح، فما كنت أحكم بها مطلقا لأنها حرام شرعا».

«وكلنا نعلم أن القانون المدني المصري ينطبق على مذهب الإمام مالك في جميع أحكامه تقريبا لأن الفرنسيين شرعوا قانونهم بعد دراسة الشرائع الأخرى، وتأثروا بمذهب المغاربة الذين تحت حكمهم. وأما قانون العقوبات فهو ينطبق على أحكام الشريعة في التعازير والقصاص في جرائم القتل، أما الحدود فالمسئول عنها الوالي لا القاضي، والشريعة لم تحدد عقوبة خاصة لكل جريمة من جرائم التعازير، بل تركت الميدان واسعا للقاضي ابتداء من التوبيخ إلى الإعدام، فلا بأس أن نقول إن قانون العقوبات الوضعي هو مفصل لآرائها وليس مخالفا لحكم الشرع الشريف فيها.

«وإذا كنت يا بني ترفض هذه الوظيفة وغيرك يرفضها كذلك، فإنها تصبح شاغرة، وهذا ليس من المصلحة العامة في شيء، والضرورات في الوقت الحاضر تبيح لنا المحظورات، فتوكل على الله يا بني، والله غفور رحيم».

وبعد، فما أطلت على القراء بنقل هذه الذكرى من ذكريات مستشار سابق، إلا لأني أرى فيها مثلا صالحا، يكفي لتعريف حضراتهم بمادة الكتاب وأسلوبه في التناول والأداء.

بنت الشاطئ

صدر الجزء الأول من كتاب «قوانين التشريع على طريقة أبي حنيفة وأصحابه» تأليف فضيلة الشيخ محمد بن جابر المصري، مدرس قسم تخصص القراءات بالأزهر.

ويشمل هذا الجزء قسم العبادات، ثم قسم الأحوال الشخصية ومعه المواريث وبحث الأهلية، ثم المعاملات المالية، فالقسم الجنائي، وقد ذكر فيه فضيلة المؤلف المبادئ العامة لهذا النوع من التشريع، وجمع قوانين الفقه الإسلامية في نمط واحد، حريصا في كل هذا على استخلاص المبادئ العامة التي تعد كليات لجزئيات مسائل التشريع الإسلامي.

وأفرد الباب الأخير من كتابه لمسائل القانون الدولي العام في باب الجهاد، وما يتصل به من معاملة الحربيين والذميين ونظام الفيء، ثم ختم الكتاب بأبواب تتضمن عموميات التشريع.

وبسط فضيلته في مقدمة الكتاب منهجه في استخراج أصول الأحكام، كما أورد بيانا بمصطلحاته، وثبتا بمراجعه ومصادره، من كتب التفسير، والحديث، والأصول، وفقه الأئمة الثلاثة، وكتب الحنفية، والمراجع القانونية.

التاريخ : ٣ / ٨ / ١٩٥٣

كتب جديدة

في الاقتصاد القومي

١ — حرب البترول في الشرق الأوسط — مكتبة النهضة المصرية
٢ — أزمتنا الاقتصادية — لجنة الثقافة الشعبية
٣ — الصحراء — شركة سلمة الطباعة بشبرا

للمرة الرابعة، يطبع كتاب « حرب البترول في الشرق الأوسط » الذي ألفه « الدكتور راشد البراوي » كحلقة في سلسلة دراساته في السياسة الاستعمارية، وأهداه « إلى الجماهير الكادحة التي تئن من الفقر والجهل والمرض، بسبب الاحتكارات ».

وقد يكون من غير الانصاف، أن نقدم هذا الكتاب على أنه مجرد طبعة رابعة من مؤلف نفدت نسخه، مع أن حضرة الدكتور المؤلف أراد بإعادة الطبع، أن يتابع الجديد المستحدث من التطورات ذات الأهمية والخطر التي شهدتها منطقة البترول في الشرق الأوسط، لزيادة انتاج « الخليج » زيادة كبيرة نتيجة للكشوف المتتابعة، وزادت التقديرات الحديثة بشأن احتياطي النفط الشرق الأوسط من جهة، كما انعكست أزمة إيران على تأميم الصناعة البترولية، ولطمت علاقاتها الدبلوماسية بانجلترا، وأدى هذا إلى تعديل الامتيازات البترولية لصالح البلاد المنتجة للزيت في منطقة الخليج

ولعل الذين قرأوا الطبعات الثلاث الأولى لهذا الكتاب، يذكرون أن « الدكتور راشد » قد توقع كثيرا من هذه التطورات، ولمحها بعين الخبير الذي تخصص في دراسة الحياة الاقتصادية والسياسية بالشرق الأوسط، وهو هنا — في الطبعة الرابعة — يتناول ما جد من احداث وتطورات بالشرح والتحليل الهيكلي كتابه صورة واضحة لعالم البترول في الجزيرة والخليج، وسجلا لأحدث الاحصائيات والبيانات عنه، كما انتهز حضرته الفرصة المواتية، ففصل ما أجمله من قبل، عن الشركات والامتيازات والاتفاقيات وبعض الوثائق السياسية الهامة، المتعلقة بحرب البترول.

وهكذا يبدو الكتاب في صورة جديدة، غير التي رأيناها في الطبعات السابقة، وإن احتفظ له الدكتور راشد باسمه الأول

ونشرت « لجنة الثقافة الشعبية » حلقة ثانية من « كتاب المواطن » الذي يعالج أهم مشكلاتنا القومية من وجهة النظر الديمقراطية الخالصة، وفي هذه الحلقة، يتحدث الدكتور عبد الرازق حسن — المدرس بكلية التجارة في جامعة فؤاد، عن « أزمتنا الاقتصادية » التي يمكن أن تعد أخطر مشكلاتنا، نظرا لارتباطها الوثيق بكياننا القومي

ويستطيع القارئ أن يتابع هذا الحديث، حتى ولو لم يكن من المتخصصين في المال والاقتصاد، وذلك لأن الدكتور المؤلف عالجه في بساطة ووضوح، وجعل الأرقام تنطق معبرة عن هذا الجانب الخطير من حياتنا، ووضع بين أيدينا الوثائق الاحصائية التي تلقي الضوء على المركز الاقتصادي لمصر

على أن الكتاب ليس مجرد مجموعة من الأرقام والاحصائيات، وإنما هو عرض دقيق شامل، يجعل من مقدماتها أجزاء مجموعة مترابطة متسقة، لا تنفصل احداها عن الأخرى.

ولم يكن من السهل بحال ما، أن يجمع الدكتور المؤلف الخيوط التي تدور حولها في صياغة محكمة النسيج واضحة الإبانة، فالموضوع كما نعلم، معقد متشعب النواحي، ولكنها لمهارة أن ينتقل بنا الدارس من بحث الأزمة التطبيقية، إلى مشكلة الاستهلاك، ثم إلى مشكلات التعطل، والتوزيع والانتاج، ورأس المال الأجنبي، دون أن تتعقد ما بين هذه جميعا من صلة، بل دون أن تخطيء الارتباط الطبيعي بين مسائلنا الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، حتى يصل بنا الدكتور عبد الرازق، أخيرا إلى النتيجة الحاسمة، وهي « أن تعقد احدى هذه المشكلات، قد يربك الجهاز القومي كله، ولا يمكننا أن نتصور وجود مسألة اقتصادية معقدة، أي بعيدة عن التيارات والدوافع الاجتماعية والسياسية ».

أما كتاب « الصحراء » فقد اشترك في تأليفه « الأستاذان عبد اللطيف واكد، وحسن مرعي » المهندسان بقسم استغلال الصحاري في مصلحة البساتين.

ويبدو الكتاب، ثمرة ناضجة لخبرة أصيلة بصحارينا، واتصال مباشر بها، ودراسة دقيقة لطبيعتها وامكانياتها، ثم هو إلى جانب هذا كله، دعوة حارة تهيب بنا أن ننطلق إلى هذه البقاع النائية المهجورة التي نهتدي إلى أسرارها، ونتذوق جمالها، ونستثمر ما يكمن فيها من ثروة دفينة معطلة

ومادة الكتاب علمية تصف حالة صحارينا وصفا دقيقا، وتشرح طرق استثمارها شرحا مدعما بالأرقام، أما الأسلوب فعطه من الأداء الفني يجعله أشبه بالكتب الأدبية الممتعة

وهو مقدم بكلمة « للدكتور يوسف ميلاد » المدير العام لمصلحة البساتين » يقدم بها لهذا الكتاب الذي يسد فراغا واضحا يشعر به كل من يريد معلومات موثوقا بصحتها عن طبيعة الصحاري المصرية وما بها من امكانيات وآفاق « فالمؤلفان الفاضلان من خيرة الرجال العاملين الذين مارسوا أيام شبابهم في التجارب الزراعية المستمرة بالصحارى، فاكسبتهم السنون الطوال ثروة من الخبرة الفنية والعملية من الزراعة في الصحراء وواحاتها، كما أفاد المؤلفان من الاقامة في ربوعها طويلا، معرفة وثيقة، عن طبيعة أرضها وجوها وأهلها

« أن الصحارى المصرية تشمل ما يقرب من سبعة وتسعين في المئة من أرض مصر، ولقد آن للمصري بعد أن ضاقت رقعة الوادي بمن فيها أن يولي وجهه شطر الصحراء سعيا وراء أفق زراعي جديد ».

بنت الشاطيء
من الأهرام

التاريخ : ١٠ / ٨ / ١٩٥٣

كتب جديدة

في الثقافة الصحية

١ – علاج الكلام
٢ – صحة الطفل – دار المعارف بمصر
٣ – الطب الوقائى والعلاجى من الامراض الصدرية – دار الكتاب العربى
٤ – مبادىء الاسعاف الاولى – مطبعة النهضة بالاسكندرية

لعل ظهور هذه الكتب الاربعة فى موسم واحد ، يكفى وحده للدلالة على تقدير الكتاب لخطر المسالة الصحية ، وشعورهم بوجوب العناية بها والاهتمام بنشر الوعى الصحى بين عامة الشعب .

ولقد ذاع لهنا ان اعداءنا ثلاثة : الجهل والفقر والمرض ، وبقى ان علينا فى كل ان ان المرض من بينها هو العدو الالد ، فما يستطيع جسم مريض مهزول ان يعى مايلقى اليه من دروس فى العلم ، ولا ان يحمل عبء الكفاح الشاق من اجل العيش . وستظل جهودنا المبذولة لنشر العلم ومحاربة الفقر ، عاجزة من ان تؤتى ثمارها ، مابقيت مشكلة المرض قائمة لاتحل . ويعلم كثيرون ان الصحة لاتكون الا حيث يكون الغذاء الكافى والمسكن الصالح ، وهذا حق لا مماراة فيه ، لكن لمسالة حظنا من الثقافة الصحية ، منزلة – الى حد كبير – من مشكلة المرض ، فلن يكفى فى حلها ان نوفر للشعب غذاءه وسكنه ، بل يجب ان نبصرهم كذلك بالمبادىء الصحية الاولى ، وهذا هو مااتجه اليه الكتاب اخيرا ، فكانت الكتب الاربعة التى نقدمها لقرائنا اليوم

وأول هذه الكتب « علاج الكلام » للاستاذ « حسين خضر : مفتش الاقسام والتعليم بالمعارف » وربما استغرب القارىء ان نضم فى المكتبة الصحية كتابا كهذا ، الفه غير طبيب ، لكنا اردنا بذلك ، ان نوجه الانظار الى مكان الابحاث والدراسات النفسية فى هذا الميدان ، وان نجعل « الصحة النفسية » موضع العناية والاهتمام ، كالصحة الجسمية سواء بسوا .

و « الاستاذ حسين خضر » يقدم لنا فى كتابه هذا ، بحثا اصيلا مبتكرا ، يقوم على اساس من الدراسة الفسيولوجية والسيكلوجية واللغوية للجهاز الصوتى واداة النطق والتعبير . ويبسط وسائل العلاج باسلوب دقيق واضح وقد عرض كتابه هذا على عدد من ذوى الراى فقدروه حق قدره ، وكتب حضرة « الاستاذ لطفى رضوان : وكيل الدولة » كلمة تصدير بين فيها خطر اللسان باعتباره اداة الكلام .

« وكل من يصغر من شأن الكلام والمتكلمين ، بحسب الكلام ذبذبة لموجات الهواء او اصواتا وانغاما ، مع أن الكلام هو حضارة الامم ، وفنها وعلمها ، ووسيلتها الى التبادل والتعاون ..

« والكلمة الوجيزة الصغيرة التى تسمى الشعار ، قد تكون وحدها العامل فى كسب الناس او تنفيرهم ، من الجيوش والاساطيل .

« لذلك اصبح واجبنا ، ان نعنى بالكلام ، فنحتفل بالجهاز الذى يصدر منه وهو الحلق واللسان والحنجرة ، وبالطريق الذى يؤدى بها ، وبالذين يسمعون ويتاثرون به

« ومن ثم كان الاستاذ حسين خضر ، جديرا بالتهنئة على كتابه الذى يشق به ميدان هذا البحث البكر »

اما الكتاب الثانى ، للطبيب الاخصائى فى الامراض الصدرية ، هو « الدكتور نجيب اسعد » الذى تعرف له الدوائر الطبية فى مصر والخارج ، مكانته بين الاطباء الذين اتخذوا البحث العلمى رسالة وهواية ، ووجدوا لذاتهم فى متابعة النضال من اجل انقاذ البشرية مما تعانيه من الداء الوبيل .

وقد انشرت ابحاثه عددا من المجلدات الهامة والمؤلفات ذات القيمة فى الامراض الصدرية ، اداءها فى المؤتمرات والمجلات العلمية لكنه فى كتابه الجديد ، لا يتحدث الى الاطباء بل يوجه الحديث الى الجمهور ، ويحمل اليه احدث الاراء فى الوقاية والعلاج من الامراض الصدرية على اختلاف انواعها ، من الزكام البسيط الى السل ، محاولا فى كل منها الى طرق الوقاية ، ويبين ما وصل اليه ائمة الطب فى ميدان العلاج

اما كتاب « صحة الطفل » فهو حلقة أولى من « مجموعة الثقافة الصحية » التى تصدرها « دار المعارف » بعنوان : « فى فهم الطبيب » ويشرف عليها « الدكتور سليمان عزمى »

وفى هذه الحلقة ، يعرض « الدكتور حبيب صادق » خلاصة تجاربه مدى عشرين عاما فى العربية فى السنة الواحدة ، لا يقلون – اوما « صحة الطفل » ، واذا علمنا أن مواليد البلاد العربية فى السنة الواحدة لا يقلون – فيما يقول الدكتور صادق – عن مليون ، وان ثلثى هؤلاء يموتون فى سن الطفولة ، ادركنا اهمية كتاب كهذا ، يشرح طرق العناية بالطفل جنينا ووليدا ورضيعا ، ويرشد الام الى اصح الطرق لتغذيته وتربيته ورعايته ، باسلوب سهل مبسط ، توضحه الصور والرسوم

ويقول « الدكتور صادق » فى مقدمة كتابه : ان جهل الام بمسالة بسيطة من مسائل العناية بالطفل ، قد يؤدى الى ضياع مئات الالوف

« ومسئولية هذه الخسارة الكبيرة تقع علينا نحن رجال العصر الذين اننا نعمل دائما لانهاض المجتمع ورقيه ، فماذا فعلنا لمساعدة هذه الام المسكينة ولحماية طفلها الذى هو امل ما فى الكون عليها وعلينا !

« ان الشعوب الراقية تتسابق متفانية فى نواحى الحياة ، وتضحى بكل ما لديها من قوى مادية ومعنوية ، لحماية الطفل وامه ، للتنعم والتقدم . . »

والكتاب الرابع فى مجموعة اليوم يتحدث فيه « الدكتور منير شكرى » الى عامة المثقفين عن واجب الانسان نحو اخيه الانسان المحتاج الى الغاثة او اسعاف ، وهو واجب نستطيع ان ننهض به على خير وجه ، اذا ما صدقت نيتنا على ادائه ، والممنا بمبادىء الاسعاف الاولى التى يشرحها لنا « الدكتور شكرى » فى كتابه شرحا عمليا يجعلها سهلة الفهم قريبة المنال ، متجنبا المصطلحات الطبية والتعبيرات الفنية قدر المستطاع ، ومتبعا احدث الاساليب فى الاسعاف

و « الدكتور شكرى » لا ينظر الى الاسعاف من ناحية الخدمة التى يؤديها الفرد للغير فحسب ، وانما يرى فى التدريب على الاسعاف وسيلة لتربية الشخصية ، وتكوين المواطن الصالح ، ولذلك يلح حضرته فى الدعوة الى تدريب الشباب على الاسعاف ، لتثير انبل ما فى نفوسهم من نجدة ونخوة ومروءة ، وتبث فيهم روح التعاون والايثار ، فضلا عما يكسبون من لباقة ومهارة ، وسرعة خاطر ، وقوة ملاحظة

بنت الشاطىء
من الاهرام

التاريخ : ١٧ / ٨ / ١٩٥٣

كتب جديدة

في التراجم والشخصيات

١ – ابن خلدون : حياته وتراثه الفكرى – مطبعة مصر بالقاهرة
٢ – رائد الشعر الحديث – المطبعة المنيرية بالازهر
٣ – بنو خفاجه ، وتاريخهم السياسى والادبى – المطبعة المنيرية بالازهر

في الوقت الذى يصيح فيه الشاكون من كساد البضاعة الادبية ، تظهر طبعة ثانية من كتاب « ابن خلدون : حياته وتراثه الفكرى » معلنة ان المؤلفات القيمة تجد قراءها حتى في زمن الكساد .

والحق ان « الاستاذ محمد عبد الله عنان » جدير بهذه المنزلة عند القراء المثقفين ، فلقد اتسمت دراساته التاريخية بالجد والرزانة ، ودقة التناول ، ونقد الاحداث ، مع حسن الاداء ، وان المكتبة العربية لتذكر له ما زودها به من مؤلفات في « تاريخ الاندلس » كان اهمها لجيل ، اى لجيل ، في تعريف الشباب بهذه القطعة من تاريخنا المجيد ، ولفتهم الى ما ترك اجدادنا العرب المسلمون من تراث حى ، بهر اعين الغرب وكان عنصرا جوهريا في الحضارة الاوربية التى ازدهرت في عصر النهضة والاحياء اثرا لاتصال الغربيين بالحضارة العربية من طريق القسطنطينية واسبانيا .

وقد اتاح له هذا التخصص في التاريخ الاندلسى ، اتصالا قريبا بالمغرب ، ومعرفة بالاعلام من رجاله ، فكان من اوائل الذين استجابوا للدعوة الكريمة الى احياء ذكرى « ابن خلدون » عام ١٩٣٢ ، لمناسبة انقضاء ستمائة عام على مولده ، مقدرا بذلك واجب مصر نحو هذا الرجل الذى اتخذها مقام شيخوخته ومثوى رفاته .

ولم يشأ « الاستاذ عنان » ان يكتفى في الاحتفال بذكرى ابن خلدون ، بمقالة تنشر او خطبة تذاع ، بل قدم الى قراء العربية سفرا قيما من حياة الشيخ وآثاره الفكرية ، رأوا فيه طرازا عاليا من البحث التاريخى الادبى في ذلك الامس البعيد الذى كان يعنى « التاريخ الاسلامى » لا يزال يعيش عندنا في الدور القصصى ، او يقوم على جمع شتات المرويات والاخبار ، جمعا آليا ، لا يميز الخبيث من الطيب ولا الحق من الباطل .

واليوم تظهر الطبعة الثانية من الكتاب ، مزيدا ومنقحة ، قد انضجتها عشرون عاما قضاها « الاستاذ عنان » في الدرس والبحث وجد خلالها ما جد من مناهج وابحاث ومكتشفات ، صححت بعض ما عرفنا من ابن خلدون ، او زادتنا علما به .

وتتميز الطبعة الجديدة الى جانب هذا ، بملحق للتراجم التى كتبها المؤلفون المصريون المعاصرون للشيخ – واكثرها لا يزال مخطوطا – وكذلك الترجمة التى وضعها له صديقه ومعاصره ، ابن الخطيب الاندلسى .

وجاءت هذه الطبعة ايضا ، بنماذج مصورة من خط ابن خلدون في مختلف ادوار حياته وهذه بلا ريب خطوة من خطوات التحقيق المنهجى لتراث الشيخ ، وتيسير الاصيل منه .

واحسب ان « الاستاذ عنان » ، يجد ثوابه على ما بذل من جهد ، في تقدير القراء للطبعة الاولى التى ترجمت الى الانجليزية ونشرت ثلاث مرات ، آخرها في الهند ، عام ١٩٤٦ .

والكتاب الثانى في مجموعة اليوم ، يترجم للشاعر المصرى المغترب « الدكتور احمد زكى ابو شادى » الذى ملأ رحب ارجاء الوادى اصداء من شكوه الزهر ، وهو يلاقى الحياة الكادحة هنا بحسه المرهف ووجدانه الرقيق او يكابدها في المهجر غريبا شاب منه الفؤاد .

وقد يختلف النقاد على الاعتراف بالدكتور زكى وحده رائدا للشعر الحديث ، لكنهم فيما يحسبون على تقدير مكانه المرموق بين شعراء العصر الحديث ، والاعتراف بمدرسته الادبية « ابولو » التى اودعها ثغر الاسكندرية حينا من الدهر .

وقد عكف « الاستاذ محمد عبد المنعم خفاجى : استاذ الادب بكلية اللغة العربية في الازهر » على دراسة حياة هذا الشاعر الكبير ورأى فيه « رائد الشعر الحديث » الذى عاش في وطنه مؤمنا برسالة التجديد والاصلاح والحرية ، داعيا الى النهضة واليقظة والبعث مبشرا بالعدالة الاجتماعية والحرية الفكرية والاخاء الانسانى ، ثم عجز عن مواصلة هذا الكفاح في وطنه ، فهاجر الى امريكا مواصلا كفاحه الفكرى والادبى .

والاستاذ « خفاجى » لا يكتم اعجابه بصاحبه ولا يحاول ان يخفى تقديره له او يدعى نزاهة البحث المبرأ من الهوى ، ولقد ترك – بطبيعة الحال – انروف الكتاب ، فجاء يصور انسب بمعرض مجلوة ، تشيد بعبقرية الشاعر ، وتبرز آراءه في الادب والحياة ، وتمجد دعوته الى التجديد والاحياء . على انه حرص في هذا كله ، على الا يرسل دعواه غير مؤيدة بالشواهد من شعر ابى شادى ، او يرتجل عبارات الثناء والتقدير دون دراسة وتتبع لتراثه الفنى .

وقد صدره حديثه بابيات سائرة « لعلى بن الجهم » يقول فيها :

وارحمتا للغريب في البلد النـ ... ـازح ، ماذا بنفسه صنعا !
فارق احبابه ، فما انتفعوا ... بالعيش من بعده ، ولا انتفعا

وظهر للاستاذ « خفاجى » كذلك ، مجلد جديد ، يحوى الاجزاء من السادس الى التاسع من الموسوعة الجامعة التى يتابع اخراجها عن « بنى خفاجه ، وتاريخهم السياسى والادبى » .

واحسبنى اقربت من تقديرى لهذا الاتجاه الكريم ، حين قدمت الى القراء المجلد الاول من هذا الكتاب منذ اعوام ، للدارسين الادب العربى والتاريخ الاسلامى ، يعرفون من تلك الاسرة رجالا اعلاما ، خدموا العربية بجهودهم اللغوية والعلمية ، وكانت اهم امجادهم الشهابية منذ قرون ذات عدد . فاهتمام الاستاذ خفاجى بجمع آثارهم ، واقامة ما طوى من صفحات مجدهم العلمى والادبى ، لون من الوفاء المثمر ، الذى يضع بين ايدى الدارسين مادة من مواد الدرس التاريخى والادبى ، فضلا عما فيه من دروس وعبر ينتفع بها الاحفاد جيلا بعد جيل ، اذ يشعرون بما عليهم من تبعة ادبية تدفعهم الى العمل الجاد ، ليكونوا جديرين بالآباء الامجاد .

وما اجهل ان « الاستاذ خفاجى » حريص على نشر المجهول من تاريخ اجداده ، لكن هذا لا يمنع بحال ما ، دون تقدير الجهد الذى بذله ، والهدف النبيل الذى يسعى اليه

بنت الشاطئ

من الامثاء

التاريخ : ٣٠ / ٨ / ١٩٥٣

كتب جديدة

في المكتبة القصصية

١ ـ قنابل : مطبعة الهلال بالقاهرة
٢ ـ آمال ضائعة : مطبعة نهضة مصر بالقاهرة

ظهرت مسرحية « قنابل » باللغة العامية المصرية عام ١٩٤٣ شاهدة بمدى اتصال الاستاذ الكبير « محمود تيمور » بالحياة ، وانفعاله بها ، وحرصه على ان يشارك الادب في التعبير عما انتابنا من هول وما ذقنا من فزع ، حين كانت الطائرات الحربية تلاقي في سمائنا الصافية ، وتقذف ارضنا الطيبة بالدمار .

واليوم تظهر طبعة جديدة منها ذات نسختين : احداهما بالعربية الاصيلة ، والاخرى بالعربية الفصحى ، مع مقدمة للاستاذ « زكي طليمات » يقدم فيها دراسة تحليلية للمسرحية

والاستاذ « تيمور » في غنى عن التنويه بما في قصصه هذه من عمق المغزى ودقة التصوير وبراعة الحوار ، فقد بلغ حظه من ذلك ما وضعه في المكان الاول بين كتاب القصة المصرية التي تعرف له فضله ، وتعترف به رائدا ، للتدع ؟! ، ولنسأل عن السبب الذي من اجله اعاد تيمور كتابة قصته بالفصحى بعد نحو عشرة اعوام من ظهورها بالعامية .

لم اظفر بجواب صريح عن هذا ، فالاستاذ تيمور قد سكت عنه عامدا فيما يبدو لي ، ولم يبق الا ان نفترض الفروض !

من الواضح ان الاستاذ لا يريد بتلك الطبعة الجديدة ، ان يدل على تمكنه من الفصحى ، فما هو بالمجهول المكانة فيها ، ولا فينا من يجحد مقدرته على الاداء الجزل المثالية نقية . . .

وواضح كذلك ، انه لا يقصد الترفع عن لغة بيئة اختارها مثل حمل القلم ، ليأخذ منها مادة لفنه وموضوع ادبه وابطال قصصه وانه ليشاركنا الايمان بان هذه البيئة امدته بأروع الصور ، وألهمته بما لم يتح لسواه ممن نبذوها ، ووهبت له تلك المنزلة المرموقة التي يشغلها فيما ادبنا المصري الحديث .

بقي الآن ان نلتمس الجواب عند « الاستاذ طليمات » . اذ يقول في تقديمه للكتاب :

« ان المسرحية سمت في مرماها على ان تكون سجلا لمعالم جيل سمات بيئة » . . .

فهل من « السمو على سمات البيئة » ان نصاغ ثانية بغير لغة البيئة ! !

احسب ان « الاستاذ طليمات » ظلم اديبنا الكبير من حيث اراد ان ينصفه ! ذلك لاننا اذا جردنا تيمور ، من ميزة اتصاله بالبيئة المصرية ، وصدقه الفني في التعبير عن مشاعرها الخاصة ووجدانها المميز ، وامانته في رسم ناحية من نواحي هذه الحياة المصرية « بلهوها وجدها ، ومشاعرها وسخريتها » ـ كما يقول طليمات ـ اقول اذا جردنا تيمور من هذه الميزة فاننا نسلبه امر مقومات فنه ، ونسلكه في غمار كتاب آخرين ، يتنكرون لبيئتهم ، ويعيشون في غير زمانهم .

لقد وجه طليمات هذه المسرحية المصرية الجميلة في بساطتها ، المعبرة عن اضطراب الحياة عندنا على ضجيج القنابل ، توجيها غريبا ، بمحاولته بالسمو على سمات البيئة والترفع على حياة الجيل ، كما ... موضوع المسرحية للسنة معقدة ، حين جعله نضالا بين « العقل الذي يؤمن بان الموت نهاية محتومة فلا خوف منه ولا مفر والغريزة التي تتجاهل هذا وتفزع منه وتحاول ان تفر من مقدمة ! » ص ٨

وهو نضال موهوم فيما نرى ، لنفس صحيحا ان عقولنا « لا تخاف الموت » وانما نرى فيه « ذلك الالم الممتع الذي يساور الانسانية من الازل الاول » ص ١٢

واية لذة في ذلك الالم المرهوب ؟ وماذا يعرف العقل عن الموت حتى يطمئن اليه ويستطيع به ولا يخشاه ؟ وماذا الكشف عن لهبة المحجب حتى يتأمل غريزتنا الخائفة من ذلك المصير ، المتشبثة بالبقاء !

ولكن ، أي ذنب لتيمور فيما كتب طليمات عن « قنابل » ذات الفكرة الجميلة في بساطتها وصدقها ؟ ! ذنبه انه قدم مسرحية بحديث الاستاذ طليمات ، دون ان يناقشه او يعلن براءته من تهمة « السمو على البيئة والترفع عن الجيل » .

فكأنما اقر بها . . .

ومن ثم جاز لنا ان نؤاخذه ، ونسائله هذا الا اننا نرى في « تيمور » كاتبا مصريا اصيلا ، ورائدا للقصة التي تخلد سمات بيئتنا وتسجل حياة جيلنا بما فيها من هموم ومشاكل و . . . فكاهات ! .

عائشة

التاريخ : ٣٠ / ٨ / ١٩٥٣

(٢)

اما « آمال ضائعة » فهى المجموعة القصصية الثالثة للاديب « سعد حامد » يقدم فيها عشر اقاصيص عاطفية ، ذات اسلوب خاص وقد غلب على جوها طابع المأساة ، ولعل القارىء يلحظ هذا منذ البداية ، فى العنوان ثم فى العبارة التى اختارها الاديب شعارا لقصصه ، وهى قول « توماس هاردى » :

لم تتم السعادة ! ولم تذبل الآمال التى تغرسها ! ... ما اقسى تلك القوى المجهولة المتحكمة لم تترك زهور السعادة بدل اشواك الآلام فى طريق الحياة !

لماذا مضى القارىء فى الطالعة ، التى امامه صورا من هذه الآلام اللاذعة ، تدور جميعها فى مدار واحد هو « الحب الفاشل » وتتشابه كلها فى طريقة الاداء ، اذ يرويها الراوى موجها الخطاب الى احد اصدقائه ، فى اسلوب بادى التشاؤم ، يعرض الحياة من زاويتها الكئيبة فحسب .

وللاديب سوء الظن بالمرأة اساءة فادحة تبدو بشاعتها فى قصص : « حنان لهذا لها ثمن » ، « الشهيدة عزيزة » ، « العذارى الرخيصة » ، ثم تبلغ فى قصتى « معلمة الغرام » و « بومبيات زائفة تزوجت » حدا فيه غلو وسرف ، وعدوان على الصدق الفنى ، بحيث يكاد القارىء يطمئن الى انهما من صنع خيال مسموم

وما اجد نافى على « آمال ضائعة » هو ايضا التشابه القوى بين اكثر قصصها . ولست اعنى التشابه العام فى الموضوع او اسلوب العرض ، وانما اعنى التماثل الذى يكاد يجعل احدى القصص نسخة مكررة من قصة اخرى ، كالذى فى قصتى « هارب من الحب » و « الحلوى الرخيصة » حيث نرى البطل فى كلتيهما زاهدا فى حب شابة جميلة جنت به غراما ، وكالذى فى قصص « الشهيدة عزيزة » و « معلمة الغرام » و « بومبيات زائفة تزوجت » حيث نرى البطلة تعبث بالمقدس الحرمات

وربما وجد القارىء فى قصة « احدى بنات الليل » بعض الانصاف لانثى تواجهنا كاسية مريبة ، لكن هذه الصورة تتضاءل حتى تكاد تختفى وراء صورة اخرى بشعة ، هى صورة امرأة حطمت حياة طفلة بريئة ، دون ان يبدى لنا الكاتب سر هذا الحقد الفاجر واى ثمن كانت تبتغيه من وراء تحريض الصبية البريئة على التمرد على اهلها والانحراف الى طريق الهاوية .

وبعد فلعل الاديب يعتذر من هذه الاخطاء بانه ما كتب الا متأثرا بتجربته الخاصة التى كشفت له عن ابشع ما فى النساء وافجع ما فى الحياة ، لكنه كان يستطيع رغم هذا ، الا يجرد بطلات قصصه من عنصر الانسانية ، وان يقدر ان البشرية لا تنحط الى دركة الشياطين وان لم تسم الى قدس الملائكة !

بنت الشاطىء
من الاهرام

١

التاريخ : ٣١ / ٨ / ١٩٥٣

من بعيد . . .

عيد السلام

للدكتورة بنت الشاطئ

كنا قد امضينا اربعة ايام في عرض البحر لا نلمح لليابسة ظلا ولا نرى من معالم الحياة على الارض اي اثر ، اللهم الا بعض قطع متراكبة من السحاب ، تلوح على البعد كأنها بعض الجبال . . .

كنت قد استكثرت ان تقطع بنا الباخرة ذلك الطريق الطويل من جنوب البحر المتوسط الى اطراف بحر الشمال ، دون ان تتوقف لحظة ، او تستريح [illegible] ، علمت انها بدأت سيرها من اندونيسيا في الشرق ، [illegible] في هذه الرحلة بين مصر وهولندا ، لمسيرة هينة على جبابرة الماء . . !

ولم يكن رفاق السفر كثيرين ، اذ القت السفينة ركابها على مرفأ جدة ، حيث تركت هنالك الفا من مسلمي اندونيسيا ، عبروا من الشرق النائي الى بيت الله الحرام حجاجا عابدين ، وخلت من الركاب [illegible] اليوم من [illegible] الليل ، وقد لبثنا في الايام الاولى متباعدين ، لا نكاد نتبادل سوى التحية العابرة في قاعة الطعام او على ظهر المركب ، ثم اذا بنا نجتمع يوما ، ومعنا ربان الباخرة وبحارتها حول المذياع ، لنصغي في لهفة الى نبأ اعلان الهدنة في كوريا ، ولنتتبع المذيع وهو يحصي الارقام المفجعة للضحايا الذين اكلتهم نار الحرب في تلك البقعة النائية . .

وسكت المذيع . . .

وران علينا صمت خاشع ، ثم ما لبثنا ان تبادلنا التهنئة ، وقد جمعت بشرى الهدنة بيننا على اختلاف اجناسنا وتباين الواننا وتنائي اوطاننا ، وشعرنا جميعا اننا من اسرة واحدة هي هذه البشرية التي انهكتها الحروب وارهقها الحنين الى السلام . . .

وفي [illegible] لمح الربان الامهات [illegible] يحتضن اطفالهن في حنو غامر ، وقد شردت ابصارهن ولاحت لهن رؤيا قاسية ، تمثل لهن ملايين من الارامل والثواكل ، لم يذكر المذيع عنهن شيئا وهو يحصي ضحايا الحرب من قتلى واسرى ومفقودين ، ويقوم خسائرها الفادحة بالجنيه والدولار . . .

وبدا المشهد مثيرا : مشهد الامهات متشبثات بصغارهن ، وهن يتمثلن اولئك [illegible] على جثث الراحلين الاعزاء نظرة وداع ، ولحظ الربان [illegible] الاثر ، ثم تركنا ، وعاد بعد قليل متثاقلا بحمل من هدايا الاطفال ، فما ترك طفلا في السفينة الا اهدى اليه لعبته وحلواه . .

وضج المكان بمرح الصغار ، حتى تخلى الكبار عن وقارهم واندمجوا في هذا الحفل الذي اراد لنا الربان الهولندي ان نحتفل به بعهد السلام !

وفارقنا مضيق جبل طارق ، ولاحت لنا اليابسة على مرمى البصر من يمين وشمال ، فرحنا نتذاكر ما سال على ارض هذا المعبر من دماء ، وكدنا نسلم انفسنا من جديد الى ذكريات مرة ورؤى قاسية تتمثل فيها البشرية وهي تتخبط في هذا المضيق الحرج ، لكن الربان ابى علينا ان نفعل ، فما زال يغري الصغار بملاعباته اللطيفة ليحول بيننا وبين الكآبة ، والوجوم في يوم الهدنة . . . .

وحين تركنا متجها الى مكانه المفرد [illegible] السفينة وهي تجتاز المضيق ، ادركنا لماذا يكره لنا ان نيأس . .

لقد عبر في رحلته هذه عددا من المضايق ، في المحيط الهندي ، والبحر الاحمر والبحر المتوسط ، والمحيط الاطلسي او بحر الظلمات كما كان يسميه جغرافيو العرب ، [illegible] ييأس من طاقة البشرية على عبور المضايق واجتياز المآزق ، مهما يتحرج الموقف وتشتد الازمة !

ان الحياة كما يراها امثاله ، وكما رأيناها نحن الذين ركبنا البحر ، [illegible] ، كفاح متصل عنيف ضد الامواج العاتية والاعاصير الهوجاء ، واصرار عنيد على الظفر بالنجاة وبلوغ الغاية في امان ، واليأس عند هؤلاء ليس له الا معنى واحد هو الموت ، والعالم اراد ، ولن يعز على الانسانية شيء اي شيء ، اذا هي ارادته وصممت على نيله .

وهذه الانسانية تحلم بالسلام منذ كانت ، وترنو اليه كلما وقفت في اثر من حروبها تعد الضحايا وتحصي الخسائر ، وقد طال عليها الامد وهي تعبر المضيق الى المضيق في بحار من الظلمات ، وما تزال الغاية بعيدة ، والموج عات ، والسير جد عسير

وربما ضل بها السعي وتاهت معالم طريقها في متاهات الضباب ، فمضت تخبط خبط عشواء ، لكنها لم ولن تفقد الامل في الخروج من المأزق الحرج ، ما دام يراودها ذلك الحلم في النجاة ، ويغريها بالنضال من اجل السلام !

ويزعم ناس ان الانسانية قد سكنت الى راحة اليأس بعد ان اعياها [illegible] المطامع وتركتها الحروب المتتابعة كليلة مجهدة ، ولو صح ما زعموا لكان هذا آخر عهد البشرية بالحياة ، ولرأيناها اليوم تستسلم للفناء استسلام العاجز المنتحر ، لكنها ما تزال امامنا جادة في التعمير حريصة على البناء ، وما تزال الارحام تخرج الى الدنيا في كل لحظة الوفا لا تحصى من اجنة البشرية ، وما هكذا يكون حال اليائس من غد اسعد ، وعالم افضل .

التاريخ : ١٢ / ٩ / ١٩٥٣

من بعيد

كنوزنا المبعثرة

للدكتورة بنت الشاطئ

في مثل هذا الموسم من عام ١٩٤٩ ، كنا نزور مدينة «تورينو» في شمال ايطاليا ، فلم يكد الدليل يعرف اننا مصريون ، حتى قادنا الى زيارة «متحف مصري» قائم في شارع جانبي من شوارع المدينة وهنالك رأيتني ازاء آثار لنا من عهد الفراعين الاولى أمام البناء الضخم الذي كاد يضيق على سعته بما أودع فيه من كنوز ، وتساءلت يومئذ : ترى هل يعرف أولو الامر عندنا خبر هذا الكنز الضائع ! وهل عندهم علم بما أودع من « موميات » لم تمس ، وتوابيت لا تزال مغلقة كما تركها أجدادنا منذ ما لا يحصى من السنين ! وأي كنوز لنا بارى مبعثرة في أنحاء الغرب ؛ اذا كان هذا المقدار الضخم من آثارنا ، نصيب مدينة كهذه ، ليست عاصمة ايطاليا ، ولا هي من مدنها ذات الصلة الخاصة بمصر ، أو ذات الشهرة في المتاحف التاريخية !

واليوم أمضيت ساعات الصباح في جولة بمتحف « الجليبتوتيك » الفخم بميدان دانتي في مدينة «كوبنهاجن» عاصمة الدنمرك .. وما كان يخطر ببالي قط ، وأنا أعبر قاعات الجناح الايمن من المتحف ، حيث مجموعة رائعة من التماثيل ، انني ساجد نفسي أمام كنز آخر من كنوزنا الثمينة التي أحتجنها أحشاء الوادي مئات من القرون لم شردتها يد الزمن والقت بها هنا في الاطراف النائية من شمال أوربا ، غريبة عن وطنها .

ولست الخبيرة بقيمة هذه الآثار المغتربة المبعثرة التي أرى من بينها هنا - كما رأيت في المتحف المصري بتورينو - موميات لم تفك عنها لفائفها ، وتوابيت لم يرفع عنها غطاؤها ، ومجموعات نادرة من مختلف الآثار الفرعونية تملأ هذا الجناح الكبير ذا القاعات الخمس ..

أرى هذا كله ، فأتساءل كما تساءلت منذ أربع سنوات : ما مبلغ علم قومي بهذه الكنوز المبعثرة ! ومن من رجال الآثار عندنا خطر له أن يشد الرحال الى ذلك الشمال البعيد ، ليحصي تراثنا هنا ويقوم كل قطعة فيه ! وهل خطر لأحد ممثلي مصر في الدول الاسكندنافية أن يولد من رجاله - الذين يضجرهم الفراغ هنا ويشردنا ما ننفق عليهم - لكي يشغل بعض أيامه بزيارة آثارنا المغتربة ، وينقل نسخة من فهارس المتاحف التي تملك شيئا منها ! !

▲▲▲

ان وجودها في متاحف الغرب دعاية طيبة لنا ولوطننا ومصر بما لا شك فيه في الحضارة والفن عريق ؛ وان حرص هذه الدول الاوربية على اقتناء بعض آثارنا والاحتفال بها ، وتخصيص متاحف لها ، لجدير بأن يبعث على الرضا والارتياح ويثير فينا شعور الاعتزاز بمصريتنا من قوم يجهلون حاضرنا وقد يجحدون حقنا في الوجود الكريم ، لكن هذا كله لا يمنعه من أن نحرص على أن يعرفنا بحاضرنا ، ويراعينا الأمين في الحرص على أحصاء آثارنا الغريبة ودراسة كل أثر منها ، ومحاولة الاهتداء الى طريقة تسربه من مصر ، ثم بذل الجهد - كل الجهد - في الاتفاق الودي مع الدول التي تقتني قطعا أثرية نادرة لا نملك نحن مثلها ، على تبادلها أو استبدالها بقطع أخرى ذات قيمة ، لكي نرد الآثار الفريدة المغتربة الى وطنها ونأوي الى حماها ..

لقد خيل لي وأنا أحدق في كل موميات هنا انها ترنو الينا - نحن أهلها - بنظرات حزينة ملؤها الأسى والشجن وحسرة الحنين ، وتكاد - لو نطقت - تضرع الينا أن نردها الى الوادي الأمين ، حيث أرواحها هائمة هناك مشردة ، تبحث عن أجسادها التي أودعت منذ الآلاف السنين في الثرى الطيب ، ثم أوصدت عليها أبوابها برقى السحرة ، وتعاويذ الكهان !

ولقد عاش أولئك الاجداد الامجاد ما عاشوا يحلمون بالخلود ، ويرجون البعث ، ويشغلون باستنباط الوسائل التي تحمي أجسادهم من البلى ، وترد عنها عادية الزمن ، وتذود أيدي اللصوص ! ومن حق الجدود علينا - وقد أورثونا أعز تراث وأروعه ، وأشهدوا الدنيا منذ فجر التاريخ أننا أهل لكل مزية في الحياة - من حقهم علينا أن نقدس ذكراهم الغالية ، ونحرص على وصيتهم الكريمة ، في أن تظل أجسادهم وآثارهم أبدا في وطنها الحبيب : مسرى أرواحهم الكبار ، ومثابة آمالهم في الخلود !!

▲▲▲

واذا كان منا من يستهين بمثل هذه المعاني العاطفية والروحية في زمان المادة وعصر الذرة فقد بقي أننا ملزمون بأن نستكمل بهذه الآثار المبعثرة ، كتاب تاريخنا العريق ؛ لكي نلقى به هذا العالم الذي كاد ينسى ما تدين به البشرية لمصر : مهد الحضارة ، ورائدة النور في عهود الظلمات ؛ قبل أن تدري الدنيا ما المدنية ، وما الحياة !!

التاريخ : ١٤ / ٩ / ١٩٥٣

كتب جديدة

فى الفقه الإسلامى

١ ـ فقه الاسلام
٢ ـ الدرر البهية ، فى فقه المالكية

هى محاولة كريمة اراد بها « الاستاذ حسن الخطيب » خدمة الشريعة الغراء ، واذاعها فى سفر كبير سماه « فقه الاسلام : سمو مبادئه ، وصيانة قواعده ، وتعدد مزاياه ومحاسنه » داعيا فى حرارة وحماس الى الاهتداء بهدى هذا الفقه ، والرجوع اليه فى كل ما يلقانا من مشكلات الحياة .

ولقد قدم الاستاذ الخطيب كتابه هذا قائلا :

« ان من اعظم نعم الله على عباده ، ان خلقهم ثم لم يتركهم سدى ، فأوحى لهم بالشرائع المثلى فى كتبه المنزلة على رسله الاكرمين ، وكان اشمل هذه الشرائع واعمها نفعا وارسخها قدما وابعدها اثرا واتصالها بالمبادىء السامية والاحكام العادلة والسياسة النافعة ، وابقاها على مر الدهور والاعصار تلك الشريعة الاسلامية فكان حقا علينا معشر المسلمين ان نحرص عليها ، لانها كفيلة برد الحائر وبعث العزة والحياة الصالحة فى الامم »

الى ان قال :

« ان علينا معشر العلماء والباحثين دينا كبيرا اذ تركنا هذه الدرر مخبأة فى اصدافها لايستطيع الوصول اليها الا القليل ، وتلك الازاهر الناضرات تصوح ، ومن حولها الاشواك تعوق الراغبين وتمنع الطالبين

« ونحن فى نفسى ان ارى الشريعة الاسلامية مع ما لها من الحظ الاوفى والنصيب الاسمى والثراء الذى لاحد له ، تجد فى غير الجامعة الازهرية ما يجب لها من عناية وتمحيص » ص ٣ : ٥ .

ولعل فى هذه العبارات ـ التى حرصت على نقلها ـ ما يغنينى عن حديث طويل فى بيان موضوع الكتاب ، واسلوبه ، ومنهجه .

وما اكرم هذه الدعوة التى يجدد لها الاستاذ قلمه وفكره ، ويخدمها الخدمة الصادقة بمثل تلك الدراسة الواسعة المتينة ، التى قامت على خبرة طيبة بالفقه الاسلامى ، واتصال مباشر بمنابعه ومراجعه ، واطلاع على كثير مما كتبه عنه المعاصرون ، من شرقيين ومستشرقين

وتنسق الاستاذ مادة كتابه فى ابواب سبعة : يتحدث اولها عن اصول التشريع الاسلامى ، ويعرض الثانى والثالث الادلة المتفق عليها واسباب اختلاف العلماء فى الاحكام الشرعية ، واختص الرابع بالقواعد الفقهية فى التشريع الاسلامى ، والخامس فى بيان محاسن الشريعة ومزاياها ، ثم مضى المؤلف بعد هذا يتحدث عن التشريع الاسلامى وحرية الاجتهاد والنظر فى الباب الاخير الى بعض بحوث ومشكلات من الشريعة الاسلامية .

والكتاب كدعوة الى الاخذ بالشريعة الاسلامية فى حياتنا الاجتماعية والعامة ، يحقق غايته ويبلغ من التوفيق لها مبلغا جديرا بالتقدير ، وقد دل على المام طيب بالموضوع ، واخلاص واتساع للفكرة ، مع مراعاة التنظيم وتحسس فى الاسلوب حتى ليوصف الناقد اذا اثر ان يستبدل بعنوان الكتاب عنوانا آخر ادل عليه مثل « دفاع عن الفقه الاسلامى » وهو ما يتسق مع قول المؤلف فى المقدمة : « ومن اجل هذا حرصت على ابراز محاسن الشريعة .. وبيان ما يثبت انها صالحة للامم فى كل عصر » ص ا

اما انه كبحث فقهى علمى ، فلا يخفى عليه ان المؤلف يقدم للدرس متأثرا ـ بادىء ذى بدء ـ باحكام عامة غير محددة ، ويدخل الميدان متهما بقضايا لايكاد يبدو انه يقبل فيها مناقشة ، اذ يقدر ان هناك من المشتغلين بهذا الموضوع من ليس له مثل اقتناع المؤلف ومن هنا نجد فى اكثر صفحات الكتاب احكاما بارزة جازمة حاسمة ، ونكثر ـ كما رأيت فيما نقلنا من عبارات المؤلف ـ اعدل التفضيل كثرة صريحة ، ويشيع استعمال « الكلمات » التى يحرص الدرس المنهجى على تجنبها قدر المستطاع .

ولا غض من هذا كله على كتاب ينشر لبيان مزايا التشريع الاسلامى ، لكنا اذا اردنا ان نلقى به فقهاء القانون ورجال التشريع ، وفيهم من ليسوا كذلك تمحيصا وانصافا ـ فمن الواجب ان نتناول البحث تناولا منهجيا ، بحيث ندخل ميدان الدرس دخول من يريد البحث الحر ، لا من يصر على ان يفرض رأيا بعينه .

ونرى خيرا من ان نتناول حتى نجعل قارئه يقتنع بمزايا الشريعة الاسلامية ، ومن ان نعطيه عناوين مثل : « سلامة الامم وامنها وسعادتها كفالة الحدود الشرعية ـ ٢٩٢ ـ الشريعة الاسلامية امثل الشرائع السماوية وامامها .. ـ ص ٢ : ٦ ـ المالكية على جميع ما يحتاج اليه الافراد والجماعات ـ ص ١٧٧ ، الخ

ولو ان الاستاذ [illegible] « [illegible] » : « [illegible] » [illegible]

التاريخ : ١٤ / ٩ / ١٩٥٣

ان كل الناس مدو له ، آثر صبحا اصول الدارس والاتباع ، ولما اكتفى مثلا بأن يتحدث عن « الشريعة الاسلامية وتحرزها لمقاصد التشريع الحديث » في صفحة واحدة (١٠٢) وعن « نقص الشرائع الحديثة ومساويها ، وكمال الشريعة الاسلامية » في صفحتين اثنين (١٠٤ : ١٠٦) ولما رد دعوى تأثر الفقه الاسلامي بالقانون الروماني » في بضع صفحات معدودات (٢٦٥ : ٢٧٦)

بقيت كلمة عتاب ، وهي ان الاستاذ الخطيب وصف حال المرأة قبل الاسلام بقوله : « يقص علينا التاريخ الصادق ان المرأة قبل الاسلام عند امم الارض جميعا كانت تعاني الوانا من الظلم والاستعباد تنافي انسانيتها ولا تتفق مع مكانتها في المجتمع ، فقد كانت تباع وتشترى كالبهيمة والمتاع ، وتورث ولا ترث ، وتكره على الزواج وعلى البغاء ، وتملك ولا تملك وكانت معظم الشرائع تبيح للوالد بيع ابنته » ص ٢١٨

وفي هذا ظلم للتاريخ الصادق اي ظلم ، لقد عرفت الانسانية من قديم الزمان للمرأة مكانتها ولم تعش عليها بالجاهلية في عهود الوثنية ، ولا بالعروش وقيادة الشعوب لها بعد ذلك ، كما اعترفت بما كان لها من عميق الاثر في صنع التاريخ وخلق الابطال ..

بنت الشاطئ
من الاهرام

التاريخ : ٢١ / ٩ / ١٩٥٣

كتب جديدة

فى المكتبة الاسلامية

١ – نظام الحكم فى الاسلام
٢ – تفسير سورة الانفال

اخرجت مطابع « دار الكتاب العربي » بحثا قيما من « نظام الحكم في الاسلام » القاه فضيلة الاستاذ « الشيخ صادق عرجون : شيخ معهد اسيوط الديني » على جمهور من اهل العلم والادب في قاعة المحاضرات بالمعهد ، فلمسوا فيه من سعة الافق ومرونة التفكير والاتصال بالحياة ، ما جعلهم يرجون طبع البحث ، وهذا هو بين ايدينا يعرض باسلوب قوى الحجة ، صورا لنظام الحكم في الاسلام من الوجهة التاريخية ، والسياسية ، والعملية .

وليس الموضوع في ذاته جديدا ، فلقد تناوله من قبل غير قليل من الباحثين ، وظهرت فيه مقالات ومؤلفات ذوات عدد ، لكن فضيلة الشيخ عرجون استطاع ببحثه هذا ان يصحح راى الناس في بعض شيوخ الدين ، وان يؤكد ان فيهم من تحرروا من الجمود ، واتصلوا باحداث الحياة المعاصرة ، وآمنوا انهم لن ينهضوا برسالتهم الدينية الكبرى ، اذا لم يخرجوا من صوامعهم الضيقة الى الافاق الرحبة دعاة اصلاح وقادة فكر . وبخاصة في هذا الزمن الذى تصرفت فيه روح الدين في نفوس كثيرين من تهريج مسيطر على اعمالهم وتصرفاتهم الى طقوس تعبدية لا تتصل من قريب او بعيد بطبيعة الاسلام !

ولقد مس فضيلته في مقدمة البحث ، مأساة الاستعمار الذى جد في القضاء على كل ما يتصل بدولة الاسلام ونظامه العام في التشريع ، مستغلا « تفرق كلمة المسلمين ونزوات الحكام والملوك المستبدين ، وجهلهم باصول الحكم الاسلامي جهلا ادى الى ان يحكم المسلمون بقوانين وتشريعات اجنبية عن طبيعتهم ، وطبيعة دينهم وتقاليدهم وعاداتهم واخلاقهم » . ص ٩

ثم التفت فضيلته الى جنود الاستعمار ، تعمل في تستر على الاذناب ، الذين اخذوا من علوم اوربا ومصادرها صورا تجعل من حاملها عبدا في تفكيره ، مع ان الشرق هو المعلم الاول للحضارة ، والمهد الطبيعى للمدنية .

وحاول فضيلته ان يكشف عن مشكلة الصراع بين العلم والدين ، ممهدا بذلك للحديث عن سماحة الاسلام ومرونته ، وقدرته على ان يساير تطور الزمن ويلبي حاجة العصر

ولقد ياخذ القارئ على فضيلته ، ان روح الحماس تغلبت على بعض نواحي البحث ، الى حد فيه ما يشبه الاسراف او العدوان على الحق ، كتلك الحملة القوية التى انكرت ما اسدى الغرب الى الانسانية من خير وجحدت فضله في رقى البشرية ، ولم تذكر سوى ان اوربا « مدت يدها الى الشرق الاسلامي فاستعمرته بجيوشها وافكارها ونشرت معارفها واسرار حضارتها ، وانها في هذا الشرق الاذناب وزعماء تربوا في احضانها ورضعوا حضارتها ، فكانوا موضع ثقتها ومحل عطفها .. وصورتهم في صورة العلماء الاحرار ، والابطال المفكرين ، والزعماء المصلحين والادباء المجددين »
من ص ١٠ : ص ١١

لكن فضيلة الاستاذ ، يكاد يدخل في صميم البحث ، حتى يتكلم باسلوب رصين قوى الاستدلال ، مع دقة في التناول وبراعة في العرض ، الى ان يصل بالبحث الى غايته ، وهى الدعوة الى ان نعود الى تاريخنا ومجدنا ونعمل بنظام الحكم الاسلامي .

وفى مكتبتنا اليوم ، « محاضرات في تفسير سورة الانفال » تلقيتها منذ اشهر فلم انشط لقراءتها رغم حرصى على الاستزادة من الثقافة الدينية ، وقراءة ما يصل الى يدى من كتب الفقه والتفسير . وما كان انصرافى عن هذه المحاضرات اول الامر ، الا ان صاحبها « الاستاذ مصطفى زيد : مدرس الشريعة المساعد بدار العلوم » يسلك في التفسير منهجا غير الذى تلقيته في الجامعة : فهو يفسر القرآن سورة سورة ، وانا من مدرسة ادبية تفسره موضوعات لا سورا ، فتعكف على تتبع الموضوع الواحد في المصحف كله ، وترتب آياته حسب تاريخ النزول ، فتبدأ بعد ذلك في تفسيرها ، مطمئنة الى ان القرآن يفسر بعضه بعضا ، وان فهم الآية منه لا يتم بغير التتبع الدقيق للاستعمال القرآنى لكل لفظ من الفاظها ، وهو منهج يغاير المألوف من تفسير السور

ثم لفتنى الى كتاب « الاستاذ زيد » احد طلابه الذين عرفوه وتتلمذوا ، فلمست اثرا لمحاضراته على اختلاف منهجينا ، ثم لم ادعه حتى اتممت قراءتها

وكان شعورى اثناء القراءة ، انى حيال دارس يشعر حرمة العلم ، ويدرك جلال الموضوع الذى تصدى له ، ويشعر في الوقت نفسه بدقته وخطره ، وبخاصة حين يلقى به طلابا ينتمون الى الجامعة ، ويعيشون في عصر الذرة !

و « سورة الانفال » هى احدى سور قليلة جمعت الى مبادئ القتال مبادئ السلام ، والى صفات المؤمنين المتقين ، صفات الكفار والمنافقين وضعاف الايمان .. ثم هى السورة التى وصفت « بدرا » وتحدثت عن النصر الاول في الاسلام ، ولقد نزلت بالمدينة اذ المسلمون الاولون حديثو عهد بالهجرة من مكة ، لكن لها من ذلك كله مايغرى « الاستاذ زيد » باختيارها لتكون موضوع هذه المحاضرات التى القاها على طلابه في دار العلوم

ولم يبدأ حضرته في تفسير السورة ، قبل ان يقدم بين يديها كلمات تناولت ، ما حول النص ، من مسائل ذات شأن في فهمه : فهل كل ما فيها مدنية ؟ وهل هناك مناسبة خاصة بينها وبين سورة الاعراف ، وهى السابقة لها في ترتيب مصحف عثمان ؟ وهل فيها ناسخ ومنسوخ ؟ ثم انتقل الى عرض آيات الانفال عرضا مجملا يغلب عليه الطابع الادبى في التناول والاداء معا ، ليعود بعد ذلك ليفسرها على نمط هو الى التفسير بالرأى اقرب منه الى التفسير بالمأثور ، مع مناقشة الروايات المختلفة في جرأة الرأى وشجاعة القول ، فلنسمعه في تفسير الآيات الكريمة : « اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم انى ممدكم بألف من الملائكة مردفين .. اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا ، سألقى في قلوب الذين كفروا الرعب ، فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان » من ص ٦١ : ص ٦٧

على ان البحث لم يخل من مواضع للمؤاخذة لحسن عرض الاستاذ زيد للناسخ والمنسوخ من آيات السورة ، تناول السابقة على مجمل لم انصرف عنها قبل ان يأتى فيها بما يقنع ،

لجانب مناقشته للامام ابى القاسم صاحب كتاب الناسخ والمنسوخ ، ملمسة بالحرية وارتجال الحكم (من ص ٦ : ص ٢١)

والاستاذ الفاضل حريص على دقة التعبير لكن التوليل يخطئه فى مواضع قليلة نفتقد فيها هذا الحرص ، مثل قوله فى ص ٦ : « اما ان يكون هذا التكلف وسيلة الى تقرير نسخ الاية بغيرها ، فهذا مالا يقبله احد » وقوله فى تفسير آية « واذا قيل منهم آباءنا قالوا سمعنا » « هكذا يؤكدون سماعهم مع انهم صم لايسمعون ولا يعقلون » ص ٢٥ وليس فى العبارة القرآنية تأكيد ما ...

وقوله فى ص ٦١ : « وهكذا الذى رواه الطبرى ، ويكاد يجمع على روايته المفسرون ، يتلى ما قاله بعض العلماء » الخ ، فهل العلماء هنا غير المفسرين ؟ واذا كانوا هم المفسرين ، فاين الاجماع او شبهه !

ثم لا ادع الحديث عن الكتاب ، دون ان اثنى على لفتة طيبة للمؤلف ، جعلته فى تفسير كلمة « يمددكم » يستأنس بدوران المادة فى القرآن (ص ٦٢) وكم ارجو ان يتجه هذا التناول المنهجى الدقيق فى تفسير الاستاذ الفاضل لآيات الكتاب الكريم المعجز !

بنت الشاطىء
من الامناء

التاريخ : ٢٦ / ٩ / ١٩٥٣

مشاهد لاهاي

قصر السلام

للدكتورة بنت الشاطىء

هكذا يسمونه في « لاهاي » وان كانت الدنيا تعرفه باسم « محكمة العدل الدولية » تلك التي ترنو اليها الانسانية في ثقة وامل ، وتتوجه بها النفس رجاء لها في العدل والسلام ...

سمعنا الوجه فور وصولنا ذكرنا بمحطات « هوية » الدائمة ، فاذا جمع لا يحصى عددها قد احتشدت هنالك في حديقته الرحيبة الجميلة ، تنتظر الاذن بالدخول الى « قدس العدالة » لتطوف بصاحب القصر الذي اختاره عالم اليوم ليكون مقرا لمحكمة الدول .

جمع من شتى الالوان والاجناس والالسن والازياء ، من سود وصفر وبيض ، امتزج فيهم الياباني والصيني والهندي والعربي ، والعرب بينهم حابطا من شعوب اوربا وامريكا ، اما يكد الزائر يمر باسم « بوشلدا » حتى يحج الى هذا القصر الذي امر به ، وراءه من امجد مفاخرها وابهى معالمها

وما كدت امضي بين هؤلاء الثابتة بعد الظهر ، حتى فتحت الابواب الموصدة ، فتدافع الجموع في الهدأة ، ولهم مشيتها الخشية من الرهبة ومن لسع الاذاء ان يمودونا من البهو الكبير الى قاعة المحكمة ذات الثريات الضخمة الزائدة ..

ولعل كثيرين منهم ، قد بهرهم القصر بأبهته ولخامته وروعة اثاثه ، فاثاروا اسماعهم الى الدليل وهو يتحدث عن مصدر هذا الرخام ، وراسم تلك اللوحة ، ومهدي هذه السجادة ، وصانع ذات التمثال ، ويحصي ما اهدت الدول الى « قصر السلام » تقديرا منها للدعوة الجليلة التي نهضت به ، والامل النبيل الذي عقد عليه

اما نحن فلم يعنينا هذا في كثير ، بل مضينا نتذاكر قصة التحكيم الدولي منذ بدئها ، وكيف تطورت حتى انتهت في ايامنا الى محكمة دولية للعدل ، مقرها هذا القصر الشامخ الذي يكشف بهاؤه ما عرفنا من قصور الملوك والسلاطين ..

ذكرنا كيف بدأت « الحكمة » خطوتها الاولى في اخريات القرن الماضي ، حين تداعت الشعوب الى وضع حد لحالة الرعب التي ارهقت البشرية بسبب التسلح ، فجعلتها تعيش من عام ١٨٧١ في عهد سلم مسلح The Period of Armed Peace

وشاءت الاقدار ان تنهض روسيا بهذه المهمة النبيلة ، وقد لبت الدول دعوة « نقولا الثاني » قيصر روسيا » الى عقد مؤتمر دولي لايقاف الزيادة المستمرة في التسلح ، لعقد ما يمكن ان يسمى اول مؤتمر للسلام في مدينة « لاهاي » في شهر مايو عام ١٨٩٩ ، وبالرغم من فشله في تحقيق غايته الاولى وهي تخفيض السلاح ، نجح المؤتمر كصرخة معبرة عن احتجاج البشرية على سباق التسلح ، واستنكار من رغبتها الحارة في العدل والامان

كذلك لم ينقض القرن التاسع عشر ، دون ان يسجل الخطوة الاولى في سبيل السلام ويضع حجر الاساس في ذلك البناء الدولي الشامخ ، حين اقر فكرة انشاء « مجلس دائم للتحكيم » كوسيلة لحل ما ينشب بين الدول من نزاع قد يهدد الامن العام ، وهي وسيلة نجحت في قضية « الاباما » التي كادت الحرب تنشب بسببها بين امريكا الشمالية وانجلترا لولا الرضى الاولى بعرض المشكلة على مجلس التحكيم الذي عقد في « جنيف » عام ١٨٧٢ ، وحكم على انجلترا بدفع خمسة عشر مليونا ونصف مليون من الدولارات ، كتعويض لدفع شر نزاع مسلح

الكتيب

ثم كان للتشييد « قصر السلام » قصة لا تخلو من عبرة :

استقر رأي المجتمعين في المؤتمر الاول للسلام على اختيار « لاهاي » مقرا لمجلس التحكيم الدائم ، فانشىء فيها مكتب هناك ، وعين سكرتيره العام ، ثم رأى المستشار الروسي ، ان لابد من تشييد بناء خاص لهذه المحكمة الدولية ، ولم يجد مشقة في اقناع زملائه برأيه ولكن بقيت مسألة المال للمشروع

وذكر المستشار طويلا ، ثم شد رحاله عام ١٩٠٠ الى « برلين » حيث قابل سفير امريكا هناك ، ليسأله عن رجل من الاثرياء الامريكيين يقبل ان يهب جزءا من ماله لمشروع دولي انساني كهذا

وذكر السفير الامريكي في الحال « اندرو كارنيجي Andrew Carnegie » ذلك الثري العصامي الكريم ، الذي ولد لاب اسكتلندي فقير ، اضطر للعمل بالنسيج اليدوي قبل ان يهاجر الى امريكا ونشأ « اندرو » في ظروف قاسية ، انتزعته من المدرسة ليساعد اباه في كسب العيش ، لكن الفتى الطموح اخذ ينتزع من وقته لحظات يقضيها في المكتبات ومعاهد الثقافة ، فردته مثقفا ، مكنه من الصعود السريع في الميدان الاجتماعي ، وما لبث ان صار رئيسا لمؤسسة كارنيجي الكبرى لصناعة الصلب ، وواحدا من اثرى رجال الاعمال في عصره ..

واتصلوا بعمل اللاهاي منه ، ووجد مجالا سمحا للاثرياء ، والثقات المعاصرة ، حتى ان يجد فيها الانسان من الثقافة مثل الذي وجده هو في مطلع حياته ، لم يعطه كيف يكسب المال لنفسه بل علم ايضا كيف ينفقه في سبيل الخير ، فلما سمع عن مشروع قصر العدالة ، حبس المال في لحظات بانشاء مكتبة كبرى تلحق به ، ثم ابدى استعداده

التاريخ : ٢٦ / ٩ / ١٩٥٣

الى « لاهاى » من خامات البناء وتحف الاثاث ما يمثل طابعها القومى ، وسرعان ما تراكمت ساحة البناء ، اكداس من الخامات العالية ، [illegible] الضخم والصناع الهولنديين [illegible] القصر الدولى فى النهاية ، آية فنية رائعة الجمال .

ثم جاء دور حدائق القصر ، وقد تسابق فيها عدد من مهندسى الحدائق فى بلجيكا وانجلترا وهولندا ، ففاز بها من بينهم « المستر ماوسون » الانجليزى .

وفى ٢٨ من اغسطس عام ١٩١٣ ، [illegible]

[illegible] نصف مليون دولار ، لتشييد القصر .

ووضع المبلغ تحت تصرف « مؤسسة كارنيجى » لبحث موضوع بناء قصر ومكتبة لمجلس التحكيم الدولى ، وادارته . [illegible] هيئة من رجال هولندا لتنفيذ المشروع ، كان من بين اعضائها : وزراء الخارجية ، والعدل ، والمالية ، والمدن ، فلما اختارت المكان المناسب ، اعلنت عن مسابقة دولية لبناء القصر ، [illegible] تصميما ، فاز منها بالجائزة الاولى ، المهندس الفرنسى « مسيو كوردونييه » الذى عهد اليه بالبناء ، تحت اشراف لجنة فنية من ستة مهندسين مختلفى الجنسيات ، وبمساعدة المهندس الهولندى « الاستاذ [illegible] » .

وعلى اثر دراسة ثانية للمشروع الفائز بالجائزة رأى المهندسان « كوردونييه وفنهوار » ان يبسطاه حتى لا يستنفد المال المرصود كله [illegible] مليون وخمسمائة الف فلورين ، اى مايعادل مائة وثمانين الف جنيه تقريبا ، وكان اهم تعديل للمشروع ، الاكتفاء ببرجين للقصر ، بدلا من اربعة ابراج .

وفى ٣٠ من يوليه عام ١٩٠٧ ، وضع السفير الروسى « نيليدوف » الحجر الاساسى للبناء بحضور وفد يمثل المؤتمر الثانى للسلام .

ودرس المؤتمر موضوع تجميل القصر وتأثيثه ، فأقر اقتراحا للمندوب الفرنسى ، خلاصته ان يطلب المؤتمر الى الدول المختلفة ، ان تبعث

[illegible] لاسبوع القصر ، [illegible] والملكة الام ، ومستر كارنيجى [illegible]

حتى اذا انقضت [illegible] الحرب العالمية الاولى ، [illegible] الى « لاهاى » ، [illegible] قصر السلام [illegible]

ومضى القصر [illegible] محكمة العدل الدولية [illegible] عصبة الامم

وفى [illegible] فى عام ١٩٢١ ، ثم عقدت اولى جلساتها فى يناير عام ١٩٢٢

[illegible] قصر السلام [illegible] الحرب [illegible] جديد [illegible] الحرب [illegible]

[illegible]

[illegible] العدل ، [illegible] فى الامن والسلام

[illegible]

***

[illegible]

[illegible] مصر فى هذا المجال الكريم

[illegible]

[illegible] المؤتمر الاوربى [illegible] محكمة العدل [illegible]

لاهاى — بنت الشاطىء

التاريخ : ٢٨ / ٩ / ١٩٥٣

كتب جديدة

في المكتبة الفنية

١ — سجاجيد الصلاة التركية : مطبعة وزارة المعارف
٢ — قصة طابع البريد : مطبعة اليونسكو

لعلي لست في حاجة الى وصف شعور التقدير الذي تلقى به كتب السجاجيد الصلاة التركية الذي نشره الاستاذ « الدكتور محمد مصطفى ؛ مدير متحف الفن الاسلامي » وانبرى لدراسة مجموعة واحدة من مجموعات هذا المتحف، فاثبت بهذا التناول الدقيق المتخصص ، انه يحترم مركزه كمدير لاكبر متحف اسلامي ؛ ويقدر مسئوليته . ويعرف ان للمتحف رسالة اخطر من خزن الاثر ، او اصدار نشرات شبيهة بتلك التي تنشرها مكاتب السياحة وترزعها بالملايين ..

لهذا الكتاب عن « سجاجيد الصلاة التركية » ليس سوى حلقة من سلسلة ؛ مجموعات متحف الفن الاسلامي ؛ التي عقد الدكتور المدير عزمه على دراستها واحدة واحدة ؛ دراسة تاريخية وفنية ، تبرز مقومات هذه الاثر ، وتوضح دلالتها على عصرها ؛ وصلتها بالحياة دون تكلف او ادعاء ؛ نشرا للثقافة العلمية والاثرية من جهة ؛ ومساعدة على ترقية الذوق الفني من جهة اخرى .

والمشروع جدير بالترحيب والاهتمام ؛ فلقد عودنا المتحف منذ عام ١٩٢١ ؛ ان ينشر مؤلفاته — ومن بينها اجزاء الكتالوج العام — باللغة الفرنسية غالبا ، وان يعنى في اكثر الاحايين ؛ بالجانب الفني البحت ؛ فيباعد بذلك بينه وبين قراء العربية من هواة الاثار ؛ ومن الدارسين الذين يعنيهم ان يعرفوا تراثنا الفني وان ينتفعوا به في دراستهم للتاريخ الاسلامي ؛ او الادب العربي ؛ والفنون الشرقية عامة

ويقدم استاذنا الجليل الاستاذ مصطفى عامر؛ المدير العام لمصلحة الاثار » هذه الحلقة الاولى للمشروع قائلا :

« ... وكان سروري اعظم ؛ عندما اقترح الدكتور محمد مصطفى ؛ ان يبدأ هذه السلسلة بكتاب عن مجموعة سجاجيد الصلاة التركية المحفوظة بالمتحف ؛ اذ ان هذا الكتاب سوف يكون اول كتاب في السجاد بصفة عامة ؛ كتب باللغة العربية ؛ بل اول كتاب في سجاجيد الصلاة بصفة خاصة ؛ كتب باية لغة من اللغات

« والواقع انه يوجد بمتحف الفن الاسلامي مجموعة ثمينة من السجاد تعد من اعظم مجموعات السجاجيد الشرقية في العالم؛ ويتالف جانب منها من المجموعة الشهيرة التي كان يملكها المرحوم الدكتور علي ابراهيم ...

« وتمثل مجموعة المتحف ؛ الكثير من انواع سجاد بلاد ايران وتركيا والقوقاز واسبانيا ومصر ؛ ويرجع تاريخها الى الفترة فيما بين اواخر القرن الخامس عشر واوائل القرن العشرين ، كما توجد بالمتحف عدة قطع من اجزاء السجاد من صناعة مصر في القرن الثالث الهجري (٩ م) عثر عليها في الحفائر التي قام بها المتحف في منطقة الفسطاط بجوار القاهرة »

وها نحن اولاء ؛ نرى الدكتور محمد مصطفى يكره ان يتناول هذه المجموعة الكبيرة جملة ، ويؤثر التخصص بادق معانيه ؛ فيتحدث عن صنف بعينه من السجاجيد التركية ؛ اعني سجاجيد الصلاة . وقد مهد للكتاب بكلمة جامعة عن صناعة السجاد في آسيا الصغرى ؛ والعناصر الزخرفية المميزة لها ؛ مع ذكر مراكز نسجها والمواد المستعملة فيها والتاريخ الذي بدأت فيه تلك الصناعة الفنية . ثم انتقل — بعد هذا العرض التاريخي — الى الجانب الفني؛ ليمضي بعض العناصر الزخرفية لسجاجيد الصلاة التركية ؛ ويصف مقوماتها الفنية ، مع اشارة موجزة الى دلالات الالوان والزخارف ؛ وتأثرها بالطرائف الدينية هناك ...

ويقدم الكتاب بعد هذا اثنين وعشرين لوحة تمثل مجموعة السجاجيد موضوع البحث مع شرح وافٍ يبين نوع كل سجادة والوانها وتاريخها ومقاساتها ؛ ورقمها في دليل المتحف

وفي الكتاب الى جانب هذه اللوحات مجموعة من الرسوم والاشكال الزخرفية ؛ مذيلة بالشروح

الكاتب .

وإذا كانت ثقافتي المحدودة في هذا المجال ، لاتبيح لي أن أتناول الشعر بنقد موضوعي ، فإني أكتفي اليوم بتقديم المشروع إلى حضرات القراء ، مع التقدير الصادق لجهد البيروني في وضعه وإخراجه

أخرجت مطبعة « اليونسكو » رسالة نفيسة باللغة الفرنسية ، عن قصة طوابع البريد : « L'Odyssée du Timbre - Post » نشرها اتحاد البريد العالمي ، وقدم فيها عرضا تاريخيا لقصة « الطابع » ورحلة « الخطاب » بالبريد ، مع مجموعة من الصور التاريخية ، تمثل تطور وسائل نقل الرسائل ، ونماذج من طوابع البريد المختلفة .

وتحدثت الرسالة بعد هذا عن اتحاد البريد العالمي العام ، وأسماء الدول المشتركة فيه ، ثم سجلت المشروعات العملية التي أنجزها للنهوض بالبريد ، كوسيلة من وسائل التفاهم العالمي ، وتقارب الشعوب .

حول النقد

للعمل الشاعر الموهوب « السيد صالح العابد العلوي » ليبعث إلينا نسخة من ديوانيه : (نسمات الربيع – وليالي الصيف) وكان يسرني حقا أن أفرغ لدراستهما وتقديمهما إلى القراء ، لولا أن الديوان الأول صدر عام ١٩٣٦ ، ونشر الثاني عام ١٩٥٠ .

وهذا الباب من الأهرام ، يظهر بعنوان « الكتب جديدة » ومهمته أن يتابع حركة التأليف ويساير الإنتاج الفكري ، ويجتهد في تقديم ثمراته إلى القراء عقب صدورها ، وهذا يتفق مع المفهوم من « الصحيفة اليومية » ، فمعذرة ، وشكرا ...

إلى « الآنسة بثينة حسين بجامعة إبراهيم » : لعلك لو قرأت كتاب « حديث الأربعاء » لأستاذنا الدكتور طه حسين ، ثم كتاب « الغزل عند العرب » للأستاذ حسان أبو رحاب لاستغنيت بهما عن البحث في موضوع الغزل ، وتستطيعين بعد هذا أن ترجعي إلى دواوين شعراء الغزل كامرئ القيس وعمر بن أبي ربيعة ومجنون ليلى وبشار . أما ترجمة جميل وكثير وقيس بن ذريح فتجدينها في كتاب الأغاني ، مع مختارات كافية من أشعارهم ..

بنت الشاطئ
من [illegible]

التاريخ : ٥ / ١٠ / ١٩٥٣

كتب جديدة

في النقد الأدبي

١ – في تاريخ النقد والمذاهب النقدية
٢ – دراسات في نقد الادب العربي

لم اعجب حين تلقيت في وقت واحد ، كتابين تماثل موضوعهما واكاد اقول تتشابه مادتهما ، وان اختلف مؤلفاهما وتباينت طريقتا التناول ، ذلك لان موضوع « النقد العربي » شائق حافل ، متصل بحياتنا الادبية اقوى اتصال ، وهو يستهوي اليوم عددا من الدارسين يجدون فيه مجالا خصبا دون ان تعوزهم المادة الفنية والتاريخية لهذا الدرس ، فقد ترك لنا نقاد العرب ورواتهم الاقدمون ثروة من الاخبار والكتب النقدية جديرة بالعناية والاهتمام ، لكن تاريخ النقد العربي ظل الى عهد قريب يدرس ضمن تاريخ الادب ويحمل عليه ، حتى بدأت الجامعة المصرية تفرده بالعناية وتفسح له مكانه المستقل بين الدراسات الجامعية ، وسجل عام ١٩٢١ مولد البحث الاول في هذا الميدان ، ثم اعقبت ذلك محاولات ذات عدد تفاوت حظها من الاصالة والعمق او التقليد والسطحية ، لكنها على اي حال كانت مظهر استجابة للدعوة التي نادت بافراد النقد الادبي والعناية به ، كما انها نجحت في اثارة حماس نفر من الدارسين ، بدأوا يتخصصون في النقد الادبي ويعكفون على تقصي اخباره والتعرف الى رجاله وتتبع مذاهبه ومن هؤلاء : « الدكتور طه الحاجري : الاستاذ المساعد للادب بجامعة الاسكندرية » و « الاستاذ بدوي احمد طبانه : مدرس البلاغة والنقد الادبي بدار العلوم » .

وهما يقدمان اليوم كتابيهما عن تاريخ النقد العربي ، حيث يبدأ كلاهما بالعصر الجاهلي ثم ينتهي الدكتور الحاجري عند القرن الاول الاسلامي ، في حين يمضي الاستاذ طبانة الى القرن الثالث

وليس الموضوع مع هذا جديدا ، فقد ارتاده قبلهما رائد اول ، هو المرحوم « الاستاذ طه ابراهيم » في كتابه « تاريخ النقد الادبي عند العرب – من العصر الجاهلي الى القرن الرابع الهجري » . وارجو الا يشغل القراء من ظهور كتابين جديدين ، يعالجان نفس الموضوع الذي عالجه الاستاذ طه ابراهيم منذ نحو عشرين عاما ، ويؤرخان للنقد العربي في الفترة التي تناولها في ذلك الاسس المهد ، فالفلان الحياة في تجدد مستمر ونماء مستمر ، وقد ظهرت آثار نقدية كانت مطوية الى عهد قريب ، وجدت مذاهب وآراء في الفن والنقد والحياة لم تكن معروفة من قبل ، كما ان اتصالنا بالحياة الادبية في الغرب ، وله اثره القوي العميق في مناهج درسنا وفي فهمنا للتيارات الادبية المختلفة فلا غرابة ان يظهر اليوم كتابان او اكثر في اكثر تاريخ النقد العربي ، لان عشرين عاما كفيلة بان تنقل هذا النقد الى ما يجاوز الافق الذي طرقه الرائد الاول

وفي كتاب « الدكتور الحاجري » لا يخطىء الناقد اثر الدقة ، والانتفاع بما جد على النقد من تطور واتساع ، كما لا يخطىء فيه شخصية الدارس المنهجي المتصل بما يكتب في موضوعه الحريص على ان يتتبع جهود المتقدمين في هذا الميدان . واذا كان الاستاذ طه ابراهيم قد سبقه الى جمع كثير من مادة البحث ، فالحق ان الدكتور الحاجري لم يعف نفسه نقل من الرجوع الى المراجع الاصيلة في الموضوع ، ومعاودة النظر فيها باستقلال ، كما انه في تناوله لها ! التي على الاحكام النقدية للعرب الاقدمين اضواء من الخبرة النفسية فسرت لنا اكثر ما يبدو فيها من تناقض او اضطراب (ص ٦٨) كما ساعده التزام المنهج العلمي الحديث ، على تبين بيئات النقد واثر الاقليم في توجيه النقاد (ص ٤٤ : ٧١)

واقوى ما تبدو شخصية الدكتور المؤلف ، في موقفه من مسألة الشك فيما نقل الينا من احكام نقدية من العصر الجاهلي ، وهو شك اسرف فيه الاستاذ طه ابراهيم الى حد يجور على الحق التاريخي ، ويهدد حرية الدارس بل يعطلها ، اما الدكتور الحاجري فعالج المسألة في افق ارحب ، وينظر اليها نظرة اول (ص ٤٤)

غير ان هذا التناول الدقيق ، ابرز الدكتور الحاجري في بعض مواقفه اخرى ، اذكر منها اعلانه الشعر بان الاسلام اظهر ما كان للعرب في جاهليتهم من قيم يحرصون عليها ومثل نفسية واجتماعية يؤمنون بها فعدت الشعرية بذلك اقوى مقوماتها (ص ١٨)

ومنها قوله في تقدير سبق الرسول – صلى الله عليه وسلم – والخلفاء الراشدين بالشعر والشعراء ، « فقد الشعر ما كان يجده من تشجيع الملوك والرؤساء له ، واصابهم عنه ، ونالت بدلا من هذا رتبة محترمة متقدمة على الشعر » ص .

وما اراه في هذا الا انه نظر الى الموضوع من جانب واحد ، والا فقد كان جديرا بان يهتم

اكثر ، بما نصه في ص ٥٥ من ان الرسول من العوام ، اجمع على تعد من الصحابة الا حسن الى حسان ، فقال : ما بدا لي في اذى لنا لسمعون من شعره ، فقد كان يحرص على ان سلطه ليحسن استماعه ويجزل عليه ثوابه ولا يشغل منه بشيء الا لما نص في ص ٥٢ ، ٥٨ ان عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ كان لا يكاد يعرض له امر الا انشد فيه بيت شعر ، وانه امضى ليلة يستنشد ابن عباس شعر زهير ، فانشده حتى برق الفجر فقال : حسبك ! الآن اقرأ القرآن !

وقد نقل الرواة ـ الذين لا يشك الدكتور الساجري في صدقهم ، ان الرسول ـ صلعم ـ قال لحسان : اهج قريشا ومعك روح القدس ؛ وانه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يعد شعر الشعراء المسلمين جهادا في سبيل الله ، وقد امضى لانشاد كعب بن زهير ، ووهب له بردته ودعا الله الا يفض فاه ، كما روي عنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ انه سمع بيت طرفة :

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا
ويأتيك بالاخبار من لم تزود

فاستحسنه وقال : هذا من كلام النبوة !

ثم ان الدكتور الساجري ، وقد نبه الى اثر البيئة وفعل الاتجاه ، كان حريصا عندما لا يصبه الى هذا الحسم الذي يرسم من العصور السياسية حدودا فاصلة لعصور النقد (ص ١٨ ـ ٧٠) والذي لا ريب فيه ، ان الانقلاب السياسي لا يجيء الحياة الادبية بين عشية وضحاها ، وانما يحدث التطور بطيئا ، ثم لا يحتمي عصر ما ، من اثر التراث العاطفي للعصر الذي قبله ، فيصاير التطور السياسي متوما حاسما ، يمثل للحياة الادبية وما يتصل بها من نقد ، جذور ثائرة ممتدة في اعماق ذلك الماضي الذي ولى وراح .

اما كتاب « دراسات في نقد الادب العربي » فلعل الجديد فيه ان الاستاذ طبانة ، قدم بين يدي تاريخه النقد في العصر الجاهلي والاسلامي عرضا وافيا لمناهج الدرس الادبي ، ومحاولة طيبة لفهم معنى « النقد » واستعمالات هذا اللفظ في التخييل ، بعضها انجاز الى ماسمه البوم من مدلول « النقد » الاصطلاحي ، وحرص في محاولته هذه ، على حرصه على ان يقرن اللفظ العربي بما يقابله في اللغة الانجليزية وان لم تبد حاجة الى ذلك (ص ١١ ، ١٢ ، ١٢ ، ٣٠ ، ١٥) .

وتذكر للاستاذ طبانة ، انه حين عرض لمسألة السند في الاخبار والاحكام النقدية ، لم يكن النقد الذي يتبل الدوري في مستواه الكلي

الريث نفسه مدارع بوصف ذمرق النقد وربما حاسما بانا احين كان يجب عليه ان يتشدد وبحتاط ، فهو ينزل مثلا من قصة احتكام امرئ القيس وعلقمة الى ام جندب :

« وبعد فانا لا نجد في هذه الرواية التي تضافرت عليها كتب الادب سبيلا الى الطعن فيها ، ولا نرى سببا واحدا يدعو الى التشكيك في صحتها » ص ٤٢ ، ٤١ ، وكان الاسلم له الا يقطع في هذا بيقين ، فالرواية الشفهية لا ترتفع ابدا الى درجة اليقين الذي لا يرقى اليه الشك ، ولا سيما في مثل عصر

[illegible]

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ١٢ / ١٠ / ١٩٥٣

كتب جديدة

في اللغة والأدب

١ ـ منار السالك الى أوضح المسالك
٢ ـ الأدب المقارن

لقد اوتي كتاب [illegible] الصحة ، لو لم يهيئ الله نفرا من الدارسين جندوا في البحث واخلصوا [illegible] ، وعرفوا له ولو لم [illegible] من هذا [illegible] الذي [illegible] في الدرس ويستهوون هذه القراء !

هذا [illegible] ، وانما [illegible] نفسي بقراءة هذا السفر النحوي [illegible] الذي وضعه « الاستاذ محمد عبد العزيز النجار : المفتش العام بوزارة المعارف » في [illegible] ، وذلل به الطريق [illegible] الى كتاب « اوضح المسالك الى الفية ابن مالك » المعروف [illegible] « التوضيح لابن هشام » .

ويبدو ان [illegible] العهد بكتاب ابن هشام ، مع شروح [illegible] ، و[illegible] الازهري [illegible] بمراصد [illegible] ، قد جعل كتاب « اوضح المسالك » في حاجة [illegible] الى مزيد من التوضيح والبيان ، لكي يغدو قريبا من [illegible] الدارسين الذين يجدون [illegible] في فهم [illegible] ابن هشام ، ولا يجدون [illegible] في قراءته حتى [illegible] من [illegible] او [illegible] الشواهد ، او [illegible] في البيان ، وهذا [illegible] به رجال العربية عندنا منذ عهد بعيد ، [illegible] اثنان [illegible] ، وهما : المرحوم الشيخ عبد العزيز حسن من علماء الازهر [illegible] والاستاذ محمد عبد العزيز النجار ، بوضع شرح مختصر على كتاب التوضيح ، حاولا [illegible] الغامض من عباراته ، وتحليل [illegible] من شواهده ، واعراب المغلق منها .

وقد نفدت تلك الطبعة منذ سنوات ، واحتاج دارسو النحو من طلاب الازهر والجامعة ، كتابا جديدا يهدي السالك الى « اوضح المسالك » ، فتقدم « الاستاذ النجار » من جديد كي [illegible] الحاجة ويملأ الفراغ .

والذين اتيح لهم ان يقرأوا « منار السالك الى اوضح المسالك » في طبعته الاولى منذ عشرين عاما ، سيرون في هذه الطبعة الحديثة اخراجا جديدا للكتاب ، [illegible] فيه الاستاذ النجار ، ما فاته من الحرص في اول مرة ، وائم ابواب « الالفية » التي سايرت الشروح ، و[illegible] الاسئلة والتمرينات على ضوء تجاربه في ميدان التعليم خلال تلك السنين العشرين ، كما زاد عليها حيثما رأى ـ بمضي الزمن ـ حاجة الى المزيد ، فجاء الكتاب حقا ، منارا للسالك الى « توضيح ابن هشام » .

والقراء [illegible] في حاجة الى ان [illegible] الحديث عن [illegible] هذا الجهد المبذول ، فهم بلا ريب يعرفون [illegible] البحث النحوي ويقدرون صعوبته ودقته ، كما [illegible] يدركون ان الذي يتصدى لبحث كهذا ، ليس ممن يؤثرون العمل السهل او [illegible] الربح ، [illegible] كانت بضاعة النحو لتجد [illegible] واسراتنا ، وانما هي لذة العلم نفسه ، تغري الاستاذ النجار بسلوك هذا الطريق الوعر ، غير منتظر اجرا الا تلك المتعة المعنوية التي يجدها العلماء [illegible] من اجلها الوقت والمال .

ولقد كنت ارجو او ابي للاستاذ النجار ان يعلو على تأويلات النحاة ومنطقهم العقلي الجامد ، بما قررته الدراسات الحديثة من ان اللغة ظاهرة اجتماعية وليست عملية عقلية ، كما كنت ارجو ان [illegible] في شرحه للتوضيح [illegible] مما اطمأنت اليه [illegible] من اقامة الدرس النحوي على السماع لا على القياس ، ذلك لانا لا نستطيع ان نتلقى [illegible] اليوم ، بمثل ما تأوله الذين [illegible] ، [illegible] ، فلما [illegible] بما سمع من العرب من ادخال حرف الجر [illegible] ـ والجر علامة الاسمية ـ في قول القائل : « ما هي بنعم الولد » وقول الآخر : « نعم السير على بئس العير » اجابوا بأن الاصل : « ما هي بولد مقول فيه نعم الولد » او « نعم السير على عير مقول فيه بئس العير » ! والله يعلم ان العربي الذي نطق بما نطق ، لم يخطر له هذا التأويل المتعسف على بال !

[illegible] ان اسجل في خاتمة [illegible] ان شاء الله ، ان يصل الاستاذ النجار هذا النحو بما جد في دراساتنا من مذاهب ونظريات جديدة في الدرس اللغوي ، ذلك ادعى الى ان يخفف من جفاف النحو وجموده وعزلته ، وادعى الى ان يقبل عليه الطلاب دون ان يشعروا انهم يبتعدون بعيدا عن دنياهم وعصرهم ، ويمارسون عملية [illegible] ، [illegible] عن الدراسات الذين [illegible] والبيان في اللغة ، [illegible] النحو [illegible] ، [illegible] لهم [illegible] تسنح لنا اليوم بمثله .

ولي حديث اليوم ، كتاب عن « الادب المقارن » الفه « الدكتور محمد غنيمي هلال : مدرس الادب [illegible] بدار العلوم [illegible] الآداب في

جامعة ابراهيم ، ويقدم له بتعريف للأدب المقارن ومفهومه ومجاله ، ثم يعرض في القسم الأول من الكتاب ، تاريخ [illegible] وتطور الموضوع الحالي لدراساته في أوربا ، مع [illegible] في الجامعات المصرية .

أما القسم الثاني ، فأفرده لعرض بعض الدراسات في الأدب المقارن وطرق البحث فيه عرضا عاما [illegible] لشرح هذه المسائل التي قد يستغرق بحث كل منها كتبا بأكمله

وعني الدكتور غنيمي عناية خاصة بالأمثلة التي توضح صلات الأدب المصري بالآداب الأخرى، كما حرص على أن يفرق بين المذاهب [illegible] التي تحدد أوجه الشبه بين أديبين أو بين أثرين [illegible] بالأدب المقارن أن [illegible] هذا النوع من الدراسات التي أساسها [illegible] والآراء الشخصية لأصحابها .

كذلك [illegible] من [illegible] الأدب المقارن ، ما يجمعه من موازنات في نطاق أدب واحد ، مشيرا الى هذه الموازنات — [illegible] — [illegible] من الدراسات المقارنة [illegible] التي تتابع تطور [illegible] من أدب الى آخر ، [illegible] في كل [illegible] .

والطابع العام لمؤلف في بحثه ، [illegible] التناول ، وسلامة التعبير ، والاتصال الوثيق بالثقافتين العربية والفرنسية ، مع احتفاء — يبدو مسرفا — بأكابر الكتاب الفرنسيين الذين درسوا هذا الموضوع ، واقتباس بعض آراء وعبارات لهم ، وربما لأنها ذات بال (صفحات ٦) :

ويتابع الدكتور غنيمي فيقول :

« وكتابي هذا يجوز لنا أن ننسبه الى المدخل لدراسة الأدب المقارن أو الأدب العربي [illegible] البحث فيه ، لأني لم أقصد به الى دراسة مسألة خاصة من مسائل الأدب العربي ، بل أردت عرض موضوعه اجمالا » ص [illegible] مقدمة

أما الهدف الذي رنا اليه مؤلفه ، فهو « أن يجد هذا الكتاب سبيله الى ترغيب الباحثين في هذا الفرع من فروع الأدب ، والى الدعوة اليه ، والى شيء من التوجيه العام في بحوثه » . ص هـ مقدمة.

وهنا وددت لو أن الدكتور غنيمي أشار الى جهود الأساتذة المصريين الذين سبقوه الى مثل هذه الدعوة ، وحاولوا فيه أن يثيروا الاهتمام بالأدب المقارن ، وأن يبصروا الناشئة الهادية لمناهج البحث فيه ، وحسبي أن أذكر من هؤلاء ، الدكتور ابراهيم سلامة ، الذي افتقدت اسمه في كتاب الدكتور غنيمي مع أنه من مدرسته ، وأحسبه من تلاميذه . وقد أخرج لنا الأستاذ منذ ١٩٥١ ، كتابا في نحو أربعمائة صفحة من القطع الكبير ، عنوانه : «تيارات أدبية بين الشرق والغرب» وموضوعه: « نشوء ، وخطة ، ودراسة في الأدب المقارن »

ولست أتعرض الآن لعقد موازنة بين الكتابين، لسبب أرى من حقنا ومن حق الأستاذ غنيمي نفسه ، أن يذكره في هذا الميدان ، لا رغبة في نسب ، ولكن لكي نعرف الخطوات التي سار فيها الموضوع عندنا ، ثم لكي تكون أمامنا الدراسات في ميدان واحد ، جهودا متكاملة لاقامة الصرح العلمي ، الذي لا أحسبه يقوم اذا تبعثرت جهود البناة ، وتنافرت ، وتعرضت طرائق قددا !

وأخلص بعد هذا فأقول : لعل الدكتور غنيمي أشار الى ذلك في موضع فاتني أن أقرأه رغم حرصي على القراءة الواعية لهذا الكتاب المخصب الشائق .

بنت الشاطئ
(من الأهرام)

التاريخ : ١٩ / ١٠ / ١٩٥٣

كتب جديدة

في الشعر

١ – ديوان الشاعر القروي
٢ – ديوان احمد الزين

شاءت الظروف ان اقرأ هذين الديوانين أحدهما تلو الآخر ، فاذا بينهما ملامح من تشابه وقربى ، فقد ظهر الديوان الأول مطبوعا في [illegible] صاحبه "الشاعر القروي" اللبناني المهاجر رشيد سليم خوري " حتى أتاح الله له نفرا كراما من مواطنيه ، جمعوا [illegible] ، ونشروه على الملا العربي [illegible] والجديد

كذلك ظهر الديوان الثاني [illegible] بعد وفاة صاحبه " الشاعر المصري احمد الزين " رحمه الله ، حتى أتاح الله له شاعرا صديقا ، هو الاستاذ عبد الغني المنشاوي ، فتولى مهمة بعثه واخراجه

ويتشابه الديوانان كذلك ، في ان كلا من الشاعرين [illegible] الشاعرية ، عاش في دنياه [illegible] ، [illegible] في أمانة وصدق ، [illegible] عن حسه ووجدانه دون ان [illegible] على البيئة او يحاول الانطلاق من [illegible] ، الى ما يسمونه ، الأفق الانساني [illegible] ، [illegible] والحق ان الذين يطالبون الشاعر بالاهتمام بالاحداث العالمية المشتركة ، [illegible] منه ومن الشعر [illegible] ، فلا يصل الى الثروة التي يصل اليها حين يعبر عما يشعر من انفعال بنفسه وبيئته ، مستجيبا في ذلك لطاقته الشعرية لا يصطنع [illegible] او اقدارها

وفي ذلك يقول الشاعر القروي ردا على من اخذوا عليه انه لا يجاوز في شعره حدود [illegible] ووطنه :

« .. اعتبرانا مكثرا ، ورضى انا مكبرا ، اذا انتبع ذئب الاستعمار منه [illegible] اكثرا جارحة من جوارحي ، واذا [illegible] في لبنان او [illegible] فكأنما [illegible] من دمي

« ما كدت انهض [illegible] حتى [illegible] انك امي ، ولمست وجهي [illegible] ، [illegible] عند سريرها [illegible] الاليم . . ولو اني ادركت امي [illegible] مع الاعراب في [illegible] بعد [illegible] ، لقد [illegible] اللصوص [illegible] امي من خبز الحرية والعدالة والحق [illegible] اسمى المنزلات

التي [illegible] الانسان [illegible] ، [illegible] الشعور [illegible] (القومي) الا [illegible] من [illegible] نفس [illegible] في [illegible] الارفع [illegible] ، وما الشعر الوطني في امة [illegible] الا الشاعر الانساني [illegible] ، [illegible] هذه [illegible] التي [illegible] في [illegible] ويجد في [illegible] ، [illegible] ، بل هي [illegible] الارض جميعا »

* * *

و « ديوان الشاعر القروي » ليس ديوانا واحدا ، وانما هو عدة دواوين [illegible] كبير ، [illegible] اضخم ديوان في الشعر العربي الحديث . وقد [illegible] دواوين « [illegible] والادمعين » و « الزمازم » ثمر [illegible] صفحات الكتاب ، التي تقرب الف صفحة . أما [illegible] الثاني فتشمل « المصائر والمناجي » و « روايح الشباب » و « المرجان [illegible] » و « الازاهير »

وابرز ما تبدو شاعرية الشاعر القروي في شعره القومي الحماسي ، وفي [illegible] التي [illegible] الديوان [illegible] العربية [illegible] على [illegible] الاحداث [illegible] ، [illegible] العذراء [illegible] الشعر [illegible] [illegible] ، [illegible] ، [illegible] الشعرية ، [illegible] في [illegible] تلك الشاعر [illegible] :

[illegible] كما [illegible]
[illegible] ؟
[illegible]
[illegible] والآلم ؟

[illegible] الشاعر [illegible] ، [illegible] في [illegible] الشمس [illegible] :

[illegible] لبنان [illegible]
[illegible]

[illegible] شرق [illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]

[illegible]

التاريخ : ١٩ / ١٠ / ١٩٥٣

في قصيدة « الصورة المحرمة » اذ يقول :

حبيب بالأماني واسمى
وحبيب بالمنى [illegible] واعطى
واذا لم تسعدي [illegible] معا
[illegible] بالامس
كم [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] وان لم [illegible]
[illegible] مرة ، ما [illegible] !
[illegible] [illegible] ان تسألي
[illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] الحب [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] مرة
[illegible] [illegible] [illegible]!

وادع الشاعر المبدع « الاستاذ عبد الغني [illegible] » ... [illegible] [illegible] يتحدث عن صاحبه « الربيع » فيقول :

« ... والربيع شاعر موهوب ، [illegible] الشعر وهو الصبي [illegible] [illegible] في نشأته الاولى بمحاكاة [illegible] [illegible] [illegible] ومعارضتهم ، ولكنه ما كاد [illegible] [illegible] حتى [illegible] في نفسه هذا الاسلوب الذي لا يلائم [illegible] ، [illegible] شعره [illegible] في [illegible] [illegible] ، التي [illegible] [illegible] الاسلوب [illegible] ، والخيال الرائع والحس [illegible] [illegible] ... »

حول التشبيه

في كلمتي عن كتاب « تاريخ النقد والمذاهب الادبية » للدكتور طه الحاجري ، أشرت الى ما روي من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الاستاذ [illegible] [illegible] الا [illegible] [illegible] ، وقد كتب [illegible] الاستاذ [illegible] محمد علي الطوبجي - من [illegible] [illegible] - [illegible] الى ان هذا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ولا [illegible] في [illegible] اذا لم [illegible] :

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

كذلك [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الاسلام [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] :

« [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] »

« [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] : [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] !

« [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ؟

التاريخ : ٢٤ / ١٠ / ١٩٥٣

في حياتنا :

وراء البرامج

للدكتورة بنت الشاطئ

حرصت على أن أتتبع ما ينشر أو يذاع من البرامج التي تعدها إدارة السياحة لاستقبال ضيوفنا في الموسم القادم ، وقد لفتني منها بوجه خاص ، هذه الرغبة الطيبة في التحرر من الجمود الذي كان يكتفي بأن ينتقل بالسائح من متحف إلى مسجد إلى معبد ، ويطوف به في المناطق الأثرية ، ثم لا يعنيه بعد ذلك كيف يقضي السائح وقته ، وماذا يحق له أن يشهد من أمجاد مصر الحديثة ، إلى جانب ما رأى من معالمها التاريخية .

على أني أود أن ألفت أنظار أولي الأمر هنا ، إلى ما وراء البرامج من مسائل قد تبدو صغيرة ، لكنها في الواقع تجلب نتائج ذات خطر ، حتى ليصدق عليها قول الشاعر العربي : —

« ومعظم النار من مستصغر الشرر »

وأولى هذه المسائل ، تتصل منذ اللحظة التي يطأ فيها السائح أرض مصر ، والتي يرتهن بها — إلى حد كبير — مدى استمتاعه برحلته ، ونوع الصورة التي يرسمها لبلادنا ، وأود قبل كل شيء ، أن أعترف بأن موظفي جمارکنا لا تعوزهم اللباقة وسعة الصدر وحسن المعاملة ، لكن الإجراءات الجمركية هي التي يعوزها شيء من المرونة وسعة الأفق ، بحيث لا يرهق السائح أو نشعره بأننا نرتاب فيه ، ونفترض أنه مهرب أو محتال ! وكنت من قبل لا ألقي بالا إلى مثل هذه الساعة التي نقضيها في الجمارك ، حتى زرت اليونان منذ عامين ، فأدهشني إجراءات الجمرك في « بيريه » وبلغ من دهشتي بها أننا مررنا بمطار « أثينا » هذا الصيف ، وددت لقضاء ساعة بها في صالة شركة الطيران ، فآثرت أن أبقى في الطائرة ، متأثرا بما لقينا من عنت الإجراءات الجمركية منذ عامين .

وما تزال صورة اليونان عندي ، تفسد جمالها ظلال الساعة الأولى التي أمضيتها في بيريه ، في الصيف عام ١٩٥١ !

…

المسألة الثانية التي يعنيني اليوم ذكرها ، هي افتقارنا إلى صنف من المكاتب ، يستقبل الزائر الأجنبي ويضع خبرته في خدمته .

ولست أقصد هنا « مكتب السياحة » الذي نجده في كل الموانئ ومحطات السكك الحديدية والذي يقتصر عمله على إرشادك إلى فندق تقيم فيه ، ولكني أقصد صنفا آخر ، لم أره إلا في « هولندا » على كثرة سياحاتي ولعدد البلاد التي طفت بها . وتسمى هذه المكاتب « ف . ف . ف » وهي تنتشر في مدن هولندا ، وتتعدد حيثما تنقلت ، في أكثر من مكان بالمدينة الواحدة . وما كنت لألتفت إلى أهميتها ، لولا أننا وصلنا إلى « لاهاي » يوم أحد ، فإذا سائق السيارة التي أقلتنا من « روتردام » يتجه بنا رأسا إلى قلم الاستعلامات في مركز البوليس ، ليسأل عن مكتب « ف . ف . ف » المفتوح في ذلك اليوم ، ومن ثم سار بنا إلى المكتب المعين وتركنا في رعايته .

سألنا الموظف عن نوع المسكن الذي نؤثره ، والقيمة التي جئنا من أجلها ، والمسائل التي يعنينا أن ندرسها ، مع بيان مدة إقامتنا .

ثم أخذ يدبر لنا شئوننا ، فأجرى له نحو عشرين مكالمة تليفونية ، لاختيار المسكن الملائم .

ثم قدم لنا خريطة المدينة ، وبرامج الموسم ، ومعالم هولندا ، مع مذكرة خاصة ببيان الجامعات والمكتبات التي تهمنا . واستغرق هذا العمل نحو ثلاث ساعات ، سألناه بعدها عن المبلغ الذي ندفعه له لقاء ما بذل من جهد وما ضيع من وقت ، فإذا به يقول في بساطة :

— لا شيء ! إننا هنا لخدمة ضيوفنا ، وهذا هو عملنا الذي تأجرنا عليه الدولة .

ولم أعجب لهذا ، فهناك في بلاد أخرى كثيرة ، مكاتب وموظفون للاستعلامات ، وإنما الذي عجبت له هو الأسلوب الذي كان الموظف يؤدي به عمله ، لم نجد منه قط ، خلال الساعات الثلاث ، بادرة ضيق أو ملل ، ولم يدعنا نشعر لحظة ، أننا عبء عليه يود أن يتخلص منه بأسرع ما يستطيع ، كما يفعل الموظفون عادة ، حتى في الأعمال التي يدفع الجمهور أجرها ، بل ظل محتفظا ببشاشته وهدوئه ، حريصا على الترحيب بنا ، ولم ينس بعد انتهاء عمله ، أن يقدم لأطفالنا ، مجموعة من الصور الملونة والدمى بملابسها القومية ، تحية من هولندا لضيوفها الصغار !

…

وثالثة ...

لا تتصل بالجهاز الإداري السياحي ، قدر ما تتصل بالشعب نفسه ، فلن نجدي الجهود الرسمية كثيرا ، إذا لم يطبع فينا روح سياحي عام يجعل الفرد منا يحس مسئوليته عن سمعة بلده وكرامة اسمها .

وقد تعلمت هذا الدرس أخيرا في الدنمرك وصلنا « كوبنهاجن » مساء سبت ، ودلنا مكتب السياحة بمحطة العاصمة ، على « بنسيون » لنقيم فيه ، بعد أن اتصل بصاحبته واستوثق من وجود غرف خالية لنا ...

ثم لم تمض على وصولنا غير ساعة واحدة حتى زهدت في الدنمرك كلها ، ورغبت في أن نقصد من ليلتنا إلى « همبورج » في ألمانيا .

وكان السبب يبدو بسيطا تافها : طلبنا من صاحبة « البنسيون » بعض اللبن لطفلنا

التاريخ : ٢٤ / ١٠ / ١٩٥٣

الرضيع ، فاعتذرت لى لطف بانها لم تكن تعلم بمجيئنا ، وليس لديها من اللبن ما يكفى من حاجة النزلاء ، حتى صباح الاثنين .

فكرهنا ان نقيم فى بلد ترفض صاحبة « بنسيون » فيه ، ان تقدم بعض اللبن لطفل رضيع ، ولو نقصته من طعام النزلاء ...

وكنا بصحبة تناثر البلد لهلنلد ، وفى الرأى فيه جميعا ، لو لم يتح لنا ان نلتقى فى البيت نفسه ، بسيدة اخرى نبيلة ، رأتنا نغادر المكان الى وصولنا وسألتنا عن السبب ، فلما اجبنا عن سؤالها فى صراحة ، صرا ها ما يشبه الخجل ، لكنها تمالكت نفسها وسألتنا فى عتاب رقيق :

-- وهل من العدل ان تحكموا علينا جميعا ، بسلوك فرد واحد !

وبادرت فاخلت لنا غرفتين فى منزلها ، حيث امضينا اسبوعين كاملين ، ننعم باكرم ضيافة واطيب منزل .

واخجلنا ان ترهق نفسها فى سبيل خدمتنا ، وان تعطل اعمالها لكى تنظم لنا برامج رحلتنا وتصحبنا الى حيث شئنا من معالم البلد ، لكنها كانت تعتذر بانها حريصة على ان تمحو فكرنا عن قومها ، وهذا هو عملها الاول وواجبها الاهم !

واتيح لنا ان نرى فى الدنمرك صورة جميلة مشرقة ، كادت تفسد لان واحدة من اهلها ، لم تشعر بمسئوليتها عن سمعة بلدها !

وتعلمت من هذا ، ان سلوك الفرد قد يسيء الى الشعب كله ، ويقدم للاجنبى صورة له مشوهة !

هى مسائل بسيطة كما قلت ، لاتدخل فى البرامج الكبرى للسياحة ، لكننى ارجو الا نخدع ببساطتها ، لنجهل خطرها فى بلد كمصر ، حريص على ان يستثمر السياحة لتصحيح رأى الغرب فينا ، وتهذيب فكرته عنا ، واقناعه باننا اهل للمكان الكريم الذى نطلبه فى عالم اليوم !

التاريخ : ٢٦ / ١٠ / ١٩٥٣

كتب جديدة

من أجل مصر

البطل احمد عصمت

من أجل مصر ..

من أجل هذا الوادي الأمين الذي عاش فيه المصريون احقابا والوافا ، فما استطاعوا أن يطمسوا مجده أو يحجبوا سناه !

من أجل هذه الأرض الطيبة التي لبث الاستعمار الخبيث يلقي فيها بذور الشر قرونا وأجيالا ، فعجز أن يمسخ صورتها أو يعبث بما فيها من مآثر الخير والنماء

من أجل هذا المجد العريق ، الذي تفنن المستعمرون في حربه والكيد له ، فما استطاعوا بعد أن بددوا شخصيته ، أو يهدموا وجوده او يزحزحوه قيد شعرة من مكانه المجيد على مسرح التاريخ

من أجل هذا الشعب الطامح النبيل ، الذي مرت به ألوان من الابتلاء وضروب من المحن ، فما نقصت حظه من طاقته الجبارة ولا صرفته لحظة من الايمان بحقه في الحياة العزيزة والوجود الكريم

من أجل مصر ..

تلك التي تهاوت من حولها امم ، ولاقت حروبا ، وتوارت حضارات ، وهي هنة باقية لا تهرم ولا تشيخ ، كأنما تستمد [illegible] طول البقاء ، وتحميها قوة عجيبة من الفناء والاضمحلال !

من أجلها دفع البطل حياته ، وبذل الشهيد دمه ، وتناول الكاتب قلمه ، ليسجل للأجيال القادمة حديث الفداء ، وليصف لأبنائنا كيف هانت الحياة من أجل ما هو اعز من الحياة ، وكيف رخص الدم ثمنا لما هو اغلى واكرم !

ولا والله ما هانت الحياة المبذولة ، ولا رخص الدم المسفوح ، وكيف وقد كان ذلك كله « من أجل مصر » !!!

« ان في الاحياء لموتى هم ملايين الانسانية للأحياء من الموتى ، والتضحية الكبرى في سبيل الوطن مثل واحد ، براء الشديد بطولة ، وبراء الرعديد [illegible] ، وبراء المؤمن استشهادا ، وبراء عبد الحياة مبارزة .

« والناس بين هاتين النهايتين ، كالناس بين قطبي الأرض ، على درجات طول وعرض ، مختلفات من القرب والبعد من منطق الانسانية العالية ، ومن منطق الذين يحيون ليأكلوا ويأكلوا ... »

أية قصة ! واي كتاب !

تكاد القصة في روعة مواقفها ، وعنف أدوارها وجلال مشاهدها وبما فيها من الشعر والخيال ومن الرائع الذي ليس مثله رائع ، بل بما فيها من الحياة [illegible] تضحية الحياة ، تشبه أسطورة من الأساطير ، لتمتد في أعماق الماضي الى ابعد الآماد ، حيث ظلت الأرض الطيبة تحتضن جسم البطل وتمده من تاريخها العريق بعصارة [illegible] فيها [illegible] وحماستها وإيمانها ، حتى اذا حانت اللحظة الحاسمة ، اخرجته بشرا سويا ، في اهاب ساحر مهيب من نضرة الصبا ورونق العمر ، ليمضي في معجزة البعث والانتصار ..

ويصف البطل وهو يتقدم للمعركة .

« ان الحرية لا تمنح ، ولكن تؤخذ بالدم [illegible] التضحيات ! »

[illegible]

ولقد انبعث بالامس [illegible] مرات [illegible] !

وهذا شاهد [illegible] الأستاذ عبد الحليم الجندي « [illegible] » [illegible]

[illegible] الانزع [illegible] ..

[illegible]

وكما تلاقى التاريخ المصري في [illegible] من [illegible] ، في لحظة [illegible] من يوم ١٥ يناير ١٩٥١ ، تلاقى كذلك في هذا الكتاب الذي كتبه الاستاذ عبد الحليم الجندي « من أجل مصر » !

وليس [illegible] ولا هو اسلوب [illegible] بأسلوب [illegible] وانما هو [illegible] [illegible] أمامه [illegible] [illegible] حية نابعة من روح مصر الخالدة !

الا ما أشبه اليوم بالأمس !

لقد اتيح لي من قبل أن أقرأ للأستاذ الجندي كتابه عن الامام « أبي حنيفة » بطل الحرية والتسامح في الاسلام ، وان انبه الى قراء الأهرام [illegible] أسلوبه [illegible] وبيانه العالي ، بقدر ما [illegible] لحرية الرأي ، وإيمانه بها ، وتمجيده [illegible] [illegible] واستطاعوا أن يتحرروا من حياتهم وقودا لشعلتها ابدا !

واليوم اقرأ كتابه « من أجل مصر » ، فكأنما كان على موعد من معركة الحرية ، [illegible] البطل الذي [illegible] [illegible] ليبقى [illegible] ..

وما هي في تاريخ مصر الثورة : اية قصة [illegible] ورمزا كريما [illegible] ما تزخر به مصر من عناصر البطولة والكرامة [illegible] !

بنت الشاطئ

[illegible]

التاريخ : ٩ / ١١ / ١٩٥٣

كتب جديدة

عن مصر والسودان

١ ـ دفاع عن الاتحاد مع مصر
٢ ـ مصر والسودان بعد ٢٣ يوليو
٣ ـ الحياة في السودان ، بين الغابة والحضر

في هذه الفترة الحاسمة من تاريخ الوادي ، حيث يقرر الجنوب مصيره مؤمنا بحقه والتاريخ من قدره ، متطلعا الى عهد جديد يحطم فيه الاغلال التي كبلته زمانا ، ويقطع اليد التي حاولت أن تمزق وحدته الطبيعية والتاريخية وتبتره من شطره الشمالي ...

في هذه اللحظة الحاسمة ، التي يرنو فيها عالم اليوم الى السودان ، ويترقب في لهفة ما سوف تسفر عنه معركة الانتخابات التي تدور هناك في عنف وحماس ، وتتلاقى فيها اسلحة شتى ، بعضها نبيل اصيل يناضل من حق الحياة ، وبعضها لئيم دخيل يتشبث بقايا بائدة من استعمار البغي والى زمنه وراح

في هذه الايام الدقيقة التي يحتدم فيها الصراع بين انسانية تأبى الرق وتتمرد على القيد ، وبين انطامية يتهافت لمصر على ان تستعبد الشعوب جملة في مصير يتفق بعقول الانسان ويسجلها في وثائق طول مراس ..

في هذه الفترة ، يشترك « القلم » في المعركة المحتدمة ، ويدخل الميدان ليؤدي حق الوطن المفتدى ، ويعلن على مسمع الدنيا كلمة الحرية والايمان .

وتبدأ الجولة القلمية الاولى في كتاب عنوانه « دفاع عن الاتحاد مع مصر » صدر من قسم النشر بالحزب الوطني الاتحادي في الخرطوم ، وكتبه السيد الاخ « الاستاذ حسن دراوي ، المحامي » هدية الى « شهداء الحرية في كل مكان وفي كل زمان » ، وقدم فيه عرضا دقيقا موجزا للقضية السودانية ، تجنب فيه التفاصيل الجزئية لموضوع الاتحاد وصوره وأوضاعه ، مركزا كل جهده في بيان ضرورة هذا الاتحاد بين شطري الوادي .

وليس الكتاب بحال ما ، تكرارا لقول معاد فيما يربط الشطرين منذ الازل والى الابد ، من روابط لا تنفصم ولا تنحل ، ولا هو ـ كذلك ـ حديث عاطفة لوجية لا تخلو من هوى ، وانما الكتاب عرض منطقي متزن للقضية الوطن الاكبر ، من وجهة المصالح المشتركة ، ودراسة قانونية قوية الحجة ، ناصعة البيان ، لكشف من التلمس المادي للاستعمار ، وللتثبت بالبرهان القاطع ان الاتحاد مع مصر هو سبيل الخلاص من شر الاستعمار .

ولقد الفنا في المعارك الانتخابية ان نقرا امثالا شتى من نشرات الدعاية الحزبية التي تقوم غالبا على التكثر والمغالطة والاستهواء ، لكننا هنا امام اسلوب يستمد قوته من الحق ، ويقيم حجته على المنطق قبل العاطفة ، ويهدف الى الاقناع العقلي اكثر مما يهدف الى استهواء الوجدان .

ويقول السيد المحامي في مقدمة كتابه ، « مناقشة القضية السياسية في السودان ، وبحث المسألة الوطنية في هذه المرحلة الدقيقة التي تجتازها بلادنا ، فرض على كل مواطن قادر ، لان في ذلك تبصيرا للشعب بما يحاك له من دسائس وما يدبر له من مكائد ليلمس المواطنون الضر الذي حاق بالبلاد من جراء الاستعمار ، وعند ذلك لا يندفعون من هوى وانما يندفعون من عقيدة وايمان لينالوا الحرية التي اجمع الشعب عليها » .

وكل مايرجوه الاخ ، ان يقرأ هذا الكتاب على انه جهد متواضع ، يساهم به في قضية الحرية مع الاحرار الذين يقفون في وجه الاستعمار او يكشفون اساليبه ومخازيه وحيله ومآربه

ثم لايدع القلم ، قبل ان يؤكد ان الشعب السوداني المكافح من اجل حريته ، يعتبر قضية وادي النيل قضية واحدة لا تتجزأ ، ويرى في بقاء الانجليز في اي الشطرين انتقاصا لحرية الشطر الاخر

والكتاب الثاني « مصر والسودان بعد ٢٣ يوليو » اصدرته لجنة الصحافة الجامعية تحية للعهد الجديد ، وعرضت فيه صفحات مشرقة من هذه النهضة التي غرس الشعب الكريم بذورها في الارض الطيبة ، وتعهدها ساهرا عليها في موارد الظلمات حتى حان الفجر لطهر الغرس الكريم ملء النور ملء الحياة

والكتاب اشبه بمعرض صادق ، لجوانب النهضة في مصر الحديثة ، نرى فيه صورا متتابعة لمنظمات الشباب ، ونهضة المرأة ، وتطور الصحافة ، والفن ، وتقدم طرق المواصلات والنهضة العلمية والاجتماعية ، وفيه الى جانب هذا كله ، دراسة تاريخية جغرافية موجزة ، لاثر الطبيعة في سكان الوادي والزراعة في وادي النيل .

والكتاب مقدم بتحية « الى قادة ثورة الجيش والى الشباب الحر والرجال المخلصين » بقلم الاستاذ محمود ناشد رئيس مجلس الادارة للجنة الصحافة الجامعية تليها تحية اخرى رقيقة « الى ابطال الثورة وفي الشعب المصري والمرأة المصرية » بقلم الانسة جيهان اخشان ، نائبة رئيس اللجنة

ولعل هذا الكتاب يشهد بما وصلت اليه الصحافة الجامعية من وعي ونضوج ويسجل ماكان لها من جهاد في الثورة على الطغيان والدفاع عن الرأي الحر ...

◬

وثم كتاب ثالث نشرته « دار المعارف » حديثا ، هو « الحياة في السودان بين الغابة والحضر » بقلم المهندس « الاستاذ توفيق محمد خليفة » .

ولم يفتني وانا اضم هذا الكتاب الى جانب الكتابين السابقين في مجموعة واحدة ، انه لايتصل بالسياسة اتصالا مباشرا ، ولا يعالج قضية الوادي من الزاوية التي عالجها « الاستاذ دراوي » او لجنة الصحافة الجامعية ، لكن السودان ـ كما يقول المؤلف بحق ـ « هو شغل مصر الشاغل في ماضيها وحاضرها ومستقبلها » ، وليس بغريب ان يتزايد اهتمام اهل مصر في الوقت الحاضر بالسودان وكل مايتصل به » .

وهذا الكتاب عن الحياة في السودان ، يسجل مشاهدات مهندس خبير ، اقام في اعالي النيل نحو اربعة اعوام ، اتيح له خلالها ان يدرس حياة السودان من قرب ، ويتعرف

الى اخواننا هناك ، دون ان تحول بيننا وبينهم حوائل مصطنعة من الاعيب الاستعمار

فلما عاد الى مصر ، رأى من واجبه ان يزيدنا علما باحوال قومنا في الجنوب ، ومن حسن الحظ ان يواتيه على هذا قلم اصيل موهوب ، استطاع ان يسجل المشاهدات في دقة وصف وبراعة اداء ، فاذا القارىء ينتقل مع المهندس الدليل ، مصعدا نحو النبع المبارك ، في صحبة النيل العظيم الذي كتب مجراه تاريخنا كله ، وصنعت مياهه حياتنا جميعا ، في الشمال وفي الجنوب

وتبدأ الرحلة بوصف « الطريق الى السودان » وصفا شائقا لا تخل عليه من بهرج زائف او تكلف بغيض ، حتى اذا وصل بنا الدليل الى « الخرطوم » ، توقف برهة ليحدثنا عن عاصمة الجنوب ، قبل ان يعبر بنا النيل الى الضفة الاخرى تجاه الخرطوم ، حيث تقوم مدينة اخرى تطاولها عزة وتنازعها الزعامة والنشاط : تلك هي مدينة « امدرمان »

ثم يمضي في رحلته لينتقل بنا من « امدرمان » الى « ملاكال » حيث تصل الرحلة الى ذروتها من ناحية تنوع المشاهد وطرافة المناظر ، واذ ذاك يدير المهندس حديثه الشائق الى وجهة اخرى ، ليعرض علينا ، اثر مصاحبة الرى المصرى في الجنوب ، عرضا امينا منصفا لا يستطيع ان يتجاهل ما بذلت مصر من جهود لاحكام الصلات بين شطرى الوادى ، او ينكر ما قامت به هناك من اعمال كبار ، كان لها الفضل الاول في تعمير هذه المنطقة العزيزة من ارض الوادى ، وتبديد ما ران عليها من الظلمات

واذ ادع للقارىء الكريم متعة المطالعة في هذا الكتاب ، ارجو — كذلك — ان يجد اولو الامر في حديث الاستاذ خليفه ، ما يستأنسون به فيما تبذل مصر من جهد لخير السودان

بنت الشاطىء

من الاستاذ

التاريخ : ٣٠ / ١١ / ١٩٥٣

في ذكرى المولد :

الفداء

للدكتورة بنت الشاطئ

اصبحت «قريش» ذات يوم من شهر جمادى الاولى قبل مبعث النبي عليه الصلاة والسلام بنحو احدى واربعين سنة ، ولاحديث لها الا «عبد المطلب بن هاشم» الذى خرج ببنيه العشرة الى الكعبة، ليضحي احدهم وفاء بنذره يوم كشف عن بئر زمزم المطمورة : « لئن ولد له عشرة نفر ثم بلغوا معه حتى يمنعوه لينحرن احدهم عند الكعبة » .

ولم يكن له يومذاك سوى ولد واحد ، هو بكره « الحارث » ، فلما توالى بنوه عشرة وكان « عبد الله » اصغرهم جميعا، لبث حتى عرف انهم بحيث يمنعونه ، فدعاهم الى الوفاء بنذره ، فلبوا طائعين ، وخرجوا معه وقد حمل كل منهم قدحا عليه اسمه ، ليختار رب الكعبة ايهم شاء ...

وخفقت قلوب نساء قريش عطفا وحنانا في انتظار اللحظة الفاصلة ، ولعل عددا منهن قد ذهب فيمن ذهب الى الكعبة ، ليسمع كلمة السماء في الذبيح المختار ، على حين بقيت « آمنة بنت وهب» مع من بقين ، تترقب الانباء في لهفة ، وهي لا تدري اى بني العم يختاره رب الكعبة وفاء بنذر شيخ الهاشميين .

ومضت الساعات ثقيلة بطيئة ، وما من عائد يخبر عما كان هناك في الحرم ...

لم انتشر الخبر فجاة في سرعة البرق اما! ارجاء مكة متنقلا بين اندية قريش ودورها :

لقد اختارت الكعبة « عبد الله » ذبيحا .

ووجمت « آمنة » للنبأ كما وجمت له كل قرشية يعز عليها ان ينحر زين شباب مكة ، واعز ابناء «عبد المطلب» على أبيه وعلى قريش جميعا !

وتتابعت الاخبار بعد ذلك سراعا ، تصف كيف دخل شيخ هاشم ببنيه على « هبل » في جوف الكعبة ، واخبر صاحب القداح عنداك بنذره ، ثم قاوم عاطفة الابوة بكل مايملك من شجاعة وارادة وايمان، ليقول لصاحب القداح:

« اضرب على بني هؤلاء بقداحهم هذه » !

فاعطاه كل واحد من الابناء العشرة قدحه الذى فيه اسمه ، والابوة يثقل عينيه بهنهم جميعا ، حتى استقرت نظراته آخر الامر على اصغرهم « عبد الله » فناء قلبه رقة وحبا واشفاقا ، وراى « ان السهم اذا اخطأ هذا الفتى الحبيب ، فقد اشوى » !

وحانت اللحظة الحاسمة :

ضرب صاحب القداح ، و«عبد المطلب» قائم يدعو الله ، فخرج القدح على «عبد الله» ! هنالك جمع الشيخ كيانه المهتز ، واخذ فتاه الغالي بيد ، وامسك الشفرة باليد الاخرى ، ثم اقبل به على الكعبة ليذبحه .

بهذا كله طارت الانباء في ارجاء « مكة » حتى بلغت حي بني زهرة، ثم امسك الراوي، وخيم على الافق وجوم حزين ، وجمدت الاعين فما تجود بدمعة !

واقفرت دار سيد بني زهرة من رجالها ، كما اقفرت اندية قريش جميعها ودورها ... فهل تراهم ذهبوا ليحضروا مذبح « عبد الله » وبكا... الى جانب ابيه الشيخ وهو يعاني الم... الرهيبة !

و... النهار ..

وان... ليل كثيف السواد متراكب الظلمات ورجال قريش لم يثوبوا بعد الى دورهم ..

حتى عاد من يخبر ان الرجال قد ارتحلوا من «مكة» فما فيها منهم ليلتئذ سامر !

انبثق شعاع ضئيل من الامل وسط الظلمات ...ئبة ، حين مضى الراوي في حديثه يقول :

لم يكد الاب يهم بذبح فتاه ، حتى قامت اليه قريش من انديتها فقالوا :

— ماذا تريد ياعبد المطلب !

اجاب :
« الي بنذري » ،
فقالت له قريش :
ـ والله لا تذبحه ابدا حتى تعذر فيه .
لئن فعلت هذا ، لايزال الرجل يأتي بابنه حتى يذبحه ، فما بقاء الناس على هذا !.
ووثب رجل من خئولة عبد الله ، فامسك بيد عبدالمطلب وهو يصيح :
ـ والله لا تذبحه ابدا حتى تعذر فيه ، فان كان فداؤه باموالنا فديناه
واضاف شيوخ قريش :
ـ فلتنطلق بولدك الى عرافة بخيبر لها تابع ، فلتسألها : ان امرتك بذبحه ذبحته ، وان امرتك فيه بأمر ، لك وله فيه فرج ، قبلته ...
فنزل «عبدالمطلب» على راي القوم ، وانطلقوا في طريق خيبر يلتمسون الراي من عرافة الحجاز مضرا ، وخلفوا من ورائهم قلوبا واجفة وعيونا مسهدة ، وجنوبا قد نبت بها المضاجع ، والسنة ضارعة في جوف الليل ، لا تفتأ تدعو الله للمستشهد الامين الصابر : عبد الله بني هاشم .

واحتبست رحباؤهم ايام وليال فارت العشرين عدا ، وانتاب الخطر يطبقات السرى ثاويا تبر القلا من الصم الصلاب .
وتقلب اندية قريش ومسامرها طوال تلك المدة ، مقفرة خلاء ..
ولجثمت بيوتها ماثلية من القلق والهم والانتظار ....
وارهفت الاذان لعلها تتسمع نبأ عن مصير الفتى العزيز
وتوقفت الحياة او كادت في تلك الايام العشرين . فقد غاب من «مكة» اميرها وفتاها ، وعدوهما سادة قريش ونجومها الزهر
وراح العبيد والاماء يسعون بين الدور وبين ممر القوافل ، يلتمسون هنالك وافدا من «خيبر» يعرف شيئا من انباء الركب الغائب
وشهدت الليالي نفرا من العقائل الكريمات يتسللن من احياء قريش محجبات بستار من الظلمة الحالكة ، فاذا بلغن الحرم لذن بالكعبة مبتهلات متوسلات ، ثم انطلقن على اثر ذلك الى «السعي» بين الصفا والمروة ، يدعون الله ان يستجيب لضراعتهن كما استجاب لضراعة «هاجر» في هذا المكان ، وان ينقذ «عبدالله» كما انقذ جده «اسماعيل»

ثم كان لهذا كله آخر ، حين لاحت عند الافق الشمالي سحب من غبار منتشر ، تكشفت عن قافلة تغذ السير الى «مكة» فعرج الغلمان على قمم الروابي ورءوس الجبال ، يستكشفون امر القافلة ، فاذا الركب يدخل «مكة» على عجل سابقا نحو ساحة الحرم ، وهناك ترجلوا جميعا ولبثوا قاعدين يدعون ، على حين مضت رسلهم الى احياء قريش لجمع الابل ولسوقها نحو « البيت العتيق »
وشاع في البلد وذاع ، ان القوم انطلقوا الى كاهنة الحجاز حتى جاؤوها « بخيبر » وقص عليها « عبد المطلب » خبره وخبر ابنه « عبد الله » وما كان من قصة النذر ، فقالت العرافة :
ـ ارجعوا عني اليوم ، حتى يأتيني تابعي فاسأله ..
فلما مضوا عنها قام « عبد المطلب » ابهته يدعو ربه ، ثم غدوا على العرافة فقالت لهم :
ـ قد جاءني الخبر : كم الدية فيكم ؟
اجابوا : عشر من الابل
قالت :
ـ فارجعوا الى بلدكم ، وقربوا صاحبكم وقربوا عشرا من الابل ، ثم اضربوا عليها وعليه بالقداح ، فان خرجت على صاحبكم فزيدوا من الابل عشرا فعشرا حتى يرضى ربكم ، وان خرجت على الابل فانحروها عنه فقد رضي ربكم ونجا صاحبكم .

ثم كان الفداء ...
« قام عبد المطلب يدعو الله ، وقربوا عبد الله وعشرا من الابل ، وضربوا فخرج القدح على عبد الله .
« فزادوا عشرا اخرى ، ثم مازالوا يزيدون عشرا بعد عشر ، فيخرج القدح على عبدالله
« حتى بلغت الابل مائة ، وقام عبد المطلب يدعو الله ، ثم ضربوا فخرج القدح على الابل
اذ ذاك هتفت قريش ومن حضر
ـ قد انتهى رضا ربك ياعبد المطلب ..
فاطرق مليا ، ثم هز راسه في ارتياب وقال :
ـ لا والله حتى اضرب عليها وعليه ثلاث مرات !..
فضربوا الاولى ، وعبد المطلب قائم يدعو الله فخرج القدح على الابل
ثم عادوا الثانية ، والثالثة ، والقدح يخرج عليها ،
هنالك اطمأن قلب الشيخ ، « ونحرت الابل المئة ثم تركت لايصد عنها انسان ولا سبع »

قال « ابن اسحاق » شيخ كتاب السيرة النبوية » :
« ثم انصرف عبد المطلب آخذا بيد عبدالله فخرج حتى اتى به وهب بن عبد مناف بن زهرة ... وهو يومئذ سيد بني زهرة نسبا وشرفا ، فزوجه ابنته آمنة افضل فتاة في قريش حسبا وموضعا »

التاريخ : ٢٠ / ١١ / ١٩٥٣

أم الأيتام ..

للدكتورة بنت الشاطئ

طلبت الى اديبتنا اللامعة الدكتورة بنت الشاطئ ان تخص « ركن المرأة » بمقال من قلمها الملهم ، فاختارت ان تكتب عن « ليليان تراشر ، أم الايتام المصريين »
وستجد قارئاتنا الكريمات تلخيصا للكتيب الذي وضعه الاستاذ حزقيال بسطوروس عن ليليان تراشر في باب « مفتاح الثقافة »

منذ بضعة اعوام ، كنت ازور مدينة اسيوط ، فاذا كل من لقيت هناك يسألني :
ـ هل زرت ملجأ « مس ليليان » ؟
ولم اكن قد سمعت قبل يومي ذاك من « مس ليليان » .. ولا كنت احسب الملجأ [illegible] ... ولكني رأيت ان [illegible] الكبرى في تقدير اهل المدينة

ومررت النيل الى ضفته الشرقية ، الى ملجأ « مس ليليان » وكانت شمس الاصيل تلف الكون بغلالة ساحرة من ضوئها الوردي الدافئ ، وقد بدأت جماعات الرعاة والفلاحين تؤوب الى مأواها في خطا وئيدة وانية

سألتهم ان كانوا يعرفون ملجأ « مس ليليان » ؟ فلم اجد منهم غير واحد :
ـ وهل في اسيوط كلها من يجهله ؟
وتطوع نفر منهم فساروا معي الى الملجأ ، وكأنما كان يسرهم ان يفعلوا
[illegible] ... وعلى وجوههم سمرة السحنة :
ـ هؤلاء هم اولاد « مس ليليان »
واحاط بي الاولاد يسألونني في لهفة :
ـ هل تريدين ان تروري « ماما » ؟
اهزتني الكلمة الغالية المثيرة ، وحركت في قلبي شجنا اطريه ، وان كنت لا ازال اجد طعمه المر في فمي ، منذ رحلت امي !
وتبعتهم في صمت ، حتى جازوا بي بابا كبير موصد ، لبناء كبير قائم وسط الحقول ، فلاذا بي تجاه امام سيدة كهلة وقور ، يتوج راسها شعر ناصع الشيب ، وتنطق ملامحها بالرقة والوداعة والحنان
وقدم الصغار امهم الي ، فمدت يدها تصافحني وهي تبتسم مرحبة
وحدثتني عن الملجأ طويلا ، وعن ابنائها ، هؤلاء اليتامى الذين تضمهم تحت جناحيها ، وتهيئ لهم من امومتها ومن دارها ، ملاذا ومأوى ...
ثم قامت تطوف بي في انحاء البناء الكبير ، متنقلة من جناح الرضعاء ، الى منزل الفتيات ثم الى منزل الصبية الغلمان .
وارتني مطابخ الدار ، والمخبز ، والمصنع وقاعات الدرس ، وساحات اللعب ، ومخازن المئونة ، ثم دعتني الى غرفتها الصغيرة ، حيث امدت لنا قدحين من الشاي .
والهدف الرحب تراني واجمة ، وبدا لها في صمتي شيء ، كنت قد شاهدتها في ملاجئ السهولة والبهائم ودرب الحجر ، حيث يعيش اللاجئون عيشة تعسة مزرية ، الموت خير منها الف مرة
ولمحت مضيفتي ما مر في رأسي من وجوم واكتئاب فجاءت بحافظة للصور ، اختارت منها صورة لفتاة حلوة ، في عمر الصبا وريعان الشباب .. وسألتني في تلطف ان كنت اعرفها ؟
ولما ابديت من الجواب ، قالت وهي تبتسم :
ـ هذه التي كنتها في الماضي البعيد !
وروت لي قصة الفتاة الامريكية التي كانت تستعد لحفلة عرسها ، وقد ترك الزفاف [illegible] ... حياة جديدة في عالم جديد

وشهدني المساء اذ ذاك ، اودع « مس ليليان » ، واعود الى اسيوط ، ماخوذة بما رأيت وما سمعت .
ومضت اعوام واعوام ، وذكرى « مس ليليان » تعاودني من حين الى حين . فاكاد المحها على البعد ، مستغرقة في جهادها الصامت النبيل من اجل الانسانية .
حتى تلقيت منذ الشهر كتابا صغيرا عن « ليليان تراشر : ام الايتام المصريين » فبدا لي ان ابعث به مع كلمتي هذه ، الى زميلتي « جاكلين خوري » لعلها تجد في الكتاب ما تنقله الى قارئات « صفحة المرأة بالاهرام » عن واحدة من بنات جنسنا ، اهدت في انسراء الحياة الامريكية ورغدها ، ورضيت ان تحيا في جوف الصعيد مدى خمسين عاما . حياة خشنة كادحة . تعوضها ابتسامة هؤلاء اليتامى الذين ردت اليهم « مس ليليان » نعمة الامومة ، وانها للنعمة الكبرى !

بنت الشاطئ

التاريخ: ٢٣ / ١١ / ١٩٥٣

كتب جديدة

في اللغة والنحو

التذكرة التيمورية

هو اثر فريد من اثر العلامة المحقق « احمد تيمور » تقدمه لجنة نشر المؤلفات التيمورية الى قراء العربية ، بعد ان ظل مخزونا في خزانة كتبه العامرة ، لتضيف به ذخيرة جديدة الى تلك الذخائر التي اذاعتها من قبل، واتاحت لنا بها الانتفاع بما خلف فقيد العربية من ثمرات جهده في الدرس والبحث والاطلاع

واذ نصف هذه « التذكرة » بانها فريدة بين الآثار التيمورية ، لا نغلو ولا نسرف ، فقد تعودنا فيما قرانا من كتب تيمور ، ان نراه يخلص للموضوع الواحد فيجمع فيه خلاصة طيبة لما قرا من مراجع على ان اجتمع مثلها في مكتبة دارسة ، وكان هذا شأنه في كتابه من « ابي العلاء المعري » وفي كتابه عن الامثال والكنايات العامية » وفي غيرها من الكتب ، اما في التذكرة فشأنه غير ذلك ، اذ هو لا يقتصر فيها على موضوع بعينه ، وانما يضمنها فوائد ونوادر شتى في الدين والعلم والادب والاجتماع اختارها الفقيد من مطالعاته، ورتبها على حروف المعجم ليسهل الرجوع اليها .

وقد تعرض الفقيد ان يورد في هذه التذكرة ما يظن انه غير قريب من متناول الدارسين ، وان يشير الى مصادر ليست ــ غالبا ــ مما يخطر على البال حين نلتمس هذه المسألة او تلك ، وان لم تكن المصادر في ذاتها غير مجهولة لنا ولا بعيدة عنا

لقد يعجب منا مثلا ان نلتمس في كتاب « الغرب لابن سعيد » ــ وهو ذائع معروف ــ ما يدل على انهم كانوا يضعون صناديق لجمع الاعانة لفك الاسرى . وفي مادة « السرنية » مثلا ــ واصلها السرنية وهم العنقاء ، عن البيروني ــ يحيلنا المؤلف على التذكرة الظاهرية (رقم ٨١٦ ادب ، جزء ٦ صفحة ٢٢٩) والفتاوى الحديثية لابن حجر الهيثمي (مخطوطة رقم ١٦٦ معالم ، ص ٧٥٦) وخلاصة الاثر (رقم ٢٦٦ تاريخ ، جـ ١ ص ٥٠) وازاهير الرياض المريعة (رقم ٢٢ لغة ، ص ١٢١)

وفي مادة « جزائر الزنزاق » يحيلنا على نخبة الدهر (رقم ٦٦ بلدان ، ص ١٦ ، ص ١٦٩) ونهاية الارب (رقم ١٥١ معالم) الجزء ص ١٢٧ بالعالمية)

وارقام المراجع هنا تشير الى مكانها في فهرس المكتبة التيمورية .

والتذكرة مقدمة بكلمة جامعة للسيد الرئيس السابق « الدكتور علي ماهر » استهلها بالحديث عن شخصية تيمور ومكانته العلمية ، ثم قدم التذكرة قائلا :

« ونستطيع ان نقدر مدى انقطاع المؤلف العلامة للعلم ، اذا ذكرنا انه كان يضع جزازة لكل موضوع يرد في مطالعاته ثم يجمع الجزازات ويرتبها ويبوبها ليضمها في هذا الفهرس الكبير بموضوعاته المتنوعة »

ثم التفت السيد الدكتور الى نهضتنا الحاضرة وما يعوزها من اسس علمية يقوم عليها صرح النهضة فقال :

« واذا كان عزمنا قد صح على النهضة والتقدم بحضارتنا وبلادنا ، فما احرانا ان نلم بالمعارف العربية القديمة ، وان نتمثل في دراسة اسرارها ، وان نضيف جديدها لما الى صنيع من سبقونا

« ونحن لا نستطيع بلوغ غايتنا الا اذا اقبل علماؤنا وشبابنا على البحث والدرس وتوفروا عليهما توفرا ، وانقطعت طائفة لهما انقطاعا ، ولهم في المغفور له « احمد تيمور » اسوة ومثل

« واذا كان المستشرقون قد سبقونا الى وضع دائرة المعارف الاسلامية ، تعرف بتاريخ العرب السياسي والعلمي والفني ، واذا كنا قد بدانا ترجمتها الى العربية منذ سنين طويلة ثم لما نتمها ، اذا كان هذا سبيلهم وسبيلنا ، فما اجدرنا في بداية نهضتنا المأمولة السداد والرشاد ان يتكتل العلماء والاساتذة الباحثون والمعنيون بالنشر ثم العمل لوضع دائرة معارف عربية ، تشبه دائرة المعارف البريطانية ولتعبر عن اماننا وامانينا وجدنا في حاضرنا »

فهل تبلغ هذه الدعوة القريبة من الاذان والقلوب مسمعا ؟ ارجو واامل .

بنت الشاطئ
من الاهرام

التاريخ : ٣٠ / ١١ / ١٩٥٣

كتب جديدة

في المكتبة المصرية

استرابون فى مصر

مكتبة الانجلو : ١٥٥ ص م

منذ عام وبعض عام ، قدمت الى قراء الاهرام كتاب « ديودور الصقلى فى مصر » الذى نقله « الدكتور وهيب كامل » من اليونانية ، مستجيبا الى الدعوة الكريمة التى نادت بتوجيه جهود الدارسين عندنا الى جمع كل ما يتصل بمصر ، كيما تستكمل المكتبة العربية التى عنى بها علماء اجانب ، اكثر مما عنينا بها نحن اصحابها واولى الناس بها

واليوم القى الكتاب الثانى للزميل « الدكتور وهيب كامل » وقد نقل فيه الجزء الخاص بمصر من كتاب « استرابون » الجغرافى اليونانى القديم ، فاقبل على قراءته رغم زهدى فى مطالعة كتب الجغرافيا ، واشعر بالغبطة اذ اجد بين زملائى فى الجامعة ، من ينتجه هذا الاتجاه الرشيد ، فيزودنا بمادة اصيلة من مراجع الجغرافيا التاريخية لمصر ، تنقل من الاصل اليونانى ، وكنا من قبل نكتفى بالاخذ عن التراجم الفرنسية والانجليزية ، التى لا تخلو من اخطاء النقل وعيث الهوى

وربما شاق القارىء اول الامر بهذه المقدمة التاريخية التى عرف بها « الدكتور وهيب » مصر استرابون وتاريخ اجداده ، وهى مقدمة لابد منها لفهم النص ، لولا انها امتلأت باعلام يونانية قديمة ، غريبة عن غير المتخصصين ، ولو الم الزميل بعصر استرابون الماما عاما ليعطينا فكرة واضحة عنه ، دون ان يثقلها بحشد من الاعلام والتفصيلات الجزئية ، لكان هذا اقرب الى ان نتعرف الى ملامح البيئة العامة للرجل فى غير ارهاق او مشقة

على اننا اذا جاوزنا الصفحات الاولى من المقدمة ، الفينا امامنا عرضا شائقا لحياة « استرابون » ، ورحلاته التاريخية التى طالما ازدهى بها ، وكتابه « الجغرافيا » ذى الشهرة العريقة . وهنا يجلو لنا « الدكتور وهيب » فى براعة ، ما حول الكتاب من ظروف الزمان والمكان ، والمصادر التى اخذ منها استرابون مادته ، وسبب تأليفه ، مع وصف اسلوبه وخصائصه المميزة .

ويلى ذلك عرض منسق لاقسام الكتاب ، يمهد للحديث عن استرابون فى مصر ، قبل البدء فى نقل القسم السابع عشر من كتابه ، وهو القسم الذى افرده استرابون لوصف مصر واثيوبية وساحل ليبيا الشمالى ، معتمدا على مشاهداته الشخصية مدى خمس سنوات اقامها فى بلادنا ، ومضيفا اليها كثيرا مما شاهده الجغرافيون قبله .

ويقدم « الدكتور وهيب » هذا القسم قائلا : « وبعد فهذا كتاب الفه صاحبه منذ قرابة الفين من السنين ، وتحرى فيه منهجا علميا واضحا ، واثبت فيه من وصف مصر وعادات سكانها فى تلك الحقبة البعيدة الشىء الكثير ولنصه عندنا حرمة تجعلنا نتحرج من التصرف فى الترجمة ، ولذلك آثرنا الاقتراب من الاصل ما وسعت اللغة ، مبرزين اسلوب المؤلف وطرائق تعبيره .. وابقينا على اسماء المدن كما جرى بها قلمه ، واثبتنا مايقابلها فى العصر الحديث ، وكذلك الامر فى الاوزان والمكاييل والاطوال . »

واحسب ان القارىء ، يستطيع ان يجد فى هذه الكلمة الموجزة ، ملامح من الشخصية العلمية للدكتور المترجم ، وان يطمئن الى سلامة منهجه ، وان يقدر لحرمة النص التاريخى كما احسب يلمح وراء هذه العبارة ، مدى الجهد المبذول فى خدمة نص كهذا كنا فى حاجة اليه ، لنرى صورة لبلادنا كما رسمها جغرافى مؤرخ اديب ، استطاع ان يجعل من الوصف الجغرافى نغمة تاريخية شائقة ، تستهوى القارىء فى غير تكلف او املال .

البعث

ط الاعتماد : ٢٢٨ ص لد

لعل من مظاهر الاستجابة لنداء العهد الجديد ان يعكف الكتاب على دراسة شئوننا العامة ، ويتقدموا الى العاملين ببرامج للاصلاح انمرها الدرس . ونشجع عقب ظهورها امل الدارسين فى ان تلقى جهودهم القيمة عناية من ....

القائمين بالأمر فينا) واهتماما منا بالاصغاء الى تجارب الباحثين وتشجيعها ثم الانتفاع بها في اقامة صرح النهضة الحاضرة

وبين يدى من هذه الدراسات القومية كتب ثلاثة: يحمل أولها عنوان « البعث » وهى كلمة كبيرة يرى فيها المؤرخ المنصف عنوان الثورة الشعبية الكبرى وهدفها الامجد

وما احسب هذا المعنى قد غاب عن الاستاذ محمد عبد المعطى عفيفى » حين اختار كلمة « البعث » اسما لكتابه وعنوانا عليه، بعد ان لبث ... سنين طويلة يرقب حال قومه ويرصد متاعبهم والامهم دون ان يلمح على الافق شعاعا من نور ، يغرى بالأمل . حتى اذا اشرق الفجر الجديد نشر الاستاذ عفيفى ما طوى من اوراقه ، وأقبل يقرأ ما كتبها على ضوء هذا الفجر ، فماذا ترتب ... البعث ؟

والكتاب يقوم على فكرة واضحة ، وهى « ان الانهيار الذى اصيبت به البلاد فى كل مرافقها » لا يمكن ارجاعه الى علة واحدة، بل تآزرت علل متعددة على تحقيقه وشد ازره . والعلاج لا يمكن توفيره على خطوات بمحاربة علة بعد اخرى، ولكن باعلان حرب عوان لا هوادة فيها ، على تلك العلل جميعا، وفى وقت واحد،

ومن اجل هذا، لم يؤثر الكتاب مشكلة واحدة بالدرس المفرد ، وانما تناول امراضنا جملة فراح يشخصها واحدا بعد الآخر ، ثم يقترح لها العلاج الذى يراه مجديا

وقارئ الكتاب ، يشعر بطمأنينة الى صدق المؤلف حين اكد فى المقدمة ان كل كلمة سطرها، انما انبعثت من صدره عن عقيدة وايمان .

ثم هو الى جانب هذا ، يقيم حديثه عن نهضاتنا الاقتصادية والعلمية والصحية والدينية والسياسية والاجتماعية ، على الدرس المدعم بالارقام قدر المستطاع ، مع عناية ظاهرة بالتعبير الواضح والاخراج المنسق.

ولعل تقديرى لجهد الاستاذ عفيفى ، هو الذى يشجعنى على ان اعتب عليه امرين :

اولهما : يأسه الكافر حين ادلهمت الظلمات فى العهد الغابر ، فدفعته الى « ان يطوى القرطاس ، ويحطم القلم » ص ١٠ ، وهذا فيما نرى كفر بحيوية هذا الشعب الابى المناضل ، الذى صنع ثورته فى ليله الطويل الحالك ، ولبث فى محنته الرهيبة عصيا على الموت ، مستعصما بالايمان ، متشبثا بالامل فى نور تمحو آيته كل ظلام

والامر الثانى : ان الاستاذ المؤلف ظلم الحق والتاريخ حين كتب يقول :

«وكان يحز فى نفسى أن أرى العلل غير مستعصية

بنت الشاطئ

من لاشاء ...

التاريخ : ٨ / ١٢ / ١٩٥٣

كتب جديدة

في الشئون القومية والاجتماعية

معركة التحرير

عن دار المستقبل : ١٦٠ ص م

ظننت حين بدأت أقرأ الكتاب الذي ألفه « الأستاذ ابراهيم سعيد قرشي » من « معركة التحرير » أنه يؤرخ معركتنا الكبرى التي خاضت الوطن في الشهور الأخيرة لكني ما لبثت أن وجدته شيئا غير ما ظننت . فلقد ترك الأستاذ قرشي مهمة هذا التاريخ لمن تخصصوا فيه . وجاء يعرض علينا برنامجا للتحرر السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، على ضوء ما عرف من علل المجتمع وما لمس من متاعب الشعب وما رأى أثناء دراسته في أوربا من قيام النهضات على أسس راسخة من احترام انسانية الانسان .

وما أذكر أني قرأت للأستاذ قرشي شيئا قبل « معركة التحرير » لذلك لفتني فيه أسلوب قوي خصب ، يتدفق دون تعثر أو استكراه ، ويمضي الى هدفه في وضوح ودقة ، مع أصالة في الفكر ، ومصرية صميمة لم تفتنها أضواء الغرب الى حد يغشي البصر ، وانما أراد أن يتخذ من هذه الأضواء ما يكشف من مدى هبوط المستوى الاجتماعي للشعب الكادح الصابر ، الذي كثر الدخلاء بإنسانيته وما فتئوا زمنا يستغلون صبره وكدحه أبشع استغلال ، ولقد غرهم به الغرور حتى أخذهم طوفان الثورة على غرة ، فأدركوا — بعد فوات الأوان — ما وراء الثياب المرقعة والأجسام الهزيلة ، من معدن أصيل كريم ، يمهل ولا يهمل ، ويصبر لكن الى مدى ، ويحتمل لكن لا من خضوع واستسلام .

ويبدو أن تخصص الأستاذ قرشي في العلوم الاقتصادية ، جعله يحترم الأرقام ، ويتجه في تفكيره وأسلوبه اتجاها عمليا دقيقا ، فرسم أمامنا برامج محددة لمحاربة الجهل والفقر والمرض ، موجها همه الأكبر لمرض الاستعمار الذي كان أخبث علة ابتلى بها هذا الشرق

ولا أحكم الآن على قيمة ما قدم الأستاذ المؤلف من مقترحات لمعركة التحرير ، وانما أكتفي بأن أقدم الكتاب اليوم الى من يعنيهم الأمر ، وهذا هو ما قصد اليه الأستاذ قرشي من كتابه ، حيث أهداه « الى الذين لم يتشرفوا بخدمة المراضي المستعمر ، ولم تفسد نفوسهم الحزبية العمياء ، ولم تفتك بضمائرهم المصالح الشخصية والأطماع الدنيوية ...

« عسى أن يجدوا فيه بصيصا من نور ، يهتدون به في جهادهم من أجل الوطن . »

شرح قانون الضمان الاجتماعي

دار المعارف : ٢٧٠ ص ق

في شهر سبتمبر من عام ١٩٥٠ ، صدر قانون الضمان الاجتماعي الذي فرض على الدولة أن تقدم المساعدة لمن هم في حالة عوز من الأسر والأفراد ، تحقيقا لمبدأ التكافل الاجتماعي بين طبقات الشعب الواحد ، حتى لا يعرف أحد جوعا ولا بلاء من فرطه الشقية

وما أن صدر هذا القانون ، حتى شرعت وزارة الشئون الاجتماعية تستعد لتنفيذه ، فكان من بين الاجراءات التي اتخذتها لذلك ، اعداد طائفة من الموظفين الفنيين الذين يوكل اليهم أمر التنفيذ ، فنظمت لعدد من خريجي الجامعات ، برنامجا دراسيا خاصا ، قام بتدريسه أساتذة من رجال الاجتماع والاقتصاد والقانون والفقه الاسلامي

ولم يكن غريبا أن تفتقر هذه الدراسة الى وسائل التطبيق العملي لمشروع ليس لمصر سابق عهد به ، ولا كان لديها اذ ذاك من الأساتذة والموظفين من لهم تجربة فيه ، ولذلك ما كاد العمل يبدأ ، حتى وجد الموظفون أنفسهم أمام مشكلات عملية متنوعة وأخرى قانونية لا يجدون لها حلا من نصوص القانون والقرارات الوزارية المنفذة له ، كما أظهر التطبيق حالات ذات ظروف خاصة أغفلها المشروع أو غامضة

ولتعثر المشروع في خطواته الأولى ، ولم تكف الجهود المبذولة للحماية من هذا التعثر ، ومن ثم بدت الحاجة الماسة الى مرجع واضح لمتقلدي الضمان ، يرجعون اليه في التطبيق . وهذا هو المرجع يقدمه اليوم اثنان من ذوي الخبرة الفنية في موضوع الضمان ، وهما الأستاذان « راغب بطرس : المستشار الفني السابق بالشئون الاجتماعية ، وابراهيم علي المحلاوي : رئيس قسم القضايا بمصلحة الضمان الاجتماعي »

والباب الأول من الكتاب ، يتحدث عن مدى سريان القانون على المصريين وعلى الأجانب معا على حين يختص الباب الثاني بشرح أنواع المعاشات للأرامل ، والأيتام ، وفي حالتي الشيخوخة والعجز الكلي ، مع بيان الشروط المقررة لكل حالة . أما الباب الثالث فيتحدث عن تحديد قيمة المعاش ، والاعتبارات التي روعيت في هذا التحديد . ثم تبين الأبواب الأربعة التالية ، اجراءات ربط المعاش وتسجيله وصرفه ، وتسديده ، وقطعه ، والمساعدات

التاريخ : ٨ / ١٢ / ١٩٥٣

الاجتماعية التي رأى ادخالها بجانب نظام المعاش

اخص الباب الثامن والتاسع ، ببحث الوسائل التي تساعد اصحاب المعاشات والمساعدات على التحرر من العوز

ثم رأى الاستاذ المؤلف استكمالا للبحث وضمانا لان يؤدي الكتاب غايته كمرجع ، أن يذيله بعدد من الملاحق ، تجمع نص قانون الضمان ، ونصوص القرارات الوزارية المنفذة له ، مع عرض موجز لنظام المساعدات العامة في بعض الدول الاخرى ، وبيان للحلول التي اخذت بها مصلحة الضمان الاجتماعي ، في الحالات التي خلا القانون من نص بشأنها ٠

القسم

شركة سليمة للطباعة والنشر بالقاهرة

وهذا الكتاب ايضا يقدمه « الاستاذ مأمون مليش » الى مكتبتنا القومية ، ويهديه « الى الذين يؤمنون بالحق ويدفعهم هذا الايمان الى العمل وانكار الذات

« والى الذين يضعون ارواحهم على اكفهم في القيم الانسانية العليا لينتصرون للخير ويمهدون للبناء ويتقولون على انفسهم في سبيل المجموع

« والى الذين يضعون ارواحهم على اكفهم في سبيل مبادئهم ، ولا يشغل وجودهم غير الانتصار او الموت ٠ »

اما موضوع الكتاب ، فهو ذلك القسم التاريخي المفهم ، الذي نطق به الرئيس القائد في اليوم الثالث والعشرين من يناير الماضي ، لردده الشعب من بعده في ثقة وايمان :

« اللهم انك تحب الابرياء وتكره المستضعفين

« ولتنزل رحمتك على الذين يؤثرون الموت العزيز في سبيل الحرية ، على الحياة الذليلة في مجال الاستعباد

« اللهم انك لتقرب ترى وتسمع

« وانا لنقسم بذاتك العلية على ان نعمل ما وسعنا العمل ، لارساء قواعد الحياة المقبلة لوطننا المفدى ، على اصول محررة من العبودية ، منزهة من الهوى ، موصولة بالحق والعدل

« وان نبذل في سبيل ذلك ما تقتضيه مصلحة امتنا ، ويقتضيه شرف بلادنا

« وان يكون شعارنا دائما : الاتحاد والنظام والعمل

« اللهم فاشهد وانت خير الشاهدين »

ولقد مضى الاستاذ مليش يحلل هذا القسم فقرة فقرة ، ويكشف عن مراميه البعيدة واهدافه الكبار ، في اسلوب يفيض حماسة وايمانا ، فجاء الكتاب اشبه بقصيدة شعرية ، تمجد الحرية ، وتنتشي بالحق ، وتهتف للحياة : الحياة كما يجب ان تكون : سمحة ، حرة ، قوية ، كريمة ، ذات هدف نبيل ٠

مشكلة الموظفين

دار الكتاب العربي ٢٧٨ ص م

هي المشكلة المزمنة التي ماتنفك مصر تئن منها وتلتمس لها الخبراء وتقترح لها الحلول، ثم لا تزداد مع السنين الا تعقيدا واستعصاء على العلاج ، وربما كان من الممكن السكوت عليها كما سكتنا على كثير من المشكلات المتروكة للزمن وللمقادير ، لولا ان الموظفين هم ادوات الجهاز الحكومي الذي يستنفد اكثر جهد الدولة ومالها ، وتناط به مهمة ادارة البلاد ، فأي خلل يصيب هذا الجهاز ، قد يعوق سيرنا كله ، ويفسد الحياة العامة ٠

ولقد كان انشاء ديوان الموظفين هو آخر محاولة بذلت لعلاج المشكلة ، ولعل من الظلم ان نتعجل الحكم على مدى صلاحية هذه المحاولة للمهمة الخطيرة التي انشىء الديوان من اجلها ، فما يزال الديوان في بدء حياته ومستهل عمره ، والمدة التي مضت على وجوده ، تكاد لا تكفي للاهتداء الى مواضع الخلل ، فضلا عن التماس طريق الاصلاح ٠ غير ان هذا لا يجوز ان يحول دون اهتمام ذوي الرأي او التجربة ، بدراسة قانون الموظفين على هدى تجاربهم ، لعلهم يستطيعون ان يعينوا رجال الديوان على تقصي اسباب التعثر ، وهذا هو ما دعا « الاستاذ عبد الواحد اسماعيل القاضي » المراقب بمصلحة الضرائب ، الى قراءة قانون الموظفين قراءة دارسة ، انمرت الكتاب الذي يقدمه اليوم « الى المشتغلين والى موظفي الدولة اجمعين »

ويقول الاستاذ القاضي في مقدمة كتابه عن « مشكلة الموظفين » ان دراسته لهذا القانون هدته الى حقائق اربع

الاولى : ان بعض احكامه تتضمن اخطاء جوهرية

والثانية ، ان من هذه الاحكام ، ما يغير قواعد جرى عليها العمل من قبل وتفرضها المصلحة العامة

والثالثة ، ان الاجراءات التي امر القانون باتباعها في تنفيذ احكامه ، تثير اعباء ومشقة اجهزة اخرى ، حتى يصعب التنفيذ والضبط

والرابعة ، ان المرتبات والعلاوات لم يراع فيها التوازن بين ادنى الدرجات واعلاها ، كما لم تراع فيها مقتضيات الحياة الحاضرة

ومن هنا مضى المؤلف يعرض المسألة في تفصيل واسهاب ، متناولا في ذلك احكام التعيين والترقية ، العلاوات والاجازات ، والتقارير السرية ، والتأديب ، والعقوبات ، وانتهاء الخدمة ولجنة شئون الموظفين ، ولجان المعارضات وصندوق التأمين والادخار

والمؤلف ، بادى الحرص على الا يقتصر الى وضع بعض مواضع النقص او الخطأ ، دون ان يقترح له الحل الذي يراه مجديا ، وانا لنرجو ان تظفر هذه المقترحات بما تستحق من عناية المعنيين بمشكلة الموظفين واصلاح « الاداة الحكومية »

بنت الشاطىء

من الاهرام

التاريخ : ١٢ / ١٢ / ١٩٥٣

وجهة نظر :

في مكافحة الجريمة

للدكتورة بنت الشاطئ

هو الموضوع الذي يشغل اليوم بال المجتمع العربي ، إذ يجتمع للنظر في قاهرة النيل وفود جمعت من شتى أنحاء الشرق الأوسط لتدرس الوسائل التي يمكن أن تجدي في مكافحة الجريمة ، ولتضع سياسة توجيهية للوصول إلى ذلك الهدف النبيل .

وهيئة الأمم المتحدة هي الداعية إلى عقد هذه الحلقة ، لكانت ثالثة الحلقات التي نظمتها الإدارة الاجتماعية في الهيئة ، وحرصت فيها على أن تكون في نطاق إقليمي ، كيما يدرس الموضوع من زوايا محلية بقدر الإمكان ، لتجيء توصيات الدارسين عملية صالحة للتنفيذ .

ولم يتح لي أن أشترك في مؤتمر اليوم ، غير أني حرصت على تتبع ما نشر أو أذيع من أنبائه وبرامجه وأهدافه ، فبدا لي من هذا الذي قرأت وسمعت ، أن المؤتمر يتجه إلى معالجة موضوعه الخطير في أفق رحب متحرر ، وينظر إليه نظرة إنسانية عصرية ، لا تشمئز من المجرم ولا تحتقد عليه ، ولا تغري بالإلحاح في مطاردته والإسراف في اضطهاده ، إذ ربما كان ضحية البيئة التي صنعته ، والظروف التي وجهته ، والعوامل القاهرة التي دفعت به إلى الجريمة شبه مجبر ، وإن حسبه كثيرون شبه مختار .

ذلك لأن الفلسفة الجديدة التي يأخذ بها عالم اليوم في مكافحة الجريمة وتقويم المنحرفين ، فلسفة مستمدة — كما قال الدكتور عباس عمار وزير الشئون الاجتماعية — من روح المذاهب الاجتماعية المتحررة ، مواتية لمبدأ قيام مجتمعات على أسس من العدالة الاجتماعية المعتمدة على تكافؤ الفرص ، وضمان الحياة الكريمة لأفراد الشعب جميعا .

وهذه النظرة الإنسانية ، هي التي تشجعني على الحديث في الموضوع ، وإن لم أكن ممن يحتفلون الحفل بالمؤتمرات ، أو يعقدون عليها كبير أمل .

* * *

نوه مندوب هيئة الأمم المتحدة في هذه الحلقة ، بالجهود التي تبذل لحل مشكلة الإجرام ، وما يجب أن يكملها من إمداد السياسة الاقتصادية السليمة ، التي تكفل تيسير العمل للجميع ، ونشر مزية الضمان الاجتماعي للعمال ، وتوفير المساعدات للعائلات والأحداث ، وتقوية الروح الوطنية والوازع الأدبي ، لأن ذلك من العوامل الحميدة التي تؤثر حتما في مدى انتشار الإجرام .

وتحدث متحدثون أفاضل ، عن وجوب الاستعانة بالعنصر النسوي في تقويم المنحرفين من الأحداث ، وعن استبدال ملاجئهم بالمتربة ، وعن العناية بإصلاح السجون التي قامت — حتى اليوم — على إهدار آدمية المجرم ، والقسوة في تعذيبه والانتقام منه ، والإصرار على نبذه من المجتمع .

والذي يعنيني أن أقرره هنا أمر أن الطفولة المضيعة هي — فيما أرى — أولى حلقات الجريمة ، ونقطة الابتداء في ذلك الطريق المظلم الطويل . .

ولست أقصد بهذا ، إلى التهوين من شأن تلك التشكيلات الهامة التي تتصل بالجوانب الأخرى لموضوع اليوم ، وإنما أريد أن أقول إن إصلاحيات الأحداث ، ودور السجن ، تكاد تكون نزلاؤها غالبا من بين هؤلاء الأطفال الأبرياء ، الذين ضيعتهم الأمة صغارا ، لتعاقبهم منذ ما كبروا أفدح العقاب .

ومن هنا يجب أن نبدأ ، فإن الجهود المبذولة لمكافحة الإجرام وتقويم المنحرفين وإصلاح السجون ، لن تجدي شيئا ذا بال ، إذا بقيت البيئة المريضة تنبت بذورها المشئومة في تربة المجتمع ، وتقذف إلى الطرقات بأطفال في تربة المجتمع ، وتقذف إلى الطرقات بأطفال ضالين مشتتين ، عز عليهم المأوى الكريم والمنزل الصالح والراعي الأمين ، فتتلقفهم أوكار اللصوص ، وتؤويهم كهوف الظلام ، وتحتضنهم مدارس الشر لتصنعهم على أعين الشيطان .

ولعلنا لسنا في حاجة إلى أن أذكركم بعصابات الغلمان التي روعتنا وما تزال تروعنا بما يخلع القلب ويهز الضمير هزا ، فما أخشى ما كتبت عنهم ، والأمر متعد بعد ، أخطر وأضخم من أن نلوذ بقلة رجال الأمن لتضبط العصابة بعد العصابة ، وترمي بصغارها في الإصلاحية ، وتقذف بالكبار بين أسوار السجون ، فهذا وسيلة لن يحمي المجتمع من الجريمة ، وإنما نلتمس الحماية الحقة ، من الحيلولة دون إنبات هذه البذور المشئومة ، وإلا فسوف نظل نستقبل فوجا بعد فوج ، من ضيوف الإصلاحية ونزلاء الليمان .

الأمر جد خطير ومعظم ، لأني لا أدعو إلى معالجة الجريمة الموجودة ، بل إلى منع وجودها ؟ ومن لم أدع السجون العامرة إلى البيوت الخربة المنهارة ، وأترك المجرمين لأفتش عن منابع الإجرام ، وأرد بصري عن الوف ممن تستقبلهم السجون كل يوم ، لأسأل عن مصير أبناء لهم ما زالوا صغارا أبرياء ، كما أسأل عن مصير زملاء لهم ، يتامى أو كاليتامى ، نصر على تجاهلهم فنسلمهم طائعين إلى أيدي الشيطان .

التاريخ : ١٢ / ١٢ / ١٩٥٣

والمجال هنا لا يتسع لبيان هذا ، لحسبى ان اشير الى منبت الجريمة ومصدر الشر ، لم للادع لمن يعنيهم الامر مهمة البحث فى أسباب انحراف الصغار او تردهم او ضلالهم، والتماس الوسائل التى تضمن لكل طفل فى الامة ، حقه الانسانى فى الرعاية والحماية حتى يبلغ رشده .

ولعلى لا اكلف القوم شططا ، اذا رجوت ان يكون قرارهم الاول ، التوصية بسن تشريع يحتم على الدولة ان تتبنى اليتامى وابناء نزلاء السجون والمرضى العاجزين ، وان تتلقى صغار كل أسرة تتهدم او بيت ينهار .

والمسألة ليست معجزة بحال ما ، فلن يعز على الحكومة ـ اذا هى شاءت ـ ان يلتفت سمعها الى كل حكم يصدر من المحكمة الشرعية بالتفرقة بين زوجين ذوى اولاد ، والى كل حكم يصدر من محاكم الجنايات بالقاء مجرم فى السجن، وان تفرض على المصحات والمستشفيات التبليغ عن كل اب مريض ميئوس من شفائه ، ثم فلتتول هى ابوة هؤلاء الصغار جميعا مهما تكلفها هذه الابوة من ثمن ، فان اى ثمن ندفعه لن يكون غاليا اذا نحن ادينا حق الله والانسانية والوطن فى اطفالنا الابرياء ، فاعددناهم للحياة بدلا من انتظارهم غدا فى السجون

وللحديث بقية ، ارجو ان اتمها بمشيئة الله فى غد قريب .

بنت الشاطئ

التاريخ : ١٩ / ١٢ / ١٩٥٣

٢ - وجهة نظر

فى مكافحة الجريمة

للدكتورة بنت الشاطئ

للدكتورة بنت الشاطئ

قلت فى كلمتى التى نشرتها الاهرام منذ ايام ان الطفولة المهملة هى – فيما ارى – الحلقة الاولى من حلقات الجريمة ، ومنها يجب ان نبدأ ، والا فان كل جهودنا المبذولة لمكافحة الاجرام واصلاح السجون ، لن تجدى شيئا ذا بال ، اذا بقيت البيئة الفاسدة المريضة تنبت بذورها فى تربة المجتمع ، وتقذف الى الطرقات باطفال مضيعين ضالين عز عليهم المأوى الكريم الصالح والراعى الامين فتلقفتهم اوكار المجرمين ، واوتهم كهوف الظلام لتصنعهم على عين الشيطان

ورجوت يومئذ ، ان يكون القرار الاول الاثر مكافحة الجريمة ، التوصية بسن تشريع يحتم على الدولة ان تتبنى اليتامى او من هم كاليتامى ، فان اى ثمن تدفعه فى هذه الابوة لن يكون غاليا

⁂

واليوم ارانى فى حاجة الى مزيد من الايضاح اذ اخشى ان يلتبس الامر على ناس فيظنوا اننى اقصر هذه الابوة على الصغار الفقراء ، والحق اننى ماقصدت الى هذا القصر ، وانما طلبت ابوة الدولة لكل يتيم او شبه يتيم يستوى فى هذا عندى ، الفقير المعدم ، والثرى ذو المال ، فان النقود لاتغنى كثيرا مع الحرمان من الرعاية الابوية ، واعرف ان المجالس الحسبية تشرف – قدر استطاعتها – على مال القاصر وقد يجد الوصى على القاصر من يحاسبه يرجعها على ما اؤتمن عليه من مال اليتيم لكنى لا اعرف احدا يسأله او يسأل سواه عما فرط فى امر هذا القاصر صحبا وخلقا ونفسا ، او يحاسبه اذا اصيب الصغير بشذوذ او انحراف او ابتلى بمحنة تفسد عليه الحياة جميعا !

⁂

والامر فى ابناء اليتامى ابشع واخطر ، فبين جدران السجون عشرات الالوف من الاباء المجرمين ، لم نفكر قط فيمن تركوا وراءهم من صغار عاجزين

وعلى هامش المجتمع ، يعيش الوف والوف غيرهم ، مرضى او مجانين او ممنوعين او منحرفين ومن خلفهم ذرية ضعاف ، قد يخطر ببال احدهم ان يطرق باب ملجأ من ملاجئ الدولة فيرد عنه فى قسوة لانه « غير يتيم » ! فاذا وقف الصغير امام الباب الموصد ، يسأل الى اين يذهب ؟ اتاه الجواب من جوف الظلمات ، حيث الشياطين تترصد خطوات كل شريد وضال ، لتقدم له المأوى الذى عز عليه ، وتعده الحرية الدسمة فى مصانع الاجرام ! !

وفى كل يوم ، تصدر المحاكم الشرعية احكاما بالتفريق بين آباء من مختلف الطبقات وقد تنظر المحكمة نظرة عابرة الى الصغار المبعثرين بين انقاض البيوت التى انهارت ، فتحكم بضم الصغير الى امه لتعود الى المحكمة بعد حين وقد تعذر امه بزواجها حق الحضانة ، فتلحقه المحكمة بجدته لامه ان وجدت ، او بجدته لابيه فان لم يبق للطفل جدة ، او ماتت جدته اسقاط الحضانة ، انتقل الصغير الى بيت خالة او عمة ، وهناك يظل مشردا قلقا ، حتى اذا يئس من امه او جاورها بطفل ، نسيه ان له اهله لم يره من قبل ، ولم يسمع عنه الا كل سوء ، وويل الطفل ان كانت لابيه زوجة لاترى له فى مثله ، ولا تستطيع ان تنسى على يقترن بها فتنتصحه من امومتها بوهن ماتستشعر به امومة لابيه !

هؤلاء جميعا ، وامثالهم ممن لست احصيهم الان عدا ، هم الذين اطلب لهم ابوة الدولة وما هذا الذى اطلبه ببدع لاعهد للدنيا به ، فهكذا رايت القوم يفعلون فى اكثر البلاد التى زرتها

وأبادر فأقرر انني لم ابحث نظم الحضانة والاحداث بمتخصصها ، ولا تفرغت لدراستها عامدة ، وانما كانت الحادثة تلقاني تلو الحادثة ناميها لم لا اعلق عليها حتى تحين مناسبتها

واليوم اراها حانت ، اذ يجتمع الاخصائيون من رجال الشرق الاوسط ، لمكافحة الجريمة وقد يعنيهم ان يتأثروا ببعض ماتفعل الامم — غير الشرقية — لحماية ابنائها الصغار من الاجرام .

لقيت في بعض رحلاتي زوجة تاجر مصري كبير ، في طريقها الى المانيا ، تصحبها فتاة المانية في مقتبل الشباب ، وسمعت من السيدة انها اضطرت الى السفر رغم قسوة ظروفها المالية ، كيما تعيد الفتاة الى بلدها ، وكانت قد جاءت بها منذ عام لتساعدها على تربية ولديها ، ثم بدا لها انها لاتصلح لهذا العمل فلما سألتها . ولم لتتركها تسافر وحدها ؟ اجابتني بانها مسئولة عن الفتاة امام حكومتها اذ هي لم تبلغ بعد سن الرشد ، ومن ثم فهي ملزمة — بموجب تعهد وقعته — أن تعود بالفتاة من حيث جاءت بها ، كيما تتحرر من المسئولية عنها ماديا وادبيا

وذكرت يومئذ الوفا من صبايا الريف ، توردهم القرى الى بيوت « السادة » حيث يقضين في غمرة المجيء اللاهب هنا ، وحيث تنحدر كثيرات منهن الى مصير شائع مجهول تكتنفه الظلمات من كل جانب ، ولا من يسأل ولا من يحاسب !

وعرفت اثناء اقامتي بالنمسا العليا ، سيدة كريمة تزوجت من مهندس معروف بعدما فقدت زوجها الاول في الحرب ، وترك لها ولدين وبنتا ، فلم تر الدولة في زواجها سببا لحرمان الصغار من حنان الامومة بعد ان حرمتهم الحرب رعاية الابوة ، بل تركوا في احضان امهم ، وتولت الدولة الانفاق عليهم ، والاشراف الكامل الدقيق على تربيتهم وسلامة توجيههم ، فما كان للام ان تسمح بسفر الفتاة في رحلة قصيرة معها الى سويسرا ، قبل ان تستأذن من المكتب المختص برعاية الصغار ، وتوقع على تعهد خاص بذلك !

وسمعت في الدنمرك عن ام اختلت اعصابها ، فتركت طفلتها الخاصة وحدها تتجول في المراعي وتهيم على وجهها في الطرقات ساعات طوالا ، حتى يغشى عليها من التعب وهي فاقدة الادراك ، لاتحسن الكلام ولاتعي مايجري حولها ، فحوكمت الام ، وقضت المحكمة بسجنها ، وتولت الدولة رعاية الصغيرة في دار معدة لمثيلاتها ، كما اشرفت على تربية اخواتها الاربع !

وكثيرا مارأيت هنالك اعلانات واخبارات ، تعنى بالنشرات تتحدث عن ابناء الدولة ، ويدهشني الجهود لبيان اين يقيم هذا الصغير ، وماذا نال تلك الطفلة ، وكيف يعامل ذلك اليتيم ، فلما سألت عنه علمت انه تابعة لمكاتب الاحداث و « Yugendamter » المنتشرة في كل المناطق التي تكتسب منها صفة محددة يرعى ابناء الدولة فيها ، فلا شيء من امورهم شاردة ولا واردة حتى يبلغوا سن الرشد

وهذه هي المكاتب التي اسميها حين اعلن لبناتي واشباههم "ابوة الدولة" ، وما ارى من الصعب تقسيم القطر الى مناطق ، يخص كل منها مكتب يتولى امور الصغار المحرومين من الابوة ، ويرعى خطواتهم في طريق الحياة ، ليحول دون تشردهم وانحرافهم

اما الحديث المفصل عن مثل هذه المكاتب واسلوب العمل فيها ، فيأتي اوانه يوم يصبح حرصا على نيل كل من تعد الابوة الراعية م

بنت الشاطئ

التاريخ : ١ / ١ / ١٩٥٤

كتب جديدة

في البلاغة واللغة

فن التشبيه

مكتبة نهضة مصر — ١٠٠٠ صم

تلقيت هذه الموسوعة الأدبية الأخرى التي ألفها الأستاذ الشاعر «علي الجندي : الأستاذ بدار العلوم» فذكرت له موقفا كريما دل على [illegible] [illegible] الأسلاف [illegible] الاسجاع [illegible] [illegible] دون [illegible] او [illegible] [illegible] [illegible] رسالة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ولا [illegible] في قراءة الأبيات ونقدها .

ذكرت هذا ، وذكرت معه ما يلقى نقاد الأدب في مصر من سخط المؤلفين الذين يتعرضون لنقدهم ؛ وهو سخط يشتد أحيانا إلى درجة العداء الحاقد والخصومة الشخصية الجامحة، فمضيت أقرأ «فن التشبيه» وأسجل ملاحظاتي عليه ، مطمئنا إلى ما أعرف في الأستاذ الجندي من خلق عالم أصيل ، لا يضيق بالنقد ، ولا يحقد على ناقد .

وأترك لحضرات القراء ، تقدير الجهد الذي بذله الأستاذ المؤلف في دراسة «فن التشبيه» دراسة متخصصة مطولة ، استغرقت ألف صفحة في ثلاثة أجزاء ، وعهدنا بأكثر المؤلفين أن يتناولوا « البلاغة » أو « الأدب » أو « الفلسفة » جملة ، في كتاب واحد ، تناولا عاما خاطفا طائرا ، لا شعور فيه بحرمة التخصص ولا أثر فيه للأناة أو العمق .

أترك للقراء تقدير هذا ، ثم أنظر في مادة الكتاب ، فألقى أمامي دراسة جامعة مستوعبة، توازت على «فن التشبيه» في إطالة لا يعتريها ملل ، وجمعت أكثر ما قيل في هذا الفن ، وحشدت ما لا حصر له من أقوال الشعراء والكتاب ؛ بحيث أصبح الكتاب معها — كما قال مؤلفه — موسوعة في الأدب والنقد والبلاغة ، وليس مجرد درس بلاغي للتشبيه .

ولا يمنعني تقديري لهذا كله ، من مصارحة « الأستاذ الجندي » بأني كنت أوثر أن يوجه كل جهده المبذول ، لدراسة فن التشبيه في النطاق البلاغي الفني ، دون أن يبعثر الكثير منه في تتبع دواوين الشعر ، وجمع ما فيها من صور التشبيه ، وأحسب أنه لو فعل ، لأجدى هذا التخصص على خدمة الفن ، ولكان جديرا بأن ينتهي بنا إلى النهاية المرجوة ، وهي إقامة التشبيه على أساس فني ، بدلا من هذه التقسيمات السطحية والترديدات الآلية التي تقف عند الشكل والصورة ، وتنظر إلى الأطراف وتبحث في الأدوات ، دون نفاذ إلى إيحاء التعبير أو التفات إلى وقعه على الوجدان .

ويبدو لي ، أن حرص الأستاذ الجندي على التكثر من الأمثلة واستقصاء الشواهد، استنفد من طاقته وجهده أكثر مما استنفده التأمل المتروي والنظر الناقد ، مع أن حضرته كان مرجوا عندنا بما نعرفه من اتصاله بالمدرسة الحديثة في فن القول لأن يخرج على المنهج القديم في تقسيمه التقليدي ونطاقه الشكلي ، إلى نطاق أرحب العاوادني إلى الفن والجمال .

وبغير عدوان ذلك [illegible] على الموضوع ، [illegible] مثلا أن الأستاذ الجندي [illegible] في تعريفه « [illegible] في اللغة » بنحو أربعة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] دون محاولة [illegible] هذه المادة لغويا [illegible] في الاستعمال [illegible] يربط بين هذه المدلولات التي [illegible] [illegible] [illegible] لنا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] !!

أو ليس هذا أولى من عشرات الأبيات في (دلالات الإشارة ولغة الحواجب والعيون) تملأ الصفحات من (٥ : ٨) في الجزء الأول ؟

وماذا يجدي على الدرس البلاغي في حديثنا عن (إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة) أن

يحاول الاستاذ جمع كل ما في ديوان «المتنبي» من وصف الكرم فيملا به اربع صفحات كاملة (٩ : ١٢) ثم يتبعه بثلاث صفحات مما قال الشعراء في وصف الخال (١٣ : ١٥) ! ! مع ان الاستاذ الجندي قد ضن على (تعريف البيان لغة) بما يجاوز نقل اسطر اربعة من المعاجم كما رأينا ! !

وهذا التكثر المتعدى على الموضوع ، شائع في الكتاب ، لانكاد نخطئه في باب من ابوابه ، ففي الجزء الثاني مثلا يعرف الاستاذ « التجديد في التشبيه » تعريفا سريعا خاطفا - ليتصرف الى حشد الامثلة عليه مما قال «البارودي» في وصف القطن ، والثريا ، والصورة الشمسية ! ومما قاله « شوقي » في السفينة والبدر ، ونعم انس الوجود ، ورثاء مصطفى كامل ، والطيارة ، والغزل ، ومما قاله « حافظ » في وصف القطار ، والشركات ، والنيل ، ومدح الاستاذ الامام ، وكذلك قول « الاسمر » في الانوار الكشافة والمدافع المضادة ، و« غنيم » في سيقان الحسان للسابحات في الماء ، و«محمود حسن اسماعيل » في سواقي ابريل !

ويملا بهذه الامثلة ونحوها ، نحو عشر صفحات (جـ ٢ ص ٢٤٣ : ٢٥٢) متصرفا عن استيحاء التعبير والدرس الفني لسر جماله .

ثم لا اشك بعد هذا ، في ان الاستاذ الشاعر لن يضيق بنقدي او يرى فيه سوى مظهر من مظاهر العناية وصدق التقدير .

المسلك اللغوي ومهاراته

مطبعة مصر - ٢٥٠ صفحة

وهذا كتاب يقدم لنا فيه « الاستاذ محمد عبد الحميد ابو العزم المدرس بمعهد التربية في جامعة ابراهيم » دراسة جديدة في علم النفس اللغوي ، ممهدا لها بالحديث عن السلوك الفطري والفرق بينه وبين المسلك ، ومن ثم ينتقل الى تعريف اللغة ، وتنوع اللغات ، كيما يفرغ للبحث في المسلك اللغوي ، بحثا يتناول اثره في تطور الجنس البشري ، ومدى تأثره بعوامل الوراثة والبيئة ، ويدرس الجهاز الصوتي في الطفولة الاولى ، ويتتبع مراحل نموه وتطوره ، ثم يتحدث عن المسلك اللغوي القومي ، الذي تضطلع معاهد التعليم ببثه ، الى جانب ما يبذله المنزل والمجتمع ، وما يبذله الطفل نفسه من جهد ارادي في هذا السبيل .

ومن هنا ينتقل الاستاذ ابو العزم ، الى البحث في نشأة اللغة الاولى ، وتاريخ المسلك اللغوي للعربية ، وبيان عوامل انتشارها ونموها ، واثر اللهجات المحلية للبلاد المفتوحة ، ليعود بعد ذلك فيحلل المسلك اللغوي العام ، ويشرح وسائل التدريب على عمليات الاستماع ومهاراته .

والبحث من هذا النوع العلمي الذي لايصبر على قراءته الا ذوو الخبرة والاختصاص في الدراسات النفسية واللغوية ، وهو الى جانب هذا ، يتسم بالدقة ، والجد ، والرزانة ، ويشهد للاستاذ المؤلف بالدأب على الاطلاع ، واحتمال مشقة الدرس ، وما اشك في ان رجال التعليم يستطيعون ان يظفروا منه بما يعينهم على فهم المسلك اللغوي للطفل ، وتقويمه ، واتاحة الفرصة لابراز مهاراته واستثمارها - وكم كنت ارجو لو ان الاستاذ الدارس ، استطاع ان يعرض موضوعه باسلوب ادبي يخفف من جفاف المادة العلمية ، ويتيح لجمهرة القراء - من الاباء والامهات والمربين - ... قراءته والانتفاع به ! كما كنت ارجو لو نسق الاستاذ ابو العزم فصول كتابه تنسيقا ادعى الى تسلسل الفكرة واطمئنان السياق ، اذ يبدو لي ان القسم التاريخي الذي يتناول نشأة اللغة ويؤرخ للعربية ، يكاد يكون مقحما بين الابواب الاولى التي تتحدث عن المسلك اللغوي ومراحل نموه عند الطفل ، وبين الابواب الاخيرة التي تعرض وسائل التدريب على عمليات الاستماع ومهاراته .

على ان هذا لا يحول دون التقدير الصادق للكتاب ، في سلامة لغته ، وطرافة موضوعه ، وخصب مادته ، ورزانة ابحاثه .

بنت الشاطىء

من الاهرام

التاريخ : ٤ / ١ / ١٩٥٤

كتب جديدة

في المكتبة التاريخية

خالد بن الوليد

يصدر هذا الكتاب في عهدنا الجديد الذي صنعه الابطال ، فيحدث القراء عن فارس بطل شارك في صنع التاريخ الاسلامي ، وكتب بسيفه المسلول الظافر ، صفحات رائعة مجيدة من النصر المؤزر والجهاد النبيل ، ثم كانت حياته الى جانب هذا ، حافلة باحداث كبار مازال حتى الساعة تستوقف الدارس وتثير اهتمامه!

ذلك هو سيف الاسلام « خالد بن الوليد » يحدثنا عنه اليوم فضيلة الاستاذ « الشيخ صادق ابراهيم عرجون » ، احد العلماء الاجلاء الذين يرجو منهم الازهر ليدفعوا عنه تهمة الجمود والبعد عن الحياة

واى فضيلته في « خالد » نموذجا من اخصب النماذج الحية في الاسلام ، فعكف على دراسته وقراءة ماوصل الى يديه من حديث المؤرخين وكلام الرواة واقاصيص السمار ، حتى اذا استكمل عدة الدرس اقبل يجلو هذه الشخصية ويمحص منها ما حف بها من ظلال دخيلة ، متتبعا حياة « خالد » منذ نشأته الاولى ، ومكانته في الجاهلية ، وموقفه من الدعوة الاسلامية قبل ان يريد الله به الخير فيفد على الرسول مسلما .

ويمضي بنا الاستاذ « عرجون » مع الفارس البطل ، لنشهد مواقفه الكبرى في حرب المشركين ، ثم في حروب الردة ايام ابي بكر رضي الله عنه ، حيث بدأت هنالك القصة المشهورة المثيرة ، التي اللاثت في الحديث عن ظروف زواج خالد من ارملة « مالك بن نويرة » سيد بني تميم ، وكان خالد قد قتله في حروب الردة ، ووجد خصومه من زواجه ذلك ثغرة ينفذون منها الى البطل المظفر ، فقالوا ان « مالكا » رجع الى الاسلام فما كان يحل لخالد ان يقتله ، لكنه لم يعبأ بهذا كما يخلفه على زوجته الجميلة!

وبالها من قصة أمدت السمار والرواة بمادة خصبة يملأون بها لياليهم ، ويجيلون فيها خيالهم ، ويملأون بها مجالسهم !

وهنا يقف الاستاذ المؤلف طويلا ليمحص هذه الاقاويل والروايات ، فيطمئن الى انها قصة مريبة ، لعب الخيال فيها دورا كبيرا واضاف اليها القصاصون ذيولا وحواشي واطرافا ، ثم ينتهي فضيلته الى ان « خالدا » انما تزوج من امرأة نبيلة « جبرا لخاطرها ، وتطييبا لنفسها ، بعد ان فجعت في زوجها وهو فارس قومها وزعيمهم »

ثم يعقب على هذا بقوله : « وفي قصة زواج النبي صلى الله عليه وسلم بالسيدة صفية بنت حيي ، مايحمل اقوى دفاع عن خالد في هذه القضية ، اذا جردت من خيالات القصاصين » ص ١٦٣

ثم يدع القصة الى حين ، ويمضي بنا مع الفارس في حروبه ضد الفرس في العراق ، ثم ضد الروم في الشام ، فلا تكاد المعركة تبلغ ذروتها حتى يموت أبو بكر الصديق ، ويبعث امير المؤمنين عمر مع وصوله الى الشام ، امرا بعزل خالد عن امارة الجيش ، فاذا القائد الفارس يسلم الراية لابي عبيدة ، ويظل مع ذلك تحت لوائه ، جنديا مسلما يفتدي الاسلام بسيفه وحياته

ولا يكاد الاستاذ عرجون يصل الى هذا الموقف التاريخي الجليل ، حتى يلتفت الى ما كتبه « الدكتور هيكل » في عزل خالد ودوافعه ، فيرد عليه ردا طويلا استغرق عشرين صفحة ، قبل ان يستأنف بنا السير مع البطل ، لنشهد « نهاية عبقري »

***

وانا اكبر هذا البحث التاريخي الذي يشهد لفضيلة الاستاذ بدقة النظر وسعة الاحاطة وعمق التناول ، كما اكبر حماسه في الدفاع عن سيف الاسلام وتجشمه العناء في دفع الشبهات التي احاطت بزواجه ، لكني مع اكباري اياه ، كنت أؤثر الا يجعلنا — معشر القراء نحس ان اعجابه بالبطل قد غلب عليه وهو يقرأ ، فسيطر على قلمه حين كتب ، حتى كاد يبرئه البطل من البشرية التي نعرف — نحن المسلمين — اصرار ديننا على الاعتراف بها في رسوله الكريم ، والحاحه في اقرارها :

لقد كان الجهد الذي بذله فضيلة الاستاذ خليقا بان ينصف « خالدا » الى ابعد مدى لو انصرف الى البحث المجرد بل لعل بشرية « خالد » كانت جديرة بان تزيد من اعجابنا به ، فان البطولة ممن فوق البشر ، مسألة لاتدعو الى عجب او اعجاب ، اما البطولة مع البشرية التي نعرف ضعفها واهواءها فهي الجديرة حقا بالاعجاب .

واحسب لو ان فضيلة المؤلف نهج هذا المنهج ، لخفف من حملته القاسية على « الدكتور هيكل » وتأثره بما سماه فضيلته « ميكروب الفكر الغربي » ولما جرى قلمه بعبارات جارحة مثل :

« وعمدة هذا اللون من منطق الدكتور هيكل اهدار كل رواية تاريخية تبرز ادب الاسلام في نماذجه الانسانية الحية .. واسقاط الروايات التي تجعل من عظماء الاسلام ومبادئه جماعة من الناس لايشي في ظن عبدا لايقيم وزنا للقيم الخلقية وحرمة العصر .. ص ٢١١

« وهنا يصدق الاستشراق بخبثه يدبه اعجابا بما ابتدعه ، فقد نجح احد تلاميذه في هدم قاعدة اثر الاسلام في تهذيب الناس .. ص ٢٩٠

« يارجل ، الا تتقي الله في المروءة .. والا تكن مروءة اهل الابطال ، فمروءة لاتمحو ، من حياء ! » ص ٣٠١

وما اثارت هذا الا لاني ابرئ قلم الاستاذ الجليل ، من ان يجري بعبارات كهذه تدل على الانفعال اكثر مما تدفع شبهة او تدحض تهمة او تجادل في رأي ، او تحقق تاريخا ولعل لفضيلة الاستاذ الكريم لايرى في كلمتي هذه تأثرا « بميكروب الفكر الغربي » فلقد ربيت مثله في بيت علم ودين !

بنت الشاطئ
من الامناء

التاريخ : ٨ / ١ / ١٩٥٤

كتب جديدة

في المكتبة التاريخية

الأمويون والبيزنطيون
مكتبة الأنجلو المصرية

لم يكن « الدكتور ابراهيم احمد العدوي » في حاجة الى ان يبرر اشتغاله بتاريخ « الامويين والبيزنطيين » باكثر من واجبه كمدرس لتاريخ العصور الوسطى في دار العلوم فالدراسات الجامعية تطلب لذاتها ، ولا على الدارس ان يشتغل في ميدان تخصصه بموضوع قديم . لكن « الدكتور العدوي » ابى مع ذلك الا ان يربط بين هذا الدرس وبين حياتنا التي نحياها اليوم ، ليشد في درسه شيئا من الحيوية التي نفتقدها في كثير من الرسائل التاريخية للعصور الوسطى والقديمة

ذلك انه جعل الشعوب الاسلامية اليوم جديرة بان تلتفت الى المنابت الاولى لما تسميه « الدولة الاسلامية » . والامويون هم الذين وضعوا اسس تلك الدولة وسهروا على تدعيمها وخلفوا لنا مفاخرة حضارية في تنظيم الدولة وتثبيتها

ثم ان جهودهم في خلق بحرية اسلامية قوية دفعت عن ارض الاسلام اخطر عدو ، هي التي مكنت للمسلمين من الاستيلاء على شمال افريقية ، فالقرن الاول لتاريخ المسلمين من ذلك العهد الاموي بالبحر الابيض ، مهد الحضارة والحياة في العالم القديم وما احرانا بان ندرس العهد الذي جعل من البحر المتوسط بحيرة اسلامية تزدهر سواحلها بحضارة الشعوب المسلمة ، وتمخر عبابها السفن العربية رائحة آيبة !

⁂

وهذا الكتاب يعرض امامنا صفحات مجلوة من ذلك العهد الاموي في سعيه الدائب لبناء « الدولة الاسلامية » واعلاء شأنها في عالم العصور الوسطى ، ويشرح الدور الذي قام به بنو امية في توجيه سياسة الدولة في الفترة المبكرة من تاريخهم السياسي

على ان الدكتور العدوي لم يشأ ان يقتحم الحديث في العهد الاموي دون ان يربطه بجذوره الممتدة في اعماق الجزيرة العربية منذ الجاهلية لتحدث في الفصل الاول من خبرة الامويين بالبحر المتوسط من قديم ، وانتفاعهم بها في الفتوحات الكبرى على عهد الخليفتين الاولين ثم في تأسيس ملك اموي اسلامي ، امتز بالقوة البحرية ، وغزا بها الثغور البيزنطية ، حتى استولى على شمال افريقية ، آخر معقل للبيزنطيين جنوبي البحر الذي كان يسمى « بحر الروم »

فلما فرغ الدكتور العدوي من تاريخ الحملات البحرية في شمال افريقيا ، عقد فصلا خاصا لبيان التجارب الحضارية بين الدولتين الاموية والبيزنطية ، والاشارة الى التراث الاموي في النظم الادارية للدولة

⁂

ولعلي لا اجحد فضل الدكتور العدوي في تزويدنا بهذا البحث التاريخي القيم ، حين اشير الى ملاحظ ثلاثة ، وددت لو تنبه حضرته لها :

الاول : انه يبالغ في تصوير حرص الامويين « على تدعيم صرح الاسلام وتقوية حتى تسمع وملا » وكان التوفيق حليفهم في جهادهم لاعلاء دولة الاسلام » وكان الحق ان يلتفت الى مقصدهم الاول ، وهو الاستئثار بالسلطة للبيت الاموي ، والحرص على بقائها فيه ملكا موروثا ، ولو صبغوا الارض بدماء آل بيت الرسول الذي تدين له العرب بعزة الاسلام !

الثاني : ان الدكتور المؤلف يقع احيانا في التناقض بسبب اعجابه المفرط بالامويين . (انظر صفحتي ٢٦٥ ، ٢٦٦) وهو اعجاب يحرص المؤرخ النزيه على التجرد منه ، كيلا يميل به عن الحق التاريخي

وثالث الملاحظ : يتصل بمراجع الكتاب ، فالدكتور العدوي متخصص في مادته ، عالم بمصادرها الاصيلة ، وهو بلا ريب يعرف ما يقضي به المنهج العلمي من وجوب الرجوع الى مصادر الدرجة الاولى ، لكنه سمح لنفسه مع ذلك ان يأخذ من كتب مصرية حديثة ، بعض مادته في تاريخ الامويين والبيزنطيين منذ ثلاثة عشر قرنا ! ولست ادري كيف يكون « تذكرة » مرجعه في ايام العرب (صفحات ٧ - ١٢ : ١٩) او يكون احد اساتذة دار العلوم اليوم ، مرجعه في تحقيق اسم هاشم (ص ٢٢) ووظائف الكعبة قبل الاسلام (ص ٢٥) او يكون احد الكتاب في سوريا او الهند ، في القرن الحالي ، مرجعه في الحروب الاسلامية الاولى (ص ٢٩) مع ان المصادر التي نقل منها هؤلاء جميعا ، مما تناله يد « الدكتور العدوي » ، بل لعله - بتخصصه في التاريخ الاسلامي - اقرب اليها وادرى بها !

بنت الشاطئ
من الاهرام

كتب جديدة

في المكتبة التاريخية

نسب قريش

دار المعارف : ٤٨٠ ص ق

أقدم اليوم إلى الذين يتصدون الكتب الجديدة ويترقبون أنباءها ، ذخيرة قيمة من « ذخائر العرب » التي نشرتها « دار المعارف » فسدت إليها بها أجل الخدمات .

ولست أجهل أن عددا محدودا من خاصة القراء ، هم الذين يعنيهم أن يقرأوا « نسب قريش » ويضعوه في مكتباتهم ، لكني أريد مع هذا أن أتحدث إلى عامة القراء عن ظاهرة كريمة من ظواهر التعاون العلمي بين الشرق والغرب ، في الوقت الذي تقطعت فيه بينهما الأسباب ، وفسد ما بينهما أو كاد ، نتيجة للسياسة الاستعمارية الغاشمة العشواء .

وربما لا يعني قراءنا أن أقدم لهم هذا الأثر التاريخي القديم الذي ألفه « أبو عبد الله المصعب بن عبدالله بن المصعب الزبيري » من سلالة عبد الله بن الزبير بن العوام ، وتتبع فيه « نسب قريش » مرتفعا به إلى « معد ابن عدنان » ، وربما لا يعنيهم كذلك أن أحدثهم عن مكانة الزبيريين علماء الأنساب ، ومرتبتهم التي تضارع شهرة معاصرة « أبي المنذر هشام الكلبي » النسابة المعروف ، وإنما يهمهم — فيما أحسب — أن أحدث عن ظروف إخراج هذا الكتاب لأول مرة ، بعد أن ظل مطويا قرابة اثنى عشر قرنا ، وضاعت نسخه جميعا في الشرق الإسلامي مهده الأول ، أو غابت عنا فلم نقف لها على أثر .

وبقيت نسختان مغربيتان : إحداهما في « الخزانة الكتانية » بمدينة فاس ، والأخرى في « مكتبة مدريد الدولية » .

وتعاون الشرق والغرب على إخراج هذه الذخيرة النفيسة إلى النور ، ففي عام ١٩٤٩ ، أخرج « الشيخ عبد الله الكتاني » مخطوطة « نسب قريش » من خزانته العامرة ، وقدمه إلى المستشرق الفرنسي « الأستاذ أ . ل . بروفنسال » أستاذ اللغة والحضارة العربية بالسوربون ، ومدير معهد الدروس الإسلامية بجامعة باريس ، وكان ذلك في رحلة له إلى المغرب . واستجاب المستشرق لرغبة العالم المغربي في خدمة نص كتاب يعد من أقدم آثار الأدب التاريخي للعرب ، مستعينا بالنسخة الأخرى في مكتبة مدريد ، ثم عهد أستاذنا الدكتور طه حسين إلى ... بتحقيق الكتاب ، وقدمه إلى دار المعارف كي تنشره في مجموعة « ذخائر العرب » .

وأسفر التحقيق العلمي عن ... ظهور كتاب « نسب قريش » ... ليأخذ مكانه ... في مكتبتنا العربية .

٥٠٢٨/

وأدع الآن الحديث في ... تفاصيل هذا التحقيق كما ... وبيان الجهد المبذول في تصحيحه والتعليق عليه ونشره ، مكتفية بأن أحيي هذه الظاهرة الكريمة التي تآزر فيها جهود المستشرقين والشرقيين في فاس ، ومدريد ، وباريس ، والقاهرة ، لخدمة تراثنا العالي ... من ... .

بنت الشاطئ

من الأهرام

في حياتنا الأدبية

حرية الترجمة لا تعني اباحة السرقة!

للدكتورة بنت الشاطئ

ظلت حياتنا الادبية تترقب منذ امد بعيد ، حماية القانون لثمرة الفكر وعصارة الوجدان ، وتسائل في مرارة وأسى : كيف يقذف القضاء لص يختلس من الجيب ، أو ثوب قديم يسرق من فوق السطح ، او بضع كيزان من الذرة تنتزع من حقل ، ثم لا يكترث بالسرقة اذا ماتركت القرش والثوب ، واستباحت ماشاءت من كد الذهن وجهد القلم ! !

وباطالما اصغى الادباء والمفكرون الى احكام القضاء ، وهي تقذف الى ظلمات السجون بمختلس القرش وخاطف الرغيف وسارق الدجاجة ، على حين يمرح لصوص الفكر والوجدان ملء الحرية ، ويتمتعون بمجد مايسرقون دون وازع او رقيب !

وسارق القرش والثوب غالبا مايكون جائعا او عاريا ، وقد يكون من ورائه عيال صغار يتضورون ملء الطوى ويتضورون من جوع وحرمان اما لصوص الادب لمرضى الخلق مرضى الضمير لايسرقون من جوع او مسغبة وانما هي الشهوة الرخيصة في المجد المسروق ، والرغبة الشريرة في الوصول الى مراكز علمية او ادبية عن طريق السلب والكذب والادعاء .

والسرقات الادبية ليست بدعة طارئة على عصرنا ، ولا هي مما ننفرد به عن الامم الاخرى فلقد عرف تاريخنا الادبي هذه السرقات من قديم ، وتتبع النقاد سرقات الادباء في فصول طوال وعى الزمن كثيرا منها ، لكن السرقات قديما كانت في الغالب تمارس على استحياء وفي شيء من الحرص واللباقة والرغبة في الستر ، واكثر ماكانت تقع ، في المعنى الجزئي او البيت من الشعر ، اما اليوم فبلغت من القحة والجرأة مبلغا جاوز المدى فالعمل الادبي يسرق بجملته وصاحبه مايزال بين الاحياء ، والكتاب ينشر باسم شخص لاعمل له فيه الا الانتحال . واذكر انني دعيت منذ عهد قريب الى الاشتراك في هيئة التحكيم لمسابقة لقصة احدى المجلات ، فاذا بالجرأة تغري بدا بنقل قصة لي نشرت في المجلة نفسها منذ عامين اثنين ! وكل مابين القصتين من اختلاف ، لايتجاوز اسم بطلة القصة ، واسم الكاتبة :

على انني ماجئت اليوم لاحدث القراء عما اعرف من « روائع » السرقات ولا لابين مدى حاجتنا الى حماية الملكية الادبية ، فحسبي ان اولى الامر فيما اظن قد اقتنعوا بان الاوان قد حان لاصدار قانون يحمي هذه الملكية ، وانما الذي يشغلني اليوم هو « موضوع الترجمة » الذي اثاره زميل كريم اشفق على حياتنا الثقافية مما سوف تتعرض له من جدب وعزلة ، لو فرض القانون للمترجمين والزمهم بشراء حق الترجمة من صاحبها ، وهو لعمري جدير بان يشل حركة النقل الثقافي عندنا ، ويعطل اتصالنا بالثقافة الغربية ، في الوقت الذي يتداعى فيه تبادل الفكر هنا وهناك ، للتعارف والتقارب بين الشعوب .

والمتصلون بالتاريخ الثقافي للعرب ، يعرفون الدور الخطير للترجمة فيه منذ بدات في العصر الاموي ، ولا يجحدون ماكان لها من اثر في الفكر العربي وفضل عليه .

ولعل الذين يؤرخون للنهضة الحديثة في مصر ، لايسرفون اذا قالوا ان الترجمة كانت من اهم الاسس لهذه النهضة لا في الميدان العلمي والادبي فحسب ، بل في الميدان السياسي ايضا ، فما يستهين مؤرخ بما كان للترجمة من فضل في ايقاظ الوعي ، وتنبيه الاذهان ، وتمزيق الغشاوة التي نسجتها العصور الوسطى على اعين الشرق ، وكسر القيود التي كبلته زمانا وعزلته عن العالم ، وفتح آفاق جديدة من المعرفة امامه .

كل هذا يقال فلا يجحد ، ويقال معه ان اي قيد يحد من اتصالنا الفكري بعالم اليوم ، يجب ان يحارب ويحطم ، فما يصح بعد الان ان نرجع القهقرى ونتكمش في عزلتنا بين الحدود والقيود .

لكن لايجوز – كذلك – ان يلتبس الامر علينا فنخلط بين الترجمة وبين السرقة والانتحال ، وهذا الالتباس هو الذي دفع بعض كتابنا لان يعلنوا ان الدعوة الى اباحة الترجمة محررة من كل قيد ، معناها اباحة السرقة مادام المسروق اجنبيا ! !

التاريخ : ١٧ / ١ / ١٩٥٤

ولهم العذر كل العذر ، فالدوائر الادبية الخاصة هنا في مصر وهناك في الخارج ، تتحدث عن فضائح السرقات الكبرى التي جرؤ بعض المؤلفين على ارتكابها جهرة وفي وضح النهار ، ولن تفهم هذه الدوائر بحال ما ، ان يخرج قانون حماية الملكية الادبية ناقصا ابتر ، يحرم على السارق ان يمد يده الى بضاعة مصرية ويأذن له في ان يسرق ماشاء من بضاعة الغرب

ويحضرني الساعة ذكرى حادثة الهمة ، فلقد سألني احد اساتذتي الكبار يوما ان اترجم له احدى المواد من النسخة الانجليزية لدائرة المعارف الاسلامية كيما يراجعها على فقرات منه نقلها منذ اعوام من النسخة الالمانية في برلين ، ويريد ان يتثبت منها قبل ان يستخدمها في بحث له عن احد ائمة الفقه الاسلامي .

وكانت المادة طويلة وصعبة ، يزيد في صعوبتها ازدحامها بمصطلحات فقهية واعلام يختلف النطق بها في الانجليزية عن العربية ، واذكر انني انفقت في الترجمة نحو عشرة ايام لم اكد اعرضها على استاذي ، حتى كان يسمع منها صفحة او بعض صفحة ، حتى استوقفني وتناول من خزانته كتابا لمؤلف مشهور من رجال العلم ، ومضى يقرأ فيه وانا اقابل على النص الذي بين يدي ، فاذا بالمادة كلها قد نقلت حرفيا الى كتاب المؤلف المصري دون ان يشير ولو اشارة عابرة – الى مصدرها !

وعجبنا يومئذ اشد العجب ، وثار بنا ما شاء لنا الالم على الخلق المضيع ، واشفقنا على سمعتنا القومية في دوائر المستشرقين الذين يتتبعون بلا شك مثل هذه الدراسات .

حتى سافرنا في الصيف الماضي الى هولندا والدنمرك ، فاذا بعض من لقينا من اعلام الاستشراق في « ليدن » و « كوبنهاجن » يشيرون الى هذه السرقة الكبرى ، ويتساءلون في تلطف عن وقعها في البيئة العلمية بمصر ! واخجلنا السؤال بقدر ما اخجلتنا السرقة نفسها ، فالذي نعرفه ان المسألة مرت هنا بسلام دون أن يشعر بها احد !

فكيف بالله نواجه العالم اذا لم نضع حدا لمثل هذه المأساة المخزية ؟

ان حرية الترجمة ضرورة لا غنى عنها ، لكن اباحة السرقة جريمة في حق العلم والوطن فلنشجع الكتاب على الترجمة بقدر ما استطعنا ولنعاقب في الوقت نفسه كل من يجرؤ على ادعاء ماليس له ، ليستبيح ان يرفع باسمه على عمل ادبي مغتصب ، هو في الحق قطعة غالية من نفس صاحبه ، وذوب اعصابه ووجدانه وقلبه !

كتب جديدة

فى المكتبة القومية

مذكرات فى السياسة المصرية ـ ٢

مطبعة مصر ـ ٢٨٢ ص .ك

هو الجزء الثانى من مذكرات « الدكتور محمد حسين هيكل » فى السياسة المصرية حتى عهد فاروق ، ويستغرق هذا القسم خمسة عشر عاما ، تبدأ من ١٩ يوليو سنة ١٩٢٧ وتقف عند ٢٦ يوليه سنة ١٩٥١ حيث دخلت مصر فى عهدها الجديد .

وقد رسم «الدكتور هيكل» بذكرياته معالم كبرى من حياتنا السياسية العامة ومدى مشاركته فيها ، اجتاز الكتاب فى عشرة فصول تحدث أولها عن فترة الانتقال التى بدأت بحكومة النحاس الثانية وانتهت باقالته ودعوة محمد محمود لتأليف الوزارة ، وروى الفصل الثانى قصة « وزارة الانتخابات » واورد القسم الثالث لذكرياته فى عهده فى « وزارة المعارف » ثم مضى يتحدث عن مصر والحرب ، ومن حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ ، ومن «الحرب على ابواب مصر » وما حدث فى اعقابها ، واختار للفصل الاخير عنوان « من عهد الى عهد » حيث كانت الاحداث العامة تمهد للثورة ، والنذر تلوح فى الافق المصرى مؤذنة بالانقلاب التاريخى الحاسم .

ورجال السياسة والتاريخ ، هم بلا ريب اصحاب الكلمة الاولى فى تقويم هذه المذكرات وربما اختلفوا معه فى هذا الرأى او ذاك ، وربما لاحظ بعضهم تأثره فى موقف ما بوجهة نظر الاحرار الدستوريين وحماسه فى الدفاع عنهم ، لكن أحدا منهم لن ينكر قيمة هذه المذكرات من حيث هى سجل امين لاقوال رجل من اعلام السياسة وفقهاء الدستور ، وشهادة شاهد له اتصل بالاحداث الكبرى فى السياسة المصرية اتصالا مباشرا واطلع على ما غاب عن كثيرين من اسرارها وخفاياها ، ومن هنا جاز لنا ان نؤكد ان لكل كلمة مما كتب الدكتور هيكل ـ مهما يكن رأى رجال السياسة والاحزاب فيها ـ دلالتها على الحياة السياسية ورجال الحكم ، فى مرحلة من ادق مراحل تاريخنا واحفلها بالاحداث .

وسيرى القارىء ان الدكتور هيكل لا يكتفى بتسجيل ما يعرف من هذه الحوادث ، بل غالبا ما يعقب عليها بابداء رأيه الخاص ، كما يتصدى احيانا للحكم على من عرف من رجال السياسة والاحزاب ، واذا ضاق بعضهم بمثل هذا فاننا معشر القراء البعيدين عن المعترك الحزبى ، يعنينا بلا شك ان نسمع رأى الدكتور هيكل فيما رأى وفيمن عرف ، وان نصغى اليه وهو يحدثنا عن حياتنا السياسية كما شهدها ورآها ومثل الدكتور هيكل ، من يقدر بعد هذا ، ان من المتعذر على الكاتب ، تاريخ العصر الذى يعيش فيه ، (ص ٣) لكن تاريخنا سيظل دائما يلتمس من مذكرات الساسة على اختلاف احزابهم ، مادته ومراجعه ووثائقه ، وسيعنيه ان يسمع كلمة رجل كالدكتور هيكل ، عرف برزانة الاسلوب واتزان الرأى ونضج الفكرة وسعة الافق ، وهو الى جانب هذا كله اديب مصرى اصيل ، ذو قلم نظيف رشيد ، يعرف كيف يزن الكلمة ويصوغ العبارة ، فى غير تعريج ولا تكلف ولا ادعاء .

هذا ... او الطوفان !

مكتبة الانجلو ـ ٢٠٧ ص م

« الاستاذ خالد محمد خالد » هو احد المؤلفين القلائل الذين اثبتوا انهم جديرون بشرف النقد واهتمام النقاد . قرأت له قبل اليوم كتابيه السابقين « من هنا نبدأ » و« الديمقراطية ابدا » ، فلم يحل صدق اعجابى يوما دون مصارحته بما لى عليه من مآخذ . وكنت اخشى حين نشرت فى « الاهرام » نقدى له ، ان يغضب او يحقد ، كما تفعل كثيرون سواه ، لكنه تفضل ببعث الى ، يوم نشرت الاهرام ذاك النقد ، برقية رقيقة ، يعلن فيها انه شاكر للعناية ، مقدر للنقد ، مصغ الى التوجيهات ، فدل بذلك على انه اهل لان نقرأ له ، ونحترم ما يكتب ، ونتجشم عناء نقده الذى هو فى رأينا مظهر تكريم وشهادة تقدير .

واليوم القى كتابه الثالث « هذا ... او الطوفان ، » فأجدنى مدفوعة الى قراءته حتى اخر سطر من سطوره ، وانا احاول قدر ما استطعت الا يشغلنى اعجابى بما اقرأ ، عما قد يكون فيه من عثرة قلم او خطأ فكرة .

ذلك لان « الاستاذ خالد » يكتب باسلوب قوى مؤثر يفيض حماسة وايمانا بحيث يخشى معه ان يتأثر به القارىء وهو يحس ما وراء عباراته من جهد كاتب صادق واستعداد الوسع ليصل الى ما يحسبه حقا ، ثم ليدعو اليه ويناضل عنه فى حرارة وانفعال .

وموضوع الكتاب ، درس عميق شامل لحياتنا الحاضرة ، يلمس جذورها العاثرة فى اعماق ماضينا الرهيب بأدرانه ومعايبه ، ويستجلى قدرنا المرهب فى حذر واشفاق خشية ان يقام البناء على اساس منهار ، او يبسط طريق المستقبل فوق هاوية !

ومن هنا مضى « الاستاذ خالد » ينقى الارض الطيبة مما فيها من البذور الاثيمة التى تفسد حبوبها ، والرواسب والاوتاد التى تسد سلوكنا اليها افعال عاداتنا ، مضى يبحث من الركام الهائل من تقاليد الحياة التى تعاقبت الينا تعاقب الليل والنهار ، لاتعاقب الليل والنهار ، ويتقصى فى صبر عن رواسب الخرافة والرجعية التى استقرت فى اعماق المجتمع فارهقته بالعقد المرضية وكادت تصيبه بالشلل

حتى اذا ما بلغ « الاستاذ خالد » من بحثه ولبثه وتنقيبه ما اراد ، بسطها على اعين قومه فى صراحة مؤثرة ، ثم وقف يدعو الى التحرر من العقد ، وتبديد الرواسب وتدمير الركام ، كيما يتهيأ لنا سلوك الطريق الى المجد والانطلاق نحو الغاية ، . . . والا . . . كان الطوفان !

والاستاذ خالد ، تعوزه الجرأة الباسلة على مهاجمة الرجعية الطاغية كما لا تعوزه الشجاعة لمواجهة المجتمع الذى يمنعه الركام ويسحره الرواسب ، وانشأه ميراث باهظ من الخرافة والتقليد وارهقته شحنة مدمرة من العقد النفسية . لكنى اخشى ان يكون حرصه على صراحة الرأى وشجاعة المواجهة ، قد غلب عليه احيانا فاندفع قلمه اندفاعا يعوزه بعض الضبط ! واوضح ما يكون هذا الاندفاع ، فى الفصول التى عالج فيها الاستاذ مسألة التدين

التاريخ : ١٨ / ١ / ١٩٥٤

وانما على وجهه نظر بعينها ، هي « ان التدين كثيرا مايكون - سيما في بلاد كبلادنا - انفعالا مرضيا لعقد مكبوته - ص٢٢ - كما قد يكون مرضا خلقيا يحتاج الى علاج - ص٢١ - واننا لنلبس الحق بالباطل حين نعتبر التدين السبيل الاوحد الى الاخلاق .. فما اكثر مانرى انسانا يتدين وملء نفسه غواية وهوى ! » ص ٢١ : ٢٢

وارى الامر قد التبس على الاستاذ الفاضل فخلط هنا بين التدين الحق وبين التدين الشكلي والتظاهر الزائف بالتدين ، فليس صحيحا ان انسانا ما ، يتدين وملء نفسه غواية وهوى ، لان التدين الحق يقوم على الايمان والعقيدة ، بحيث يصعب ان نتصور مؤمنا يتعبد وهو غاو ضال ، وانما يفعل ذلك من يظن التدين اداء شكليا للتكاليف فحسب ، ومن الظلم البين ان نتخذه اساسا لحكم عام يطلق على التدين .

ولو لم يلتبس الامر هنا على الاستاذ ، لاطمأن معنا الى ان التدين الحق ، وبخاصة في بلاد كبلادنا ، سبيل الخلق الطيب والسلوك القويم ، وان الايمان الصادق يعصم المتدين المؤمن من الغواية والضلال قدر ماتحتمل هذه البشرية التي لم يقدر لها ان تسمو الى افق الملائكة . واذا كان « من بين الدين يلبسون مسوح الرهبان من تنطوي جوانحهم القاتمة على ركام هائل من الحقد والخبث والانانية وعشق الجريمة » كما يقول الاستاذ في صفحة ٢١ فما ذاك خطأ التدين ، وانما الخطأ كل الخطأ في ان نحتسب هؤلاء الدجاجلة الادعياء من اهل الدين ، وهم ، بلا ادنى ريب ، لم يعرفوه عقيدة وايمانا ، وانما اتخذوا التظاهر به وسيلة لاستهواء الجماهير ، وتزيوا بزيه اتجارا وادعاء او سترا لما ينطوون عليه من شر وخبث .

ومن هنا تختلف بنا وجهات النظر ، لم نكاد نمر لنقرأ من اقتراب الفصل الذي كتبه الاستاذ خالد بعنوان « السعادة .. لا التقوى » الا اتسعت دائرة الخلاف ، فقد جعل الاستاذ مدار هذا الفصل ، ربط الفضيلة بالسعادة دون التقوى ، (ص ٥٥) ونرى نحن ان يكون مدار البحث هو « السعادة والتقوى » او « السعادة بالتقوى » لان التقوى الصادقة ليست في رأينا الا نوعا من النضال لتعلية الغرائز الجامحة ، والمجاهدة للتوفيق بين طبيعتنا ومثلنا الاعلى .

ولعامل هذا ، هو المسئول فيما احسبه عما اراه من تعثر الاستاذ الكاتب في هذا القسم من كتابه ، بسبب عجزه من التوفيق بين التماس السعادة من طبيعتنا البشرية ، وبين ماتحتاجه هذه الطبيعة من رياضة تكبح جماحها وتجنح بها الى السلامة والاتزان ، وتحول بينها وبين ما سماه الاستاذ « الاعشاب الضارة » ويساعدها على التسامي ، وهو ما تغرى به التقوى وتعين عليه ، ولنا في الدين الاسلامي خير شاهد ، فلقد حرم الرهبانية ، واعترف بالبشرية اجمل اعتراف ، وهذا الاصرار منه على تقرير البشرية حتى في رسوله المختار ، يكفي وحده للرد على من يتهمونه « باهانة البشرية » ص ٥٥ ، او يرون التقوى تحول دون سعادة البشر

اقول هذا وانا اقدر حق التقدير ، انني اشق على الاستاذ خالد حين ارجو ان يتئد في حكمه ويضبط عبارته ، لور في تحمسه لفكرته وانفعاله العنيف بما يرهقنا من جمود ، وايمانه الصادق بما يحسبه حقا ، اقول لان للنفس له العذر ، حين يعز عليه ان يلجم قلمه او يحول دون اندفاعه بمثل هذا الاسلوب الملتهب ، كيما يبلغ من آذان القوم صمما !

بنت الشاطيء
من الاهرام

كتب جديدة

في المكتبة القصصية

١ ـ المزيفون : المطبعة النموذجية ـ ١٢٣ ص متوسطة
٢ ـ شمس الخريف : لجنة النشر للجامعيين ـ ٣٠٠ ص متوسطة
٣ ـ سر الهاربة : مكتبة كرارة ـ ٢٢٧ ص صغيرة

ثلاث قصص اقدمها اليوم الى قراء الاهرام، اولاها لرائد القصة المصرية، والاخريان لاديبين من ادباء الشباب، شق احدهما طريقه نحو الطليعة، ومايزال الثاني يجد ليصل.

اما قصة «الاستاذ محمود تيمور» لمتراثها «المزيفون» وهي مسرحية مصرية في ستة فصول، تجري حوادثها في «المعترك الحزبي» حيث الاتجار الرخيص باسمى المبادىء، يمارسه صنف من المحترفين الذين يخدعون الشعب باسم في خدمته، ويستهوون الجماهير ببرامج براقة خادعة، تتحدث عن الصالح العام وهي تعني به المنفعة الشخصية، وتدافع عن حقوق الشعب وهي لاترى الشعب الا مطية مسخرا لخدمة الحزب!

و«الاستاذ تيمور» لايقتطع معترك الاحزاب من حياتنا العامة، وانما يصله بها في براعة جديرة بالاعجاب حقا، لسنا اما هي قطعة من حياة مصر حين كانت تمزقها الاهواء الحزبية. ذلك اننا لانعيش في المسرحية مع حفنة من رجال الاحزاب قد بتروا من المجتمع بترا، وانما نعيش في صميم هذا المجتمع كله، ونرى تزييف المشاعر، والعواطف، والمبادىء، ونلمح التزييف والضمائر، تختلط في السوق بالسمن والبصل والحلى والثياب والسيارات!

ويبلغ «الاستاذ تيمور» ذروة فنه، في تصوير من يعرفون على المسرح «بالاشخاص الثانويين»، فليس دور «ابي حجاب» الحاجب الخاص لرئيس الحزب، بادون او اضال من دور الرئيس نفسه، وليس نشاطه في الانجاز والتزييف، باخف او ابسط من دور «الزلتاوي باشا» عين اعيان الصعيد، واحد اقطاب حزب الاصلاح الشعبي»

***

على أن هناك سؤالا القيته يوم قدمت قصة «نابليون» الى قرائنا في الصيف الماضي، وما أزال ألقيه اليوم لعلي أظفر له بجواب.

السؤال هو: لماذا يحرص اديبنا الكبير على كتابة نسخة من مسرحياته بالفصحى، الى جانب النسخة الاصلية المكتوبة باللغة العامية؟ اني لاستبعد أن يكون هذا نوعا من التزلع في لغة العامة الذين يدين اديبنا تيمور بمجده القصصي. كما استبعد ان يكون هذا، مظهرا من مظاهر الوقار اللائق بعضو المجمع اللغوي، فليس اديبنا «تيمور» بالذي يصطنع مثل ذلك، مضحيا في سبيله بحيوية المسرحية، هذه الحيوية التي نحس قوتها وروعتها حين يجري الحوار على طبيعته، وبلغة اصحابه دون تكلف للفصحى التي لم يسمع بها «الشيخ عبد اللاوي: نقيب مشايخ الحارات»، ولا «ابو زكريا: مالك السمن»، ولا «الشيخ مخيول: ناظر الزراعة»، ولا «العجان: سمسار القطن»..

اني لاؤكد للاديب الكبير، انني استمتعت بقراءة المسرحية في لغتها المصرية الاصيلة، مع اني من المتخصصين في الفصحى والمشتغلين بها، لعل عنده من جواب عن سؤالي: لم، ومن اجل من، يتكلف كتابة المسرحية بالفصحى بعد ان كتبها باللهجة المصرية؟

***

وادع «المزيفين» لاقدم قصة «شمس الخريف» للاستاذ «محمد عبد الحليم عبد الله» الذي طالما احتفيت بقصصه وقدمتها الى قرائنا في تقدير صادق. وهو هنا يروي قصة واحد من هؤلاء الآدميين الذين نلتقي بهم في ضجيج المدن، ونمر بهم عابرين لانكاد ندري شيئا عما وراء مظاهرهم الساذج البسيط، من عالم نفسي يموج ويضطرب، من اثر الاحداث التي تلاعبت بها يد الدنيا... فتى يشهد رحيل ابيه عن عالمنا مثلا بسبب الجهد الكادح، ويرقب امه وهي تبتعد عنه رويدا رويدا، لتظفر بزواج جديد، من كآبة الترمل ووحشة الوحدة.

ويخبو مكان الفتى بين امه وزوجها، ويتعثر في دراسته بالمدرسة الثانوية لينطلق هائما على وجهه في الضواحي، ينشد الراحة لاعصابه المجهدة ونفسه المكتئبة، ليلقى في الصحراء واحة لاتمسي عليه بظل ولا ري... يلقى كوخ اسرة ريفية بسيطة، يعطره اريج زهرة فتية ندية، تسحر عيني الفتى بحلاوة روحها ولقاء لظرفها ولغرة صباها.

ويظل الفتى يغدو ويروح بين الاسكندرية والقرية، حتى تضع امه اخا له غير شقيق، ليتسلل الشاب اليتيم ذات ليلة الى القاهرة، حيث تتلقاه هناك امواج الخضم الصاخب، وتلقى في دراستها الى ان تمتد يد انثى شابة لتنقذه من قلقه ووحدته، وتسقر ذكرياته، وتهيىء له عشا آمنا لم تهبه مولودا وليدا، بعد ان تبذل آخر قطرة من حياتها في سبيل الزوج والولد.

ويمضي الرجل من بعدها اعمى صلدا، لاذا اهل خريف العمر، وقف الاب امام ابنه يتلمس فيه وليه في ارتياح، ويحس بلمسة الذل، حين يذكر لجاج والده «الغائب» ليهتف من اعماق كيانه: «أيها الزمن... لقد عاملنا منك!»

ذلك ان صفقة واحدة هي صفقته في ولده، ربحت اورفعت خسائره في ابيه، وفي امه، لم في زوجته الحبيبة!

واحسب الذين قرأوا قصة «بعد الغروب» للاستاذ عبد الحليم، سيجدون في «شمس الخريف» صورا مشابهة، تلتقي بساطتها وعمقها واصالتها، وسيذكرون بلا ريب، ان قصة اليوم كقصة الامس، تصحب رجلا من صميم هذا الشعب، في طريق الحياة الطويل من فجر الصبا الى ما بعد الغروب واوان الخريف. وما اشك في ان حديثه سوف يمس الوجوم وهو يكشف عن جراح الايام الكادحة، وندوب الليالي السوداء، حتى آن له ان يستريح في خريف العمر، وقد اسلمته الجروح ذكريات لانسه في المرحلة الاخيرة من العمر، وتروي جلسات الشيخوخة، بقطرات كأس

امتزجت فيهما حلاوة الشعر بمرارة الشعور ، فتحفظ صاحبها عليها بين قصصها في لذة هادئة وألم هين ، وقد زايله الانفعال الشديد والإثارة المبهجة .

واسلوب الاستاذ عبد الحليم ، على جمال اسلوبه ، يغرى بالاحساء البطيء وهو يكشف عن طوايا النفس في روية ، ويصور مواجعها في رحمة ورثاء !

⁂

و« شمس الخريف » قد ظفرت بجائزة الدولة للقصة في الموسم الماضي ، وفي هذا الظفر من التقدير ما يرضي الاستاذ الاديب فيسمح لي بعد التهنئة الصادقة ، أن الاحظ عليه أن التوفيق الذي حالفه في رسم صورة البطل قد خانه في رسم الشخصيات النسوية في قصته ، فهذه الصورة التي عرضها لام مختار ، فيها ملامح غريبة تنكرها الامومة التي نعرفها ، وهذه الصورة الاخرى « للسيدة ف » المعلمة الناضجة ، العاطفة الذكية ، تبدو كذلك غريبة شاذة ، لا لكونها ترتكب الاثم لمجرد الفضول — وهذا في ذاته غريب — ولا لانها تفرط بالاسراف بخطوبتها لساعي البريد — وهذا أيضا غريب من موظفة يجهل الناس ماضيها فتنطوع بكشفه — ولكن لانها مضت تسجل بقلمها حديث زلتها ، في كتاب بعثت به الى ساعي البريد ، مختار الذي تزوجها فيما بعد !

ويبدو أن الاستاذ عبد الحليم ، نسي انه جعلها تسجل اعترافها بعد أن اشمأزت من الاثم ، فاذا حديثها يروي تفاصيل زلتها الماضية في ترو ، ودقة ، وعلى نحو لا يكون ابدا من نادمة تائبة ، جديرة بأن تفزع من الذكرى السوداء ، وترتعد من مجرد التطلع الى الامس الملوث .

والانثى الثالثة في القصة ، هي « سكينة » ربيبة الكوخ الطاهر . وصورتها ليست اقل شذوذا من صورتي أم مختار في قسوتها ، و « السيدة ف » في خطيئتها . فما أعرف — على طول عهدي بالريف — امرأة قروية ، عبدها شيخ ريفي متصوف ، لقيم بابوا لفتى متسكع من تلاميذ المدرسة الثانوية بالمدينة ، لا تربطه بها علاقة ما ، وفي البيت صبية حسناء في سن الزواج ! وما سمعت أن للفتى مراهقا يهرب من امه ومدرسته على دراجة ، وينطلق الى عزبة في الضواحي ، فيلقى في دار ربيبة أهلا ، وينزل سهلا !

⁂

اما القصة الثالثة : « سر الهاربة » . لقد بناها مؤلفها « الاستاذ حسن رشاد » على أسس نفسية ، وادار حوادثها على شحنة مكبوتة من الانفعالات ، ظلت تتراكم في اعماق صاحبها وهو غير منتبه لها ، حتى تضخمت وكادت تدمر حياته ، لولا أن ادركه طبيب نفسي ،

ويأمر هذا الطبيب ، كتب « أحمد » قصته ، وراح يروي الاحداث التي مرت به ، منذ كان يعيش مع امه الشابة البارعة الحسن ، وابيه الكهل الموظف التعس ! وتبدأ احداث القصة ، منذ اليوم الذي دعيت فيه الاسرة لحفلة غريبة ساهرة ، اقامها « يونس بك » المدير العام للمصلحة التي يعمل فيها الاب ، وهناك في الحفلة ، يولغ الاسرة باختيار الزوجة الشابة ، كاجمل وجه بين الحاضرات ! فاحس ابنها الطفل احساسا غامضا مرهقا من الهول والغيرة ، وهو يرى العيون تتجه الى امه ، ويضحك جيبها مرنا وهو يسمع كلمات الاطراء تتراشق عليها من هنا وهناك !

واعقب ذلك ، سفر الاب الى الصعيد في مهمة مصلحية لم يعد منها قط ! ولم يمض عام واحد حتى كان « يونس بك » قد تزوج الارملة الحسناء ، واشرف على ولدها حتى اتم دراسته في كلية الزراعة ، ثم بعث به على نفقته الى انجلترا ليستكمل دراسته !

وحين عاد الشاب ليعيش مع امه الطيبة وزوجها الكريم ، بدا كان الزوج لا يطيق أن يرى في الابن صورة ابيه الراحل ، فاختار له العمل مهندسا للزراعة في قرية ابنة عمه بنجع حمادي ، وهناك .. احب الشاب فتاة بارعة الحسن ، رائقة الشمائل ، مرهفة الحس ، وتزوجها بالرغم من كره أبيها لزيل اللهوان !

وتتابعت الاحداث سراعا ، لتكشف لنا آخر الامر عن سر رهيب ، فهذا الاب السجين هو الذي قتل والد « احمد » كي يفسح « ليونس بك » الطريق الى الزوجة الحسناء !

وعرفت عروسه هذا السر بعد زواجها فاربكت مكرهة الى فلسطين ، في صحبة ابيها الذي فر من الهوان !

وكاد احمد ييأس من لقائها ومعرفة سر هروبها ، لولا أن سمع مصادفة انها عادت مع ابيها الى مصر .

وهناك في مزارع القصب بنجع حمادي ، التقى احمد بقاتل ابيه ، فكان صراع مرير كاد احمد يختنق فيه ، لولا أن امتدت يد لطعنت غريمه بالسكين !

وكانت يد زوجته « الهاربة » ! لقتلت أباها ، وعادت من ذورها لتستأنف مع احمد عيشهما السعيد !

⁂

والقصة مقدمة ببحث علمي « للدكتور عبد العزيز القوصي » بعنوان فيه بالزالف ، ويرى في العمله « اجمل خدمة لعلم النفس »

وهذا التقدير من استاذ متخصص في علم النفس ، يجعل مهمة الناقد الادبي يسيرة الى حد ما ، فربما احس في القصة نوعا من افتعال الحوادث لا يعترف به الفن ! لكني رغم هذا ، ارى القصة تثير بمتابعتها احس آخر

التاريخ : ٢٥ / ١ / ١٩٥٤

لعل من قصورنا !. وما الشك في أن الاستاذ رشاد ! إذ اتخذ مادة لقصته وأبطالها من واقع الحياة ، ليبلغ في هذا الميدان شأوا بعيدا .

على الأقل . فيه كذلك ، أن الفولبل خانه — كما خان الاستاذ عبد الحليم — في تصوير شخصية البطلة ، ذلك انه جاء لنا بفتاة مهذبة رقيقة ، رزئت في الزواج من حبيبها وقالت وهي تبكي :

« انه لي .. ومهما يكن من أمر ماضيه فاني لا أستطيع ان انكر انني ما زلت أحبه ، واجله واقدس ابوته » ص ٨٠ — جاء المؤلف بهذه الفتاة ! ، ووضع في يدها اللطيفة النحيلة سكينا مسمما ، تطعن بها أباها حين رآه مشتبكا مع زوجها في الصراع !

وإلى هنا ، يبدو المؤلف محتمل التصور رغم شذوذه وغرابته ، لكن الذي لا أستطيع تصوره ، أن تترك القاتلة جثة أبيها في حراسة بعض الزارعين ، وتمضي مع زوجها مسرعين ، مع انه كان منهوك القوى (ص ١٩٨ : ٢٠٣) متجهين الى المنزل ، ليقضيا بأسعد ساعة ! ! ص ٢١٢ ...

لقد عرفنا مجرمين عريقين في الاجرام ، يرتجفون رهبة أمام الدم المسفوك ، لكنا لم نعرف — نحن بنات حواء على الأقل — واحدة منا ، تنعم بأسعد ساعة ، ودم أبيها ما يزال حارا على يدها ، وجثته ما تزال على مقربة منها ملقاة بالعراء ، وأمها مطروحة المحتضر ! مع انها منذ حين ، كانت تعترف بأنها تحب أباها ، وتجله ، وتقدس ابوته ، رغم اجرامه !

ومن عجب انها ظلت بعد ذلك عادلة ، لا يكدرها شعور بالندم ، ولا يؤرق منامها شبح عابر من الاب الذي تقتله ، ولا يطوف بها طائف يذكرها بالذي كان !

بنت الشاطئ

التاريخ : ١ / ٢ / ١٩٥٤

كتب جديدة

فى القرآن والحديث

سنن ابن ماجه

دار احياء الكتب العربية — ٧٢٠ ص ك

هى بشرى زفها الى المشتغلين بالحديث الشريف والفقه الاسلامى ، هؤلاء الذين ظلوا زمانا يرجون ان تخدم امهات كتب الحديث على النحو الذى يسمو به تراثنا الادبى والتاريخى ، فتحقق نصوصها ، وترقم احاديثها ، وتذيل بما يستوجبه المقام من حواش وتعليقات ، ثم تنشر بعد هذا كله نشرا متقنا ، يقرب منالها وييسر الانتفاع بها على اوسع مدى مستطاع . وهى خدمة بلا ريب مضنية ، تستلزم فيمن يتوفر عليها ثقافة اسلامية ممتازة ، وخبرة اصيلة بكتب الحديث واعلام رجاله ، ومعرفة دقيقة باصول الرواية ومنهج التحقيق ، مع رغبة مخلصة فى خدمة العلم ، يستطاب معها البذل السخى والسهر المرهق .

وخاصة المثقفين ، لايجهلون مكانة « الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقى » فى هذا الميدان ، فلقد وهب حياته لخدمة القرآن والسنة ، واثمرت جهوده فيهما ثمارا موفقة ، يكفى ان نذكر منها « المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم » وكتاب « اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان . »

ومنذ عامين اثنين ، قدم « الاستاذ عبد الباقى » الى مكتبتنا ، طبعة حديثة متقنة لكتاب « الموطأ : للامام مالك » فى مجلدين كبيرين ، واليوم يقدم لنا « سنن ابن ماجة » للامام الحافظ « ابى عبد الله محمد بن يزيد القزوينى » المشهور بابن ماجة ، احد ائمة رجال الحديث واعلام الحفاظ فى القرن الثالث الهجرى . »

وتشهد كل صفحة من صفحات « سنن ابن ماجة » بالجهد الباذل الذى انفق فى تحقيق نصوص الكتاب ، وترتيب ابوابه واحاديثه ، والتعليق عليه ، مع عناية واضحة بدقة الضبط واتقان الاخراج .

ولم يكتف الاستاذ المحقق بهذه الحواشى التى جاء بها فى هوامش الصفحات تفسيرا للالفاظ او توجيها للاعراب ، بل حاول الى جانب هذا كله ، ان يذيل متن الحديث — حينما دعت الحاجة — بتعليق يتصل بالمتن او السند ، كان يشير الى ان :

« هذا المتن مما انفرد به المصنف » او ينقل قولا لبعض علماء الحديث فيه من مثل :

« اخرجه الترمذى ، وقال : حسن غريب » رقم ٦٢ « رجال اسناد هذا الحديث كلهم مجهولون ، قاله الذهبى » رقم ٥٠

« فى الزوائد : اسناده ضعيف » رقم ٧٤ ، ٩٤ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ١٧١ ، ٢١٣ ، ٢٢٩

« اسناده ضعيف ، لاتفاقهم على ضعف عبد الله بن خراش ، الا ان ابن حبان ذكره فى الثقات ، واخرج هذا الحديث من طريقة صحيحة » رقم ١٠٣

« فى الزوائد اسناده ضعيف ، فيه داود ابن عطاء المدنى ، وقد اتفقوا على ضعفه ، وباقى رجاله ثقات — وقال السيوطى : قال الحافظ عماد الدين بن كثير فى جامع المسانيد : هذا الحديث منكر جدا ، وما هو أبعد من ان يكون موضوعا . ») ١٠

« فى الزوائد : فى اسناده « حجاج بن ارطاة » وهو مدلس ، وزينب السهمية ، قال فيها الدارقطنى : لاتقوم بها حجة » ٥٠٣

***

وحسب القراء هذا المثل ، ليدركوا مدى الجهد المبذول ، وبخاصة اذا علموا أن الاحاديث التى جمعها هذا الجزء الاول من « سنن ابن ماجة » بلغت عدتها الفين ومائة وستة وثلاثين حديثا ، فلو لم يكن الاستاذ عبد الباقى فعل الا أن يقدم لنا هذا العدد الضخم من احاديث الرسول — عليه الصلاة والسلام — مضبوطة بالشكل ، مشروحة المفردات ، قريبة التناول لكفاه ذلك عندنا ، غير انى اود ان الفت قراءنا بخاصة ، الى هذه التعليقات التى جاء بها الاستاذ المحقق ، مما يتصل بتخريج الحديث ونقد متنه او سنده ، لانها تعطى القراء صورة مما بلغته اصول الرواية عند السلف ، من دقة بالغة فى وزن الرواية ونقدها والحكم على الرواة .

ولعل فيما سقته هنا من مثل ، اشارة لافتة الى مدى عناية الاقدمين بالسنة ، والى ما قدمته هذه العناية من اصول كاملة دقيقة للرواية ، تراثا جديرة بان تصبح منهجا للنقد ، وتعيننا على تقويم النصوص .

***

وكنت ارجو بعد هذا لو أن السيد « الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقى » وضع بين ايدى القراء والنقاد ، فى هذا الجزء الاول من « سنن

التاريخ : ١ / ٢ / ١٩٥٤

ابن ماجة ، مقدمة تهدى الى النسخ التى اعتمد في تحقيق النص ، وبسط منهجه في هذا التحقيق ، ونرجو الى عمل المستشرقين في « المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوى » لكن الاستاذ آثر أن يستبقى مثل هذا البيان الى آخر الجزء الثانى الذى نتطلع مع الدعاء لحضرته بالتوفيق في خدمة السنة النبوية

فتح المنان في علوم القرآن

كانت كلية اصول الدين بالجامع الازهر ، قد ندبت فضيلة الاستاذ الجليل ، الشيخ عبدالله مصطفى المراغى ، لتدريس علوم القرآن لطلبة السنة الثانية بتخصص الدعوة والارشاد ، فالقى فضيلته عددا من المحاضرات القيمة في هذا الموضوع ، تناولت ترجمة القرآن الكريم ، ومسائله النسخ وما يتصل بها ، والمحكم والمتشابه في القرآن الكريم ، والايات المتعلقة بصفات الله تعالى ، واسلوب القرآن واعجازه ، والقصص القرآنى ، وامثال القرآن ، والبراهين القرآنية .

ثم رغب الطلاب الى شيخهم الجليل في طبع هذه المذكرات ، فاستجاب لرغبتهم ، وعكف على اخراج دروسه « في علوم القرآن » اخراجا متقنا ، بأسلوب سهل واضح ، برىء من التعقيد والتكلف والالتواء ، مع اثبات المصادر الهامة لهذه العلوم ، كيما يرجع اليها من يريد مزيدا من الفقه بالموضوع والاتصال بامهات مصادره .

ومع ان الكتاب قد وضع في الاصل لطلاب التخصص في الدعوة والارشاد ، الا ان غيرهم من المشتغلين بالدراسات القرآنية ، سيعنيهم بلا ريب أن يطالعوا كتابا كهذا ، ليروا فيه نموذجا للدرس القرآنى في الازهر ، ومنهج استاذ جليل من شيوخه في التناول ، واسلوبه في العرض والاداء .

تفسير القرآن الكريم
دار المعارف بالقاهرة

ثلاثة من كبار رجال التعليم ، امضوا عشرات السنين في خدمة اللغة العربية وتعليمها ، ثم راوا أن خير ما يتوجون به حياتهم العلمية الطويلة ، هو الاشتغال بتفسير القرآن الكريم ، ليكون لهم من هذا التفسير زاد الدارين وذخر الحياتين : الدنيا والاخرة .

اولئك هم الاساتذة : « محمود محمد حمزة : مفتش العربية سابقا بالتعليم الثانوى ، وحسن علوان : المراقب بوزارة المعارف ، ومحمد احمد برانق : المفتش العام بالتعليم الابتدائى . »

ويبسط السادة منهجهم في التفسير فيقولون :

« ... ولقد راينا ان نعرض المقصود اولا من معانى الكلمات والعبارات والجمل عرضا مجملا ، نتخفف على من يبغى مجرد التلاوة ، مئونة الاطلاع على المعانى المبسوطة والاحكام المفصلة والحكم المبينة ، ثم نشرح الايات شرحا بين القصد والتفصيل ، والايجاز والتطويل حتى لا يستغلق ولا يمل ، متجنبين التعمق الذى يكد الذهن ، مراعين الوضوح الذى يلم بالدقائق والاشارات ، والمرامى والغايات ...

« قد اجتمع الراى على أن نحرص على بيان اسباب النزول في اسلوب من القصة ، وعرض للاحداث والملابسات التى سبقت نزول الآ[يات] : فان ذلك يعين كثيرا على فهم القرآن ، [و] يمكن من ادراك معانيه ومعرفة احكامه ، [و] يربط بين التاريخ والتشريع ... »

ولقد ظهر من هذا التفسير ثلاثة اجزاء ، كل [منه]ما في نحو مئة وخمس وعشرين صفحة من [الق]طع المتوسط ، اتم فيها الاساتذة تفسير [الف]اتحة ، وسورة البقرة ، وقسم من سورة آل [عم]ران ينتهى عند آية : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ، وما تنفقوا من شىء فان الله به عليم »

وواضح من خطبة الكتاب ، ان الاساتذة لم يعمدوا الى التعمق او الاطالة ، ولم يقصدوا بهذا التفسير خاصة الدارسين الذين يعنيهم ان يفقهوا اسرار التعبير القرآنى ، فتهيا لهم له احاطة دقيقة بما حول هذا النص المعجز ، ويعين عليه تتبع لاستعمال الفاظه ودورانها في القرآن كله ، وانما ارادوا ان يقدموا تفسيرا واضحا مبسطا ، لمن يبغى مجرد التلاوة والفهم القريب .

ولعله كان مما يعين على تحقيق هذه الغاية من سهولة الفهم وقرب التناول ، ان يرقم الاساتذة الفضلاء ، الايات القرآنية الكريمة . لان الذين يستغنون عن هذا الترقيم ، هم الخاصة الذين لم يوضع هذا التفسير المبسط من اجلهم ، ويزيد من اهمية الترقيم المطلوب ، ان الاجزاء الثلاثة غير مفهرسة ، بحيث يشق على القارىء الذى تقدم له هذا التفسير ، ان يهتدى الى مواضع الايات المفسرة من الكتاب الكريم : ففى الجزء الثانى مثلا ، ستة وعشرون قطعة من الايات ، وليس في الجزء كله اشارة ما الى .

التاريخ : ١ / ٢ / ١٩٥٤

السورة ، وكان المرجو ان تذيل كل آية برقمها وان يكتب اسم السورة عقب كل قطعة .

وملاحظة اخرى ارجو ان يتسع لها صدر الاساتذة الكرام ، تلك هي انهم يفسرون احيانا ماليس بحاجة الى تفسير على حين يتجاوزون عن بعض كلمات مما يصعب فهمه على القارىء غير ذي الثقافة اللغوية .

ففي الجزء الاول مثلا ، يفسرون في القطعة رقم ١٠ : « بقوة » اي بجد واجتهاد ، ويتركون كلمة « خاسئين »

وفي القطعة ١١ ، يفسرون « الجاهلين » ويتركون « تشابه علينا »

وفي الجزء الثاني يفسرون في القطعة رقم ٢٦ الفاظ : « ومالنا الا نقاتل – فشربوا منه – والحكمة – وعلمه مما يشاء » ويتركون :

« اصطفاه – آية ملكه – ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض . »

وفي الجزء الثالث يفسرون في القطعة رقم ٢ : « الحي – نوم – خالدون » ويتركون : « لااكراه في الدين » وفي قطعة ٤ : يفسرون « وقودالنار الشهوات » ويتركون : « تحشرون – الخيل المسومة والانعام والحرث . »

وفي قطعة ٣ ، يفسرون لفظ « رحمة » ويتركون « من لدنك »

وفي قطعة ١٤ ، يفسرون : « يشترون ثمنا قليلا – من ربهم – من الخاسرين »

ويتركون : « أربابا – يبغون » مع ان لفظ « يبغون » يحتمل أكثر من معنى .

وانا بعد حريصة على ان أؤكد للسادة الاساتذة ، ان تقديري لعملهم الكريم هو الذى دعاني الى ايراد هذه الملاحظات الهينة فلست بالتي تجحد فضلهم ، وانما الذى أرجوه من ايرادها ، هو ان يتداركوها في الاجزاء التالية ان شاء الله ، فهذا اجدر بأن يعين على تحقيق هدفهم المرجو .

بنت الشاطىء
(من الامناء)

التاريخ : ٥ / ٢ / ١٩٥٤

في حياتنا الأدبية

رسالة من بروكسل

للدكتوره بنت الشاطئ

دعوت في مقال لي سابق ، الى تشجيع الترجمة التي كان لها أكبر الفضل في ابتعاث الوعي ، ولتمزيق الغشاوة التي نسجتها العصور الوسطى على أعين هذا الشرق ، وكسر القيود والأغلال التي كبلته زمانا لعزلته عن الدنيا

لكني رجوت في الوقت نفسه ، الا يتشابه الأمر علينا ، فنخلط بين الترجمة وبين السرقة والاغتصاب ، ونبيح — باسم حرية الترجمة — أن يستبيح الناقلون ثمار الفكر الغربي فيأخذوا منها ما شاءوا وينسبوه الى أنفسهم زورا وادعاء !

واعترف بأن هذه المسألة ، هي التي كانت وحدها تعنيني وأنا أكتب ما كتبت في موضوع الترجمة ، حتى تلقيت منذ أيام رسالة من « بروكسل » يثير كاتبها « الأستاذ أنور محمود عبد الواحد » ناحية من نواحي هذا الموضوع ، لم تخطر لي على بال . تلك هي الترجمة الخائنة التي تنقل لقرائنا روائع الأدب الغربي فتلاشيها مبتورا ، يبعدها عن الأصل المترجم .

وادع الأستاذ الكاتب يدافع عن وجهة نظره فيقول :

« تكاثفت دور النشر الكبرى في مصر ، بتراجم لروائع الأدب الغربي ، تحمل أسماء كتابها العظام . ثم تمضي في مطالعة هذه التراجم ، فاذا بها لا تحافظ على نص ولا ترعى أمانة نقل ...

« ولا نستطيع هذه الدور أن تحتج بأن القارىء العربي يعجز عن تقبل النص الأصلي لأدب الغرب ، فقد مر هذا القارىء بفترة الاستعمار منذ أمد طويل ، وأثبت قدرته الصحيح وحسن استعداده لتقبل الترجمة الأمينة ..

« وأنا أكتب هذا ، وحولي طبعات أمريكية وانجليزية وفرنسية ، شعبية ورخيصة ، أذكر منها :

Pantam Books , Penguin , Livre de Poche ,

وغيرها ، فاذا بها تحافظ على النص في أمانة ودقة ، وتشير الى هذا بوضوح ، في مطلع صفحاتها ...

« ... ويهتف الأدب بعهدي ، وأنما أنا قارىء عادي ، أدهشته هذه الجرأة المنقطعة النظير وأدهشه أكثر ، صمت السلام ترهف لأمر الذي خطروا ، فلجأ اليك والى « الأهرام » رجاء وضع حد لما يغمر أسواقنا اليوم من هذه التراجم المبتورة التي أعدها نوعا من السرقة الأدبية .. »

وكنت أرجو أن أستجيب للسيد الفاضل وأكون عند حسن ظنه بي ، لكني في الحق — لا أكاد أفكر في طريقة تكشف من زيف هذه البضاعة الأجنبية وتضع حدا لها ، حتى أتراجع وأكف عن المضي في التفكير ، ذلك لأني لا أدري كيف أطالب بأمانة النقل من لغة الى لغة ، وبين أيدينا طبعات تجارية مشوهة لروائع التراث العربي القديم ، لم يرع فيها الناشرون حرمة النص ، ولا همهم أن يحرصوا على أمانة النقل ، بل شوهوها وبتروها ، وأسقطوا من عندهم ما شاءوا ، ثم أخرجوها الى الأسواق تحمل أسماء أئمة أعلام الأدب العربي ، ترويجا للبضاعة ، وتضليلا للقراء ، ولو بعث أولئك الكتاب الأعلام من مرقدهم ، لأنكروا هذه الكتب التي تحمل أسماءهم ، مع أن فيها ألفاظا وعبارات لم يجر بها لسانهم ، ولا سمع بها زمانهم .

يحدث هذا على مرأى من قادة الفكر وسمعهم ، فلا ينتبهم الأمر في كثير أو قليل ، بل ان من بين الذين يشغلون مناصب كبرى في الدوائر العلمية ، من يعجبون لنا حين نتحدث من حرمة النصوص ، ويستغربون أن نشغل أنفسنا ونشغل الدنيا حولنا بالدعوة الى حماية التراث الفكري من عبث النقلة وأخطاء الجهال وتشويه المرتزقة واعتداء التجار ، مع أن المسألة في تقديرهم — أبسط وأهون من أن يوقف عندها ، ولا بأس عندنا في أن تظهر طبعات مشوهة محرفة من أي نص قديم ، لأن الخطأ فيه لن يمس تاريخنا بضر أو أذى !

وكان الأمر يهون ، لو أن هذا هو منطق جماعة التجار والمرتزقة بالتأليف والنشر ، لكننا رأينا كثيرا ممن يحملون ألقابا علمية ضخمة ينشرون طبعات من مخطوطات عثروا عليها ناقصة ، فلم يكلفوا أنفسهم عناء البحث عن بقيتها في خزائن الكتب ، بل سلكوا الدرب السهل وأهونها ، فأكملوا من عندهم كل نقص وملأوا بالفاظهم كل « بياض في الأصل » فلما أنكرنا عليهم هذا العدوان الأثيم الذي يفقد النصوص قيمتها التاريخية والعلمية ، لم يروا موضعا للانكار ، اذ يجوز عندهم أن نصنع ذراعا لتمثال فينوس ، وأن نكمل « السمفونية الناقصة لبيتهوفن » فكذلك — في رأيهم — أولى من ترك التمثال الجميل مبتور الذراع ، وابقاء السمفونية المشهورة غير كاملة ، ونشر النصوص القيمة دون اكمال كل « بياض في الأصل » وملء كل فراغ !

أفنقول هؤلاء أهل لأن نحدثهم عن حرمة نص وأمانة نقل ؟

أيمكن — وهذا هو حال تراثنا — أن نستجيب لدعوة الداعي الى حماية التراجم البتراء ، اذ نطمع في أن تنقل لنا روائع الأدب الغربي كاملة أمينة ؟

هذا تراثنا الغالي مستباح ، وتلك كنوزنا الأدبية والفكرية مستباحة ، فلا ينتظر مني الداعي الكريم أن أؤاخذ من يخطئون في الترجمة من لغة أجنبية ، حين أرى ذوي الألقاب الرنانة يعبثون بمخطوطاتنا العربية ، فلا يتحرجون من استبدال كلمة بأخرى عز عليهم فهمها أو قراءتها ، ولا يترددون في وضع عبارات من أسلوبهم مرتبا ، حيثما وجدوا بياضا في مخطوط قديم !

ذلك لأني أرى الا نبعثر جهودنا في ميادين ، وانما نعنى أولا وقبل كل شيء بحماية النصوص العربية ، حتى اذا تم لنا النصر في هذه المعركة ، أمكننا أن ندافع عن حرمة الروائع المترجمة ، والتفكير في وسائل الرقابة على ما يغمر أسواقنا من بضاعة مرتبكة ، اذ لا يمكن أن يقاس الخطر القائم علينا ، بخطر الاعتداء على أعز ما نملك من تراثنا الفكري !

بنت الشاطىء

التاريخ : ٨/ ٣ / ١٩٥٤

كتب جديدة

في الشئون الاقتصادية

القطن في خمسين عاما

دار النيل للطباعة — ... ص ق

لست من المتخصصين في شئون المال والاقتصاد ولا أنا ممن يستهويهم قراءة الأبحاث المتصلة بهذه الشئون ، لكني ما كدت ألقى كتاب « الدكتور يوسف نحاس » عن « القطن في خمسين عاما » حتى انكببت على مطالعته ، تقديرا لمؤلفه وموضوعه معا

لقد عرفنا الدكتور نحاس خبيرا متخصصا في مسألة القطن ، في زمن عز فيه التخصص عندنا حتى في الميدان العلمي ، فرأينا مؤلفين يباهون بأنهم يعرفون كل شيء ، ويستطيعون الكتابة في أي موضوع ، وامتلأت مخازن الكتب عندنا بأكداس من مؤلفات الذين كتب الواحد منهم في الفلسفة ، والدين ، والحرب ، والأدب والاجتماع ، والاقتصاد !

ليس على الله بمستبعد
أن يجمع العالم في واحد !

أما الدكتور نحاس ، فليس ممن يدعون اجتماع العالم فيهم ، كلا ، وإنما هو دارس توفر على بحث مسألة واحدة من المسائل الاقتصادية ، وتفرغ لها في تخصص عميق دون أن يوزع جهده هنا وهناك ، أو يبعثر نشاطه في الميدان الاقتصادي جملة . وهذا التخصص الدقيق يكفي وحده لتقدير الرجل ، واحترام شخصيته العلمية ، فإذا أضفنا إلى هذا أن مسألة القطن هي مسألة المسائل في حياتنا الاقتصادية ، بدت لنا أهمية كتاب كهذا يكتبه خبير متخصص ، ويؤرخ فيه للمسألة القطنية في النصف الأول من القرن العشرين

* * *

وقراؤنا قد طالعوا بلا شك ، كثيرا من مقالات « الدكتور يوسف نحاس » في مختلف المسائل القطنية ، وعهدوه لا يدع مناسبة من المناسبات المتصلة بالقطن ، من غير أن يعلن كلمته فيها ورأيه عنها ، لكن أكثرهم قد يجهلون أن الدكتور نحاس بدأ يكتب في الموضوع منذ عهد « الجريدة » وظل يكتب فيه عشرات السنين دون أن يكل أو يمل ، ولقد نشرت له « الجريدة » في مطلع هذا القرن ، مقالات عن « تعريف محصول القطن » دعا في بعضها إلى تحديد المساحة القطنية حتى يتسنى رفع الضغط عن السوق كما نشر له المقطم في عام ١٩١٥ ، مقالات عديدة عن شئون المحصول الأول ، وظلت الصحف حتى اليوم ، تنشر آراء الكاتب الخبير وتذيع توجيهاته ومقترحاته في السياسة القطنية ، وأحسب أن القراء الذين يعنيهم هذه السياسة على ذكر من مقاله الذي نشرته « الأهرام » في ٢٦ من يونية الماضي .

* * *

وكتابه الجديد ، ليس مجرد جمع لهذه المقالات والبحوث التي أوحت بها الظروف والمناسبات خلال نصف قرن ، ولكنه عرض تاريخي منسق في فصول ، يجمع أولها مقالات الدكتور عن القطن « في شئون الحرب الكبرى الأولى » والثاني مقالاته « في أعقاب تلك الحرب » والثالث عن « الكارثة القطنية عام ١٩٢٢ » والرابع عن « تأثر السوق القطنية » بالضائقة الاقتصادية العالمية في أعقاب الحرب الأولى ، والخامس عن شئون القطن في الحرب العالمية الثانية ، ثم في العهد الجديد .

وما نشك في أن أولي الأمر فينا سيجدون في كتاب كهذا مرجعا هاما في المسألة القطنية التي هي في الواقع كبرى مسائلنا العامة ، ومحور الحياة الاقتصادية في مصر الزراعية ، وحسبهم من الكتاب ، أن يضع بين أيديهم آراء دارس خبير عاصر الأحداث المتصلة بالقطن مدى نصف قرن ، وظل يتتبعها في يقظة وحرص وكانت آراؤه ومقترحاته موضع التقدير والاهتمام .

المذاهب الاقتصادية الكبرى

مكتبة النهضة المصرية — ٢٢٨ ص ق

مؤلف هذا الكتاب ، هو « الأستاذ جورج سول » مدير المكتب الوطني للأبحاث الاقتصادية بالولايات المتحدة والمحاضر في ... أما مترجمه ، فهو « الدكتور راشد البراوي » عضو المجلس الدائم لتنمية الإنتاج القومي ، ومدير البنك الصناعي .

ويتحدث « الدكتور راشد » في مقدمة الكتاب ، عن مدى حاجة المكتبة العربية إلى كتاب كهذا يعرض صورة شاملة عامة للمذاهب الاقتصادية التي ظهرت في مختلف العصور ، ثم ينوه بعد هذا بما وفق إليه الكاتب من سد النقص الذي كان يشعر به دارسو النظريات الاقتصادية البحتة ، ومن الوفاء بحاجة مدينتنا إلى درجة يندر أن يوفق إليها كتاب آخر ، كما يشير الدكتور إلى أهمية تبسيط الموضوعات العلمية الدقيقة ، على أيدي العلماء ...

وكتاب « المذاهب الاقتصادية الكبرى » لم يكتب للذين يدرسون الاقتصاد وحدهم ، وإنما كتب لهم ولغيرهم من عامة المثقفين الذين يعنيهم أن يقفوا على بعض المعالم البارزة للتاريخ الاقتصادي ، وأن يعرفوا البيئات التي نشأت فيها النظريات الاقتصادية المشهورة والظروف التي أعانت على تطورها وشاركت في صنعها . كما يعنيهم أن يتعرفوا إلى كبار الاقتصاديين من ذوي المذاهب وأصحاب النظريات ، وأن يتابعوا تطور نظرياتهم على مر السنين

* * *

وأنا حريصة بعد ... على أن أشير إلى الجهد السخي الذي بذلته « مؤسسة فرانكلين

التاريخ : ٨ / ٣ / ١٩٥٤

للطباعة والنشر » في اخراج هذا الكتاب وتيسير تداوله وقراءته ، فلم تكتف بأن تختار « مدير بنكنا السامي » وعضو المجلس الدائم لتنمية الانتاج القومي » لترجمة هذا الكتاب ، بل حرصت كذلك على أن تقدمه الى القراء في طبعة أنيقة ممتازة بل فاخرة ، صمم غلافها « الاستاذ محمد عبد الفتاح هيكل» المدرس بكلية الفنون» وقامت بطبعها « مطبعة مصر » ثم عهدت الى «مكتبة النهضة المصرية» في توزيعه بثمن ضئيل، هو ثمانية عشر قرشا ، ترويجا للكتاب ، ونشرا لهذا اللون من الثقافة بين قراء العربية

وواضح أن « مؤسسة فرانكلين » لا تهدف الى أي غرض تجاري ، وانما هي مؤسسة غير تجارية ، تنفق في سخاء كي تحقق هدفها وهو ترجمة الكتب الامريكية المشهورة ، وتيسير سبل نشرها وتوزيعها على أوسع نطاق مستطاع

بنت الشاطيء

عن الاهرام

اليومية المصرية
لاصحاب المهن غير التجارية

هي يومية تلبي حاجة أصحاب المهن غير التجارية ، من الاطباء والمحامين والمهندسين والخبراء وغيرهم ، وتيسر مهمتهم في ضبط ميزانيتهم وتحديد الضرائب المفروضة عليهم

أعدتها لهم « المطبعة المصرية » اعدادا دقيقا وافيا طبقا لنصوص القانون رقم ١٤ لسنة ١٩٣٩ والقوانين المعدلة له، تضمنت اليومية نصوص القانون وشرحها ، وطريقة القيد في دفتر « يومية الايرادات والمصروفات » بعد تسجيلها، وبيان كيفية استخراج النتائج السنوية للعمل ، وحساب الضريبة المستحقة ، ثم كيفية تحرير الضريبة العامة على الايراد.

وقد راعت « المطبعة المصرية » أن تكون يوميتها مبسطة الى أبعد حد ، بحيث يستطيع الممول أن يقيد بنفسه بيانات ايراداته ومصروفاته اليومية دون عناء ، وهي تطلب من المطبعة بشارع « الخليج الناصري رقم ٦ بالفجالة » ومن المكتبات الشهيرة

نشرة غير دورية
لرابطة موظفي ديوان المحاسبة

استقر رأي « رابطة موظفي ديوان المحاسبة الفنيين » على اصدار نشرة غير دورية ، تنطق بلسانهم وتعبر عن آرائهم

وقد صدر من هذه النشرة عددان ، امتازا

دراسة ناضجة « للاستعمار : عدو الشعوب» كتبها « الاستاذ عبد العزيز فهمي » وأراد بها أن يكشف لمواطنينا في وادي النيل ، واخواننا في العروبة ، عن حقيقة الاستعمار ، وأن يوضح أغراضه ومقاصده ، ويسجل ما ارتكب من جرائم ضد الشعوب

وقد بدأ « الاستاذ عبد العزيز فهمي » بحثه بتصحيح الفكرة الخاطئة الدائمة ، التي تظن أن الاستعمار ما هو الا احتلال القوات لأراضينا ، واحتكار موارد شعبه وثرواته العامة فقط

يصحح الاستاذ هذه الفكرة الخاطئة ، بصيحة داوية تتجمع فيها أصداء معارك المجاهدين في افريقيا وآسيا ، معلنة في قوة وصدق ، أن الاستعمار ليس احتلال القوات الاجنبية لارض الوطن فحسب ، ولا هو احتكار الموارد والثروات واستغلال الشعوب فقط ، بل هو كذلك استعباد الشعوب واحتقارها والسيطرة عليها ، واهدار حقها في الحياة ، بتفرقة لونية وعنصرية تنسج رداء الاستعمار الاغبر.

ويمضي الاستاذ فهمي في الكشف عن جذور الاستعمار الغائرة الممتدة في أعماق أرضنا الطيبة حيث تحاول أبدا أن تمتص خيرات هذه الارض وتسلبها عناصر الخصب والنماء

ثم يتتبع مراحل الاستعمار ويعرض صوره وأشكاله ، لينتهي الى نتيجة واضحة ، هي أن الاستعمار صانع الحروب وعدو السلام ، ولن تعرف البشرية السلام ، وتزدهر فيها الحضارة ، الا اذا مضت الشعوب المستعبدة في كفاحها المرير لاسترجاع سيادتها الوطنية على أراضيها، وطرد القوات الاستعمارية من بلادها، واسترداد ثرواتها المنهوبة ، وتخليص اقتصادها القومي من براثن الاستعمار والاحتكار ، واذ ذاك تسترد اعتبارها ، وتتفرغ للمشاركة في بناء الحضارة، كما كانت تفعل في الزمن القديم ، قبل أن يخيم عليها كابوس الاستعمار فيسد آفاقها ويحول بينها وبين البناء !

بنت الشاطيء

عن الاهرام

التاريخ : ١١ / ٢ / ١٩٥٤

السفيرات المصريات

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ
المدرسة بجامعة ابراهيم

لقد يثير هذا العنوان الذي اخترته لمقال اليوم ، عجب القراء الذين عرفوني زاهدة في امجاد الحياة السياسية ، مؤمنة بان الامومة هي امجد عمل للانثى ، وان البيت اكرم مكان لها ، وربما تعجل بعضهم فتوهم ان اباحة حق الانتخاب لنا ، قد جعلني اتراجع عن موقفي الاول ، وانادي بالساع مجال التمثيل السياسي امامنا ، لكني في الحق لم افكر في شيء من هذا ، وانما جئت اتحدث عن اولئك السفيرات اللواتي يمثلن مصر الآن في الخارج ، وان لم تعترف بهن الدولة او يعنيها امرهن في كثير او قليل

لعيت لا وجد سفارة لنا او مفوضية او قنصلية لا وجد سيدات مصريات يرى فيهن الغرب النماذج المختارة لنا ، ويتخذ من مثلهن دليلا للحكم على مدى رقينا ، والمرآة التي تعكس صورتنا في الوضع المفضل ومن الزاوية المختارة ..

فهل فكرت الدولة في معنى هذا او اعطته شيئا من اهتمامها ؟

هل فكرت في اهمية المكان الذي تشغله زوجة السفير او القنصل ؟

انها لا تمثل مصر في البلد الذي تقيم فيه فحسب ، وانما تتقمصها طبيعة مركزها ، كذلك ان تختلط بسيدات السلك السياسي لبلدان شتى ، حيث المجال متاح لوضع شخصية المصرية موضع الاختبار والفحص الدقيق ، والسيدات عادة مرهفات الحس ، يدركن الخفي من مواضع الضعف في سهولة ويحكمن عليها حكما صارما لم يتكلفن بإذاعة الحكم واعلانه في اوسع مدى ولهن من خلابة الحديث وقوة التأثير والاقناع ما يجعل احكامهن الصارمة تلصق بنا مهما يكن فيها من التجني او الغلو والاسراف .

ونحن نجتاز مرحلة حاسمة ، لا جرم علينا ان نفكر في هذا طويلا ، وان نحسب له الف حساب !

اننا قد نبذل راضين مبالغ ضخمة ترهق ميزانيتنا ، في سبيل ما نسميه الدعاية الطيبة التي ربما لا تتجاوز مثلا نشر في مجلة مصورة او اعلانا يلصق على جدار هناك متحدثا عن دقة فناننا وروعة ما خلف اجدادنا من آثار وننسى او نجهل ان هناك سبلا للدعاية الفعالة الحاسمة ، لم تخطر لنا على بال مع انها جديرة بان ترفع من شأننا او تضع ، وان تنفق في هذا المجال مالا تنتبه الوف والوف من الجنيهات .

ننسى ان لنا في اكثر بلدان الدنيا ، رسولات للدعاية غير مسئولات ولا مأجورات لم نهتم بهن مع انهن في الواقع يمثلن مصر اكثر مما يمثلها سفراؤها الرسميون اذ الواحدة منهن قوام مجتمع مصري صغير يقوم في البلد الاجنبي ، ممثلا من مجتمعنا الكبير بكل خصائصه المميزة !

ذلك لان مكاتب التمثيليات والقنصليات والسفارات تتشابه فالجو السائد فيها هو الجو الديواني المألوف ، وقد يلمح الزائر بعض صور لوحية على الحائط ، وقد يسمع حديثا بين الموظفين بلغة بلادهم ، لكنه فيما عدا هذه المظاهر ، قلما يجد فارقا جوهريا بين هذا المكتب او ذاك على حين نجد في « البيوت » قطعة من الوطن وصورا اصيلة لحياة اهله . وما زلت على السامة اذكر اللحظات الطيبة التي امضيتها في ضيافة السيدة الكريمة ، حرم الاستاذ حسين عزت بلاهاي ، وشعرت اثناءها باني امضي في مصر . وما زالت تتراءى لي من بعيد تلك الصورة المشرقة التي رسمتها لنا هناك ، يد مصرية تعتز بقوميتها ، وتشعر بجلال واجبها وتحرص اشد الحرص على ان يصحح رأي الغربيين فيها وفكرتهم الخاطئة عنا .

＊＊＊

لعل قرائي الف ترى شططا ، اذا انا رجوت ان يكون للدولة رأي في اختيار سفرائها غير الرسميات ؟ اني لا اعلم حقا اذا كانت هناك دول اخرى تدخل في حسابها شخصية الزوجة عندما تختار ممثلا لها في الخارج ، لكني اعلم ان لبلادنا ظروفها الخاصة التي تقضي علينا بان نحرص على ان يعرف العالم الغربي عن نهضتنا الحديثة ما يجهل وان يعترف بنا بعد ان لبث طويلا يحسبنا بقية متخلفة من العصور الوسطى ، ويسمي قارتنا « القارة المظلمة . »

ثم ان المرأة المصرية قريبة عهد بمرحلة الانتقال ، وليس كل السيدات المصريات بصالحات لان يمثلن هذه المصرية التي انطلقت من وراء اسوار الحريم ، وبعثت من جديد في اهاب ساحر من الوعي والنضوج والاستنارة ، ومن حق مصر الا تمثلها في الخارج ، الا الثائرات على التهوش بالعبث الجاهل .

قد يبدو الوضع المقترح شاذا غريبا ، لكن غرابته تزول اذا ذكرنا ان له سابقة مألوفة عندنا ، اذ تدخلت الدولة في اخص شئون ممثليها بالخارج فحرمت عليهم ما يباح لسواهم من الزواج بغير المصريات .

لعلت هذا مضطرا ، حرصا على الصالح القومي العام ، والذي نطلب اليوم شبيه بذلك الذي ارتضاه واللقاه ، بل لعله لا يبلغ مبلغه من حيث المساس بالحرية الفردية في المسائل الشخصية ، وحجتنا فيه هي المصلحة العامة التي يجب ان توضع فوق كل اعتبار

＊＊＊

وكل ما نوصي به هنا ، هو ان تمس هذه المسألة في لباقة وحذر ، بحيث تعرف وزارة الخارجية شخصية زوجة الرئيس لممثلينا في الخارج ومستواها الثقافي والبيئة التي تربت فيها ، دون تجريح يمس الكرامة او يؤذي السمعة .

ثم يبقى بعد هذا ان تقدر الدولة خطر المهمة التي يمكن ان تضطلع بها سفيراتنا ، والا تضن عليهن بمرتبات شهرية تعين على ظهورهن بالمظهر الكريم اللائق ، وتتيح لهن ان يبذلن الجهد والمال في سبيل الدعاية الطيبة المثمرة ، فهذا بلا ريب اجدى علينا من الف اعلان يلصق على الجدران !

بنت الشاطئ

التاريخ : ١٥ / ٢ / ١٩٥٤

كتب جديدة

في حقول التربية
بالتعليم الثانوى

عنوان هذا الكتاب ، لا يدل على خطر موضوعه واهمية مادته ، اذ ليس فيه اشارة ما ، تخرجه من هذا النطاق العام « في حقول التربية بالتعليم الثانوى » الى مجاله الخاص وموضوعه المحدد ، مع ان مؤلفه « الاستاذ توفيق الرخاوى : المفتش بالتعليم الثانوى » من رجال التربية ومعلميها وكان في استطاعته — والقلم طوع يده — ان ينصف كتابه بعنوان ادل عليه ، وادعى للاهتمام به .

انه يتناول موضوع تدريس اللغة العربية في مدارسنا ، ولو ان الامر بيدى ، لافردت صفحة كاملة — بل صفحات — من الاهرام ، لعرض الكتاب ونقده ، لما اراه موضوعا ادق منه ولا اخطر ، اذ ان اللغة هي لسان الامة ، ووسيلتها الى التفاهم ، واداتها في التعبير ، ولقد باعدت ظروف شتى ما بين العربية الفصحى ، لغتنا الرسمية ، وبين لغة الشعب التي لا يطوع لسانه بغيرها ، لتركت هذه المباعدة اثرها البعيد العميق في حياتنا . وكان المرجو ان تقدر المدرسة هذا كله ، لتجاهد ما استطاعت في رفع الحواجز بين لغة الكتابة ولغة التخاطب ، حتى لا يظل كتاب قوميتنا وتاريخنا وادبنا وثقافتنا ، بمعزل عن لغة تخاطبنا وتفاهمنا ، لكن الاعوام مضت والقرون وما تزال المدرسة عاجزة عن وصل اللغة بحياتنا . ولا يتسع المجال هنا لبيان مظاهر هذا العجز او تحديد المسئولية فيه ، وانما هي اشارة عجلى ، امهد بها للكتاب اليوم الذى يقدم لنا آراء معلم خبير ، مارس تعليم العربية اعواما ، ثم انتقل الى التفتيش فاتيح له ان يراقب من كثب طريقة تدريس هذه اللغة ، وان يخضع تجاربه فيها لموضع الفحص والامتحان ، ليخلص منها بما سماه « خواطر مفتش ، وطرق تدريس » .

واستطيع — وقد مارست العمل في التفتيش والتدريس زمانا — ان اقرر مطمئنة ، ان « الاستاذ الرخاوى » قد لمس كثيرا من مواطن الضعف والخطأ في اسلوب تعليم العربية بمدارسنا ، وكشف عن انواع من النقص والفساد ربما تغيب عن كثيرين من زملائنا المفتشين ، كما اشهد انه وفق الى آراء مجدية في تقويم ما اعوج من طريقة التدريس ، واصلاح ما فسد من امرها ، ولذلك لا اتردد في ان اقدم هذا الكتاب الى المشتغلين بالعربية ، راجية ان يكون موضع العناية والدرس والاهتمام .

والكتاب قسمان متميزان : اولهما خاص بالتفتيش ، وفيه يضع الاستاذ الرخاوى « دستورا » لزملائه المفتشين ، يعنى منه ان الفت بوجه خاص ، الى رأى الاستاذ في صلة المفتش بالمدرس ، وما اوصى به من وجوب الترفق في النقد ، والتلطف في التوجيه ، ليجد المدرسون في مفتشيهم عونا لهم ، مع « وضع كرامة المدرس دائما في اطار من الصيانة » — ص ١٨ : ٢٠ — وكذلك اقتراحه الخاص بالزيارة التوجيهية (ص ١٠) والزيارة الامتحانية (ص ١٢) — وتفتيش المدرس الاول (ص ١٥) ورأيه في قصور نظام التفتيش الحالى لتقدير المدرسين (ص ٢٣) .

اما القسم الثانى — وهو الاهم — فخاص بطرق التدريس ، وفيه طائفة من التوجيهات الصالحة ، اذكر منها مع التقدير ، اهمه لوصل اللغة بمقومات الحياة (ص ٧٢) وحرصه على وصل دروس العربية ببيئة التلاميذ (ص ١٢٠ ، ١٢٩) وحملته على « الاساليب المختارة » التى ترفع بها موضوعات الانشاء (ص ١٤٩) ونصحه للمدرس بالا يكتفى في تصحيح هذه الموضوعات بارقام صماء لا تهدى التلميذ الى موضع العثرة في اسلوبه ، وانما يجب ان يذيل كل موضوع بتوجيه وجيز واضح (ص ١٦٥) . .

واذ اضع هذه اللفتات الطيبة بين ايدى السادة الزملاء وارجو لها ما تستحق من تقديرهم ، ارى من الامانة بعد هذا ان اشير الى بعض مآخذ ، قد يكون منها ما يرجع الى اختلاف وجهات النظر .

من ذلك ان الاستاذ الرخاوى ، يلقى الى زملائه خواطره وتوجيهاته ، باسلوب تلتقد

التاريخ : ١٥ / ٢ / ١٩٥٤

فيه المرونة التي لا تتعصب لرأى بعينه وترى فيه وحده كل الصواب ، ومن هنا كثرت أمثال الأمر في الكتاب كثرة لا يحصيها عد ، وصيغت التوجيهات صياغة آمرة ناهية ، في غير تلطف أو احتياط ، كما اتسم تفكير الأستاذ المؤلف بظاهرة تكاد تكون لازمة له ، وأعنى بها ترديد الرأى بين حالتين اثنين لا ثالث لهما للمسألة عنده ، اما كذا وإما كذا ، ولا مجال بين الطرفين المتباعدين لتوسط (صفحة ٥٠ فقرة ٢) والمؤلف لا يعدو واحدا من اثنين (صفحة ١٠ فقرة ٢) والأمر لا يعدو حالة من حالتين (ص ٢٨) والنتيجة لا تعدو واحدا من اثنين (ص ١٥) وانت حين تهملها لابد متهم بإحدى تهمتين : اما .. واما (ص ٦١) وهذا التضييق الثنائى يلقى على التفكير ظلا من جمود ، يتنافى مع ما يشهد به بحثه من سعة افقه .

وملاحظة ثانية ، احسبها في الصميم ، لأنها تتصل بما يسمونه « دروس الإنشاء » . فالأستاذ على طول ما كتب في نقد طريقة تدريس هذه المادة ، وعلى كثرة ما جاء به من ملاحظ هامة — لم يتعرض لجوهر الخطأ في جعل عملية التعبير — وهى عملية طبيعية يمارسها الإنسان بما هو حيوان ناطق — صنعة إنشاء متكلف ، يعوق حرية التلميذ في التعبير ، ويلجم لسانه ويشل قلمه ، بل أخشى أن يكون الأستاذ قد أسرف في الاهتمام بناحية « الصناعة الإنشائية » إذ يوصى بتخصيص بعض حصص الإنشاء في الفرق العليا للتدريب على « الخطابة — ص ١١٠ » ولو قال « التعبير الشفوى » لكان أدنى الى البساطة ، كما يتقبل حصر « أن يحسن التلاميذ وضع كل لبنة من لبنات بنائهم في مكانها اللائق بها وضعا صانعا معقولا — ص ١٢٧ » ويعده أن المنشىء الموفق « هو الذى يتاح له أداتان متميزتان ، ولكنهما متلازمتان : أما أولاهما فقوة مفكرة تستطيع أن تجمع المعانى المتناثرة من جوانب الذهن في بؤرة التأمل فيه ، ثم لا تزال تتعهدها : جلاء من خفاء ، أو تحديدا من شيوع ، أو ترتيبا من اختلاط ، أو .. أو .. حتى تحيلها صورا هالة من اشراق تبرزها في ذهن صاحبها أوفى تمييز .. أما ثانيتهما فقدرة معبرة ، تستطيع كذلك أن تستثير المدخرات الأدبية في مستقر الحافظة ، ثم لا تزال بها كذلك تنتقى ملاءمة اختيار ، وصحة بنية ، وسلامة بناء ، وبراعة تأليف .. و .. الخ » ص ١٢٩

وهو بمثل هذا ، لا يدع مجالا لحرية التعبير وطلاقة الأداء ، ومحال أن نحل عقدة اللسان إذا ما ظللنا نطارد التلميذ بهذه القيود والشروط من دقة التحرى وملاءمة الاختيار وصحة البنية وسلامة البناء وبراعة التأليف ، حين أبهج بنا حيالنا أن نأخذه أخذا هينا ليناً ، مترفقا ، يلمس معه أنه « يصنع وينشىء ويبنى ويؤلف » ولا يذكر سوى أنه مطالب بالتعبير عما يجد في حرية ، وبتسجيل خواطره ومشاعره في بساطة لا يرهقها خوف أو تكلف .

ويتصل بهذا المأخذ ، ملحظ أسلوبى قد يبدو شكليا ، ذلك هو أن الأستاذ الزخارى يحمل — ونحن نؤيده — على اهتمام معلمى الإنشاء بالبهرج اللفظى (ص ١٤٩ ، ١٦٥) ويرفض — والحق معه — في استكراه الألفاظ الرنانة المستاجرة (ص ١٦٦) لكن أسلوبه لم يبرأ من هذا البهرج في مثل قوله :

« مسك الختام (ص ١٥٣) والزجاجة الخالية الأنشاء (ص ١٥٥) وتستحصد ثماره (ص ١٥٠) ومطارح التهويل ومهاوى التخييل (ص ١٦٦) ودنت قوائس الثقة (ص ٧١) والمجرس الحازم الذى تسلم له ابدا مقادة عمله (ص ٦٢ ، ١٤٠)

***

بقيت كلمة عتاب ، هى أن من توجيهات الأستاذ الزخارى ووصاياه الآمرة الناهية ، ما يصور لنا المعلم مخلوقا أعمى جاهلا ، يحتاج الى من يعلمه البديهيات ! ويرشده الى الحركة والنظرة ! وينتظر المفتش ليقول له :

« كلف التلاميذ بقراءة قطعة المطالعة قراءة سرية ، أداتها العين والذهن ، لا الشفة واللسان ! — ٩٥ » .

« توجه الى سبورتك ، لتقسمها قسمين ، ابينهما لكذا ، وايسرهما لكذا ! ص ١١٥ — ١٢٢ » .

« ابت على سبورتك ديباجتها المألوفة ! التاريخ بنوعيه ، وعنوان درسك عاما وخاصا ، آمرا للتلاميذ كذلك ، أن يسايروك بكراساتهم في كل ما تصنع حينئذ ! ص ١٢٢ — ١٥٩ » .

« اطلب الى التلاميذ أن يبرزوا كراساتهم بين ايديهم .. ١٣١ ، ١٥٨ » .

لا يكتفى الأستاذ المفتش بإرشاد المعلم بالمدرسة الثانوية الى مثل هذه التكليفات البسيطة مرة ، ولا مرتين ، بل يكررها في درس المطالعة ، والنصوص ، والتطبيق ، والإنشاء ، لم يتجاوزها الى طبقة الصوت ، واتجاه النظرة ليقول : « صوتك بعض وسائل إيضاحك ، وهو لن يكون وسيلة إيضاح ناجحة إلا إذا كان طبيعيا : فكان وسطا بين الجهارة الصاخبة والمخافتة الهامسة .. ! » ص ٦٥

« حين دخولك حجرة الدراسة ، اجعل عملك الأول والأكبر ، أن تسترق بادىء ذى بدء من استتباب النظام بها ، واجدى وسائلك الى ذلك ، أن تعبر وجوه التلاميذ أجمعين ، بنظرة جوالة فاحصة متأنية ، تلقى في روع كل منهم أنه المعنى بها دون سواه ، فإنه حينئذ لابد أن يداخله نوع من الهيبة أو الرهبة ، يثوب بها رشده ، ليلبس معه لباده ! » ص ٩٥

ولا أعلق على نصيحة كهذه ، بأكثر من نقلها هنا في جوها الرهيب المهيب !

***

ثم لا أدع القلم ، دون أن اؤكد أن هذه المآخذ — ومثلها معها — ليست بحيث تقلل من أهمية كتاب كهذا للنقد ، مكتبة المدرسة ، أو تؤثر بحال ما ، في حسن تقديرنا لما بذل « الأستاذ الزخارى » من جهد صادق موفق ، ونرجو أن يثمر ثمرته الطيبة « في حقول التربية بالتعليم الثانوى » .

بنت الشاطىء
من الأمناء

حول النقد

تلقرنا في عدد ١٨ من يناير الماضى ، نقدا لكتاب « هذا ... أو الطوفان ! » تأليف « الأستاذ خالد محمد خالد » وقد تلقينا رسالتين تعقيبا على ذلك النقد .

أولاهما : من الفضيلة « الأستاذ سعيد على على الطويجى : من علماء أسيوط » يستدرك علينا بعض ما فاتنا من مواضع النقد ، ونرجو أن يقدر لفضيلته أن المجال ، ما محدود ، لا يتسع للإسهاب الزائد ، وأننا حسبنا الإشارة السريعة الى الملاحظة العامة ، والقلة المجلى الى كبريات المآخذ .

والرسالة الثانية من « السيدة بديعة واليت بالمجوزة » نقدر لها اهتمامنا بنقد الكتاب ، ونرجو — في الوقت نفسه — لو أعانت قراء « الأهرام » على التوسع في هذا الباب ، ولسنا نملك إلا أن نقول معها : أن شاء الله !

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع مندوبات المعلومات

التاريخ : ٢٢ / ٢ / ١٩٥٤

كتب جديدة

دراسات في الفلسفة

١ ـ مذهب المنفعة العامة :

مكتبة النهضة المصرية ـ ٢٢٨ ص م

٢ ـ محاولات فلسفية :

مكتبة الانجلو ـ ٢١٦ ص م

الأصل في هذين الكتابين ، ان يقدم كل منهما على حدة ، الى المشتغلين بالدرس الفلسفي ، لكني اعلم ان كثرة القراء ليسوا من هؤلاء ، ومن حق هذه الكثرة علينا ، الا نتناول الكتب الفلسفية الا على نحو ينتفعون به وان لم يكن لهم بالدراسة الفلسفية قريب اتصال ، ولهذا اثرت ان اقدم الكتابين معا ، لعلى اتيح للقارىء فرصة الاطلاع على وجهات النظر في المسائل الفلسفية ، حتى بين زميلين يشتغلان في معهد واحد . وهذا الاختلاف وحده ، يكفي لان يؤيد ماندعو اليه دائما من وجوب الحذر والاحتياط في القاء الاحكام ، كما يبرر ـ في الوقت نفسه ـ جرأتنا على نقد كتب كهذه يضعها اعلام الدارسين المختصين ، الذين قد يلقون بمؤلفاتهم على النقد ، مع ان موضوع درسهم كان ولايزال ، وسيظل ابدا ، مجالا لاختلاف الرأي وتعدد وجهات النظر

وابدأ بتقديم الكتابين في ايجاز :

اولهما : « مذهب المنفعة العامة في فلسفة الاخلاق » تأليف « الدكتور توفيق الطويل » والثاني : « محاولات فلسفية » تأليف « الدكتور عثمان امين » .

وكلا المؤلفين في غنى عن التعريف ، فهما استاذان للفلسفة بجامعة القاهرة ، عرفا بالنشاط الجم والدرس المتصل ، ولكل منهما مؤلفات ذات عدد ، يقدرها دارسو الفلسفة حق قدرها .

وكتاباهما اليوم ، يختلفان موضوعا ومنهجا ، اذ يبحث اولهما في مذهب بعينه من المذاهب الفلسفية ، ليفصله تاريخا وعرضا ومناقشة ، في ضوء المذاهب الاخلاقية الكبرى ، ويتتبع مراحل التطور الذي طرأ عليه ، ويجلو صورته التي بدا فيها على مر العصور ، ليمهد بذلك كله الى الحديث عن مآل النفعية في القرن العشرين .

اما كتاب « الدكتور عثمان امين » فلا يعرض مذهبا واحدا عرضا متخصصا ، كما فعل الدكتور الطويل ، وانما يقدم « محاولات فلسفية » تناولت موضوعات مختلفة ومثلت اتجاهات متنوعة ، وامتدت الى فترات متباعدة وأقاليم شتى ، ففي الباب الاول ، عرض لمشكلة « الميتافيزيقا ، والشك الميتافيزيقي ، وبين العلم والاخلاق ، ومصير الانسان » .

وفي الباب الثاني ، عرض للمحاولات الفلسفية في : « الحرية عند اليونان والرومان ، وحول تاريخ الفلسفة الاوربية ، والفلسفة والدين عند فلاسفة الاسلام ، واثر ابن سينا في الغرب ، والمثالية الديكارتية ، والتمييز بين الفلسفة والدين » .

لكن هذه المحاولات على ما بينها من تفاوت ظاهر ، قد ألف بينها الابتهاج بطلب المعرفة ، والسعي الى سبيل الحق ، والاتجاه الى فهم الروح .

ولعل الذي يعني عامة قرائنا ، هو أن نتناول هنا مايتصل بحياتنا من مثل هذه الدراسات الفلسفية ، والا نمسها بنقد الا من حيث المنهج العام المشترك للتفكير ، اما الدراسة النقدية الدقيقة ، فندعها لذوي الكلمة فيها من المتخصصين

وهذا العرض الموجز الذي قدمناه آنفا ، قد يكفي لبيان مدى صلة كل من الكتابين بحياتنا ، فالمذهب النفعي غايته سعادة الانسان وان اختلف الرأي في مقومات هذه السعادة ومقاييسها ووسائلها اما « المحاولات الفلسفية » فقد بذل الدكتور عثمان امين جهدا موفقا لوصل الدرس الفلسفي بالحياة ، مقررا أن الفلسفة الخالدة ليست مذاهب مغلقة ولا اتجاه نظر ضيقة ... بل هي « طريق قويم في الحياة » كما ارادها حكماء الرواقيين ، وهي « تأمل للحياة » كما ارادها « سبينوزا » .. وهي فوق هذا كله « نغمة روحية تتردد في جوانب الحياة الانسانية كلها لتشيع فيها سلاما وتضفي عليها انسجاما .. انها سعي موصول يبذله الانسان الناضج الواعي لاطلاق نفسه من أسر الانانية ورق الشهوات » .

ونورد بعد هذا بعض المآخذ النقدية على كل من الكتابين ، « فالدكتور عثمان امين » يعجب من اولئك الفلاسفة الذين « يهدفون أبعد الناس من التيه والمباهاة ، حين يرى من حقنا ان نتيه بعصرنا على سائر العصور ، فقد جدد العلم احوال فكرنا واحوال وجودنا ، وكشف لنا من كثير من اسرار الطبيعة ، ويسر لنا ان نبسط سلطاننا عليها ـ ص ٧ » .

وهو بهذا التيه ، ينسى كذلك او يتناسى ، ان لكل عصر فضلا لصاحبه الذي لايجوز ان نجحده ، في اقامة البناء المشترك ، وان الذي نتمتع به اليوم مباهين ، ليس الا ثمرة لما زرعته القرون الخوالي ، وجهد الانسان الفطري في عصور الغاب ، لايقل بحال ما ، عن جهدنا اليوم القائم على ما بذل الانسان الاول ولم نسروا

التاريخ : ٢٢ / ٢ / ١٩٥٤

غروره ، وضآلة امكانياته ، وعقم وسائله !

وهذه الفترة ، قد اوقعت الدكتور عثمان في فترة اخرى لتساؤلي ذاك الحول الاول ، فهو يتساءل في صفحة ١١ : « أى سياسي في التاريخ الحديث يمكن ان يقارن بالوزير الفرنسي ريشيليو ، ذلك السياسي الموهوب الذى استطاع ان يفرض نفسه في اوربا حاكما بامره يتصرف في السلم والحرب كما يشاء ، مع ان الذى تعرفه الحياة ونؤمن به ، هو ان الانسانية لم تصب بالعقم ومحال ان تصاب به .

ثم ان الدكتور عثمان ، يقف فرقانا فاصلا قريبا بين ما يسميه المادية والروحية ، حتى يحتم علينا « أن نقرر : هل نبتغي ان نكون من أصدقاء الروح أم من انصار المادة ، وهل نريد ان نكون من حزب الله ام من حزب الشيطان ص ٨ » والأكيد للدكتور ، انني انبهت بحيرى حين قرأت هذه العبارة ، فلا ادرى ما وجه هذه المقابلة المحتومة والانسان جسم وروح! ولم لاتكون حياتنا مزاجا من المادية والروحية معا ولقد فطرنا الله بشرا لا ملائكة ! وكيف يرضى استاذ للفلسفة الاسلامية ان يسمى انصار المادة حزب الشيطان ، والله تعالى قد امرنا بالسعي في سبيل المادة ، ونزل كتابه الكريم يمن علينا بما اتاح الخالق لنا من نعم مادية !

لو ذكر الدكتور عثمان هذا ، لانتبه الى شذوذ موقفه حين قال :

« واذا كنا لانستطيع الاجابة عن السؤال الخطير الذي يوجه الينا على الدوام : انعمل لدنيانا كاننا نعيش ابدا ! ام نعمل لاخرتنا كاننا نموت غدا ! ص ٨ » وهو سؤال عجيب! واعجب منه ان يقرر الاستاذ عجزنا عن الاجابة عنه! مع ان اى مسلم لايعييه الجواب بعد أن قال رسول الاسلام: « اعمل لدنياك كانك تعيش ابدا ، واعمل لاخرتك كانك تموت غدا . »

* * *

أما الدكتور توفيق الطويل ، فلا يرى لعصرنا ان ينبه على سائر العصور ، بل يقف في الطرف الآخر جانحا - فيما يبدو - الى « الاسية » التي ترى أن الامس قد ذهب بالخير كله . قال : « والرأى عندنا أن مذهب السعادة كان منذ نحو ثلاثة وعشرين قرنا من الزمان ، أعمق في تصوير الاخلاقية وفهم مقوماتها من مذاهب المحدثين : نفعيين كانوا أو حدسيين عقليين ص ٢٢٦ » ولئن صح هذا ، فياخيبة الانسانية! وياضيعة جهود العقل البشرى في هذا الميدان ، مدى ثلاثة وعشرين قرنا !

والدكتور الطويل ، تعوزه احيانا فلتة ، مرونة الحكم ، حين يطلق على هذا المذهب او ذاك ، حكما عاما بالسطحية (٢٢٣) او التهافت (١٩٥) وحين يجزم بان « جميع اللذيين والنفعيين قد تصوروا السعادة مجرد لذة خالصة - ٢٢١ » ولفظ « جميع » يبدو بلاشك نابيا ، في كتاب للدكتور الطويل ، عرفنا فيه سعة الافق ودقة التعبير .

وشبيه بذلك ، رده على من اتخذوا الضمير العام حكما في السلوك ، « بان التجربة تشهد بان احكام الضمير تختلف باختلاف الافراد في كل زمان ومكان - ٢٢٢ » ولو لم تعوزه المرونة هنا ، لما رأى في اختلاف احكام الضمائر الفردية ، مايمنع تصور ضمير عام ، كما هو الشأن في الذوق الذى يختلف باختلاف كل شخص - ومجال الخلاف في التذوق اوسع منه في السلوك - ثم لايحول هذا دون تصور ذوق عام تلتقي عنده الجماعة او العصر .

* * *

ولعلى اخفف من وقع هذا النقد على الزميلين الكريمين ، حين اذكرهما بما في كتابيهما من نقد قاس لائمة الفلاسفة واعلام المذاهب ، ثم يكفي بعد هذا أن آتي هنا بمثل واحد ، لمسالة قال احدهما فيها بنقيض ماقاله الآخر ، فالدكتور عثمان يرى من مفاخر عصرنا انه « بدل النظرة القديمة التي تجعل الانسان غاية لسائر المخلوقات بنظرة جديدة حددت للانسان مكانه من هذا الكون العجيب - ٧ » على حين يدعو « الدكتور الطويل » هذا الانسان ... الى « ان يحقق وجوده الانساني الذي يسمو به على سائر الكائنات ، ويصبح بحق « تاج الخليقة وبطل روايتها - ٢١٨ »

بنت الشاطىء
من الامناء

التاريخ : ١ / ٣ / ١٩٥٤

كتب جديدة

في المكتبة الإسلامية

أسمى الرسالات

دار الكتاب العربي – ٦٢١ ص ق

هي الرسالة المحمدية التي ختم الله بها رسالاته ، وبعث بها آخر رسله : محمدا عليه الصلاة والسلام

يحدثنا اليوم عن عظمة هذه الرسالة وسموها سماحة « السيد عبد الحميد الخطيب » الوزير المفوض للمملكة العربية السعودية بباكستان ، والمدرس سابقا بالمسجد الحرام ، وقد عرفت له المكتبة الاسلامية من قبل ، نشاطه الجم في التأليف ، وحماسه الحار في الدعوة الى الرجوع الى الاسلام الحق وشئون الدين والدنيا ، كما رددت « الحجاز » أصداء قصائده في مناجاة الله جل جلاله ، ومدح الرسول عليه الصلاة والسلام

وكتابه اليوم ، أملته روح الايمان وتركت طابعها الواضح الذي يلمحه القارىء منذ الكلمة الاولى التي كتبها المؤلف « تقربا الى مالك الملك ذى الجلال والاكرام » حيث يقول سماحته : « ... اما بعد فقد رباني والدي منذ طفولتي تربية ربانية ، لكنني كلما طلبت منه شيئا قال لي : اطلب من الله يعطك ... ولحت تأثير هذه العقيدة كنت أطلب من الله كل شيء ، حتى انى وقد كنت مولعا في صباى بلعب الشطرنج ، اطلب من الله في سرى أن ينصرني على خصمي في اللعب ، عندما ارى نفسي مغلوبا ، فلا البث أن ارى نفسي غالبا بأعجوبة ، اما عن طريق غلطة اللاعب امامي او بلعبة تصدر مني عفوا واذا هي تكون سببا يؤدي الى النصر فتتجلى لي قدرة الله على كل شيء ... »

وهو الى جانب هذا الايمان ، شاعر مرهف الوجدان ، عرك الدنيا وبلا الدهر وطوف بالآفاق ، فلم تزده تجاربه واتصالاته بالحياة الا استمساكا بايمانه بان الامر كله بيد الله جل في علاه ، يصرفه كيف شاء ، ولا حيلة لمخلوق مع ارادة الخالق :

ولقد بلوت الدهر في حدثانه
واجلت في اطيافه نظراتي
واطلت في هذا الوجود تأملي
وبحثته من سائر الوجهات
فاذا الحياة مترعة بالحسى لا
تنفى بغير الكد والمحنات
واذا الوجود بشف من بطلانه
ويشير للخلاق بالآيات
والكل فيه ممثل دورا له
طبقا لما قد جاء في « النزلات »
وهو الذى قسم المعيشة بينهم
بمراده ، وكذاك في الدرجات
وهو المصرف للشئون جميعها
ومقدر الانوار والظلمات

واحسب القارىء يجد في هذا الذى نقلت اليه من حديث الاستاذ المؤلف ، ملامح واضحة لشىء من أسلوبه في الكتابة ، ومنهجه في التفكير وطريقته في التناول ، كما احسب القارىء قد ادرك كذلك ، الغاية التى يهدف اليها سماحة الاستاذ الخطيب من كتابه عن « أسمى الرسالات » وهى « أن يحكم الناس صلتهم بالله ، ويضعوا كل ثقتهم فيه ، ليستفيدوا من هذه الصلة ، وينالوا بثقتهم به أعظم الدرجات في الحياة وبعد الممات »

ولم يشأ سماحته في حديثه عن الرسالة المحمدية ، ان يكثر بالمراجع او يشتغل بها ، بل اكتفى بكتاب الله الكريم وبعض كتب الحديث وعكف عليها دارسا متأملا ، « ففتح الله عليه من الفيوضات الالهية في كثير من المواضيع ، مالم يكن يعلم به أو سمعه من أحد . »

والكتاب مقدم بكلمات تقدير واعجاب ، كتبها عشرة رجال من ذوى المناصب الكبرى في العالم الاسلامى : في مصر ، والمملكة العربية السعودية وفلسطين ، واليمن ، والهند ، والباكستان . واكاد لا اجد ما أقوله في كتاب « أسمى الرسالات » بعد أن قال فيها هؤلاء ما قالوا ، وبعد أن قرروا في اجماع ، انه من خير ما يتقرب به مؤلف مؤمن الى الله جل جلاله ، وبخاصة في هذا العصر ، الذى طغت فيه المادة ، وفشا فيه الالحاد ، وساد التعصب الممقوت ، وذر فيه قرن الشيطان بالآراء الهادمة ، وضعف فيه وازع الدين في نفوس كثير من الناشئة ،

ولوى له النزوع الى تشهد القرب والغرابة فى الآراء والنزعات والتقاليد والعادات :

أجل ، لا أكاد أجد بعد ما كتبه هؤلاء الشيوخ الكبار مجالاً لقول ، سوى أن أقدم الى قرائنا هذا الكتاب الذى يحدثهم من أسمى الرسالات ، ويعرض عليهم طائفة من كبريات المسائل التى تشغل بال المسلمين ، عرضاً تهيمن فيه شخصية الشاعر المؤمن ، الذى يصدر عن وجدان ملهم ويدعو الى سبيل الحق فى أسلوب يقوم على قوة الاستدلال حيناً ، ويلوذ بالشعر أحياناً ، فاذا عدد غير قليل من فصول الكتاب ، قصائد منظومة ، تتغنى بحب الرسول صلى الله عليه وسلم (ص ١٢١ : ١٣١) وتتحدث عن حقيقة القرآن ومعجزاته (٢٦٥ : ٢٧٥) ومن ابتغى والتوكل (٢٧٥ : ٢٨٦) والثمة بالله وحقيقة التوكل (٢٨٦ : ١٢) والاحكام الالهية (٥ : ٥) والغرائب الروحية (٦ : ٥)

وهذا المزج بين الشعر الوجدانى ، والبحث الدارس المتأمل ، يجعل للكتاب طابعاً خاصاً قلما أعرف له مثيلاً فيما بين أيدينا من مؤلفات المحدثين

وقد رأى سماحة الاستاذ الخطيب ، أن يذيل كتابه بقصيدة ثالثة طويلة عنوانها « الاستغاثة الكبرى » ومطلعها :

الحمد لله الذى قد خصنا

بالانتماء لسيد السادات

وأنالنا الشرف الرفيع اذ ارتضى

نا مسلمين فأجزل النعمات

بنت الشاطئ

من الامناء

تفسير القرآن الكريم

دار المعارف بالقاهرة

قدمنا الى قرائنا فى الشهر الماضى ، الاجزاء الثلاثة الاولى من « تفسير القرآن الكريم » الذى يشترك فى تأليفه السادة الاساتذة : « محمود حمزة : مفتش العربية بالتعليم الثانوى سابقا ، وحسن علوان : المراقب بوزارة المعارف ومحمد برانق : المفتش العام بالتعليم الابتدائى » ليقدموا به الى القارئ تفسيرا مبسطا واضحا قريب التناول ، مع الاشارة — فى ايجاز ووفاء — الى اسباب النزول

واليوم اخرجت « دار المعارف » الجزءين الرابع والخامس من هذا التفسير المبسط ، وقد اتم الاساتذة فى اولهما تفسير سورة آل عمران ، ووصلوا فى ثانيهما الى قوله تعالى فى سورة النساء : « ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما »

الانوار المحمدية

فى الخطب المنبرية

ونشرت « دار الكتاب العربى بالقاهرة » مجموعة مختارة من الخطب المنبرية ، لفضيلة « الاستاذ الشيخ على رفاعى : مفتش الوعظ العام بالازهر » ، وقد مهد لها فضيلته بكلمة موجزة عن « اهمية الخطب المنبرية فى حياة الامة الاسلامية » ثم تحدث عن « صناعة الخطب المنبرية » مقدما بعد ذلك نماذج طيبة لخطب فى موضوعات ذات اتصال بحياتنا اليوم ، مثل : (ميلاد الحرية ، والمجتمع السعيد ، وعوامل النهضة ، والتعاون ، والشائعات ، وافشاء الاسرار ، ونهاية الظالم)

والقارئ لايفوته — فيما نحسب — ان يلحظ حسن اختيار فضيلة الواعظ لموضوعات خطبه اما الاسلوب فيتسم بالرصانة والبساطة معا

الاسلام

رسالة الاصلاح والحرية

ونشرت « مكتبة القاهرة بالازهر » كتابا جديدا « لفضيلة الاستاذ محمد عبد المنعم خفاجى » يضم فصولا ومقالات تنبها فضيلته عن الاسلام ورسالته ، ودعوته القوية الى الحرية والاصلاح

ويرجو الاستاذ ان يكون فى اذاعة مثل هذه المقالات ، نوع من الجهاد بالقلم فى سبيل الاسلام ومشاركة مخلصة فى بناء المجتمع الاسلامى الجديد بان ياخذ مكانا كريما فى عالم اليوم ، لو فهم المسلمون حقائق هذا الدين واسراره ومراميه واهدافه ، وعملوا من جديد على احياء مجدهم الغابر وتراثهم الخالد ، وعلى خلق نهضة قومية عامة فى شتى ارجاء العالم العربى والاسلامى ، وماذلك على الله بعزيز

محاورات فى الشريعة والعقيدة

واعتزم « الاستاذ عبد الحليم محمد حمودة » دبلوم الخدمة الاجتماعية وليسانس الحقوق ، اصدار سلسلة من رسائل قصار فى الدين ، والاجتماع ، وعلم النفس ، يراعى فيها الى جانب الايجاز ، بساطة العبارة ، وسهولة التناول ، وملاءمة الاسلوب لروح العصر

وقد استهل الاستاذ عبد الحليم « رسائل البحوث السهلة » هذه ، بالسلسلة الدينية ، ونشر منها الحلقة الاولى بعنوان « محاورات فى الشريعة والعقيدة » صيغت باسلوب حوار ادبى ، بين استاذ فقيه فى الدين ، وتلميذ شاب يطلب المعرفة

وذيل كل فصل بخلاصة مركزة واضحة لرأى الاستاذ ، وقد طبعت الرسالة فى « مطبعة الطرادى بشارع محرم بك فى الاسكندرية » وثمن النسخة خمسة قروش

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٢ / ٣ / ١٩٥٤

في حياتنا الأدبية :

هنا .. وهناك

للدكتورة بنت الشاطئ

في الوقت الذي تشتغل فيه الدوائر الأدبية عندنا بموضوع نشر التراث الفكري ، ويحتدم الصراع بين قلة تناضل عن حرمة النصوص وتصر على أن تشتغل « دار الكتب » بالبحث من المخطوطات العربية الأصيلة المبعثرة في مكتبات الدنيا ، وبين كثرة لا تعنيها مسألة الأصالة ، وانما الذي يعنيها هو التكثير بنشر كل مخطوط تعثر عليه ، دون نظر الى أصله وفصله .

في هذا الوقت ، تأتينا الأنباء من « باريس » عن موضوع يشغل الدوائر الفنية والعلمية ؛ ويثير من اهتمام الخبراء والنقاد أكثر مما يثيره اجتماع الساسة في برلين ، أو مشكلة أسرى كوريا ...

ذلك هو موضوع صورة في متحف « اللوفر » لبثت زمانا طويلا تحتل مكانها بين روائع الصور الفنية ، لأنها تحمل اسم علم من أعلام الفن . وكانت بحيث تبقى في مكانها لولا أن وقف أمامها أحد النقاد الخبراء ، فشك في أن لونا من ألوانها كان معروفا في العصر الذي ينتمي اليه راسمها . ولم تمر الملاحظة بسلام ، بل قامت لها الدنيا هناك وقعدت ، وعكف الخبراء من أهل الفن وعلماء الكيمياء على فحص الصورة وتحليلها ، مستعينين على ذلك بكل ما استحدث العلم من وسائل ، رجاء أن يصلوا الى رأي حاسم في أصالة الصورة ، وصحة نسبتها الى الرسام الشهير .

ووقف العالم الفني من ورائهم يترقب في لهفة نتائج الفحص والتحليل ، وأخذت ادارة المتحف الأكبر تقدر مختلف الاحتمالات التي يمكن أن تنتج من هذا ، وبدأ عشاق الفنون يطيلون النظر فيما يقتنون من لوحات لأشهر الرسامين ، وقد خامرهم ريب في أن تكون مزيفة ، قد صنعها مقلد ماهر ، فدفعوا فيها الثمن الغالي غافلين مخدوعين ...

وربما لا يهم قراءنا أن أنقل اليهم دقائق المسألة ، فأحدثهم عن اسم اللوحة أو اسم الرسام ، وأشرح لهم موضع الشبهة في أصالتها ، وانما الذي قد يعنيهم ، ويعنيني ، هو أن أربط بين هذه الثورة الثائرة حول صورة « اللوفر » وبين جماعة منا أنكرت على مكتبتنا الكبرى أن تتباطأ في نشر ما عندها من مخطوطات ريثما تستوثق من أصالتها وتطمئن الى صحة نسبها ، كما أنكرت علينا من قبل أن نرفض الاعتراف بما ينشر من نصوص لم تتوفر الثقة بها ، ولم يتبع في نشرها المنهج العلمي للتحقيق والتوثيق

وباطالما سخر الساخرون مما نكتب من أصول هذا المنهج ، وفغروا أفواههم دهشة واستغرابا ونحن نصف خطواته التي تبدأ بجمع كل ما يمكن من صور لمخطوطات النص ، ثم فحصها للتثبت من صحة نسبتها ، فحصا يتناول الورق والمداد والخط الذي كتبت به ، ويقابله على نماذج أصيلة لخط كل عصر ومداده وورقه ، ثم العكوف على مقابلة هذه النسخ الخطية وترتيبها حسب درجاتها من الأصالة والثقة ، فاذا فرغنا من كل ذلك كله جاءت مرحلة النشر الأمين الذي لا يتصرف في الأصل ولا يمسه بتغيير أو تبديل ، لأن أي مساس بالأصل يفقده قيمته ، ويحرمه دلالته الصادقة على صاحبه وعصره !

دعونا الى هذا ، لكن المطابع ما زالت تخرج يوما بعد يوم ، كتبا منسوبة الى رجال تفصلنا منهم عدة قرون ، دون أن نعرف شيئا من سندها ، أو ناسخها ، أو طريق انتقالها عبر هاتيك القرون .

فهذا كتاب ينشر وعلى غلافه « الكليشيه » التقليدي المعروف : « نشر عن نسخة خطية فريدة » ، ثم يظهر بعد أيام ، أن في دور الكتب العامة نسخا أخرى من المخطوط ، أصيلة كاملة ، لم يرها الناشر ، ولا كلف نفسه عناء البحث عنها والنظر فيها

التاريخ : ٢/ ٣/ ١٩٥٤

وكتاب ثان ، يظهر في اسواقنا على انه تأليف علم من اعلام القرن الرابع ، لنبادر الى شرائه لنرى أن الكتاب ملفق مرقع ، فيه قطعة لهذا المؤلف الكبير ، وثانية لاحد تلاميذه ، وثالثة لمؤلف مغربي متأخر ، ورابعة .. وخامسة !

وقد ضمت هذه الرقع في غلاف يحمل اسما شهيرا ، ثم ملىء كل بياض في الاصول بالفاظ من عصرنا ، ذات دلالات لا عهد للقرن الرابع بها

وثالث ، يعمد ناشره الى حذف كل ما غمض عليه من الفاظ النص ، ويبتر كل عبارة لم يفهمها ولو كانت خبرا لمبتدأ او جوابا لشرط لم يحذف ورابع .. وخامس !

ويقال لنا : اى ضير في هذا والتلفيق لن يلحق بجسم القارىء اى اذى !

يقال لنا هذا فلا نجد جدوى من الحديث عن حرمة الاثر الفنى ، وقيمته من حيث دلالته الامينة على صاحبه وعلى عصره ، وانما نعود لنقول لهؤلاء : ان الفرق بين المخطوط الاصيل وغيره ، هو بعينه الفرق بين صورة لرسام شهير واخرى مقلدة او مشتبه في صحة نسبها : الاولى تشترى بالوف الجنيهات وتوضع في اعز مكان ، والثانية تلقى على ارصفة الطرقات ، ولا يطمع بائعها في اكثر من ثمن الورق والالوان

ولعل قراء « الاهرام » لا يزالون يذكرون لوحة « موسى على جبل سينا » للرسام الايطالي الشهير « رافاييل » .. وقد نشرت « الاهرام » صورة هذه اللوحة في اليوم الثاني والعشرين من فبراير ، مع خبر اراسلها في روما ، خلاصته ان مالك اللوحة « داريو ايفانجليستى » عرضها للبيع القاء الافلاس ، فقدر الخبراء ثمنها بنحو خمسة آلاف من الجنيهات ، لكن بعضهم اظهروا خشيتهم من ان تكون هذه نسخة مقلدة للوحة رافاييل

ولقد تكون النسخة المقلدة اجمل من الاصل ، كما قد يكون المخطوط الملفق اقرب الى ذوقنا وعصرنا . لكن المسألة هنا مسألة اثر فنى يجب ان نحميه كما هو ، مهما يكن ناقصا او غامضا ، وايا كان حظه من الجمال . وعامة الناس لا يجهلون ان تمثال « راس نفرتيتى » اغلى من مصانع كاملة لصب تماثيل مقلدة ، ويفهمون لم حرصت المانيا - وهى في محنة الحرب - على ان تنأى بالتمثال الفرعونى من القنابل التى كانت تحصد الارواح حصدا

لكن من المثقفين عندنا من يهزون رءوسهم عجبا واستخفافا حين نتحدث عن اصالة المخطوطات ، ولعلهم - حتى الساعة - يتندرون في مجالسهم بالحمقى المغفلين من المستشرقين الذين يجوبون الآفاق بحثا عن مخطوط اصيل ، ثم يفخر احدهم كل الفخر ، بما ينشر من نص له محقق ، كل قيمته في اصالة النسب وامانة النقل !

كتب جديدة

في الشئون القومية والسياسية

هو كتاب لاحظ له من اناقة الطبع او رونق الاخراج ، تلقاه في ايدي باعة الصحف على ارصفة الطرقات وفي (الاكشاك) الخشبية المتواضعة ، وهو مع هذا كتاب لوزير الدولة « الاستاذ فتحي رضوان » ولو شاء لتهافتت دور النشر الكبرى على اخراج كتابه في اجمل صورة وافخم مظهر ، لكنه لم يشأ ، بل دفع كتابه الى دار « كتب للجميع » لتخرجه في طبعة شعبية رخيصة ، وكأنما اراد الوزير بذلك ان يعلن من عدم اكتراثه بالمظاهر والشكليات ومن حرصه على ان يتيح للفقراء من افراد الشعب ان يقرأوا ، بعد ان حيل بينهم وبين هذا امدا طويلا ، كيلا ينتشر فيهم الوعي فيجاوزوا الحدود والاسوار التي بناها حولهم الاستعمار وسدنته ، ليحولوا دون اتصالنا بالعالم الفكري، وتطلعنا الى آفاق المعرفة والنور

ولكن ماذا يحمل الينا هذا الكتاب الرخيص الثمن ، المطبوع على ورق خشن اسمر من ورق الصحف !

انه يقدم لنا مادة اصيلة لبناء الشباب ، ويلقي اليهم حديث واحد منهم، لم تدله مصر ماسيه في التمرد على الطغيان ، وكفاحه في سبيل نهضة هذا الشعب الطيب الصابر الذي اساء حكامه فيما مضى ، فهم طيبته واستغلال تسامحه وصبره .

وهذه هي خواطر المحامي الثائر ، واحلامه وامانيه، منذ كان طالبا ... يجد فيها الشباب موعظة وعبرة ، ويتلقى منها دروسا من ذلك الصنف الذي لا يلقى في فصول المدرسة وقاعات الجامعة، ويشارك الافق الذي حلق فيه شاب مثلهم ، والاحلام التي كانت تخايله ، في الوقت الذي كان فيه اكثر زملائه يحلمون برخيص اللهو ، ويستنيمون الى حياة خاملة معطلة في زوايا الدواوين !

ويبدأ الكتاب بجولة « مع الزمن السائر » يمضي فيها القارىء ساعة في مدينة طيبة ، في صحبة فتحي رضوان ، حيث يلمح ائمة البعث الجديد وهي تبزغ من صحراء « طيبة » المديدة الفسيحة ، الصامتة البليغة ، وحيث يرى الروح المصرية العريقة الخالدة ، تتقمص اهاب المصري الجديد ، فتهزه في عنف بالغ ، وتعرض عليه رؤى الماضي بكل روعته وجلاله

ثم يمضي القارىء يوما في طرائف بآثار الجدود الفراعين ، ويصغي الى حوار الشاب المصري مع صبي كان يجري وراء حماره لاهثا مبهور الانفاس ، ليرى الراكب في هذا الصبي ـ والجبروت اد ـالد في منخراته ـ انسانا جديرا بالاحترام لانه يشقى في سبيل رزقه ، والوف الالوف يعيشون عالة على كد سواهم .. ولانه سليل اولئك الفراعين الامجاد ، وليس كغيره ـ من الاجانب الدخلاء !

وينطلق القارىء بعد هذا مع « فتحي رضوان » في رحلاته الى الخارج ، ليرى الى اين يتجه الشاب ، وماذا يقصد ، وفيم يفكر ويتأمل ، حتى اذا انتهت رحلته عاد الى الوطن ، فعكف على صحبة الكتب والكتاب الهزداد علما ومعرفة وفهما ، وينقل الى مواطنيه ثمار مطالعاته في اسلوب شائق اصيل ، يفيض ثقة بالنفس وايمانا بالحياة .

وكم ارجو ان يطالع الشبان حوار الكاتب مع الشاعر الكبير « الدكتور اقبال » وحديثه عن « صراع الدماء » ومختاراته من كتب « ستيفان زفايج » وتولستوي ، ولويد جورج » فانهم بلاشك واجدون في هذا كله ما يملأ روحها وعقلها ، يغريهم بمعالي المثل ويبعد الاهداف .

اضواء على الشرق

مطبعة جريدة « المصباح »

« الشرق مهد الامم ومنبع الشعوب ، ولن نصل الى كنه مسائله الا باحاطة بمشاكلها وملابساتها ، وهذه هي اضواء مسلطة على احدث اخطر مراحلها لتاريخ الشرق الاوسط »

بهذه العبارة المبينة الموجزة ، قدم « الاستاذ محمود العزب موسى » كتابه « اضواء على الشرق » الى القراء العرب في هذا الشرق الذي يحتدم فيه الثورة ويحتدم النضال المرير بين شعوبه المطالبة بحق الحياة وبين استعمار خبيث يصر على ابقاء الشرق تحت وصايته

وقراء « الاهرام » ليسوا في حاجة الى ان نقدم لهم « الاستاذ محمود العزب موسى » فلقد عرفوه اعواما طويلة محررا في « الاهرام » وقرأوا له عديد المقالات والتحقيقات الصحفية في بلدان الشرق الاوسط التي كثيرا ما رحل اليها المؤلف ، واتصل هناك بذوي الرأي من الساسة والقادة ، ورصد التطورات من كثب ثم جاء يضع بين يدي القارىء خلاصة مشاهداته ، ودراساته ، ورحلاته .

والقارىء يحس في حديث المؤلف ، مدى انفعاله بقضية العالم العربي ، وتحمسه في الدفاع عنها ، والحاحه في ان يلفت مواطنيه الى دسائس المستعمرين ، وان يصارحهم بما يعرف من نيات الغاصب ...

والكتاب بعد هذا يعرض جراح الشرق ، ويتحدث عن ماساته الكبرى وابطالها في صراحة مؤثرة .

افريقيا للافريقيين

ونشرت « مكتبة النهضة المصرية » بحثا جديدا في السياسة العالمية ، اشترك في كتابته السيدان الضابطان « الصاغ اركان الحرب محمد عبد الغني الجمسي والصاغ اركان الحرب احمد حسني عيد » واهدياه « الى الاحرار من شعوب افريقيا الذين يكافحون الاستعمار »

ويقول السيدان في مقدمة الكتاب انه منذ افلت شمس الاستعمار في آسيا ، ولم يعد امامه ـ كما قال فريجني لي ـ سوى افريقيا ظهر التعصب الجنسي في القارة في ابشع صوره ، يلهب ظهر الرجل الافريقي ويحاول ان يطرده من ارضه ويحرمه حق الحياة .

ولم تستطع هيئة الامم المتحدة ان تقوم بعمل ايجابي لنصرة الشعوب الافريقية التي هبت تطالب بطرد المستعمرين ، واعلنت الحرب على الاستعمار في ثورات عنيفة جامحة .

ومن ثم رأى الضابطان ان يقدما الى المكتبة هذا الكتاب الذي يبصر الشعب الافريقي بالاساليب الاستعمارية المختلفة التي تنتهجها الدول المستعمرة في القارة ، لتحول دون تحررها من النفوذ الاجنبي ، وتحاول عبثا ان تطفىء اللهيب المنبعث من معركة الحرية ، وهو اللهيب المقدس الذي تحمل كتاب اليوم كتب على ضوئه انباء انبعاث حار ، يبارك المجاهدين ويعلن في ثقة وتصميم ان افريقيا للافريقيين

بنت الشاطىء

عن الاهرام

التاريخ : ١٥ / ٣ / ١٩٥٤

كتب جديدة :

هذا الشرق ... !

١ ـ الاستعمار والمذاهب الاستعمارية
٢ ـ الشرق الاوسط فى مؤلفات الامريكيين

هذا الشرق ! منبت الحضارة ومهبط الرسالات !

هذا الشرق الذى يكتب اليوم تاريخه الجديد بالدماء ، لعلها تروى ارضه الظمأى الى تراب طهور ، بعد أن وطئتها أقدام الاستعمار، والقت فيها بداء بذورا خبيثة ، لتعطل خصبها وتفتك بما فيها من عناصر الحياة !

هذا الشرق الذى يصلى اليوم نارا مقدسة، فى معركة الوجود الكريم ، لعله يحرق بها ما فى جوه من جراثيم سامة ، كيما يتنفس من جديد، ملء الصدر، والحرية والنقاء !

هذا الشرق الذى أرهقه الاستعمار طويلا بالاستعباد ، وما يزال يرهقه اليوم ويعنته ، فى حرب التحرير ، مستنفدا كل ما بقى له من طاقة كانت جديرة بان يبنى له ماله الحاضر ، ويسمو به الى أعز مكان ، لو انه تفرغ للعمل والبناء !

هذا الشرق ، ماذا يعانى ويكابد، وماذا يقول عنه ابناؤه منا وخصومه هناك !!

ماذا فعل به الاستعمار وماذا يفعل، وماقصة الشرق والغرب فيه !

اسئلة نجد جوابا عنها فى كتابين جديدين ، طبعا هنا فى مصر ، وظهرا معا كانهما على ميعاد، رغم الذى بينهما من تفاوت واختلاف ...

اولهما بحث فى « الاستعمار والمذاهب الاستعمارية » كتبه مصرى أصيل ، يشغل مركزا من اخطر المراكز العلمية فى مصر اليوم ، وهو « الدكتور محمد عوض محمد » مدير جامعة الاسكندرية ، احدى المنارات الثلاث التى ترنو اليها مصر فى ترقب ، وتعقد عليها كبار الامال ، فى تبديد ما ران على الشرق من ظلمات

والدكتور عوض، استاذ متخصص فى الجغرافيا السياسية ، وله الى جانب هذا التخصص العلمى ، قلم اديب ، وعاطفة مصرية شرقية ، وقد توفرت له بهذا كله ادوات بحث كهذا فى الاستعمار الذى يقوم اول ما يقوم، على اعتبارات جغرافية انانية ، تحكمت فى الوضع السياسى، وجعلت دول الغرب تتدافع فى سباق مجنون ، الى كنوز الثروة الكامنة فى الارض الطيبة ، كيما تسد بها جوعها وتغتنى بها من بعد فقر وعوز .

والكتب التى تحدثت عن الاستعمار ومذاهبه، كثيرة لا يكاد يجمعها حصر او يحصيها عد ، او تضبطها فكرة موحدة ، بل تختلف فيها وجهات النظر باختلاف مؤلفيها ، وتتعدد الاراء بتعدد الاهواء ، فحين يراها الشرقى محنة انسانية كبرى ، تمتهن فيها البشرية وتسلب اعز مقوماتها ، يراها الغربى نعمة يمن بها على الشرقيين، ومشعلا ينقل اشعة النور الى كل قارة مظلمة ، ورسولا يحمل الى سكانها رسالة المدنية والعلم والحضارة

و « الدكتور عوض » فى كتابه اليوم ، يقدم لنا ـ بعد قراءة واعية لتلك الكتب العديدة المختلفة ـ دراسة دقيقة لمعنى الاستعمار ، واسسه التى يقوم عليها ، ومذاهبه التى تنبع فى الاصل من منبع واحد ، وترمى فى النهاية الى هدف مشترك ، وان تشعبت بها الطرق ، وتباينت الوسائل ، وتفاوتت المظاهر والاشكال

ونقطة البدء فى البحث ، هى ذلك التقسيم الجائر للعالم ، نصفه عبد ونصفه حر ، .. لم ؟ وكيف ؟ وباى اعتبار تم هذا التقسيم ؟ واى المقاييس استعملت فجعلت هذه الدولة فى النصف الحر ، وتبقت تلك فى النصف المستعبد؟ وما المقومات التى قومت بها الدول فكان منها الكبرى والصغرى ؟ ومن الذى حكم للاولى منهما بحق الوصاية، وقضى على الاخرى بمحنة الحجر !!

هنا ينتقل بنا الدكتور المؤلف الى « المسرح الجديد للسياسة الدولية » حيث نرى ابطالها يغيرون ادوارهم فى ازياء تتغير من فصل الى فصل ، وان لم يتغير الدور فى حقيقته ، مهما يلبس المستتر زى الانتداب ، او الوصاية ، او الاستعمار ...

ويختار « الدكتور عوض بعد هذا ، فصولا ثلاثة من المأساة الكبرى ، ليسلط عليها أضواء كاشفة منيرة ، مبتدئا « بحرب الافيون » حيث نرى دولة من الدول الكبرى فى النصف الحر ، تعبىء كل قواها الضخمة ، وتجند جيوشها واساطيلها ، لتشن حربا عوانا تدوم ستين عددا (١٨٢٠ : ١٨٦٠) على بلاد شرقية آمنة مطمئنة، لكى ترغم اهلها على قبول « الافيون » كسلعة تجارية مشروعة من اجل ما يجنيه التجار الاحرار من الارباح الطائلة ، وما يجنون من الثروات الضخمة ، من طريق الاتجار فى هذه السموم !!

ويسدل الستار على هذا الفصل من مأساة الاستعمار ، ليرفع بعد حين عن مشهد دام يمثل عام ١٩١٩ ، فى بلدة « امرتسار » شرقى مدينة لاهور عاصمة « البنجاب » ... انه مشهد الذبيحة التاريخية الهائلة ، يفتك فيها القائد الانجليزى بالوف من الهنود ، عزل من السلاح ، فاذا ضجت الافاق بحشرجة القتلى وانين الجرحى وعويل الثكالى والبتامى والارامل،

اراضيه « انجلترا » فسيرها بعزل الثائر ، فلم تمر ايام حتى انقلب له الشعب البريطاني الحر يبلغ خمسين الف جنيه ، تقديرا لبلائه في خدمة الامبراطورية !

ويسدل الستار ، وتتعاقب فصول وفصول حتى يرتفع بعد اعوام عن الوباء الصهيوني ، تحمله ايدي المستعمرين الى ارض الشرق العربي ، ليكون سلاحهم الذي يتقون به جموع الثائرين على الرق ، المتمردين على الاغلال ، الذين ارهبوا المستعمر بصراخهم العالي :

« نموت .. او نحيا كراما ! »

وهنا امام هذا المشهد ، يقف بنا « الدكتور المؤلف » ليطيل الوقوف ، لنرى الاستعمار الصهيوني في ماضيه وحاضره ، ونتبع المجال الذي ترسمه مطامعه ، والآمال التي يتسع لها مستقبله . ويستغرق هذا الحديث عن الصهيونية واستعمارها نحو ثلث الكتاب ، وبه من حديث لاذع مثير !

لم لا يدع « الدكتور فرس » قلمه قبل ان يسجل منذرا :

« انه اكبر خطر استعماري يتهدد العالم العربي ، فانشاء دولة لاسرائيل تمتد اراضيها من خليج العقبة الى حدود لبنان ، قد قسم وحدة الاراضي العربية ، فانقطع الاتصال المباشر بين الجانب الشرقي والجانب الغربي للعالم العربي ، واحتل الصهيونيون قطرا من البلاد العربية يقع منها موقع القلب من الجسم ، ولا شك ان هدفهم القريب هو التوسع والانتشار من هذا المركز الاستراتيجي الخطير »

فهل يبلغ صيحة النذير من آذان قومنا العرب سمعا !

ونَدَع هذا الكتاب لنقرأ بعده كتاب « الشرق الاوسط في مؤلفات الامريكيين » وربما ظن القارئ ان الكتاب يجمع لنا اقوال القوم في قضيتنا الكبرى ، قضية الحرية والاستعمار ، التي هي بالنسبة الينا قضية حياة او موت ، لكن الكتاب لم يكد يتعرض لهذه المسألة الخطيرة وانما نقل الينا ما كتبه بعض المؤلفين الامريكيين من مجد ماضينا وعظمة قرننا ، وما تحدثوا به من فضلنا على الثقافة الغربية !

فالفصل الاول ، شهادة « بحضانة الشرق الاوسط للثقافة الغربية » سجلها « الدكتور جورج سارتون » الاستاذ بجامعة هارفارد .

والفصل الثاني لمجيد « للفنون والآثار الاسلامية » بقلم « الدكتور اتنجهاوزن » رئيس تحرير مجلة الفن الشرقي .

وفي الفصل الثالث ، صورة مشرقة لمستقبل الشرق الاوسط ، رسمها « الدكتور كويلر يانج » بجامعة برنستون ؟

وفي الفصل الرابع بحث في « مشروعات انتصادية بالشرق الاوسط » تتم على غرار مشروعات « وادي التنسي بامريكا » ، اشترك في كتابة هذا البحث اثنان من خبراء « بنك التسليف بواشنطن » .

اما الفصل الخامس - وهو الاخير - فيعرض بعض « دروس من الشرق الاوسط » كتبها « الدكتور روجر سولتو » الذي اشتغل استاذا بالجامعة الامريكية في بيروت ، مدى عشر سنوات

واشرف على جمع هذه الفصول وتحريرها « الدكتور مجيد خدوري » الاستاذ بجامعة هوبكنز في واشنطن .

ثم راجعها « الدكتور محمد مصطفى زيادة » رئيس قسم التاريخ بكلية الآداب في جامعة القاهرة ، حين كان استاذا زائرا بجامعتي فلوريدا وبوناه ، بالولايات المتحدة

واشرفت « مؤسسة فرانكلين : نيويورك ، القاهرة » على اخراج هذا الكتاب ، في طبعة فخمة ، على ورق فاخر ، وبغلاف فني انيق ، اعلنت من اجله مسابقة فاز بجائزتها الاستاذ سعيد خطاب ، المدرس بالفنون التطبيقية في القاهرة ، ثم عهدت المؤسسة الى « مكتبة الانجلو » في توزيع الكتاب ونشره ..

هذه هي قصة كتاب « الشرق الاوسط في مؤلفات الامريكيين » وتلك هي الجهود الضخمة التي بذلت لاخراجه ونشره ، وللقارئ بعد هذا ان يسأل : ما صلة كتاب كهذا بمشكلة الشرق الاوسط التي هي شغلنا الشاغل ؟

وجوابي عن السؤال ، انها صلة لا تدركها العين من النظرة الاولى ، على اننا لا نلبث بعد التأمل ، ان ندركها تمام الادراك ، فمثل هذا الحديث الطويل عن عظمة ماضينا وروعة آثارنا ، جدير بان يغرينا بالمضي في الكفاح من اجل مستقبلنا ، واذا كان من الغربيين من يعترف بان الشرق قد حمى ثقافة الغرب ، فان هذا الاعتراف لم يحمنا من الرق ، ولا شفع لنا قط ، في مكان متواضع من النصف الحر لعالم اليوم !

بنت الشاطئ
من الامناء

حول النقد

بعث الينا « الاستاذ محمد علي هدية » نقدا لكتاب الهلال الشهري « عباقرة وعظماء » ونأسف حقا لان المجال هنا لا يتسع لنشر رسائل النقاد ، وانما يصدر هذا الباب من قلم التحرير بالاهرام ، وربما اتسع احيانا لاشارة الى ما نتلقاه تعقيبا على ما نشر من نقد

ويسأل « مدرس بالقاهرة » عن سبب اغفالنا للكتب الدورية المعروفة بكتب « السلاسل » وجوابنا ان هذه السلاسل قد كثرت الى حد يتعذر علينا فيه ان نتابعها في مواعيدها ، فضلا عن اننا لو فتحنا لها هذا الباب لضاق بها ولم يدع لنا فرصة تقديم اي كتاب سواها

وكتب الينا « الاستاذ ادمون حبيب الياس » ٥٧ شارع ابو بكر الصديق بمصر الجديدة ، يرجو ان نساعده بذكر المراجع العربية التي سجلت بالتفصيل ، محاولات العرب الاقدمين في الطيران ، كي يستعين بها في بحث يشتغل به منذ عشر سنوات عن « تاريخ الطيران » وقد راجعت كتب الفهارس العربية القديمة وفي مقدمتها كشف الظنون لحاجي خليفة ، والفهرست لابن النديم ، فلم اجد بها طلبة الاستاذ ، ولم اجد الهمة بهذا التاريخ ، او دون الخبرة بمراجعه ، فعسى ان يرشد الباحث الى ما يطلب ، خدمة للعلم

بنت الشاطئ
من الامناء

التاريخ : ٢٢ / ٣ / ١٩٥٤

كتب جديدة

عن شبل الجزيرة

اليوم ومصر تحتفل بمقدمها المعظم ، وتبارك هذه المناسبة الغراء التي تؤكد ما بين مصر والجزيرة من عالمي الود ووثيق الصلات .

اليوم ومصر ترى في شخص العاهل العربي صورة مشرقة من صور الجزيرة الغالية ، التي نرنو اليها أبصارنا ، وتهفو لها أرواحنا ، وتتعلق بها قلوبنا ، ونستقبلها على البعد بوجهنا مع مشرق الشمس وحين الظهيرة ، ووقت العصر ، وساعة الغروب ، وفي الليل قبل أن ننام !

اليوم ومصر تلمح في ركب العاهل العربي موكبا حاشدا من باهر الرؤى ومجيد الذكريات ، تتراءى فيه الجزيرة وقد انبثق من غربها شعاع من النور الأسنى ، مبشرا بفجر صادق يبدد الليل المظلم ، وارتفع صوت الرسول العربي – عليه الصلاة والسلام – هاتفا من جوار البيت العتيق :

« الله أكبر »

فتداعت الأصنام أمام هتافه ، وانتشر صداها على أرض الجزيرة تحت عرش الداعي الى التوحيد ، ثم كانت يقظة واعية أذهلت الدنيا والعصر بأزمة العالم الى أرض المعجزات ، هذه التي قدر لها منذ أربعة عشر قرنا أن تغير بالإسلام تاريخ البشرية ، وتقرر مصاير دول وشعوب ، ومرويات ولهجات ، وحضارات وديانات !

اليوم ومصر تستحضر مشهد المعركة الكبرى التي خاضها العاهل الراحل : « عبد العزيز آل سعود » ضد الرجعية المرعبة ، والجمود الميت ، والعزلة التي بثت الأسوار حول الصحراء ، وأقامت عليها حراسا غلاظا أشداء ، فما انتهت المعركة الا وموجة الحياة الجديدة تنطلق من نجد ، ولتكتسح أمامها ركام الرجعية وحطام الأسوار ، فتهيء الجزيرة للثورة الهائلة التي أعقبت تدفق سيل الذهب الأسود ، واكتشاف النبع الثمين الذي طوته الصحراء في أحشائها ، واحتفظت به قرونا وآمادا ، مطمورا تحت الحصا والرمال .

اليوم ومصر تمجد ذكرى العاهل الذي مضى ، وتتحدث عن نضاله الشاق الظافر في سبيل البعث ، ثم تلتفت الى شبله في ثقة وأمل وإعزاز .

اليوم ، تقدم مكتبة « الأهرام » الى قرائها كتابين جديدين ، كتبا في مناسبة كهذه المناسبة السعيدة ، وظهرا قبل زيارة جلالة الملك سعود لمصر : أم الدنيا ومهد الحضارة .

ففي مثل هذا الوقت من العام الماضي توجه « شبل الجزيرة » الى لبنان وسوريا ، في زيارة رسمية هدفها توطيد ما بين العرب من وثيق العرا وقديم الصلات ، وجمع كلمة الشعوب في الشرق العربي – وطننا الأكبر – لتلقى العدو المشترك متحدة متآزرة متساندة ، وتواجه معركة صفا واحدا وبنيانا مرصوصا ، قد التأمت صدوعه ، وسدت ثغراته ، حتى لا يجد العدو فيه منفذا ، ولا يرى اليه سبيلا

وهزت الزيارة الكريمة مشاعر اخواننا في سوريا ولبنان ، فكان موسم أدبي حافل ، ملأ الصحف والأندية بمقالات الكتاب وقصائد الشعراء وخطب الساسة والقادة ، حتى اذا آب الركب الميمون الى الجزيرة ، بقي الصدى القوي يملأ آفاق المشرق ، داعيا الى التضامن ، مبشرا بالوحدة ، حاثا على الجهاد .

وهذا هو « الأستاذ فهد المبارك » يسجل « صدى زيارة شبل الجزيرة الى لبنان وإلى سوريا » في كتابين نشرتهما « المطبعة الهاشمية بدمشق وأهداهما الأستاذ فهد « الى المخلصين لوحدة العروبة والإسلام » .

***

وربما لا ترى النظرة العجلى في هذين الكتابين ، سوى سجل لذكريات الزيارة ومعرض لصورها ، غير أنا لا نكاد نمضي في قراءتهما حتى نجد وراء هذه اللمحة العابرة ، أهدافا بعيدة المدى . ذلك لأن الكتاب والشعراء والخطباء ، لم يقفوا في تحية « شبل الجزيرة » عند الترحاب الحار ، وانما استغلوا المناسبة أكرم استغلال ، فمضوا يكشفون عن جراح في جسم العروبة لم تلتئم ، وندوب في كيانها لم ترأب ، ويتحدثون عن دماء لنا في فلسطين لم يثأر لها ، وعن قطعة من الوطن شطرت بسلاح غادر ، فمزقت الشرق العربي تمزيقا لا تقوم معه حياة

وتتابعت قصائدهم ومقالاتهم وخطبهم ، تصور محنة العروبة ، وتروي مأساتها الدامية ، ثم تتجه الى شبل الجزيرة والى سادة العرب جميعا ، هاتفة بآمالها الكبار في أن نثأر للدم المراق ، ونلم شملنا المبعثر ، ونعيد الى كياننا الممزق شطره المسلوب ، ونرد الى الوطن اخواننا الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم ، وشردوا بالعراء جياعا مشردين ، حيارى ضائعين ...

ولا أكثر الآن بنقل ما جاء في الكتابين من نداء الدم ، وغضبة الضمائر الحرة ، وألم الجرح الثائر ، وأصداء الصحراء ، كما لا أعيد على مسامع القراء أصداء ما وعى القطران الشقيقان من هتاف الأمل ، ونشيد الرجاء ، ودعوة الجهاد ، فهاهم أولاء يسمعون اليوم مثلها في أفق الوادي المبارك ، وما زيارة اليوم الا تتمة لذلك السعي النبيل نحو الهدف المشترك والوحدة المرجوة والتعاون المبتغى

وان العروبة لتترقب الساعة نتيجة المسعى وأثر الجهد المبذول ، متطلعة الى فجر جديد يمحو نوره ظلمات الليل الذي امتد وطال !

والذين زاروا الجزيرة منا ، يعلمون أن « آل سعود » أهل لكل هذا الرجاء الكبير ، ومناط ذلك الأمل العريض ، ويؤمنون بأن الجزيرة لم يدركها عقم ولا شيخوخة ، بل ما تزال قادرة على أن تصنع الأبطال وتأتي بالمعجزات !

بنت الشاطىء
من الأهرام

التاريخ : ٢٩ / ٣ / ١٩٥٤

في حياتنا :

بعد الصيام

للدكتورة بنت الشاطئ

آثرت ان امسك قلمي من الخوض في حديث زميلاتي الصائمات طوال مدة اضرابهن ، ذلك لان للمسألة في وضعها الذي اختارته الزميلات ، جانبا اسايا يجعل الحديث عنها – اثناء فترة الصوم الاختياري – دقيقا حرجا ، وقد حاسب في الموضوع اذ ذاك اقلام ذات عدد ، وكثر الكلام فيه كثرة يتعذر معها علاج المسألة في هدوء واتزان

والقراء يعرفونني من ازهد الناس في دخول الميدان السياسي ، ولولا تحرجي من الحكم على الغد ، لاعلنت منذ اليوم ، انني لن افكر في النزول الى معترك الاحزاب

وما ذاك لانني اكره الاشتراك باهلية المرأة للمشاركة في التشريع ، ولا لاني اراها غير قادرة على حمل عبء النيابة عن الامة ، فالمرأة حتى في احلك عصور الحريم ، قد نهضت بعبء اخطر من هذا وافدح ، اذ خصتها الطبيعة منذ الازل بحمل اجنة البشرية !

انما زهدني في الحياة السياسية ، انني لا ارى مكاننا في البرلمان اجل ولا اسمى من مكاننا في البيت ، كما لا اعترف بان مهمة الامومة – وهي صنع الحياة – اهون واضال من مهمة التشريع الذي لايعدو في ارقى اوضاعه ، ان يكون تنظيما لما تتجه اليه الحياة

ويقال هنا ان الرجل يكون ابا ونائبا في آن واحد ، فكيف لا تستطيع المرأة – وهي من عرفناها قوة صبر وعظم احتمال – ان تكونهما أما ونائبة ! !

وهو قياس مغلوط ، يتجاهل الفارق الكبير بين طبيعة الجنسين وعملهما ، ولايجوز – عقلا – ان نسلم به الا يوم تسوى الطبيعة بيننا وبين الرجال ، فتجعلهم يشركون معنا في حمل الاجنة وارضاع الصغار وحضانة الاطفال .

وفي الناس من لا يرون هذا مستحيلا امام جبروت العقل البشري ومعجزات العلم ! !

ويقال كذلك ان المرأة جمعت بين البيت والعمل في شتى الميادين ، فلم يضرها ذلك الجمع ، ولا مسخ فطرتها فجعلها تسترجل وتتخلى عن امومتها وحبها للبيت ، والذين يقولون هذا ، يجهلون بلا ريب ، مدى ماتكابده الام العاملة في محنة الجمع هذه ، فهي تمارس العملين مجهدة ممزقة ، نصفها هنا ونصفها هناك ، ومحال ان اصدق ان من بين الامهات العاملات ، واحدة تحب ، لايضنيها هذا التمزق ، ولا يشق عليها ان تدع بيتها وصغارها في ايدي الخدم ، كي تذهب الى عملها الاخر مشغولة البال موزعة الفكر مشردة القلب ، حتى اذا آن لها ان تعود الى بيتها بعد ساعات العمل ، لم تسترح كما يستريح شريكها الرجل ، وانما وجدت في انتظارها مشاغل وشواغل ، تؤديها في صبر الشهداء ، على حساب صحتها وراحتها واعصابها !

هذه كلها حقائق لاسبيل الى انكارها او تجاهلها ، فان تجاهلنا اياها لن يجدي شيئا الا بقدر مايجدي النعامة اخفاء رأسها في الرمال ، كيلا ترى الصائد !

* * *

ولتراءى لي الآن ، صور الالف من هؤلاء الشهيدات الكادحات من اجل حياة افضل ، فاغض الطرف عنهن في شبه استحياء ، كما التفت الى الزميلات السبع اللواتي تعرضن لالم الجوع الاختياري ، من اجل تقرير حق المرأة في الانتخاب

ولا اريد الآن ان اعرض للاسلوب الذي اثرنه لاثارة الاهتمام بقضيتهن ! فهن جميعا مواطنات مثقفات رشيدات ، لهن مطلق الحرية في ان يدافعن عن قضيتهن بهذه الوسيلة او تلك .

فاذا خليت اسلوب الصوم جانبا وواجهت المسألة مباشرة ، لم اجد من حقي ان احمل هؤلاء الاخوات الفاضلات على مثل رأيي في المعركة السياسية ، ولا ان افرض عليهن مثل زهدي في ضجيجها وغبارها ، فمن حقهن جميعا ان يخترن لانفسهن كما اختار لنفسي ، ومن واجب الدولة ان تستجيب لهن ، والا تهدر حريتهن في اختيار المجال الذي يؤثرن العمل فيه . .

ومن عجب ان تتردد الدولة في هذا ، في الوقت الذي تأذن فيه لبعض المصريات باحتراف مهنة الرقص ، وترخص للاخريات في فتح الكباريهات ، والاعلان عنها بالصور المثيرة تنشر في الصحف والمجلات ، وتعلق على الحيطان ، وتوزع على الشباب المراهقين في الطرق وعلى ابواب المدارس ، وفي عربات الترام ! وكأن الدولة ... او ... او ... فالعمل السياسي اخطر

التاريخ : ٢٩ /٣/ ١٩٥٤

على المجتمع وعلى البيت ، من اطلاق هؤلاء العابثات بالاخلاق والعقول والجيوب !

ومن عجب كذلك ، ان الدولة رفضت رسميا ، ان يمتد عمل الزميلات اللائي يعملن من مطلع الفجر الى منتصف الليل ، ثم تكره في الوقت نفسه ، للمطالبات بدخول البرلمان ، ان تمتد بهن بعض الجلسات الى ساعة متأخرة من الليل ، ذاكرة هنا — وهنا فحسب — الحوامل منهن والمراضع ! كأن زميلاتنا المذيعات اللواتي يقرأن علينا نشرات الاخبار في السادسة صباحا ، او الحادية عشرة مساء ، ليس فيهن حوامل ومراضع ، ولا من [illegible] يتعرضن لهذه التجربة الانسانية الكبرى !

هكذا تكشف لنا المسألة — على ضوء الدرس الهادىء المرن — عن اضطراب في مذاهبنا واختلال في موازيننا ! فليس لدى الدولة مقياس موحد نقيس به مسائلنا الاجتماعية الكبرى ، ولا هي تخضع لمنطق متسق فيما تحرم وتحلل من حقوق واعمال !

وهؤلاء المطالبات بالحق السياسي ! ليس فيهن من لا تعرف اعباءه ، ولا من تجهل نوع الاسلحة التي تستخدم في معركته [illegible] بملء ارادتهن وسمعهن ، ان ينزلن الى هذا الميدان ويتعرضن لما [illegible] من متاعب ومخاطر ، فبأي حق نحجر عليهن ونصرفهن عن طريق يردن السير فيه !

لقد كان بودي ان تجتمع كلمة هؤلاء السيدات الفاضلات ، على تجنب ضجيج الحملات الانتخابية وما تثيره من غبار ، وان يوجهن جهودهن مجتمعة متآزرة للمطالبة باشراك المرأة المستنيرة الناضجة ، في الحياة التشريعية ، عن طريق التعيين في مجلس الشيوخ ، اذ لدينا الآن [illegible] فمنهن الاصيل الاول ، [illegible] والابهام ، ونصيب من الخبرة والنضوج والذكاء ما يؤهلها لان تضع تجاربها في خدمة الجنس والاسرة ، والوطن .

كنت ارجو هذا ، وادعو اليه في الحديث [illegible] للسيدات العاملات رأيا غير هذا الرأي وقد تعلمت ان احترم حق سواي فيما يرى ، وان اقدس الحرية اكثر من الحياة .

فاذا ابديت اليوم حق الزميلات فيما يردن من عمل سياسي ، رغم زهدي في السياسة وايماني بان عملنا في البيت اكرم واجل من اي عمل سواه ، حتى رئاسة الدولة ، فانما اتأثر هنا بكلمة « فولتير »

« لست اوافق على ما تقول ، لكني ابذل حياتي دفاعا عن حقك في ان تقوله » !

بنت الشاطىء

التاريخ : ٣٠ / ٣ / ١٩٥٤

كتب جديدة عن :

عاهل الجزيرة

تلقينا الى قرائنا فى مثل هذا اليوم من الاسبوع الماضى ، كتابين جديدين عن « شبل الجزيرة » . وقد تلقينا على اثر ذلك كتبا ثلاثة اخرى عن جلالة عاهل المملكة العربية السعودية ، فرأينا أن نبادر بتقديمها الى قرائنا تحية لضيفنا الكبير ، وتحية للمناسبة الطيبة التى تسعد ابناء مصر بزيارة العاهل الجليل

والكتاب الاول ، عنوانه : « ملك وآمال شعب » الفته السيدة « زينب العرابى الجيلى » وحرصت على اخراجه من المطبعة ، يوم وصول جلالة الملك الى ارض الكنانة زائرا مرموقا .

- واهدته المؤلفة : الى المؤمن بالله وبالحق وبالعدل ..

الى من بعث فى البلاد المقدسة مجدها الشامخ وحضارتها العريقة .. ·

الى عاهل الجزيرة العربية ، الملك سعود الاول . الى البيت المالك السعودى ..

الى شعب الجزيرة ، واهل الارض المقدسة الى شعوب الاسلام المؤمنة بوجوب قيام دولة الاسلام الحاكمة بكتاب الله فى مشارق الارض ومغاربها ...

ويطالع القارىء فى صدر الكتاب صورة لجلالة الملك سعود ، وثانية لسمو ولى العهد الامير فيصل ، تليها مجموعة من الصور التذكارية لجلالة العاهل ، ثم صورة للمؤلفة ، والتقطت امام منزلها بالقاهرة .

ماذا لرغ من مشاهدة هذا العرض ، قرأ كلمة للمؤلفة من لسانها لجلالة الملك سعود ، تصف فيها الاثر العميق الذى تركه ذلك اللقاء فى نفسها ، وهو اثر يمتزج فيه الاعجاب الخالص بالرجاء الكبير والامل العريض ، مع الاطمئنان الى ان الله قد اراد بالجزيرة وبالعروبة خيرا ، حين اتاح لها من آل سعود بناة اقوياء وحماة مؤمنين ، يبنون بعزائمهم صرح الحياة الجديدة للجزيرة ، ويحرسون بايمانهم موروث المجد الشامخ والعز المتليد .

وتمضى المؤلفة فترسم صورة قلمية لجلالة الملك سعود ، بملامحها العربية الاصيلة ، وطابعها المتميز بصدق الايمان وعزة الفروسية ونبل الانسانية وكرم النفس والطباع ، ثم تبارك الفأل الحسن الذى جعل مولد سعود ، يوم كان ابوه — العاهل الكبير الراحل — يقود معركته الظافرة ويدخل عاصمة نجد غالبا منتصرا .

ومن ثم تتحدث المؤلفة عن غزوات سعود ورحلاته ، والمشروعات الاصلاحية التى تبناها ورعاها بتوجيه والده العظيم ، حتى اذا فرغت السيدة المؤلفة من هذه المشروعات ، انتقلت تتحدث عن آمال الشعب العربى فى عاهله ، واماني المسلمين فى ملك الجزيرة التى صنعت الابطال ، اولئك الذين نشروا الوية الاسلام من اقصى المشرق فى الصين والهند وفارس ، الى اقصى المغرب فى الاندلس ، ثم مضوا بالعلم الاسلامى فاقاموه فى قلب اوربا ·

وفى معرض هذه الامال ، اشارت المؤلفة الى امل الصحافة ، والاذاعة ، والتعليم ، والخدمة الاجتماعية ، والسياحة ، والجيش ثم ختمت حديثها هذا بآمالنا فى سبيل الحج .

والقارىء ولا شك ، يشعر بالحرج الذى احست به المؤلفة وهى تصف الملك العربى المسلم ، وتتحدث عن شخصيته . وربما تحرج كذلك من وضعها صورتها — وهى رئيسة لجماعة السيدات المسلمات — الى جانب صور آل سعود امراء الجزيرة التى ما تزال تحتفظ لنسائها بعزة الحجاب .

لكن هذه الملاحظة ، لا تحول دون تقدير الجهد المبذول فى وضع الكتاب وجمع مادته ، كما يشفع للمؤلفة الناشئة ، ما يبدو من تحمسها لدعوتها ، وحرصها على ان تنقل صورة امينة لاثر زيارتها للجزيرة ، وان تترجم عما يطوى الشعب العربى من اكبار لقائده ، وما يتصل به من عزيز الامانى وبعيد الاهداف

والكتابان الثانى والثالث : للصحافى السورى « محمد السلاح » ، حملهما الينا البريد موضحين

التاريخ: ٣٠ / ٣ / ١٩٥٤

وفي اولهما حديث عن « الامير سعود : قائد الحج الاكبر » يبدأ المؤلف كتابته منذ اعوام ، وجمع مادته في رحلات له سبع ، الى الاقطار الحجازية ، اتيح له خلالها ان يعرف قائد الحج من كثب ، وان يجتمع بعدد غير قليل من رجالات الجزيرة ، ثم عكف على تسجيل جهود القائد في سبيل الحج ، والاعمال الانشائية التي نهض بها جلالته منذ كان اميرا ووليا للعهد

اما ثاني هذين الكتابين ، فيتمثل صدى نعي العاهل الراحل « الملك عبد العزيز آل سعود » ويجمع اقوال الصحف وقصائد الشعراء ومقالات الكتاب في رثاء الفقيد الكبير .

وقد خص المؤلف رجال المملكة العربية ـ الذين اشتركوا في رثاء العاهل الراحل ـ بمزيد من عنايته ، فحرص على ان يقدم كل رجل منهم بكلمة تقدير ، وان يضع صورته الى جانب كلمته في الرثاء ، فجاء الكتاب ـ وبخاصة في القسم الثاني منه ـ اشبه بدليل مصور ، لاعلام الجزيرة العربية .

وتقتضيني الامانة ان اقول ان الرائي هو موضوع هذا الكتاب ، وكل مادته ، ولعله كان من الانسب ان يختار المؤلف عنوانا آخر لكتابه ، اقرب الى موضوعه وادل عليه ، فليس فيه شيء خاص بجلالة الملك سعود ، الذي سمى المؤلف كتابه باسمه ، اللهم الا ان يكون قصد الى التيمن بجلالته ، ومن هنا جعل شعار الكتاب :

« مات الملك عبد العزيز ، عاش الملك سعود »

وانه لدعاء تهتف به قلوب العرب والمسلمين الذين يتطلعون ابدا الى الجزيرة : قبلتهم المقدسة ، ومهوى افئدتهم ، ومهد نبيهم الكريم ، المبعوث بآخر رسالات السماء !

بنت الشاطيء
من الامناء

من بريد القراء

كتب الينا « قارىء من نجد » يسألنا عما في المكتبة المصرية من كتب عن جزيرة العرب وردا على سؤاله ، اذكر له ان « دار الكتب » عندنا ، اعدت لمناسبة زيارة جلالة الملك سعود لمصر ، قائمة مطبوعة بما في الدار من كتب عن الجزيرة ، لكي تهدى الى جلالته عند زيارته للدار

ويستطيع السيد القارىء ، ان يبعث الى دار الكتب طالبا نسخة من هذه القائمة ، وما احسبها الا مبادرة باجابته الى ما يطلب

و « شاعر بالقطيف » يسألنا عما يعرف القارىء المصري عن قلب الجزيرة واطرافها النائية ، ويعتب على الادباء المصريين انصرافهم عن اخوانهم هناك ، ثم يدعو في حرارة وحماس، الى ان نلم بتلك الاطراف النائية من الجزيرة ونعنى بدراستها ، ونتصل بادبائها ، ونحن نذيع هنا هذه الدعوة الكريمة ، راجين ان تبلغ من نفوسنا سمعا :

التاريخ : ٥ / ٤ / ١٩٥٤

كتب جديدة

دواوين شعرية

١ – الهوى والشباب ، للاخطل الصغير
٢ – غرام ولادة ، للسيد حسين سراج
٣ – النخيل ، للسيد محمد على الحوماني

ثلاثة دواوين من الشعر العربي تصدر معا في هذا الموسم ، مسجلة ظاهرتين تلفتان النظر : أولاهما ، انها جميعها طبعت في مصر ، وان تكن لشعراء غير مصريين . ومن السهل ان نرد هذه الظاهرة الى الدرجة العالية التي بلغتها طباعتنا ، ومن الانصاف ان نسجل هنا لدار المعارف ، جهودها الموفقة في هذا الميدان ، فلقد اصبح كتابها العربي بفضل هذه الجهود ، يضارع الكتاب الغربي جمال طبع واناقة اخراج وصار لنا ان نباهي بتلك الرتبة الرائعة التي وصل بها فن الطباعة عندنا الى ذلك المكان المرموق ، بحيث اصبحت القاهرة مقصد المؤلفين من شتى انحاء الشرق العربي ، يسعون اليها من هنا وهنالك ، ويكلون اليها مهمة اخراج مؤلفاتهم في ارقى مظهر وادق طباعة .

والظاهرة الاخرى ، هي ان اثنين من هذه الدواوين لشاعرين من لبنان ، والثالث لشاعر حجازي ، وقد اوشك موسمنا الادبي لهذا العام ان ينتهي ، ولم تخرج مطابعنا ديوانا مصريا ، اللهم الا ديوان الشاعر « الزين » رحمه الله وقد توفي منذ سنوات ، فعكف صديقه الشاعر « الاستاذ الشناوي » على جمع قصائده ، ثم نشرها في مستهل هذا الموسم ، وفاء للصديق الذي مضى وغاب ..

وتثير هذه الظاهرة اهتمام عدد من النقاد ، يرقبون نشاط دولة الشعر في الاقطار العربية الشقيقة ، وفي المهجر ، ويتساءلون عن مكانتا اليوم في هذا الميدان الذي انعقد لنا لواء الامارة فيه منذ جيل مضى ، حين بايع شعراء العربية شاعرنا المصري « احمد شوقي » اميرا لهم .

لم يمض النقاد الى ابعد من هذا التساؤل ليحاولوا ان يعرفوا اسباب الفتور ، ويلتمسوا له عللا اجتماعية وسياسية واقتصادية ، لم يحن الوقت بعد لتقريرها ، اذ ما تزال موضع المناقشة والبحث .

واعود الى الدواوين الثلاثة ، فارى كل واحد منها ينفرد عن زميليه بتمثيل اتجاه خاص ، من الاتجاهات الشعرية المعاصرة .

فديوان « الهوى والشباب » للشاعر اللبناني « الاستاذ بشارة الخوري » يتبع المذهب التقليدي للشعراء الفحول في العصر الذهبي للشعر العربي ، وقد اختار شاعرا من بين اولئك الشعراء الفحول ، تسمى باسمه واشتهر به . ذلك هو « الاخطل الصغير » شاعر الهوى والشباب ، الذي ترجع آفاق الشرق اصداء اغانيه ، منذ ترنم بها كبار المطربين والمطربات وجعلوها الحانا شجية فاتنة .

تغنى عبد الوهاب ، بقصائده :

الهوى والشباب والامل المنـ

شود الوحى لتبعث الشعر حيا

الصبا والجمال ملك يديك

اى تاج اعز من تاجيك !

نصب الحسن عرشه فسألنا :

من تراها له ! فدل عليك

جفنه علم الغزل

ومن العلم ما قتل !

وغنت نقيدة الفن «اسمهان» بصوتها الساحر قصيدة الاخطل الصغير :

اسقنيها ، بابى انت وامى

لا لتجلو الهم عنى ، انت همى !

والاخطل الصغير كصاحبه الكبير ، شاعر مشرق الديباجة ، جزل العبارة ، يستشيره الطرب فيغنى للخمر والهوى عن وجدان مرهف مستثار ، وتهزه الاريحية فيبدع في مدحه بروائع تذكرنا بمدائح الاخطل الكبير في بنى مروان ، ويرمضه ما يرى من مصائب قومه وما يحس من آلام وطنه ، فاذا نشيده آهة مثيرة ولحن حزين .

وقد جمع ديوانه هذه القصائد وتلك ، دون ان يعمد الشاعر الى ترتيبها على نسق بعينه ، او تبويبها في اقسام ، فجاءت قصيدته في مدح سمو الامير « عبد الله الفيصل » ، وقد نظمت عام ١٩٥٢ – الى جانب اقصوصته « الهوى والشباب » وقد نظمها عام ١٩٢٥ ، ووضعت اقصوصة « باورد مين يشتريك » بلغتها الشعبية الدارجة ، جارة لقصائده الكبار في جهاد العروبة (١٦٢ : ١٦٨) وترنحت دمعته على «اسمهان» في مصرعها الحزين ، بجانب لعنته للجابي الذي ارهق قرى لبنان عام ١٩٣٥ ، لتحصيل بقايا الاموال الاميرية !

ولبشارة الخوري بعد هذا طابعه الخاص الذي نرى فيه اثر البيئة واضحا قويا ، ونلمح تأثره بالشعر الفرنسي واحتفاءه به ، الى جانب صحبته الطويلة لامراء الشعر العربي واحتفاله بكتاب « الاغاني » ومن ثم ينتقل القارئ من قصائده « الى امرأة – وقلب خائن ، وماذا اقول له ! » المقتبسة من الفرنسية ، الى قصيدة « عمر ونعم » التي تصف مغامرة ابن ابي ربيعه و « عروة وعفراء » المنظومة من وحى الاغاني ..

والديوان الثاني للشاعر الحجازي « السيد حسين سراج باشا : الوزير سابقا بالمملكة الاردنية » واسمه ديوانا على سبيل التغليب ، وانما هو في الواقع مسرحية شعرية يصور فيها الشاعر الوزير منحى « شوقي » رائد

الشعر المسرحي في مصرنا . وقد اختار « السيد سراج » لغرام ولادة ، بنت المستكفي ، اميرة الاندلس الشاعرة ، موضوعا لمسرحيته لتقلنا ، او تقل الينا ، قصة من اروع القصص التي وعاها التاريخ الادبي للاندلس ، في فصول ثلاثة نشهد فيها على المسرح احيانا ترجع الصدى الخالد لذلك الغرام المشبوب الذي شهدته مغاني الاندلس ، حين كان شاعرها الوزير « ابن زيدون » يملأ سمع الزمن غناء وشكوى وحنينا ، وحين كانت « ولادة » تتألق في سماء الاندلس ــ بعد أن مالت شمس بني أمية الى مغيب ــ نجما باهر السنا !

ولقد هوى النجم بعد حين ، وغيب الثرى « ابن زيدون » ، وطوى الزمان دولة العرب في اسبانيا منذ قرون ، وبقي حديث ذلك الحب ملء سمع الدنيا على تنائي الزمن ، وبقيت قصة ولادة وابن زيدون ، تلهم الشعراء وتغني السمار على تعاقب الدهور وكر الاجيال ..

وهذه قيثارة الشعر اليوم ، تهتز من جديد لتنبعث منها نغمات شجية مؤثرة ، تحدث عما كان ، وياما أشجى ذاك الذي كان !

ويبدو لي ، ان الشاعر سراج ، قد وفق في رسم شخصية صاحبه « ابن زيدون » اكثر مما وفق في رسم الشخصيات التاريخية الاخرى في القصة ، وربما كنت متأثرة في هذا الملحظ بما اعرف من تشابه الشاعرين الوزيرين ، لكني رغم ادراكي لهذا التأثر ، وعدم انكاري اياه ــ انكر بعض ملامح في صورة « ولادة » بمسرحية اليوم حين افتقد فيها دلال الانوثة ، وعزة الامارة وكبرياء الحب ، وتيه الجمال !

ولعل نقاد الفن المسرحي ، يلاحظون على القصة ، سذاجة الحيلة التي اصطنعها « ابن عبدوس » ليفسد ما بين ولادة وبين غريمه « ابن زيدون » ، ومثلها الحيلة الساذجة التي دبرت لاخراج ابن زيدون من سجنه

ولعلهم كذلك يعجبون لفتور النضال وقصر في معركة الحب بين ابن زيدون ومنافسه الذي اختفى من المسرح سراعا وكأنما ابتلعته الارض او تخطفته الجن ، وكذلك بين ولادة و« سليمى » التي رأيناها في الفصل الاول مسلوبة الرشد من حب ابن زيدون ، تهيم تكيد له وتآمر به ثم لا نلبث ان نراها في الفصل التالي ، وقد ثاب اليها رشدها وبرئت من حبها ، ومضت تسعى جاهدة لكي تمهد الحبيب الى غريمتها ولادة !

لكن نقاد الشعر سيرون في الاستاذ سراج ، شاعرا اصيلا مبدعا ، فياض العاطفة رقيق الحس مرهف الوجدان ، وسيقدرون في مسرحيته طلاقة الشاعرية وحرية الاداء وعذوبة النغم ، مع البراءة من التكلف والابتذال .

اما الديوان الثالث ، فللشاعر اللبناني « الاستاذ محمد علي الحوماني » ولسنا نرى اتجاها غير الذي رأيناه في « الهوى والشباب » او في « غرام ولادة »

ذلك ان الاستاذ الحوماني ، آثر الا يقدم لنا ديوان شعره كاملا ، بل عكف عليه فاختار صفوة ما فيه ، واخرج لنا هذه الصفوة بعنوان « التنخيل »

واكثر الشعراء يحرصون على ان تخرج دواوينهم جامعة لكل ما قالوه من شعر ، كأنما يعز عليهم ان يحولوا بين شيء منه وبين النور ، محتملين في سبيل ذلك ما قد يتعرضون له من قسوة المؤاخذة وصرامة النقد ، على حين يقل تنبيهم الى « نخل » شعرهم ، بحيث لايخرج منه الى الناس غير المهذب المختار ، كما فعل الاستاذ الحوماني في ديوانه « التنخيل » ولعل هذه ــ فيما اعرف ــ هي المرة الاولى التي يستعمل فيها لفظ « التنخيل » للدلالة على الصفوة المنخولة من الشعر ، وانما عهدنا بهذا اللفظ ان يدل على النخيل الباسقات التي طالما تفيأ الشاعر العربي ظلالها ، واستمد منها الوحي والالهام

والقارئ يدرك معي ، ان مجال النقد في « تنخيل » الاستاذ الحوماني ضيق محدود ، ذلك لان قصائده تكاد تكون متقاربة المستوى ، وقد اختارها شاعر ذواقة ، ذو بصر بالشعر وخبرة بنقده ، فجاءت اشبه بمعرض انيق لقصائد مختارة ، نسقها صاحبها في مجموعات ثلاث : تختص اولاها باناشيد التعبد والنجوى ، وفيها يبدو الشاعر روحانيا متصوفا ، يذيب مشاعره في مناجاة مبتهلة ، وتحلق شاعريته في افق عال ، بعيدا عن هذه الارض الضاجة الصاخبة .

وفي المجموعة الثانية ، نرى الشاعر في صميم مجتمعه ، يخوض المعترك السياسي بسلاح الشعر ، ويوجه طعناته القاتلة الى شخصية رمزية سماها باسم « فلان » وهو عنده ، كل رجل كان قبل ان يحكم ، موضع احترام الامة وتقديسها ، ثم يتنحى بالحكم الى المكانة التي ينحدر بها من القمة الى الحضيض .

فاذا اجهدت المعركة الشاعر ، لاذ بذكريات الصبا ، ينتشي عندها ببعض اغاني الشباب ، ويختار لنا منها ما يسميه « تخيل حواء »

وبالرغم من ضيق مجال النقد ، استطيع ان اقول هنا ان « الاستاذ الحوماني » بلغ ذروة شاعريته في شعره السياسي الذي اختاره لنا في « تخيل فلان » لقد استطاع ان يعرض للحياة في شرقنا هذا العربي ، صورة رهيبة مثيرة ، وان يتحدث عن مواجعه في صراحة وشجاعة ، واستوعبه هنا لاذع قاس ، وشاعريته وثابة مواتية ، على حين تفتقد بعض هذا في « تخيل حواء » الذي نطالعه عبر سنين طوال ، شغلت الشاعر عن حواء ، ووجهت عواطفه نحو وطنه وقومه ، ثم سمت به الى التعبد ومناجاة الله : ملاذ المتعب ، وأمان الخائف ، ومانح الحياة !

بنت الشاطئ

من الاهرام

التاريخ : ١٣ / ٤ / ١٩٥٤

كتب جديدة

دراسات جامعية

نظامي الكنجوي : شاعر الفضيلة
مكتبة الخانجي : ٢١٥ ص

هو بحث جامعي نال به الرجل ... الدكتور عبد النعيم محمد حسنين ، المدرس بجامعة هليوبوليس ، اول درجة دكتوراه تمنحها جامعتنا الفتية ، وما نجهل — ونحن نقدم هذا البحث الى قرائنا — انه لا يعني سوى الخاصة المشتغلين بالدراسات الادبية العليا ، ولكنا اردنا بتقديمه ان نلفت الى ناحية هامة في حياتنا العلمية ، ربما غفل عنها كثيرون : تلك هي عناية المستشرقين بالتراث الفني للشرق ، وقد كنا نحن اولى به واقدر على تذوقه وفهم اسراره

واكثر شبابنا الجامعيين ، يزهدون في الدراسات الشرقية ، ويتجهون الى الغرب في تشبث ومباهاة ، كأنما يرون في هذا التوجه مظهرا من مظاهر « العصرية » التي يتطلعون بها ، وقل منهم من رنا ببصره الى الشرق البعيد ، وشد مرحاله الى ايران وما وراءها يدرس معالم لغة قوم امتزجوا بنا وربطت دماؤهم بدمائنا ، ويلتمس عندهم اصول الآداب الشرقية التي اتصلت بالعربية منذ عصر ما قبل التاريخ ، حتى اذا ما خرج العرب من جزيرتهم بعد الاسلام ووصلوا الى تلك الاقاليم النائية دخلوها ... اقامت الصلات التاريخية لفرط احتكاكنا وتفاعلت الحضارة الطارئة مع حضارات البلدان المفتوحة ، مؤثرة فيها ومتأثرة بها ، حتى ليعجز على دارس للعربية ان يتمكن من فهمها دون دراسة متعمقة لذلك الاتصال الوثيق

وهذا زميل من تلك القلة المقدرة لاهمية الدراسات الشرقية ، يوجه عنايته الى الادب الفارسي ويعكف على درسه في تخصص وصبر ، ليقدم لنا بحثا دقيقا وافيا عن شاعر الفضيلة « نظامي الكنجوي » الذي يعرفه دارسو الادب عندنا ، اماما لفن « المثنوي » واستاذا للفن القصصي المنظوم بالفارسية

عاش هذا الشاعر الايراني الكبير في « كنجه » باقليم اذربيجان في القرن السادس الهجري ، وقد وجهته احداث عصره وظروف بيئته الى ايثار العزلة عن الولاة والحكام ، ومن عزلته تلك ، راح يرنو الى ارضنا في عطف ورحمة ، رائيا لما يعانيه اهلها من متاعب ، مرهفا بما يشهده زمنها من مظالم وشرور وآثام

وزخرت آفاق الشرق اذ ذاك ، اصداء اناشيده المؤثرة التي ترجمت من انفعاله بما كان يشهد ، وتضمنت دعوته الى الفضيلة والعدل والرفاء ، وازاحت في الناس شكواه من الظلم والشر ، حتى اذا مات في مطلع القرن السابع ، ترك دعوته وديوان شعر وخمس منظومات من اروع ما في التراث الفني للفرس ، وابى ظل الشاعر امدا طويلا ، محروما من المثابة التي ظفر بها زملاؤه ، امراء الشعر الفارسي

وقد تنبه المستشرقون لهذا ، فصرح غير واحد منهم بان « نظامي » لم ينل حظه من اهتمام الدارسين ، مع انه ، وصل بتفوقه الممتاز ، واصالته الفاصلة ، الى درجة لم يصل اليها شاعر فارسي آخر ، كانت حياته موضوعا لدراسة نقدية دقيقة ،

ومنذ نشرت منتخبات من ديوانه « مخزن الاسرار » في المجموعة الاسيوية عام ١٧٨٦ ، بدا اسم « نظامي » يشتهر في دوائر الاستشراق ، حتى اخذ مكانه المرموق الى جانب زملائه الاربعة المشهورين : الفردوسي وعمر الخيام وسعدي وحافظ شيرازي ، فترجمت روائع « نظامي » الى الروسية والانجليزية والهولندية والالمانية ، اما حياة الشاعر ، فقد وضع فيها المستشرق الالماني « باخر » كتابا عنوانه « حياة نظامي وآثاره » طبع في جوتنبرج عام ١٨٧١ ، كما نشر « برتلس » في عام ١٩٤٠ ، كتابا يجمع مقالات لعدد من مستشرقي الروس عن « نظامي : شاعر اذربيجان العظيم »

وفي عام ١٩١٥ ، نشرت في لندن ، ترجمة المستشرق « داراب » لمخزن الاسرار مع مقدمة عن حياة الشاعر وعصره ،

هذا عرض موجز سريع للمحاولات الاستشراقية في دراسة « نظامي » وشعره ، اردت بها ان ابين لقرائنا مدى اهتمام القوم بتراث الشرق الفني ولعلي بذلك ارد على من يعجبون لاهتمام جامعتنا بهذه الدراسات ، ويرون في الاشتغال بها مضيعة للوقت والجهد

وانتهي القراء بعد هذا من العرض النقدي لشكلات ، بل ليجدن الجمهرة أول سنوات بحث كهذا وعدد ، وان كان الراجح يصنم على — مع هذا — ان استجيل بما أحسا مستهجا ذا خطر ، لا اسم حتى السابقة ، كيف فات من الزميل الفاضل ، ثم من استاذنا ، الدكتور ابراهيم امين الشواربي ، الذى اشرف على الرسالة !

ذلك هو ان الزميل سمح لنفسه غير مرة ، وفي بساطة بعيدة عن الدقة والحذر ، ان يرجع الى غير المصادر الاصلية ، ويعتمد على مرجع غير معترف به ، فنراه مثلا يعتمد على رأى « لفيلمان » ولونشتر » نقلا عن مؤلف مصرى (ص ١٠ ، ص ١١) ، واذا كان المنهج لا يبيح بحال ما ، ان نترك المصدر الاصيل ونرجع الى من نقل منه ولو كان هذا الناقل حجة ثقة ، متمكنا من لغة المصدر الاول ، فكيف اذا عرفنا ان المؤلف الذى اخذ منه الزميل رأيى «فيلمان» ولونشتر » لا يعرف اية لغة اجنبية ، وليس له بالثقافة الغربية اى اتصال مباشر ؟ !

مثل الدكتور عبد المنعم ، جدير منه ، بان يرى معنا ان ماخذا كهذا جد خطير ، وهي الينه بحاجة في بحثه المهم الممتاز ، الذى ارشد لادوات المدرس المنهجي الدليل الثمين ، وبذل فيه من الجهد ما يعز نظيره في دراسات كثير من الزملاء

كيف تكتب بحثا او رسالة ؟

مكتبة النهضة : ١٩٨ م

استجاب « الدكتور احمد شلبي : المدرس بدار العلوم » لحاجة طلابه الى منهج واضح ، يسيرون عليه في اعداد ابحاثهم وتحضير رسائلهم العلمية ، فقدم لهم في هذا الكتاب ، الخطوات التى تتبع في الاعداد والتحضير ، ثم في الكتابة والتسجيل ، والطبع والاخراج .

ولم يكد « الدكتور شلبي » يدع صغيرة ولا كبيرة في هذا المجال الا عنى بها ، فكما تحدث عن اختيار الموضوع ، والاستاذ المرشد ، واعداد المراجع ، وجمع المادة وتوزيعها ، تناول كذلك المسائل الصغيرة مثل ، الحبر والترقيم ، ونوع الورق الذى يختار لكتابة الرسالة ، وطريقة التجليد . .

ويقول « الدكتور شلبي » ان المصادر التى مدت كتابه اربعة :

١ — مصادر كتبت بالانجليزية ، واهمها « كتابة رسالة » لفيلس ، و « كيف تكتب رسالة » لريدر ، اما تنظيم الرسالة واعداد الورق والكربون والتجليد ، فرجع فيهما الى كتاب انجليزى كذلك ، الفه تيرسوم وزميله زرنغا

٢ — المحاضرات والتوجيهات التى دونها من اساتذته بجامعتي لندن وكمبردج

٣ — تجاربه في البحث ، باشراف الدكتور راجس ، استاذ التاريخ الاسلامي بجامعة لندن

٤ — واخيرا صلته بطلابه في دار العلوم ، حيث اتيح له ان يتعرف الى حاجات بحثهم وظروفها

والقارىء ليس في حاجة الى اطالة التامل ، ليلمح فيما نقلت اليه من حديث الدكتور شلبي عن مصادر كتابه ، اعتزازه البادى بالمراجع الاجنبية حتى في اعداد الورق والكربون وفي التجليد ، واعتداده المسرف بدراسته واساتذته في جامعات انجلترا ، كما يفتقد القارىء في هذا ثنه ، اثر الاساتذة المصريين الذين نعرف انهم حملوا امانة الدرس الجامعي ، وقرروا اصولا منهجية في البحث العلمي ، ولعل التمس العذر للدكتور شلبي ، فعله لم يلق من هؤلاء الاساتذة احدا قبل سفره الى انجلترا ، ولعل حياته الدراسية الحقة لم تبدا الا هناك ، على ايدى اساتذة لندن وكمبردج

واذ التمس العذر للدكتور الفاضل ، ارجو في الوقت نفسه ان يعذرني كذلك ، اذا انا اعتززت باساتذة لنا مصريين ، اسعدني زماني بالتلمذة عليهم ، فوجدت فيهم قدوة موجهين ، وجامعيين ذوى رسالات

واما بعد لا اتردد في تزكية جهد الدكتور شلبي ، وتقديم كتابه الى زملائنا الطلاب ، رجاء الانتفاع بتجارب زميل ناجح ، سار في الطريق قبلهم ، وعاد ليضع خبرته وتجربته في خدمة الجامعة وطلابها

تدريس الفلسفة

اجرت هيئة « اليونسكو » تحقيقا دوليا خلال عامى ١٩٥١ ، ١٩٥٢ ، في برامج لتدريس الفلسفة ، وفي المكان الذى تشغله من نظم التعليم عامة في مختلف البلاد ، وفي الدور الذى تؤديه في تكوين المواطن ، وايجاد مستوى افضل من التفاهم بين بنى البشر

وقد اصدرت اليونسكو اخيرا كتابا عنوانه « تدريس الفلسفة » :

L'Enseignement de la Philosophie

يتضمن مراحل هذا التحقيق الدولي ، ويبدأ بمقدمة قصيرة عن تنظيمه ، ومن اعمال لجنة الخبراء الدولية التى الفتها اليونيسكو ليهذا الغرض في اواخر نوفمبر ١٩٥١ ، ثم سلسلة من المقالات كتبها اعضاء هذه اللجنة في تدريس الفلسفة في بلادهم ، وهم يمثلون المانيا وكوبا ومصر والولايات المتحدة وفرنسا والهند وايطاليا والمملكة المتحدة . كما ضمت اللجنة ممثلين لكل من « الاتحاد الدولي لجمعيات الفلسفة » و « منظمة اليونسكو » ، وانتخبت اللجنة « الاستاذ جورج مونود الفرنسي » رئيسا لها ، والاستاذين الدكتور ابراهيم بيومي مدكور « مصر » ودونالد ماكينون « انجلترا » نائبين للرئيس والاستاذ جيدو كالوجيرو « ايطاليا » مقررا

واستهل هذه السلسلة من مقالات الخبراء « الاستاذ الفرنسي كونجيلهم » بمقال عن « المعنى الذى يحمله تدريس الفلسفة » جاء فيه : « ان العالم واحد ، ومهما تختلف الاتجاهات الفلسفية في النظر اليه ، فهي تفترض جميعا وحدته الاساسية ، واليونسكو تلح على هذه الوحدة لكي تبث بين المذاهب المختلفة روحا (عالمية) واحتراما متبادلا ، تنهار امامها اتجاهات التعصب وعدم التسامح ... ان الفلسفة يجب ان تعلم خصائص التفكير العالمية »

ووافق خبراء اللجنة على اعلان نص يؤكد اهمية تدريس الفلسفة بروح البحث الحر ، واوصت اللجنة بان يبدأ هذا التدريس بتحليل للتجربة الانسانية كما نحياها ، على ان يصاحب ذلك درس مباشر للنصوص الفلسفية ، كما قدمت اللجنة اقتراحات خاصة بدور تدريس الفلسفة ، في التعليم العام بالتفاهم الدولي

ويقع الكتاب في ٢١٣ صفحة ، وثمنه ٠٠٠ فرنكا فرنسيا او ما يعادلها ، ويطلب في مصر من مكتبة النهضة بشارع عدلى بالقاهرة .

بنت الشاطىء
من الاساء

التاريخ : ١٩ / ٤ / ١٩٥٤

معاجم جديدة :

معجم لألفاظ القرآن الكريم

يصدره المجمع اللغوي

منذ بدأت الجامعة محاولتها الاولى في التفسير الادبي للقرآن الكريم ، كتاب العربية الاكبر ، افتقد الدارسون معجما يحدد دلالة الالفاظ القرآنية في عصر نزوله ، تحديدا ينحى عنها الدلالات الدخيلة والطارئة ، التي استحدثتها الحياة في اللغة بعد ظهور الاسلام ، وجاءت بها الى العربية تيارات وافدة من الاقاليم التي فتحها العرب وامتزجوا بأهلها ؛ وهي دلالات لم يكن للعرب عهد بها حين جاءهم رسولهم الامين بآيته السماوية المعجزة

وبدا من المتعذر ، ممارسة التفسير الادبي للقرآن — وهو التفسير الذي يجب أن يتقدم كل تفسير آخر ، اذ هو الاساس الاول لاي فهم فقهي او خلقي او مذهبي .. او .. او .. لمعجزة الاسلام البلاغية — دون تتبع دقيق لتطور الالفاظ وتمييز ما طرأ عليها من دلالات .

وبدا كذلك ان جهود الجامعة في التفسير الادبي ، تحتاج الى مؤازرة هيئة علمية كبرى تتفرغ لوضع هذا المعجم المفتقد ، فلما وقف « الدكتور هيكل » في دورة المجمع اللغوي السابعة (عام ١٩٤١) يقترح النظر في وضع معجم خاص بألفاظ القرآن الكريم ، بارك الجامعيون هذا الاقتراح ، ورأوا الامل في ظهور المعجم المرجو ، أن « الدكتور هيكل » كان ممن تمثلوا الفكرة الجامعية التي يقوم عليها المعجم ، والمنهج المحقق لها ، كما دلت على ذلك كلمته التي قدم بها « معجم غريب القرآن » للاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، صفحة و .

وزادنا تفاؤلا مع الامل ، أن المجمع استجاب للاقتراح على عجل ، ففي العام نفسه اذاع انه وضع قواعد للعمل في المعجم ، وفي يناير عام ١٩٤٤ ، وافق المجمع على تأليف لجنة للمعجم ، من بين اعضائها « الدكتور هيكل » صاحب الاقتراح

لم تمض عشرة اعوام ، خلنا فيها ان المشروع قد تم ، حتى اخرجت الينا المطبعة الاميرية في هذا الموسم « الجزء الاول من « معجم الفاظ القرآن الكريم » مبتدئا بحروف الهمزة ، ومنتهيا عند حروف الثاء .

واذا كان ظهور هذا الجزء بعد تلك السنين الطوال ، شبه مفاجأة لنا ، فقد كانت المفاجأة حقا هي ان المعجم الجديد جاء على غير ما توقعنا او رجونا .

فليس في المعجم اشارة ما ، تدل على ان اللجنة الموقرة قدرت اساس الحاجة الى معجم جديد ، او ادخلت في حسابها تطور دلالات الكلمة وتغيرها ، وانما سارت اللجنة في وضع معجمها ، على الشرح اللغوي للكلمات ، وذكر مشتقاتها ومصادرها ان كانت افعالا ، فاذا كانت اسماء اكتفى بذكر معانيها ، وحين يكون للكلمة القرآنية معان مختلفة ، ينص عليها جميعا ، ويبين نوع الفعل والمصدر ، ويذكر المشتقات التي وردت في القرآن الكريم من هذه المادة .

وواضح ان هذا ، لا يتصل من قريب او بعيد ، بما دعت اليه الحاجة من المعرفة الاشتقاقية التطورية لدلالة الكلمة ، لنفهم على ضوئها المعنى القرآني اللغوي لها في عصر نزوله .

ونشأ من تجاهل التطور اللغوي ، صعوبة تمييز المجاز من الحقيقة في اللفظ القرآني ، ففي مادة (أبق) مثلا ، جاء في المعجم الجديد ان معناها في قوله تعالى عن يونس « اذ أبق الى الفلك المشحون » الفرار ، على سبيل المجاز .

وهو قول لا يسهل التسليم به ، فيونس — عليه السلام — عبد لربه ، وتسمية فعله اباقا يقوى بكونه حقيقة ، ولا مقتضى لجعله مجازا .

كذلك لم تقف اللجنة ، عند اصالة الكلمة في العربية او طروئها عليها ، مع ان معرفة ذلك اصيل واساسي لتحديد معناها وبيان تطورها ، اذ يعين على ذلك ، استعمالها في لغتها الاولى .

وغريب ان يمر معجمنا الحديث بألفاظ « أب » بتشديد الباء — وأبابيل ، وبرج ، وتابوت ، مثلا ، دون تعرض لاصالتها او طروئها على العربية في الوقت الذي نقرأ فيه اهتمام المستشرقين الاجانب ، بالبحث عن اصل كلمات : « قرآن ، وكتاب ، وسورة ، وآية .. » مع ان اساتذتنا المجمعيين اولى بمثل هذا

وندع ذلك كله ، لننظر فيما بين ايدينا من عمل المجمع في الجزء الاول من معجمه ، فلا نرى بنا حاجة الى التنويه بما يحمل من آثار الجهد المبذول والعناية البالغة والخدمة الوافرة ، فما نرى من هذا بمستكثر على معجم تصدره هيئة علمية رسمية كالمجمع ، وماظن الناس بمعجم تؤلفه او تضعه لجنة كبرى من المجمعيين ، فيهم اصحاب الفضيلة المشايخ : حمروش ، والخضر حسين ، والمغربي ، وشلتوت ، وخلاف ، والاساتذة : الدكتور هيكل ، وعلى عبد الرازق وابراهيم مصطفى ، تعاونهم لجان فرعية من الاساتذة المساعدين ، ندبوا لها من الازهر والجامعة ووزارة المعارف ، فضلا عن الكتاب والموظفين الاداريين !

بل ما ظن القارئ بمعجم يجند له كل هؤلاء ، ويفسح لهم في الزمن بغير حساب ، ليخرج جزءه الاول بعد عشر سنوات من بدء العمل فيه !

كل مظهر من مظاهر الاتقان في عمل كهذا ، غير مستغرب ولا مستكثر ، وانما المستغرب ان يخرج المعجم المجمعي ، وفيه ظاهرة نقص او خطأ ، كتلك العثرة التي تقع عليها العين في الصفحة الاولى من المعجم ، نكاد نراها في دقة مابعدها من صفحات ، اذ نقلت الآية الرابعة من سورة الممتحنة هكذا :

« وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله ورسوله »

مع ان نص الآية الكريمة في المصحف هو :
« ... حتى تؤمنوا بالله وحده »

ونرى في تفسير المعجم للالفاظ القرآنية ، تفاوتا يلفت النظر : فبينما نلاحظ على بعض المواد قصورا في البيان ، كقولهم في مادة الم :
« الم كفرح بالم الما احس بالالم » وفي مادة بيض : يقال أبيض — هكذا بالهمزة — اي صار أبيض » .

وهو تعريف بالمعرف نفسه ، او هو الدور كما يقول المناطقة .

وكقولهم في مادة آية : « وقيل لكل جملة في القرآن بين فاصلتين آية ، علامة على ماتضمنته من احكام وآداب ونحوهما » وهو تعريف غير دقيق ولا جامع ، فضلا من حاجته الى تعريف الفاصلة .

بينما نلاحظ مثل هذا القصور ، نرى في مواضع اخرى ، اطالة في شرح الفاظ لا تحتاج الى بيان ، كقولهم في مادة بصل :
« البصل هو النبات المعروف الذي رأسه تحت الارض تخرج منه اوراق انبوبية جوفاء كثيرة ويؤكل نيئا ومطبوخا واحدته بصلة »

ومثل قولهم في مادة (بقرة) :

« ... وهي الحيوان المعروف المستأنس ذو الاظلاف المشقوقة لونه الى الصفرة غالبا ويستخدم في الحرث ويتخذ للبن واللحم »

وقد نقلت العبارتين هنا ، كما جاءتا في المعجم بغير ترقيم ، مسجلة بهذا ما اعوز المعجم من عناية دقيقة بعلامات الترقيم ، وبخاصة حين يترتب على اهمالها فساد المعنى واضطراب السياق

وبعد فلقد شجعني على ايراد هذه الملاحظات ما اعرفه من سعة صدر الاساتذة الكبار ، وما قرأته في المعجم من (تنبيهات) نص التنبيه الرابع منها على « ان اللجنة تتقبل بالغبطة والشكر كل ما يقدم اليها من ملحوظات على هذا المعجم ... وترسل الملحوظات بعنوان المجمع اللغوي بالقاهرة » .

ومغزى بعد هذا ، انني ممن قرأوا معجم « مفردات القرآن » الذي وضعه « الراغب الاصفهاني » — الله يرحمه — بمفرده ، منذ نحو الف سنة ، تقدمت بعدها الدنيا ، واستحدثت دراسات لغوية كان من حق المجمع علينا ان ننتظر آثارها في معجمه الجديد

قاموس الثورة المصرية

عرف « الاستاذ احمد عطية الله » بنشاطه في التأليف ، وهو حريص فيما ينشر من كتب على تبسيط المعلومات كيما يتيح لجمهرة القراء ، الالمام بما يحتاج اليه المواطن من ثقافة عامة وقد ظهر هذا الحرص في « دائرة المعارف الحديثة » التي نشرها عام ١٩٥٢ ، كما ظهر في مؤلفه الجديد : « قاموس الثورة المصرية » الذي نقدمه اليوم الى القراء .

في هذا القاموس ، يتابع « الاستاذ عطية الله » الاحداث الكبرى التي المت بالبلاد منذ ثارت ثورتها التاريخية على الطغيان . وقد نهج المؤلف في تنسيق موضوع الكتاب نهجا جديدا ، فنسق تاريخ الثورة في مواد مرتبة ترتيبا ابجديا ، ففي مادة (اتفاق) مثلا ، اقرأه يقدم خلاصة موجزة لاتفاق الاحزاب الاتحادية في نوفمبر ١٩٥٢ ، واتفاق الاحزاب السودانية في يناير ١٩٥٣ ، واتفاق المعونة الفنية بين مصر وامريكا في مارس ١٩٥٣ ، واتفاقية السودان ، واتفاقية مياه النيل

وفي حرف التاء ، يتحدث عن تأميم الطبع ونظام التأمين الاجتماعي ، ونظام التأمين والادخار ، والتجارة الخارجية بعد الثورة ، ووزارة التجارة والصناعة ، وتحديد الملكية ، ومجلة التحرير ، ونظام التحكيم ، والتسعيرة والتطهير ، والتعاون ، والتعليم في وضعه الجديد والتعويض وتفتيت الملكية والتل الكبير والتشكيل السياسي في العهد الماضي والتحرير وتنازل الملك والتهرب من الضرائب والتوسع الزراعي .

وعلى هذا النسق ، يمضي المؤلف حتى حرف الياء ليتحدث عن يوم التسعيرة ، واليوزباشي ، ثم يلحق بالقاموس بيانا لاهم الاحداث العامة والسياسية في مصر ، منذ يوم ٥٢/٧/٢٣ الى يوم ١٩٥٤/١/٢٢

وهكذا يجد القارئ في « قاموس الثورة المصرية » مرجعا قريبا لشئون مصر العامة في العهد الجديد ، وتاريخ قادته ورجاله ، ويقع القاموس في ١٧٢ صفحة من القطع المتوسط موضحة بالصور والارقام ، ويطلب من (مكتبة الانجلو) بالقاهرة ، وثمن النسخة عشرة قروش .

دليل المكتبات

ونشرت « مكتبة الصباح الجديدة بالفجالة » (دليل المكتبات) الذي وضعه « الاستاذ مدحت كاظم » الامين بدار الكتب المصرية ، ليجد فيه المعنيون بأمر المكتبة المصرية ، ما يعين على الاثارة من هذا الجانب الهام في حياتنا الثقافية ، ويساعد على تحقيق النهضة الجديدة التي نيطت بالمكتبات .

والدليل اقسام ثلاثة : تحدث الاستاذ كاظم في اولها عن اهمية المكتبات ووظيفتها ، والشروط التي يجب ان تتوفر في امنائها ، ثم شرح في القسم الثاني نظام تصنيف المكتبة وترتيبها على احدث النظم ، مع بيان لانواع البطاقات واجراءات التسجيل والاستعارة : اما القسم الثالث فيقدم دليلا مرشدا للمكتبات المصرية ، واهم المكتبات في الخارج .

وذيل الدليل ببيان لدور النشر والمكتبات التجارية في مصر والسودان والعراق وسوريا ولبنان .

ويرجو الاستاذ كاظم ونرجو معه ان يكون هذا الدليل بداية تسير مع الزمن ، وتستكمل حظها من الدقة والاتقان والتوسع . !

بنت الشاطىء
من الاهرام

التاريخ : ٢٠ / ٤ / ١٩٥٤

في حياتنا الادبية

جمرة من نار !

للدكتورة بنت الشاطئ

يعز على كثير من المشتغلين بالنقد ، ان يتعرضوا لداعية المتاعب التي يلقاها الناقد عندنا ، وان يدركوا مدى الاذى الذي يتعرض له حين يحمل امانة النقد ويؤديها بقلم غير مزور ولا ماجور ؛ ذلك لان كثيرا من المؤلفين عندنا قد تربوا في جيل لم يعرف النقد الحق ، ولا جرؤ على ان يخوض معركته ، بل القراء ان يستقبل كل كتاب لهم بآيات المدح العاطر والثناء المسرف ، وان يلقب صاحبه بنابغة العصر وعبقري الاوان وفريد الزمان

وظلت حياتنا الادبية تفتقد النقد الرشيد النزيه ، الجدير وحده بان يرعى حركة التأليف ويسدد خطاها ، فيحمل المؤلفين على اطالة النظر في بضاعتهم قبل ان يخرجوها الى الناس

وتسيرت مصر الواعية بما تخرج المطابع تباعا من انتاج اعوزته الرقابة الناقدة والتوجيه المثمر ، وعز عليها ان تذهب الجهود الضخمة في بناء من الورق ما كان اعوزه واشباهه ، لولا الخطر الكامن فيه ، فمن هذا الورق يستمد ابناء الشعب غذاءهم الروحي ، ومنه يأخذون المادة التي تبني عقولهم وتشترك في توجيه مصايرهم ، فأي خطأ او ضلال او انحراف في « الكتاب » ، يجني على القراء جناية لا تقاس بها جرائم الاعتداء على الجسم والمال

وكان من الممكن ان تستمر جهود التأليف والنشر في الامة السكان المتوى السلم لامة طامحة ، وان يستغل « الكتاب » اكرم استغلال في خلق جيل من الشباب ، بريء من سقم التفكير وخلل المنطق ، ومرض النفس وضعف الوجدان ، لو ان حركة النقد بدأت عندنا مبكرة ، ورافقت حركة التأليف ، موجهة مشجعة ، لكنما اخر النقد عندنا ان الذين حملوا الاقلام قبل هذا الجيل ، كانوا هم المؤلفين ، ولقد ساعدت الامية الفاشية على رفعهم من الجماهير درجة بل درجات ، فاذا هم في علاهم يطعمهم الشعور بالتفوق ، ويتلقاهم الغرور ، واذا كل ما يلقون به الى العامة دونهم ، اجل عندهم من ان يناقش واسمى من ان ينقد

وابعد بهم الغرور فنزهوا اللاهوم من النقص والخطأ ، والغفلة والنسيان ، كأنما برئوا مما يجوز على البشرية من كل ذلك

وجنوا بهذا على انفسهم بقدر ما جنوا على القراء ، فقد حال ظنهم بالاقلام المعصومة ، دون التجويد والاتقان ، واستكبروا على المراجعة فاذا بالحيوية تتسرب من اقلامهم مع الزمن ، في الوقت الذي كان فيه وعي القراء ينضج ويزداد ، بحكم التطور والثقافة وانتشار التعليم

- وبدأت حركة النقد تظهر مع الوعي الجديد ، فتجاهلها الكتاب المترفعون واستهانوا بها ، واستصغروا شأن الاقلام الفتية التي ظهرت تراجع وتؤاخذ ، وترد وتناقش ، في رشد واستنارة . وعز عليهم ان يحاسبهم « هؤلاء التلاميذ الصغار » او يتطاولوا الى مناقشة العمالقة الضخام ، ذوي الاسماء الرنانة والصيت العريض

ومن هنا اتى المؤلفون الكبار ، فات تجاهلهم للنقد المكروه ، ام يعفيهم من نقد القراء انفسهم ، هؤلاء الذين جاوزوا مرحلة الطفولة الفكرية وباعوا سن الرشد العقلي ، فلم يعودوا يتقبلون مؤلفات الكبار دون نظر او مراجعة ، ولا عاد الاسم اللامع فوق غلاف الكتاب ، يكفي وحده للاقبال عليه في لهفة وتقديس ، كما كانوا يفعلون في الامس الدابر .

وهكذا اخذ السادة المؤلفون على غرة ، فاذا بمؤلفاتهم التي كانت تتخطفها الايدي يوم ظهورها ، تتكدس في مخازن المطابع ودور النشر بضاعة كاسدة لا تجد من يشتريها .

وكما ساعدت عصور الاقطاع والاستبداد والطغيان على احاطة « طبقة الكتاب الكبار » بحصانة تجعل مؤلفاتهم مصونة لا تمس ، بدأت الروح الديمقراطية للعصر ترتاب في المقدسات الامس ، وتأبى العصمة على بشر ، وتدفع الاقلام الحرة الى ان تمس كل ما تخرجه المطابع دون ان تعصمه منها ضخامة اسم او رنين جاه

ولم يكن من الطبيعي ان يمضي المؤلفون بعد هذا في تجاهلهم للنقد واحتقارهم اياه واستهانتهم بامرهم ، فشبوها معركة حامية ؛ قامت على اساس مشروع من الدفاع عن مراكز مكسوبة ، ولكن بسلاح غير مشروع

ذلك انهم بدلا من ان يواجهوا النقد في شجاعة ، ويتقبلوا ما كان منه نزيها غير مأجور ولا مزور ، ويصغوا الى ملاحظات النقاد في شيء من سعة الصدر وروح التسامح ؛ بدلا من هذا واجهوا النقاد بعداوة حاقدة ، وتركوا الحديث في (الموضوع) والرد على (الناقد) ليخوضوا في حديث منكر عن اصل الناقد وفصله ، وبيته واسرته ، وهكذا نقلوا المعركة من خصومة رأي وهي نبيلة ، الى خصومة شخصية وهي ضيقة .

وصار النقد عندنا اشبه بجمرة من نار ...
فلا عجب ان استنكف كثيرون من خوضها ، فتخلوا من حمل امانة النقد ، ايثارا للسلامة والعافية

وتوارت آلام كانت مرجوة لان ترقب الانتاج الفكري وتزنه بموازين منضبطة ، مبرأة - قدر ما تحتمل البشرية - من الاشتفاء والحقد ، والهوى والمجاملة ، والخوف والتزلف ، تضع الحق فوق الصداقة والخصومة جميعا ، وتجهر بالرأي في شجاعة مصدرها اداء الواجب وراحة الضمير

ولعل المؤلفين الكبار ، لو ذكروا معنا وصية « مرمر » شيخ الامام مالك ، في قوله : « اذا اخطأ العالم (لا ادري) اصيبت مقاتله » لما رأوا في النقد ما يجرح عظمتهم او يزلزل جلالهم ؛ فالعالم يظل عالما مع الخطأ ، فاذا ظن في نفسه العصمة من الخطأ ، فقد اصيبت مقاتله ...

ولعلهم كذلك لو وعوا ما روي من قول امير المؤمنين ، ثاني الخلفاء الراشدين : « اصابت امرأة واخطأ عمر » لما استعظموا على ناقد مهما يصغر سنه او يهن امره ، ان يهتدي الى مأخذ فات الكبار اللامعين ، او يدرك خطأ غاب عن الاعلام المشهورين ، ولما اتهموا ناقدا بان وراءه من يلقنه النقد !

ترى ماذا يكون حال الادب عندنا ، لو اتخذ كل مؤلف شعارا له كلمة الجاحظ :

« ينبغي الا يكتب احد كتابا الا وهو معتقد ان كل الناس عدو له ، وكلهم عالم به متفرغ له » ! !

التاريخ : ٢٤ / ٤ / ١٩٥٤

حول النقد

شعاع من النور !

للدكتورة بنت الشاطىء

لم يكن فى حسابى ، يوم كتبت كلمتى من مخاطر النقد فى اهرام الثلاثاء الماضى ، بعنوان « حفرة من نار » ، ان هناك صنفا جديدا من المتاعب كتب علينا ان نقاسيه ، نحن الذين رضينا ان نحمل امانة النقد ، ونخوض معركته .

حتى تلقيت رسالة بتوقيع « سكرتير لجنة معجم الفاظ القرآن الكريم » بالمجمع اللغوى ، يرد فيها على الذى كتبت عن هذا المعجم منذ ايام ...

واتجاوز عما يمس شخصى من الرسالة ، لانى عندما اسميه ظاهرة تبدو جديدة فى معركة النقد ، وان تكن غير جديدة فى حياتنا العامة .

تلك هى ان من الناس من يتعجلون قراءة النقد ، او يأخذونه خاطئا ، فيفهمون من عباراته ما لم يقله الناقد ، ومن لم يتصدون للرد على ما توهموا انه قاله !

وفى ذلك عناء يتجشمه النقاد فوق ما يتجشمون من خصومة المؤلفين !

ورسالة اليوم تقدم لنا مثلا صريحا فى محاسبة الناقد على ما لم يكتب ، ولذلك جئت الان اعرضها لقراء لقراء ، لا لكى اشهد القراء على ما نلاقى ، ولكن لكى ارجو الذين يسرعون فى القراءة ، شيئا من التروى والاناة ، قد يعفيهم من مشقة الرد على ما يكتبون ، ويوفر عليهم الانفعال بالخصومة ، او الغضب لما يظنونه قسوة فى المؤاخذة !

بدأ السيد السكرتير رسالته ، بالاشارة الى ما فهمه من نقدى ، من انى تعجبت لان اللجنة امضت سنين عددا فى اخراج هذا الجزء من المعجم ، مع ان الذى فى مقالى هو ما نصه :

« .. بل ما ظن القارىء بمعجم يجند له كل هؤلاء ، ويفسح لهم فى الزمن بغير حساب ، فيخرج جزءه الاول بعد عشر سنوات من بدء العمل فيه ! .

.. كل مظهر من مظاهر الاتقان فى عمل كهذا غير مستغرب ولا مستكثر ، وانما المستغرب ان يخرج المعجم المجمعى وفيه ظاهرة نقص او خطأ ... »

ولو تروى السيد السكرتير فى قراءة عبارتى ، لما عنى نفسه وقلمه بالدفاع عما حسبنى اعده ماخذا ، لكان مما قاله فى هذا الدفاع ، اننى كتبت منذ شهرين مقالا آخذ فيه على بعض الناس تعجلهم فى طلب نشر تراثنا الادبى قبل ان يتم جمع اصوله وتحقيقه ، كما اعتذر بان « معجما اوربيا ظل خمسين سنة او اكثر فى اعداد معجم لغوى » .

ونسى الكاتب ان العمل فى المعجم شىء آخر غير تحقيق النصوص وجمع مخطوطاتها الاصيلة من انحاء الدنيا ، كما نسى فى اعتذاره ان معجم المجمع خاص بالفاظ كتاب ، وليس معجما لمفردات لغة ، وياما ابعد الفرق بين الاثنين !!

واشتغل السيد السكرتير للرد على ما لاحظته من ان المعجم ظهر على غير ما توقعنا ورجونا ، حين انتقدنا معجما يحدد دلالة الالفاظ القرآنية فى عصر نزوله ، تحديدا ينحى عنها الدلالات الدخيلة والطارئة التى استحدثتها الحياة فى اللغة بعد ظهور الاسلام ، وجاءت بها الى العربية تيارات وافدة من الاقاليم المفتوحة .

لكان رده ان المجمع لم يفته هذا لكنه لم يشأ ان يفعل ! واختار هذه الطريقة التى ظهر بها المعجم من تتبع الالفاظ والمواد فى القرآن ، وتبيان سورها وارقامها !

وانا ما اخذت عليهم قط انه فاتهم التفكير فى هذا ، وهل اوتيت علم الغيب حتى اعلم ذلك ! وانما الذى لاحظته هو ان المعجم الذى بين ايدينا ، « لا يتصل من قريب او بعيد بما دعت اليه الحاجة من المرحلة الاستقرائية النظرية لدلالة الكلمة ، لنفهم على ضوئها المعنى القرآنى الاصيل فى عصر نزوله .. »

اما عن المنهج المختار فاقول للسيد السكرتير ان اصحاب هذا الشأن يعرفون كتبا قديمة وحديثة ، غربية وعربية ، لمسلمين ولغير مسلمين ، فى احصاء هذه المواد وتتبعها ، واستقصاء الاستعمالات القرآنية ، وتبيان سورها وارقامها وايسر هذه الكتب يغنى عن التتبع من جديد ، و « يرشد » الى ما استعمله القرآن من الصيغ المختلفة لكل مادة ، و « يهدى » طالب الفاظ القرآن ، الى موضع كل لفظ من الاية والسورة !

وكنت قد رجوت الا يغفل المعجم ، من الاشارة فى معجمه الى اصالة الكلمات او طروئها على العربية ، فرد السيد السكرتير بانه ما كان يظن انى اتبع فى هذا الخطأ ، فاحسب ان اعضاء المجمع غفلوا عن ذلك ! والحقيقة ان السادة الاعضاء وضعوا مناهج كثيرة للعمل فى المعجم ، وكان مما طرحوه على بساط البحث : مسألة اصول الكلمات ... لكنهم آثروا على ذلك الطريقة التى ظهر بها المعجم ، ولا ينكر منصف ان هذه الطريقة هى اولى واولى وايسر منهج يمكن اتباعه .

التاريخ : ٨ / ٥ / ١٩٥٤

في المهرجان الألفي لابن سينا :

العالم الأكبر !

مهداة الى الطبيب المصري العالم الأديب الدكتور محمد كامل حسين

للدكتورة بنت الشاطئ

اليوم إذ يلتقي الشرق والغرب ، للاحتفال بذكرى الشيخ الرئيس ، وقد تناسيا أحقادهما الطاحنة الرعناء ، وشغلا عن صراعهما الدامي الرهيب ، ريثما يحتفلان معا بذكرى الفيلسوف الطبيب : « أبي علي بن سينا »

اليوم ووفود العلماء تحج من شتى أنحاء دنيانا المخضبة بالدم ، المجهدة بالتمزق والتعصب ، المتحنة بالخوف والقلق ، الى بقعة بعينها من صميم هذا الشرق ، اتخذها « ابن سينا » مقاما منذ الف عام ، وعاش فيها يجاهد ما استطاع في سبيل تحرير البشرية من أغلال الرق والخوف والمرض ، ويذيب حياته قطرة قطرة ، كما يذوب شمعة في دجى الليل ، بدلا من أن يلعن الظلمات

اليوم أرى من حقنا نحن أيضا أن نتشاغل لحظة عن متاعبنا ومخاوفنا ، لنشارك الانسانية في تحية شيخنا الرئيس ونبارك دعوته الى التحرر !

وما تحيتنا له الا وقفة متأملة ، نصغي الى أنباء المهرجان القائم هناك في ايران ، وتلمح المعنى الخالد الذي من أجله عاش « ابن سينا » ، ملء سمع الزمان ، على تنائي العهد به وبعد الديار ...

ثم نحاول ان نجد من نور ذكراه ، قبسا يهدي هذا العالم الضال ويريح الانسانية المعذبة المتعبة ...

⁂

انهم اليوم يحتفلون بذكراه في ايران حيث أقام ...

ومنذ عامين اثنين ، احتفلوا به في بغداد عاصمة الدولة الاسلامية في القرن الرابع الذي شهد ميلاد أبي علي

ومن قبل ، احتفل به الاتراك لانه ولد في تركستان ...

أما شأن الغرب بهذا الرجل الذي تتنازعه عصبيات شرقية محضة ، ما بين فارسية وعربية وتركية !

لقد احتفل به الغرب قبلنا نحن أبناء هذا الشرق ، حيث ولد وحيث أقام حتى لقي ربه الشرق احتفل به في باريس ، وفي كمبردج ، وفي مونتريال .

وترجم كتابه « القانون » واجزاء هامة من كتابه « الشفاء » الى اللاتينية ، بعد وفاته بقرن واحد !

وعني المستشرقون بدراسته وترجمة آثاره الى الفرنسية ، والالمانية ، والانجليزية ، والاسبانية .

وترجمت « اليونسكو » الى الفرنسية كتابه « الاشارات والتنبيهات » وهي توشك اليوم على الفراغ من ترجمة كتابه « دانشنامه »

وكانت اليونسكو كذلك ، هي التي وجهت انظار الدوائر العلمية في العالم ، الى الذكرى الالفية للشيخ الرئيس ، وذلك في مؤتمرها العام الثالث الذي انعقد في بيروت منذ ست سنين !

فلما استجاب الشرق لندائها ، جاء علماء الغرب يشاركونه في كل احتفال ، على ما بينهما من احن واحقاد ..

ووقف « الاستاذ جب » المستشرق الانجليزي واستاذ الادب العربي بجامعة اكسفورد » في مهرجان بغداد يقول :

« قبل سنتين اشرع امناء مكتبتنا في جامعة اكسفورد ، في ترميم قاعة قديمة للمطالعة ، يرجع عهد انشائها الى القرن السادس عشر وفي أثناء أعمال الترميم انكشف من « كورنيش » من ذلك القرن ، مركب فيه صور تمثل اعاظم الشخصيات في تاريخ الاداب والفنون والتفكير فهناك أفلاطون ، وهناك ارسطاطاليس وجنبهما صورة رجل آخر يختلف رسمه عن الرسوم الاخرى هيئة وشكلا ، وعليه الملابس الشرقية فمن يا ترى هذا الرجل ! واستمرت اعمال الترميم حتى ظهر اخيرا اسم الرجل الشرقي فاذا هو الشيخ ابن سينا »

وقام على اثره المستشرق الفرنسي « لويس ماسينيون » يتحدث عن جهود فرنسا في احياء ذكرى الرئيس ، ثم تلاه المستشرق الاسباني « جارسيا جومث » بحديث عن « اسبانيا ودراسة ابن سينا »

وبعثت المانيا باثنين من اكبر علمائها ، هما « الاستاذ هنريش لينزن : استاذ علم الاثار بجامعة برلين ، والاستاذ ولهلم هونرباخ : استاذ الدراسات العربية بجامعة بون »

كما اوفدت امريكا « الاستاذ كارل كريلنك : عميد المعهد الشرقي بجامعة شيكاجو ، ورئيس المدارس الامريكية للبحوث الشرقية . »

فليت شعري يا ترى كل ذلك الاهتمام ، يراه احد من أبناء هذا الشرق الذي يئن من عدوان الغرب ، ويرى فيه خصمه اللدود !!

بل كيف استطاع الخصمان ان يلتقيا في مهرجان الذكرى ، وما عرفا من قبل الا اللقاء في معارك الصراع المرير !

ان « ابن سينا » لم يكن الفيلسوف الوحيد الذي انجبته الارض الطيبة ، كلا ، ولا كان العبقري الفرد الذي عرفه الشرق قبله وبعده ، لكنما رأى فيه الغرب رمزا بارزا للتلاقي بين تيار الفكر الانساني ، في افقه العالي المرتفع عن حدود الزمان والمكان ، غير المقيد بجنس او وطن ...

ورأى فيه مظهرا كريما لانسانية الحضارة التي لا يستأثر بها غرب دون شرق ، ولا ينفرد بها عجم دون عرب ، وانما هي تراث للبشرية جميعا ، من شتى العصور ومختلف الاجناس

فهذا الفيلسوف المسلم ، والطبيب الشرقي قد استطاع ، ان يلم بثقافة اليونان والرومان ، وان يتصل بالفكر الفارسي والهندي والسرياني ثم يهضم هذا كله ، ويتأثر به جميعا ، دون أن يفقد أصالته ، او تضطرب شخصيته ، او تتعثر خطاه ، فاذا به يخرج الى الدنيا بمزاج فلسفي جديد وأصيل معا ، تآلفت فيه عناصر

نفسي ، في انسجام رائع النغم ..

وقد كان لفلاسفتها العظماء ، فلاسفة أوروبا ، وصلها بالرومان ، فيرا بدلائل الصراع على الآلاف ..

وعلى امتداد القرون ، انتقل التراث الخالد من المعلم الأول أرسطو ، إلى ابن رشد في الأندلس ، ومن ثم إلى سبينوزا في دورة عجيبة التسلسل ، تبدأ انطلاقها من أثينا للإسكندرية لمدينة الرها ، لجنديسابور ، لبغداد ، للأندلس ، ثم إلى أوروبا من جديد !

لقد احتفل به العرب معا ، فإنما يحتفل به لأنه كان أحد الذين حملوا تراثه الفكري القديم حتى ارتد إليه ، فكان نواة البعث الذي عرفه التاريخ باسم « الرينسانس » !

أما الإنسانية ، أوروبا لا يعنيها أن ينتقل هذا التراث إلى الغرب أو يبقى في الشرق ، ولا يهمها أن تكون اليد الممسكة بالشعلة ، عجمية أو عربية ، آرية أو سامية ، صفراء أو بيضاء أو سوداء ، فما لها جنس ولا وطن ، وإنما الذي يعنيها هو أن ، أي شيء ، قد مجد الإنسان وجعل حياته ومواهبه لمعركة نبيلة هي معركة الحرية

وكانت رسالته أن يحرر جسم الإنسان من المرض ، وعقله من الرق ، ووجدانه من الكبت والحرمان ...

ومن أجل هذا ... عن الطب ، والفلسفة ، والفن !

وعن مثال الإنسان المتحرر ، كما أراده ، وعاش المثال الذي حلم به ودعا إليه وكافح من أجل تحقيقه ، ... بملء إيمانه وحماسه :

وتزعم أنك جرم صغير
وفيك انطوى العالم الأكبر !

بنت الشاطئ
من الأهرام

التاريخ : ١٠ / ٥ / ١٩٥٤

كتب جديدة

فى المكتبة الفلسفية

« من بين عشرات الكتب التى تلقيناها فى هذا الموسم، والتى ننتظر دورها كى نقدمها الى القراء ، اخترنا اليوم كتابين فى الفلسفة ، ليكون تقديمهما تحية لذكرى الشيخ الرئيس : ابى على ابن سينا ، فى مناسبة المهرجان الذى يقام له فى ايران احتفالا بمرور الف عام على مولده »

فلسفة ابن طفيل ورسالته : حى بن يقظان

ويبدأ بحديث ... ابن ... وبين « الشيخ الرئيس » من ... ونيفه، يكفى ... ان ... رسالة فلسفية بعنوان « حى بن يقظان » .

والتاريخ يضع مباشرة امام الفيلسوف الاندلسى الاديب « ابن طفيل » وهو فى طور النضج والاكتمال النفسى ، دون ان يحدثنا عن نشأته ومراحل نموه .

ويصمت التاريخ كذلك ، فلا يكاد يذكر لنا ... انه وصل الى منصب الوزارة ... صفحات فى كتاب : « المعجب فى تلخيص اخبار المغرب » ... الاحاطة باخبار غرناطة » .

لكنه ابقى لنا اثرا فريدا من آثار ابن طفيل ... رسالة « حى بن يقظان » من ... الزمن ... الحدثان

وقد اثارت هذه الرسالة اهتمام دارسين فى الغرب والشرق ... « الاستاذ ليون جوتييه » على دراسة تلك الاخبار ... التى وصلتنا من ابن طفيل، ... منها بنتائج ذات بال .

واهتم « الاستاذان جميل صليبا وكامل عياد » بنشر رسالة « حى بن يقظان » .

واليوم يقدم لنا « الدكتور عبد الحليم محمود : استاذ الفلسفة بكلية اصول الدين » كتابا جديدا عن « فلسفة ابن طفيل ورسالته حى بن يقظان » وينشر هذا الكتاب كحلقة جديدة فى « سلسلة الدراسات الفلسفية والاخلاقية » التى يشرف على اصدارها « الدكتور محمود قاسم : استاذ الفلسفة المساعد بجامعة القاهرة » .

والدكتور عبد الحليم ، ... محاولته لاستكمال دراسة الفيلسوف الاديب ، فى اقسام ثلاثة : اولها يتحدث عن حياة ابن طفيل ، حديثا لا يزعم المؤلف انه جاء فيه بجديد من الاخبار لم يهتد اليه الباحثون قبله ، فهم — مثله — يعتمدون على مصادر واحدة ، ... وان انفرد كل منهم بطريقته فى الاستنتاج واسلوبه فى العرض

وفى القسم الثانى ، نص لرسالة « حى ابن يقظان » ... طبعات الرسالة ، حيث يجد الخبراء مجالا ... والمناقشة بينها ، على ضوء المخطوطات ... للنص

اما القسم الثالث ، فهو اهم الاقسام فى تقدير المؤلف ، اذ يقدم فيه محاولة « لفهم فلسفة ابن طفيل فهما ... ، وتحديد مصادرها » ... ابن طفيل ... والغزالى ... بعد ... قرب او بعد ... .

ومجال النقد فى القسمين الاول والثانى ... محدود ، ... لا يسترعينا فيه ... المؤلف من اخراج نص الرسالة :

« واما عن اخراج الرسالة ، فطبعاتها متعددة ، ومخطوطاتها معروفة ، ولكن ... اجتهاده فى ... النص ، ذلك لان ... الاجتهاد هنا ، يشعر بان تحقيق النص ... امر اجتهادى ، مع انه يعرف بلا شك ان التحقيق عمل منهجى له اصوله وقواعده المقررة ، ولا مجال فيه للاجتهاد ، بمعناه الاصطلاحى .

لو ان الدكتور عبدالحليم ، كان يستطيع هنا ان يستدرك ما فات الطبعات السابقة لهذه الرسالة ، بتقديم لنا منها نصا محققا نعرف فيه المخطوطات التى اعتمدها الناشر اصلا للنص ، ويبين لنا درجاتها من الاصالة والضبط ، ويضع بين ايدينا منهجه فى مقابلة النصوص ، وموقفه حين تختلف فى لفظ او عبارة ، لو فعل الدكتور عبد الحليم هذا ، لارتفعت نسخته الى درجة لا تدانيها نسخة اخرى ، لم تتبع مثل هذا المنهج فى التحقيق والتوثيق

وننتقل الى القسم الثالث من الكتاب ، حيث مجال النقد اوسع وارحب ، فنقدر — اول ما نقدر — حرص الدكتور قدر استطاعته على الاستقلال فى الرأى ودقة التعبير ، وهو حرص يبدو واضحا فى حديثه عن مهمة الدين (ص ٣٢) وعن الاخلاق والتشريع (٣٣ : ٣٦) وتفسيره لمعنى الجبر والاختيار (٣٦) لكن هذه ... لمعنى الجبر والاختيار (٣٦) لكن هذه الدقة تعوزه فى مواضع اخرى قليلة ، اهمها عندى ذلك الفصل الذى عقده عن « ابن طفيل والفلاسفة » من ص ١٧ : ٢٣ ، حيث نرى

التاريخ : ١٠ / ٥ / ١٩٥٤

الدارس يهاجم الذين قالوا بتأثر ابن طفيل بابن باجة ، والفارابي ، وابن سينا ، والغزالي . وموضع الخطأ في هذه المهاجمة ، ان الدكتور لم يفرق بين التقليد والتأثر ، والفرق بينهما جد بعيد ، فنفي التقليد عن ابن طفيل ، لا يعني بحال ما ، انه لم يتأثر بأولئك الفلاسفة ، وقول القائلين بالتأثر ، لا يعني كذلك انهم قالوا بالتقليد . وقد عاد المؤلف نفسه ، فقال بتأثر ابن طفيل بمن سبقه من فلاسفة الاسلام ، بل زاد فاعترف بأحدهم منهم (ص ٧٣) والذى نقله الدكتور عمن خالفهم هو انهم قالوا بالتأثر ، ثم مضى في الفصل كله ، يهاجم القول بالتبعية والتقليد !

ولقد قرأت كل ما كتبه الدكتور في هذا ، فما زادني الا اقتناعا باستحالة عدم تأثر ابن طفيل بالفلاسفة السابقين ، وان بقيت شخصيته مع التأثر ، مستقلة متميزة ، وظهرت فلسفته ذات طابع خاص ينفي القول بالتقليد .

وتخطئه الدقة كذلك ، في استدلاله بالآية الكريمة : « ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن » على ان الاديان لا تقر حرية الرأى ، مع ان الله تعالى يقول « ولو اتبع الحق اهواءهم » لا « عقولهم » وفرق بعيد بين اتباع الهوى ، وحرية الرأى !

وتخطئه الدقة مرة ثالثة ، في قوله عن قصة حى بن يقظان لابن سينا :

« قصة ابن سينا قصة رمزية ، سمجة الاسلوب ، عادية المعنى ؛ ولا ادل على ذلك من انك اذا جردتها من رمزيتها ، اصبحت عادية ، يمكن لكل شخص ان يكتبها » ص ١٩ .

وفى الكتاب بعد هذا اخطاء لغوية كثيرة وصفحات ٢٣ – ٢٥ – ٢٦ – ٢٨ – ٣٠ – ٣٢ – ٣٧ لم اكن لاهتم بالمؤاخذة عليها لولا انها في كتاب استاذ للفلسفة بالازهر ، ممن يأخذون انفسهم بدقة التعبير ، ويعرفون ان اى خطأ لغوى قد يفسد المعنى ويضطرب به السياق

في فلسفة ابن رشد
الوجود والخلود

اما الكتاب الثاني ، فمؤلفه زميل للدكتور عبد الحليم ، وهو « الدكتور محمد بيصار : المدرس بكلية اصول الدين »

وموضوعه « في فلسفة ابن رشد ، فيلسوف الاندلس الكبير واشهر شراح المسلمين لفلسفة ارسطو ، واحدى الحلقات الهامة للاتصال بين الفلسفة الاسلامية ، وبين مفكرى الغرب في عصر النهضة والبعث » .

وقد ذكر الدكتور سببين لاهتمامه بدراسة فلسفة ابن رشد : اولهما ان هذه الفلسفة اولى منه بالدراسة من اى طور اخر من اطوار الفكر الاسلامي ، والثاني اهمال دارسي ابن رشد من صعوبة ، لندرة المراجع العربية عنه ، وقلة الكاتبين في فلسفته

على انه لم يشأ ان يقدم لنا هذه الفلسفة جملة في كتاب واحد ، وانما رأى حرصه على التخصص ان يقصر على عرض مسألة بعينها ، هى نظرية ابن رشد في الخلود ، وصلتها برأيه الخاص في وحدة الوجود .

ومثل هذا الشعور بحرمة التخصص ، جدير منا بالتقدير ، ونقدر له كذلك ، تلك المقدمات التى قدمها بين يدى البحث ، والم فيها بعصر الرجل ، وبيئته العامة والخاصة ، وموقفه من الفلاسفة والمتكلمين ، وهو الملم لابد منه لفهم مشكلة دقيقة صعبة كمشكلة الخلود عند ابن رشد

ورسم المؤلف لدراسة هذه المشكلة طريقا ذات ثلاث مراحل : حاول في اولاها ان يجلو رأى ابن رشد في وحدة العقل ، ثم انتقل الى بيان الصلة بين وحدة الوجود ووحدة العقل ، ليفرغ في المرحلة الثالثة لتحقيق رأى ابن رشد في مشكلة الخلود ، على ضوء ارتباطها بوحدة العقل

وادع للمختصين في الدرس الفلسفي امر نقد الكتاب وتقويمه ، مكتفية بان اسجل هنا مأخذا شبه عام ، يلقانا منذ الصفحة الاولى في الكتاب ، ثم يظل يلقانا من بعد . ذلك هو ميل الدكتور بيصار الى ارسال العبارة في غير دقة ، واطلاق الاحكام في غير حذر او احتياط . فنحن نقرأ في صدر البحث ، رأى المؤلف في « ان فلسفة ابن رشد اولى بالدراسة واحوج الى البحث . . . . من اى طور آخر من اطوار الفكر الاسلامي ، فقد توفر لهذه الفلسفة من المميزات ما لم يتوفر لغيرها في اى عصر من

التاريخ : ١٠ / ٥ / ١٩٥٤

عصور الاسلام ...

واحسب ان الاسلوب العلمي لا يستريح لامثال القصص هذه ، ولا يرى شيئا اولى من امر البحث ، انه احسبه يسبق بحكم تام عليه فلا تنسى « اى عصر . . ولا اى طور »

ولعل هذا النقد هو المسئول الى حد ما عما يعتاد احيانا من تعثر او تناقض . من ذلك مثلا قول المؤلف في اختلاف الاحكام على ابن رشد . « ففريق يرى فيه مجرد شارح وملخص لآراء السابقين ، وآخر يراه مزيجا [illegible] بين [illegible] ، وثالث يعده في فيلسوف الملحدين . . وفريق آخر يجعله فخر المسلمين وقدوة المؤمنين . على ان جملة هذه الاحكام **تنحصر في دائرة واحدة او [illegible] في حكم واحد هو ان فلسفة ابن رشد لم تكن الا ترديدا لصدى فلسفة ارسطو ، وتقليدا له في كل ما رآه واعتقده** » ص .

ولا ندري كيف يشترك هذا الفريق الذي **يجعل ابن رشد فخر المسلمين وقدوة المؤمنين ، في حكم واحد عليه ،** بأن فلسفته ترديد لصدى فلسفة ارسطو ، وتقليد له في كل ما رآه واعتقده ! وكيف يقتدى مسلمون بمقلد لعقيدة ارسطو ولكل ما رآه !!

وشبيه بهذا ، تناقض المؤلف في الرد على [illegible] من رأى « كثير من مؤرخي الفلسفة ، [ر]أوا ان الغزالي بكفاحه مع اهل السنة ضد دراسة الفلسفة ، استطاع ان يقضي على الفلسفة في الشرق ، فماتت لم تقم لها بعده قائمة » .

فقد بدأ المؤلف رده بقوله : « ان الفلسفة في المشرق ظلت قائمة على قدم وساق بعد الغزالي ، بل كثر طلابها والمشتغلون بها » .

ثم انتهى في الفقرة التالية الى ما يناقض هذا تماما ، اذ قال : « على انه لم يستطع احد ان يزيد شيئا في اية ناحية من نواحي التفكير على ما تركه المتقدمون ... وانما كل هناك [illegible] واختصار ، او شرح وتعليق ، وما كان للفلسفة ان تبقى في هذا المحيط مغلولة الايدي معروضة الجناح ، دون ان تبحث لها عن وطن جديد .. ذلك الوطن هو الاندلس ... وجدت فرصة [illegible] مداد في الشرق » .

وهكذا انتهى الدكتور بيصار الى رأى القائل بأفول نجم الفلسفة في الشرق بعد الغزالي ، بعد كان ابى رفضه اياه ونقضه في تمهيده والرد عليه !

ونسد ناخذ على المؤلف كذلك ، انه بدأ البحث محددا بفكرة بعينها ، حريصا على اثبات امر بذاته ، وكان الاولى ان يدخل ميدان البحث متحررا من كل قيد الا ما يلزمه به المنهج ، منصرفا عن اى هدف الا الوصول الى الحقيقة مهما تكن .

قال الدكتور : « اما غايتي من هذا البحث [illegible] العرض في مشكلة التصوف على [illegible] ارتباطها بوحدة العصر ... ولعلنا نلحظ ان هذا الهدف يستتبع اهدافا اخرى رتيبة . **فستضطر في طريقنا ، الى اثبات الوحدة العامة في مذهب ابن رشد .** » ص ٦ ولا [illegible]

[illegible]

« .. وكما لا [illegible] ان مذهبا من المذاهب الفلسفية من شمول وحرارة [illegible] لا يحسم مذهب ابن رشد [illegible] .

التاريخ : ٢١ / ٥ / ١٩٥٤

في حياتنا :

مربية الجيل !

للدكتورة بنت الشاطئ

منذ أشهر معدودات ، اعتزلت المربية الكريمة « السيدة انصاف سري » منصبها في وزارة المعارف ، بعد أن نهضت بعبء جليل لنهضتنا النسوية الظافرة

اعتزلته بعد عشرات من السنين ، أمضتها في تربية بنات الجيل ، وأمدت مصر خلالها بمرج بعد فوج ، من المعلمات العاملات والأمهات المستنيرات

ولو أن الأمر لنا ، لأبينا عليها أن تعتزل أو تستريح ، فما زال « تعليم البنات » في حاجة إلى جهود السيدة النبيلة التي رجوناها لرعاية النهضة المباركة ، وانتظرنا اليوم الذي تتولى فيه منصب « المديرة العامة لتعليم البنات » ، كيما تحقق التطور المرجو ، في توجيه هذا التعليم وجهته الصالحة المثمرة ، وتخليصه مما لا يزال يشوبه من شوائب الخطأ والانحراف

لو أن الأمر لنا ، لجندناها للإشراف العام على هذا الجانب الخطير من حياتنا العامة ؛ فما يستطيع رجل مهما تكن مواهبه وخبرته ـ أن يدير هذه الحركة ، ويوجه سيرها ، ويهتدي إلى مواطن الضعف ومظان التعثر

لكن السيدة الفاضلة شاءت أن تستريح ، ومن حقها أن تظفر بما شاءت ، ولو عز علينا وعلى مصر أن يحرم تعليم البنات من إشراف المربية الجليلة التي تدين لها مصر بجيل من المتعلمات !

وعزاؤنا أنها عبدت الطريق ، ورسمت اتجاهه وأنارت معالمه ، وأعدت من تلميذاتها الموهوبات من يستطعن السير نحو الغاية المرجوة

بل عزاؤنا أنها ستبقى إلى جانب هؤلاء التلميذات : مرشدة موجهة ، حافزة مشجعة ، وإن تخلت عن منصبها الرسمي في وزارة المعارف .

كنت أسمع عنها قبل أن أراها ...

وكانت أنباء جهادها الموفق في ميدان التعليم تبلغ سمعي وأنا في بلدتي النائية على شط النيل ، في أقصى شمال الوادي .

وكان كتابها « روضة الأطفال » المتنفس الوحيد لطفولتي الجادة الكادحة ، المشغولة بحفظ القرآن الكريم ، ودرس الحديث والسنة ، وقراءة ألفية ابن مالك ، وحفظ لامية العجم والعرب ، وبردة البوصيري وهمزيته ، وأناشيد ابن الفارض والبرعي

وإني لأذكر الساعة ، كيف كنت حريصة على أن أختلس من أوقات الدرس والعمل لحظات أخلو فيها لكتاب « السيدة انصاف سري » ، حيث أطل على عالم جديد ، بهيج شائق ، لا عهد لي بمثله من قبل ، وحيث تجد طفولتي مراحها ومنطلقها في تلك « الروضة » الساحرة ، لتتحرر حينا من صحبة « ابن مالك » وأشباهه ، لتلهو مع « ذات الرداء الأحمر » وتحنو على فراش « الأميرة النائمة » وتجري وراء خيالها في رحلة عجيبة إلى قصر « الملك ميداس » صاحب « اللمسة الذهبية » حتى إذا أجهدها السحر ، عادت تلتمس في دارها بعض المهملات ، من ورق ، وخيط ، وبكر ، وعلب ثقاب فارغة ، لتصنع منها اللعب الجميلة التي لم يكن لها مكان في دنيا طفولتنا

فإذا اجتمعت بصواحبي وأترابي ، أقبلت أعرض عليهن ما صنعت ، وأقص عليهن مأثرات في « روضة الأطفال » من قصص شائقة ، فيصغين إلي مبهورات مأخوذات ، كأنما أنا عائدة لتوي من وادي السحر ومسرح الخيال

ولم أقدر إذ ذاك مدى تأثير « السيدة انصاف » في حياتي ، حتى كبرت وتعلمت ، فأدركت أنها هيأت لي في تلك الطفولة المجهدة

التاريخ : ٢١ / ٥ / ١٩٥٤

من عناصر التربية السوية والرضا النفسي ، ما انقذني من مصير اليم كنت حتما صائرة اليه ، لو بدت طفولتي حبيسة ماوا القصور الجاد ، بين الجدران والسدود ، محرومة من حقها الطبيعي في اللعب واللهو ، معطلة الحواس مكبلة الفطرة ، مغلولة الخيال ...

لم رأيتها في طرف لا ينسى !

وكنت قد نزحت من بلدتي الى العاصمة ، لأؤدي امتحان « الشهادة الثانوية قسم أول » امام اللجنة الوحيدة للبنات

تلك كانت لجنة « مدرسة الأميرة فوزية الثانوية » وناظرتها السيدة انصاف سري ،

ولم يدر بخلدي قط ، ان التقي « حضرة الناظرة » او اتحدث اليها ، بل كان حسبي ان المحها تمر وهي تطوف بفناء المدرسة ، وتمر بلجان الامتحان ، تحف بها مهابة وجلال !

حتى لمحتني هي ، وانا منكمشة في ثيابي الريفية على استحياء ، وحيدة ، لا زميلة لي ولا صاحبة ، اذ كنت متقدمة الى الامتحان من المنزل

ولم يفتها ما أعاني من وحشة وارتباك ، فأقبلت على تحدثني ووجهها اللطيف يشرق بابتسامة رفيقة حانية ، وسرعان ما انست اليها فرحت اشكو لها متاعبي وهي تواسي ، وتشجع ، وتغري بمزيد من الصبر والاحتمال

واذنت لي ان ألقاها في مكتبها عقب امتحان كل مادة ، فلم يخجلني ان أعترف لها بعد امتحان « الطبيعة » بمتاعبي المضحكة ، حين سئلت عن خاصية الترمس في حفظ الحرارة فحسبته البقل المعروف ، وظننت انهم في المدينة يربطون به الماء على نحو ما نفعل بقرى الشمس

ولم تجد حضرة الناظرة في عثرتي تلك ما يدعو الى السخرية ، بل كان جوابها :

.. « كان الله في عونك ! وهل تستكثرين الخطأ ولديك ماع واحد على نيلك الشهادة الابتدائية ، ولم تري في حياتك معملا ، ولا عهد لك بأجهزة الطبيعة ! اتكلي على الله ، ولا تفقدي ثقتك في نفسك ، فان تفوقك في اللغة وفي المواد الادبية ، يعوض ضعفك في الطبيعة والكيمياء ،

وهكذا لم اعد غريبة ولا وحيدة ، فقد كنت اشعر بسيدتي الكبيرة الى جانبي ، حتى اجتزت الامتحان !

وحفظت لها هذه اليد ، كما حفظت لها من قبل ما اشاعت في دنيا طفولتي من بهجة وانس ومرح !

ولعلها نسيتني بعد ذلك ونسيت عني ، اما انا فظللت من ذلك الحين اتتبع خطاها ، وارقبها على البعد وهي تكافح من اجل الجنس ، وتصنع للوطن جيلا من المتعلمات المستنيرات

وسيذكر لها تاريخنا الاجتماعي والثقافي ، من بعد ، لمصر من عزاء

وسيذكر لها كذلك ، انها لم تصمت الى « وزارة المعارف » ان تحرم السيدة انصاف ، حين رأى فيها القوم شخصية مهيبة ناضجة ، لم يصدها الغرور ، ولا صدتها الظروف ، ولا اصابها البطر وهي تقتحم الميدان وتجلس مع كبار رجال التعليم جنبا الى جنب

وسيذكر لها كذلك ، انها اسهمت في تطعيم هذا التعليم بعناصر تربوية تلائم فطرة الانثى ، وكانت مدارس البنات حتى امس قريب ، تاخذ بنظام مدارس البنين ، وتستعير اساليبه ومناهجه واهدافه ، دون تفرقة ما ، تشعرنا بان القوم قد فقدوا اختلاف الجنسين : طبيعة وعملا وغاية !

ولا اقول ان امر هذا التعليم قد استقام اليوم او كاد ، فما يزال حتى الساعة يأخذ بأسباب من قديم « تقاليده » ، وما يزال حتى اللحظة ، منحرفا بعض الانحراف عن غايته المثلى ، بسبب تخريج موظفات ومربيات ، اكثر مما يسبب تربية امهات الوطن

لكن الذي لا شك فيه ان وجود « السيدة انصاف سري » في وزارة المعارف ، كان كافيا لتنبيه القوم الى ذلك الانحراف ، فبدأت على يديها محاولة ايجاد « التعليم الاسري » وان ظلت المدارس النسوية تخرج الوظيفات قبل الامهات !

وما ذلك الا لان ادارة تعليم البنات تركت في ايدي الرجال ، ولو وضعت سيدة الفضل في مكانها الطبيعي : « مديرة عامة » لتعليم البنات ، وترك لها كل سلطة التوجيه ، ووهبت لها كل الوسائل الممكنة ، لاستطاعت بلا ريب ان تصحح بقية الشذوذ في الوضع الذي طالما شكونا وعانيناه ، ودفعنا ودفعت مصر ثمنه غاليا

لكن حسبها انها حملت العبء ، وبذلت الجهد ، وعرضت صورة كريمة للمربية العاملة

وحسبنا منها ـ كما قلت ـ انها مهدت الطريق وانارت معالمه ، وانها ستبقى الى جانب تلميذاتها مرشدة موجهة ، وقدوة مشجعة

واليها اطيب التحية ، من شاكرة معترفة بالجميل

التاريخ : ٢٤ / ٥ / ١٩٥٤

كتب جديدة

عن جيراننا الأصدقاء !

اثيوبيا في عصرها الذهبي

مطبعة مصر : ١٨٢ ص ق

احتفلت « اثيوبيا » منذ ايام بعيد استقلالها ، وقد رأى احد ابنائها النابهين : « فضيلة الاستاذ عمر محمد على الاثيوبي » ان يكون تحيته لوطنه العزيز ، كتابا يصف نهضتها الحاضرة ونهضتها الحديثة ، ويسجل معالم حياتها في « عصرها الذهبي : عصر هيلا سلاسي الاول »

ويدرك قارئ الكتاب من اول وهلة ، ان الاستاذ المؤلف قد جعل الامبراطور هيلا سلاسي ، رمزا لهذه النهضة الاثيوبية وعنوانا على العصر الذهبي لبلده الصديق ، والمؤسس الباني لمجد الامبراطورية الافريقية في عالم اليوم .

ومن هنا حاول المؤلف جهده ، ان يصور لشخصية العاهل الكبير ، وان يتتبع خطواته من المهد الى العرش ، حيث واجه براجبه الاعتداء الايطالي الغاشم في شجاعة ، ومضى الى ميدان القتال مناضلا عن كرامة بلاده وقومه ، حتى ليؤثر محنة الاغتراب والنفى ، على ان يشترى عرشه بوطنه

وتنتهي المحنة اخيرا ، ويسترد ابو الحبشة حريتها وتستقبل عاهلها العائد في حماسة شديدة لتبدأ عهدا جديدا تتفرغ فيه للبناء والتعمير .

***

وافرد فصلين من كتابه للحديث عن « علاقة الاسلام باثيوبيا » ثم عن « مصر واثيوبيا » . وواضح ان دراسة الاستاذ في الازهر ، واقامته الطويلة بمصر ، قد تركت اثرها في اسلوبه ، ومنهج تفكيره ، واتاحت له ان يصور لنا اثيوبيا في عصرها الذهبي ، تصويرا يمتاز باشراق العبارة وسعة الافق ، ويغلب عليه روح التسامح ، وحماس الايمان الصادق بوطنه والشرق اجمع

والكتاب مفتتح بتحية تصدير كتبها حضرة « الاستاذ عزيز اباظة » ومختتم بتحية شعرية اخرى ، نظمها شاعر مصري كذلك ، هو الاستاذ « عبد المنعم قنديل » .

تاريخ الفتح العربي في ليبيا

دار المعارف – ٢٩٦ ص ق

اما هذا الكتاب ، فيتجه الى غرب وادى النيل ، ليحدثنا عن ليبيا ، الجارة الشقيقة ، ويروى لنا « تاريخ الفتح العربي » فيها ، لكى يكشف لعالم اليوم عن الصلات التاريخية الوثيقة التى تربط ليبيا بالعروبة ، وتجعله قطعة عزيزة من وطن العرب والاسلام

ومؤلف الكتاب ، هو الاديب الطرابلسي « الاستاذ الطاهر احمد الزاوى » الذى نزح الى مصر عام ١٩١٢ ، حيث ظل بها يطلب العلم في الازهر الشريف الى ١٩١٦ ، ثم رجع الى وطنه ليجاهد مع المجاهدين ، فلما تغلب الايطاليون على طرابلس ، هاجر الى مصر حيث اتم دراسته بالازهر ، وتجنس بالجنسية المصرية في عام ١٩٢٠

وقد عز عليه ، بعد ان قرأ ودرس تاريخ ليبيا والعرب ، ان يظل هذا التاريخ المجيد مبعثرا مطويا ، تفتقد في كتب التاريخ جميع ما وقع من امجاد العرب هناك ، حاول المستعمرون واذنابهم ان يطمسوا معالمها ويشوهوا جلالها ، وان يستبدلوا بها تاريخا زائفا مختلقا يباعد ما بين ليبيا والعروبة التى استقرت فيها منذ ثلاثة عشر قرنا ، وربطتها بوشائج وثيقة متينة من الدم والدين واللغة والتراث والتقاليد

ولم يكد المؤلف يدع كتابا ، مما انه يتصل بموضوعه من قريب او بعيد ، دون ان يرجع اليه ويسأله عن ماضى قومه وتاريخ بلده ، حتى اذا توفر له من المادة التاريخية ما يكفى نشطت عكف على تنسيقها في صبر واناة ، ملتزما الصدق والامانة قدر ما استطاع ، وحسبي شاهدا على ذلك ، ان انقل هنا قوله في مقدمة الكتاب :

« وليس ما جمعته هو كل ما كتب ، انما جمعته ، ولكنه كل ما وجدته ، وقد وجدت كل كتب تاريخ افريقيا تنقل عن كتاب « تاريخ الرقيق » فحاولت الاهتداء اليه فلم اعثر عليه في دار الكتب المصرية ولا في غيرها من مكتبات مصر ، واستعنت ببعض من اعرفهم ممن لهم دراية باسماء الكتب ، فلم اعثر لهم على خبر ، واستفدت ان تاريخ الشمال الافريقي في حاجة الى هذا الكتاب ، وان كل كاتب في تاريخ افريقيه ، لم يستعن بتاريخ الرقيق ، في بحث فيما يكتبه الى مدينة »

وقد اهدى « الاستاذ الطاهر » كتابه :

« الى كل ليبى يحطم قيود الاستعمار ويطهر ليبيا من المستعمرين . .

« الى كل ليبى يرفع منار العلم في ربوع ليبيا التى حرمت نوره منذ قرون . .

« الى كل ليبى يعمل لصالح ليبيا والمساهمة في بناء مجدها وتمكين عزها »

المملكة العربية السعودية في عصرها الذهبي

ونشرت مكتبة البرلمان بالقاهرة ، كتيبا عن « المملكة العربية السعودية في عصرها الذهبي » الفه الاديب السيد فؤاد شاكر ، تحية لزيارة جلالة الملك سعود لمصر

والكتاب قسمان ، روى الاديب في اولهما سيرة العاهل البطل ، المغفور له عبد العزيز آل سعود ، ذلك العملاق الجبار الذى صنع شتات امة الصحراء ، وجمعها في ميدان نضال نصف قرن او يزيد ، لتأخذ بلاده مكانتها ، ثم يتحدث في عالم اليوم ، ويصل ما بين حاضرها المزدهر وماضيها المجيد

اما القسم الثاني فاشبه بدليل موجز للمملكة العربية السعودية ، يجد فيه القارئ اعلام رجالها ، وشهور مدنها ، والحديث عن عاهلها ومنشآتها العمرانية

بنت الشاطئ
من الاهرام

التاريخ : ١ / ٦ / ١٩٥٤

كتب جديدة

في الموسم الكريم

رأينا لمناسبة هذا الموسم الديني الكبير أن نقدم الى قرائنا ما تقدمه مكتبة الاهرام من كتب دينية ، مشاركة منا في الاحتفال .
بشهر رمضان المعظم ، الذى انزل فيه القرآن هدى للناس
ويرى القراء معنا ان المجال المحدد لهذا الباب ، يضيق عن العرض المفصل والدراسة النافذة لكل كتاب من مجموعة اليوم ؛ ولذلك نكتفى بتقديمها

محمد ، الثائر الاعظم

دار الهلال بالقاهرة

تفتتح هذه المجموعة ، بكتاب عن « محمد ، الثائر الاعظم » كتبه السيد وزير الدولة « الاستاذ فتحى رضوان » احد الذين شاركوا فى صنع ثورتنا ، ثم فى حمل اعبائها الثقال ومسئولياتها الجسام

ولسنا نقدم « الاستاذ فتحى » الا بوصفه مؤلفا لم يتخصص فيه ، فهو لا يزاول الكتابة احترافا او ارتزاقا ، وانما يكتب ما يكتب من عقيدة وايمان . ثم هو الى جانب هذا ، يحترم قارئه فلا يتقدم بمقال او كتاب الا بعد دراسة دقيقة واعية او فترة ، مع انضاج للفكرة وعناية بالاسلوب ، ومن هنا لا يخطئه ان يلمس وجدان القارىء وان يظفر فى الوقت نفسه بتقديره واحترامه ، حتى حين يختلف معه فى الرأى او المذهب

مهد الاستاذ الوزير لحديثه عن « الثائر الاعظم » بفصول ثلاثة ، تتناول فيها « حاجة الناس الى الدين ، وكيف نشأ الدين ، والدين ثورة وكفاح » وقد استغرقت هذه الفصول نحو ستين صفحة ، ومنها خلاصة وافية مركزة لعشرات من الكتب والمقالات التى تعرضت لموضوع « الدين » والانسان ، والمجتمع ، هنا فى الشرق ، او هناك فى الغرب ، حتى اذا بلغ المؤلف من هذا ما اراده من تقدير حاجة البشر الى الدين ، وتصحيح ما شاع من اوهام خاطئة من « الافيون المخدر الذى يتعاطاه الناس ليفروا من الحياة وليستأثر بها الطغاة والغاصبون » وقف فى خشوع امام فراش الرسول قبيل رحيله للقاء ربه ، حتى اذا صعدت روحه الطاهرة الى السماء جاء صاحبه الصديق فكشف عنه الغطاء وتأمله مليا ثم قال :

« بابى انت وامى يارسول الله ، ما اطيبك حيا وما اطيبك ميتا » على حين وقف « عمر ابن الخطاب » وقد ابى اول الامر ان يصدق ان الرسول يموت ، ثم آب الى ربه خاشعا ، واطرق مفكرا متأملا ، يسترجع ذكريات الحياة الطيبة لمن بعثه الله بشيرا ورسولا ...

وتعود بنا الذكريات الى اليوم الخالد الذى ولد فيه « محمد بن عبد الله » ثم تمضى فى تتابع ، لتقص علينا حديث ذلك الثائر الاعظم الذى تمرد على الشرك ، وحطم الاوثان ، وانكر الطغيان ، وحارب الكفر والضلال فى ثورة جبارة عاطفة ، هادمة بانية ، لتغير مسار الدنيا ومجرى ومجرى التاريخ ، ومنحت الانسانية دينا هاديا يصل البشرية باسباب السماء ، ويفك عنها اغلال الوثنية المذلة التى تمتهن اقدس واعز ما فى الانسان !

فقه السيرة

دار الكتاب العربى : ٢٥٩ ص لـ

ويقدم فضيلة « الاستاذ محمد الغزالى » الى قرائه كتابا جديدا فى « فقه السيرة » لم يخضع فيه للنهج المألوف فى كتابة السير ، ولم ينقل الينا ما ملأ كتب السيرة والتاريخ الاسلامى من اخبار ومرويات عن حياة « محمد بن عبد الله » عليه الصلاة والسلام ، وانما قرأ هذا كله ووعاه ، ثم مضى يدرس « الرسالة » التى بعث بها رسول الاسلام ، ويتقصاها من مصادرها النقية واصولها الصافية ، واعانه على هذه الدراسة ثقافته الدينية الواسعة ، واتصاله الوثيق بالسنة والشريعة ، وخبرته الفقهية التى انضجها الدرس الطويل والمرانة الممتوة

واستطاع ان يظفر من هذا كله بمادة اصيلة فى « فقه السيرة » رآها جديرة بان تعرض على المسلمين الذين هم فى اشد الحاجة الى ان يلتمسوا فى حياة قائدهم الرسول ، ما يعينهم فى كفاحهم اليوم من اجل حياة افضل

وقد بدأ اضواءه يتتبع هذه الصحائف من « رسالة وامام » والرسول العام ، ومن الميلاد الى البعثة ، والباحثين عن الحق ، والرعيل الاول ، والهجرة ، والصراع ، والاستقرار ، حين كان تسلمته فى المدينة المنورة ناعما بالجوار الطيب ، مطيفا بالبقاع التاريخية الخالدة التى شهدت المعارك الاولى بين الاسلام والشرك ، والصراع الدامى بين التوحيد والوثنية ، ووراء القلة المؤمنة الصابرة ، تلقى الكثرة الكافرة ذات العدة والعدد ، فاذا النصر للايمان ، واذا القوة المعنوية تغلب القوى المادية باذن الله

والقارىء يجد اثر هذا الجو الملهم فى اسلوب فضيلة المؤلف ، كما يلمس مادته اثر الدراسة الفقهية والاطلاع الواسع ، ومن هنا جمع الكتاب بين حماس المؤمن وحرص الدارس ؛ فلم تعوزه شجاعة الرأى ، ولا حرارة الدعوة المخلصة الى « فقه السيرة » المجيدة ، لنبينا المبعوث بآخر رسالات السماء !

امير الانبياء

مطبعة العلوم — ١٠٤ ص م

وهذه ايضا سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام ، منظومة فى ملحمة شعرية ذات خمسة فصول ؛ ساقها الزميل الشاعر « الاستاذ عامر محمد بحيرى » الذى بدت طلائع شاعريته منذ كان طالبا فى كلية الاداب ، وقد اخرج اذ ذاك ديوانه الاول « الزورق الذهبى » ثم اتيح له من بعد ذلك ان يرحل الى الجزيرة العربية ، اهزته نشوة روحية نادرة ، اذن عنها شعره « على درب الالهام » وهذا هو يقدم عمله الشعرى الامجد ، فى قصته « امير الانبياء » حيث مضى يتغنى بامجاد الرسول ، ويروى سيرته المباركة فى فصول خمسة ، فكانما الفصل الاول منها الى ما قبيل البعثة ، ومضى بنا الثانى الى « جبل النور » حيث لاح الشعاع الاول من نور الاسلام ، فبدأت قصة الجهاد والعذاب والاضطهاد ، ثم انتقل بنا الشاعر وراء رسولنا الكريم حين اوى مع صاحبه الى الغار ، ثم حين اخذ طريقه الى يثرب ، فكانت الهجرة نقطة التحول الحاسمة فى تاريخ الدعوة ، اذ انتقل بها الرسول وصحبه الى « الميدان » وراحت قيثارة الشعر ترجع اصداء معركة « بدر » الكبرى ، وتصف ما كان عند سفح احد ومن وراء الخندق ، ثم تنشدنا نشيد « الفتح »

وقد سمى الشاعر قصيدته الكبرى « ملحمة قصصية شعرية » واراد بها ان يسد فراغا في الشعر العربي الذي لايزال في حاجة الى جهود ضخمة كي يتسع للملحمة ، ومع تقديري لحرم المحاولة ، احسب ان النقاد قد يترددون في تسمية هذه المنظومة القصصية « ملحمة » لان معنى الملحمة — كلفظها — يرجع الى الحديث عن الحرب اولا وقبل كل شيء ؛ ولا يلزم الاطار الملحمي الحماسي ، والملحمة في لسان العرب « هي الحرب وموضع القتال ، والجمع الملاحم ماخوذ من اشتباك الناس واختلاطهم فيها ... والملحمة الحرب ذات القتل الشديد ، والوقعة العظيمة في الفتنة »

على انه مهما يكن راي النقاد في مكان هذه القصيدة بين فنون الشعر ، فهم بلا شك يقدرون جلال موضوعها ، ويحيون بهذه الشاعرية المواتية التي استطاع بها الزميل ان ينظم السيرة النبوية في الف ومائتي بيت دون ان ينقطع نفسه او تضطرب فيسود السطر الى المدوان على المادة التاريخية لسيرة امير الانبياء

وقد اهدى الزميل قصيدته الكبرى الى « السيد الاستاذ العالم ، الدكتور سليمان حزين وكيل وزارة المعارف المساعد » .

بردة الصبا

في مدح الرسول المجتبى

ونظم فضيلة « الشيخ علي محمد عاشور الازهري ، المدرس بوزارة المعارف » قصيدة مؤثرة في مدح الرسول الكريم ، على نهج البردة للامام البوصيري ، وقد استهلها الناظم بقوله عاطفي حار :

> يامادي العيش بالالحان والنغم
> الهبه عاطفي بالشعر والكلم
> جيت الليالي لقلبي جم انشبة
> تشلي المعنى من الاحزان والالم
> حديثك العذب للاسقام يشفيها
> لمالك الدهر لم يبرح اخا سقم
> انت مثلي صب في الهوى دنف
> شجاك حب بمن يهوى بذي سلم !

ثم انطلق مترنما بشمائله ويعدد بجهاد الرسول ويروي سيرته ، ثم اذا به يلتفت الى حالنا اليوم فيؤزه الاسى ويثار نغمه تغرس في لحن حزين ، يرثي ما ذهب من مجد ماضينا ، ثم يلوذ برسول الله في استغاثة وتوسل ومناجاة والقصيدة تشهد لناظمها بشاعرية دافقة ووجدان حي وحس مرهف ، وهي في راينا جديرة بان تاخذ مكانها الى جانب القصائد التي عارض بها الشعراء الامام « البوصيري » في بردته الخالدة :

> امن تذكر جيران بذي سلم
> مزجت دمعا جرى من مقلة بدم ؟
> ام هبت الريح من تلقاء كاظمة
> واومض البرق في الظلماء من اضم ؟

النيل في ضوء القرآن

دار الكتاب العربي — ١٢٥ ص م

اما هذا الكتاب فمؤلفه فضيلة « الاستاذ الشيخ احمد الشرباصي المدرس بالازهر الشريف » والذي قرانا له من قبل مؤلفات شتى في الدين والمجتمع ، والتاريخ الاسلامي ، اتسمت بطابع التحرر والمرونة ، والاتصال بالدنيا من حولنا

وهو في معركتنا الكبرى من اجل تحرير وادي النيل ، يقدم الينا بحثا طريفا ، محاولا ان يبعث ما تؤديه المعركة من صدى مؤنس في وجداننا ، وان يلتمس لها اساسا دينيا من عقيدتنا ، لتنجلي مكانة النيل في نور قراننا ، حتى يزداد ايماننا به ، وحرصنا عليه ، وتضحيتنا له »

وقدم فضيلته بين يدي البحث مقدمات عدة حول الموضوع ، الف بما جاء عن النيل في اللغة والتاريخ ، وبعض ما قاله الشعراء فيه والمنصفون المنهجيون ، ثم انتقل الى المجال الديني فتكلم عن النيل في الحديث الشريف ، وفي القران الكريم ، حيث نراه يتتبع ما جاء في الكتاب عن المياه والانهار بعامة ، ثم عن النيل بخاصة ، حتى اذا تلا اية الزخرف : « ونادى فرعون في قومه قال : ياقوم ، اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي » وقف فضيلته عند هذه الاية طويلا ، وراى فيها ، وثيقة الهية ، سماوية ، قرانية ، تنص على ان مصر يستحيل ان تقوم حتى يشمل النيل الممتد الموحد ... وان النيل بفروعه وروافده — وهو المعني عنده في الاية بقوله : الانهار — داخل في صميم هذه الدولة فكانها ليست دولة الشمال فحسب ، ولا دولة الجنوب فحسب ، ولكنها دولة وادي النيل الموحدة من المنبع الى المصب »

وعلى هذا النسق يمضي فضيلته في دراسة موضوعه ، من غير اعتساف في التاويل ، حتى يبلغ غايته عند قوله تعالى :

« وان هذه امتكم امة واحدة ، وانا ربكم فاتقون »

واذ نقدر للاستاذ سلامة المنهج في تناوله موضوعا قرانيا بحثه في احداث العصر ، و استجابته الطيبة لدعوة العاملين الى وصل الدين بالحياة ، نرجو ان يحقق البحث هدفه المرجو ، من امداد تغذية وادي النيل بمصر قوى من العقيدة والوجدان

بنت الشاطئ
من الاهرام

التاريخ : ١٤ / ٦ / ١٩٥٤

كتب جديدة

أحمد لطفي السيد في "الجريدة"

كنت من بين الذين أسعدهم زمانهم بالتلمذة لمعلم الجيل « الأستاذ الكبير أحمد لطفي السيد » بل كنت من بين خاصة تلاميذه ومريديه الذين يعتزون به أبا وصديقا ، ويباهون بما أتيح لهم من هذه القربى .

ولطالما راودتني أماني بأن أعكف على الكتابة عن ذلك الأب الصديق والأستاذ المعلم الذي رأينا فيه الصورة المثالية للجامعية الأصيلة ، والجوهر المصفى لمثلها الكريم ، لكني كلما هممت بالكتابة ، ردني عنها شعوري العميق بأن الموضوع أكبر مني ، وإحساسي الصادق بأنني مازلت في حاجة الى مزيد من النضج والكفاية ، لكي أكون أهلا للكتابة عن أبي الجامعة .

حتى تلقيت منذ أيام كتابا عن « أحمد لطفي السيد » ألفه الزميل « الدكتور عبد اللطيف حمزة » حلقة سادسة في سلسلة دراساته « لأدب المقالة الصحفية في مصر » وتناول فيه جانبا خاصا من شخصية أستاذنا وأعني به « كاتب الجريدة » الذي حققت فيه الصحافة المصرية ذروة سموها ، وبلغت به قمة سموها الجاهد نحو التطور والكمال .

وقد بدأ « الدكتور حمزة » دراسته بمقدمات ثلاث ، تلقي ضوءا على الظروف القومية التي دعت الى ظهور « الجريدة » والتيارات السياسية المتصلة التي كانت تتجاذب مصر من يمين ومن شمال ، والعوامل البيئية التي صقلت الشخصية المصرية في لطفي السيد وركزت فيه فضائلها وآمالها ومثلها ، وجعلت منه الرائد الأمين الذي « يجر أمته دائما الى المثل الأعلى في الحكومة ، وفي التربية ، وفي الأخلاق ، وإن يكن من أكثر كتاب زمانه تقيدا بالواقع الملموس في الحياة المصرية ذاتها ، يدركه ادراكا جيدا ويحسه احساسا جيدا ويحسن الملاءمة بينه وبين المثل الأعلى الذي ساق اليه أمته — ص ٣٨ » .

وينتقل الدكتور حمزة من هذه المقدمات الى حديث عن « حياة لطفي السيد » ترامه مذكرات كتبها أستاذنا في أربعة عشر عددا من أعداد مجلة المصور عام ١٩٥٠ ، وفيه نرى البذرة الأصيلة تنبت في الأرض الطيبة وتتعهدها عناصر تربة صالحة ، بلغت بها أقصى المدى نموا وازدهارا ، فأثمرت « رجلا من رجالات مصر » أنعم الله به عليها ، فكان مثلها الفكر وراسها المدبرة ، ومثلها الأعلى في سمة الأفق ومتانة الخلق .. يرى الفترة الحقيقية هي لترة العمل ، والكمال الحقيقي هو كمال الروح ، ولميزه صراحة صادرة من شعور بالكرامة ، وسمو حقيقي في الادراك والعواطف — ص ٦٨ » .

ويمضي بنا المؤلف بعد ذلك ليصحب « لطفي السيد في الجريدة » مؤرخا بذلك حقبة زاهرا من تاريخنا الصحفي ، اذ الصحافة لها حلقة باسم صحافة الرأي الأمينة على الأمة الحارسة لمرماها ، المقربة لها بمعالي المثل وكريم الأهداف .

ثم تلاه بعد هذا خاتمة تعرض بلاء لطفي السيد في الميدان السياسي كداعية للمصرية ، وفي الميدان الفني والنساني كمعلم مرموق ، وفي الميدان الاجتماعي كرسول للقومية المصرية يبشر بها ، ويعلن عن وجودها ويعرض في ذالة الشيلة التي خصائصها ، ويستشف أكرم ما فيها من عناصر الخير والعزة والطموح ، والإباء .

والزميل الدكتور « حمزة » جدير بأن يهنا على ما أتاحه له حظه من الكتابة عن أستاذنا الجليل ، وما بي حاجة الى أن أؤكد له أنني قرأت كتابه من أوله الى آخره ، قراءة واعية متدبرة ، وإن كنت أعترف في الوقت نفسه بأن شعوري بجلال الشخصية التي يترجم لها ، جعلني شديدة التنبه لأدق الأخطار وأبسط الهنات !

وأول ما لاحظته على الكتاب ، أن الزميل تعجل اخراج كتابه قبل أن يتيح له فرصة الانضاج والمراجعة ، ومظهر هذا التعجل ، أن منهجه في التناول غير واضح المعالم ، فهو يبدأ بالحديث في صميم الأحداث الكبرى وصلة أستاذنا بها ، ثم يثني بالحديث عن حياته ، وكان الأولى أن يجعل من هذه الحياة تمهيدا

طبيعيا لما يعدها من مكان لعصر السيد وحياة مصر ، ليعنيه ذلك من استطراد التطويل ، وتكرار الفقرات (ص ١٠ مع ص ١٨٠) والإحالة الى ما سبق شرحه قبل أوانه : ص ١٤١ .

وكان من أثر هذا التعجل أيضا ، ما فات الكتاب من أخطاء جزئية في التاريخ (ص ٢٢) أو في التعبير (١٨٥) ، الى جانب أخطاء مطبعية وتصويرية كثيرة ، يضطرب بها السياق أحيانا وتخل بالفكرة ، (صفحات : ١٢ ، ٤٦ ، ٦٨ ، ٨٢ ، ٨٥ ، ٩٠ ، ٩٦ ، ١١١ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٢ ، ١١٣ الخ ، وكنت يحسن التجاوز عن المؤاخذة على أخطاء كهذه لو لم يكن الدكتور حمزة أعلاما لتلك المؤاخذة ، ولو لم يشتد مر عليها ، بتعليقه على خطأة لغوية عابرة في احدى مقالات الجريدة (ص ١٣٠)

واذا تجاوزت عن هذا المأخذ ، بقى مأخذ آخر يتصل بمادة الكتاب ، فقد اعتمد الدكتور في حديثه عن حياة استاذنا على سرد مذكراته ، كما اعتمد في بيان تاريخه في الصحافة على نقل مقالاته في « الجريدة » ، وكنا نؤثر لو جعل من هذه المذكرات والمقالات مادة لدرس لا مادة لكتابه ، بحيث يستخلص منها العناصر الكبرى لشخصية استاذنا ، بدلا من أن يسوقها سردا متتاليا على السرد الجاف ، وحسبي هنا أن أتى بمثل أو اثنين ، يمثلان الفرق بين مذهب الدكتور حمزة في التأليف والمذهب الذي نؤثره

ففي حديثه عن الثقافة الاسلامية لاستاذنا يكتفي بأن يشير الى « أنه أحسن بها احساسا قويا » وذلك عن طريق الملازمة الشخصية في الدهر كبيوم « التي ذكر استاذنا أنه قرأها ، وفات الدكتور حمزة أيضا ، أن يرد هذه النزعة الى اعداده الأول للدراسة الأزهرية (ص ١١) والى ملازمته لجمال الدين الافغاني وصداقته للشيخ محمد عبده (١٨) والى صلاته الادبية في الحقول التي كان من بين أساتذتها الشيخ حسونة النواوي وحسن [illegible] ومصطفى محمد (ص ١٦) والى جواره للشيخ حسونة [illegible]

على مسرحه حتى كان يمدت اليه لينزا في درس الفقه الذي يعده الشيخ ليلقيه بالأزهر في بكرة الغد (ص ١٧)

وكذلك في حديثه عن موقف استاذنا من المرأة المصرية، يكتفي بأن يقص ما يقص ما كتب الاستاذ دفاعا عنها ، وما عمل من أجلها ، وكان الواجب أن يرد هذا الموقف الى تتلمذه الاولى لاحدى السيدات ، فقد تعلم أول ما تعلم في كتاب القرية ، « وكانت صاحبته سيدة تدعى الشيخة فاطمة ، تمكث فيه ست سنوات تعلم فيها القراءة والكتابة ، وحفظ القرآن كله - ص ٣ » .

وما نرتاب في أن استاذية هذه الشيخة التي قال عنها تلميذها لطفي :

« والى هذه السيدة يرجع الفضل في تنشئتي في السنين الاولى - ص ٣ » قد تركت الأثر العميق في تقدير الاستاذ الكبير للمرأة ، حتى تم على يديه تحقيق أجل وأخطر مرحلة من مراحل التطور في تاريخنا الاجتماعي ، بفتحه أبواب الجامعة للطالبة المصرية في غفلة من الحكومة ومن الامة نفسها (ص ٧)

وفي بيان جهود استاذنا في الميدان الأدبي ، جعل المؤلف همه أن يسرد ما كانت « الجريدة » تنشره من مقالات للأدباء ، وهذا النشر في ذاته يفسر بلا شك من بيان أثر شخصية لطفي السيد في الاتجاه الأدبي للجريدة

لكني أعود فالتمس للزميل عذره ، واذا كنت قد تهيبت الكتابة عن استاذنا مع قربي منه وترددي عليه في كل حين ، فكيف بالزميل الذي لم يتح له أن يتصل باستاذنا الا لماما ، وفي أوقات متباعدة نادرة ؟!

وللدكتور حمزة بعد هذا كله ، بل رغم هذا كله ، فضله الذي لا يجحد في وضع كتاب كهذا بين أيدي شباب الجيل الذي لم يسعدوا بتلمذة استاذ الامة ، ولم تتهيأ لهم النعمة الكبرى التي تهيأت لتلاميذ لطفي السيد ، وسمو .

بنت الشاطيء

من الاهرام

كتب جديدة

في القرآن والحديث

سنن ابن ماجة

دار احياء الكتب العربية – ١٤٦٢ ص ق

سبقنا المستشرقون الى خدمة كتب السنة، كما سبقونا الى احياء تراثنا العربي القديم، بما نشروا من امهات الكتب العربية، واداموا من اسفار مطولة، وحققوا من نصوص اعوزها من يرعاها من اهلها، مع انهم أولى بها، وأقوم لها، وأجدر بأن ينشروا ميها

ومن بين ما وردته الينا مطابع الاستشراق، كتابا «مفتاح كنوز السنة» و«المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي» المطبوعان في مطبعة بريل، بمدينة «ليدن» في هولندا، وهما يدلان على موضع كل حديث في الصحاح والسنن، ويرشدان الباحث الى مكانه منها

ولكن الاستعانة بالمعجمين، ظل هذا في الشرق شبه معطل، نظرا لحاجة الدارسين ماسة الى فهارس لكل اصل من اصول كتب الحديث الثمانية، ثم الى طبعات جديدة لهذه الاصول، تتبع الترقيم الذي اعتمد عليه واضعو المفتاح والمعجم.

وبدا أن المهمة تحتاج الى عالم محقق الهرور على السنة خبير بها، فكان لنا في السيد «الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي» هذا العالم المرجو

ومنذ عشرين عاما، وهو دائب على عمله في هذا الميدان، لم يضن بجهد ولا وقت ولا مال، وقد نشر فهارس الاصول الثمانية لكتب الحديث، طبع ثلاثة منها على نفقته بمصر، وطبع الخمسة الباقية في مدينة «ليدن»

ثم عكف على نشر كتب السنة النبوية مرتبة الكتب والابواب والاحاديث، ليتم بذلك تيسير الانتفاع بالمعجمين الى أبعد مدى،

وقد بدأ السيد الاستاذ بنشر «موطأ الامام مالك» في عام ١٩٥١، ثم ثنى بكتاب «سنن ابن ماجة» الذي قدم المجلد الاول منه الى قرائنا في اول فبراير الماضي، واليوم يتاح له ان يكمل اخراج هذه السنن، لينشر المجلد الثاني منها، نشرا علميا متقنا، قام على الجهد الباذل والدرس الشاق والعمل المتأني، وتهيأت له من وسائل الضبط والتحقيق والخبرة، مع صدق الرغبة في خدمة العلم واحياء السنة، ما يرتفع بهذه الطبعة الى المستوى العالي الذي طالما رجوناه وانتقدناه.

ولعل من قرائنا من يذكرون أنني رجوت – حين قدمت المجلد الاول من السنن – لو ان السيد المحقق وضع بين أيدي القراء والنقاد مقدمة يهدي الى النسخ التي اعتمدها في تحقيق النص، ويبسط منهجه في هذا التحقيق، ويشير الى عمل المستشرقين في هذا المجال، وهذا هو يلقانا اليوم بكل ما رجونا، في خاتمة ذيل بها المجلد الثاني من «سنن ابن ماجه» وفيها بيان مفصل لقيمة هذه السنن، ومنزلة صاحبها بين علماء الحديث، والنسخ التي نشر منها، والمراجع التي رجع اليها في التوثيق والضبط، ثم انتهى ذلك الفهرس بمفتاح لاحاديث الرسول – صلى الله عليه وسلم – القولية، مرتبة حسب اوائل كلماتها، وامام كل حديث في المفتاح، رقمه الدال عليه، بحيث يهتدي اليه الباحث بمجرد ذكر اول كلمة منه.

ولست احد تقديرا يكافئ الجهد المبذول في هذا العمل الجليل، سوى الدعاء للاستاذ المحقق، بأن يوفقه الله الى اكمال نشر الاصول الثمانية لكتب الحديث، وان يعينه على الصبر على ذلك العمل الذي نشرف به العصبة من الرجال

خطب رسول الاسلام

مطبعة الشعراوي بطنطا – ٤٢٠ ص ق

لعل هذه هي المرة الاولى – فيما اذكر – التي تجمع فيها خطب رسول الاسلام عليه الصلاة والسلام، اذ عهدنا بها متفرقة موزعة بين كتب الحديث، والسير، والمغازي، والتاريخ، حتى وفق الله فضيلة الاستاذ «الشيخ محمد خليل الخطيب – المدرس بالمعهد الاحمدي في طنطا» الى جمعها من هنا وهناك، ثم نشرها مبوبة محققة، مصنفة في ستة عشر بابا، يبدأ اولها بخطب الرسول في الجهاد وعددها ست وستون خطبة، وقد أرفق فضيلة الشيخ الخطيب، كل خطبة من خطب الكتاب بمراجعها، ثم عكف على خدمتها تفسيرا وشرحا، فوضع بذلك بين أيدي دارسي الادب والسيرة والحديث، مرجعا قريبا سهل التناول، لخطب الرسول العربي الذي بعث بالقرآن الكريم، كتاب العربية الاكبر، ومعجزتها البلاغية الخالدة

تفسير القرآن الكريم

ونشرت دار المعارف، الاجزاء: السادس والسابع والثامن من تفسير القرآن الكريم الذي يشترك في وضعه السادة الاساتذة: محمود حمزة، وحسن علوان ومحمد احمد برانق،

ويبدأ الجزء السادس بتفسير قوله تعالى في سورة النساء: «لا يحب الله الجهر بالسوء من القول» وينتهي بتفسير قوله تعالى في سورة المائدة: «قل: يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق، ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل»

اما الجزء الثامن فينتهي بتفسير قوله تعالى في سورة الاعراف: «فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين»

ولعل قرائنا يذكرون ما قدمنا به الاجزاء الاولى لهذا التفسير من تقدير لما يحاوله الاساتذة الثلاثة من مشقة، كي يضعوا بين يدي عامة القراء تفسيرا واضحا مبسطا، مع العناية بأسباب النزول

واليوم نسجل للاساتذة الافاضل استجابتهم لما طلبنا من ترقيم الآيات وبيان السور، فلقد استدركوا في هذه الاجزاء الثلاثة ما فاتهم من ذلك في الاجزاء الاولى، فجاءت اقرب الى تحقيق غايتهم النبيلة ودلت على حسن تقبلهم للاحظات النقد في غير ضيق ولا تبرم من التصويب، ولا استهانة بأحد النقاد

على مائدة القرآن

دار الكتاب العربي ٢٠٠ ص م

• يشتغل الأديب الحجازي « الأستاذ أحمد محمد جمال » منذ حين بوضع سلسلة من الدراسات القرآنية ، تختص كل حلقة منها بموضوع من الكتاب الكريم

وقد صدرت الحلقتان الأوليان بعنوان «ما وراء الآيات» و«نماذج من القصص الرمزي للقرآن» واليوم تصدر الحلقة الثالثة «مع المفسرين والكتاب» وفيها دراسات نقدية لآراء ومذاهب طائفة من هؤلاء وأولئك ممن اشتغلوا بدراسة القرآن أو تفسيره ، قدامى أو محدثين

تفسير القرآن الكريم
في دائرة العلم والعقل والواقع

وأخرجت « دار النشر بالمعجزة (?) » محاولة جديدة في تفسير القرآن الشريف ، نهج فيها الباحث « السيد أحمد نايل رشيد (?) » ... نهجا خاصا ؛ وذلك أنه اطمأن بعد طول تأمل ودرس ، إلى أنه ليس مما يليق بجلال هذا الكتاب السماوي أن نأخذ كلام الله تعالى على معانيه الحرفية الظاهرة ، لأنه كلام البشر الرائق الحسي (?) ، وإنما الواجب أن نبحث من كنوز القرآن في معانيه الباطنة ، عن الجديرة بأن تكشف لنا من العجب العجاب ، مما لا عين رأت ولا أذن سمعت من البدائع والمعجزات !

وهو يعرض علينا الجزء (?) ، ما استطاع أن يهتدي إليه مما وراء الظاهر ، في ثلاث من قصار السور : « الهمزة ، والشمس (?) ، والزلزلة » مبينا في كل سورة منها بيان المعنى الظاهري الحرفي ، ومثبتا ما يقصده بالمعنى الباطني الروحاني ، على ضوء التتبع الدقيق الدوران (?) ... في القرآن ، مع الحرص على أهم المعنى [illegible] يلائم زماننا [illegible] الأولى (?)

والجهد [illegible] ... ونسأل من [illegible] ... منهج [illegible] في التفسير ، لم [illegible] وإبداء الرأي فيه .

بنت الشاطئ

من الأهرام

التاريخ : ١٩ / ٧ / ١٩٥٤

كتب جديدة

في الشئون الاقتصادية

« لست من المتخصصين في شئون الاقتصاد والمال ، ولا أنا ممن يصبرون على قراءة الابحاث والمؤلفات فيها ، اللهم الا ان يلزمني بهذه القراءة واجب العمل . وقد اتيح لي ان امضي بضعة أيام في صحبة ثلاثة كتب تلقتها مكتبة الاهرام ، والتمسني واجبي ان اطالعها لاقدمها الى القراء . ويعنيني هنا أن اسجل ظاهرتين هامتين : أولاهما أن الكتب الثلاثة من تأليف اساتذة جامعيين ، والثانية هي اتجاه البحث فيها جميعا الى حياتنا الحاضرة واهتمام الاساتذة الدارسين بالمشاركة في تدعيم نهضتنا القومية ، ووضع خبراتهم وجهودهم في خدمة الاقتصاد العام ، وتزويد العاملين في هذا المجال بالاسس العلمية لبناء الصرح المرجو لحياتنا الجديدة . »

البيوع
والمعاملات المالية المعاصرة

وتبدو هذه الظاهرة بوضوح ، في الكتاب الذي الفه « الدكتور محمد يوسف موسى بجامعة القاهرة » عن « البيوع والمعاملات المالية المعاصرة » فالمؤلف استاذ للشريعة الاسلامية بكلية الحقوق ، لم يرضه ان يظل الدرس الفقهي في عزلة عن حياتنا ، بل وجه دراسته للبيوع – وهي باب من ابواب الفقه الاسلامي – توجيها يصلها بالمعاملات المالية المعاصرة : وحاول ان يطبق الاحكام المستخلصة من كتاب الله المحكم ، وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام تطبيقا يشمل ماتراه من التصرفات والمعاملات المالية في بلدنا ، وعصرنا .

ويقدم الاستاذ محاولته هذه بكلمة جاء فيها « اشتدت الدعوة بان تقوم نهضتنا في التشريع والقانون على اسس قوية من الفقه الاسلامي ... ومع هذا ، فلم نجد فقيها واحدا في مصر تناول ببحث شيء من هذه المعاملات وبيان حكم الله فيها : وبذلك يبدو للناس انا غير جادين في طلب ان تكون هذه الشريعة الاساس الاول او المصدر الرسمي للقوانين التي تحكم البلد بها .

« لذلك رأينا ان نفتح باب البحث والاجتهاد في هذه الناحية ، معتقدين ان هذا من واجب فقهاء العصر » ص ٤ .

واحسب ان القارىء لايغيب عنه ماتنطوي عليه هذه الفقرة من دلالة بعيدة المدى . واحسبه كذلك يقدر صعوبة المحاولة في ميدان كهذا ، يقول المؤلف انه لم يجد رائدا له قبله ولا عرف احدا قد سبقه تمهد له الطريق او جلا بعض معالمه ، ويزيد في صعوبتها ان الدكتور المؤلف ، حريص اشد الحرص على الا يخرج في بحثه واجتهاده من نطاق معين محدود بل انه ليُنكر اشد الانكار ان يحاول احد غيره – اليوم او غدا – الخروج من هذا النطاق فيقول في صفحة ١٦ :

« ولا ندري ماذا يبقى للشريعة الاسلامية اذا رفضنا آراء الفقهاء بالقرآن والسنة ، ثم رفضنا السنة اكتفاء بالقرآن ثم جعلنا القرآن محتملا النسخ – بعد ان تم نزوله وكمل الدين به – حسب المصلحة ، كما يزعم اي زاعم الآن وفي المستقبل من الزمان »

واكد هذا المعنى في صفحة ٢١ ، ثم عاد لزاده تأكيدا في صفحة ٢٢ .

وفي حدود هذا النطاق ، مضى الاستاذ يرتاد الطريق التي لم يسبقه اليها رائد ، ليعرف رأي الفقه الاسلامي في المعاملات المالية المعاصرة

والاستاذ المؤلف ، يلقانا في اول الكتاب بكلمة سريعة عن الشريعة والفقه ، ثم يمضي على عجل الى الباب الاول ، حيث راح يرد في حماس واسهاب على الذين اباحوا – باسم المصلحة – الاجتهاد مع وجود النص . وقد استغرق هذا الدفاع ما يقرب من ربع الكتاب ، فلم يتح للدكتور ان يعرض « منهجه في البحث » قبل صفحة ٤٢ .

وبدأ في القسم الثاني يدخل في صميم الموضوع ، فتحدث عن البيع وما يتصل به من بحوث ، ثم عرض في القسم الثالث للمعاملات المالية المعاصرة ورأي الفقه الاسلامي فيها ، منتهيا الى بعض مقترحات عامة رآها جديرة بان يأخذ بها التشريع الاقتصادي الحديث ، اذا اراد حقا ان يقيم احكامه على اساس من الفقه الاسلامي .

والمحاولة اهل للتقدير الصادق ، وهي حسبنا من رجل الشريعة الاسلامية مهما يكن الرأي في مدى توفيقه فيها .

ولرجال الفقه والاقتصاد بعد هذا ، الكلمة الاولى في نقد الكتاب وتقويمه ، اما نحن فقد كنا نرجو لو ان الاستاذ الدكتور اخذ بسماحة الاسلام ، في جداله مع من يخالفونه في الرأي او المذهب . ولست ادري ممن نرجو مثل هذه السماحة اذا لم نرجها في استاذ للشريعة بالجامعة ، جمع الى الثقافة الاسلامية الاصيلة ثقافة غربية واسعة ! بل لست ادري اين نلتمسها اذا افتقدناها في محاولة كهذه ، قائمة – او يجب ان تقوم – على سعة الافق ورحابة الصدر ومرونة التفكير !

لولا ان الدكتور موسى مرجو عندنا ، لما كرهت له ما حفلت به الصفحات (١٢ : ٢٣) من عبارات جارحة ، وحملة قاسية على من سماهم « جماعة لا يباليها الله ولا المسلمون ولا احد من اولي الالباب – ص ١٢ » ، ولما انتظرنا ان تخلو مناقشته لآراء نفر من علماء المسلمين ، نشرت في صحف اسلامية كالمنار ومجلة الاسلام من حدة الانفعال وثورة التجريح وتهمة المروق من الاسلام والكيد لاهله واعلان انهم « جماعة عمدوا الى حل عرى الدين عروة بعد عروة ، فبدأوا بالطعن في آراء الفقهاء ، وفي التنفير من الاخذ بها مادامت تتعارض احيانا فيما بينها ولان اصحابها رجال ونحن رجال ، ثم لنا لاتنفرت من المعين الاول الذي اغترفوا منه ! يعنون الكتاب والسنة ، وهذه كلمة حق يراد بها باطل » ص ١٤

ويبقى بعد هذا اخطاء جزئية ليست بذات بال ولعل منها مايحتاج الى مزيد من دقة التعبير

التاريخ : ١٩ / ٧ / ١٩٥٤

فلا يكون خطأ ، كذهاب الدكتور في ص ١٢ الى ان الحديث هو ما صدر عن الرسول من قول نقط ، ومثل ذهابه في (منهاج البحث) الى وجوب « تقديم النص المكي على المدني » ص ٤٣ ، مع ان من النصوص المدنية ماجاء متأخرا في الترتيب الزمني عن نصوص مدنية

وفي المجال القول هذا ، فما الدكتور الاستاذ عندنا بالذي يجهله ولا هو بالذي يرى في حديثي عنها ما يمس مكانته العلمية او يهون من تقديرنا لجهده المبذول

دعائم الانتاج العالمي
وللتجارة الدولية

وللدكتور « لبيب سعد القشلوي ، مدرس الجغرافية الاقتصادية بمعهد التربية للمعلمات في جامعة ابراهيم » كتاب جديد عن دعائم الانتاج العالمي والتجارة الدولية ، قدم فيه الى الذين يعنيهم هذا الموضوع صورة واضحة حديثة للاوضاع الدولية للانتاج والتجارة في شتى السلع ومختلف المواد وذلك بعد ان مضت على انتهاء الحرب الثانية سنوات ذات عدد ، استطاع الانتاج والتجارة خلالها ان يقطعا شوطا بعيدا في سبيل النمو والاستقرار

الأقاليم

مهد الدكتور لكتابه بمقدمة عن عناصر الاقليم الطبيعي ، والاقاليم المناخية الكبرى ، ثم بدأ بالحديث عن الغلات الزراعية انتاجا وتجارة فدرس نظم الانتاج الزراعي ومانعنيه الزراعة الحديثة ، والمحصولات الزراعية الهامة ومكان الزراعة في عالمنا الصناعي

وانتقل بعد ذلك الى الغلات الحيوانية ثم الغلات البحرية ، وافرد الفصل الاخير من كتابه لعرض مقارن للانتاج الزراعي والسكان في مصر قبل الحرب العالمية الثانية وفي متوسط سنتي ١٩٥١ و ١٩٥٢

واكثر كتب الجغرافية الاقتصادية يتجه الى علم الجغرافيا اكثر مما يتجه الى جانب الاقتصاد بحيث يمكن اعتبارها من الكتب الجغرافية البحتة ، على حين يبدو الدكتور لبيب حريصا على ان يحفظ التوازن هنا بين العلمين ، مهتما بدراسة مدى التفاعل بين العوامل الجغرافية الاقليمية ، والعوامل الاقتصادية الاساسية ، كما حرص في الوقت نفسه على ان يقيم بحثه على احدث الاحصاءات مقتنعا بدلالة الارقام الى مدى بعيد ومسايرا بذلك الاتجاه العلمي الحديث في الدراسة والبحث

النظرية الاقتصادية

مكتبة النهضة المصرية : ٣٥٣ ص ف

وصدرت طبعة ثالثة من كتاب « النظرية الاقتصادية » تأليف « الدكتور عبد المنعم البنا المدرس بكلية التجارة في جامعة القاهرة » وفي نفاد الطبعتين الاولى والثانية مايدل على ان الكتاب قد سد فراغا في ميدان الدرس الجامعي للاقتصاد كما يدل في الوقت نفسه على اهتمام الدكتور البنا بمتابعة الابحاث المستحدثة في عالم الاقتصاد فلا يقف بالكتاب عند طبعته الاولى بل يضيف اليه مايتصل بموضوعه من هذا الجديد المستحدث

وموضوع الكتاب دقيق صعب وقد يبدو لاول وهلة نظريا جافا ، لكن الدكتور البنا بذل جهدا موفقا في عرضه باسلوب مبسط ، كما ابدى عناية بالجانب العملي التطبيقي للنظرية الاقتصادية وبخاصة فيما يتعلق منها بالاستهلاك وطبيعة الانتاج وعوامله ونفقاته وتنسيقه والتبادل والدخل القومي والنقود والسياسة النقدية ، والتجارة الخارجية وعلاقة الانسان بموارد المعيشة

وقد اقامه على هذا التطبيق سعة في الاطلاع ومرونة في التفكير تبدو واضحة من الصفحات الاولى ، حيث نراه لايعزل المجال الاقتصادي عن سواه من نواحي الحياة ، بل يقدر صعوبة رسم حد فاصل بين النشاط الاقتصادي وبين الانواع الاخرى للنشاط الانساني ، فيدخل الاقتصاد في نطاق العلوم الاجتماعية التي تجعل محور دراستها الانسان من حيث هو فرد يعيش في جماعة

وبهذا الربط بين الاقتصاد والمجتمع استطاع الدكتور المؤلف ان يبث في موضوعه روحا من الحيوية ، وان ينقل البحث من الميدان النظري البحت ، الى مجال الحياة الرحب حيث نرى الوضع الاقتصادي يتفاعل مع الاوضاع الاقليمية والاجتماعية تأثرا وتأثيرا ويشارك في تقرير الحل الحاسم لادق المشكلات الاجتماعية كالهجرة ، وتحديد النسل ورفع المستوى الصحي والثقافي للشعب

في الشرق الاوسط

يموج الشرق الاوسط باحداث جسام ، تنبئ عن تطور لعله حاسم في المجتمع الشرقي

ويرى قادة الفكر والاقتصاد والسياسة ، ان حركة الاصلاح الزراعي هي مدار التطور في هذه المنطقة التي يعيش ٨٦٪ من سكانها على الارض ، ويشتغل نحو ٧٥٪ من فلاحيها بزراعة ارض لا يملكونها

لكن الاراء والمذاهب تتشعب في توجيه هذا الانقلاب التطوري ، ففريق يذهب الى ان مستقبل الشرق الاوسط رهن بالتمسك بقيمه التقليدية وتراثه الروحي ، بحيث تمارس حركات الاصلاح والتجدد داخل هذا النطاق

على حين يذهب آخرون الى وجوب الاخذ بتغييرات اساسية حاسمة ، مستوحاة من تجربة الغرب .

وقد افردت « اليونسكو » عددا خاصا من « المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية » لعرض مختلف المذاهب في التطور الاجتماعي والاصلاح الزراعي بالشرق الاوسط ، مصدرا بمقال للاستاذ « سعيد حمادة » عن « البيئة الاجتماعية والتطور الاقتصادي » وبحث الاستاذ كاظم الداغستاني عن « تطور العائلة الاسلامية في بلاد الشرق الاوسط » وبحث الاستاذ [illegible] « الاسلام والتطور الاجتماعي » وحجج [illegible] للاساتذة : [illegible] ، و[illegible] ، و[illegible] حوراني ، عن [illegible] من الاصلاح الزراعي في مصر ، والعراق والاردن

وفي العدد [illegible] الجلسة [illegible] الرابعة [illegible] الشرق الاوسط ، التي [illegible] لجمعية العلوم الاجتماعية الدولية التي عقدت في « ايطاليا » برعاية اليونسكو ، وكان موضوع دراستها :

« تطور النظم الاجتماعية والتأثيرات في الشرقين الادنى والاوسط ، نتيجة للتطور الصناعي » .

ويطلب هذا العدد في مصر من مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة

بنت الشاطئ
من الاستاذ

التاريخ : ٢٠ / ٨ / ١٩٥٤

كتب جديدة

بين العلم والدين

« هل يلتقي العلم بالدين ؟

سؤال حير البشرية منذ تلقت رسالات السماء ، وبدا للناس فيها أن ثمة صراعا بين العلم والدين ، يحاول أولهما جاهدا أن يجعل التجربة وسيلة المعرفة ، ملتمسا من طريق العقل حل مشكلات الكون ومعضلات الوجود ، على حين يلوذ الدين بالايمان ، ويلتمس هدى السماء فيما يشكل عليه فهمه ويغيب عنه ادراكه ، مستريحا الى التسليم المطلق بوجود مدبر الكون ومبدع الكائنات

« وكان الغالب ان يقف العلماء في صف ، ورجال الاديان في صف مقابل ، وبينهما يقف نفر من الفلاسفة محاولين ان يوفقوا بينهما من طريق تفسير الدين بالعلم ، او اكمال العلم بالدين ليثبتوا حاجة البشرية اليهما جميعا ، لكنا اليوم امام محاولات جديدة ، نرى فيها بعض أقطاب العلماء ينحازون الى جانب الدين ، ويعلنون من معامل البحث والتجربة ان الانسان لا يستطيع الا يقوم وحده !

« فالى قرائنا نقدم احدث ما تلقينا من تلك المحاولات التي ترقبها الانسانية في لهفة لتستريح من ذلك الصراع الذي طال ... »

العلم يدعو الى الايمان

مكتبة النهضة المصرية — ٢٠١ ص م

وصاحب المحاولة الاولى ، هو العالم الامريكي المشهور « الاستاذ أ . كريسي موريسون » رئيس اكاديمية العلوم بنيويورك ، وعضو المجلس القومي للبحوث بالولايات المتحدة ، وانه لانتصار للايمان اي انتصار ، أن يقف في صفه قطب من أقطاب العلم الحديث ، يلخص ثمرة الجهد العلمي في أمريكا التي حسبنا ان تراثها المادي قد باعد ما بينها وبين الدين ، وان ضجيج الذرات المتفجرة قد الهاها عن هواتف الفطرة ودعاء السماء !

ولهذا الكتاب قصة ، فلقد اذاع العالم الانجليزي « جوليان هكسلي » منذ حين بحثا علميا عنوانه : « الانسان يقوم وحده Man Stands Alone » تابع فيه خطوات جده « توماس هكسلي » الذي صاحب « داروين » وآزره وناصره في القرن الماضي

وقرأ العالم الامريكي كتاب هكسلي ، فانبرى يرد عليه بهذا الكتاب الذي يحمل في الاصل عنوان : « الانسان لا يقوم وحده : Man Does not Stand Alone » ومراده بهذا ان الانسان لا يقوم في هذه الدنيا الا والله معه .

« لقد وصل العقل البشري الى آفاق بعيدة في اكتشافاته ، واستطاع ان يهتدي الى العناصر التي يتألف منها الجسم الانساني ، فهل تراه قادرا على ان يخلق انسانا في المصنع ؟

« ان وجود الخالق يدل عليه تنظيمات لا نهاية لها ، لكون الحياة بدونها مستحيلة ، وان وجود الانسان على ظهر الارض ، والمظاهر الفاخرة لذكائه ، انما هي جزء من برنامج ينفذه بارىء الكون

« الا وان تحطيم ذرة واحدة التي كانت تعد اصغر قالب في بناء الكون ، قد تجرد بالا لتبديل تفكيرنا عن السكون والحقيقة تبديلا جوهريا ، ولم يعد التناسق المدهش للذرات الجامدة يرتبط تصورنا بما هو مادي ، وان المعارف الجديدة التي كشف عنها العلم ، لتدع مجالا لوجود مدبر جبار وراء ظواهر الطبيعة »

ومن ثم مضى الاستاذ كريسون يكشف من اسرار التناسق الغريب في عالمنا الفذ ، ويجلو عجائب القدرة في الهواء والمحيط والغازات ، ويلتمس آيات الاعجاز في أصل الانسان ، وغرائز الحيوان ، وتطور العقل ، ووحدات الوراثة ، ثم مازال يرحل بنا في مجال البحث العلمي حتى يستوقفنا عندما نسميه « المصادفة » ، فاذا نتائجها مقيدة تقييدا وثيقا بقانون صارم ، واذا وراء هذه « المصادفة » التي تبدو لنا شاردة غير مسيطرة ، ولا خاضعة لاية طريقة من طرق الحساب ، مدبر أسمى من ادراكنا ، يردها الى نظام بالغ الدقة والاتساق .

هذا هو كتاب « الانسان لا يقوم وحده »

تهديه مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر الى المكتبة العربية ، مترجما بقلم الاستاذ الكبير « محمود صالح الفلكي » سفير مصر في باريس الذي آثر أن يجعل عنوان الكتاب : « العلم يدعو الى الايمان »

ومن حق الاستاذ المترجم علينا ، أن ننوه بهذا الاسلوب الرصين المشرق الذي تنقل به الينا ذلك البحث العلمي الفذ ، وان نقدر حق التقدير ، صنيعه الموفق في تذليل عقبات البحث بآيات قرائنه ، ساير سائغ الدرس العلمي في بلاغة معجزة

التاريخ : ٢ / ٨ / ١٩٥٤

معجزة القرآن فى وصف الكائنات

لجنة البيان العربى – ١٠٠ ص ٥

وهذا كتاب ثان لعالم مصرى هو « الاستاذ حنفى احمد » الذى درس العلوم فى جامعة درهام بانجلترا ، وعاد بعد ان نال درجتها العلمية فشغل مناصب كبيرة منها التدريس ، ثم المدير العام لتعليم البنات بوزارة المعارف

قرأ الاستاذ كتاب الاسلام بعقل مؤمن وعقل ناقد ، فراعه ما فيه من آيات معجزة تتفق مع أحدث ما انتهى اليه البحث العلمى من نتائج ، ومن هنا طاب له أن ينقطع الى دراسة القرآن الكريم ، فى ضوء العلم الحديث دراسة متأنية ، محاولا ان يصل الى ما وراء الفاظه ومبانيه ، من معان دقيقة لم يكن الاولون ليهتدوا اليها قبل التقدم العلمى العظيم الذى حققه العقل الانسانى فى العصر الحديث

وقد طالع الاستاذ الباحث ، ما فى مكتبتنا من محاولات سابقة للعلماء المصريين فى التماس ما فى الكتاب الخالد من اسرار كونية ، مثل بحث ، الاستاذ محمد احمد الغمراوى ، الاستاذ ... ... ، فى ... الله الكونية ، وكتاب الدكتور عبد العزيز اسماعيل فى « الاسلام والطب الحديث » ، وكتاب احمد مختار باشا الغازى ، المسمى « رياض المختار » كما عكف الاستاذ على قراءة تفسير الشيخ طنطاوى جوهرى ، واخيرا رأى ان يضيف الى تلك المحاولات السابقة ، محاولته الجديدة لفهم « معجزة القرآن فى وصف الكائنات » مؤيدا بها مذهب الذين يرون ان العلم والدين يلتقيان

وقد تناول فى دراسته هذه ، موضوع خلق السموات والارض وتدبير الامر فيهما ، وفى هذا النطاق ، بحوث قرآنية شتى من النجوم والكواكب ، والاجرام ، والطاقة ، والجاذبية ، والحركة ، وكان منهجه فى كل بحث منها أن يبدأ بعرض الآيات القرآنية المختارة ، ويوجز أقوال المفسرين فيها مع التعليق عليها ، ثم يستخلص الحقائق منها مقابلة بنظائرها من قضايا العلم .

وتغلب على الدرس الصبغة العلمية فى الاستقراء والتطبيق ، لكنه لايخلو احيانا من اعتساف فى التأويل ، تبرره الرغبة الحارة فى اثبات خطأ الذين انكروا « علمية » الكتاب المنزل من السماء ، ومهما يكن الرأى فيما انتهى اليه الاستاذ حنفى من نتائج ، فاللذى لاشك فيه ان محاولته جديرة بان تأخذ مكانها الى جانب المحاولات المبذولة لاثبات مابين العلم والدين من وثيق الصلات

من عالم الفكر والروح

مكتبة الهلال بالفجالة – ٢٥٠ ص م .

وكتاب ثالث « من عالم الفكر والروح » للاستاذ « السيد كمال الشورى : مأمور الشهر العقارى » الذى جمع الى ثقافته القانونية المصرية ، مزاجا صوفيا اكتسبه اياه نشأته فى بيئة دينية خالصة ، فتهيأ له بذلك طابع خاص فى التأمل والاسلوب ، يتجلى بوضوح فى كتابه هذا الذى يتحدث من جولات فى عالم الفكر والروح ، صاحبها قلم اديب متصوف لم يعتزل الدنيا ولم ينبذ الحياة ، وانما اقبل عليها يبلوها ويمارسها ، مع نزوع الى الافق الروحانى وتعلق بالمثل العليا

وليس الكتاب – كسابقيه – دراسة مخصصا لموضوع واحد ، وانما هو عدد من مقالات شتى ، تبدو للنظرة العجلى ليس مترابطة ، لكن القراءة المتأنية لاتلبث ان تهتدى الى الخيوط الخفية التى تربط هذه المقالات وتنسقها فى مجموعة متآلفة ، تتحدث عن الروحانيات او تحوم حولها ، لتعلن اخيرا ان النصر للروح فى صراعها مع المادة ، وان البشرية المجهدة لن تجد راحتها الا اذا لاذت بالروحية المسعدة والايمان الحق

وهكذا نجد من بين شباب العصر من يطيب له التحليق فى أفق كهذا ، حيث يجد فى التأمل متعة لنفس مثقف ، وروح متصوفة مؤمنة

بنت الشاطىء
من الاهرام

التاريخ : ١٣ / ٨ / ١٩٥٤

كتب جديدة

في المكتبة الإسلامية

رواية

غربة الإسلام

دار الكتاب العربي – ١١٨ ص م

ترك لنا القرن الثامن الهجري ، فيما ترك ، رسالة دينية أدبية قيمة ، عنوانها « كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة » ، كتبها العلامة الإمام ، شيخ الإسلام ابن رجب الحنبلي ، أحد الأئمة الأعلام الذين ازدهرت بهم « دمشق » في القرن الثامن ، وقد عاش عمره عاكفا على الدراسة والتأليف ، زاهدا في الاختلاط بالحكام والناس ، مقيما في المدرسة الحنبلية بدمشق ، في عزلة عن الدنيا ، حتى إذا مات ترك من بعده ثروة علمية قيمة ، طبع منها حتى اليوم بضعة عشر كتابا ، أحدثها كتابه عن وصف أهل الغربة الذي اختاره « الأستاذ أحمد الشرباصي » من علماء الأزهر ، وحققه وشرحه ، ثم نشره بعنوان « غربة الإسلام »

وموضوع الكتاب هو الحديث الشريف : « بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ ، فطوبى للغرباء » ، شرحه الإمام العالم في دقة وإتقان ، ومضى يفسره كلمة كلمة ، متأنيا متمهلا ، وبين يديه أمهات كتب الحديث والتاريخ يستفتيها ويأخذ منها ويرجع إليها ، بأسلوب سهل طيع ، يميل إلى الإسهاب ، ويحتفل بحسن الأداء ، ويكثر من الاستشهاد بالآيات والأحاديث والحكم والنصوص المروية والأبيات الشعرية ، مع نزعة صوفية لا تشطط ولا تسرف ، فجاءت الرسالة ذخيرة فقهية أدبية يهديها الناشر المحقق « إلى الغرباء بحقهم في دنيا الباطل » عبرة وتذكرة »

وأريد بعد هذا أن أنوه بجهد الأستاذ الشرباصي في خدمة تلك الذخيرة ، فقد مهد لها بمقال قيم عن (غربة الإسلام) ثم قدم لنا خلاصة وافية لتاريخ ابن رجب الحنبلي ، واهتم بعد ذلك بشرح مفردات الرسالة والتعريف بها وإثبات مراجعها ، مما يشهد بسعة اطلاعه ، مع الصبر على مشقة البحث ، والاهتمام بوصل الدين بالحياة

أعلام الإسلام

شركة سليمة للطباعة – ٩٥ ص م

وللأستاذ « أنور الجندي » كتاب جديد عن أعلام الإسلام ، اختار فيه مجموعة من الشخصيات الكبرى التي شاركت في صنع التاريخ الإسلامي ، فمضى يقدمها ويعرضها من جديد بأسلوب مؤثر ، يحتفي بجانب العظمة في هؤلاء الأعلام ، ويوضح الدور الذي قام به كل منهم في حياة الإسلام

وفي هذا الموكب : نرى من الخلفاء : عمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وعمر بن عبد العزيز ، ومن القادة : خالد بن الوليد وصلاح الدين ، ومن الدعاة المصلحين : أبا ذر الغفاري وجمال الدين الأفغاني ، ومن الأئمة الفقهاء : الحسين بن علي والحسن البصري ، وأئمة المذاهب الأربعة ، والبخاري ، وابن تيمية ، ومن العلماء والفلاسفة : ابن خلدون والغزالي

ولعل القارئ لا يفوته أن يلمح ما وراء اختيار الأستاذ الجندي لهؤلاء الأعلام ، من احتفال بالأثر الذي تركوه في الحياة ، فليسوا مجرد ساسة أو قادة أو أئمة أو علماء ، وإنما كانت لهم إلى جانب هذا كله ميزة مشتركة ، فما منهم إلا من تم على يديه تطور حاسم في تاريخ السياسة أو العقيدة أو الفكر ، وكانت شخصيته إحدى علامات الطريق الطويل الذي قطعته الحياة بالمسلمين منذ ... ا

وكذلك وفق الأستاذ الجندي ، في اختيار الزوايا التي يرسم منها صورة ، فجاءت بينة الملامح دقيقة التعبير ، على الرغم من بساطتها وإيجاز الحديث عنها .

بنت الشاطئ
من الأمناء

التاريخ : ١٦ / ٨ / ١٩٥٤

كتب جديدة

من قصص الثورة

هي قصص ثلاث ، كتبت في جو الثورة واستمدت منها وحيها ، فجاءت معلنة من استجابة الفن للحياة الحاضرة وانفعاله بها

وليست كتابة القصة في مثل هذا بالامر الهين السهل كما يتوهم كثيرون ، فان اقل اهتزاز في شخصياتها او افتعال في حوادثها ، يلغي تأثيرها ويهدر مابذل فيها من جهد ، ويصرف القارىء عنها زاهدا ملولا ، ومن هنا كانت القصة ادق فنون القول واحوجها الى الموهبة البارعة والقلم الناضج المقتدر ، مع الخبرة الاصيلة بالناس والدنيا

انا الشعب

دار المعارف بالقاهرة ـ ٢٧٦ ص م

والقصة الاولى في مكتبة اليوم ، هي بلاريب قصة « انا الشعب » للاستاذ الكبير « محمد فريد ابو حديد » الذي اتاحت له ثقافته التاريخية الراسخة ، الاتصال بالحياة في سيرها المطرد على نواميس طبيعية ثابتة لا غرابة فيه ولا شذوذ ، كما اتاحت له دراساته الراسخة لابطال التاريخ ، معرفة دقيقة بالنفس البشرية في جبروتها العاتي وضعفها الواهن ، وقد عرفناه من قبل قصصيا بارعا ، تختار الابطال والحوادث من تاريخنا الاسلامي ، وكانت مهارتها الكبرى في تقديرنا ، هي القدرة على الربط بين ما كان بالامس البعيد ، وبين هذه الحياة التي نمارسها ونعانيها ، واليوم ينصرف الاستاذ الكاتب عن الماضي بحوادثه وأبطاله ، ويلتفت الى حاضرنا فيكتب منه وله ، هذه القصة التي جعل عنوانها « انا الشعب » ، ويقدم لنا فيها شابا مكافحا ، اوقفته وفاة ابيه على ترك المدرسة الثانوية ليناضل في سبيل القوت ، مبتدئا بعمل هزيل متواضع في محلج للقطن بدمنهور ثم اغراه طموحه بتجربة حظه في تجارة القطن برأس مال لايتجاوز عشرين جنيها محاولا في الوقت نفسه أن يرضي طموحه بمقالات يكتبها للصحف ، وهكذا بدأ يشق طريقه الى الصحافة حتى اختير محررا في صحيفة كبرى ، فتهيأ له بذلك سبيل الكفاح بالقلم في سبيل الشعب ، وراح يكتب مقالات مثيرة في النقد السياسي والاجتماعي بعنوان « انا الشعب » وكانت حياته الاولى قد هيأت نقمته على الطبقات ، وغضبه للكادحين المستضعفين الذين استعبدهم الطغاة .

ودخل السجن ليكتب لمصيره ، ثم خرج منه وقد اضاءه نور الفجر الجديد

وتساير قصة هذا الكفاح السياسي ، قصة حب فتى طاهر ، يقهر العقبات ويتحدى الظروف ويثبت على المحن ، لينتصر اخيرا في اللحظة التي يتم فيها النصر للشعب

والقارىء يدرك من الصفحات الاولى للقصة ان الاستاذ الكبير اتخذ من شخصية هذا الشاب العصامي المناضل ، رمزا للكفاح الشعبي الذي زلزل الارض تحت الطاغية ، وعنوانا على الشخصية المصرية في صبرها واحتمالها ، ثم في تمردها على الذلة وثورتها على الهوان ، وربما لاحظ الناقد على القصة ازدحامها بالاحداث والابطال ، ولعل هذا هو المسئول من اختفاء بعض الشخصيات فجأة ، وظهور شخصيات اخرى فجأة كذلك ، فنحن لم نسمع مثلا عن « عبد الحميد عباد » حين كان راوي القصة يذكر لنا رفاق التلمذة والصبا ، ثم نراه فجأة امامنا بعد اعوام ، يأخذ مكانه الى جانب البطل ، وربما وقف النقاد كذلك امام عثرات قليلة ، يبدو ان مبعثها السهو ، فالبطل مثلا يدخل امتحان الثقافة في وقت لم تكن المدرسة الثانوية فيه تعرف غير شهادتي الكفاءة والبكالوريا ، وكذلك اخته « منيرة » تدخل امتحان البكالوريا من مدرسة دمنهور الثانوية للبنات ، ولم يكن في دمنهور اذ ذاك هذا الصنف من المدارس

لكنها هنات بسيطة تكاد تختفي وراء لباقة الكاتب وبراعته في صياغة قصة كهذه ، تبدو كأنها منتزعة حقا من صميم حياتنا ، ويمتزج فيها النضال السياسي بالنضال العاطفي دون تكلف او اكراه ، في اداء بسيط مؤثر ، واسلوب ناضج اصيل

نهاية طاغية

مكتبة الشرق بالفجالة ـ ٢٠٠ ص ص

ويقدم « الاستاذ حسن رشاد » نفسه

الخامسة بعنوان « نهاية طاغية » مصورا بها طغيان الاقطاع الاجتماعي الذي عانته مصر في العهد المشئوم

والطاغية هنا ، واحد من اولئك الشبان الناشئين الذين اتاح لهم ذلك العهد ان يمارسوا على الارض الطيبة حياة مترفة ، عابثة بكل القيم ، مهدرة لكل الحرمات ، وقد ظل الطاغية سادرا في غيه وضلاله ، حتى اعترض سبيله شاب مصري اصيل ، من ذلك الصنف المتمرد على الطغيان ، المعتز بكرامته المؤمن بنفسه ووطنه ، ودارت المعركة بينهما عنيفة حامية وان لم تكن حاسمة ، وبدا أن جبروت الطغيان قد كسب الجولة الاولى ، حتى اذن العهد الاقطاعي بالافول ، في الوقت الذي وضع فيه الشاب المصري يده على وثيقة خطيرة ، تثبت ان خصمه دعي دخيل ينتسب الى « الباشا » زورا واغتصابا !

ويتوارى الطاغية ذليلا مطرودا منبوذا ، وتتنفس التربة ملء الحياة ، في الوادي الامين الذي تحرر من عبودية الاقطاع

والقصة بوليسية في الواقع ، تدور حول الجريمة وتتتبع خيوطها في مهارة حتى تكشف عنها ، لكن الكاتب استطاع ان يجعل من هذه القصة البوليسية ، قطعة حية من تاريخنا الاجتماعي والقومي ، وان يعرض بها صورة مثيرة من صور الاقطاع

ويبدو واضحا ، ان الاستاذ حسن رشاد ، يأخذ بمذهب الذين يسخرون الفن لخدمة هدف بعينه ، وكذلك فعل من قبل في قصة « سر الهاربة » التي ألفها تطبيقا لدراسته في علم النفس ، وان يكن في القصة الجديدة ، قد اوشك ان ينجح في جعل احداث القصة تسير بنا سيرا طبيعيا نحو هدفه المقصود ، لولا ان البراعة خانته في موقفين : أولهما حين جعل البطل الشاب يدعو اصحابه الى مزرعة الباشا ، ليحدثوه من بشاعة الاقطاع ، والثاني حين نقل في اخر القصة ، نص قانون الاصلاح الزراعي !

وموهبة « الاستاذ حسن رشاد » في القصة البوليسية لاريب فيها ، ولتجاربه التي ظهرت

حتى الآن ، لعده بمكان مرموق في هذا المجال
واحسب ان المرانة الطويلة كفيلة بان تفسح
له ، وتنجيه من عيب التكرار ، والمفاجآت
المنفصلة فقد لاحظنا عليه مثلا في
« سر الهاربة » انه وضع مسدسا في يد فتاة
وبفية شريرة ، لتقتل اباها ، واليوم يكرر
نفسه ، فيضع المسدس في يد فتاة اخرى ،
ونبيلة مهذبة ، لتقتل حبيبها الغادر !

كذلك لاحظنا انه يهيىء للبطل معرفة اسرار
الجرائم ، بطريقة واحدة تتكرر ولا تتغير ،
فبينا هو سائر في حديقة المزرعة ، يفاجأ مرة
بعد اخرى بسماع اعترافات خطيرة عن جرائم
عرض مسلوب ، ونسب مدعى ، وبنوة مزورة ،
وثروة مغتصبة .

لكن القارىء يغفر هذا في قراءة القصة
مسرورا غير ضجر ، ويتابع احداثها ومفاجآتها
في لهفة ، وهذا وحده يكفي شاهدا على مقدرة
الكاتب في فن القصة

ضحكات القدر

« من فاروق الى الثورة »

دار الهنا ببولاق — ١٨٢ ص م

والقصة الثالثة للاديب « الاستاذ حبيب
الزحلاوي » الذي عرفنا له من قبل نشرا
قيمة في الادب والنقد ، دلت على نضج فكره
وشجاعة رأيه وثورة قلمه

وليس الاستاذ الزحلاوي ممن يتخذون
الادب حرفة وارتزاقا ، وانما الادب عنده هواية
رفيعة ونشاط وجداني مستمر ، ترفعه التجربة
في التعبير عما يجد ، حين يشاء ، اعني تشاء
ضروريات العيش وللجوء دوامي المهنة

وهو اليوم يقدم تجربة جديدة ، هي صرح
بها خروجا صريحا على ما هو مألوف في بناء
القصة ، فتجاوز عن واقع الحياة من حوله ،
واراد بخياله كي يصنع له مجتمعا مختارا ،
ويخلق شخصيات منتقاة ، ثم دفع بها لتعيش
فترة بعينها « من فاروق الى الثورة »

وفي سياق القصة ، يحكي الاديب بحسن
مشاهد هذه الفترة ، ويزجي آراءه فيما
شهدت مصر من ضخام الاحداث وما تعرضت
له من تيارات عنيفة اعقبت الانقلاب الحاسم
الذي تم بين عهدين

وقد استغل الكاتب عاطفة الحب اكرم
استغلال ، ليثير شوق القارىء ويغريه بالاصغاء
اليه وهو يصور عالمه المنشود ، ويعرض شخصياته
التي صنعها خيال يتعلق بعالي المثل

وليس يضير الاستاذ الزحلاوي ان ينكر
بعض النقاد هذا اللون من القصص المصنوعة
عمدا لغرض بذاته ، وان يحس بعض القراء
في هذه التجربة القصصية بعدا عن الواقع
المألوف وتكلفا في اخضاع الفن لاحداث التاريخ ،
واسرافا في تحميله ما للكاتب من آراء سياسية
واجتماعية ، فكذلك الشأن في كل محاولة
جديدة ، وحسب الاديب الزحلاوي انه ارضى
نفسه ، وحقق ما ابتغى من تأليف قصة
« ضحكات القدر » من فاروق الى الثورة » !

بنت الشاطىء

من الاهرام

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ : ٢٣ / ٨ / ١٩٥٤

كتب جديدة

عن جيراننا الأصدقاء

رحلات ١

في ميادين العمل والجهاد

ما تزال اصداء الهتاف المرحب بجلالة الملك سعود ، تملأ الاسماع في الوادي الامين وتذكرنا بتلك الايام الحافلة التي اتاحها جلالته بهذا شعبا عزيزا ، ووصولا كريما بين شعبين عريقين ، ربطتهما من قديم الزمان اواصر القربى وصلات المودة والجوار ، ثم جاء الاسلام لتوحد بينهما دينا واحدة ، وروحا وعاطفة

ولم يفت مصر وهي تستقبل ضيفها الكبير مغزى ايثار جلالته اياها برحلته الاولى بعد ان اضطلع باعباء الملك في الجزيرة ، ولا فاتها كذلك ان تدرك الاهداف النبيلة لتلك الرحلة ، فابتهلت الى جلالته تبارك مسعاه الى اكرم غاية ، وتزيد دعوته الى توحيد الكلمة وضم الصفوف وجمع الشمل ، ومن ثم حفلت ايام الرحلة بمظاهر الترحيب والتأييد ، كما حفلت في الوقت نفسه بالعمل الجاد والسعي الدائب في سبيل الهدف المنشود

ومن مصر ، سافر جلالة الملك سعود الى الكويت ، ثم عاد الى الجزيرة ، ليستأنف بعد ايام رحلاته الى البحرين ومنها الى الباكستان والشرق العربي يتتبع خطوات جلالته ، ويرقب نتائجها الحاسمة لخير العروبة والاسلام

واليوم يتاح لنا ان نقرأ سجلا شاملا لتلك الرحلات الميمونة التي استغرقت شهرا وبعض شهر ، وامتدت من مصر الى الباكستان ، واتاحت لقادة الشعوب العربية ان يتلاقوا على مودة واخاء ، وتصميم على التعاون في سبيل نهضة الوطن الكبير

ومن حسن الحظ ، ان ينهض بهذا العمل «الاستاذ السيد فؤاد شاكر» الاديب الشاعر والسياسي المجاهد في سبيل الدعوة العربية ، فلقد استطاع بفضل تجاربه المرهفة ، وحماسه للقضية العربية وخبرته بها ، ان يجعل من هذا السجل التاريخي سفرا ادبيا هاما ، يعرض امالي العروبة ، ويجلو اهدافها ويعلن من اسرار قادتها وشعوبها ، على النضال الباذل من اجل النصر

سوريا

من الاحتلال الى الجلاء

ونشر معهد الدراسات بجامعة الدول العربية ، محاضرات عن « سوريا من الاحتلال الى الجلاء » القاها على طلبة قسم الدراسات التاريخية بالمعهد «الدكتور نجيب الارمنازي : سفير سوريا بمصر » .

وتتناول المحاضرات بتاريخ سوريا في عهدها الجديد ، القاها دليل السائل ، وعن الاسلوب امين المراجع وافي المستندات ، وحرص على ان تبرز الجانب السياسي من حياة سوريا ، في مراحله وانتهائه ، مع رسم صورة للفترة الحاسمة ، بمراحل تأسيسها الطويل ، ودعم الروابط الرئيسية التي تربطها باسرائها وجاراتها بلدان الجامعة العربية

تاريخ لبنان العام

مر على لبنان الشقيق حين من الدهر ، وتاريخه يكتب باقلام شتى منها الاصيل ومنها الدخيل ، فتشابه شوائب من الاخطاء والاهواء ، لم يكن من السهل تخليصه منها والبلاد مكبلة باغلال الاحتلال ، حتى اذا انبلج الفجر وتنفس لبنان انفاس الحياة الحرة ، عكف احد ابنائه المخلصين على اعادة كتابة ذلك التاريخ من جديد ، مستخلصا اياه من ارثق المصادر ، ومخلصا له مما شابه من اخطاء الهوى وظلال الاستعمار

وفي تواضع كريم ، جاء « الدكتور يوسف مزهر » يقدم تاريخه الى ابناء لبنان واخوتهم في الوطن العربي الاكبر ، مقررا انه ليس مؤرخا ، ولا كانت الكتابة والتأليف صنعته ، وانما تستقي موارده من المنابع الطيبة التي زوده بها مؤرخون من ذوي النزاهة والاصالة ، عصمهم الله من الزيغ والضلال فتحروا ما كتبوا صادقين امناء .

وكان الدكتور مزهر ، قد كتب منذ ثماني سنوات مقالا في تاريخ لبنان ، اغرى قراءه الاصدقاء بالالحاح عليه في ان ينهض بالعبء لكشف هذا الشيء بجمع ويتحرى ، ويحقق وينسق ، حتى استقام له اخيرا تاريخ دقيق شامل ، في مجلدين كبيرين ، تاربت صفحاتهما الفا واربعمائة ، مع طائفة من الملاحق والوثائق والنصوص .

مملكة في الميزان

المطبعة العالمية بالقاهرة - ٢٥٠ ص ٨

هي المملكة العربية السعودية ، يضعها في الميزان « الاستاذ محمد البرادى » بعد

التاريخ : ٢٣ / ٨ / ١٩٥٤

رحلة دراسية طاف خلالها بما استطاع من انحاء المملكة ، ولقى رجالها ، وشاهد الحياة الجديدة فيها عن قرب .

وهو يصحبك فى رحلته بدءا منذ حلقت به الطائرة من مطار القاهرة فى مهمة فجر جدا ، ومن ثم ينتقل بك بين البدو والحضر ، ويصف لك مشاهداته فى اسلوب ادبى شائق ، لا يضايقك بجفاف الارقام او خفايا الرذائل ، ولا يرهقك بسرد جاف ممل ، بل يسترسل فى بساطة كأنما يروى قصة .

وواضح أن الكتاب يمالئ لعبة الدول الكبرى ، ويهدف الى اثارة الاهتمام بالعروبة والاسلام ، ويتخذ من كفاح المملكة العربية السعودية فى هذا السبيل ، قدوة ومثلا .

وكان الاستاذ السوادى ، حين الف كتابه « البرلمان فى الميزان » منذ نحو عشر سنين ، قد اهداه الى « حرية الرأى » حين عز عليه أن يجد « الرجل الذى يرضاه » .

واليوم يقدم كتابه الجديد الى جلالة عاهل الجزيرة قائلا :

« ... فى كتابى الاول وجدت فى حرية الرأى المعنى المضطرب فى الجلال ولم اجد الرجال ، اما فى كتابى هذا ، فقد وضعت يدى على الرجل الذى لا يختلف احرار الساسة على اعتداله وصفاته ، ولا يختلف بنو العروبة على ذاته وامكانياته ، فدعونى اذن اهدى اليه تقديرا هذا الكتاب .. »

فى ربوع عسير
دار العهد الجديد للطباعة بمصر

ويقدم « الاستاذ محمد عمر رفيع » الى اخوانه العرب حيثما كانوا ، كتابا عن منطقة من صميم الوطن العربى ، تكاد تكون مجهلا من مجاهل الجزيرة ، اذ قل من يعرف اخبارها واحوال اهلها ، حتى من ابناء الجزيرة العربية نفسها ، مع ان الذين اتيح لهم ان يرحلوا اليها ، عادوا يحملون منها اجمل الاثر ، ويحفظون لها اطيب الذكرى .

من هؤلاء ، السياسى الاديب ، الاستاذ فؤاد حمزه ، الذى الف منذ اعوام كتابا عن رحلته « فى بلاد عسير » . واليوم يستجيب « الاستاذ محمد بكر رفيع » لرغبة اخوانه الذين سمعوا حديثه الشائق عن تلك المنطقة المتميزة بسحر الجمال ، ليضع كتابه عن الفترة التى قضاها « فى ربوع عسير » تلك الزمردة الخضراء الرائعة فى طرف سلسلة جبال الحجاز الجنوبية ، والتى لا تزال تعيش حتى الساعة ، وراء الاسوار ، فى عزلة عن عالم اليوم .

وكانت مديرية المعارف العامة بالجزيرة ، قد رشحت الاستاذ رفيع مديرا لاحدى مدارس اربع انشأتها فى مقاطعة عسير عام ١٩٤٠ ، فشد رحاله اليها ، واقام فى ربوعها زمنا كافيا للاختلاط باهلها ، والتعرف برجالها ، ودراسة احوالها .

وهو اذ يحدثنا عن رحلته بالتفصيل ، يصف لنا الطريق الى تهامة وعسير وصفا دقيقا لافتا ، ثم يعرض علينا صورا شائقة لما فى تلك الربوع من المدن والقرى ، والجبال الشامخة ، والمناظر الخلابة ، كما يحدثنا عن حياة اهلها الاجتماعية حديث خبير بها ، فاذا فرغ من ذلك كله ، قدم لنا خلاصة وافية لتاريخ عسير السياسى والاقتصادى ، موجها عنايته بوجه خاص الى الاعوام الثلاثة والعشرين الاخيرة .

والقارئ لا يخطئ فى الكتاب آثار الدراسة الواعية والمطالعة الواسعة لما كتب عن عسير ، والبحث المنتبه لتصحيح ما قد يكون هناك من اخطاء الكتاب واوهام المؤلفين .

حول النقد

قدمت الى القراء فى الاسبوع الماضى ، قصة « ضحكات القدر » من فاروق الى الثورة ، وقد تلقيت كلمة من مؤلفها الاستاذ حبيب الرحلاوى ، يقول فيها :

« اما ان القائدة لم تقرأ نصوص التى تفضلت مشكورة بالكتابة عنها

« واما انها قرأتها [illegible] صراحة وجرأة ، [illegible] شخصيات [illegible] ، لم ادع بها [illegible] قصة بعينها ، من فاروق الى الثورة »

[illegible] الاستاذ الرحلاوى وهو فى [illegible] .

ووصلت الى الاستاذ الرحلاوى كذلك مقالا فى سبع صفحات ، عند الكاتب المعروف ، الاستاذ صديق شيبوب ، تناول فيه قصة « ضحكات القدر » بالعرض المفصل والتحليل الفنى الدقيق ، واثنى على مؤلفها الثناء المستحق . وكنت اود لو اتسع هذا الحيز الضيق المحدود لنشر المقال كله ، لكن لعلها مناسبة [illegible] لتقديمها الى القراء حتى يعرفوا اراءها ، عن السيد الاستاذ يصدر ويصدر

بنت الشاطئ

عن الاهرام

التاريخ : ٣١ / ٨ / ١٩٥٤

كتب جديدة

في المكتبة الفلسفية

خرافة الميتافيزيقا

مكتبة النهضة ١٢٢ ص ق

لعل « الدكتور زكي نجيب محمود » يرى في قراءتي لكتابه « خرافة الميتافيزيقا » ما يشهد بتقديري لجهده واحترامي آراءه ، فليس الكتاب من هذا الصنف الذي تلتمس لديه المتعة أو يقرأ في سهولة ويسر ، وإنما هو كتاب صعب لا يتيسر على قراءته إلا الذين ولدوا بصحبة الكتب والصبر من المطالعة والدرس دراية وعملا .

وإذا كانت قراءة الكتاب شاقة فأسهل منها أن الخص موضوعه للقراء في مثل هذا المجال المحدود ، فليلتمسه من شاء منهم في الكتاب نفسه ولأكتف بأن أنظر هنا فيما كتبه الدكتور من الغاية التي يهدف إليها من كتابه لعل في هذا ما يعطي القارئ فكرة ما عن موضوعه .

الميتافيزيقا التي يعنيها المؤلف هنا ويجند قلمه لمحاربتها هي « مجموعة العبارات التي تتحدث عن كائنات لا تقع تحت الحس ، وجهد المؤلف أن يبين أن هذه العبارات كلام لا يرسم صورة ولا يحمل معنى وبالتالي لا يجوز فيه البحث واختلاف الرأي فلو أردنا أن نقصر كلامنا على ما يكون له معنى ، وجب إخراج الفلسفة التأملية — وهو اسم اختير يطلقه المؤلف على الأبحاث الميتافيزيقية — وما يدور مدارها من صنوف التفكير بحيث لا يبقى بين أيدينا في دائرة العلم إلا العلوم الطبيعية والرياضة » ص ٣

وهذه العبارة ، وإن أعطت القارئ فكرة ما من موضوع الكتاب ، إلا أنها لا تصور له الحرب العنيفة التي أعلنها المؤلف على الأبحاث التأملية ، والإنكار القاسي لكل كلام لا يرمز إلى شيء مما تقع عليه حواس الإنسان فعلا أو إمكانا ، فكل عبارة يقولها قائلها ليحكم على شيء بأنه خير أو على شيء بأنه جميل ، لغو فارغ ، لأن العالم الخارجي — عالم الأشياء — لا خير فيه ولا جمال كما أنه لا شر فيه ولا قبح ، المقدمة صفحة و

والغاية كما يرى القارئ جد خطيرة ، وهي جديرة بأن يقرأ من أجلها الكتاب كله ، وأن يتصدى لمناقشتها والرد عليها ، كل مشتغل بالدراسات الفلسفية والأبحاث التأملية ، والذي أملكه هنا ، هو أن أعلن بملء صراحتي أنني شخصيا لم أقتنع بوجهة نظر المؤلف ، مع تسليمي بدعوته إلى التشدد في الشروط المفروضة على المتكلم الجاد ، إذا ما نطق بعبارة أراد بها أن ينقل فكرة من رأسه إلى رؤوس الآخرين ، فأنا معه في أن الكثرة الغالبة من قومنا يستهينون بحرمة اللفظ ويرسلون القول إرسالا غير مسئول ، وأننا بحاجة إلى كتاب يلفت نظر القارئ كيف يزن ألفاظه ويضبط عباراته ، لكن ليس يجب لمثل هذا ، أن نهدم الميتافيزيقا ، ونطيل للحياة تأملها الفلسفي ، ونطيل للإنسانية ما أرادت من ارتياح لما وراء الطبيعة ، فإنه يمكن مع ذلك كله « إدراك أن العلم أجلى من الفلسفة وضوحا » وأقبل منها للتجربة ، وأصدق وأثمن من الغيبية ،

ولست أدري كيف أخذ الدكتور المؤلف نفسه بدعوته الصارمة إلى ضبط اللفظ ، حين أعلن ، أنه لا يجوز للفيلسوف أن يقول جملة واحدة يحاول بها أن يصف الكون في أي جزء منه ، وكل مهمته أن يحلل العبارات التي يقولها العلماء في أبحاثهم العلمية والناس في حياتهم اليومية ... إذ من مهزلة الهازل أن يجلس الفيلسوف على كرسيه مسندا رأسه على راحتيه ، زاعما لنا ولنفسه أنه يفكر في حقيقة العالم ! » مقدمة ، صفحة ز

وهل من الحق أن ليس في العالم الخارجي خير ولا جمال ولا شر ولا قبح ، وأن الحديث عما لا تقع عليه حواس الإنسان كلام فارغ !

إن للإنسان حواس باطنة ووجدانا فيها لا معنى لإنكاره مادام موجودا بالفعل والإنسان لا يحيا لباب حياته إلا بهذه الحواس الباطنة كما يقول القدماء ، أو بالجانب الوجداني من نفسه كما يقول المحدثون ، فإن ردّ هذا ورد الأمر إلى الحواس الظاهرة ، مما لا يقبله واقع الحياة ، ومحال عندنا أن يكون التعبير من ذات النفس فارغا من المعنى ، بل هو يحمل أثرى المعاني وأصدقها ، وليس أثره في توجيه الحياة بأضعف من أثر الحديث عن تجارب العلماء أمام معاملهم وموازينهم ومقاييسهم

ولم يستطع المؤلف أن يقنعني بأن تأملات الفلاسفة فيما وراء الحواس الظاهرة « منطوية على خلاء ، بل على ما هو شر من الخلاء ، لأنها تخدع خديعة إيجابية حين توهمنا أنها ذات معنى ودلالة ، والأمر كله ضلال في ضلال . » ص ٤

وأسمح بدعوتي إلى الجور بهذه المخالفة ، أن « الدكتور زكي نجيب » قد صرح بادئ ذي بدء أنه « سيجد القارئ صديقا أن أيد وجهة نظره أو عارضها . » وما موقفنا منه بأنس من موقفه من الفلاسفة التأمليين الذين تصدى لمناقشتهم في عنف ، ورمى تأملاتهم فيما وراء عالم الحواس الظاهرة بأنها خرافة وضلال وعبث .

الصراع في الوجود

دار المعارف ــ ٦٢) صلد

وللأستاذ « الأب بولس سلامة » بحث قيم من الصراع في الوجود ، يلمح فيه ما نرجو لرجل الدين من مرونة الفكر وسعة الأفق ودقة الاحاطة بما في الدنيا حوله من أبحاث علمية قد يظن أنها بعيدة عن رجال الأديان ...

والبحث من صميم الفلسفة إذ يدور أكثر ما يدور على الفلسفة الوجودية وصلتها الوثيقة بالمثالية الالمانية والماركسية ، وعلى ما يبدو بين الفلسفات الثلاث من تآلف وتباعد

وإنما أراد المؤلف بهذا البحث ، أن يدفع حاجة قومنا الى مزيد من الثقافة الفكرية الغربية كيلا يظل أدبنا في عزلة بعيدة ، يدور على نفسه فلا يبرح يجتر دائما اجترار البهائم

والكاتب إذ يتناول « الفلسفة الوجودية » بالدراسة والبحث ، لا يتناولها مستقلة مفردا منتزعة مما قبلها وما بعدها من حلقات وإنما يردها الى أصولها ، ويبين لنا مسارها في حركة التطور الفلسفي ومجراها بين التيارات الفكرية الغربية

وكانت أمام المؤلف وهو يكتب ، غاية بعينها لم يحد عنها بصره ، تلك هي هداية الفكر العربي في هذا العصر المادي المحموم ، الى القيم الروحية ، والى الإيمان بالتماس المعرفة الحقة والإيمان بقدسية الخير والحق والجمال

وأسلوب الكتاب أدبي جزل ، والفكرة فيه ناضجة وإن أعوزها بعض التركيز والتروي .

وقد أهدى الباحث كتابه « الى الله ، والى المؤمنين بالله واليوم الآخر وبقدسية القيم ..

« الى النشء العربي الطالع في مشارق الأرض ومغاربها

« الى الساكين ، والضعاف والمتألمين الذين يأكلهم العذاب والهم والخطر الدائم »

. القيم الانسانية للعلم

ونشرت « اليونسكو » عددا خاصا من مجلتها « العلم والمجتمع » أفردته لموضوع ذي خطر ، وهو بيان « القيم الانسانية للعلم »

ويقدم الأستاذ « بيير أوجر » مدير إدارة العلوم الطبيعية في اليونسكو هذا العدد قائلا : « ان لمشكلة القيم الانسانية للعلم وجهين هما : قيمة المعرفة ، وقيمة الوسائل الفنية ، وأصحاب النظرية المثالية يعلقون أهمية كبرى على الناحية الأولى ، بينما تهتم مدرسة البراجماتزم بالثانية ، والحق أن الوجهين يؤلفان وحدة تمثل العلم ككل ، ويرسمان الدور الذي يلعبه العلم في تطور الانسانية العام ، إن هناك وحدة حقيقية تؤلف بين الاتجاهات العلمية وتجعل أصحابها مدرسين كانوا ، أو هواة ، أو مبتكرين يشعرون أنهم جميعا أخوة قد تخطوا الاختلافات الاجتماعية والدينية »

ثم يعلق الأستاذ أوجر في قوله : « إن العلم يستغنى عن دراسة المشكلات الانسانية ، متناولا بذلك كل الصور المذهبية التي قد تتسلط عليه فتصيبه بالشلل »

ويتضمن العدد الى جانب مقال الأستاذ أوجر هذا ، بعض الآراء في القيم الانسانية للعلم ، ومقالا هاما للدكتور « شارل سانيه » عن البحث العلمي في الجريمة ، أشار فيه الى القيمة الاجتماعية لتطبيق المناهج العلمية في كشف الجريمة ، كما يتضمن كذلك مقالا عن « الاتجاهات الجديدة في اختيار الاختراع » كتبه « الأستاذ جان برجير » عضو الأكاديمية الفرنسية ...

بنت الشاطئ

عن الاهرام

التاريخ : ٦ / ٩ / ١٩٥٤

كتب جديدة

في اللغة

لغويات

دار الكتاب العربي — ١٦٠ ص ق

شاع في الناس ان العربية لم تعرف اللحن حتى خرج أهلها من جزيرتهم بعد الاسلام ، واختلطوا بغيرهم من الاعاجم في الاقاليم التي فتحوها شرقا وغربا ، والحق ان اللحن تسرب الى لغة العرب قبل الاسلام ، ودخل الى صميم الجزيرة قبل أن يخرج منها أهلها الفاتحون : تسرب اليها على ألسنة فريق من العرب الخلص ليس فيهم أعجمي ولا دخيل ، أولئك هم التجار الذين كانت لهم رحلاتهم في الصيف والشتاء الى الشمال والجنوب ، ثم الشعراء الذين كانوا يفدون على الحيرة وغسان واليمن التماسا لعطاء الملوك وصلات الحكام

على أن اللحن الذي تسرب من طريق هؤلاء ، كان قليلا غير ذي خطر ، وانما شاع وذاع بعد خروج العرب وانتشارهم في البلاد المفتوحة ، وكلما بعد بهم المكان من مهد العربية او تنائى بهم العهد بعصر الفصحى ، زاد اللحن انتشارا وذيوعا ، واذا كان القوم قد احسوا هذا في العصر الاموي — اذ العهد قريب بالفصحى ، والاختلاط بالاعاجم محدود — فكيف بنا اليوم وقد بعد ما بيننا وبين ذلك الماضي القديم ، واختلط لساننا بألسنة شتى لم يكن للعرب بها عهد ، ولاصالحت آذانهم منها كلمة

⁂

وفي مكتبتنا العربية مؤلفات عديدة في اللحن أكثرها موضوع في لحن العامة ، وأقلها فيما تلحن فيه الخاصة ، واليوم يضيف اليها فضيلة « الاستاذ الشيخ محمد على النجار » كتابا جديدا بعنوان « لغويات » اختار فيه طائفة من الاساليب والمفردات التي تحوم حول صحتها ريبة ، تنفى بحثها وبحثها في ضوء الفصحى ، لينفى عنها الريبة او يثبتها ، وعدة هذه الاساليب والمفردات نحو مائة ، وروعى في اختيارها ان تكون مما يشيع استعماله ويختلف الرأى فيه ، وان لم تخف من الخاصة ، كجواز استعمال « الفهرس والفهرست » وخطأ دخول « قد » على المضارع المنفى في مثل قولهم : « قد لا احضر غدا »

والاستاذ الباحث في كتابه هذا ، دقيق التناول اصيل المراجع ، متزن الرأى في مجال الاجتهاد ، وكتابه مما لا يستغنى عنه طلاب الدرس اللغوى ، اما سواهم فالرأى عند كثير من النقاد المحدثين ، الا توقفهم بالمخطئة ، وبخاصة فيما يمكن حمله على العربية بوجه ما من المجاز أو التأويل ، كاستعمال « زعم » من الزعامة ، وقد خطأها الاستاذ وردها الى الزعم فحسب ، كما يمكن قبول استعمالات معربة شائعة ولقضها الاستاذ ، كاستعمال « التصميم » في المشروعات ، وقد اختار مكانها « الخطة » ووزارة « التموين » وقد آثر أن يستبدل بها وزارة « المؤن » !

كذلك لا أميل الى التضييق على اهل عصرنا في قبول اساليب ومفردات عربية ، بحجة انها غير راجحة ولا عالية ، كقولهم « تفوق » بمعنى تميز يقول الاستاذ انه حاول أن يجد مستندا لغويا لتصحيح هذا الاستعمال ، فقرأ المادة في « اللسان » و (القاموس) فما وقف على بغيته فيهما ،

وعندى انه يكفى ما جاء في (أساس البلاغة) « تفوق : ترفع » لتجيز الاستعمال العصرى دون تردد ،

وكذلك كره الاستاذ ان تستعمل « دق الجرس » بصيغة البناء للفاعل ، قال : « والوجه الذى لا ينبغى غيره أن يقال : دق ، بضم الدال ، على البناء للمفعول ، لأن الذى يتولى الدق غير الجرس »

ولست ادرى ما جدوى اثارة الشبهات حول استعمال كهذا ، يجيزه الاسلوب العربى الاصيل ، والاستاذ لا يغرب عنه أن « دق الجرس » اذا حملناه على المجاز كان تعبيرا اصيلا ، فنحن نقول : ابلاهم الزمن ، ورماهم الدهر بالارزاء ، وامطرتنا السماء ، كما نقول وارتاعوا ونهار صائم ، وطلعت الشمس ، وطاب الكلام ، وليس شىء من ذلك كله فاعلا ، وانما هو المجاز ، نجد فيه اللغة الحية مجالا رحبا للتوسع والنماء ، ونجد فيه ألسنتنا منفذا للحرية والانطلاق

ان اثارة الاشتباه في استعمال كهذا ، لا خير فيها ، بل الشر كل الشر ، وبخاصة في عصرنا الذى نشكو فيه من التباعد ما بين لغة الكتابة ولغة الحديث ، وندعو الى تعبئة الجهود للتقريب بينهما ، وقبول ما تجرى به الألسنة لوقتنا ما دام من الممكن رده الى الفصحى على وجه ما

⁂

وبعد فاني اضع هذا الكتاب — وقد اصدرته جماعة الازهر للنشر والتأليف — بين ايدى المشتغلين بالدراسات اللغوية والاجتماعية ، لعلهم يدلون بآرائهم فيه على ضوء ما نعرف من حاجة العصر ، ومقتضيات البيئة ، وضرورة التطور

اللغة الفرنسية في المدارس المصرية

والى ابنائنا الطلاب ، نقدم اليوم ثلاثة كتب في اللغة الفرنسية ، اثنان منها ، الفهما ، الاستاذ احمد ابو الخضر منسى » الذى نعرف له جهوده في هذا الميدان ، ودأبه منذ سنين على خدمة قرائه في المجال الذى يتقنه

واولهما : « الكافى في اللغة الفرنسية » يزود الطلاب بمفتاح علم لهجاء في ثروة هذه اللغة مع امثلة ناطقة مهلة ، ونماذج مختارة للانشاء والحديث ، حرص الاستاذ فيها على البساطة والتيسير باستعمال الالفاظ المتداولة والاساليب المألوفة ، مع العناية الخاصة بشرح المصطلحات وبيان الغريب من التراكيب

لجأ الاستاذ منسى الى ضبط النطق الفرنسى بحروف عربية تعين على هذا في ثقة ودقة

والى جانب « الكافى » كتاب ثان للاستاذ منسى عنوانه « العمدة » في تصريف الافعال الفرنسية » وهو التصريف الذى يشق امره وبخاصة على المبتدئين ، مع شدة الحاجة اليه منذ الدرس الاول في هذه اللغة

وقد آثر الاستاذ هنا ان يضع قواعد التصريف وصيغه المختلفة ، في اسلوب حوار قائم بين التلميذ والمعلم ، الاول يسأل والثاني يجيب ، ولم يقصره على التلاميذ المبتدئين ،

التاريخ : ٦ / ٩ / ١٩٥٤

، بل اراد به نفع الطلاب في شتى مراحل التعليم ليدركوا أسلوب الفرنسية في التعبير واسرارها في الاداء .

و « العمدة » مقسم في ابواب ثلاثة : يعرض اولها معلومات عامة في الفرنسية ، ويختص الثاني بتصريف الافعال القياسية ، والباب الثالث للافعال الشاذة .

والكتابان — كلاهما — نشرتهما « مكتبة الهلال بالفجالة — القاهرة » .

الاهرام

ويقدم الزميل « الاستاذ محمد حموده : مدرس الفرنسية بالمدارس الثانوية » الى المكتبة المدرسية « الكتاب الاول في اللغة الفرنسية » وله شرح مبسط موجز للمنهج المدرسي المقرر .

ولقد استهل الزميل كتابه بدروس تمهيدية في الابجدية وادوات التعريف والتنكير وعلامات الترقيم ، ثم بسط الدروس المقررة درسا درسا ، وعقب عليها باسئلة وتمرينات مختارة ، وذيل الكتاب بجدول تقريب بأهم الافعال الفرنسية .

وقد تهيأ للاستاذ حموده بحكم اشتغاله بالتدريس زمانا ، حظ وافر من الخبرة بحاجة التلاميذ ، ومعرفة الاسلوب المجدي في تعليمهم هذه اللغة ، وهو هنا يضع خبرته وتجاربه في خدمة تلاميذه وزملائه المشتغلين معه بتدريس الفرنسية وطلاب الثقافة من « مطبعة الاعتماد بالقاهرة » .

الاهرام

حول النقد

[illegible] الى [illegible] الاهرام في الاسبوع الماضي ، [illegible] ، الذي الفه الاستاذ [illegible] ونشرته دار المعرفة بالقاهرة

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

كتب جديدة

عن الباكستان

في هذه الآونة التي تتواصى فيها شعوب الشرق بوحدة جامعة كبرى تجعل لهذا الشرق مكانه في عالم اليوم ، وكلمته في توجيه سياسته وبناء حاضره وتقرير مصيره ، نرى ان الخطوة الاولى في سبيل هذه الوحدة ، هي أن نتعارف على اوسع مدى .

والذي نملكه هنا من وسائل هذا التعارف المرجو ، هو ان نقدم اليوم الى قرائنا كتبا من « باكستان » ننقلها الى عالمنا مثلما أهم من كتب من « جيراننا الاصدقاء » في الشرق الاوسط

محمد اقبال

حياته ، وفلسفته ، وشعره

قرأت على الاستاذ « الدكتور عبد الوهاب عزام » حين كان يدرس لنا الفارسية في الجامعة قبل ان ينتقل سفيرا لمصر بالباكستان — قصائد متفرقة من شعر « اقبال » الذي نظمه بالفارسية ، حببت الينا هذا الفيلسوف الشاعر المؤمن ، واثارت اعجابنا بشخصيته الفذة التي التقى فيها الشرق بكل سحره وروحانيته وتصوفه ، والغرب بكل ادراكه ومنطقه وواقعيته .

ثم تلقيت منذ حين ، كتابا عن « محمد اقبال » للدكتور عزام ، فأقبلت عليه متشوقة النفس مزيدا من العلم بشاعرنا الفيلسوف . وزادني اقبالا على الكتاب ، ما أعرف من ولع الاستاذ الدكتور باقبال الشاعر من قديم ، فضلا عما اتيح له من اتصال وثيق بالشاعر ، واندماج في بيئته ، وخبرة بالعناصر التي انبتت في ارض الشرق ، تلك البذرة الطيبة ، ثم تعهدتها ورعتها حتى اينعت وازدهرت ، وانتشر اريجها العطر في الآفاق ، معلنا عن بعث أمة جديدة ، هي امة باكستان التي رآها الشاعر حقيقة واقعة ، وان حسبها كثيرون خيال شاعر ورؤيا نائم يهيم في متاهة الاحلام ...

ولقد مضى « اقبال » قبل ان تولد « باكستان » بتسع سنوات ... اذ قضى نحبه في داره بلاهور صبح يوم من شهر نيسان عام ١٩٣٨ ، ورأسه في حجر خادمه القديم « علي بخش » ثم همس في ايمان :

« اني لا ارهب الموت ! انا مسلم استقبل المنية راضيا مسرورا . »

وبقيت انغامه تحدو القافلة الساعية الى الوجود الكريم ، وتبشر السارين في مدلهم الظلمات بقرب انبلاج الفجر الجديد ، وتمهد على اعلان وجود باكستان ، ولما تزل املا وحلما .

وصحبت « اقبال » في كتاب الاستاذ الدكتور منذ كان جنينا مضمرا تصنعه وراثات صالحة واصول طيبة ، حتى خرج الى النور في مدينة « سيالكوت » عام ١٨٧٣ ، فتلقاه وطنه بصنعه على عينيه ، ليكون حادي الركب المجاهد ، ومفخرة الشرق والاسلام في وقت عز علينا ما نفاخر به !

وبقي في وطنه حتى اكتمل شبابه ورسخ ايمانه بالشرق وطنه الكبير ، وتغلغلت في اعماقه نزعة التدين وروح الاسلام . فلما انتقل الى اوربا ، اسلم لها عقله تصقله وتنضجه ، وترك لها آفاقه الفكرية تفسح فيها وتوسع منها ، اما قلبه فلم ابدا ينزع الى اصله الاول ، واما مزاجه فبقي بمعزل عن صخب الغرب وماديته ، واما عالمه الروحي ، فظل حرما مقدسا لا تدنو منه مشاعر دخيلة او غريبة طارئة .

وهكذا عاد « اقبال » الى وطنه ، شرقي الروح والهوى ، صوفي المزاج « اسلامي العقيدة » انساني النزعة ، غربي العقل والفكر ، عاد ليمسك قيثارته فيغني للحق والخير والجمال ويدعو لدولة حرة في وطن حر من عالم حر ، ويبشر بعد تمهد فيه الانسانية بالمحبة والسلام

والدكتور عزام يقدم لنا هنا عرضا موجزا لفلسفة « اقبال » كما بدت في منظومتيه « اسرار خودي » و « رموز بي خودي » وقد حرص سفيرنا المؤلف على ان يجلو الطابع الخاص لاقبال الفيلسوف ، والسمات المميزة لفلسفته ومكانتها بين فلسفات الشرق والغرب ، كما حرص على ان يجمل المناقشات التي اثيرت حول هذه الفلسفة التي تحترم « الذاتية » وتراها اصل الكون وتريد لها أن تحيا بالأمل والعمل والحب والكرامة

ثم تحدث الدكتور عزام عن شعر « اقبال » وقدم لنا مختارات رائعة منه ، مترجمة شعرا الى العربية ، فاحتفظ لها باداثها الموسيقي الساحر الخلاب ، دون ان تعوزه الاشارة الى ماخذ ادباء الفرس على ما نظم « اقبال » بالفارسية ، مع محاولة مرة للرد على هذه المآخذ

التاريخ : ١٣ / ٩ / ١٩٥٤

كذلك نرى السفير المصري ، للنقاد الحيارى بالاردية - لعله الادب والادباء من مستشعى الهم - الحكم على شعر اقبال المصري بالاردية ، ونقل سهو حكمهم بان هذا الشعر - في جملته - يبلغ الذروة من الادب الاردي ، ويسامي شعر اعظم شعرائها وان فاقهم سمائه وفلسفته

وانها لاجمل تحية لذكرى اقبال ، ان تتولى « مطبوعات باكستان » نشر هذا الكتاب من الشاعر الفيلسوف وان تكون سفارة باكستان بالقاهرة هي التي اختارت سفير مصر في كراتشي للكتابة عن فيلسوف الشرق وشاعر الحرية والكرامة والخير والجمال . . . . .

باكستان

حقائق وارقام

والى جانب هذا الكتاب عن « محمد اقبال » نشرت « مطبوعات باكستان بالقاهرة » دليلا جامعا يعرف بالدولة الاسلامية الكبرى ، ويعرض نواحي من حياتها الجديدة . وفيه يرى القارىء صورا مشرقة لمظاهر البعث في الهند الاسلامية ، ويقرأ ارقاما وحقائق من الجهود المبذولة لبلوغ الاهداف البعيدة التي رسمها لها قادتها وروادها ، وتحقيق الامال الفساح التي عقدها الشرق والاسلام على تلك الدولة الكبيرة التي قامت في اغسطس عام ١٩٤٧ اثر انهيار امبراطورية الهند البريطانية وبلغ سكانها نحو ستة وسبعين مليون نسمة

وقد نسقت مادة الكتاب في فصول عشرة ، تناولت وصف البلاد وسكانها ، ولمحة تاريخية والدستور ، والتعليم والخدمات الاجتماعية ، والوضع المالي ، والزراعة والتعدين والصناعة والمشروعات الانشائية ، والتجارة والمواصلات واذاعة باكستان

ولا اقول هنا اكثر من ان كتابا كهذا جدير بان يقرأ ، لنرى فيه ما فعل اخواننا مسلمو الهند في سبع سنوات ، وان هي الا شيء في اعمار الشعوب وحياة الدول !! ولنشهد جهودهم في البناء ، وقد طال الاستعمار بهم القرون اوجهد طويلا مهرتهم على الهرب باتجاه الحياة المستقلة والاستمتاع بنعمائها الجسام

حول النقد

للمرة الثانية ، يحمل الادب « السيد مختار عمر بمعهد القاهرة » ببيشاور ، ملاحظات له من النص الذي حققته لرسالة الغفران ، ونشرته « دار المعارف » حقة في « ذخائر العرب »

وقد تأملت هذه الملاحظات على النص المحقق فاذا اكثرها على حق ، ولست اريد ان اعتذر هنا منها ، فمثل هذا العمل مما لا يقبل فيه اعتذار بسهو الناشر او غلط الطابع ، وانما الذي اقوله هو ان الجهد الذي امضيته في التحقيق مدى سبع سنوات ، وصل بي الى درجة من السهو غابت عني بها اشياء اثناء المراجعة فلا يجوز ان يغيب .

وللسيد الاديب شكري وتقديري وللملاحظاته مكانها عندي حتى يتاح لنا اعادة طبع نص الغفران ان شاء الله

بنت الشاطىء
من الاهرام

التاريخ : ٢١ / ٩ / ١٩٥٤

كتب جديدة

عن الإسلام

لمناسبة المؤتمر الإسلامي

الاسلام والشيوعية

دار الكتاب العربي – ١٦٨ ص ق

« الى الذين يحبون الخير لانفسهم وللناس ويحبون أن يعيشوا في حرية وكرامة ، ويحبون أن يعود لبلادهم مجدها الغائب »

الى هؤلاء يقدم « الاستاذ عبد المنعم النمر » كتابه عن « الشيوعية والاسلام »

وكنت قد استغربت – حين بدأت اقرأ الكتاب – أن أجد دراسة متخصصة في الموضوع ، متفرغة له ، لكني جاوزت نصف الكتاب ، وقريبا من ثلثيه ، أقرأ درسا تاريخيا للشيوعية قديما وحديثا ، يتلمس أصولها البعيدة في الفكر القديم ، ويتابع تطورها ومسارها على مدار الزمن ، من عهد « افلاطون » الى عهد « ماركس » ثم الى يومنا هذا

وقرأت فيه ، بعد ذلك العرض التاريخي ، حديثا مفصلا – أو يكاد – عن روسيا الشيوعية التي زعم نفر من المستشفين أو المأجورين انها طريق الخلاص ، تمتنه دراسة لأوضاعنا السياسية والاجتماعية ، ليبين كيف أمان عهد الاقطاع – في حمق أخرق – على تسلل الشيوعية الينا ومحاولتها القاء بذورها الدخيلة في أرضنا الطيبة التي أنهكها الاقطاع واستنفد الاستعمار أكثر عناصر الحيوية فيها ، ومن ثم بدا الاستاذ يستعرض طرق الخلاص ليختار من بينها ما هو أصلح لنا وأقرب الى نجاتنا مما نشكو

ولا أنكر ان حديث المؤلف في هذا كله ناضج الفكرة رطلي الاسلوب ، غير اني أراه قد اعتدى على موضوعه الاصلي المحدد بعنوان الكتاب : « الاسلام والشيوعية » ، اذ استنفد من جهد المؤلف ، ومن صفحات كتابه ، ما كان يحسن – في رأيي – توفيره لخدمة الموضوع الاصيل

وكثير من القراء قد طالعوا كتبا شتى في الشيوعية ، وعرفوا شيئا من تاريخها وادركوا بلا ريب ، العوامل التي تساعد على انباتها ونموها بأسباب النمو ، وكان يكفي المؤلف أن يوجز الحديث عن مثل هذا في المامة عجلى تمهد للموضوع وتلقي ضوءا عليه ، ثم يفرغ لدرس موقف « الاسلام والشيوعية » في تخصص وافاضة ، اذ ان من قومنا من لا يزالون في حاجة الى مزيد من القراءة في موضوع كهذا ، كيما يستبين لهم وجه الصواب في مسألة اختلفت فيها الآراء وتشعبت الاقوال وتعارضت وجهات النظر وتعددت زوايا التناول ، وكان الاستاذ النمر مرجوا لان يأتي في هذا المجال بما ينفع وذلك بما له من معرفة بالاسلام واطلاع على المذاهب الحديثة مع قوة البيان وطلاوة الاداء ، ولولا انه – كما اشرت – قد يعثر بجهده واستنفد منه في تمهيد قبل أن يعقد في صفحة ٩٣ بحثا مفردا « بين الاسلام والمذاهب الحديثة » يؤكد فيه أن الاسلام يتفوق على الشيوعية مهاجمها للاديان ورادها للحريات ، وهذا أمر حلال بينه وبينها ، كما يتفوق علينا أن نأخذ حينا موقفا من شتى المذاهب ، « لان محاولة تطعيم الحياة الاسلامية بمواد غريبة ، تفسدها » ثم يمضي على عجل ليتحدث عن « مشكلاتنا الحديثة في ضوء الاسلام »

وحتى هذا القسم الثاني الخاص بما « بين الاسلام والمذاهب الحديثة » لا يعالج موقف الاسلامية من هذه المذاهب وصلته بها وحكمه فيها ، معالجة متخصصة متمة ، وانما يعنى اكثر في بيان مزايا التشريع الاسلامي ، وسر احتفاظه بقوته وخلوده ، وتهم المستغفين من منكرينا للاسلام

والاستاذ النمر في محاولته اقناع القارئ برأيه ، داعية متحمس ، يلجأ احيانا الى الاقناع العاطفي ، فيقول مثلا : « ومن الواجب ان يفهم هؤلاء وأولئك ، أن الاسلام نظام الهي كامل من صنع الحكيم الخبير الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى ، والذي يعلم ما يصلح البشرية التي خلقها – ص ٩٣ » واسلوب كهذا يمس القلب ، ويلمس ادق مواطن التأثير فيه ولكن علينا الا ننسى أن القراء ليسوا جميعا سواء

ومهما يكن من رأي لي في تناول الاستاذ لموضوعه ، فاني اقدر له دعوته في حماس ورشد الى أن نتذكر مالنا من ماض عريق مجيد بثته شريعة سمحاء غراء ، وانها لقادرة على ان تبني غدنا ، اذا قاومنا فتنة المذاهب الدخيلة الطارئة من الغرب

الله ، والاسرة ، والانسان

وهذا بحث جديد للاستاذ « عباس حافظ » نلمس فيه محاولة حريصة على مدعية شئون قومه ، بفكر متجدد ، يساير الزمن ، ولا يقف جامدا والدنيا من حوله تثب وتتغير

وكنت قد قرأت للاستاذ الاديب منذ نحو عامين : ترجمة لكتاب Animal Farm نشرتها له دار المعارف بعنوان « اسطورة الحيوانات الثائرة » فبدا لي من حيوية أسلوبه ، وانبضه بالحياة ، ما جعلني أقبل على كتابه هذا الجديد ألمس فيه ما لمحته قبل من تجدد وحيوية

التاريخ : ٢١ / ٩ / ١٩٥٤

ولكن ما موضوع الكتاب ؟

حدده الاستاذ الكاتب بعنوان : الله والاسرة والانسان ، ولكنه في تناوله اياه ، لم يجعله اقساما ثلاثة متميزة ، ولم يجعله كذلك بحثا دينيا اجتماعيا نربط فيه بين الله والاسرة والانسان من روابط لا تقوم بدونها حياة ، وانما ضم الاستاذ مقالات شتى عددها اربعة عشر مقالا ، منها ما يتحدث عن التشريع ، واسرار التشريع ، ومنها ما يتحدث عن الاسرة والبيت ، وعن [illegible] والحب ، ومنها مقالة واحدة عن « رسالة الدين » واخرى عن الزوجية ، وربما بدا للقارىء متعجلا ، ان الربط بين هذه المقالات بعنوان كهذا ، فيه شيء من التكلف والاستهواء ، ولكنه حين يمضي في القراءة ، يدرك ان الاستاذ خالد يكتب في هذا كله ، وامامه هدف لا يحيد عنه ، وهو ان يحتوي روابط الانسان باسرته ومجتمعه ، حافلا من الحب والايمان ، بسبيل سعادة وقوة وسلام

يبدو هذا واضحا رغم ما يحوزه مادة الكتاب من تناسق في ذلك المدار ، ولعل الاستاذ [illegible] لعجل طبع الكتاب واصداره ، [illegible] مجموعة من المقالات ، وكان يمكن ان [illegible] منها بحثا متناسق الفصول متلاحم الاجزاء

وكنت ارجو لو جعل الاستاذ [illegible] مكان الوطن وراء الاسرة ، [illegible] كبيرا من حديثه بدور في [illegible] بعض اوضاع المجتمع ، [illegible] من [illegible] هذا الموقف [illegible] ومن [illegible] على الناس [illegible] والتجريبات المحدثة ، ومن الايمان [illegible] لما كان الايمان ليحول بيننا وبين كل [illegible] مبتدع في دنيانا ، ولا هو [illegible] ، وقد دعا الله الى الناس ، [illegible]

الاسلام
وعنايته بالصحة والطب

ولفضيلة الاستاذ « الشيخ محمد اسماعيل عبد رب النبي : واعظ القاهرة ، ورئيس تحرير نور الاسلام » رسالة موجزة [illegible] عن الاسلام وعنايته بالصحة والطب ، [illegible] والمسلمين ، كتب [illegible] الاولى بحثا [illegible]

[illegible] الازهر الى الزعيم [illegible] في ابريل سنة ١٩٥٤ [illegible]

وفي هذه الرسالة ، يتحدث [illegible] الاستاذ عن [illegible] الاسلام [illegible] [illegible]

وفي [illegible] الى جانب هذا [illegible] من [illegible]

وقد [illegible] الازهر [illegible]

[illegible] ولا [illegible]

[illegible]

التاريخ : ٢٧ / ٩ / ١٩٥٤

كتب جديدة

فى التشريع والاقتصاد

القانون المقارن
فى الاحوال الشخصية للاجانب

ورثت مصر امراضا تحت تأثير الامتيازات الاجنبية التى تركها لنا الحكم العثماني ميراثا مبهما ، فمن شأن تمتع الاجانب [illegible] فى مسائل الاحوال الشخصية لمحاكمهم القنصلية [illegible] فى هذا وحده ما فيه من حرج للكرامة القومية واهدار لسيادة القضاء المصرى

حتى اذن الله واستردت مصر سيادتها القضائية على سكان البلاد جميعا [illegible] اكتوبر عام [illegible]

لكن مصر رأت مع هذا ان [illegible] المعاهدة : ان [illegible] فى بلادنا [illegible] القضاء [illegible] من الاجانب [illegible] الخاصة بالاحوال الشخصية ، ومن ثم كان لزاما على هؤلاء القضاة المصريين دراسة القوانين الاجنبية للاحوال الشخصية

واليوم يقدم « الاستاذ نادرس ميخائيل نادرس » وكيل محكمة الاسكندرية الابتدائية ، ورئيس دائرة الاحوال الشخصية بها لنا دراسة [illegible] ، جمع فيها قوانين الاحوال الشخصية فى مختلف بلدان العالم [illegible] ، وتناولها بالشرح المفصل والدرس المقارن ، [illegible] فى هذا كله بالاحكام [illegible] ، وما صدر من احكام فى القضاء المصرى ، من المحاكم المختلطة ، مع شرح قواعد [illegible] الخاصة بهذه القوانين

واذا كانت الاسرة [illegible] فى كتاب « الاستاذ نادرس » مظهرا حيا للاستقلال القضائي التام للمحكمة المصرية ، فان القراء جديرون بأن نجد فيه الى جانب هذا عرضا شاملا لقوانين الاحوال الشخصية فى شتى الدول [illegible] بموضوع كهذا [illegible] ، ولا يكاد احدنا يستغنى عن علم به

العبادات فى الاسلام
مطبعة العلوم بالقاهرة — ١٢٩ ص [illegible]

وهذا كتاب عن « العبادات فى الاسلام » يقدم فيه « الاستاذ محمد اسماعيل [illegible] المعيد بدار العلوم » دراسة [illegible] لهذا الجانب الهام من جوانب الفقه الاسلامى [illegible] مختلف الاحكام فيه من [illegible] المعروفة فى كتب الفقه ، [illegible] فيها نظرة [illegible] ، [illegible] فى يسر واناة

والبحث اقرب الى ان يكون عاما بالطلاب الذين [illegible] على الدرس الفقهى او يحتاجون اليه فى دراساتهم [illegible] للعربية والاسلام ، [illegible] الى جانب ذلك ما يحتاج اليه [illegible] الفقه فى دينه ، [illegible] على [illegible] آراء [illegible] القراء فيما يمارسه من عبادات ، ومن هنا كان لكتاب الاستاذ محمد اسماعيل اهميته ، من حيث تناوله موضوعا ذا [illegible]

والقارئ يجد فى هذا الكتاب ما يشاء من احكام كل فرع من فروع العبادات ، [illegible] فى [illegible] واسبابه ، مع دقة فى التناول وحرص على ايراد النصوص [illegible] من الاحكام ، وجمع [illegible] المسائل [illegible] على [illegible]

ولا نحاول هنا [illegible] كتاب [illegible] ، وانما يكفى ان نشير الى ملاحظ عامة [illegible] لها [illegible] فى [illegible]

واول ما [illegible] من هذه الملاحظ ، ان الاستاذ [illegible] فى صدر الكتاب ، [illegible] واحدة [illegible] ، بجدول [illegible] الاعضاء [illegible] ، [illegible] لو [illegible] الى [illegible] ، [illegible] الاعضاء [illegible] كتابه ، [illegible] ، [illegible] بقول [illegible] : [illegible]

والملاحظ الثاني منهجى وليس [illegible] ، وذلك ان المؤلف [illegible] حاجة [illegible] تمهيدا الى [illegible] تعدد المذاهب الفقهية حتى لا [illegible] من اختلاف الاراء فى المسألة الواحدة ، [illegible] هذا [illegible] ، [illegible] بصفحة واحدة من كتاب [illegible] ، [illegible] هذه الصفحة الواحدة ، [illegible] فى مقدمة [illegible] الفقه على المذاهب الاربعة الذى نشرته وزارة الاوقاف

[illegible] هذه الصفحة [illegible] المذاهب الاربعة [illegible] ، [illegible] من احسنه الصفحة السابقة ، [illegible] ، [illegible] مكرر [illegible] كذلك فى مقدمة [illegible] وزارة الاوقاف المذكور [illegible] ، [illegible] فى هذا [illegible] ، [illegible] وجهة نظر المؤلف فى ترتيب المذاهب الاربعة ، [illegible] المذهب الحنفى ، ثم المالكى ، ثم الشافعى ، ثم الحنبلى . وهو ترتيب لا يقوم على الاعتبار [illegible] الذى [illegible] تطور الفقه على مدار الايام ، ولا هو قائم على الاعتبار [illegible] الذى [illegible] بعد الانتشار [illegible] فى المذهب [illegible] ولا هو قائم على [illegible] والانتشار لكل من هذه المذاهب ، [illegible] كذلك [illegible] عن الترتيب الابجدى

[illegible] ملاحظة اخرى ، [illegible] ان المؤلف [illegible] فى صدر الكتاب [illegible] طويلا بمراجعه ، [illegible] [illegible] من المصادر والمراجع ، [illegible] واحد [illegible] القرآن الكريم ، وكتب التفسير ، وامهات كتب الحديث والفقه ، [illegible] كتاب « [illegible] » للدكتور [illegible] ، و « [illegible] » [illegible] ، [illegible] [illegible] ، [illegible] لا [illegible] مصدرا من مصادر كتاب فى العبادات

وما [illegible] الا [illegible] فى البحث [illegible] اطلاع [illegible] ، [illegible] ، [illegible] هذه الملاحظ

الوجيز فى احكام المواريث
مكتبة النهضة المصرية — ١٧٦ ص [illegible]

وفى [illegible] ، [illegible] الاستاذ [illegible]

عبد الحميد الملطاوي : مأمور ضرائب المصدر الأعلى » قدم فيه شرحا مختصرا لنص القانون رقم ٧٧ لسنة ١٩١٢ ، وأحكام الرسم الذي نص عليها القانون رقم ٧١ لسنة ١٩٤٦ ، والكتاب يشمل جميع إجراءات [illegible] ووسائل [illegible] ، ويبين الحقوق المتعلقة بالتركة ، [illegible] من شروط الوصية ومراتبها وأسبابها ، ويشرح بعد هذا الحديث عن [illegible] ، [illegible] المعرض والهبات ، والوقف ، ودوري الإرصاد لم تتناول بنية أحكام الإرث والوصية ، مع طائفة مختارة من الأمثلة العملية .

ويلي الكتاب [illegible] الاستمارات في المعاملات والمحاكم وهيئة الضرائب مرتبة بأرقامها .

الكتاب السنوي لسوق الأوراق المالية

والى رجال المال والاقتصاد ، والذين لهم اتصال بالأوراق المالية وسوقها ، يقدم اليوم ولأول مرة في تاريخ المكتبة العربية ، « الكتاب السنوي لسوق الأوراق المالية » عن عام ١٩٥٣ : ١٩٥٤ .

[illegible] هذا الكتاب ، الأستاذ محسن سيد شديد ، بسكرتيرية سوق الأوراق المالية » وحرص على أن يجمع فيه كل ما يمس بالسوق من نواحي ولوائح وأنظمة ونشاطه .

وإذا عرف القارئ أن حملة ورءوس الأموال الشركات المقيدة رسميا في السوق ، تبلغ هذا العام ٤١٢ مليونا من الجنيهات ، أدرك مدى الحاجة الى كتاب [illegible] مرجعا ذا شأن في جانب من أهم جوانب حياتنا الاقتصادية ، وبذلك المعلومات التي يتلقاها الباحث في شئون الشركات المساهمة ، يقدمه مثل هذا الدليل بالعربية .

وقد نسق الكتاب في ثلاثة أبواب ، يتناول أولها المالية العامة وما يتصل بها من مسائل أهمها : مشروعات الميزانية ، وجداول احصائية للتجارة الخارجية ، وبحث وافية لتقارير البنوك الكبرى واتحاد الصناعات ، في الحالة الاقتصادية في عام ١٩٥٢ .

ويتضمن الباب الثاني ، الحديث عما يتصل بسوق الأوراق المالية : كلوائح ، والأنظمة ، والقرارات ، ولجنتها الادارية ، وأعمالها الماضية ، والحاضرة .

أما الباب الثالث فيختص بالأوراق المالية التي تصدرها الحكومة ، والمجالس البلدية ، والشركات المساهمة .

والكتاب مقدم بكلمة للأستاذ ، مصطفى أمين لبيب ، رئيس لجنة سوق الأوراق المالية بالقاهرة ، ينوه فيها بجهد الأستاذ سعيد في « أول كتاب بالعربية » يضم جميع البيانات المتعلقة بالمالية العامة والتجارة الخارجية والبورصة وشركات المساهمة ، لكي يتوفر لكل من لهم علاقة بهذه الشئون ، معرفة واسعة بمدى النشاط ، لما يطرأ على الاقتصاد القومي من تطورات ، كما يساعد الذين يودون توظيف أموالهم في الأغراض المالية ، على الاختيار الرشيد ، على ضوء الحالة العامة ، ومركز المالي لكل شركة ، بصفة عامة .

مطبوعات اليونسكو

وأهدت الينا « اليونسكو » بمناسبة زيارة مديرها العام ، الدكتور لوثر ايفانز ، لمصر ، طائفة من مطبوعاتها التي نشرتها في الأعوام الأخيرة .

ويدل نشرة مختصرة الى هذه النشرة ، لتصحيح رأي سائد في أن اليونسكو لا تعمل في هذا المجال ، أن يكون دارا دولية للنشر ، بالحق أن هدفها الأول ، هو تعزيز التفاهم الأساسي بين الشعوب ، ودعم السلام بين الدول ، عن طريق تبادل الخبرات المختلفة ، والمعلومات المتنوعة ، لعلها تساعد على إثارة الرأي العام العالمي ، في جهوده المشتركة نحو الطمأنينة والأمن .

وفي قائمة مطبوعات اليونسكو ، ما يؤيد هذا الهدف ويجليه ، اذ تتجه أكثر المطبوعات الى معالجة المشكلات الانسانية الكبرى ، في ميادين التربية ، والعلم ، والفن ، مع عناية واضحة بشئون الشرق الأوسط .

بنت الشاطيء
من الأهرام

التاريخ : ٤ / ١٠ / ١٩٥٤

كتب جديدة

فى المكتبة التاريخية

فلسفة التاريخ

دار المعارف – ٢٢٨ ص ٨

عنوان هذا الكتاب فى الاصل الفرنسى : « الاسس العلمية لفلسفة التاريخ » وهو آخر كتاب للعلامة الفيلسوف « جوستاف لوبون » اخرجه للناس عام ١٩٣١ ومات بعد اخراجه بعام واحد .

ولقد اغرانى موضوع الكتاب بمحاولة قراءته رغم ما اجده فى مترجمات « الاستاذ عادل زعيتر » من صعوبة ومشقة ، احتاج معهما احيانا الى ان يكون احد المعاجم اللغوية بجانبى وانا اقرأ ، كما قد احتاج الى معاودة قراءة الفقرة الواحدة مرتين وثلاثا لكى افهم معناها .

وكنت قد قرأت من قبل قليلا من مترجمات الاستاذ زعيتر التى بلغ عددها نحو عشرين كتابا ، ولكنى لا ازال اجد اسلوبه صعبا معقدا وما زلت اقف اليوم امام كثير من عباراته ليتجلى معناها لى ، مثل ترجمته لتعريف « كليمنصو » للديمقراطية بانها « زيادة اقسام الذكاء فى الاسفل مسماه بزيادة الذكاء فى الاسفل رجوعا الى سعة اطلاقهما الى جهات عامة مقبولة ميسورة فى سبيل جميع الامة ص ٢٤١ او ترجمته لقول لوبون : « ويساعد اضطلاع جمهورية هايتى التى يسكنها الزنوج حصرا على بيان كون كل عرق لا يقدر ان يبلغ غير درجة من الحضارة مناسبة لدماغه ص ١٧٧

ويزيد فى صعوبة الاسلوب ان الاستاذ المترجم يعرب الاعلام الاجنبية بغير ما الفنا ، وما احسبنى وحدى التى تتردد امام قوله مثلا « امبراطورية شارلكن التى كانت مستقرة بعهمة فى النمسا » قبل ان تفطن الى انه يقصد « امبراطورية شارلكان » التى كانت مستقرة بفيينا فى النمسا »

ولا بأس على الاستاذ زعيتر من تعسرى فى فهم اسلوبه ، فربما كان ذوق عسراى ونحن بعد ندين له بما نقل الى العربية من روائع الفكر الغربى ، وبخاصة هذا الكتاب الجديد الذى يصحح فهمنا للتاريخ والحياة ، والذى يقول « لوبون » فى مقدمته « ان التاريخ اذ يقتصر على عرض بسيط للوقائع التى كان العالم مسرحا لها ، يخرج كدسا من المتبسات الصادرة عن مصادفات مفاجئة ، وتبسط اهم الحوادث فيه من غير صلة بينة ويؤدى ادق العلل واصغرها الى نتائج عظيمة الخطر جدا »

والاستاذ لوبون ايبدا بحثه النظرى فى فلسفة القرن العاشر ، وتقلب العالم وتطوره ثم يعرض التفسيرات المختلفة للتاريخ دوائية ولاهوتية وفلسفية ، واقتصادية ، مع بيان ما قد يكون فى كل منها من خطأ ، ليتناول بعد ذلك المواد العلمية الاصيلة للتاريخ كتعيين حوادث بالشهادة والآثار ، والاحصاء امع فهم مزاج الامة النفسى بدراسة ادبها . ومن ثم راح يبسط الدول فى العناصر الموجدة للتاريخ ، والعناصر التى تحل بها الامم ، فاستطاع بهذا كله ان يهيئنا لقراءة الباب الذى افرده لبيان عوامل التاريخ الجديدة

وقد اضاف الاستاذ المترجم الى هذا ، تعليقات خاصة هامة ، جاء فيها بمختارات من رسائل تبادلها المؤلف وبعض اقطاب السياسة ، ومختارات اخرى من كتب حول بعض المسائل التى عولجت فى هذا الكتاب

وانه لمن الشائق حقا ، ان تقرأ كتابا كهذا فى عام ١٩٥٤ ، فتعرض آراء مؤلفه واقواله الملهمة عن تاريخ العالم « على ضوء الوقائع التى حدثت فى الاعوام الثلاثة والعشرين التى اعقبت وفاة « لوبون » وترى كيف لاحت له نذر العاصفة الهوجاء المستطيرة لحرب قيام سلم حتى مع لدى جمعية الامم وتوسعها ، تعصى بنذر بحرب شعواء مدمرة ، تصير الغالب فيها والمغلوب الى الخراب . ثم امسك بخريطة اوربا ليرى اصبعه على « دانزيج » الالمانية التى فصلت عن الرايخ وضمت لبولونيا قائلا : « بسبب ابطال ان الملامات الالمانية البولونية من اسود نقاط السياسة الاوربية »

ومن الممتع كذلك ان نقرأ ما كتبه « لوبون » من خداع الحواس ، وعواطف الجماهير ، واهمية الشعائر وسلطان العادات فى الشعوب وأثر الفن فى صنع التاريخ

واذا كنت قد تكلفت جهدا مضنيا فى مطالعته

التاريخ : ٤ / ١٠ / ١٩٥٤

فلسنا نظل بنادمة على ما تكشف ، بل انى آدعو ان امرؤ الى الكتاب مانرا به من جديد السامسا لراد للنرى من ننه السرج الدسم الذى بصح الراى ويوسع الافق ، ويزيد افهمنا للحياة والتاريخ سعة وعمقا

تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة

اما هذا الكتاب فلم يتح لى ان اقرأ طبعته الاولى التى ظهرت عام ١٩٢٦ ، وكنت بحيث انصرف عن هذه الطبعة الثانية التى نشرتها لجنة التأليف والترجمة منذ اشهر ، لولا ان المؤلف « الاستاذ محمد عبد الله عنان » عودنا الا يعيد طبع كتاب من مؤلفاته دون مراجعة دقيقة وتنقيح شامل واضافات جديدة تجعله يساير الزمن ويلائم العصر ويتمشى مع تطورات الاحداث ، حتى لتكاد الطبعات الثانية من هذه المؤلفات تبدو جديدة

و « الاستاذ عنان » يمضى فى هذا الكتاب يعرض تاريخا شاملا للحركات الهدامة والثورات فى تاريخ الاديان والسياسة والمجتمعات ، فى خمسة ابواب : اولها خاص بالثورة على الاسلام وثانيهما بالثورة على النصرانية ، وافرد الثالث والرابع للجمعيات السرية الحديثة والخامس لحركات الهدم المعاصرة ، ثم ختم الكتاب ببحث قيم فى الثورة العالمية التى استغل دعاتها مايعانيه اكثر الشعوب من بأساء خاصة وآلام اجتماعية مريرة ، ومايسودها من روح اليأس والنقمة فراحوا يعملون فى تحطيم المدنية الحاضرة بما قامت عليه من اديان وتعاليم وتقاليد ، ويغرون مجتمع اليوم بتعاليم هدامة ووعود مذهبة

ومیزة الكتاب ، انه يعرض على تاريخ الاسلامية وانه المؤلف واسع الاطلاع على المصادر ، ناضج الثقافة التاريخية فى اسلوب رصين متزن ، لايبدو فيه اثر واضح لتعصب جامح او انفعال حاد

وقلما يحاول « الاستاذ عنان » ان يحملك على رأى له خاص فى اصرار وتشبث بل يدع لك الحكم بعد ان يضع بين يديك ما استطاع من مقاييس منضبطة وموازين دقيقة ويجلو امامك احداث الماضى لكى تأخذ منها ماشئت من عبرة ، وتهتدى بها فى معرفة مايموج به عالمنا من تيارات مضطربة ومذاهب شتى

نظام البريد فى الدولة الاسلامية

وهذا جانب هام من تاريخ الحضارة الاسلامية اختاره « الدكتور نظير حسان السعدى » المدرس الاول للمواد الاجتماعية بالمعادى الثانوية موضوعا لرسالة الماجستير بكلية الاداب فى جامعة القاهرة

وربما بدا الموضوع للنظرة الاولى ، قديما لايعنى سوى المختصين فى التاريخ الاسلامى ولكنا حين نذكر مكان « البريد » فى الحضارة الانسانية بعامة ، يحلو لنا ان نتتبع مراحل تطوره فى الدولة الاسلامية لنشهد كيف كان قومنا ينظمون رسائلهم فى مملكة واسعة مترامية الاطراف مع قصور الوسائل وكيف كانت امور الدولة تحمل من دمشق وبغداد الى اقصى الشرق واقصى الغرب فى عصر اسبق من ان يخترع القطار ويعرف البرق ، وحتى كانت القاهرة لاتعدو ان تكون حصنا اسطوريا يحاول البشرية منذ سنين بعيدة اترع الدوحيزه الله لسليمان

وقد سبقنا المستشرقون الى العناية بهذا الجانب فاخرجت مطبعة « ليبزج » منذ نصف عام كتاب للمستشرق الالمانى « شبرنجر » عن « البريد وطرق السفر فى بلاد الشرق » ونشرت مطبعة باريس عام ١٩٤١ ، كتب للاستاذ سوفاجيه عن « البريد على الانز وامبراطورية المماليك »

بدأ المؤلف بحثه بفصل تمهيدى عن البريد قبل الاسلام ، عند الفراعنة والرومان والفرس ثم انتقل الى صميم الموضوع فتحدث عن البريد فى الدولة الاسلامية ممهدا له بكلمة عن بريد الجاهلية ومشاركا فيه البريد فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم بريد الخلفاء الراشدين ، والامويين ، والعباسيين وتحدث بعد ذلك عن ديوان البريد ، وعماله ، وطرقه ، ليعود فيتكلم عن البريد فى مصر الاسلامية ثم بعقد فصلا عن البريد الجوى (الحمام الزاجل) ونظام المخاطبة بالمشاعل والطبول والماء .

وذيل الكتاب بملاحق هامة ، احدها خاص بمقارنة وحدة القياس الطولى عند العرب وفى العصر الحاضر ، وآخر خاص بخرائط لبعض طرق البريد فى الدولة الاسلامية

ولعل هذا العرض الموجز لفصول الكتاب ، يعطى القارئ فكرة عن خصب مادته واتساع آفاقه ، اما اسلوب الكتاب فكان يحوج الى مزيد من العناية بالمراجعة اللغوية ، كما كان فى حاجة الى تنسيق نطمئن به لفصول الكتاب فى مواضعها ، فلا يأتى المؤلف بفصل عن البريد فى مصر الاسلامية ، فاصلا بين شطرى حديث عن « طرق البريد وعماله » و « الحمام الزاجل » ونظام المخاطبة بالمشاعل والطبول ، ولايفصل بين البريد فى الدولة الاسلامية ، والبريد فى مصر الاسلامية التى هى جزء من الدولة الكبرى بفصل عن ديوان البريد وعماله وطرقه

ومراجع الكتاب فيها نظر ، فقد ساق المؤلف تحت عنوان « مصادر البحث » عددا من مجلة الرائد العربى ، واخر من مجلة المجمع العربى والمجلد السابع عشر من دائرة المعارف البريطانية ، والمجلد الثانى عشر من معجم لاروس الكبير ، وطائفة من مؤلفات مصرية لا يمكن ان نعدها بحال ما مصدرا لمادة بحث عن نظام البريد فى الدولة الاسلامية وانما اقصى امرها ان تكون « مراجع » ، ومثل الدكتور السعدى من يفرق بين المصدر والمرجع

بنت الشاطئ

من الاهرام

التاريخ : ١٦ / ١٠ / ١٩٥٤

«لا يُقاد الوالد بولده»

تكريم للإنسانية، ومفخرة للإسلام

للدكتورة بنت الشاطئ

وقالت الدكتورة بنت الشاطئ :

لست في كثير من الدهشة والاهتمام بما نشرته « الاهرام » من آراء الفقهاء ورجال القانون ، فيما أفتى به فضيلة « مفتي الاسكندرية » من عدم جواز قتل الوالد بولده .

وما كنت افكر في أن اشترك بقلمي في معركة فقهية كهذه ، لنصغي اهل الرأي فيها ، حتى حضرت منذ ايام مجلس استاذنا عميد الجيل « احمد لطفي السيد » فسمعت احد اطبائنا الكبار ، يتحدث عما كان لهذه الفتوى من صدى كريه عند نفر من الاجانب لقيهم السيد الطبيب فتساءلوا متشككين الى ما يعرفون من تسامحه وسعة افقه : اذا لم نحمل دون نشر فتوى تجرح سمعة الاسلام وتعرض شريعته لاقسى اتهام ، حين يذاع انها — على وجه ما — تبيح للوالد ان يقتل ولده دون خوف من قصاص !

وعبثا حاول الطبيب المسلم ان يقنعهم بأن الائمة لم يجمعوا على هذا الرأي ، فقد اصر هؤلاء الاجانب على ان مجرد وجود رأي مثله ولو في مذهب واحد من مذاهبنا الاربعة ، يكفي لان يلقي على الشريعة كلها ظلالا ربداء ، وينأى بها عن المجال الانساني الذي يشمئز له الضمير الحي رعبا واشمئزازا من جريمة الابوة القاتلة .

وعجبت لما سمعت ...

وما ذاك العجب لاني كنت استبعد ان يطعن القوم في الشريعة الاسلامية بحق او بباطل ، وانما انكرت ان يكون في الحديث الشريف : « لا يقاد الوالد بولده » سبيل لتطفل او اتهام ، من ناس يتشدقون بالانسانية ويزعمون انهم يدينون بها ، وكان الظن ان تهديهم انسانيتهم الى الروح السامية التي املت هذا النص الجدير بان تعتز به البشرية بقدر ما تعتز به شريعتنا الغراء

ولقد كان يكفينا هنا ، أن نرد على الطاعنين بما ذهب اليه فضيلة الاستاذ الاكبر « الشيخ عبد الرحمن تاج » من أن مذهب الحنفية هنا ، استثناء من عموم وجوب القصاص في الآية الكريمة : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى » .

او بما قاله استاذنا الفقيه ، فضيلة « الشيخ فرج السنهوري ، وزير الاوقاف الاسبق » من أن فتوى الاسكندرية ليست من القصاص الذي هو حق ولي المقتول ، وانما هي من القتل سياسة ، الذي رده الشرع الى ولي الامر وحده ، « يعهد اليه محافظة على كيان المجتمع وضبطا لنظامه واقرارا لما تستقر به أموره على الوجه الذي يكفل الصالح العام » .

وهو رد حاسم في الموضوع ، يضاف اليه أن رأي فضيلة المفتي غير ملزم للقاضي ، وأن أقطاب القانون عندنا — وفيهم سعادة الاستاذ حافظ سابق ، النائب العام — ذهبوا في قضية الاسكندرية الى وجوب اعدام الاب القاتل .

لكن هذا كله ، لا يغني أن من الائمة الاربعة من ذهب الى وجوب العمل بالحديث الشريف « لا يقاد الوالد بولده » ، وأن القصاص في الشريعة الاسلامية حق ولي المقتول ، وله أن يعفو عن القاتل ، فهل في هذا المذهب ما يؤذي سمعة الشرع الاسلامي ؟

كلا ، وانما هو — فيما أرى — مفخرة لها ، وآية على سموها بالانسانية الى ابعد مدى وأكرمه ، فهذا النص الذي يأبى أن يقاد الوالد بولده ، صريح الدلالة على أن الشرع لا يرى أن الاب يقتل ولده وهو في حالة طبيعية من الوعي والارادة ، وهما مناط المسئولية ،

فالاصل عنده ان الوالد يؤثر ولده على نفسه وقد يجود بالحياة راضيا كيما يفتديه ، ويستحيل ان يقتله الا مسلوب الارادة او في لحظة جنون

وموقف الشرع هنا يتسق مع الحاحه في الكتاب الكريم على ان يوصي الولد بأبويه ، ويقضي بان الاحسان اليهما ، تال للتوحيد :

« وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ، اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما ، وقل لهما قولا كريما ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا » ، على حين اكتفى بالابوة عن ان يوصيها بالولد ، لان الابوة عنده هي الرحمة والحب ، والبذل والايثار ، وذلك هو غاية ما وصل اليه المذهب الاجتماعي الحديث ، حين قرر على لسان العلامة « مكدوجال » ان الغريزة الوالدية هي « العامل الوحيد في الطبيعة البشرية ، المنكر للذات .. ومنه تنبثق كل عوامل التضحية والايثار وانكار الذات »

ووقائع الحياة امامنا تشهد بان الولد قد يقتل اباه لسبب تافه ، بل قد يقتله لغير سبب الا ان يستقل عنه اذا كان فقيرا ، او يستعجل الميراث ان كان غنيا ، اما الاب فمحال ان يقتل ولده وهو مالك لارادته ورشده ، وانما يقترف هذا الجرم البشع تحت ضغط ظروف قاهرة ، تسلب ارادته ، او تمس عقله ، او تمسخ فطرته ، فتمدنه به ولو للحظة عابرة — رداء الامومة والابوة جميعا

فهل نطلب شريعة ارتفعت بالابوة الى هذا المستوى ، وابت أن تعترف بأن الاب يقتل فلذة كبده عمدا مختارا واعيا ؟

وهل يخزينا نحن المسلمين ، ان يذاع نص كهذا ينطوي على اعمق معاني التكريم للانسانية ؟

كلا ، بل نطلع هذا النص على مسمع من عالم اليوم ، مباهين بالدين الذي يلمح من تكريمه للبشرية الا يعترف بأن الاسرة تمسي واهية او عاطفة ، وما هذا بمستغرب من دين ينص كتابه الكريم على ان الله امر الملائكة بالسجود لادم ، ابي البشر !

التاريخ : ١٩ / ١٠ / ١٩٥٤

كتاب جديد

فلسفة الثورة

حاولت وانا اتهيأ للكتابة عن « فلسفة الثورة » أن أنسى أن الكتاب بقلم القائد الرئيس « جمال عبد الناصر » ولكني لم أوفق فيما حاولت .

ولكني مع ذلك افترض ان اكثر القراء قد طالعوا فعلا كتاب « فلسفة الثورة » وحسبنا بطبيعة الحال التقديم لهم على نحو ما نقرأ في الكتب الجديدة التي لم تقرأ بعد ، وانما اتناول هنا جانبا بعينه من جوانب الكتاب واراه جديرا بوقفة متأملة متمهلة .

ذلك هو ايمان الرئيس الثائر بأن الثورة لم تكن حدثا تلقائيا رد الصغار الى وطن سلبه الاستعمار في الاكفان ، ونهب فيه الطامعون كل عناصر الحرية والكرامة والاباء ، وحتى فكرة عميقة نبتت في الظلام ورعاها الطغاة والمستعمرون حتى نمت وذاعت ، فلولا الاكثرون منا يرددون ما يقال من « مصر المسكينة التي لم تعرف الاستقلال منذ أيام الفراعين » والتي تناوب عليها المستعمرون اشكالا والوانا ، من بربر ورعاة ، وفرس وروم ، وعرب وترك ، ومغول ومماليك ، وفرنسيين وانجليز » ونسي هؤلاء أن يتقدموا على توالي هالك المحن ، آية حريتها الخالدة ، لما توارت مصر يوما من مسرح التاريخ الحي ، ولا لبثت لحظة في غاصب دخيل ، وانما لقي فيها المستعمرون والدخلاء من كل جنس ولون وكان يتلاءم على ارضها ومنا بما يدمرون من مصر !

والذين يزعمون او يفترضون انها استنامت الى راحة اليأس وسكنت الى رقدة الموت حتى انبعثت الثورة لتبعثها من مرقدها وتردها ملء العزة والحياة ، يجهلون أن هؤلاء الفتية الثائرين قد تسلموا مصر على عهدها قبل الثورة بسنين ، واسلمتهم الميراث المقدس الذي حرسته الاجيال على مر الحقب ، واودعت في امانتهم البذرة الطيبة التي قاومت عوامل الفناء منذ ما لا يحصى من السنين .

اقول هذا وانا اقرأ آية الايمان التي افتتح بها الرئيس الثائر كتابه :

« .. ان الحديث عن فلسفة ثورة ٢٣ يوليو ، يلزمه اساتذة يتعمقون في البحث عن جذورها الضاربة في اعماق تاريخ شعبنا

« وقصص كفاح الشعوب ليس فيها ثغرات يملؤها الهباء ، وكذلك ليس فيها مفاجآت تقفز الى الوجود دون مقدمات

« ان كفاح اي شعب ، جيلا بعد جيل ، بناء يرتفع حجرا فوق حجر .

« وكما ان كل حجر في البناء يتخذ من الحجر الذي تحته قاعدة يرتكز عليها ، كذلك الاحداث في قصص كفاح الشعوب »

واذ نمضي في الاصغاء الى حديث الرئيس ، يروعنا منه أن ذلك الايمان ليس فكرة عابرة ولا عبارة مرتجلة ، ولا وحيا طارئا ، ولا خاطرة عجلى ، وانما هو شعور عميق مستقر في وجدان الثائر ، وفكرة اصيلة متميزة في عقل القائد :

« وليس صحيحا أن ثورة ٢٣ يوليو قامت بسبب النتائج التي اسفرت عنها حرب فلسطين وليس صحيحا كذلك انها قامت بسبب الاسلحة الفاسدة التي راح ضحيتها جنود وضباط ، وابعد من ذلك عن الصحة ما يقال من أن السبب كان ازمة الانتخابات لنادي ضباط الجيش

« انما الامر في رأيي كان ابعد من هذا واعمق غورا ،

« ولو كان ضباط الجيش حاولوا أن يثوروا لانفسهم لانه قد غرر بهم في فلسطين ، او لان فضيحة الاسلحة الفاسدة ارهقت اعصابهم او لان اعتداء وقع على كرامتهم في انتخابات ضباط الجيش ، لما كان الامر يستحق أن يكون ثورة ، ولكان اقرب الاشياء الى وصفه انه مجرد تمرد ، حتى وان كانت الاسباب التي ادت اليه منصفة عادلة في حد ذاتها

« لقد كانت هذه كلها اسبابا عارضة ... وربما كان اكبر تأثير لها انها كانت تستحثنا على الاسراع في طريق الثورة ، ولكننا كنا من غيرها نسير على هذا الطريق » ص ١١

ونتابع الاصغاء الى القائد الثائر ، وهو يحاول أن يتلمس مولد احساسه لاول مرة ببذور الثورة في نفسه ، فاذا تلك البذور لم تكن كامنة في اعماقه وحده ، وانما وجدها كذلك في اعماق لشريكيه في ثورة ١٩ ثم الاخرون بدورهم لايستطيع الواحد منهم ان يتعقب بداية وجودها داخل كيانه ، انهما ولدت في اعماقنا حين ولدنا ، وكانت املا مكبوتا خلقه في وجداننا جهل سبقنا ... في ١٢

هي اذن ثورة قديمة قدم طارلة ، توارت حينا خلف الرماد حتى ان اوانها ، وبذور اصيلة ، فاثرا الجذور في اعماق الماضي ، توارثها أبناء مصر جيلا بعد جيل ،

والرد يتسجابني فاعترف باني ادركت اخيرا بعض ما خلي عنى من سر نجاح الثائرين الاحرار

ولفلسفة الثورة أدين بهذا الادراك ، فمنها عرفت ان ابطالها لم يكفروا بمصر لحظة ولو قد فعلوا ، لقعد بهم اليأس عن مقاومة الطغيان الغاشم ، بحميه استعمار غشيم .

ولم يدر بخلدهم — كما قال بعض الكتاب تفاؤلا وتملقا — انهم جاءوا ليحققوا معجزة احياء الموتى ، ولو قد دار بخلدهم ذلك لاستبعدوا أن ينتصروا الى شعب عدته ثلاثون مليونا من الموتى العبيد ، ليس فيهم سوى بضعة عشر فردا ، من الاحرار الاحياء !

وانما ثاروا لايمانهم الراسخ بان مصر قد كفرت بمن اساءوا الظن بصبرها فحسبوه جمودا أبله ، واخطاروا فهم احتمالها للصبره خنوعا واستسلاما .

« ولقد كان يمكن أن يضيع اى مجتمع تعرض لهذه الظروف التى تعرض لها مجتمعنا وكان يمكن ان تجرفه هذه التيارات التى تدفقت علينا ، ولكننا صمدنا للزلزال العنيف

« صحيح اننا كدنا نفقد توازننا في بعض الظروف ، ولكننا لم نقع على الارض »

وكان هذا الايمان هو سلاحهم الاول في المعركة الظافرة

بل كان الحافز الذى دفعهم الى النصر على الثورة التى زلزلت عرش الطاغية

وجاء مع النصر مده بامنة وثبات جسام لتحرير الوطن من المستعمرين واذنابهم وعملائهم المأجورين .

وكشف نور الفجر عما خلفت عهود الاقطاع على الارض الطيبة من خلال مائدة لئيمة ، وما زرع الاستعمار في الوادي المبارك من ثورات واحقاد واهواء

هنالك وقف القائد الثائر ، ينظر الى كل هذا ، فادركنا على الفور اننا بين شطرى الرحى ؛ ولم يجيء ثورتنا السياسية التى قامت على وحدة الهدف واجتماع الكلمة ونزول الندات ثورة أخرى اجتماعية ، لابد أن تتصادم بها الطبقات ، وتتصارع القيم والمثل ، وتتنافر السبل والغايات .

وفي عقر دارنا اجنبي د ...

وعلى ابوابنا يقف عدو مرد ، يتربص بنا الدوائر ...

والزمان يفرض علينا تطوره ..

والمكان يفرض علينا ليماله ومخاطره

والحياة من حولنا متوثبة متحفزة ، تفجر الذرة ، وتطير الى المريخ

والقدر لا يهزل ...

وهذه هي معركة اليوم ، يعدنا لها القائد الثائر ، ويرسم امامنا ميدانها الواسع حيث تهب الرياح من كل ناحية ، وتزمجر في جنباته العواصف الهوج ، وتترجح فيه البروق والرعود ...

والقائد الرئيس ، جندى عرف الحياة ثورة ونضالا ، ومن ثم جاءت عباراته موجزة ، حاسمة ، مصممة ، معبرة ، لا مجال فيها للفضول من القول او لغو من الكلام ، ولا فراغ عندها لزخرف من اللفظ او تكلف في نسق الانشاء ...

واذ احاول الساعة أن استبين نتيجة المعركة من وراء حجب الغيب المستور ، يلا سمعي صدى باق من صوت شاعرنا « الشابى » طيب الله ثراه :

اذا الشعب يوما اراد الحياة

فلا بد ان يستجيب القدر !

بنت الشاطئ

من الاهرام

١٩٥٤/١١/٨

في ذكرى المولد

العروس الأرملة

للدكتورة بنت الشاطئ

حانت ساعة الفراق ولما يمض على عرسهما غير أيام معدودات

وودع « عبد الله بن عبد المطلب » عروسه الحبيبة حين أذن المؤذن برحيل القافلة الى الشام ، فتشبثت به برهة وقد احست كآبة وانقباضا ، حتى انتزع نفسه منها انتزاعا ووقف في ساحة الدار يقول لها وهو يتكلف التصبر ويتجمل بالمداراة :

— ان هي الا بضعة اسابيع ، ثم اعود اليك يا « آمنة » على جناح الشوق واللهفة :

فهمست في صوت تخنقه العبرة :

— وماذا اصنع بنفسي وانت بعيد !

اجاب متضاحكا :

— تسامرين طيفي الذي لن يبرح مطيفا بك حنوا عليك ، وترعين قلبي الذي ادعه هنا واسافر بجسم ينزع ابدا الى اعز موضع ، ويحن الى أحب واجمل من خلق الله !

فتراخت يداها وانت في ضعف :

— ويلي يا عبد الله من ليالي الطوال !

فصاح بها وهو يخطو نحو باب البيت ووجهه اليها :

— لاويل لك يا « آمنة » ! ستنشالك طوال لياليك احلام عذاب . أنسيت حديث « رقية بنت نوفل » عن النور الذي انتقل مني اليك؟

واذ بلغ الباب ، انفلت مسرعا قبل ان يخونه بصبره وتغلبه عواطفه ، على حين بقيت « آمنة » واقفة بباب مخدعها المقفر ، وقد وضعت يدها على قلبها خشية أن يتصدع !.

ومضى شهر و « آمنة » في فراشها لاتبرحه تسامر اشجانها وترسل قلبها في اثر الحبيب الراحل ، حتى شعرت بالبادرة الاولى للحمل فودت لو طارت بالبشرى الى « عبد الله » .

ثم استعادت شيئا من اشراقها وقد هون عليها مرارة الفراق ان أكثر ايامه قد تصرمت ، وان كل يوم يدنيها من اللقاء المنتظر ، ويزيدها يقينا من الحادث السعيد الذي ترجو ان تلقى به زوجها في اللحظة التي يؤوب فيها

واهل الشهر الثاني او مضت قطعة منه ، وآن للقافلة ان تعود ، فتهيأت « آمنة » للقاء الحبيب ، وراحت تعد مابقي من ايام وساعات وتتمثل زوجها وقد عاد اليها متلهفا يحدثها عما لقي في بعدها من حر الشوق ولوعة الحنين

ولكن هل تراها تستطيع ان تصبر فلا تفاجئه ببشراها قبل أن تسمع كلمة من حديثه الحار !

بهذا شغلت « آمنة » في الفترة التي سبقت عودة القافلة ، حتى تناهى الى اذنيها ضجيج اللقاء في الدور المتاخمة لدارها ، فاين عبدالله ! ما الذي امسكه عنها فلم يخف اليها طائرا ! ;

لعله لقي في طريقه اليها من احتجزه عنها .

او لعل اباه الشيخ آت في صحبته فهما يسيران على مهل ..

او لعل ... ولعل ...

واخيرا احست خطوات وانية تدنو من الدار ، فتعلقت عيناها بالباب وهي لا تكاد تتماسك من انفعال ، حتى اذا فتح الباب بعد لحظة طالت كأنها دهر ، خذلتها قدماها فتسمرت حيث هي : واجمة خائفة

١٩٥٤/١١/٨

لم يكن « عبد الله » هو القادم ، وانما جاء « عبد المطلب » الشيخ . وقد غشيت وجهه غاشية من القلق ..

وقال وهو يتحاشى النظر الى زوجه « آمنة » :

ـ لاباس على عبد الله يا آمنة ! وعكة طارئة المت به وهو فى طريقه الينا فتخلف بيثرب عند اخواله من بنى النجار ، وقد بعثت اليه اخاه الحارث كى يكون معه ، فثوبى الى صبرك وادعى له .

قالت فى ضعف :

ـ افعل ياعم !

وانصرفت من فورها الى الصلاة والدعاء ، فلم تكد تشعر بالقوم حولها ، حتى غادروها الى الكعبة خاشعين ضارعين .

واتم الشهر الثانى دورته وآمنة ، على حالها تجاهد مااستطاعت لتذود اليأس عن قلبها ، وكانت تعاودها فى لحظات نومها القصار رؤيا ملحة ، عن جنين عظيم مستكن فى احشائها وتسمع هاتفا يبشرها بامجد بنوة ، فاذا صحت من نومها شق عليها الا تجد « عبد الله » بجانبها تفضى اليه بالذى ترى وتسمع

ثم عاد « الحارث بن عبد المطلب » وحده ..

عاد لينعى اخاه الشاب ، الى ابيه الشيخ وزوجه العروس ، والقرشيين جميعا

لقد غاله الموت وهو بين اخواله اثر رحيل القافلة التى تخلف عنها

....

ووجمت « آمنة » للخبر ، وجمدت عيناها فما تسعفانها ببكاء

واعفاها ذهولها من الانهيار والتصدع ، فلبثت اياما لاتكاد تصدق النعى ، حتى اذا تيقنت من الفاجعة ، فاضت عبراتها ورددت فى لوعة :

عفا جانب البطحاء من زين هاشم
وجاور لحدا خارجا فى الغماغم

دعته المنايا دعوة فاجابها
وما تركت فى الناس مثل ابن هاشم

عشية راحوا يحملون سريره
تعاوره اصحابه فى التزاحم

فان يك غالته المنون وريبها
فقد كان معطاء كثير التراحم

ثم امسكت لاتزيد ..

ولبست « مكة » كلها ثوب الحداد على فتاها الذى غالته المنون غريبا ولما ينزع عنه ثوب العرس ، وضجلت من النواح عليه حلوق بحت من الهتاف له حين احتفلت بفدائه من الذبح منذ شهرين وايام

كان عمره اذ ذاك اثنتين وعشرين عاما ، فيا للشباب الغض النضير ، يهصره الموت اثر فرحة الفداء ويا للعروس الشابة ، تترمل هكذا سراعا ، ومايزال فى يديها خضاب العرس !

ولفظ المآتم ..

لكن القوم لم يفرغوا من صاحبه الثاوى فى لحده بعيدا بيثرب

كانوا فى حيرة من امره : مادام الله قد كتب عليه الموت هكذا سريعا ، ففيم كان فداؤه من الذبح !

من كان يظن ، حين نحرت الابل المائة بالحرم فداء لعبد الله ، ان المنايا واقفة بالمرصاد للذبيح المفتدى ، على قيد خطوات معدودات !

بهذا شغل القوم

وفى مثله كانت « آمنة » تفكر وهى فى وحدتها تجتر احزانها وتكابد الذى تجد من لوعة المصاب ، حتى خيف عليها الهلاك فتتابع اهلها يحاولون ان يعزوها ، وهى تأبى ان تقبل فى « عبد الله » عزاء

واوجس « آل هاشم وبنو زهرة » فى نفوسهم خيفة ، ان تشتد وطأة الحزن على « آمنة » فتذهب بها ، ولبثت مكة شهرا وبعض شهر وهى ترقب فى قلق ، الى أين تنتهى الاحزان بالارملة العروس ..

حتى كانت ليلة من ليالى شوال ، احاط فيها العواد بفراش « آمنة » وهى فى غمرة شجنها وأساها ، لايفتأ يسأل كل والد ووالدة من اهلها :

« ففيم كان فداؤه اذن ، مادام الله قد كتب عليه الموت العاجل ! »

« ففيم كان العرس الحافل ، ويد القدر تحفر له لحده بيثرب ! »

ثم ادركها الاعياء فاغفت مجهدة ، والعيون ترقبها فى حنان وقلق وارتياب ، على انها مالبثت ان صحت من غفوتها وقالت لمن حولها :

« كانى عرفت سر الذى كان : ان عبد الله لم يفتد من الذبح الا لمهمة عظمى ! لقد امهله

٨/١١/١٩٥٤

الرب ريثما يودعني هذا الجنين الذي شعرت به الآن يتقلب في احشائي ، والذي من اجله يجب ان اعيش ! »

ومن تلك اللحظة الحاسمة ، انزل الله سكينته على « آمنة » فطرت احزانها في اعماقها ، وبدأت تفكر في ابنها الذي يحيا بها ويحييها !

وتسامعت بيوت « مكة » بالنبأ السعيد ، لتوالدت مقاتل قريش على « آمنة » يهنئنها بهذا التراث الحي الغالي الذي تركه عبد الله لها قبل ان يموت

وكثر الحديث مما ملأ الجزيرة من اقوال عن نبي منتظر زمانه

ولعل العرب لم يلقوا بالا ــ اول الامر ــ الى هذا الذي ذاع وانتشر ، اما « آمنة » فالقت كل بالها الى تلك الدائمات ، وما كانت لتنسيت لحظة ان زوجها هو الذي استأثر من دون شبان قريش بمجد الفداء الذي لم تعرف العرب له مثيلا منذ افتدى « اسماعيل بن ابراهيم »

وقد بقي في سمعها صدى قوي رنان ، مما ذكرته اخت « ورقة بن نوفل » من النور الذي انتقل من عبد الله اثر زواجه

ثم هي قبل هذا كله ، سيدة من صميم البيئة الرفيعة الحاكمة في مكة ، وكان من شأن نساء هذه البيئة ، ان يرنون الى بعيد ، وان يرجون للاجنة في بطونهن مجدا لم يسبق اليه احد !

وبلغ الجنين اجله ، وجاءها المخاض في أوان السحر وهي وحيدة في منزلها ليس معها احد سوى جاريتها « بركة » ــ وقيل في رواية اخرى ان ام عثمان بن ابي العاص كانت كذلك معها ــ فاحست مايشبه الخوف ، لكنها ما لبثت أن شعرت بنور يغمر دنياها ، ثم بدا لها كأن جمعا من النساء يحطن بمضجعها ويحنون عليها ، فحسبتهن من بنات عبد مناف ، وعجبت كيف علمن بالامر وما أخبرت به من احد ، غير انها ادركت بعد قليل أن هؤلاء اللواتي حسبتهن من نساء البيت الهاشمي ، لسن سوى أطياف سارية ، كان بينهن مريم ابنة عمران ، وآسية امرأة فرعون ، وهاجر أم اسماعيل !

وزايلها ما احست به من خوف ، فتجلدت للحظة الخطيرة ، وماكاد نور الفجر ينبثق حتى كانت قد وضعت وليدها كما تضع كل أنثى !

وتوارت الاطياف النورانية السارية ، حين لم تعد « آمنة » وحدها ..

كان ولدها الى جانبها يملأ الدنيا حولها نورا وجمالا وسنى ، وانها لترنو في رقة وحنو الى طلعته البهية وكيانه اللطيف المشرق ، فتتذكر به الحبيب الراحل ، وترى فيه العزاء الجميل!

بنت الشاطىء

من الاهرام

التاريخ : ١٨ / ١١ / ١٩٥٤

كتب جديدة :

فى الجريمة والقصاص

علم الاجرام الاجتماعى

تناولت هذا الكتاب وانا اعلم انه كتب لطلبة الحقوق ورجال القانون ، لكنى رجوت ان اجد فيه تفسيرا لما يعانى مجتمعنا الحاضر من محنة الجريمة بين الشباب ، وكنت قد قرأت منذ خمس سنوات . كتابا للمؤلف « الاستاذ احمد محمد خليفة وكيل النائب العام » فى « اصول علم النفس الجنائى » لمحت فيه من الاصالة ودقة التناول ونضج الرأى ، ما اغرانى بمطالعة هذا الكتاب الجديد فى « اصول علم الاجرام الاجتماعى »

ولقدرت بادئ ذى بدء انى لن استوعب الكتاب قراءة وفهما ، فلست من المتخصصين فى دراسة القانون ، غير انى مضيت — مع هذا — فى قراءة الكتاب حتى آخر جملة فيه وكانى لست غريبة من الموضوع

ولم يفتنى ان ادرك سبب هذه الالفة التى شعرت بها وانا اقرأ الكتاب : لقد عالج الاستاذ موضوعه القانونى بروح انسانية ، ترحم ضعف الآدميين ، وترثى لانحرافهم ، وتقدر خطاياهم ، وتفسر الدوافع التى تنحدر بهم من الطريق السوى ، وترى فيهم ضحايا عوامل وظروف لايد لهم فيها .

وهو مع هذا لايخطئ منهج البحث القانونى الاصيل ، ولا يخرج عن حدوده المرسومة ، ولا تغيب عنه مراجع الموضوع ومصادره ، بل لعله يسرف فى ذلك احيانا فيلقى الينا قضايا نراها بديهية ، ويابى هو الا ان يؤيدها بادلة واسانيد من اقوال الفقهاء الثقات .

ويبدأ البحث بمقدمة تحدد موضوع علم الاجرام الاجتماعى ، ثم يعرف الجريمة تعريفا يهيئنا للموضوع الاصيل ، اذ نرقب فيه تطور فكرة الجريمة من رقابة الدين الى رقابة المجتمع ، ونلمح مسايرتها للتطور الحضارى العام . فاذا قرأنا بعد ذلك « اتجاهات البحث فى علم الاجرام » انتقلنا الى افق واسع تلاقى فيه المدرسة البيولوجية التى تفسر الجريمة باضطراب عضوى او عصبى ، والمدرسة النفسية التى ترد السلوك الاجرامى الى عقد نفسية ، والمدرسة الاجتماعية التى ترى الجريمة ثمرة مرة لظروف المجتمع ودوافع البيئة .

وحين نمضى الى ادلة كل فريق ، نشعر بحيرة فلا ندرى اى هذه المدارس ادق منهجا واهدى سبيلا ، ياتى الاستاذ المؤلف باتجاه رابع يسميه « البحث التكاملى فى عوامل الجريمة » وفيه تشترك العوامل الاجتماعية والفردية — بيولوجية وسيكلوجية — فى تفسير الجريمة ، وتتداخل جميعا بحيث يتعذر رسم حد واضح يفصل بين البيئة والفرد ، اى بين العوامل الاجتماعية والشخصية .

وهنا يتحدد مجال البحث فى « الاجرام الاجتماعى » ويتميز منهجه الجديد الذى يقيم الدراسة على اساس عوامل الجريمة لا على اساس ظروفها . والعوامل الاجتماعية للجريمة هى العوامل التى تعوق عملية التآلف بين الفرد والمجتمع ، ومن ثم ياخذ البحث صبغته الاجتماعية العامة ، فلا يعود خاصا برجال القانون وحدهم ، وانما يعنى — مع هؤلاء — من يشتغلون بالدرس النفسى والاجتماعى . فالاستاذ المؤلف فى درسه لصلة الجريمة بالمجتمع ، يبدأ بالعوامل الوجدانية التى يتصل فيها المجرم من المجتمع ، لنرى مدى مشاركة المجتمع للفرد والمسئولية عن الجريمة ، ونلمس جذورها فى العقد النفسية والفقر الوجدانى والافساد العاطفى .

وينتقل الى العوامل الثقافية ، لنتبين ما فى الجريمة من اثر الحضارة ، والصراع العام ، والتقاليد ، والعوامل البيئية .

ونجىء بعد هذا ، الى العوامل الاقتصادية لنرى صلة الكساد او الرخاء بالجريمة ، واذ ذاك ينتقل بنا المؤلف الى الاطار والمجال الاجتماعى للجريمة ، مبتدئا بالاسرة او المجتمع الصغير ، ثم المجتمع الاكبر فى الريف ، وفى المدن ، مبينا اختلاف الظواهر الاجرامية بينهما

وكان لابد ان ينتهى بحث كهذا ، الى دراسة السجن الذى اعده المجتمع لعقوبة المجرم ، فاذا بنا امام بحث شامل لنظام « السجون » يقوم على اسس نفسية وصحية واجتماعية ، لنرى فيه كيف ينتزع السجين من المجتمع ، ويستبدل به فى بيئة مريضة تعلمه الجريمة وتقدم له القدوة السيئة ، ومن وراء الجدران تنهار اسرة كل من حكم عليه بالسجن الذى هو موت محدود الامد ، فاذا خرج منه بعد حين ، واجه السجين — وقومه ، والمجتمع كله — مشكلة الحرية بعد السجن .

التاريخ : ١٨ / ١١ / ١٩٥٤

واذا كان من اساتذة القانون الجنائي من رأوا في هذا البحث مادة علمية اصيلة ، ودراسة للاجرام الاجتماعي تستحق ان تنشر وتذاع (صفحة)) فاني ارى ميزته الكبرى ، تلك الروح الانسانية التي سادت البحث تكادت تحمي وراءها صرامة القانون ، وخرجت بالكتاب الى افق رحب ليبدو فيه الجريمة مأساة بشرية لاجمة مؤثرة .

القصاص في الاسلام

دار الكتاب العربي — ٢٢٠ ص ك

وهذا الكتاب ايضا يعالج موضوع الجريمة في ضوء الدراسات الاجتماعية الحديثة ، لكنه يشرك البحث في اسبابها وعواملها لينظر في آثارها ونتائجها ، مركزا كل الجهد في مسألة « القصاص في الاسلام » ومتوفرا على العناية بها في تخصص واحاطة وصبر .

ومؤلف الكتاب هو فضيلة « الاستاذ احمد الشرباصي المدرس بالازهر » والذى عرفنا له نشاطه في التأليف وحرصه الواضح على ان يصل الدراسات الدينيه بالحياة ، ويساير بها روح العصر .

ومن هنا يبدأ البحث من نقطة بعيدة هي « الثأر في الجاهلية » كتمهيد طبيعي للحديث عن القصاص في الاسلام ، حيث يفرغ الدارس لبيان معناه ، وادلته ، واحكامه ، فاذا اوفاه حقه من البحث فقها ولغة واجتماعا ، انتقل يتحدث عن اية القصاص ويبين الفروق القانونية والنفسية والاجتماعية واللغوية والبلاغية بين التعبير القرآني : « ولكم في القصاص حياة » وقول العرب : « القتل انفى للقتل » .

وفي ثنايا البحث ، يستطرد الدارس هنا ليتحدث عن عقوبة الاعدام بين دعاة الالغاء ودعاة الاعدام ، وينقل كلمات لعدد من رجال الشريعة والقانون في عقوبة الاعدام

واذ يذكر ما ينادي به علماء النفس والاجتماع من اعتبار بعض المجرمين مرضى يحتاجون الى العلاج او ضحايا جديرة بالرحمة والرثاء ، يمضي ليبحث عما في الشريعة الإسلامية من مسائل لدرء الحدود بالشبهات ، مقررا ان الاسلام قد حرص على ان يقي المجتمع شر الجريمة عن طريق العدالة الاجتماعية ، والتعاون ، والتكافل الاجتماعي بشتى صوره ، فضلا عن الترغيب والترهيب ، فاذا حرم الفرد حقه في هذا كله ، كان الحرمان بابا لاعتبار الشبهة في الجريمة والحدود

ولا ارى من حقى التعرض للناحية الفقهية في الكتاب بنقد مفصل ، غير اني لا اتردد بعد هذا في التنويه به كثمرة طيبة للدراسات الازهرية الحديثة ، ومظهر من مظاهر الحيوية والتجدد في رجل الدين

سجل الوثائق القانونية في العالم

نشرت منظمة « اليونسكو » بالتعاون مع اللجنة الدولية للقانون المقارن ، واللجنة الدولية لوثائق العلوم الاجتماعية ، « سجلا للوثائق القانونية في العالم » آملة ان يجد فيه دارس القانون المقارن ، مرشدا ومرجعا

وقد اعدت هذا السجل ، هيئة خاصة الفتها اللجنة الدولية للقانون المقارن ، وحرصت على ان يكون من بين اعضائها عدد من كبار اساتذة القانون ورجال القضاء .

ويسجل السجل بحيث يعرض البيانات الخاصة بالتشريعات والتقارير القانونية في كل بلد على حدة ، مع الاشارة الى مراكز الوثائق في كل منها ، وبيان الدوريات القانونية التي تصدر فيها

ويقع السجل في نحو ٢٦٠ صفحة من القطع الكبير ، وثمن النسخة منه الف ومائة فرنك فرنسي او ما يعادلها بالعملة المحلية ، ويطلب في مصر من مكتبة النهضة بشارع عدلي باشا بالقاهرة

بنت الشاطىء
من الاستاذ .

التاريخ : ٢٥ / ١١ / ١٩٥٤

كتاب الشهر

قرية ظالمة

بدأت اقرأ هذا الكتاب في شيء من الحذر . فلقد سمعت ثناء جميلا عنه من اساتذة في كبار ، وكنت قد قرأت من قبل لمؤلفه استاذنا الطبيب الاديب « الدكتور محمد كامل حسين » كتابه « متنوعات » ، ثم اصغيت بسمعي الى البحث الذي القاه سيادته في المجمع اللغوي - حين اختير عضوا به - عن الحركة الفكرية في مصر اليوم ، فنال اعجابي بما به من عمق التفكير واصالة الراي وقوة الاداء ، اعجابا قويا خشيت ان اتاثر به وانا اقرأ كتابه الجديد « قرية ظالمة » لاحكم عليه .

ومن اجل هذا قرأت الكتاب مرتين قبل ان اقدمه الى قراء « الاهرام » ، وارائي مازلت في حاجة الى ان اقرأه لنفسي من جديد ، فما تجود عبقرية المطابع الا نادرا بكتاب كهذا ، يجد فيه العقل زادا فكريا من الطراز الممتاز ، ويظفر منه الوجدان بمتعة لا يجدها الا في اصفى الصور والاحوال لانه فيض ، فيه هذه البساطة العذبة التي تستغني عن الزخرف وترتفع عن التضخيم وتبعد عن الادعاء ، وفيه ايضا ذلك الايحاء القوي لقرية ذات شخصية متميزة ، مريدة ظالمة .

اما هذه القرية فهي « اورشليم » ، تلك التي ظلمت نفسها وظلمت الانسانية ، حين اقترفت ابشع جريمة عرفها التاريخ لحكمت على « المسيح » بالصلب .

وليس يخفف الوزر عنها ان الدنيا كلها الى الشاء ، لقد تمت الجريمة بمجرد صدور الحكم المشئوم ، وباءت « اورشليم » الظالمة بالاثم كله ، حين لم يجد التاريخ « فردا » بعينه يعده مسئولا عن النكبة الكبرى .

وتجرى الاحداث في يوم جمعة . .

ولقد نامت القرية على قرارها ان يصلب النبي الجديد في غد ، وطاب لها النوم في غفلة من ضميرها الذى حاولت ان تقتله لتستريح منه وتنعم بالراحة والهدوء .

واصبح الصبح فاذا الحياة كلها تتجمع في يوم واحد ، وتصطخب امواجها اصطخاب الحمم في جوف البركان وان بدا صامتا خامدا . .

يوم واحد ، بدأه مع الرعاة الذين بكروا يسوقون اغنامهم الى المراعي الخضر حول المدينة المنيفة ، ومن بينهم فتاة صغيرة رثة الثياب بادية الفقر قد اجهدها ان تجرى وراء كل شاردة من اغنامها فاستظلت بالشجرة الوحيدة فوق الجبل ، حتى عادت اغنامها اليها من الظهيرة لتتقي الظل ، ونامت بجوارها .

وفي القرية كانت روافد الحياة تتدفق من النبع الازلي ، متجهة صوب لحظة بعينها من يوم الجمعة ، حددت لتنفيذ الحكم الظالم ، ومع روافد الحياة هذه ، نحس خفقة اليقظة تدب رويدا رويدا في الضمير النائم الهامد ، لتنبعث بأمن الساديين الغافلين وتلقي في قلوبهم رعب الشك في صحة الاتهام وعدالة الحكم .

ففي بيت من بيوت علية القوم ، يجلس « رجل الاتهام » الى زوجته الحسناء ليزهو بمجد انتصاره بالامس في دار الندوة ضد « المسيح » ، فاذا سألته الحسناء في دلالها العذب عن جريمة المتهم ، لعثر نجاة فلم يجد ما يقوله الا ان « الرجل يدعو الى التسامح والمساواة » ويقول ان الله هو الحب !

ويمضي بينهما الحوار :

- اتنكرين رجلا ان يقولان الدهر الحب ! تلك كلمة لا يقولها مجرم ، انه هو الحب !

- ان الحب يملأ قلوبكن ، ولكنه لا يملأ قلوب الرجال ، اذ ليس للمرأة في الحياة شيء غير الحب ، اما الرجل فله بعد ذلك عقله وعمله .

- اترى العقل يصحبه البرود حتما !

- ان قمم الجبال العالية مغطاة دائما بالثلج !

- اني مع ذلك افضل اسفل الوادي حيث يكون الدفء وتلك ان ترقى وحدك الى حيث تكون الثلوج . . .

وتغرق السيدة في تأمل صامت ، اما هو فيأخذ طريقه الى دار الندوة مهموما ، وهو يحس وخز الضمير والم الشك في صدق اتهامه لرجل لم يعرف اثما ولم يدع الى منكر .

وغير بعيد من بيت رجل الاتهام ، وقف تاجر بباب دكان حداد عربي ، يرجوه في صنع مسمار ، ويسأله في صوت خافت يختنق من فرط الغضب ، اين الحديد والمسامير الارعة الزرقاء بعينها ، والحداد صامت لا يجيب ، واذ يشيح التاجر اخذ « المومس » قريبا من دكان الحداد ، يدرك عن امتناع الرجل عن اعداد الحديد والمسامير ، فيقول في اصرار حبيب :

ا . . هي تلك جريمة كبرى يعاقب عليها الله ، نحن بمنجاة من هذا العقاب ، اني اعلم ما سيعمل بالحديد ولكني لا اصنعه ، بل

التاريخ : ٢٥ / ١١ / ١٩٥٤

أبيعه واشتريه ، وانت تصنع الحديد ولا شأن لك بما سيصنع به ... واذا كان الذى يصنع الحربة لايصنع اذاها ، والذى يصنع اذاها لايعلم منها شيئا ، فانها لم يسؤولة ... ان هذا التوزيع يجعل الناس فى حيرة اين يقع عذاب الله !؟

ويهم الحداد باللحاق به ، لكنه لايلبث ان يحجم ، ناظرا اليه باحتقار . يمضى عنه الى حداد آخر ، واذ هما فى فورة العمل العاجل يلمح الحداد « لازار » الذى احياه المسيح بارىء الله من موت ، فتفلت المطرقة من يده وتقع فى الكور ، وتتطاير قطع من الجمر اصابت احداها عين التاجر فراح من شدة الالم ، وحمل الى بيته وقد حنق عليه بالايمان وابقى ان رجل الله محترم .

وفى دار « مفتى القرية » نجد الشيخ يتحدث الى ولده فى ندم وقلق :

ـ انى فى اثنى بعد اليوم ! انهم اساءوا لهم لنراى ويريدون ان يصلوا بها رجلا ارى ضميرى لايرضى عن قتله .

ـ الا يمكن ان تكون الفتوى صوابا ؟

ـ انهما ان تكن خطأ ، اكبر من ان تنها ان تكن صوابا ...

ويطرق الشاب واجما ، وقد سرت خفقة الحياة من ضمير ابيه الى ضميره ، فامتلأ الشعور بالقلق والشك ، والخوف من خطر وشيك ..

وفى مأوى زعيم بنى اسرائيل ، نرى الرجل يخلو الى تأملاته فتزعجه الحيرة : ايتخلص من المسيح باتهامه ظلما وكذبا فى سبيل غاية يراها حقا ؟ او يعلن براءته فيأتى بيتدولونه فى لومه وهو شر لايرضاه !!

ويخرج الى دار الندوة مثقل الخطوات ، متعبا محزونا ، لايدرى ما يجب عليه عمله !

ويبلغ الاحداث ذروتها ، وتتجمع روافد الحياة لتصب جميعا فى دار الندوة ، فاذا اهل الرأى هناك قد ارهقهم الشك وساورهم الندم ، ولكن الجموع الحاشدة انتحمت الدار وهى تزأر طالبة تنفيذ الحكم ، وساد الهرج وغلب ذوو الرأى على امرهم .

ووقعت الجريمة الكبرى ، دون ان يعلم احد من اهل « اورشليم » من الذى يريد قتل المسيح ؟ وهكذا ترتكب اكبر الجرائم اذا وزعت تبعاتها بحيث يحمل نصيبه كل فرد اصغر من ان يتطرق لها ضميره !

وحين كانت هذه المشاهد تتوالى على مسرح بنى اسرائيل ، كانت هناك مشاهد اروع وافتك اثارا ، عند الحواريين وهم يجتمعون لتبادل الرأى فيما يجب عليهم لانقاذ المسيح ، لم يخرجون من القرية الظالمة وقد تلقوا امر نبيهم ، ان ينصرفوا الى العبادة والصلاة ، وان يتركوا حتى يتم الله امره فيه ، وان ينتشروا فى الارض يدعون الى الحق ؟

وقد خرجوا امتثالا لامر المسيح وهم اشد ما يكونون حسرة وندما واسفا ، وخيل اليهم انهم لم يؤمروا بالانصراف عن نصرة نبيهم الا لانهم لا يستحقون الشهادة !

وهنالك بعيدا ، كانت احداث لا تقل من هذه وتلك مثارا لاثارة تجرى « عند الرومان » فهؤلاء لهم ثبات محترم !

وانتصف نهار الجمعة والسماء ما تزال صافية ، لا يلوح فيها نذير من نذر العاصفة ..

ثم تجمعت السحب الثقال من كل صوب فى دقائق معدودات ، وخيم الظلام على « اورشليم » واشتد حتى صار الرجل لا يرى يده اذا مدها امامه ، وهبت رياح هوج عصفت بالقرية فاقتلعت بعض اشجارها ...

وسمع للعاصفة زئير ارهب اهل القرية فلزموا بيوتهم لا يبرحونها ..

وخلت الشوارع من الناس ...

ولزمت الراهبة الصغيرة لصرخت صرخة باكية ، واجهشت بالبكاء ..

ولبثت الدنيا فى ثوبها الحالك ثلاث ساعات ثم اخذ الظلام يخف رويدا ، وعادت الشمس ساطعة ، فاسرعت الراهبة الصغيرة الى اقاربها ، لقد انقشع الظلام ..

لكن الظلم لم ينقشع ...

يا لها من « قرية ظالمة » !

بل يا لها من آية فنية يبدعها القلم ـ وسبحان من علم الانسان بالقلم ! ـ فيجمع الحياة فى يوم واحد على هذا النحو من روعة البيان وعبقرية التعبير واتساق المشاهد ، ويؤلف بين دقة الحس ورقة الوجدان وعمق الفكر وصحة الضمير ، فى انسجام كهذا رائع النغم !

على ان سر جلالها انها تستثير أعمق ما فى الانسانية من خوالج ، وترهف ادق ما لها من حس ، وتدعو انبل ما لها من مشاعر ، حين تجعل من « الضمير » جوهر انسانية الانسان ، وترى فيه قبسا من نور الله ، وتلتمس عنده مقاييس الحق والخير والجمال !

وبعد فانى اعرف أن فى وزارة التربية والتعليم ادارة للثقافة العامة ، من اعمالها نقل روائع الفكر العربى الى المكتبة الغربية ، فعل تراها ابلغ عليها اذا انا اخترت لها « قرية ظالمة » ورجوت ان تترجمها الى اللغات الاوربية كمثل للفكر المصرى الحديث فى ابهى صورة وانقى جوهره واروع لسانه !!

بنت الشاطىء
من الامناء

التاريخ : ١١/١٢/ ١٩٥٤

في ذكرى هدى شعراوي

١٤١٠٠

نصر وتحية

للدكتورة بنت الشاطيء

« اذيع منذ يومين نبأ اختيار السيدتين عفة محمود ، ونفيسة محمود ، عضوين بالنيابة الادارية ، وتشاء الظروف ان يتم هذا الكسب الجديد في موعد الاحتفال بذكرى رائدة النهضة النسوية بالشرق : السيدة هدى شعراوي »

... لم يهن علي ، ان يمر خبر اختيار سيدتين بين اعضاء النيابة الادارية ، دون أن يثير اهتماما من ذوي الرأي وأصحاب القلم ، وان كنت اقدر ان شواغل الحياة ربما صرفتهم عن التفكير في المرأة الشرقية الجديدة وهي تغذ السير نحو بعيد الغايات ، وتكسب نصرا تلو نصر ، دون ضجيج او صخب

واكاد ارى في صمت الكتاب من التعليق على هذا النصر الجديد ، مايشهد بأن القوم لم يعودوا يرون في نصر كهذا ظاهرة لافتة ، فقد مضى العهد الذي كانت كل خطوة تخطوها المرأة المصرية فيه ، مثار القيل والقال وموضع التعليق والاهتمام ، مضى العهد الذي كانت الحركة النسوية فيه مشغلة الناس ، تختصم فيها الآراء ويحتدم الجدل ، وجاء عهد يرى في تعيين السيدة المصرية عضوا بالمجلس البلدي للاسكندرية ، او عضو النيابة الادارية ، خطوة طبيعية بعد الذي كان ، وكسبا منتظرا تقضي به التطور من زمن ، وترك للظروف تحقيقه

غير اني مع هذا ، لم انسا ان يمر بي نبأ النصر الجديد كما مر بسواي

واسميه نصرا لانه كذلك في حساب التطور وتقدير الزمن ، وان يكن في الحق عبئا جديدا يضاف الى مايثقل كاهل المصرية الثائرة من اعباء اخر ، وهي مانزال تنزع بفطرتها الى هدوء البيت ، وتحن — بحكم بنوتها لام من الحريم — الى الدعة والاستقرار ، بعيدا عن ضجيج الديوان ، ومتاعب النيابة ، ومشكلات الموظفين

ولا احد يقدر ثقل العبء مثلها ، لكنها مع ذلك لاتريد أن تنكص على عقبيها ايثارا للسلامة والعافية ، وما ذاك الا لانها تعلم — كما لايعلم سواها — ان للتطور تكاليفه الباهظة ، ولا مفر من ان ندفعها رضينا او كرهنا ، وكل عزائنا ان ماندفعه لن يذهب عبثا

وانا اعرف في زميلتي الصديقتين « عفة ونفيسة » فطرة شرقية سليمة نقية ، واعتزازا صريحا بما اورثنا أهلنا من كريم التقاليد ، كما اعرف فيهما ، كذلك ، تقديرا سادنا لتبعات العمل ، وشعورا عميقا بالمسئولية ، ومن هنا اقدر مدى التضحية التي سوف تبذلانها لكي تنجح التجربة الجديدة ، ويفتح باب « القضاء » امام من تصلح له من ذوات الثقافة القانونية العليا

ولقد ذكرت اليوم « هدى شعراوي » ، فعجبت ان يتم هذا النصر في موعد ذكرى وفاة

التاريخ : ١٩٥٤/١٢/١١

الرائدة الاولى ، التى عاشت تحلم به ، وتعمل من اجله ، وتبذل فى سبيله



المرحومة هدى شعراوى

حتى رحلت عن دنيانا فى اليوم الثانى عشر من شهر ديسمبر عام ١٩٤٧ .

وتركت همومها ، وامالها ، وطموحها ، تراثا غاليا لبناتها من بعدها

بل تركت الغرس الذى سهرت عليه ماعاشت وروته بالعرق ، وغذته بالحياة ، ودبعة عزيزة فى تاريخنا الاجتماعى ، كيما تنعم بنات الشرق بثمرة الطيب المرءود

أهى مصادفة ان يفتح هذا الباب الجديد امام دارسات القانون ، فى موعد ذكرى الرائدة

ام هذه آية على ان للزمن اذنا صاغية ، وذاكرة واعية ، وضميرا يقظا لم يفته ان يختار من هذا الوقت ، موعدا لتحقيق حلم من احلام المناضلة الكريمة !

مهما يكن الرأى فى هذا ، فالذى لا ريب فيه أن تعيين الزميلتين : عفة ونفيسة ، عضوين بالنيابة الادارية ، هو اجمل تحية نهديها الى ذكرى الرائدة التى استطاعت بجلال شخصيتها وذكاء قلبها وعقلها ، ونبل خلقها ونفسها ، ان تجتاز بنا المتاهة الضالة بين الابية السمحاء وابهاء الجامعة ، وان تقود الحركة النسوية فى ادق واخطر مراحلها ، باذل مايمكن من التضحيات ، وفى اقصر وقت مستطاع [illegible]

وكان وجودها فى طليعة الركب السامى الى الحرية والنور ، كافيا وحده لان يضفى على الحركة كلها جوا من المهابة والجد والثقة ، فلقد عرضت على الدنيا اجمل صورة للمرأة الجديدة فى عزتها وطموحها ، وتمردها الرشيد على الاغلال وتطلعها الكريم الى سامى الاهداف ، كما قدمت الى الشرق مثلا طيبا للانثى المستنيرة التى طالما انتظرها وتاق اليها ، بقدر ماتهيبها وابتلى بها ووقف فى سبيل ظهورها ، وكان بحيث يظل على خوفه وقلقه ومقاومته ، لو لم ير فى «هدى» مايزيل مخاوفه ، ويلغى عناده ، ويحمله يقف الى جانبها وهى تخوض معركتها الكبرى فى شجاعة لا يشوبها تهور ، ورزانة لايفسدها جمود ، وترفع لايشوهه غرور او ادعاء ، وبذل لايعرف المن او الاعلان

بنت الشاطىء

التاريخ : ٢٥ / ١٢ / ١٩٥٤

في حياتنا العلمية :

بعد انقشاع الظلال

للدكتورة بنت الشاطئ

زار مصر في الاسبوع الماضي ، وفد من رجال الصحافة التركية سبقونا كراما ، وبعد شهور وبعض شهر ، رحبت مصر بزائر كبير من رجال الادارة في تركيا ، وقد رجوت وانا اتتبع انباء هاتين [illegible] ، ان تقوم بيننا وبين تركيا الحديثة علاقة ود وتعاون ، بعد ان لفظت مصر بقايا الاسرة الدخيلة التي جاء كبيرها الى مصر جنديا في الجيش العثماني ، واستشرى من ابنائه الترك اخر ظل من الظلال البغيضة لتجربة [illegible]

اما وقد انجابت هاتيك الظلال ، فالاولى ان نلتقي مع الشعب التركي الحديث اخوة متعاونين

وانما يعنيني هذا التلاقي ، لان بيننا وبين الاتراك مصالح مشتركة ، ولنا في بلادهم تراث علمي ضخم ، لا تتم لنا بدونه نهضة حقة ، ولا يمكن ان تمضي دراستنا للادب العربي والحضارة الاسلامية والثقافة الشرقية ، مع الاستغناء عن ذلك الذي هناك

***

وكنت من قبل ، اعرف ان في مكتبات تركيا كنوزا من المخطوطات العربية لا تقوم بمال ، لكني لم اقدر الامر حق قدره ، حتى عاد استاذنا المستشار الفني لدار الكتب المصرية من رحلة له في تركيا هذا الصيف ، ليحدثنا حديثا عجيبا عما هنالك من كنوز [illegible] وليؤكد ان ليس في استطاعة فرد ان يحصيها عددا ، ولو تفرغ لهذا العمل سنين دأبا ، بل ان العمل اضخم من ان تنهض به « لجنة » كاملة من الخبراء الدارسين .

ويكفي ان اقول ان في « استانبول » وحدها بضع عشرات من المكتبات تكاد تبلغ الستين عددا ، وفي كل من هذه المكتبات ذخائر خطية مخطوطة مغمورة ، تنتظر [illegible] الى النور وبعثها [illegible]

***

ولا اقول هنا ما يقوله ناس من ان هذه الكنوز كانت منا لنا وضعها ولاة العثمانيين [illegible] الى تركيا ، فالحق ان من بين تلك المخطوطات ، ما يرجع تاريخه الى ما قبل القرن العاشر ، وهو القرن الذي بدأ فيه العهد العثماني بمصر ، ومن الحق كذلك ، ان [illegible] تراثنا العلمية من اقطار ذات عدد ، لا من مصر وحدها : جمعها صنائع الامراء ، وهبات الحكام ، ورسل الوزراء ، وصدور الاعيان الى مصر آل عثمان ، في زمن كانت المكتبة فيه من مظاهر السلطان ، ومستحبات الوجاهة ، وادوات الزينة ، بقدر ما كانت مجالا [illegible] وجوه القوم واعيانهم ، وميدانا من ميادين النشاط الخيري والخدمة العامة ، ولا ادل على ذلك من ان دور الكتب التركية تحمل في الغالب اسماء اعلام تنافسوا في اجتلاب المخطوطات واقتناء الكتب ، وان قلة معدودة منها تقوم منفردة مستقلة مثل مكتبة [illegible] الشهيرة باستانبول ، اما الكثرة الغالبة فملحقة بالمساجد او المدارس او التكايا ، فالمكتبة السليمانية ملحقة بجامع السليمانية ، ومكتبة فاتح ملحقة بمسجد الفاتح ، ومكتبات نور عثمانية وبايزيد واياصوفيا ملحقة بمساجد تحمل هذه الاسماء ، كما ان مكتبات راغب باشا وعاطف افندي وحميدية ملحقات بدور للعلم انشأها اولئك الراغبون استكمالا لمآثر جاههم ، او تقربا الى الله بانشاء دور العلم والكتب والعبادة . وهذه المكتبات جميعا في « استانبول » وانها لتعطينا فكرة عن ضخامة ذلك التراث المجهول .

***

ولم اذكر ان من بين دور الكتب هذه ، ما يضم عددا من المكتبات القريبة ، فمكتبة سليمانية مثلا ، تضم مكتبات اسماعيل حقي وناظر باشا ، وزهدي بك ، وبغدادلي وهبي افندي و . . . . .

كذلك لم اشر بكلمة الى ما في المدن التركية الاخرى مثل انقرة وبورصه من خزائن للكتب ، وذلك لاني ما اردت بكلمتي هذه ان احصي تلك الكنوز ، فانها بحيث تفوت الاحصاء ، وانما رجوت بها ان الفت من يعنيهم الامر الى ذلك التراث الضخم المجهول ، وفي الموضوع بعد مجال لحديث آخر عن ضيعة تراثنا العلمي ، ارجو ان تتاح للنشر فرصة قريبة ان شاء الله

بنت الشاطئ

من الاهرام

التاريخ : ٢٢ / ١ / ١٩٥٥

صور من حياتنا

احدى الضحايا

للدكتورة بنت الشاطئ

مهداة الى كل من يشترك في المعركة النبيلة ، لمكافحة داء السل الخبيث ...

طواها الردى وغيبها القبر منذ عشر سنين ، ومازالت صورتها تتراءى لي على تطاول الزمن وتنائي الديار ، واضحة المعالم عنيفة الاثارة تذكرني بتلك الفتاة الوديعة الحلوة التي جمعتني بها الاقدار في احدى مدارس البنات بالعاصمة فاتيح لي أن أرقبها وهي تكافح في صمت ناجع لكيلا تكفر بالخير والرحمة والضمير ، بعد ان انطفأت فيها الحياة !

ولم تكن من بنات العاصمة ، بل نزحت اليها من ريف الشمال زهرة ناضرة باسمة تتفتح للحياة !

وقد امضت عامها الاول مأخوذة باغراء المدينة ، مزهوة بعملها الجديد في المدرسة ، فكانت أقلنا ضجرا بعبث التلميذات وكيد الزميلات ، واكثرنا احتمالا لاعباء التدريس ومتاعبه

.. ا بها تضيق فجأة بكل هذا ، وخيل الينا بادئ الامر ان الذي بها لايعدو شيئا من الملل او الاجهاد او القلق ، لن تلبث ان تألفه وتتمرد عليه ، لكنني انكرت من حالها ذلك الذبول الطارئ الذي خيل لي معه ان الحياة تجف في كيانها ، وذاك النحول المفرط الذي طرأ عليها ، وهي مع ذلك تزداد سخطا على الايام وحدة طبع وسرعة انفعال ، فلا تكاد تحتمل كلمة عابرة من زميلة لها ، او دعابة بريئة من احدى التلميذات

وتحاشتها المدرسات جميعا ، وبقيت وحدي الى جانبها ، احاول عبثا ان اردها الى ما اعرف من وداعتها وسماحة طبعها ، وان انزع منها طائف الشر الذي طاف بها فمسخها مخلوقة اخرى غير تلك الصبية الحلوة التي عرفتها من قبل ..

وذات اصيل شاحب الجو من آصال الخريف اعترتها نوبة عصبية من السعال كادت تزلزلها زلزالا ، فحملتها الى غرفتها وبقيت معها حتى الثالث من نوبتها وارتمت في فراشها ساكنة متهدة

ومررت بها في اليوم التالي كي اصحبها الى المدرسة ، فاستسلمت لي في صمت ، حتى اذا شارفنا الباب ، لم يرعني الا ان توقفت بغتة ، ثم افلتت مني وآبت راجعة الى غرفتها ثم اغلقت بابها دوني وهي تقول :

– وداعا ، لن ادخل المدرسة بعد اليوم .

واذ رأت اصراري على ان اعرف مابها ، اطلت من فتحة صغيرة بالباب والقت الي بسرها الرهيب !

لقد تسلل داء السل الى صدرها من حيث لاتدري ، وظلت جرثومته ترعى في رئتيها وهي في غفلة عنها حتى استبد الداء فواها واعتصر عصارة شبابها ، فلما ذهبت الى الطبيب ، كشف لها عن العلة الكامنة ، بعد ان فات أوان العلاج وسدت سبل النجاة

وجن عندها على الدنيا ، فثارت ناقمة على مجتمع المدينة ، ترى في كل فرد من اهلها عدوا لها ، وفي ثورة ذلك الحقد المجنون ، ابت ان تعتزل الناس ، وانطلقت تنفث داءها حيثما راحت ، كأنها تنتقم من خصم مجهول ، سلبها الحياة وهي في ميعة الصبا وعز الشباب !

لكنها مالبثت ان انكرت نفسها التي عبث الشر بها ، فكرهت آخر الامر ان تخسر ايمانها بعد أن خسرت حياتها ، وبتفظ ضميرها الراقد يسائلها عما جنت التلميذات الصغيرات ، ويهيب بها الا تضيف الى ضحايا السل فوجا جديدا من الابرياء !

واستسلمت لمصيرها التعس ، مصممة على الا تلقى احدا ممن تعرف او تجهل ، وانزوت في عزلتها تنتظر القضاء المحتوم وعلى وجهها الشاحب الذابل نور الايمان ، حتى اراحها الله فماتت شهيدة !

وبقيت ذكراها تعاودني ، وتلح على ان اذيع في الناس مأساتها ، وهاندي استجيب للنداء الملح ، واهدي صورتها الفاجعة الى كل ذي ضمير حي !

بنت الشاطئ

التاريخ : ٣٠٤ / ١ / ١٩٥٥

كتب جديدة

ستة عشر ديوانا

من الشعر العربي الحديث!

شاع في الناس ان دولة الشعر الى مغيب ، وان الادب في هذا العصر الملتون بالحرية ، اخذ يضيق بقيود الوزن والقافية ويلتمس التحرر والانطلاق في التعبير والاداء

ولكن ظهور ستة عشر ديوانا من الشعر العربي في الموسم الاخير ينفي ما شاع من خمول الشعر وعقم القرائح به تأثرا بمادية العصر او تمرده على القيود ، فما تزال للشعر دولته وسلطانه ، وما يزال له سحره وفتنته ، وحسبه انه الفن الذي يلتقي فيه الادب والموسيقا في انسجام رائع النغم !

ثلاث شاعرات !

وأولى – بحكم الجنس – ان ابدأ الحديث عن هذه المجموعة ، بثلاثة دواوين لشاعرات نابهات ، اثنتان منهن مصريتان ، وهما « السيدة جليلة رضا » والآنسة صفية ابو شادي »

والسيدة جليلة ، شاعرة مرجوة ، تقدم في ديوانها شعرا انيق الصياغة متسق النغم عميق الصدى ، يصدر عن وجدان صقلته الامومة وارهفته الاحزان ، ويلمح القارئ وراء اناقة الفاظها الى ثقافة ارستقراطية واسعة ، وان ظل للشاعرة مع هذا طابعها الشرقي الاصيل ، في خواطرها ، وتأملاتها ، وعواطفها وموسيقاها ،

اما الآنسة صفية ، فترسل شعرها منثورا مع الحرص على موسيقية الايقاع ، ويمثلها هذا الشعر فتاة رقيقة الحس مرهفة الشعور ، يطيب لها « ان تستلقي على عشب الحديقة وتترك العنان لخيالها الجامح ، حيث ينسج لها اعذب الاحلام من خيوط زاهية رقيقة ، ويحملها على جناحيه الى عالم رحب مشرق ، تخطر فيه خفيفة مرحة ، لاتحسب للزمن حسابا »

واجمل ما في شعرها ، بساطته الحلوة التي لاتخلو من سذاجة ، وعاطفيته المرهفة التي تجنح الى الشعر

وصفية قد نشأت في مصر ، وامضت اعوامها الاولى في الاسكندرية ، تستمد من ابيها الشاعر « الدكتور احمد زكي ابو شادي » ثقافة عربية مصرية ، ومن امها مزاجا انجليزيا خالصا ، ثم هاجرت الى امريكا تستقبل المهجر بشخصيتها الفنية التي التقى فيها الشرق والغرب

وافرغ الآن للحديث عن « السيدة هند سلامة » وهي شاعرة لبنانية اصيلة ، اتيح لي من قبل ان اقرأ بعض مؤلفاتها ، فلفتتني اليها حيوية مشاعرها وحرارة نفسها وطلاقة تعبيرها ، فلما قابلتها هنا في القاهرة ، وانشدتني بعض اغانيها ، كان صوتها مألوفا لدي ، اميز نبراته واشعر بما وراء همساته من هدير عاطفة ثائرة ومشاعر حية دافقة

واليوم اصغي الى ديوانها الجديد « لمع » فأتمثلها امامي وهي تنشد اغانيها ، وتودعها كل همومها وشجوها .

ولم استغرب ان تخرج « هند » على تقاليد الصناعة الشعرية ، وان تتمرد على قيودها ، فلا تستبقي منها الا نغما طليقا وتقطيعا متناسقا ، ذلك لانها حررت عاطفتها ومشاعرها من قيود التقاليد واغلال المجتمع ، فليس بالغريب اذن ان تطلق شعرها من اسر البحر والقافية ، وهذا التحرر يطبع ادبها بطابع متميز ، لانعرفه في اديبة شرقية سواها

« وحدة » في ديوانها هذا ، تبدو مع تحررها عربية النغمة فاتحة ، وان خيل للقارئ المتعجل انها تشدو بأفراح الحياة وتهاويل الشباب ، فانا لا اخطئ وراء هذا الشدو قلبا جريحا مثقلا بشجنه ، اضله السراب حينا لم آب من رحلته كسيرا داميا ، ومن هنا جاءت انغامها متقطعة مبحوحة ، اشبه بأحلام مبعثرة ، في « حديث المنايا » وفي مخدعي ، انين روح انهكها الطواف واجهدها الضلال ، ودموع قلب يتيم ، تؤوده اثقال من ذكريات قاسية واحلام تتالى .

ويخيل لي ، ان في قصيدتها « ابنتي » سر المأساة التي مزقت قلبها وبعثرت احلامها

من الشعر المصري

وفي مجموعة اليوم ، اربعة دواوين لشعراء مصريين :

« ماض من العمر » للشاعر « الاستاذ محمد عبد الغني حسن » الذي بدا له ان يقف لحظة ليرنو الى ماض من العمر ولى وراح ، وبقيت ذكريات تطيف بالشاعر وانغام يرجعها في شجو وقراء « الاهرام » يعرفون الاستاذ شاعرا جادا رصينا ، تستوقفه الاحداث الكبار فما تمضي الا بعد ان تلهمه روائع القصيد وهو هنا على ما عرفوه جدا ورصانة ، لكن الجديد فيه انه في وقفته التي يرنو الى ماض من العمر ، لايذكر من اناشيد ذلك الماضي الا مثيرات الشجن ، ومواكب الجهاد او الرثاء او في موكب الشهيد لشهداء العروبة – بين الصبر واليأس – قربانة – ارواح واشباح – الخليلة الشهيد – الوردة الراحلة – الزهرة الذابلة – الوتر المحطم – مات على شفتيه النغم – بقايا دموع – الشاعر المنفى ! »

ويستأثر الرثاء وحده باكثر من عشرين قصيدة في الديوان ، وشاعرنا يجيد الرثاء ويتفوق فيه ، ويعتز بوفائه لاصدقائه الذين رحلوا ، وآية ذلك الوفاء ، ان يسترجع مراثيه فيهم ، ليعيد نشرها في « ماض من العمر » لكانما يبكيهم من جديد

وشعر الوطنية يأخذ المكان الثاني في الديوان والشاعر فيه يرى في الشرق العربي كله وطنه الاكبر ، فيئن من جرح فلسطين ، ويبكي مصارع الشهداء في اي مكان من ارض المشرق ، وينشد على رنين « خطوات الاحرار » في « طريق الجهاد » حداء الغد المرجو للعروبة والاسلام .

والدواوين الثلاثة الاخرى هي :

« سبحات روح » للاستاذ عبد السلام رستم

و « نايات وطبول » : للشاعر « ابن محمود »

و « القلائد » للاستاذ « سليم الياس » بالزقازيق ،

التاريخ : ٢٤ / ١ / ١٩٥٥

ويميز القارئ في الديوان الاول طلاقة الافق وقوة الاتصال بالحياة والاندماج فيها ، على حين تغلب على الثاني روح التصوف ونزعة الزهد ، اما الاستاذ سليم ، فيبدو واضح التأثر بشعر المتنبي ، حريصا على اتقان الصنعة وتجويد النظم ، ومقدمته لديوانه ، تستحق عناية من النقاد الذين يعنيهم ان يدرسوا اتجاهات الشعر اليوم ، ويدركوا بواعثه ودواعيه !

ومن فلسطين

ومن غزة ، تبعث الينا الشاعر الفلسطيني [illegible] الاستاذ [illegible] ... يأبى الا ان يجيء « مع الغرباء » ويحلم ان يرجع [illegible] لعله يوجد [illegible] الاوهام من نوستالجيا الغرب :

والقصيدة تنتمي الى اصناف قوية ، لكن يمضي الى الاستاذ هارون وهو يروى المأساة الفاجعة ، ويصور حال اللاجئين لوعة الدامي المفجوع ، على وطنه ، ورأى بعينيه مصارع الشهداء من اهله ، واصغى الى نواح الثكالى والارامل ، وأنين المشردين الحيارى ، الا يوحى هنالك بالمراء لم يبح من هول ما كابد وشاهد لكنه ظل — على الاعياء — مشدودا بذكرياته ، يبكي عليها الوطن الضائع والامل المهجور والحب الضائع والشمل المفرق ، ثم لا يلبث ان يبعث منشار الشجن ، ودمه يهدر مطالبا بالثأر ، وصوته يدوي بصيحة الجهاد من اجل فلسطين

ولن يطل الصوت الانساني في ديوانه ، ولن الشرق العربي صدى من مثل هذا الزئير الثائر يحرم على البشرية ان تنعم براحة او سلام ، ما لم يرجع هؤلاء اللاجئون الى ديارهم التي اخرجوا منها ، ويستردوا وطنهم المسلوب .

ومن الحجاز

وقرأت من شعر الحجاز ثلاثة دواوين : « صدى الالحان — ٢ » للسيد ابراهيم هاشم فلالي و « وراء السراب » للسيد محمد هاشم رشيد الغزى و « ملامح الاشراق » للسيد عبد السلام هاشم .

ويمثل كل منها اتجاها خاصا في شعر الحجاز الجديد :

فالسيد فلالي ، يلتزم ضوابط الشعر العربي الاصيل ، دون ان يجد في الوزن والقافية ما يلجم خياله او يعوق حريته في الاداء ، وانما التجديد عنده ان يساير الشعر الزمن ويستجيب للتطور ، دون ان يفقد خصائصه المميزة من موسيقية الوزن وتسلسل الفكرة وتناسق المقاطع ، والفلالي شاعر مطبوع ، واكثر شعره يصلح للغناء ، وبخاصة رباعياته العاطفية الرقيقة التي يذيب فيها شجونه ويشفي مواجعه ويرجع صدى الحانه

وكذلك يلتزم الشاعر « الغزى » اصول الشعر العربي وضوابطه ، لكنه يميل الى الرمزية ، مع تحرر في التعبير من الفخامة ، واندفاع طليق وراء السراب ، وشرود ظامئ الى المجهول .

اما السيد عبد السلام هاشم ، فيؤثر دائما ان يتحرر من ضوابط الشعر لان هذا — في رأيه — هو مناط التجديد وسبيل الانطلاق الى ما سماه « اصداء نفسية »

وموضوعه المفضل هو « الحب الضائع » كما يبدو من عنوان الديوان ، ومن غلافه الذي يحمل رسم قلبين يقطر احمر دام ، يخترقهما سهم نافذ .

والسيد يروى هنا مأساة حب خاب وامل ضاع ، فاذا الدنيا من بعده تيه موحش وقفر مجدب وليل متراكب الظلمات ، وقد صيغت المأساة في اناشيد اربعة ، اولها من الشعر الموزون المقفى ، والثلاثة الاخرى من الشعر المنثور الطليق .

ومن الكويت

وشاعر الكويت اليوم ، هو السيد « محمود مبداله الايوبي » في ديوانه الجديد : « الموازين في الاخلاق ونظام الحياة » وواضح من عنوان الديوان ، ان الشاعر فيه معلم مرشد ، يحدو للناشئة الجديدة من شباب وطنه ، ويحدثها من القيم والموازين لعلها تأمن العثار والانحراف ولتهتدي الى السبيل السوي على درب الحياة

وفي تراثنا العربي من الشعر التعليمي كثير لكن لديوان الاستاذ الايوبي ميزة خاصة ، هي انه لا يزجي تجاربه وآراءه من « الموازين » في اسلوب ومثل جاف ، بل يسوقها في شعر عاطفي رقيق ، ويحيطها باطار من جمال الطبيعة وسحرها ، وهو بذلك يخاطب عقول الشباب من طريق الوجدان ، ويغريهم بالتأمل في معجزات الخالق وآيات الكون واسرار الطبيعة

ولنتهيت بعد هذا كله

« دفتر الغزل » للشاعر اللبناني الاستاذ امين نخله .

وديوان « عواطف وعواصف » للشاعر العراقي « السيد علي الشرقي »

ثم ديوان « حنين الليالي » للشاعر السوري « السيد علي دمر »

ولم يتح لي بعد ان اقرأها القراءة الواعية ، لكني آثرت مع هذا ان اقدمها اليوم في « موكب الشعر » خشية ان يدركها الانتظار .

التاريخ : ١٩ / ٤ / ١٩٥٦

في تكريم اسما فهمى :

كلا ...

لاتقيموا تمثالا للراحلة

شيعنا بالامس راحلة كريمة، لم يكن مصابنا فيها - نحن اسرتها القريبة - انا خسرنا بفقدها اختا صديقة وزميلة رائدة فحسب ، وانما كان المصاب فوق ذلك مصابنا في السيدة اسما ، النموذج الرفيع للمصرية الجديدة ، في ثقافتها العالية ، ووعيها الرشيد ، وطموحها المستنير ، وخلقها النبيل

ومن هنا جل المصاب فيها عن العزاء ، وعنت الكارثة حتى ما يعبر عنها رثاء ، وانما اكتب هذا اليوم اثر قراءتي لخبر في احدى المجلات الاسبوعية ، عن « اعتزام احدى الهيئات النسوية، اقامة تمثال للفقيدة الكريمة في نادي الهيئة .. » فامسكت للمين - ولما ازل في غشية من هول الفجيعة - لاهيب بكل من يفكرون في تخليد ذكرى الراحلة ، ان يتجنبوا الصور والتماثيل ، لما عرفنا لفقيدتنا نفسها من ضيق بهذه المظاهر والاشكال، ولا عهدناها تحفل بذلك اللون المألوف من التكريم الفردي الذي لا يفيد المجتمع ولا يحمل نفعاما لوطن وانما عاشت - رحمها الله رحمة واسعة - مكافحة في صمت ، عاملة في داب ووقار ، مؤدية رسالتها العظمى في امانة ، ونبل وايثار ، ودون دعاية او ضجيج

وحرام ان نكرم ذكرى سيدة نبيلة كهذه ، بصورة تلصق على جدار ، او تمثال جامد يحبس في قاعة او ناد ، على حين نستطيع ان نستبدل بهذه المظاهر والاشكال ، تكريما يليق بها ويلائم شخصيتها ، كأن يشترك زملاؤها في تاليف كتاب علمي يهدى الى ذكراها ، او يشترك زملاؤها ومقدروها في شراء سندات ترصد لفوائدها جائزة سنوية للطالبة الاولى في معهد التربية للمعلمات، الذي عاشت الفقيدة له سنين عددا ، لتصنع للوطن مربيات الجيل وصانعات المستقبل

وانا بعد واثقة أن السيد وزير التربية ، اهل لان يكرم الرائدة الراحلة ، باطلاق اسمها على احد معاهد المعلمات بالعاصمة ، ثم على مكتبة كلية البنات الجامعية ، التي كانت امل الفقيدة الراحلة

ولنا الله من بعدها !

بنت الشاطىء

١٨/٩/١٩٥٧

شرق ... وغرب !

حديث للدكتورة بنت الشاطىء

عادت الى القاهرة منذ ايام ، الدكتورة بنت الشاطىء عائدة من مؤتمر المستشرقين فى ميونخ بالمانيا . وفيما يلى تتحدث الدكتورة بنت الشاطىء عن هذا المؤتمر الدولى الذى يعقد للمرة الرابعة والعشرين لبحث شئون الاستشراق ..

ابدا لم ار الشرق والغرب مجتمعين فى مكان واحد ، كما رأيتهما فى صالة المحاضرات الكبرى بجامعة ميونيخ ..

طفت بالآفاق من اسبانيا غربا الى الكويت شرقا ، ومن السويد شمالا الى الظهران والقطيف والربع الخالى جنوبا ، وشهدت محافل واندية ذات عدد ، ضمت حشودا من شرق وغرب ، لكن على غير هذا النحو الذى شهدته فى ميونخ ..

قبيل الساعة العاشرة من صباح الثلاثاء ٢٨ من اغسطس ، كنت ارى الجموع تتدفق من شتى انحاء المدينة الالمانية العتيدة لتلتقى فى الساحة الكبرى امام مبنى الجامعة فى ميدان « شفستر شول » وقد اختلط فيها الشامى بالمغربى ، والتركى بالسودانى ، والهندى بالسويدى ، واليابانى بالهولندى ، حتى غدت بهم الساحة اشبه بمعرض فذ للاجناس والاشكال والالوان ...

وفى الممرات الموصلة الى قاعة الاحتفال ، كنت اسمع خليطا عجيبا من اللغات واللهجات تنطق بها تلك الجموع الشتى ، حتى اذا استقرت بهم اماكنهم هناك وساد الصمت ايذانا بافتتاح الحفل ، لم يبق احد هناك الا وراح ينقل عينيه من طربوش « حسن باشا عبد الوهاب التونسى » الى عمائم مسلمى باكستان ، وقلانس الايرانيين وطواقى الهنود

وشاركت السيدات فى هذا المعرض الحافل للازياء ، فبدت الهنديات فى السارى الانيق والصينيات واليابانيات فى زيهن الوطنى الجميل ، الى جانب الاوربيات اللواتى كان « التايير الكلاسيك » زيهن المفضل ، وشاركتهن فى اردانه السيدتان المصريتان اللتان ظهرتا فى صدر الشرفة العليا ، تميزهما عن الاخريات اعين سود ، وسمرة مشربة بماء النيل ، وجلوس « الاستاذ سليم حسن » قريبا منهما ، وان لم يلق اليهما بالا ..

على ان الجمع المحتشد ما لبث ان كف عن تتبع الازياء والصور ، وراح يصغى مبهورا الى موسيقى « كونكورا » لهاندل ، تعزفها الفرقة الموسيقية التى اخذت اماكنها فى صدر القاعة

وتلاشت فروق الاجناس والالوان والاديان — او كادت — حين قام خطباء حفل الافتتاح يتحدثون الى الجموع السابغة من اقصى المشرق واقصى المغرب ، ومن بعيد الشمال والجنوب ، فيفهم منهم هؤلاء واولئك فى تجاوب عميق مؤثر ، يشهد بارتفاع العلم من حدود التفرقة وحواجز العنصرية ، وسمو الثقافة الى الافق الانسانى الذى يلغى الفروق ويعطل الفواصل ، وتلتقى عنده شيع شتى واحزاب مبعثرة واجناس متنافرة ومذاهب متناحرة ..

او هكذا طمعت الانسانية وهى تشهد هذه الوفود تلتقى فى ساحة العلم ، وتنصت الى تحية الافتتاح متجاوبة متفاهمة ..

او هكذا املت ورجت ، وهى تلمح فى فترات الاستراحة هذا العضو او ذاك يتحدث الى جاره بلغة مشتركة ، دون ان يدرى ما جنسية هذا الجار الذى يحادثه ، او ما دينه !

او هكذا كانت تحلم ، وهى ترنو الى شارة المؤتمر معلقة على صدور الجميع ، تكاد على صغرها تغطى الازياء المتنافرة ، اذ تجذب البصر اليها بلونها الفضى الهادىء ، فلا يعود يلتفت الى ما سواها ..

لكنه حلم لم يلبث ان تبدد ..

وامنية لم يتجاوز عمرها ساعتين من نهار

ومطمع لم يتعد مجاله ، حدود قاعة المحاضرات ..

اذ ما كاد الجمع ينفض عقب حفلة الافتتاح حتى تمزق بددا فى ردهات المبنى الجامعى ودهاليزه ..

١٨ / ٩ / ١٩٥٧

واسرع كل واحد منهم يلتمس اهله ومعارفه وبنى جنسه ، مستجيبا لنداء الدم الذى لا يقهر ، وحنين الوطن الذى لا يغيب ..

وغابت اللغة المشتركة التى كنا نتفاهم بها منذ لحظة ، فى ضجيج اللغات واللهجات الاقليمية التى استردت سلطانها على الالسن

وظهرت العصبيات ، والعنصريات ، والعواطف من جديد ، وكانما ضاقت باحتباسها وقتا فى محراب العلم ، وما يسيطر عليه من مهابة وجلال ..

فهنا ، نجد المستشرق الايطالى « فرانسسكو جابريلى » يتحدث الى زميلته السيدة « ماريا نلينو » عن جهود المستشرقين الطليان وما لهم فى ذلك الميدان من سابقة لا تجحد

وهناك ، نرى جمعا من مستشرقى الالمان ، يكملون ما اشار اليه الاستاذ الدكتور « هانز مابنزولت » فى حفلة الافتتاح ، من حديث من جبروت الجهد الالمانى فى ميدان الاستشراق

وهنالك .. تجمع المصريون والعرب ـ كانما كانوا على موعد ـ فى مناقشة حامية اثارها الاستاذ امين الخولى احتجاجا على عدم الاعتراف باللغة العربية لغة رسمية فى مؤتمر كهذا ، موضوعه الشرق والعرب والاسلام

وغير بعيد منهم ، كان الاستاذ الامير حسن حسنى عبد الوهاب باشا يتوسط حلقة من ابناء المغرب الافريقى ، يتحدثون فى قضاياه الكبرى ، ويتلقون اخر الانباء من معركة تحرير الجزائر ..

وسطعت الشمس لحظة ، فلمعت فى ضوئها الشارات المعدنية المعلقة على صدور الاعضاء واستطاعت ان تستردهم لحظة الى موضوع اليوم ، وامتدت مئات الايدى فاستخرجت دليل المؤتمر من المظروف الكبير الذى وزع على الاعضاء قبيل حفل الافتتاح ..

وعادنا الى الحديث المشترك عن برامج المؤتمر ، ورحلاته ، وموضوعات الحديث فيه ومن حضر من اعلام الاستشراق ومن غاب ، وقد شغلنا بهذا عما كان يشغرنا من احاديث القوميات والعصبيات

لكنها عودة لم تطل ..

فقد طالعنا الدليل من اول نظرة ، بما لم يخطر لنا على بال !

فى الصفحة الاولى منه ـ ورقمها فى الطبعة الالمانية ٥ بعد الفهارس ـ بيان للمطاعم التى تقدم الوجبات النباتية للهنود « هيرن شتراسه ١٦ » . وكذلك مطاعم الكشير لليهود « قهوة ومطعم اولمبيا : شيلر شتراسه ١٤ » ـ ولا ادرى لم فاتهم ان يعينوا للمسلمين مطعما يقدم لحما حلالا ، ذكر عليه اسم الله !

وفى الصفحة التالية مباشرة ، بيان لاماكن العبادة لشتى الطوائف ، مع تحديد دقيق لطرق الوصول اليها :

كنيسة لودفيج : للروم الكاثوليك ، وتقع فى نطاق الحرم الجامعى

كنيسة ماركوس : للانجيليين ، وتقع فى شارع جابلز برج

كنيس اليهود : للاسرائيليين ، ويقع فى شارع راينسباخ ٢٧ ، ويوصل اليه كل من ترام ٧ و ١٥ و ٢٥ ، وتقام فيه طقوس العبادة من الساعة السابعة مساء الجمعة والتاسعة صباح السبت !

ولم تنس لجنة تنظيم المؤتمر ، الاعضاء المسلمين ، واذ خلت فرايبورغ من مسجد لهم خصص المؤتمر لصلاتهم ، الحجرة رقم ٢٢٧ فى الدور الاول ، بالجناح الايسر ، من مبنى الجامعة !

١٩٥٧/٩/١٨

وسجلت هذه الفرقة المختارة للمسلمين ، فى دليل المؤتمر ، مع اماكن العبادة التى اشرت اليها !

وهكذا عدنا شيعا واحزابا ، تحت رعاية المؤتمر الكريم ، وباشرافه الأسمى ..

ولم يكن عجبا بعد ذلك – وقد حانت ساعة الغداء – ان نرى جماعة من اخواننا الهنود بزيهم القومى ، مع نسائهم ملتفات بالسارى يتجهون الى المطعم النباتى فى شارع هيرتن وان نرى عصبة اخرين ، ياخذون طريقهم الى مطعم اولمبيا ليأكلوا لحم الكشير .

على حين جلس الخولى ، والخشاب ، والمنجد ، حول مائدة فى مطعم استوزيا ، يشربون على الغداء الماء القراح ، ويتحدثون عن مصر ، وسوريا ، والجزائر ، والجامعة العربية ، ويتساءلون المناقشة حول « اللغة العربية فى مؤتمر المستشرقين » وقد اثارها من جديد ، اصرار مستشرقى الروس جميعا على ان يسجلوا عناوين ابحاثهم فى دليل المؤتمر ، باللغة الروسية !

وهكذا افترق المجتمعون شرقا وغربا ، رغم الشارة العلمية المعلقة على صدورهم، واكتفوا باللقاء على قدر الضرورة، فى الساعات المحددة للجلسات

ولست ادرى لم ذكرت وانا اشهد هذا كله قول شاعرنا العربى القديم :

احارث انا لو تساط دماؤنا
تزايلن حتى ما يمس دم دما

وظل صدى منه ملء سمعى ، فى الغدوة والرواح ..

التاريخ : ١١ / ٨ / ١٩٥٨

عودة الدكتورة بنت الشاطىء بعد تهنئتها سيدات العراق

عادت أمس من بغداد الدكتورة بنت الشاطىء، بعد أن مثلت شعب الجمهورية العربية المتحدة في البعثة التي أوفدها المكتب الدائم لتضامن الشعوب الآسيوية والافريقية، لتهنئة العراق الشقيق بثورته الظافرة

وقد انتهز أدباء العراق فرصة وجودها هناك فأقاموا لها حفلة تكريم، بوصفها مندوبة مصر في مؤتمر أدباء العرب، وحضر الحفلة معالي الشيخ رضا الشبيبي، ووزراء المعارف والمالية والدعاية والزراعة، وعدد كبير من أساتذة الجامعة وأعلام الفكر والأدب.

التاريخ: ١٤ / ٨ / ١٩٥٨

رحلتا شتاء وصيف

الدكتورة بنت الشاطئ

كانت اولاهما فى منتصف شهر نوفمبر ، فى مطلع الشتاء الماضى ، والثانية فى مستهل شهر اغسطس ، هذا الذى نحن فيه .. بينهما فى حساب الزمن ، بضعة اشهر معدودات لم نقرب من عام واحد .

وبينهما فى حساب الحياة ما لا يقوم بسنين وادهار ..

كنت هنالك !

انه فرق ما بين اكتئاب الخريف وانقباضه ، وسحبه وغيومه ، وذبوله ووجومه .

وبين ضياء الصيف الساطع ،وحرارته الوهاجة ،وحيويته المتقدة !

او هو الفرق بين الحياة حين تنكمش فى غيابة السجن ، وحين تنطلق من وراء الاسوار وثابة هادرة ، كشعلة تتوهج !

والطبيعة تصنع هذه المعجزة كل عام !

لكن التاريخ قلما يصنعها الا فى معجزة اشبه بالبعث .

وهذا الذى رايته فى العراق بين شتاء وصيف ، كان من قبيل معجزات البعث !

لكن كيف دخلت العراق ، فى الامس الدابر ، ودونه الاسوار والحواجز والسدود ! ؟

حاولت ذلك لاول مرة منذ نحو ثلاثة اعوام فى شهر مارس من عام ١٩٥٦ على التحديد ، وكنت قد دعيت لاحاضر فى سورية ، وعز على ان اكون قريبة من العراق ولا آراه .

والعراق موطن من اعز المواطن الروحية لاصحاب التخصص فى الادب العربى والثقافة الاسلامية ، وكنت قد زرت جزيرة العرب قبل ذلك الحين ، واوغلت فيها حتى قلب نجد واطراف الدهناء ، فلما زرت « دمشق » وطفت بمعالم حضارتها العريقة ، شاقنى ان اشرب من ماء دجلة والفرات ، بعد ان شربت من ماء النيل وزمزم وبردى !

ولكنى لم اكد اهم بالسفر اليها حتى قيل لى : وأين انت من بغداد ؟ ! ان الحصول على اذن بالدخول اليها ـ وأنت مصرية ـ يكاد يدخل فى نطاق المستحيل .

وهكذا رجعت من دمشق ولم ار بغداد ..

ومضى عام ...

ووقفت فى شهر فبراير من سنة ١٩٥٧ ، على سيف الخليج العربى بالكويت ، ارنو الى العراق بشوق مستثار ، وبينى وبينه مسافة تطويها الطائرة فى ساعة وبعض ساعة .

ثم انثنيت اسأل الكويتيين الكرام :

اما من سبيل لي الى بغداد ؟

فكان جوابهم : هيهات هيهات !

والفيتني اردد فى شجو بيت ابى العلاء

فيا دارها بالحزن . ان مزارها
قريب ، ولكن دون ذلك اهوال

واسترحت الى مايشبه اليأس ، فما عدت احاول الاستئذان فى السفر الى العراق ، وقد صار حراما علينا نحن العرب ، حلالا للطيور من كل جنس !

الى ان تقرر عقد المؤتمر الثقافى العربى فى بغداد ، وفوجئت باختيارى عضوا فى وفد مصر اليه .

ولبثنا مع ذلك ، ننتظر فى لهفة مشوبة بالشك والقلق ، ان يأتى الاذن من بغداد بسفرنا ، وطال بنا الانتظار اياما وليالى ، حتى دنا موعد انعقاد المؤتمر ، وبغداد صامتة عنا لا تجيب بنعم او لا ...

واخيرا ، وبعد يأس ، جاء الاذن ولما يبق على الموعد المحدد لسفرنا غير ساعات !

وطرت الى بغداد ، فى يوم افتتاح المؤتمر ..

ولبثت بها خمسة عشر يوما ، تؤودنى مشاعر متناقضة ، شتى ، من فرحتى بتحقيق حلم لى عزيز ، وتألمى لهؤلاء القوم الكرام فى سجنهم الكبير ...

سجن هائل ضخم ، لا يقنع بالوارد اليه من الوف الاحرار ، وانما تمتد اذرعه الاخطبوطية المارده عن يمين ويسار ، ومن الامام والخلف ، فما يكاد يفلت منها احد !

سجن خرافى اسطورى ، له الف الف عين ترصد كل حركة وخطوة ، وكل اشارة ولفتة ...

وله الف الف اذن ، تتسمع كل كلمة وهمسة ، وتحصى أنفاس الناس فى بيوتهم دون ان يعصمهم منها جدار يقوم او ستار يسدل ...

التاريخ: ١٤ / ٨ / ١٩٥٨

بل انه ليوغل في القلوب والضمائر ليضطهد الفكرة تخطر بالبال قبل ان ينطق بها اللسان ، وليترصد الرؤى والاحلام في مضاجع النائمين ، قبل ان تردهم اليقظة الى الحرص والحذر والتقية والكتمان !

وكانت حفاوة الشعب العراقي بنا – نحن المصريين – منقطعة النظير ، حتى لاذكر انني لم املك دمعي مرتين ، احداهما في دار المعلمين العالية ، والاخرى في كلية الاداب . لفرط انفعالي بما لقيت من حماس الجماهير ، وانا احاضر هناك !

لكن هذه الغبطة ، لم تخفف عني مايرهقني من شعور بمحنة الاحرار في سجنهم الاسطوري المارد ، وان اكدت لي ان لابد لهذا الليل من اخر ، وان طال المدى ، وتراكبت الظلمات ، وضاعت معالم السرى في ذلك التيه المدلهم !

وكذلك اكدت للدنيا شيئا اخر ، ماارتبت انا فيه قط ، وهو أن ما بيننا وبين اهلنا بالعراق لايمكن أن ينفصم أو ينحل !

انه لايستمد قوته من تاريخنا المشترك فحسب ولا من تراثنا الموحد فقط ، ولا من نداء الدم وجاذبية الجوار ووحدة اللسان ليس غير ، وانما هو شيء في عقيدتنا ، في ارواحنا ، في وجداننا ومشاعرنا ، في كل مابه نحن نحن !

وهذه السدود والحواجز والفواصل ، التي اقامها أعداؤنا ، محال أن تمنع تلاقينا فكرا ووجدانا ، وأن تناءت الديار وعز اللقاء !

وملأت عيني من بغداد قبل أن تحملنا الطائرة بعيدا ..

وصافحت الحشد الذي اجتمع لوداعنا في المطار ، وما فينا من تجرؤ احلامه على ان تمنيه بلقاء قريب .

وكان وداع ..

وعشنا هنا نتنفس الهواء الحر ، وملء قلوبنا حزن على اولئك الاعزاء الكرام الذين تركناهم بالرغم منا ، بين القيود والاصفاد ، لا .. بل بين انياب السجن الاسطوري المارد ، ذي الالوف من العيون والاذان والاذرع !

وما أكثر ماالتفتنا نحو العراق ، ونحن نتساءل في قلق وارتياب : ايان النجاة ، وكيف ؟

أيان ، وهذا الطغيان تشتد وطأته ، ويجثم كابوس عتي يخنق الانفاس ؟ !

وكيف ، وقد التوت المسالك ، وتاهت السبل فما يبدو على الافق شعاع من ضياء ! ؟

وغاب عني – في غمرة أساي – ان اذكر ان الظلمة انما تشتد قبيل الفجر !

كما غاب عني ان اتاسى بالذي شهدته بنفسي وشهدته معي الدنيا ، من مصرع الطغاة هنا في مصر ، بعد « اذ جاءوكم من فوقكم ومن اسفل منكم ، واذ زاغت الابصار ، وبلغت القلوب الحناجر ، وتظنون بالله الظنونا . هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا » !

وفجاة ، اذيع النبأ الخطير عن ثورة العراق ، في الصبح الباكر من يوم ١٤ تموز !

وتلقيناه هنا مابين مرتاب لايصدق سمعه ، وذاهل لايدري أفي يقظة هو ام تلك رؤيا منام !

فلما زايلتنا دهشة المباغتة ، امسكنا انفاسنا نرقب مزيدا من الانباء ، وبنا مايشبه الخوف ان يحدث للثورة ، هذه المرة ، مثل الذي حدث لثورات سابقات ، وئدت في ابانها ، وازداد الوحش الاسطوري من بعدها شراسة وعتوا ..

لكن الانباء تتابعت ، معلنة عن انتصار الثورة الساحق ، فى سرعة مذهلة كأنها لمح البصر !

وتمنيت لو زرت العراق بعد ان تحرر من سجنه المارد ، فوالله ماكادت هذه الامنية تخطر ببالى ، حتى تلقيت دعوة للسفر الى بغداد !

سألت : ومتى الرحيل ؟

فقيل لى : بعد يومين اثنين لا اكثر ..

هكذا سريعا ، بلا انتظار ، ولا استئذان ؟

هكذا ، فى طرفة عين ، تهاوت الحواجز وانهارت السدود بيننا وبين العراق الحبيب ! ؟

هكذا ، بضربة واحدة ، تماحت فواصل العزلة الرهيبة التى أقيمت بين الاهل والاخوة والاصدقاء ؟

لكأنها والله كانت وهما !

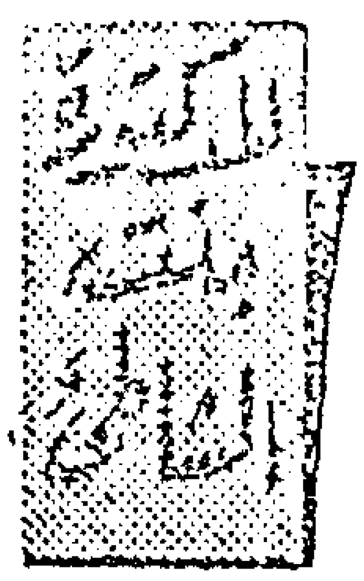
وانها والله قد كانت كذلك !

كانت وهما مازال يتضخم فى اعين الذين أقاموه ، حتى علا كالطود الشامخ ، فلما حانت الساعة لم يبق منه غير هباء تذروه الرياح ..

التاريخ : ١٦ / ٨ / ١٩٥٨

٢ ـ رحلتا شتاء وصيف

الصبح الجديد !



الساعة الثانية بعد منتصف ليل ...

والطائرة تشق بنا أحشاء الظلمة ، والكون كله ملتف بعباءة داكنة ، لا تكاد العين تميز فيها سهلا من جبل ، أو أرضا من سماء ..

ولقد هيأت المضيفة مضاجع الركاب لينالوا هذه الساعات الثلاث التي نمضيها فوق متن السحاب ، ما بين القاهرة وبغداد ..

ونام رفاق السفر

وبقيت وحدي ، في هذا الصندوق السحري الطائر ، ساهرة لا أنام ...

ذاد عني الكرى شجو الذكرى ، وترقب الفجر الذي لن يلبث أن يبزغ ، ليراني الصبح الجديد ـ مرة ثانية ـ في دار السلام .

ذكرت كيف دخلتها بالأمس خائفة أترقب ، أخشى أن يلحق ضيم بصحبنا الكرام من أهل العراق ، حين لا يملكون أن يكتموا فرحتهم بنا ، ويداروا عواطفهم نحونا ، تلك العواطف الموءودة التي طال عليها المدى وهي في الأعماق تغلي وتضطرم ..

وذكرت كيف كنت أصغي الى حديث الأصدقاء هناك ، عن مصر الغالية في نضالها الباسل ، وعن الوطن العربي الممزق بعدنا ، وأنا حذرة ألتفت ، أكاد أرى للجدران الصماء المصمتة ، عيونا تحدق وآذانا تسمع !

وذكرت أيامنا ولياليا على شط دجلة ، كيف كانت تمضي مشحونة بالقلق والتوجس ، وما يطمئن الثاني من الصحب ألا يكون ثالثهم من عملاء الطاغية ، وأعوان السجان الأكبر ..

وابتعدت بي الذكريات ، تشدني الى الأمس الدابر ، وتملأ سمعي بأصداء ملحة ، من أنين المعذبين وشكوى المضطهدين ، مختلطة بصليل الأغلال وزئير الأصفاد وفحيح الشياطين

حتى دنا الفجر الصادق

ولاحت تباشيره على الأفق ، مؤذنة بصبح وليد ..

فانتزعت نفسي من أسر ذلك الماضي الذي ولى الى غير رجعة ، وتهيأت لاستقبال الصبح الجديد ..

وكانت خاطرة واحدة ، هي التي تملكتني وأنا أفتح عيني وقلبي ، لوهلة النور الإلهي الذي ينبثق من المشرق ، فتتراكض أمامه جحافل الظلام مولية فرارا ، وقد ملئت منه رعبا !

تلك كانت آية النهار حين تنسخ ظلمة الليل ..

والطبيعة تبدع هذه الآية وكل يوم ، في شرقنا الطيب العريق ، وإن كانت لا تصنعها في بلاد أخرى إلا مرة كل عام ..

أما التاريخ فما يستطيعها ، إلا أن تكون ثورة !

ونحن أبناء هذا الشرق الكبير ، قد شهدناها في هذا الجيل مرتين : أولاهما في ثورة ٢٣ يوليه عام ١٩٥٢

وهذه الثانية ، في ثورة ١٤ تموز !

وكان الفجر الصادق لها موعدا ..

فحين كانت الطبيعة تظهر آيتها الدورية التي لا تتخلف ، كانت هناك ظلمات أخرى ـ أشد حلكة وأبشع سوادا ـ تنجاب من الأفق ، وتولي الأدبار مذعورة ، اثر ليل مدلهم طال حتى قيل انه ليس بمنته ..

واندمجت الآيتان في ذلك الصبح الخالد ..

آية الله في الكون ، وآيته في الانسان

وهبت الجموع من مراقدها ، في شتى أنحاء الشرق الكبير ، تحيي موكب النور البازغ ، وتبارك هذه الأرض الطيبة التي ما فتئت تؤكد للتاريخ ، كلما ادلهم الأفق وحارت الظنون ، أنها كانت وما تزال وستظل ، مهد الرسالات ، وموطن البطولات الكبرى ، ومشرق النور ..

ومع مطلع النهار الجديد ، كنت أسير في دار السلام مبهورة الأنفاس ، أصغي في نشوة وعجب ، الى « راديو بغداد » وهو يذيع ملء الأرجاء ، أغنيتنا العربية :

وحدة ، ما يغلبها غلاب
يباركها ، وحدة أحباب
يوصلنا ، من الباب للباب
ولا حاجز ، ما بين الاثنين
ولا مانع ، ما بين الاثنين
ولا حايل ، ما بين الاثنين

سبحانك يا الهي ! أليس من هذا المكان نفسه ، كانت تذاع يوم معركة القنال .

أنا اللي أسائل كل اللي يجرى لي
الغالي بعته رخيص ، وما احسبوش غالي !!

وكان الغالي الذي بعناه يومئذ في الاستعمار وقتل الطغيان ، ومهانة الاحتلال ...

بعناه رخيصا ، لنشتري الحرية والكرامة والشرف ، وفي حسابنا أنه رخيص رخيص ، وأي شيء لا يسترخص في سبيل ما هو أعز من الحياة .

وما غاب عنا أنه غال في حساب عملاء الاستعمار وعبيد الدولار وسماسرة الشعوب !

واعجبا !

بنت الشاطئ

التاريخ : ١٦ / ٨ / ١٩٥٨

لقد خيل لي وانا اعبر نهر دجلة ، وانتقل ما بين الرصافة والجسر والكرخ ، والكاظمية والاعظمية ، انى كنت إعيش في بغداد منذ [illegible] وحييت .

ووددت لو اصافح هناك كل يد ، واحيي كل ربع ، فكل من في العراق اهل لي وعشيرة ، وكل مكان فيه دار لي ووطن ...

وحين وقفت اطل من شرفة « فندق بغداد » على المدينة في عيدها الكبير ، واصغى الى هتاف الجماهير المتحررة يتعالى مدويا في الفضاء بدا لي انى استطيع ان اغفر للزمن كل ما صنع باهلي هؤلاء في الامس الذى مضى وراح ، ولا اذكر الا ان الشمل الممزق عاد فالتأم ، والجمع المبعثر قد التم ، والا ان العراق العربي قد رجع فاخذ مكانه الى جانبنا في الركب الظافر ...

وان لم استطع ان اغالب شعورا بالاشفاق ، احسسته على الرغم مني ، وانا اخطو في ردهات الفندق الكبير ، لأرى هنالك في قاعة الطعام الفخمة ، الاستاذ منير [illegible] مع اعضاء بعثتنا الاقتصادية على احدى الموائد ، وعلى مائدة اخرى جلس الزميلان الدكتور علي ابو هيف والدكتور مالك [illegible] ، وعلى مائدة ثالثة جلست الاخت انجي رشدي مع عدد من مندوبي صحافتنا .. وكان الفندق الا لنا [illegible] — نحن العرب — هذا الفندق الكبير ، الذى اقامه كبير السماسرة لوفود حلف بغداد وجنود الاستعمار ، قبل ان يبزغ صبح ١٤ تموز ، فيقذف به وبهم جميعا الى مهواة الضياع ...

وصدقت فيه وفيهم كلمة الله جل في علاه :

« كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم اخذ عزيز مقتدر . أكفاركم خير من اولئكم ، ام لكم براءة في الزبر ! ام يقولون نحن جميع منتصر ! بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر . ان المجرمين في ضلال وسعر . يوم يسحبون في النار على وجوههم ، ذوقوا مس سقر . انا كل شيء خلقناه بقدر . وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر . ولقد اهلكنا اشياعكم فهل من مدكر »

التاريخ: ٢٣ / ٨ / ١٩٥٨

٣ - رحلتنا شتاء وصيف
قصة كالأساطير



كان كل شيء امامي يبدو كحلم في الكرى ...

هناك ، في ذلك الافق العجيب على شط دجلة ، وقد سجا ليل « آب » وتراكضت الاطياف من اعماق الماضي البعيد ، تروى حدث الحقب والادهار ، وتعرض مشاهد تاريخ طويل ضارب في اغوار الزمان وسحيق الآباد ...

هناك ... على الضفة المسحورة ، وهامات النخيل المتوجة بسنا النور الرقيق ،تصغى الى خفق الامواه الحالمة ،وانفاس الليل الساجي وهمس الارواح السارية، ورجع اصداء مثيرة من معارك الابطال واصطراع المذاهب واناشيد الشعراء وصلوات العابدين ، وشدو المعازف التي طالما غنت هنا مواجد العشاق وانين المحرومين ونجوى الواجدين واشواق الصوفية الهائمين ...

هناك ... والجو متارج بعطر سميراميس وعشتار ، وبخور المعابد والهياكل ،وعبير الارض الطيبة التي كانت مهدا لاعرق حضارات الدنيا ، ورائحة الدم والعرق: دم القتلى وعرق الكادحين ....

هناك ... ومآذن الكاظمية تتالق اضواؤها على البعد ، محدثة عن مصارع الشهداء الكرام من آل البيت ، ومعيدة ذكريات مثيرة من تاريخنا الروحي العريق العتيد ...

هناك ... حيث تلتبس الحقيقة بالخيال ، ويشتبه الواقع بالحلم ، ويلتقي اليوم بالامس وتختلط الشخوص بالاطياف هناك ، ولما تكن قد مضى على وصولي الى بغداد غير ساعات ، جلست اصغى الى قصة الثورة ..

يرويها بطلها عبد الكريم قاسم بصوت هادىء وديع ، ساحر الايقاع ، جلي النبرات . وفي المجلس ، السيد نجيب الربيعي ، والشيخ محمد مهدي كبه ،وكل الذين اشتركوا في تصميم القصة ، واخراجها ...

انها قصة كالاساطير ...

قصة خيل الي حين سمعتها ،ان فيها عنصرا من سحر هاروت وماروت ، وصدى من ملاحم الفرسان ومواقع الشجعان ،وشيئا من مبتدعات الخيال الذي نسج ، في صبر وطول بال ، اقاصيص الف ليلة وليلة ، وملا بها سمار هذا الشرق الذي لا ينضب معينه ابدا من سر وسحر ...

فلما هل الصباح ورحت اطوف بمسرح القصة واصغى الى انبائها على كل لسان ، واشهد آثارها في الوجوه المتهللة بنشوة الفرح وحماس الايمان ، وفي العيون المتالقة بنور النصر وبريق الغبطة ، ايقنت ان ما سمعت وما رايت ، كان حقيقة واقعة ، وليس خدعة حلم او صنعة خيال ...

حقيقة اروع من الحلم ...
ووقائع اغرب من الخيال ...

ليلة ١٤ تموز ... .

بغداد كانت راقدة منكمشة ، يجثم على صدرها هم ثقيل ... ،

وقد اطفئت الانوار ، واحتبس الناس فى مضاجعهم ، يودون لو ان شمس الغد لا تطلع عليهم ، حتى لا يروا جيشهم العربى قد زحف الى الاردن ، ليعبر منها الى لبنان ويصوب السهم من هناك الى صميم القومية العربية ..

وهناك فى المعسكر ، عند اطراف بغداد ، كان لواء من الجيش يتحرك فى صمت محموم ، لا احد يدرى ما وراءه ..

ولم يكن اللواء مسلحا ، فليست عصابة السوء من الغفلة بحيث تسمح بمسير لواء مسلح فى قلب عاصمة العباسيين ، حيث شارع الرشيد يذكر بعهد لها ذهبى ، كانت فيه موئل العروبة وعاصمة الدولة الاسلامية الكبرى الممتدة من اطراف الشرق الاسيوى الى اقصى المغرب الافريقى ...

كلا .. لم يكن اللواء مسلحا ، وانما كان عليه ان يمضى تحت جنح الظلام الى نقطة التجمع قرب الحدود ، حيث تلحق به هنالك فرق المدافع والدبابات والمدرعات والطائرات والذخيرة ، آتية من معسكرات شتى مبعثرة فى بلاد الرافدين ، لتمضى جميعا الى حيث اريد لها وفرض عليها ...

وتساءل الجنود الاحرار فى شبه يأس احقا نمضى ؟ وكيف ؟ .

وبعث القادة الامناء يسالون: اما حان الاوان؟

وراح السؤال يتنقل عبر مسالك خفية مبهمة لا ترى ولا تعرف ، حتى بلغ مسمع القائد الاول ...

وجاء الجواب : كلا ، لم يحن الاوان بعد !

قيل ، ولكن العصابة توشك ان تفلت فى طائرة غدا الى تركيا ، لتشهد اجتماع الحلف المشئوم.

وكان الرد عنيدا حازما : دعوها تفلت ، وانتظروا تعليمات السير فى الساعة الثامنة ، فاذا جاءتكم فاتبعوا الادلاء ..

وحانت الساعة الثامنة من مساء ليل ١٤ تموز ، وما من احد يدرى كنه هذه التعليمات المرتقبة ..

ثم جاءت الكلمة ...

جاءت متسللة عبر المسالك الخفية التى لا ترى ، والدروب المبهمة التى لا تعرف

وتبعت فصائل الجيش ادلاءها كما امرت واخذت الاسلحة والجنود تتدفق فى صمت نحو نقطة التجمع ..

تماما ، طبق الخطة التى رسمتها لها عصابة السوء ..

مع فارق بسيط ، هو فى مكان نقطة التجمع هذه ! .

فمن هنا ، ومن هناك ، ومن هنالك ، اتجهت الحشود نحو بغداد ، بدلا من ان تسلك الطرق الى الحدود ..

واخذ كل جندى مكانه المحدد له ، وعرف كل جندى دوره فى المعركة ..

ولكن احدا منهم لم يكن يعرف دور جاره وصاحبه ، او مكان رفيقه وزميله .

وفى يد خفية ، تجمعت كل الخيوط .. واعلنت ساعة الصفر !

واستيقظت بغداد فى الفجر على صوت ضجيج حسبته اول الامر ضجيج اللواء الذى صدرت اليه الاوامر ان يمضى بليل ، الى الاردن ولبنان ..

واصغى العراق كله فى دهشة ، الى صوت مذيع يعلن عن مولد الجمهورية العراقية مع الصبح الجديد ..

وتثاءبوا فى مراقدهم مرتابين ، وما يزال فى عيونهم بقية من خدر النعاس ، وما تزال فى اجسادهم بقايا من همود الكابوس الثقيل..

ثم اندفعوا كموج عاصف هادر ، ليكونوا مع جيشهم فى معركة الحياة ، ويشاركوه شرف النضال من اجل الشرف !

وتم كل شىء فى ثلاثين دقيقة فحسب ..

واى شىء هذه الدقائق الثلاثون فى عمر فرد ، ولا القول فى اعمار الشعوب وتاريخ الثورات ؟

بل اى شىء هى ، فى حساب الزمن نفسه !؟

التاريخ: ٢٣ / ٨ / ١٩٥٨

ان الانسان ليرشف قدح القهوة في دقائق كهذه ، وربما امضى مثلها او اكثر ، في انتظار سيارة تحمله الى داره او الى محل عمله ، وربما امضاها ومثلها معها ، متسكعا امام واجهة متجر ، او جالسا على المقهى يتمطى في تكاسل وخمول ..

بلى ، اى شيء هذه الدقائق الثلاثون ، في حساب الدنيا وعمر الزمان ؟

ولكن في هذه الدقائق الحاسمة من فجر ١٤ تموز ، تغير وجه التاريخ ..

والسهم الذى كان مصوبا الى قلب العرب ، عاد مشرئبا متحفزا للدفاع عن العرب !

والطغاة والعملاء والسماسرة ، تساقطوا صرعى مجندلين ، فما بكت عليهم الارض ولا السماء ..

وتهاوت حصونهم الماردة ، التى ظنوا انها مانعتهم من الله ، ((فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ،وقذف فى قلوبهم الرعب ، يخربون بيوتهم بايديهم وايدى المؤمنين ، فاعتبروا يا اولى الابصار))

ويوم ١٤ تموز ، الذى حسبته العراق يوم مائم لها وحداد ، اشرق ساطع الضوء ، ليكون يوم عيد لا للعراق فحسب ، ولكن للعرب جميعا ، ولكل الاحرار من ابناء هذا الشرق الكبير .

التاريخ: ١٣ / ٩ / ١٩٥٨

عصير حياتي

في حياتي ... لم أستعمل التواليت

((.. واندفعت تتعلم .. كانت كلما قطعت مرحلة تعثرت في ازمة تهز اركان البيت .. يقول لها ابوها : ((ادخلي خدرك يا بنية)) .. فترفع جبهتها وتثور وتصمم أن تكمل تعليمها ..

((ومرات كثيرة هددت اباها بالانتحار ، وهددها ابوها- ان يطلق امها اذا لم تخز الشيطان وتقعد في البيت !

((ولكن كان من الصعب عليها ان تقف .. فقد كانت تسير بدفعة حب نحو الحبيب !))



التاريخ: ١٣ / ٩ / ١٩٥٨

دكتورة بنت الشاطئ

المراكب كانت تاتى من الشام .. من لبنان ومن سوريا .. كلها ملآنة بخشب الارز وزكائب القمح واثواب الحرير .. وكانت ترسو فى دمياط ، يطوى المراكبية الشراع ويتركون للحمالين مهمة تفريغ الحمولة ، بينما يهرعون هم الى نسائهم يروون الاشواق بعد طول الغياب .!

وتظل المراكب راسية بالاسابيع .. تتحول فيها الى مسرح لصبايا دمياط ، يصعدن عليها كل اصيل ، ويسهرن ويسمرن حتى يسقط الليل . .

وكانت هى ضمن الصبايا .. عائشة بنت الشيخ محمد على عبد الرحمن المدرس فى معهد دمياط .. كانت تصعد مع الصبايا ، يجمعهن اللعب والصداقة ومرح الطفولة

وفى يوم ، تفقدت عائشة صديقاتها فلم تجد منهن واحدة .. وانكسرت نفسها واحست بالوحدة .. سالت عن صديقاتها ، فقالوا لها : انهن ذهبن الى المدرسة .. لقد بدا الخريف بعطره وجوه الرطب ، وفتحت المدارس ابوابها لتبتلع فصولها اعداد التلاميذ فلا تلفظهم الا آخر النهار

وتشعلقت بصديقاتها ، صممت ان تلحق بهن داخل فصول المدرسة .. ولكن اباها رفض .. ان البنات عنده لا يتعلمن فى المدارس ، يتعلمن فى البيت !

ولكن كيف ؟

ان اباها عالم .. وبيتها الذى عاشت فيه بيت علم ، لقد وعت على الدنيا فوجدت الارفف تملا احدى حجراته وفوقها مئات الكتب والمعاجم والمجلدات ..

وهى تحب العلم .. ولا احد فى الدنيا يستطيع ان يقف بينها وبين الحبيب !

ووقف معها جد امها .. وقف فى وجه ابيها ، واخذها من يدها وادخلها مدرسة اللوزى الاولية بدمياط ..

واندفعت تتعلم .. كانت كلما قطعت مرحلة تعثرت فى ازمة تهز اركان البيت .. يقول لها ابوها : ((ادخلى خدرك يا بنية)) .. فترفع جبهتها وتثور وتصمم ان تكمل تعليمها

ومرات كثيرة هددت اباها بالانتحار ، وهددها ابوها ان يطلق امها اذا لم تخز الشيطان وتقعد فى البيت !

ولكن ، كان من الصعب عليها ان تقف .. فقد كانت تسير بدفعة حب نحو الحبيب !

وارتوت من العلم على مر سنوات الكفاح .. واصبحت ((الدكتورة بنت الشاطىء)) الاستاذة التى تدرس الادب العربى فى الجامعة وتتكلم الالمانية ، وتسكن — بدل الريف — فى مصر الجديدة !

***

قالت لى ((بنت الشاطىء))

● « كلايش » .! قلت لها : ايه ؟.

قالت : لا ابدا .. انا اكلم ابنى « أكمل » .. انه يقول لى بالالمانية : تعالى

التاريخ: ١٣ / ٩ / ١٩٥٨

غدبني . . وانا اقول له : حالا . !

● الوالد كان مدرسا في معهد دمياط الديني ، وكان سرفيا .. اسرته من شبرا بخوم مركز قويسنا ؛ اما عائلة امي فمن دمياط ذاتها ..

ولدت في دمياط في ٦ نوفمبر سنة ١٣ ..

● امضيت صباي العب على شاطيء فرع دمياط .. كنت انزل في الماء انا والبنات نعوم ونصطاد السمك .. او اصعد معهن على ظهر المراكب التجارية الاتية من الشام نسهر ونسمر .. او نركب قاربا بشراع يزحف بنا مع التيار الى البحر الواسع عند رأس البر ثم نعود اخر النهار ..

عشت على الشاطيء أحلى ايام عمري .. وتأثرت بالشاطيء بناسه وواقعه واحلامه .. وعندما كتبت اول مقال ادبي لي في جريدة "الاهرام" بحثت عن اسم مستعار اختفي وراءه ، فلم اجد غير : " بنت الشاطيء " !

***

● كنت كلما حصلت على شهادة جدد أبي ثورته وطالبني بدخول الحريم ، وكنت اقابل ثورته بثورة مماثلة وتصميم على المضي في الطريق .. حصلت على شهادة المدرسة الاولية ، انتصرت على ابي ودخلت المدرسة الراقية ؛ واخذت شهادتها سنة ٢٥

قدمت اوراقي لمدرسة المعلمات بالمنصورة ، ولكن ابي ذهب بنفسه في اليوم التالي وسحب الاوراق ! .

دخلت امتحان الكفاءة "من منازلهن" سنة ٢٩ ، نجحت وطلعت الاولى على القطر ..

● بلغت ثورة ابي منتهاها يوم جاءني خطاب التعيين مدرسة في مدرسة ملحقة المعلمات بالمنصورة .. هددني ان يتبرأ مني ليوم القيامة ، قلت : ولو ! ، هدد امي بالطلاق فوقفت امي في صفي وكانها تعطيني ، فوق نصيبي من التحرر ، نصيبها الذي حرمت منه . !

وتسلمت وظيفتي ..

● تقدمت من المنزل لدبلوم "الاقسام الاضافية" سنة ٣١ ، كانوا قد منعوا التقدم من المنازل فاعادوا الى أوراقي ..

احسست أن هذه هي اول عقبة فعلية في طريقي الى مزيد من التعليم ، فغيرت مجرى حياتي .. عكفت ٦ شهور على دراسة اللغة الانجليزية وتقدمت للشهادة الابتدائية ، نجحت وكان ترتيبي الخامسة في القطر ..

● نقلت الى القاهرة مدرسة في مدرسة زينهم الاولية للبنات بالبغالة .. احسست في غربتي بهاتف يهتف في اعماقي ويقول : " انا حرة ! " كنت اتسلل الى لجان الامتحان وفوق راسي " طرحة " وعلى جسدي " حرام " وكانني ارتكب جريمة

التاريخ: ١٣ / ٩ / ١٩٥٨

كنت مدرسة للغة في مدرسة زنزوم الأولية بالبغالة

أنا لا أعلم أن هناك نقدا تنشره الصحف

في الظلام .. خلعت الطرحة والحرام وذهبت الى الامتحانات سافرة وكأنني اعلن عن نفسي .!

أخذت الكفاءة الثانوية سنة ٣٢ ، والبكالوريا — قسم ادبي — سنة ٣٤ .. درست علوم الكيمياء والطبيعة في الكتب فقط ، لم أدخل معملا ولم ار مخبارا في حياتي .!

***

● سنة ٣٦ استطعت ان احتفظ بوظيفتي وان التحق في نفس الوقت طالبة منتظمة في قسم اللغة العربية بكلية الاداب .. كنت اعمل في وقت واحد : سكرتيرة لكلية البنات ،ناقدة ادبية لجريدة « الاهرام » ، مشرفة اجتماعية في القرية النموذجية ببهتيم، وطالبة في كلية الاداب !

نجحت في السنة الاولى بامتياز ، في السنة الثانية دخلت « قسم الامتياز » انا واربعة من الزملاء .. لم يبق في القسم — في الليسانس — غيري انا وزميلي الدكتـــور محمد النويهي استاذ الاداب في جامعـــة الخرطوم ..

حصلت على الليسانس سنة ٣٩ بدرجة ممتاز ..

● عينت معيدة في الجامعة .. اخذت «ماجستير» سنة ٤١ بامتياز مع مرتبة الشرف الاولى .. كانت رسالتي عن « الحياة الانسانية عند أبى العلاء المعرى » ... ان ابا العلاء طراز فريد في الادب العربى .. انه في نظـــرى احسن اديب يظفر بانسانيته وفنيته فوق كل عصور الادب .. وجزء من مؤلف واحد من مؤلفاته المتعددة يصلح دراسة اكاديمية عميقة لدرجة جامعية عالية .. ومؤلفاته المشهورة : رسالة الغفران ، سقط الزند ، لزوميات ابى العلاء ، رسائل ابى العلاء .. اما مؤلفاته المغمورة فارجع الى « معجم ياقوت » يحكى لك قائمة طويــــلة باسمائها !

● سنة ٤٥ كنت مدرسة مساعدة في كلية الاداب .. تزوجت الشيخ امين الخولى واتفقنا ان استقيل لاحضر رسالة الدكتوراة والفرغ لتربيـــة الاولاد حتى يدخلوا المدارس ..

تقدمت للدكتوراه سنة ٥٠ وحصلت عليها بتقدير ممتاز .. كانت رسالتي عن « رسالة الغفران لابى العلاء » .. عدت الى الجامعة سنة ٥١ ، وانا الان استاذة مساعدة للاداب بجامعة عين شمس ..

سر اللقب ؟

قلت للدكتورة عائشة عبد الرحمن:

● حدثيني عن سر لقبك .. لقب « بنت الشاطىء » ؟

— كان ذلك سنة ٣٦ عندما كتبت اول مقال لى في جريدة «الاهرام» .. كان المقال بداية سلسلة طويلة من المقالات عن الريف المصرى .. وعندما فرغت من كتابة المقال وقعت في حيرة: هل اوقع باسمى ؟

لم يكن ذلك معقولا .. فقد نشات في بيئة محافظة وتربيت في احضان اب ريفى .ازهرى متصوف يقدس التقاليد ..

وبحثت عن اسم اختفي وراءه ، فلم اجد غير ملعب صباى ومجال كل الهامى .. لم اجد غير الشاطىء .. شاطىء دمياط .. فوقعت المقال باسم « بنت الشاطىء » .!

وفي اليوم التالي عقب نشر المقال، اتصل بي كنعان سكرتير تحرير الاهرام ودعاني لمقابلة المرحوم « جبريل تقلا » صاحب الاهرام .. وعندما قابلت الرجل هنانى على مقالى وطلب منى أن اكتب للاهرام بشكل دائم وان اكون الناقدة الادبية للجريدة ..

● بالنسبة لك ، بماذا تشبهين دراسة الادب .. ولماذا اتجهت اليها دون غيرها من الدراسات العلمية ؟

— أن الكون يفسر تفسيرا عقليا وتامليا ووجدانيا .. فالعلم يتولى الجانب العقلى ، والفلســـفة تتولى الجانب التاملى ، والاداب والفنون تتولى الجانب الوجدانى ..

وقد استجبت لدراسة الادب بدافع من مزاجى الخاص الذى انميته في بيئتى .. وقد عشت طفولتى على الفطرة ، والفطرة تشحذ الوجدان

تقاليد اصحاب العمائم !

● انت فلاحة من الريف .. وانت ايضا — كما قلت مرة — شيخـــة وابنة شيخ وزوجة شيخ .. ماذا فيك من الريف ، وماذا فيك من تقاليد اصحاب العمائم ؟

— في من الريف الفطرة والبساطة، والزهد في المجتمعات وضجيج المدينة وبهرة المدنية .. وفي ايضا مقاييسى للدنيا وموازينى للناس ، فهي مقاييس وموازين فطرية ريفية وليست صناعية عصرية ..

وفي من تقاليد الشيوخ المحافظة .. فانا محافظة لدرجة لا تخطر ببال امراة .. في حياتي : لم استعمـــل « التواليت » ، ولم ادخل مرة محل « كوافير » ، ولم اضع على جسدى فستان سهرة !!

● من هو المفكر .. انني القلت حولى ابحث عن المفكرين في البلد فلا اجد واحدا ينطبق عليه معنى الكلمة !!

— لا اعرف بالضبط ماذا تعني بكلمة مفكر .. ان كنت تعنى بهــا « المعلم » فمعلمنا الاول هو الاستاذ احمد لطفي السيد .. اما بقيـــة المعلمين فمازالوا باشخاصهـــم فوق خشبة المسرح ، ولا يصـــح الحكم عليهم !

● الكتب في مصر تصدر بالمئات وتباع عند تجـــار الورق بالاقة .! والناس يتعلمون في المدارس والجامعات ولكنهم لا يقراون .. لمـــاذا لا يقرا الناس .؟

— لاسباب كثيرة :

١ — صعوبة اللغة .. فعنـــدنا لغتان : لغة للكتابة ، ولغة للحيـــاة .. وبين اللغتين عزلة محكمة .!

٢ — التربية في مجتمعنا لم تنتج القارىء الذى يقرا .. والصبيـــة ينشأون فلا يجدون « المكتبة » ضمن اثاث البيت ، .احيانا يفتقدونها ، واحيانا يجدون بدلا منها «بارامريكانى»!

٣ — انعدام المادة الصالحة التى يمكن ان يقراها النشء .. والقراءة الموجهة التى يمكن ان تستهـــوى الشبان .. ومن شهور وانا ابحث لابنى عن كتاب يقراه فلم اجـــد كتابا واحدا !

٤ — على الكتاب انفسهم يقـــع العبء الاكبر من مسئولية كســـاد البضاعة .!

● أين عاصمة الادب .. هل هى القاهرة ، دمشق ، ام بيروت .؟

— ليس هناك عاصمة واحدة للادب .. انها مناطق نشاط ، لكل منطقة مجالها واختصاصها ..

فمركز اقليم مصر الثقافي يجعل القاهرة في المرتبة الاولى ، ولـــكن المجال عندنا للنثر اكبر ..

والشعر في بغداد ، فهى عاصمة الشعر .. وبيروت تتزعم الحـــركة التجارية في النشر والترجمة ..

اما دمشق ففيها الدراسات العربية القديمة الاصيلة ..

بنت الشاطىء كامراة ؟ !

● ماهي شروط الناقد .. وهل يعتبر نقدا هـــذا الذى نقراه في الصحف ..؟

— انا لا اعلم ان هناك نقدا في الصحف .! الذى اعرفه ان النقـــد عندنا ضيع .. ومسئولية تضييعه موزعة بين جيلين من الكتاب : الكبار، والشبان ..

فالكبار يظنون في انفسهم العصمة من الخطأ ، ولا يحتملون كلمة نقد .. وقد استغلوا نفوذهم في واد حركة النقد بعد ان بدات تظهر .. والشبان اكثرهم استعجل الشهرة ، وصفق بعضهم لبعض !

والنتيجة ان الادب والحركة الفكرية بوجه عام في مصر اصبحت محرومة من النقد ، ومن التوجيه والرقابة .. واصبحت محرومة من فرصة الكشف من اسباب النقص لكى تسير في طريق الكمال ..

● الى اين تسير المراة وجمعيات المراة .. وهل انحرف الاتجـــاه التحررى اللذى ســــارت فيه المراة المصرية من ٥٠ سنة ؟

— ان اكثر فتياتنا ظنن ان تحرر المراة بضاعة غربية ، فالتمسن بقشور المدنية الغربية وبعدن عن تقاليـــد الشرق .. وحسبن التحرر عوانقلات معيار ، وفرحة جميلة ، و«شوال» انيق ، ومظهر يلفت النظر !

لقد غاب عنهن جوهر التحـــرر ، فاهملن الشخصية الشرقية وفقـــدن الشعور بالذات ..

● كافحت لتتعلمي .. ماذا كان يدفعك ، ولاى حد اثر التعليم في مجرى حياتك ؟ .

— كانت تدفعني الوراثة .. حب العلم الذى كان يجرى في دمى .. لقد كان ابى عالما فاحببت العلم .. وعندما وقف في طريقي ليسلبني ما ورثته عنه حاربته وانتصرت عليه !

وبالقطع اثر التعليم في مجـــرى حياتى .. اصبحت أستاذة في الجامعة، ومتحدثة في الراديو ، ومحـــدثة في الندوات والمؤتمرات .. وانتقلت من دارنا في شبرا بخوم الى فيلا في مصر الجديدة !

● يكفي الحـــديث عن « بنت الشاطىء » .. حدثيني عن «عائشة عبد الرحمن » كامراة داخل البيت ؟

— ان كل ما يتعلق ببنت الشاطىء ملك للجمهور .. انما كل ما يتعلق بعائشة عبد الرحمن فهو ملك لها ولزوجها واولادها !

عبد التواب عبد الحى

التاريخ: ٣١ / ٣ / ١٩٥٩

« .. زعموا ان الاحتفال بعيد الام ، بضاعة اجنبية مستوردة من الغرب الحديث ، ونحن نمارسه من قديم الزمان ، فى موعده الذى لايتخلف من كل عام ، عبادة ودينا ! ! »

من قديم الزمان !

للدكتورة بنت الشاطئ

من قديم موغل فى اعماق الماضى السحيق .. من بعيد سابق لوجود التاريخ نفسه ، وقبل ان تعرف البشرية كيف ترصد سير الحياة بها وتسجل مدار الزمن واحداث الايام والليالى.

من قديم بعيد . وراء كل حساب وتقدير ، بل وراء كل ظن وتخمين ...

كان هذا الشرق العربى يحتفل بعيد الامومة فى موعده الذى لايتخلف من كل عام ...

وكان احتفاله بهذا العيد جليلا مهيبا ، يسمو بالامومة الى الافق الاعلى ... ويجردها من اى معنى نفعى او اعتبار مادى ، بالغا فى الاحتفال بها اقصى الدلالة على التقدير الخالص ، ومعبرا به عن عميق انفعاله بجلال الامومة : آية الله الكبرى فى هذا الوجود ، وهبة السماء العظمى لارضنا ودنيانا ...

ولهذا الاحتفال قصة مثيرة ، لايدرى احد على وجه التحديد متى حدثت ، اذ كانت - كما قلت آنفا - أسبق من التاريخ نفسه ، وظلت الانسانية مع هذا ، تعى القصة اتم الوعى ، وتستعيد ذكراها فى يومها المحدد وموسمها السنوى ، على النحو الذى حدثت به فى سالف الحقب وقديم الاباد ، هنالك فى بقعة معينة من شرقنا العريق كانت مسرحا للقصة منذ مالايحصى من قرون وادهار ...

والقصة فيما وعى الزمان وسجلت الكتب السماوية ، بدأت فى جو بشرى خالص ، وحفت بها فى ادوارها الاولى ظروف لاتخرج عن مالوف الطبيعة الادمية فى ضعف بشريتها وعنف اهوائها

اما بطلة القصة ، فلم تعد ان تكون امة جارية ، فقيرة منبوذة ، غريبة مهجورة ، ضاعت اخبار نشاتها وطفولتها فى متاهة الغمار ، فلم يذكر احد فى اى بيت ولدت ، لا الى اى اسرة تنتمى ، وانما ظهرت على مسرح الاحداث شابة مصرية ، اسمها « هاجر » ، طوح بها الدهر - فى ظروف غامضة مجهولة - بعيدا عن الاهل والدار ، والقى بها فى بيت سيدنا ابراهيم عليه السلام ، جارية لزوجته السيدة سارة .

وشاءت الاقدار ان تكون السيدة سارة عقيما وقد بدا لها فى لحظة ضعف ، أن تهب جاريتها لزوجها ابراهيم ، لعله يرزق منها بولد يروى ظما ابوته المحرومة ، او لعله يستريح ، اذا فشلت التجربة ، الى راحة الياس .

وحملت « هاجر » من سيدها ابراهيم ، فكان طبيعيا ان تثير غيرة السيدة سارة ، وان تهيج فيها لواعج الحرمان ، وخيل اليها ، ان « هاجر » تتعمد المباهاة بحملها ، فاشعرها ذلك بمذلة العقم ، وشكت الى زوجها قائلة

« أنا دفعت اليك جاريتى ، فلما حملت ترفعت على » .

ورق الزوج لشكواها ، فرد عليها ملاطفا .

« هى جاريتك تصنعين بها ما تشائين »

لكن « سارة » بذلت محاولة يائسة لاحتمال الموقف . الى ان وضعت هاجر مولودها اسماعيل فلم تعد السيدة تقوى على الاحتمال ، واقسمت لا يؤويها وجاريتها سقف واحد .

والى هنا تبدو القصة مالوفة ، مما يمكن ان يحدث فى ظروف مماثلة ، وماكان لقصة كهذه ان تدخل تاريخنا الدينى ، والدنيا تشهد صورا منها مكررة ، دون ان تجد فيها غرابة او خروجا عن طبيعة البشر وفطرة حواء

لكن قصة هاجر ، اخذت بعد ذلك اتجاها مثيرا ، منذ انطلق « ابراهيم » عليه السلام من ارض كنعان ، متجها الى الجنوب ، ومن ورائه « هاجر » تحمل وليدها اسماعيل .

وانتهى بهم المسير عند مكة ، وهى اذ ذاك مقفرة خلاء ، وهناك عند ربوة حمراء ، كانت قائمة حيث اطلال البيت العتيق ، ترك « ابراهيم » هاجر وولدها ، مع قليل من الزاد والماء ، ثم هم بالرجوع من حيث جاء ، فاشفقت هاجر من وحشة البرية ، وتضرعت الى سيدها الا

يدعها وولدهما فى ذلك القفر المرهوب ، لكنه مضى غير ملتفت اليه ، وكانما كان يخشى ان تخونه عاطفته امام ضراعة الامومة الحيرى ، او تثور ابوته رحمة بولده الوحيد الذى تركه وامه بالعراء .

وكررت هاجر سؤالها .

« اين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه انس ولا شيء » ؟.

فلما لم يلتفت اليها ، ظل بصرها متشبثا بشخصه وهو ماض لاينثنى ، حتى اذا كاد يتوارى خلف منعرج الوادى ، جمعت نفسها وهتفت فى توسل :

آالله امرك بهذا ؟ .

فجاءها صوته من بعيد :

« اجل ! »

قالت معقبة : « اذن فالله لا يضيعنا » واطرقت واجمة ، فلم تلمح « ابراهيم » وقد تلبث لحظة ، ورفع وجهه الى السماء يقول فى ابتهال :

« ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم ، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ـ ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن ، وما يخفى على الله من شيء فى الارض ولا فى السماء »

ثم استانف مسيره عائدا الى داره وزوجه

ونفدت المئونة الضئيلة ونضب الماء القليل ، وبدا الظما يناوش الطفل الصغير ، فهبت امه تبحث له فى الوادى الاجرد عن قطرة ماء .

وحين اعياها ان تجد هذه القطرة ، التمست اقرب الجبال اليها فصعدت فوق « الصفا » وادارت عينيها فيما حولها فلم تجد الا الوحشة والصمت .

وهرولت الى « المروة » تسعى سعى المجهد ومن فوق « المروة » رمت ببصرها الى ابعد مده ، لعلها تجد اثرا لحياة ، ولا اثر ..

وظلت تسعى مهرولة بين الصفا والمروة ، مرتين ، وثلاثا ، وخمسا ، وسبعا ، الى ان هدها الاعياء فتهاوت على الرمال الى جانب ولدها تنتظر المصير مستسلمة ..

لكنها ما لبثت ان انتفضت مذعورة ، لا تطيق سماع لهاث ولدها المحتضر ، فزحفت بعيدا ثم غطت بوجها بلفاءها وهى تهمس :

« لا انظر موت الولد .. »

ثم كانت النجاة ..

انبثق ماء زمزم ، ودبت الحياة فى الجسد الذاوى ، وفى الوادى الاجرد ..

وعاشت « هاجر » ـ الامة الغريبة المنبوذة ملء التاريخ اما خالدة

وعاشت قصتها فى الضمير الانسانى ، رمزا للامومة فى حنوها الغامر وعاطفتها المستثارة وتجربتها الفذة

وظل مسعاها بين الصفا والمروة ، شعيرة متبعة ، على مر الاحقاب اجلالا لهموم الولدة والام . . .

وبقيت تلك البقعة من الوادى الاجرد مزارا مقدسا ، يحج اليها العرب فى موسم العيد ، ليحتفلوا بذكرى ام ، فى المسرح الذى شهدها بالامس البعيد ، ضارعة مبتهلة والهة حيرى .

ومرت قرون وقرون . .

وجاء الاسلام ، اخر رسالات السماء ، فبارك ذلك التقليد العريق ، وجعل السعى بين الصفا والمروة من مناسك الحج . .

وحتى اليوم ، وغد بعده والى الابد ، ستظل الوف الالوف منها ، يحجون الى [illegible] من كل فج عميق ، فلا تكتمل فريضتهم الا [illegible] يسعوا بين الصفا والمروة ، سبعة اشواط مهرولين .. كما سعت هاجر فى ذلك الماضى السحيق .

على هذا النحو المهيب ، يحتفل الشرق العربى بعيد الام من قديم الزمان . .

ولم تكن « الام المثالية » سوى امة غريبة منبوذة ، اصطفتها الاقدار لهذا الدور الجليل دون غيرها من ملايين النساء ، امعانا فى تجريد الامومة من كل اعتبار شكلى او عنصر غير اصيل ، ولكى تتم بها العبرة وتتجلى الآية

وهكذا لبثنا احقابا ، وعيد الام فينا شريعة مقدسة بلا اعلان ولا ضجيج ، ولا دعاية وترويج . . .

بل هكذا مارسنا عيدنا ومانزال نمارسه ، وسنظل ابدا نمارسه ، دينا وعبادة !

ويزعم زاعمون بعد هذا ، ان الاحتفال بعيد الام بضاعة اجنبية مستوردة من الغرب ، فى هذا الزمان !

بنت الشاطىء

التاريخ: ٣٠ / ٦ / ١٩٥٩

رأى فى الازمة الموسمية

امتحان ..

بقلم الدكتورة
بنت الشاطىء



فى مثل هذا الموسم من كل عام ، تواجهنا ازمة معقدة عند بدء الدراسة فى الجامعة .

وفى كل مرة ، نحاول ان نلقاها بحلول مؤقتة لا تخلو من تسرع وارتجال .

وتكلفنا هذه الحلول ما نطيق وما لا نطيق ، لكنها قلما تجدى فى المعالجة الحاسمة .

ذلك لاننا نعالجها من فوق ، دون ان نبحث عن الجذور الاصلية للمشكلة .

وتهدأ الضجة بعد شهر او نحوه ، لتعود فتثور من جديد فى مطلع كل عام دراسى جديد .

فهلا آن الاوان لتناول المشكلة من جذورها ، لعلنا ننجو من ضجيجها المزعج ، ونفقاتها الباهظة ، ونتائجها الخطرة ؟ .

اننا نتقدم هنا بمحاولة مبتدئة فى هذا الصدد ، لا نزعم انها كافية لحسم الداء ، ولكن حسبها ان تلفت الى ماتحت السطح من عوامل كامنة ، تتجدد بها الازمة سنويا ، رغم الجهود العاجلة والحلول السريعة المرتجلة .

التاريخ: ٣٠ / ٦ / ١٩٥٩

اوشك مكتب التنسيق ان يغلق ابوابه وما يزال هناك الوف والوف من الناجحين في امتحان التوجيهية، حائرين في الطرقات قد سدت في وجوههم كل السبل لاستكمال الدراسة، رغم الجهود المضنية التي بذلتها وزارة التربية اجاههم.

ان اربع جامعات، وعشرة معاهد عليا او عشرين، لايمكن ان تستوعب مايقرب من اربعين الف طالب، نجحوا في التوجيهية هذا العام.

ومن الشطط العقيم، ان نطالب الدولة بان تنشيء من الجامعات والمعاهد الجديدة ما يستوعب عشرات الالوف الباقية بعد التصفية.

أولا لان المسالة ترتبط على الاقل بطاقة الميزانية للدولة، في عهد مثقل باعباء البناء

وثانيا لان وزارة التربية ما تزال تكافح من اجل تدبير مكان في المدرسة الابتدائية، لكل من بلغ سن الالزام، ومن التجني ان نطالبها — في مثل هذه الظروف — بضمان مكان في الجامعة، لكل ناجح في التوجيهية

وثالثا، لان النجاح في التوجيهية، لا يعني بحال ما، صلاحية الطالب لمواصلة الدراسة في المرحلة العليا، فالتفكير في التوسع في التعليم العالي، بحيث يستوعب كل الناجحين في التوجيهية، يجب ان يتأخر حتى نطمئن الى ان هؤلاء الناجحين جميعا صالحون فعلا للانتقال الى المرحلة العليا، وان الالوف منهم لن يتعثروا قبل نهاية الشوط، فيفصلوا بعد استنفاد مرات الرسوب، كما يحدث الان ...

وهنا يبدو جذر اصيل من جذور المشكلة:

فالامتحان التحريري وحده، ليس المقياس الدقيق العادل، للحكم على ذكاء الطالب وكفايته واستعداده

وسنفترض ان سرية الامتحان مصونة الى ابعد حدود الصيانة، وان امانة واضعي الاسئلة وطابعيها فوق مستوى الشبهات وان ما قد يثار من لغط حول هذا، لايعدو مجرد سوء ظن ظالم، أو تخمين لا يقوم على اي اساس ..

وسنفترض كذلك، ان اسئلة الامتحان لا شطط فيها ولا اعتساف، وان ما يثور حولها من ضجيج الشكوى، لايعدو ان يكون غير حماية الضعف.

سنفترض ذلك كله، واكثر منه، ولكن يبقى ان الامتحان التحريري بالصورة التي نعرفها، ليس الا عملية شحن وتفريغ.

والاصل في التعليم ان يكون تنمية لقوى الطالب وملكاته ..

والاصل في الامتحان، ان يكون فحصا لهذه القوى والملكات، في مستوى المرحلة التي يجتازها الطالب.

غير أن الامتحان بوضعه الحالي، قلما يكشف الا عن قدرة واحدة، هي القدرة على الحفظ والاستذكار.

والحكم على الطالب بقوة حافظته وذاكرته، ظلم له بين، وقصر لمهمة التعليم على تربية ملكة واحدة، لا نقول انها اهون الملكات، ولكنا نقول انها ليست اهمها..

وأذكى الطلاب، قد ينسى في جو الامتحان بما يغشاه من رهبة، وما نعلق عليه من اهمية وخطر — اسم عاصمة بولندا، وبعض ألفاظ المصطلحات في هذا العلم او ذاك، واسم القائل لقطعة من النصوص الادبية أو التاريخية، كما جاء في اسئلة الاعدادية لهذا العام.

ومع ذلك، يرتهن مصير الطالب بساعة امتحان، يفرغ اثناءها على الورق، ماوعته ذاكرته مما حفظ، وقد يكون مرتبكا لوعكة صحية، او عارض نفسي، او ازمة طارئة، او .. أو .. مما لانحصيه عدا.

ورجال التربية والتعليم يعرفون هذا اكثر من سواهم، لكنهم يعتذرون بان الامتحان هو وسيلتنا الواحدة، للحكم على مقدرة التلاميذ، وان عيوبه لاتحول ابدا دون بقائه، ولو ظلم العشرات والمئات.

فهل نحن حقا، لانملك سوى هذه الوسيلة، لتقرير مصاير ابنائنا ؟

التاريخ: ٣٠ / ٦ / ١٩٥٩

اذا ندع .راب لخبراء التربية ولى يقيننا انهم لن يعيبهم – لو صح العزم – ان يعيدوا النظر فى الامتحان ، ليصلوا الى مقياس ادق واعدل ..

وربما راوا معنا ، ان عقد لجان للامتحان الشفوى فى مواد التخصص بالمرحلة التوجيهية ، اجدى فى اختبار قوى الطالب ، والكشف عن مدى استعداده .

ونقدر ان هناك صعابا تواجهنا فى عقد هذه اللجان الشفوية بالمراكز العامة للامتحان ، ولكنا نقدر معه انها ليست مما يتعذر تذليله ، وان الامر فيها ليس باشق من تاليف لجان لتصحيح سبعين الف كراسة اجابة ، عن امتحان المادة الواحدة .

ونقدر كذلك ان الممتحنين ليسوا معصومين من الخطا ، والهوى ، ومرونة الضمير ، ولكن مثل هذا ؛ لا يبرا منه عمال المطبعة السرية ، وحراسها ، وواضعو الاسئلة ، ومصححوها ، ومراجعوها .

ثم نقدر اخيرا ان اى نظام ، او اى قانون ؛ لا يرجى ان يكون مثاليا الى الحد الذى لا يفلت منه ظالم ، ولا يؤخذ به برىء ، ولكن بعض الشر اهون من بعض .

وايا ما كان الامر ، فهذا راى نضعه بين ايدى المختصين ، ونحن نلفت الى جذر اصيل من جذور المشكلة التي ارهقتنا زمانا ، واحتكمت فى مصاير ملايين من ابنائنا ، كانت درجة واحدة ، بل نصف درجة تكفى لان تحرم احدهم من مواصلة التعليم ، او تغير اتجاهه على الرغم منه ، من كلية الزراعة مثلا الى كلية الاداب ، او من كلية العلوم الى كلية الحقوق !!

واسالوا وزارة التربية ، عن ثلاثين الف طالب ، رسبوا فى التوجيهية . كم منهم من اعوزته درجة او درجتان لينجح فى الامتحان ..

ثم اسالوا مكتب التنسيق ، عن عدد طلاب القسم العلمي ، الذين حيل بينهم وبين دخول الكليات العلمية بسبب درجة او نصف درجة ، وخيروا بين سحب اوراقهم وبين الالتحاق بكليات الاداب والحقوق ..

واسالوه كذلك ، عن عدد الذين نقص مجموعهم نصف درجة عن ٥٠ ٪ ، فحرموا حتى من فرصة الانتساب الى هذه الكليات ..

وانظروا الى اى حد ، يحتكم نظام الامتحان فى مصير الطالب ، فيحكم على ذكائه وشخصيته واستعداده ويقرر حقه فى مواصلة الدراسة العليا او حرمانه منها ، ويحدد له طريقه فيها ، بدرجة شبه صماء !

★ بنت الشاطىء

التاريخ : ٧ / ٧ / ١٩٥٩

من حديث الهجرة :

ذكريات

.. بقلم الدكتورة بنت الشاطئ .

ذكريات تتجدد فى مثل هذا اليوم من عام القمر ، تتعيد مع مولد الهلال من شهر المحرم مشاهد الهجرة الخالدة التى بدأ بها تاريخ جديد للمسلمين والعرب ، وللانسانية جميعا ..

ذكريات ، تتهيأ الدنيا لتستعيدها فى اللحظة التى يهل فيها هلال العام الهجرى : وتتلو فيها آية الايمان الذى يغلب جبروت الطغاة ، ويصرع ضلال الوثنية العاتية ...

ومع الذكرى ، تتتابع احداث الماضى ملء الحياة ملء الجلال : فتلمح فى ضوء سناها ، سيرة الرسول الكريم منذ نبا به مكانه فى البلد العتيق ، واوحشت الدنيا من حوله فى مكة ، وطنه ووطن آبائه من قديم الزمان ..

كان ذلك قبل الهجرة بثلاث سنين ..

وقد انهار الحصار المنهك الذى ضربته قريش على النبى صلى الله عليه وسلم وآله امام ذلك الايمان الراسخ الصامد ، والاحتمال الفذ الذى يجاوز طاقة البشر

وتلفت « صحيفة المقاطعة » التى تعاهد فيها المشركون الا يتعاملوا مع احد من بنى عبد المطلب وهاشم ، حتى يخذلوا الرسول المضطهد ويسلموه ..

مزقها نفر من مشركى قريش انفسهم ، لم يطيقوا بشاعة الحصار المضروب على آل محمد لمدى سنين ، اعوزهم فيها ما يمسك الرمق ، فما كان يصل اليهم شىء من الزاد الا سرا ، وبشق الانفس !

وآن للرسول ان يثوب الى داره بمكة ؛ بعد ان انجلت محنة الحصار فى شعب ابى طالب .

لكن المحنة لم تنجل الا لتسلم الى ليل طويل الدجى ...

لقد ماتت « خديجة » !

ماتت الزوجة الصالحة التى ملأت دنيا محمد ، فكانت لليتيم اما ، وللبطل شريكة ، وللمناضل سكنا وملاذا ، وللنبى المبعوث نبع ثقة وطمأنينة وسلام .

ماتت « المسلمة الاولى » التى وقفت الى جانب زوجها الرسول فى احلك اوقات المحنة ، واحتملت معه افدح الوان الاذى فى سبيل ما تؤمن أنه الحق .

وتلفت « محمد » صلى الله عليه وسلم حوله ، فاذا الدار من بعدها موحشة خلاء ، واذا « مكة » تنبو به بعد رحيلها فليس له على ارضها مكان ..

وسجلت السيرة النبوية « ان المصائب تتابعت عليه - صلى الله عليه وسلم - بهلك خديجة ، وكانت له وزير صدق على الاسلام »

واولى هذه المصائب موت عمه ابى طالب ، وقد كان له ابا ، ونصيرا ، ومعينا ..

وسمى العام الذى فقد فيه الرسول زوجته وعمه : « عام الحزن » !

واستشرى طمع المشركين فى محمد صلى الله عليه وسلم بعد ان كادوا يستسلمون الى يأس ، وحسبوا انهم قادرون على ان ينالوا من هذا الارمل المحزون ما لم يكونوا ينالونه قبل موت خديجة وابى طالب ..

ولجوا فى عداوتهم للرسول ، وامعنوا فيمن اتبعوه اذى واضطهادا ، حتى اخرجوهم من ديارهم واموالهم ، فرارا بدينهم من الفتنة ..

ومضت الايام والليالى ، بطيئات الخطو مثقلات باعباء الجهاد وأقاويل الاضطهاد ، مشحونة بالشجن والحزن والذكرى ...

واقبل ثالث عام بعد عام الحزن ، وليس فى مكة مع الرسول غير صاحبه ابى بكر وابن عمه ابى طالب .

اما بقية المؤمنين ، فهاجروا الى يثرب ، لم يتخلف منهم الا من حبس او فتن ..

وطوال هاتيك السنوات الثلاث ، لبث الرسول محزونا يرجو ان يؤذن له فى الهجرة من مكة التى لم تعد له بعد خديجة سكنا ..

وكذلك ظل « ابو بكر » رضى الله عنه ، يسأل الرسول مرة بعد مرة ، ان يأذن له فى الخروج الى دار الهجرة ، فيستمهله صلى الله عليه وسلم قائلا :

« لا تعجل .. لعل الله يجعل لك صاحبا »

حتى اذن الله لرسوله ان يهاجر

واختار ابا بكر صاحبا ...

وبدا التأهب لرحيل عاجل ...

بعث « ابو بكر » يدعو اليه دليلا ثقة ، خبيرا بمجاهل الطريق ، فدفع اليه راحلتين يرعاهما لميعاد موقوت ..

ودعا الرسول اليه ابن عمه ، على بن ابى طالب ، فاستخلفه بمكة ليؤدى عنه ودائع كانت عنده للناس .

فلما حانت ساعة الهجرة ، وقف الرسول على مرتفع هناك ، ببيت ابى بكر ، فرنا الى البيت الحرام وقتا ، ثم اشرف على ام القرى وقال :

« والله انك لاحب ارض الله الى ، وانك لاحب ارض الله الى الله ، ولولا ان اهلك اخرجونى منك ما خرجت »

(٢)

ثم خرج مع صاحبه ، فاتخذا طريقهما الى غار بعرفانه في « جبل ثور » باسفل مكة ، فما مضت قطعة من اليوم حتى كان النبأ قد ذاع في مكة ، وجن جنون قريش ، فجعلت مائة ناقة لمن يرد عليهم ذلك المهاجر ...

وارهفت مكة سمعها الى نبأ جديد ، وخرج المطاردون في اثر الراحل حتى بلغوا الغار ، ولبثوا عنده برهة ، حتى اوجس « ابو بكر » في نفسه خيفة ، وقال للرسول عليه الصلاة والسلام :

ـ لو ان احدهم نظر الى قدمه لرآنا

فكان جواب الرسول :

ـ ما ظنك باثنين ، الله ثالثهما !!

***

ومضت ليلتان ، وثلاث ..

ووقفت « عائشة بنت ابى بكر » بباب بيتها ، تنتظر عودة اختها « اسماء » وكانت قد مضت الى الغار تحمل بعض الزاد

ومضى وهن من الليل ، وهي في وقفتها تلك تذهب بها الظنون والهواجس كل مذهب ، حتى اقبلت « اسماء » اخيرا ، تسرى على عجل ، مضطربة الخطو متلاحقة الانفاس ، ممزقة النطاق ، قد غاب شق منه .

وتحدثت اسماء عما كان :

ففي غداة المساء ، من تلك الليلة الخالدة على الدهر ، والتى اختيرت ليبدأ بها التاريخ العربي ، جاء الدليل يسوق الراحلتين ، فاناخ عند فتحة الغار ، فخرج الرسول وصاحبه ، وجاءت اسماء بطعامهما في سفرة ، وقد فاتها ان تجعل للسفرة رباطا ، فلما هما بالرحيل وارادت ان تعلقها ، حلت نطاقها فشقته نصفين ، علقت السفرة باحدهما ، واكتفت بالشق الاخر ..

وسرى الركب في اسفل مكة ممعنا الى الجنوب ، في طريق غير مطروق ، ووقفت « اسماء » تتبعه عينيها وقلبها حتى ابعد ، فعادت وحدها الى بيت ابيها ..

بهذا حدثت اسماء اختها عائشة ، ثم لفهما صمت لم يلبث ان مزقته طرقات عنيفة تلح على الباب ، فخرجت ذات النطاقين تلقى الطارق بليل ، فاذا نفر من قريش ـ فيهم ابو جهل بن هشام ـ يسألونها في غلظة :

« اين ابوك يا بنت ابى بكر ؟ »

اجابت :

« لا ادرى والله اين ابى ! »

وما كذبت ، فقد كان آخر عهدها بابيها منطلقا من الغار مع الرسول ، ساربين في مجاهل الفلاة ، الى حيث لا تدرى ..

فلم تشعر الا ويد ابى جهل ترتفع بغتة فتلطم خدها لطمة قاسية طرحت قرطها .

ثم انصرفوا بغيظهم يتهددون ويتوعدون ..

***

ومضت ايام وليال ، لم يكن لمكة فيها من حديث الا عن تلك المطاردة العنيفة ، تعدو فيها قريش وراء المهاجر شبه اعزل ، حتى لا ينجو بدعوته الى حيث لا سبيل لها اليه

ونجا الرسول وصاحبه ..

وتضاربت الانباء في وجهته ، حتى جاء خبر من يثرب ، ان الرسول قد بلغها آمنا ، فاستقبله اهلها بالحفاوة والترحاب ...

وكذلك عرفت قريش ـ حين لم تعد تجديها معرفة ـ مكان المهاجر العظيم ، وجاء دورها لتنتظر في خوف وذعر ماذا يأتي به الغد ..

التاريخ: ١٥ / ٨ / ١٩٥٩

من أفق بعيد

أزمة الأدب

كنت هنا منذ عامين اثنين ..
وكنت هنا كذلك ، منذ خمسة اعوام
فى هذا البلد الذى فرض نفسه على التاريخ المعاصر بشىء واحد ، هو قدرته العجيبة على النهوض من عثرة كان الظن انها عثرة الموت !

وبدا لى ان اسأل فى هذه المرة ، سؤالا لم يخطر لى فى مرة سابقة على بال ، وهو : هل للأدب والفن مكان فى بلد كهذا ، منخور القوة متجدد الحيوية ، يأبى ان يستسلم للهزيمة او يعترف براحة اليأس ؟



بقلم الدكتورة
بنت الشاطئ

ولم يكن هذا السؤال منى عن ارتياب فى جدوى الادب ، ولكنه صدى شعورى بالازمة العصيبة التى يجتازها الادب عندنا ، فمنذ فجرت الذرة واطلق القمر الصناعى فى الفضاء ، وعامة الناس فى بلادى مرتابون فى قيمة الادب مشككون فى جدواه ، وما اكثر ما نسمع منهم : اى مكان للادب فى عصرنا هذا الذى يسيطر عليه العلم ، ويبهر الدنيا بما يكشف من اسرار الكون ، وبما يغزو من جديد الآفاق ؟

ولست انسى يوم وقف كاتبنا الصحافى اللامع ، الاستاذ فكرى اباظه ، فى ندوة كان لى حظ الاشتراك فيها يستعدى باسلوبه الخلاب السيد كمال الدين حسين وزير التربية المركزى ، على الادب والدراسة الادبية ويضرع اليه ان يصبح فيغلق كليات الآداب ، ويحولها الى معاهد لتخريج العلماء والصناع ، كيما نستطيع ان نساير عصرنا المفتون بالعلم ، الزاهد فى الادب

وليست هذه باولى الازمات التى تعرض لها الادب – والفن بعامة – فى تاريخه الطويل ، فلقد امتحن من قديم بصراع مرير متصل ، ليحدد موقفه من الدين ، ومن الاخلاق ، ومن المجتمع . لكن تلك الازمات لم تبلغ فى حدتها وعنفها ، ما تبلغه ازمة اليوم ، اذ تصل الى حد التشكيك فى قيمته جملة ، وربما اسرفت فطالبته بان ينسحب من الحياة لكى يخلى مكانه للعلم ويوفر الجهود المبذولة فيه عبثا ، لتزيد بها طاقة العقل البشرى فى غزواته المظفرة !

***

وربما بدا – لاول وهلة – ان الناس معذورون فى هذا الارتياب فى جدوى الادب ، فما

التاريخ: ١٥ / ٨ / ١٩٥٩




كمال الدين حسين فكري اباظه

يجرؤ احد على ان ينكر ان هاتيك الغزوات الظافرة للعقل الانساني فى هذا الجيل وحده، كفيلة بان تزلزل الاوضاع وتغير القيم ،وتغرى ـ بل تازم ـ بمعاودة النظر فيما كانت تشغله الانواع الاخرى للنشاط الانساني من اماكن، او تستأثر به من نفوذ ،او تتكلفه من جهود، لكى يعاد تنظيم هذا النشاط تنظيما ملائما لواقع العصر الجديد. وهذا التنظيم ليس من اختصاص اى فرد كائنا من كان ،وانما هو امر تتولاه الحياة نفسها ، على هدى مايسيرها من سنن الكون وقوانين الاجتماع

من اجل هذا ،خطر لى ان انقل الى قومى، راى هؤلاء الناس الواعين لوجودهم ،المصممين على ان يعيشوا ملء الحياة مهما تقس عليهم الظروف ،او تكبلهم الهزيمة بالاغلال

انهم هنا ايضا يتساءلون: كيف يمكن ان نتصور استغناء البشرية عن زادها المعنوى والروحى ، بقدر ما يحقق لها العلم من سيطرة على الكون ، وكشف عن اسراره ؟ .

وهم يؤكدون ان حاجة الانسان الى الفن ، تساير مستواه من الوعى لذاته والادراك لوجوده فكلما ازداد حظ شعب من الرقى والحضارة، ومن النضج والرشد ، بل كلما ازداد تقدما فى الميدان العلمى والصناعى ، زاد تقديره للفن وايمانه بضرورته الحيوية ، واقرب شاهد لى هنا ، ان الفن يبلغ ذروة ازدهاره ، فى الدول التى تستأثر بالقيادة العلمية والنهضة الصناعية

وليس هذا بمستغرب ، فانسان العصر قد اشرف على عالم جديد ،' زاده شعورا بعظمة انسانيته واعتزازا بها ، وهذا الشعور القوى من شانه ان يضخم رصيده من المعنويات . ويجعله ارهف حسا وارحب افقا واعمق تذوقا لمعنى انسانيته ، واقوى قابلية لتلقى الحياة وانفعالا بها ، فلا عجب ان تشتد حاجته الى الفن الذى يرضى هذا الاحساس العميق المرهف بانسانيته ، ويعبر عما يملؤها من كرامة واعتزاز ، ويستجيب لتلك المشاعر الفائضة التى يجيش بها وجداننا كلما اشرفنا على عالم جديد، واكتشفنا مزيدا من اسرار الكون العجيب

ولايكاد احد ممن لقيت هنا ، يستريب فى ان للكلمة من التاثير ما قد يفوق تاثير الذرة حين تتفجر او حين تلتئم ، لان الذرة لا تعدو ان تكون اداة يملكها الانسان ويوجهها حيث شاء ، على حين تملكه الكلمة ، بحكم مالها من سلطة عليا على وجدانه . ويذكرون ـ فيما يذكرون ـ قصة « باسترناك » وكيف اهتز لها الاتحاد السوفييتي على ضخامته، وقدر خطرها على الوجدان العالمى ، دون ان يهون من شانها لديه، ماحققته روسيا من انتصار باهر فى غزو الفضاء . ولو صح مايزعمه المرتابون من هوان الادب فى هذا العصر، لما عناها امر «دكتور زيفاجو» فى قليل او كثير ، ولما كان لجائزة نوبل فى « الآداب » فى حسابها اى تقدير او اعتبار !

***

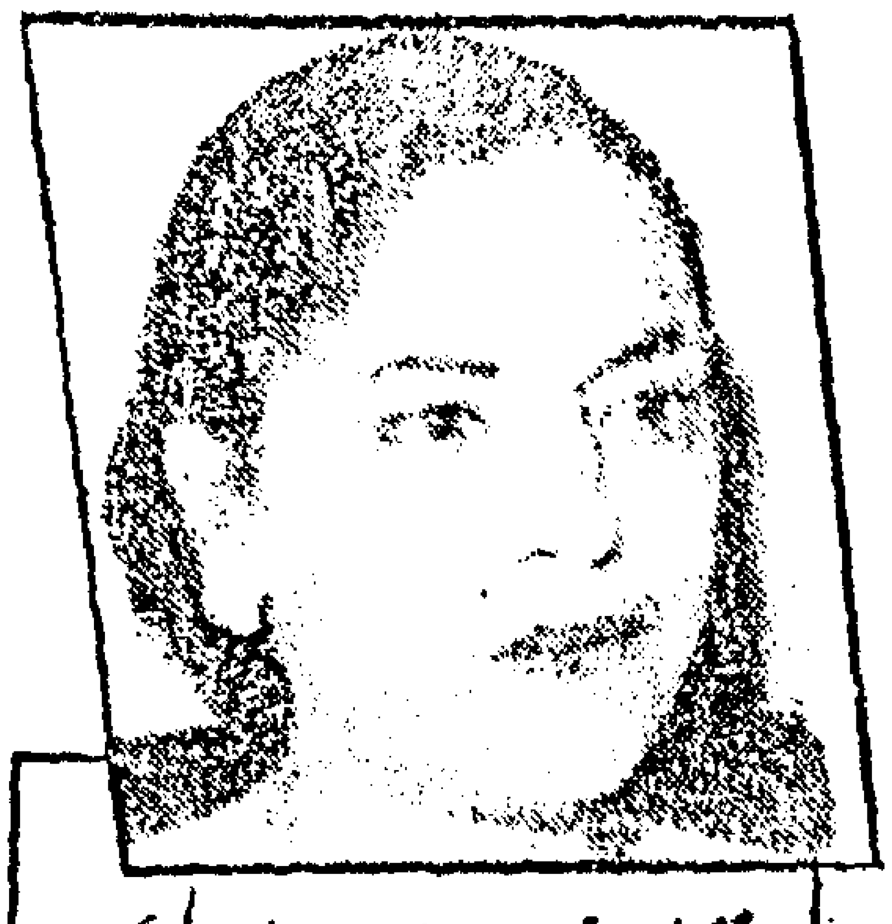
فاذا قلت ان الشك فى قيمة الادب ، هو شك فى انسانية الانسان ، فليس هذا تعصبا منى للادب او دفاعا خطابيا عنه ، بقدر ماهو ادراك واع للواقع الجبرى الواسع الذى نعيش فيه. وماعلى المرتابين من قومى الا ان يذكروا اننا وقد ركبنا السحاب ، وذللنا الاثير ، وفجرنا الذرة ، وصنعنا القمر ، تضخم وجودنا المعنوى واصبحت انسانيتنا اعز واكرم من ان تحد بمطالب الجسم او تحصر فى نطاقه المادى ، واذا كان الفن فى الامس هو الذى جعلنا نحلق فى اعلى الافاق ونحن نسير على الارض ، فأولى به ان يحمى اليوم طموحنا وايماننا ، ويجدد نشاطنا وآمالنا، ويخفف عنا كثافة المادة ، كما نحلق خفافا فى مجالى النور والعظمة وآفاق الجمال والجلال .اولى به وقد حملنا فى الامس البعيد على بساط سليمان ،ان يحدو رحلتنا السحرية فى سفن الفضاء، الى حيث نستكمل سيطرتنا على الكون وادراكنا لسر الوجود وعظمة الخالق

وليطمئن الذين يشفقون على الادب فى يومه وغده ،فسيظل له ابدا سلطانه على الضمير والنفس والوجدان ،وكل ما ليس بمادى من هذا الكيان الادمى العجيب الذى ابدعه خالقه ـ جلت قدرته ـ ثم امر الملائكة ان يسجدوا له

موينخ بنت الشاطىء

التاريخ: ٢٣ / ٨ / ١٩٥٩

المخدرات المعنوية



بقلم بنت الشاطئ

يواجه الادباء هنا مشكلة معقدة ، القت الحياة عليهم عبئها لانها من صميم اختصاصهم. تلك هي مشكلة اليأس الذي يغمر نفوس الاكثرية من شباب هذا الجيل .

كان هؤلاء الشباب ، صبية صغارا خلفتهم الحرب الثانية لانها لم تجد فيهم غنية ، ثم ما كادوا يشبون عن الطوق حتى بدأت سحب الشك والقلق تغشى افق الدنيا من جديد ، وراح الساسة الكبار يتبارون في اللعبة الخطرة ، لعبة السلام والحرب ، متنقلين مابين العواصم الكبرى ، ومن ورائهم تحتشد القوى المدمرة ، في انتظار كلمة واحدة ، لتنطلق من قماقمها عاتية هوجاء ..

وعبثا يحاول الشباب ان ينجو من عقيدة تسيطر عليهم ، وهي ان الفترة التي مرت ، على انتهاء الحرب الثانية ، لم تكن في الحقيقة سوى مهلة اجبارية ، أريد بها الانتظار ريثما يشب الصبية الصغار ويصلحون ذخيرة حية للمعركة ، ووقودا دسما لنارها . تماما ، كما حدث بعد الحرب الاولى : أكلت من أكلت من ملايين الشبان والرجال ، ثم اعقبتها فترة انتظار بلغ فيها الصغار مبلغ الرجال ، فاشتعلت النار للمرة الثانية ، ولم تخمد الا بعد ان لم يبق امامها مدد !

ولا شيء في رأي الشبان ، يحول دون تكرار اللعبة للمرة الثالثة ، بعد ان تمت تعبئة القوى الماردة في القماقم ، ونما الصغار فصاروا شبابا يملأ اعين الساسة في الملعب الكبير ، ويهيج فيهم شهوة الصراع .

وتسأل احد هؤلاء الفتية : اما يرد اليك الغزو الظافر للفضاء ، ايمانك بالغد ؟ .

فيجيب : كلا ، فليس اطلاق القمر ، او تفجير الذرة ، او . . او . . سوى اوراق في ايدي اللاعبين ، يغامرون بها في سباق الموت

واذا بدا لك أن تقول محاورا : ان حرب الغد ـ لاقدر الله ـ لن تكون حرب شباب يجند وجيوش تساق الى الميدان ، وانما هي حرب قوى ذرية وطاقات عاتية لاتبقي ولا تذر.

اجابك من فوره : اجل ، ولكنها بهذا التدمير انما تقضي على مستقبل نحن اصحابه ، وتضيع الغد الذي هو كل امل الشباب وكل دنياه ..

وهذا الحوار القصير ، قد يعطي فكرة ما ، عن متاهة اليأس التي تردى فيها شباب لم يعد يرى نفسه صاحب غده !

ويأخذ هذا اليأس مظهر استهتار يشتبه احيانا بالتحلل . والذين عرفوا منا هذه البلاد من قبل ، وراعهم منها جد الحياة وعنف النشاط وجبروت البناء وسرعة النهوض من صدمة الهزيمة ، ينكرون اليوم مايرون من عبث الشباب واستهتاره بالقيم الخلقية التي كان لها كل الاعتبار ، وربما اخذنا الامر على ظاهره فحسبنا هذا الانحراف منبعثا عن اقبال مسرف على الحياة ورغبة صادقة في متعها ، او ربما ظنناه - كما هو عندنا - أثرا لغزو فكري مقصود ، جاءت به الأبواب المفتوحة ، وحملته فيما حملت من قصص مونمارتر وأفلام هوليوود

لكن القوم يؤكدون أن هذا الاستهتار لايصدر عن رغبة حقيقية في المتعة ، وانما هو أثر لمحنة اليأس التي يعانيها شباب ما بعد الحرب الثانية ، اذ يرون دورهم قد حان ليصلوا النار التي صلاها جيلان من الشباب قبلهم . وما القمصان الفاقعة التي تخطف البصر ، ولا الحركات الطائشة التي تصدم الذوق ، ولا العبارات النابية التي تقذفها الافواه الغضة في غير تحرج ، ما هذا كله الا تعبير عن يأس قاتم يناوش نفوس الذين أنهكهم القلق والشك في غد ليس لهم من أمره شيء ..

وطموح الشباب انما يصدر عن ايمانه بانه صاحب الغد ، فاذا أعوزه هذا الايمان ، او - على الاقل - اذا شابته شائبة من شك ، كان من الصعب ان تحمل الشباب على الجد ، او تروضهم على الكفاح ، او تغريهم بالبناء ..

وتلك هي المعركة التي يجد الادباء انفسهم مضطرين الى خوضها ، كي يردوا الى الشباب ايمانه المسلوب ، ويحموه من اليأس المرير الذي انحرف بسلوك كثيرين ومضى بهم الى ما يشبه الضلال .

ورد الايمان والثقة الى هؤلاء الشباب ليس بالامر السهل ، بل هو فيما يقدر الادباء ، من أعقد الامور وافدح المسئوليات ، ووجه الصعوبة فيه ، ان الذين يحسون الخطر من الكتاب ، ويقدرون العبء الباهظ ، ويتصدون لحمل الامانة الصعبة ، هم ذوو الرأي الناضج والقلم الرشيد والكلمة الواعية . والشبان قلما يقبلون على قراءة هؤلاء ، وانما يلتمسون بضاعة أخرى أشبه بالمخدرات ، يمونهم بها نفر ممن يملقون اهواءهم ، ويباركون انحرافهم ويسايرون ضعفهم ووراء هؤلاء الكتاب ، عصابة من الناشرين ، تتجر بأقدس المقومات المعنوية للشعب ، وتبتكر من أساليب الدعاية ما يكفل رواج البضاعة السامة ، وتستأجر لهذا الغرض ، اقلاما رخيصة للمرتزقة من الصحافيين والاذاعيين والنقاد .

وبهذه الحملة المدبرة التي يمولها التجار من الناشرين ، يقوم حاجز رهيب بين الشباب وبين الادباء المؤمنين بشرف الكلمة وأمانة القلم ، فيوصد أمامهم طريق الوصول الى النفوس الغضة التي عبث بها الشك وأضلها اليأس الكافر ...

وأقرب مايشغلهم الان ، هو التعبئة الروحية القادرة ، تجند لها الاقلام القوية والضمائر الحية ، ليدخل بها الادباء الاصلاء في معركة فاصلة ، تحسم الموقف قبل ان يستشري الداء ويعيي اطباء النفوس والوجدان .

وما من احد هنا يستهين بهذه المعركة او يستضعف شأنها . حتى هؤلاء الذين يسايرون ضعف الشباب ويغذون انحرافهم ويستغلون يأسهم الطارئ استغلالا تجاريا بشعا ، حتى هؤلاء ... يقدرون خطر الكلمة الحرة والقلم النزيه ، على بضاعتهم الزائفة السامة ، ويشفقون من هذه التعبئة التي توقظ وعي الشباب ، وترفع الغشاوة عن بصره وبصيرته ...

ومن حق القارئ ان يسأل : ما شأننا نحن بمشكلة كهذه يعانيها الناس في بلاد غير بلادنا ؟ وأقول ان المشكلة ليست بعيدة عنا وان أخذت لدينا صورة اخرى .. ومن شاء فليرقب ما تلفظه مطابعنا كل يوم من مخدرات معنوية ، يتلقفها الشباب في نهم مسعور ، ويقبلون عليها في لهفة محمومة ، ويزدادون بها عزلة عمن تجب لهم القيادة الفكرية فينا ، وزهدا في الادب الحق الذي يغري بكريم الغايات وبعيد الاهداف

سالزبورج بنت الشاطئ

التاريخ: ٢٩ / ٨ / ١٩٥٩

من مشكلات الأدب المعاصر

حرية الأدب



بقلم بنت الشاطئ

يفهمون هنا حرية الادب ، على غير الوجه الذى نفهمه به الكثرة عندنا ، ولست بحيث اجهل ان اختلاف مفهوم الحرية باختلاف البيئات ـ والعصور كذلك ـ أمر طبيعى لا غرابة فيه . ولكن يبقى هناك دائما ، قدر انسانى مشترك لا يجوز فيه خلاف ، وذلك هو ما يتصل بالجوهر الاصيل لمعنى الحرية .

واعرف ان هذه القضية تشغلنا اليوم فيما يشغلنا من قضايا الادب المعاصر ، ومن اجل ذلك احاول قدر ما استطعت ، ان اجلو معناها فى ضوء ما استبان لى من مفهومها هنا .

والقضية فى الواقع ليست جديدة ، فمن قديم الزمان والادب يناضل فى سبيل حريته ويدفع من اجلها افدح التضحيات ، لكن الجديد فيها ، هو ما لابسها ـ اثرا لتعقد الحياة فى عصرنا ـ من عناصر دخيلة ، باعدت بينها وبين الفن ، وكانت سببا مباشرا فى اضطراب مفهومها وغموضه وتعقده ، كما كانت سببا فى تعرض الادب لازمات عنيفة قاسية ، لم يكن ليتعرض لها لو ان مدلول الحرية تحرر فى اذهاننا مما لابسه من دخل واشتباه .

ولست الان بسبيل العرض المفصل لتلك الازمات التى عاناها الادب ومايزال يعانيها ، وانما اتناول منها مايتصل بهذا العصر الذى نعيش فيه ، والحياة التى نحياها .

والذى لا ريب فيه ، أن قضية الحرية فى الادب والفن ، لا تنفصل عن قضية الحرية العامة التى يدين بها عصرنا. وقد بدا الناس فى مستهل هذا القرن ، يفهمون الحرية فى الادب ، على انها تمرد على المصطلح القديم وخروج على التقاليد الموروثة ، متاثرين فى هذا الفهم بذلك التيار التحررى العنيف الذى اجتاح العالم الجديد فى ثورته على مخلفات عصور الظلمات ، من جبروت الاقطاع وبغى الاستبداد ، ورق الاستعمار . وكان لهذا صداه المباشر على حياة الادب من جانبين : اولهما فنى يهدف الى تحرير الادب من أثقال الماضى ، والثانى اجتماعى ، يطلق للادب حريته فى اختيار موضوع فنه وأسلوب معالجته ، دون التقيد باعتبار خارج عن ذاته .

فمن الناحية الفنية ، انطلقت الثورة التحررية العامة ، فى تحرير الادب من اثقال الصنعة واغلال الزخرف ، وابرائه من سماجة التكلف وشناعة التعسر والاعتساف .

ولكن هذا الفهم للحرية تجاوز مداه عند كثيرين منا الى حد صارخ العدوان على قيمة الادب ، وذلك حين توهموا ان الحرية معناها التمرد على كل قديم لمجرد كونه قديما ، متاثرين فى هذا ، تنكرهم لتقاليد الاباء واعراف الاجداد ، لمجرد كونها مراثا قديما ..

ونسى هؤلاء ، ان من تقاليد ماضينا مايحمى اصالتنا ويصون شخصيتنا من التبدد والذوبان كما نسوا أن من تقاليد الادب ، وكل فن ،

التاريخ: ٢٩ / ٨ / ١٩٥٩

(٢)

ما يرتهن به اصالته الفنية .

وهذا وجه خلاف مما أشرت اليه في مستهل هذا المقال : فهنا تقاليد فنية لا يهون على الادباء ان يفرطوا فيها أو يسمحوا لكل من شاء بالتخلي عنها ، بل ان منهم من يصر على التزامها الى الحد الذى يجعلها شرطا جوهريا في اعتبار الادب فنا . وليس معنى هذا انهم يلزمون كل كاتب بها ، او يلتزمون بها هم انفسهم في كل مايكتبون، ولكن معناه ان الكتابة بدونها لا تكون أدبا .

فموسيقية الاداء في الشعر مثلا – وهي غير اوزان الخليل – عنصر جوهري في الشاعرية، والتحرر المطلق منها ، بزعم أنها ميراث عتيق، فيه عدوان على حرية هذا الفن القولي الذى شاء له اختصاصه الفني ، أن يعتمد في تاثيره على النغم والايقاع ، وأن يلتقي فيه – دون انواع الادب الاخرى – فنا الكلمة والنغمة .

فتجريد الشعر من موسيقاه ، يحرمه عنصرا من أهم العناصر التي ترتهن بها قدرته على الاثارة ، كما يفقده الشطر الاكبر من سحره ، ويعطل فيه اداة هامة من ادوات سلطانه على النفس البشرية المفطورة على حب الموسيقى، والاستجابة الى الايقاع المنغم .

وليس من الغريب أن ينفر الادباء هنا من هذا العدوان على الشعر ، فبيئتهم مفتونة بالموسيقى ، وهي عندهم أرقى أنواع الفنون دلالة على رقي البشرية وصفاء حسها ولطف مشاعرها ، وعليها يعتمدون – كما لا يعتمدون على سواها – في تهذيب الوجدان . وهم لهذا لايتصورون الشعر مجردا من موسيقاه، والشعر هو الفن الذى يأخذ مكانته العليا بين فنون القول ، بانه وحده الذى يجتمع له سحر الكلمة والنغمة معا .

وللشاعر بعد هذا ، حريته المطلقة في توزيع النغم وهندسة التفاعيل ، غير مقيد باغلال موروثة ، بشرط ان يظل حريصا على موسيقية الاداء .

وما يقال في الشعر ، يقال في النثر ايضا:

فتحرر النثر الادبي من قيود الشكل التي ارهقته زمانا ، ومازالت به حتى صيرته لونا من الصنعة اللفظية الالية ، هذا التحرر لا يجوز أن يتعدى مداه ، الى حيث يحرم النثر اصالته البيانية التي تميزه ، بل لا يجوز ان ينصرف مفهوم الحرية في فن القول ، الى الفوضى التي تدخل على الفن ما ليس منه ، والى الخلط الذى لا نميز فيه للادب اسلوبه الخاص به .

ومن عجب انا نعترف للتجار ، وللمعلمين، وللعلماء، وللساسة ولغيرهم وغيرهم، باساليبهم الخاصة المميزة ، ثم يشق علينا ان نعترف للادباء بمثل هذا الحق ، فكاننا بذلك نسلب الادب الاصيل حريته في اختيار الفاظه واسلوبه، ونسلبه اختصاصه الفني بدعوى التخلص من القيود التي تجعل لبعض الناس دون بعض ، حق الصفة الادبية

ومن عجب كذلك ، اننا نفهم كيف يكون لكل جانب في الحياة اهله المختصون به، ولكل حرفة او صنعة او مهنة ، اصحابها الذين يعرفون اسرارها ، ثم يعيينا بعد ذلك ان نفهم كيف يكون للادب أهله الذين يجيدون ذوق الكلمة ، ويدركون سر التعبير ، ويفقهون اصول البيان ، ويملكون فن الاداء .

وهكذا في الوقت الذى تشيع فيه عندنا – باسم الحرية – دعوى اباحة المجال الادبي لكل من هب ودب ، وتفهم الكثرة عندنا ان التجديد في الادب يقتضي التحرر من الالتزام بأي قديم ، يقال هنا ان مثل هذا التحرر ، ليس الا فرارا من جهد البناء الفني ، وعناء المكابدة الخالقة ، ومسئولية الابداع المؤثر ، ثم يعقب هذا الفرار مايعقبه من اباحة المجال لغير ذوى الاختصاص ، واعطاء الكلمة – وهي كبيرة وخطيرة وصعبة – لغير اهلها ، باسم الحرية التي يدعو اليها كل عاجز عن امتلاك الكلمة وادراك سرها في التعبير .

التاريخ: ٢٩ / ٨ / ١٩٥٩

وموضع الخطر فى هذا المفهوم الخاطىء ، انه الى جانب عدوانه على الحرية ، يعطل مهمة الادب الكبرى فى التأثير على وجدان الجماعة ، وينزع منه زمام القيادة المعنوية التى تعتمد عليها الامة فى حماية مثلها ومقوماتها الروحية .

هذا عن الجانب الفنى لموضوع حرية الادب ، فماذا عن حرية الاديب نفسه فى اختيار موضوع فنه ، وأسلوب معالجته ؟

لم يعد أحد يمارى فى ان للاديب مطلق الحرية فى اختيار موضوعه والتعبير عنه بالاسلوب الذى يواتيه ، ولكن مفهوم هذه الحرية يختلف كذلك عن المفهوم الشائع فينا ، فليس معناها ان يزعم كاتب لنفسه حق الكتابة على هواه دون ضابط من عرف وتقاليد ، او قيد من صالح الجماعة ، وانما هى حرية فرد فى مجتمع ، لا حرية فرد فى الخلاء !

وكما أن ممارسة الاديب لحريته كاملة ، لا تنفى بحال ما ، التزامه بالاصول الفنية ، فهى كذلك لا تنفى مسئوليته عن سلامة المجتمع الذى القى اليه زمام القيادة الوجدانية .

وربما قيل أن الاديب بشرى غير معصوم مما يجوز على البشرية من خطأ وزيغ وضلال ، فهو قد يخون الامانة ، ويبيع قلمه ، كما قد يسىء استغلال ادبه لمصلحة مادية شخصية فيذيع السموم والمخدرات المعنوية .

وهذا حق ، لكن يقال معه ان الاديب تسقط عنه صفته الانسانية – لا الادبية فحسب – اذا ضل او خان ، لان شعوره بمجتمعه هو مقياس انسانيته ، إذ هو ليس انسانا الا بقدر ما هو مدنى ، مرتبط بالجماعة غير منفصل عنها .

ويقال معه ايضا ، ان هذه الخيانة يقع اصرها على صاحبها فردا ، دون ان يمس ذلك شرف البيان وسمة الادب ، كما ان خيانة جندى يبيع سيفه لاعداء وطنه ، تهدر حقه فى الحياة ، ولكنها لا تمس شرف الجندية ولا تلحق بها العار .

وخلاصة الموقف ان للحرية فى الادب حرمتها وقداستها ، بحيث يعتبر اى عدوان عليها عدوانا على الجماعة كلها ، لكن بشرط ان يتحرر مفهوم الحرية فلا يختلط بالتحلل والابتذال ، ولا يلتبس بالاباحية الضالة والفوضى العشواء !

بادهال بنت الشاطىء

التاريخ: ١٣ / ٩ / ١٩٥٩

من مشكلات الأدب المعاصر

جبرية الالتزام في الأدب ووهم الأبراج العاجية!



بقلم بنت الشاطئ

عجبت حين لم أجد أثراً هنا لكبرى القضايا التى تشغل أدبنا المعاصر، واعنى بها مسئولية الاديب عن مشكلات مجتمعه، وضرورة التزامه بمعالجتها اذا شاء لقلمه ان يعيش.

وقد يقال ان القوم فرغوا هنا من هذه القضية واستقروا على راى فيها، على حين لانزال نعانيها نحن لما جد على حياتنا من تطور اجتماعي مستحدث، يقتضى حتما اعادة النظر فى صلة الاديب بالمجتمع، ومناقشة وضعه منه

لكن يرد على هذا بان الحياة هنا، او فى اى بلد من عالم اليوم، لاتكف عن التعرض لجديد من الاحداث والتطورات، وليس من الممكن ان تكف، الا اذا كفت الدنيا نفسها عن الدوران

واذا كان التطور الاجتماعي مرتبطا عندنا بالثورة على مخلفات الاقطاع وبقايا الاستبداد والطغيان، فهو هنا مرتبط بكل همسة تتحرك بها شفاه الساسة المسئولين، وبكل خبر يذاع من مراكز البحوث العلمية، وكل خطوة تخطوها البشرية فى غزوها لعالم المجهول ..

لا مجال اذن للظن بان القوم قد فرغوا من قضية الالتزام فى الادب، لان مجتمعهم استقر على وضع ما، فالواقع ان هذا الاستقرار تاباه طبيعة الحياة المتجددة الطامحة، المصممة على النضال حتى ينتهى عمر البشرية فى هذا الكون وفى الاكوان الاخرى التى يغزوها العقل الانسانى

ثم ان الصراع بين المذاهب السياسية والاقتصادية والفكرية قائم محتدم، وسيظل هكذا حتى ينتصر احدها فيبدأ صراعه فى سبيل البقاء امام ما ياتى به الغد حتما من مذاهب جديدة غير هذه التى نعرفها .. فكيف وهذا الصراع قائم محتدم، وذلك التطور متجدد فى كل لحظة، كيف لا يشغل الادب بمثل ما نشغل به من التزام الاديب بخوض المعركة فى سبيل صالح الجماعة ؟

كيف لا يعنيهم أن يحددوا موقف الاديب من [illegible] مجتمع، [illegible] يحاسبوا الادباء على اى مظهر من مظاهر العزلة عنها أو عدم الاهتمام بها ؟

اسئلة عرضت لى، فلما التمست الجواب عنها قيل لى ان عزلة الادب عن الحياة أمر غير ممكن ولا متصور، وانفصال الاديب عن مجتمعه فكرة ساذجة لايتعلق بها الا البسطاء الذين ياخذون الامور على ظاهرها دون تعمق، فالاشتغال بقضية كهذه مضيعة للوقت والجهد فى مسالة غير ذات موضوع

التاريخ: ١٢ / ٩ / ١٩٥٩

وليس الامر عندهم بحاجة الى جدل او منافسه ، اذ يحسم شبهة اى خلاف فيه ، ان الادب هو انعكاس الحياة على وجدان المجتمع قبل ان يكون اى شىء اخر ؛ والاديب بحق هو المعبر عن مشاعر الجماعة حين يعبر عن مشاعره الذاتية الخاصة ، لانه ــ ولا احد سواه ــ يمثل أرهف افراد قومه حسا واصفاهم شعوراً واخصبهم عاطفة واقواهم انفعالا بالحياة . وهو بهذا مسئول تلقائيا عن قضايا المجتمع ، ومشارك تلقائيا فى كل ما يعانيه قومه من مشكلات ومايواجهون من صراع المذاهب ومعترك الاحداث . ومن السذاجة ان نتصور امكان تحلل الاديب من هذه المسئولية، لان تلقائيتها تجعلها جبرية لا اختيار فيها

ونسألهم عن « الابراج العاجية » فيجيبون بانها وهم كبير ، فللاديب مطلق الحق فى ان يعتزل الناس ، بل ان هذه العزلة غالبا ما تكون ضرورة محتومة ، لكى تتيح له طمأنينة التأمل وعمق الاستبطان للنفس الانسانية والنفاذ الى سرها المضمر وهواها المكنون . ومن الخطأ ان تسمى هذه العزلة انفصالا عن الحياة ، فالاديب لا يلجأ الى خلوته الا بعد ان يعمر وجدانه بحشد من المشاهد والصور والتجارب ، ويئوده ضغطها على اعصابه .

وتزدحم خلوته ــ رغم ما يظن الناس من وحدته ــ بشخوص وأطياف تشغله مصبحا وممسيا ، وتخايله فى وعى اليقظة وهداة التأمل وشرود الاستغراق ورؤى المنام . فليس صحيحا اذن انه فى عزلته يكون بعيدا عن الدنيا والناس، بل الصحيح أنه قلمايكون اقوى اتصالا بالحياة واختلاطا باهلها ، منه عندما يخلو بهم الى نفسه دون أن تشرد منه شخوصهم فى الزحام ، او يشغله الضجيج عن تتبع شوارد خواطرهم ، أو يحول الصخب بينه وبين الاصغاء الى سر السكون ، وهمس النجوى ونبض القلوب وهسيس الاحلام

ولقد ذكرنى هذا كله بشاعرنا الاكبر « ابى العلاء المعرى » ومن عجب الا أذكره وهو الذى يقدم لنا مثلا رائعا لجبرية الالتزام فى الادب ووهم الابراج العاجية ، فهذا الشاعر الفذ الذى لانعرف له ندا فى تاريخنا الادبى الطويل، قد نأى بنفسه عن الدنيا والناس ، ولزم بيته فى « معرة النعمان » نحو نصف قرن ، رهين المحبسين : العمى والعزلة ، وانه مع ذلك الناس علما بالناس ، وأخبر بنى الدنيا بها ، فليس فى العربية شاعر وجد نفسه كشاعر المعرة ، ولا أديب شارك فى اصلاح قومه ونقد مجتمعه كما فعل ذلك الضرير الحبيس المعتزل . ولن استشهد هنا بنماذج من نضال ابى العلاء ــ فى طور العزلة ــ فى مقاومة الشر والفساد ، فعامة المثقفين منا قد يحفظون بعض ما وعى الزمان من شعره الذى هاجم فيه الطغاة والمنافقين والدجالين ، واستبسل به

ولكنى الفت الى نماذج أخرى من ادبه ، يبدو فيها عزلته مضاعفة ، وبعده عن الحياة صريحا واضحا ، واعنى بها تاملاته الوجدانية فى الموت والحياة الاخرى ، حيث يبدو أشد مايكون انصرافا عن دنيانا ، ولكنه فى الواقع كان يعبر عن هموم البشرية واوهامها ، ويعرض صورة لعالمها الاخر ، حافلة بكل اشواقها ومخاوفها، ومن اجل ذلك استحقت رسالته « الغفران » مكانها الرفيع بين ذخائر الادب الانسانى ، مع انها تبدو للنظرة العجلى ، شطحة حالم يعيش فى عالم آخر

ولسنا ننكر مع هذا ، ان من الادباء من يمارسون العمل الادبى فى عزلة حقيقية .عن المجتمع ، فيخرج ادبهم منقطع الصلة بما ومن حولهم ، لكن ... هل يهدر هذا الانقطاع صفتهم الادبية ؟ الواقع انهم يمثلون ناسا موجودين فعلا فى المجتمع .. ناسا يعيشون باجسامهم فى دنيانا ، ولكنهم يعيشون بافكارهم وخواطرهم فى دنيا اخرى ! ولو صح ان العزلة الحقيقية تهدر الصفة الادبية ، لجاز لنا الا نعترف بادب المتصوفة المعبر عن أشواقهم ومواجدهم فى غيبوبتهم عن دنيا الواقع والمحسوس، وأدب العشاق العذريين فى هيامهم وراء الاحلام والرؤى ، مع ان هذين الصنفين من الادب ، يمثلان الوجدان الملهم والحس الشفاف ، فى انقى درجات صفائه

بل ما لنا لا نقول ان الحياة لاتستطيع ان تنكر صلتها بادب السجن وراء القضبان ، وادب الناسك فى كهفه النائى ، لان العزلة ــ على اى وجه تصورناها ــ تمثل جانبا من الحياة لا مجال لانكاره

وننتهى من هذا كله ، الى أن الجدل الذى كثيرا مايثار عندنا حول صلة الاديب بالحياة وضرورة التزامه بمعالجة مشكلات مجتمعه ، عناء لا طائل تحته ، ولغو لا معنى للاشتغال به ، لان الادب لايمكن الا ان يكون هو الحياة نفسها من جانبها الوجدانى ، ولان الاديب لا يمكن أن ينفصل عن مجتمعه ، مهما يعتزل الناس ويناى عن دنياهم.. وحتى حين يكتب فى واد والناس فى واد آخر ، فانه يمثل خواطر طائفة بعينها ، تعيش فى واد وغيرها من الناس فى واد آخر

واقصى مايمكن أن نتصوره من عزلة حقيقية ــ لامجازية ــ هو ان يتوحش الاديب فى البرية او الغاب ، وتنقطع صلته بالدنيا والناس ، ويظل أدبه مع ذلك أهلا للاعتراف به ، لانه يعطينا صورة فريدة لجانب من الكون العجيب، ويكشف عن نوازع فطرية فينا ، حجبتها عنا المدنية او واراها التجمل والرياء ..

التاريخ: ١٩ / ٩ / ١٩٥٩

تحقيق تكتبه : بنت الشاطئ من روما

حـــواء الغـــد

الابحاث تثبت أن معالم الأنوثة تختفي تدريجيًا من المرأة العاملة

جنس ثالث في طريقه إلى الظهور



هل لا بد لى من الكتابة عن المراة ؟

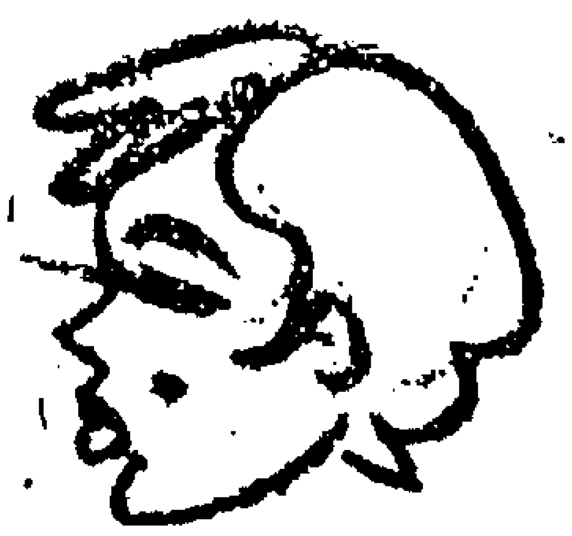
لقد شغلت عنها طوال رحلتى هذا الصيف ، بالكتابة عن مشكلات الادب المعاصر وكنت اظن ان المراة الغربية قد استقر بها مكانها فى المجتمع ، وذلك لانها مارست حريتها منذ اجيال ، وراضتها الحياة على الوضع الجديد الذى شاركت فيه الرجل ، فى المجال الذى حسبه من صميم اختصاصه فاعفاها ذلك مما تعانى حواء الشرق من قلق وحيرة ، ومن شد وجذب بين عقليتها الجديدة المتحررة ونفسيتها المثقلة بميراث الحريم وبقايا الوأد الاجتماعى الذى فرض على امهاتنا لمدى اجيال

الاهرام
وزارة الثقافة والارشاد القومي
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ: ١٩ / ٩ / ١٩٥٩

ولطالما عللنا انفسنا ، كلما ارهقتنا الحيرة واضنانا الارتباك ، بانها فترة انتقال لابد ان تنتهي ، وننجو بعدها ، او تنجو بناتنا مما نعاني ، حين يبلغ بنا التطور مداه ، وتتلاشى آثار الحريم في نفوسنا وفي مجتمعنا ، وتختفي شيئا فشيئا مظاهر التناقض المضحك المبكي ، في سلوكنا وتفكيرنا ، وفي معاملة المجتمع لنا ونظرة البيئة الينا ، مما لانجد له اثرا في الغرب ، حيث عبرت المراة مرحلة الانتقال من زمن ، والفت وضعها الحالي ، ولم تعد لها قضايا او مشكلات عامة تستحق ان افرغ لبحثها والكتابة عنها .

وزادني انصرافا عن موضوع المراة ، ان اول مجلة طالعتها في « ميونخ » كانت تشغل اربع صفحات منها من حياة «جريس اميرة موناكو » وفتور حنينها الى حياتها الاولى ، فلما عبرت الحدود الى النمسا ، كانت اول صحيفة قراتها ، تقدم في صفحتها الاولى عرضا مصورا لحياة « ثريا امبراطورة ايران سابقا » وفشل محاولاتها المتكررة في نسيان «الشاه» مع وصف مفصل لهذه المحاولات واسماء الرجال الذين شاركوا فيها



وفي « فينا » جذبتني احدى الصحف بصورة منشورة في اظهر مكان بها ، للدلعة والهرم وعدد من النساء في زي شرقي ، فلما قرات المقال وجدته عن « هاوي اطلاق الرصاص على النساء في دور السينما المصرية » !

افلا اعذر اذا ظننت ان عالم المراة هناك قد فرغ من المشكلات الجدية ، فراح يبحث عن الحياة الخاصة لجريس وثريا ، وحوادث اطلاق الرصاص على النساء في دور السينما ؟

حتى شاءت الظروف ان اذهب في عطلة الاحد ، لزيارة صديقة لي طبيبة باحدى ضواحي فينا ، بعد اسبوع مرهق قضيناه بين اوراق البردي العربية في دار الكتب ، وكنت احسب ان يوم الاحد هو انسب وقت لمثل تلك الزيارة ، فما كان اشد عجبي حين فتحت لي صديقتي باب بيتها معجلة ، وفي يدها « بطاطس » تقشره ، ثم قادتني في تلطف الى مطبخها لناخذ مجلسنا هناك .

ولم يغب عنها ماشعرت به من دهشة ، فابتدرتني قائلة :

ـ ماكنت تتوقعين هذا المنظر : طبيبة في المطبخ ، يوم الاحد !

قلت ضاحكة :

ـ اما العمل يوم الاحد فربما فهمته ، واما اشتغالك بالطبخ ، مع ما اعرف من ارهاق مهنتك ، فهذا ما لم انتظره .

فردت :

ـ لو عكست لكنت اقرب الى الصواب ، فالعمل في عطلة الاحد هو المستغرب عندي ، لولا انه فرصتي الوحيدة لكي اقف هنا حيث ترين . واما اشتغالي بالطبخ ، فلعلي لم

الأهرام

وزارة الثقافة والارشاد القومى

قطاع خدمات المعلومات

التاريخ: ١٩ / ٩ / ١٩٥٩

إذبه نطاق مهنتى ، اذ هو نوع من العلاج لحالة قلق ، اعانيها وتعانيها معى سيدات اخريات من المشتغلات بالاعمال العامة .

ولما سالتها عن سر هذا القلق ، مع استقرار الوضع الاجتماعى والاقتصادى للمراة الغربية ، اجابت بان ذلك القلق لاصلة له بمتاعب الانتقال المفروضة على جيل الطليعة من نساء الشرق ، وانما هو صدى شعور بمبدء تطور جديد ، يتوقع حدوثه



علماء الاجتماع الفسيولوجيا والبيولوجيا فى المراة العاملة ، وذلك لما لحظوا من تغير بطىء فى كيانها ، لم يثر الانتباه اول الامر . لولا ماسجلته الاحصاءات من اطراد النقص فى المواليد بين العاملات . وكان المظنون أن هذا النقص اختيارى محض ، وذلك لحرص المراة العاملة

على التخفف من اعباء الحمل والوضع والارضاع ، تحت ضغط الحاجة والاستقرار فى العمل ، ولكن ظهر من استقراء الاحصاءات ، ان نقص المواليد ، للزوجات العاملات ، لم يكن اكثره عن اختيار ، بل عن عقم استعصى علاجه . وبفحص نماذج شتى منوعة من حالات العقم ، اتضح انه فى الغالب لا يرجع الى عيب عضوى ظاهر ، مما دعا العلماء الى افتراض تغير طارىء على كيان الانثى العاملة ، نتيجة لانصرافها المادى والذهنى والعصبى — عن قصد أو غير قصد — عن مشاغل الامومة ودنيا

حواء ، وتشبثها بمساواة الرجل ، ومشاركته فى ميدان عمله

واستند علماء الاحياء فى هذا الفرض ، نظريا ، الى قانون طبيعى معروف ، وهو أن الوظيفة تخلق العضو ، ومعناها فيما نحن فيه ، أن وظيفة الامومة هى التى خلقت فى حواء خصائص مميزة للانوثة ، لابد أن تضمر تدريجيا ، بانصراف المراة عن وظيفة الامومة ، واندماجها فيما نسميه عالم الرجل

ثم تابع العلماء هذا الفرض ، فاذا التجارب تؤيده الى مدى ابعد مما كان منتظرا ، واذا بهم يعلنون — فى اطمئنان مقرون بشىء من التحفظ — عن قرب ظهور جنس ثالث ، تضمر فيه خصائص الانوثة التى رسختها الممارسة الطويلة لوظيفة حواء .

وثارت اعتراضات ، منها : أن كثرة العاملات ينفرن من العقم ويشتهين الولد ، ومنها ان المجتمع الحديث يعترف بالعاملة الام ، ويحمى حقها فى العمل ، ويتيح لها بحكم القانون ، فرصة التجمع بين شواغل الامومة وواجبات العمل ، ومنها ان عهد المراة بالخروج من دنياها الخاصة لا يتعدى بضعة اجيال ، على حين يبلغ عمر خصائص الانوثة فيها مالا يحصى من دهور واحقاب ..

وكان الرد على هذه الاعتراضات ، ان اشتهاء الزوجة العاملة للولد ، يخالطه دائما الخوف من اعبائه ، والاشفاق من اثر هذه الاعباء على طمانينة مكانها فى محل العمل . ثم ان الاعتراف بالعاملة الام ، قلما يتم الا فى حدود ضيقة ، وتحت ضغط القانون ، وما اكثر مايجد اصحاب العمل فرصتهم لتفضيل غير الامهات!

واما قصر عهد المراة بالخروج ، فيرد عليه بان هذا الخروج — على قرب العهد به — قد صحبه تنبه حاد الى المساواة بالرجل ، واصرار عنيد على التشبه به ، مما عجل ببوادر التغيير ، لعمق تاثير فكرة المساواة ، على أعصاب المراة وقوة رسوخها فى ضميرها

وما يزال المهتمون بهذا الموضوع ، يرصدون التغيرات الطارئة على كيان الانثى ، ويستقرئون فى اهتمام بالغ ، دلالات الارقام الاحصائية لحالات العقم بين العاملات ، والعجز عن الارضاع لنضوب اللبن ، وضمور الاعضاء المخصصة لوظيفة الامومة

التاريخ: ١٩ / ٩ / ١٩٥٩

وعدت اسال صاحبتي عن موضع الخطر في هذا التطورا ، فكان جوابها ان العلماء لايرون فيه سوى ظاهرة تطورية تتكفل الحياة نفسها بحل العقد التي قد تنتج عنها ، ولكن المراة هي التي تشفق من هذا التطور ، لوجودها في الجيل الاول الذى تحمله الطبيعة دائما عبء



الانتقال ، وتلزمه الحياة بدفع الثمن الفادح لما يصحب الانقلاب عادة من خطا وتناقض وارتباك ، ومن اجل هذا تحرص الواعيات من نساء الغرب ، على ممارسة الاعمال الخاصة بالانثى في كل فرصة تسنح ، ويضحين باوقات الفراغ المتاحة لهن ، لكى يشغلن انفسهن عمدا بهموم حواء . وهن يدركن تماما ان هذا كله — واضعافه معه — لا يحول دون التطور المحتوم لكنه على الاقل ، يجعله يتم في مدى بطىء يعفيهن ويعفى المجتمع من صدمة المباغتة وشطط السرعة ، ويتيح الفرصة للحياة كي تستعد لمواجهة الانقلاب المنتظر

وهكذا عرفت آخر الامر ، ان في عالم حواء ، مشكلات اعقد واخطر من الحياة الخاصة لجريس وثريا ورصاصات السينما ، وان لى ان اتساءل: كم منا من يعنيهم تتبع حياة المراة العاملة ، ورصد آثار الخروج على كيانها ، لينبه الى كل ظاهرة تغير لها ما بعدها ؟ وماذا لدينا من احصاءات يستطيع الخبراء ان يسجلوا منها مدى هذا الخروج على الاسرة والبيت ؟

الذى اعرفه اننا مع الاسف ، لانزال نشغل بما لا يجوز الاشتغال به من جدل عقيم حول تحرير المراة ، وحقوقها ، وغير ذلك مما فات اوانه . وليس في استطاعة قوة ما ، ان تحول دون انطلاق المراة الى آخر الشوط ، وبلوغ التطور غاية مداه المحتوم ، وانما الذى نستطيعه فعلا ، هو ان نرقب آثار الانقلاب ، لعلنا نفلح في ان نجعله يتم باقل ما يمكن من الاخطاء والخسائر والتضحيات ..

روما — بنت الشاطىء

التاريخ: ٥ / ١٠ / ١٩٥٩

الأزمة من جذورها تنسيق !

بقلم الدكتورة
بنت الشاطئ



مجموع الدرجات وحده ، هو الاساس الذى تقوم عليه سياسة التنسيق للقبول فى الجامعات والمعاهد العليا ..

وما نملك اساسا آخر غير هذا ، امام الامر الواقع الذى تحول به اربعون الف ناجح فى التوجيهية هذا العام ، الى مجرد « ارقام » مسلسلة فى القائمة الطويلة ..

ومكتب التنسيق ليس مسئولا عن اخطاء الامتحان وعيوبه .

وهو ملزم باحترام نتائج الامتحان مهما تكن ، ملزم باتخاذها حكما بين الالوف الاربعين الذين تزاحموا على ابوابه ..

وفرصة القبول متاحة للصفوف الاولى من (الطابور) الضخم ، حسب مستوى نجاحهم ، دون نظر الى مستواهم الاجتماعى ومقدرتهم المالية .

بل ان للمتفوقين حق الاعفاء من الرسوم الدراسية ، وتدفع الدولة مكافآت شهرية لذوى المجموع العالى ، تقديرا لامتيازهم ، وتمكينا للفقراء فيهم من الاستقرار المادى والطمأنينة النفسية .

ولا رحم الله زمانا كانت بعض الكليات فيه مرتعا لابناء الاغنياء المترفين ، ممن يذهبون الى الجامعة فرارا من سأم الفراغ ، أو يتخذونها معبرا لوظائف السلك السياسى والبلاط الملكى !

وكان اوائل الناجحين منا ، لا يجوز اعفاؤهم من رسوم الجامعة الا بشهادة فقر رسمية ، موقع عليها من اثنين من اعضاء البرلمان ، اوكبار الموظفين العموميين او بشهادة من جهة الادارة ، بمقتضى نص المادة الثانية من المرسوم بلائحة الاعفاء ، التى سرت علينا الى عهد الثورة

وما زالت تعاودنى ذكرى طالب ممتاز من زملائى ، كان اول فرقته ، وقد هدد بالحرمان من دخول الامتحان ، فراح يجرى وراء شهادة الفقر !

وكم المنى الذكرى ، حين قرأت ما نشر صحفنا صباح الثلاثاء ٢٢/٩/١٩٥٩ عن تعليم كل المستجدين بهندسة القاهرة مجانا ، ومنحهم مكافآت شهرية اقلها سبعة جنيهات ونصف ، لانهم جميعا جاوزوا مجموع ٧٥٪ !!

غير أن نظام التنسيق ، رغم ما يبدو من دقته وعدالته ، لم يلبث أن تكشف عن مفارقة شاذة لايجوز اغفالها .

ان الصحف تنشر من يوم لاخر ، اخبارا ملحة ، عن الاتجاه الى تضييق القسم الادبى فى المدارس الثانوية ، والتوسع فى اقسام العلوم ، مسايرة لسياسة التصنيع ، وتلبية لحاجة العهد الجديد .

والطلاب وآباؤهم يقرأون هذه الاخبار منشورة فى الصحف ، ويسمعونها مذاعة على لسان فلان وفلان من رجال التعليم .

والاقبال على شعب العلوم يزداد ، بل قد ازداد فعلا من سنوات ثلاث ..

ثم تكون الصدمة عند مكتب التنسيق !

طلاب القسم الادبى يقبلون فى الكليات الادبية التى يختارونها ، بمجموع يهبط الى ٥٠٪

والناجحون فى القسم العلمى ، توصد امام أكثرهم ابواب الكليات العلمية ، وفيهم من قارب مجموعه ٦٠٪

وكلية الفنون الحربية ، اعلنت انها لن تقبل منهم ما دون ٦٥٪ !

كذلك اعلنت المعاهد الزراعية والتجارية والصناعية انها وقفت عند مجموع ١٦٢ درجة

والباقون — وفيهم من ينقص واحدة او نصف درجة ، عن

خيروا بين الحرمان من التعليم العالى ، او الدخول فى كليات الاداب والحقوق ، بحدود وقيود ..

ونعرف طلابا ، بيوتهم فى القاهرة ، نجحوا فى القسم العلمى بمجموع درجات ١٦٥ درجة ، اى اقل قليلا من ٦٠٪ ، ولم يقبلوا الا فى آداب الاسكندرية ، على حين قبلت آداب القاهرة من طلاب القسم الادبى ، من لم يتجاوز مجموعه ٥٢٪

وكليات الحقوق والاداب على حق ، حين تستوفى حاجتها اولا من القسم الادبى ، ولكن ما ذنب طلاب القسم العلمى حين يجبرون على دخول الكليات الادبية بعد تخصص عامين فى الدراسة العلمية ، ونجاحهم فيها بمستوى فوق المقبول ؟ !

بل ما ذنب الجامعة حين تنفق ماتنفق على تعليم امثال هؤلاء ، عن غير رغبة منهم او استعداد ، ليفصل اكثرهم بعد ان يستنفدوا مرات الرسوب ؟

ان كلية واحدة من الكليات النظرية – هى حقوق القاهرة – اعلنت هذا العام عن فصل سبعمائة طالب من السنة الاولى وحدها ، لم تبق لديهم فرصة لامتحان

ولم نسمع او نقرا ان احدا قد اهتم بدراسة قضية هؤلاء الفاشلين ، وربطها بسياسة التنسيق التى ما تزال تبعث بالالوف من شعبة العلوم الى الكليات الادبية

ويقال ان هذه السياسة تخضع فى امر هؤلاء لعامل الرحمة ، فوجودهم فى كلية الاداب او الحقوق ، نظاميين اومنتسبين ، ارحم من تشردهم فى الطرقات ، لكنها – فى راينا – نظرة جانبية ، تغفل عما يعقب هذا من فشل وضياع للجهد والمال والسنين ..

ان مظهر المفارقة هنا ، هو ان الطالب يشجع على التخصص فى شعبة العلوم ، ثم يرغم مضطرا على دخول كليات غير علمية ، بعد نجاحه بمستوى فوق المقبول

والنتيجة المحتومة لهذه المفارقة ، هى ان يضيع الطالب فى الكلية الادبية سنتين او اكثر من عمره ، ثم يخرج مفصولا ليعود من حيث بدا ، الى الحيرة والضياع

والعوض على الله فى كل ما بذل المسكين ، وبذل اهله ، والدولة ، من جهد خاسر ..

والموقف معقد ، وحله صعب ، ولكن اضعف الايمان الا نظل نتجاهله ..

وهو مرتبط اولا بنظام الامتحان الحالى ، ومرتبط كذلك بانفصال المدرسة الثانوية عن الجامعة ، وعزلتها عن الحياة ، بحيث اصبحت مهمتها تنتهى عند توريد الاف متكاثرة من حملة الشهادة التوجيهية سنويا ، وهى لا تكفى مؤهلا للدراسة العليا ، ولاتعرف الحياة لها مجال عمل تصلح فيه !

وهذا بدوره يكشف عن ثغرة خطيرة فى الموقف ، هى اباحة السفر الى الخارج لكل من يطيق احتمال نفقاته الباهظة ، حتى ولو كان مجموعه فى ذيل القائمة

وموضع الخطر فيها ، انها تهدد اساس التنسيق ، فينفذ منها ذوو الثراء المالى وحدهم ، اما الفقراء فليس امامهم الا اليأس والحرمان ..

فهل من حل يسد الثغرة ويمحو المفارقة؟

لو عالجنا المسألة من جذورها ، بحيث يصير الامتحان اختبارا حقيقيا لقوى الطالب واستعداده ، وتصير الشهادة التوجيهية مؤهلا حقيقيا لمواصلة الدراسة العليا ، لوجب علينا ان نضمن لكل ناجح فيها ، حقه فى اتمام دراسته

والدولة لاتستطيع ان تنهض بالعبء كله ، ولكن الجامعات الحرة تستطيع بلا ريب أن تحمل عنها اكثر العبء

ولاتقولوا ان المال يعوزنا ، فهناك هيئات ذات عدد ، ترحب باستثمار اموالها فى هذا المجال ، وهناك اموال ضخمة ، موقوفة على التعليم ، تستطيع وزارة الاوقاف ان توجهها لهذا الخير العام

ولاتقولوا ان الجامعات الحرة لن تجد طلابا ، فحسبنا ان نحول اليها سيل الطلاب الذى يتدفق الى الخارج كل عام ..

ولا تقولوا اننا نشكو الفقر فى هيئة التدريس ، وتنسوا ان جامعاتنا تعطل كل عام عددا غير قليل من كبار الاساتذة ذوى التجربة والاختصاص ، الذين بلغوا سن الستين ، وهم فى ذروة نضجهم العقلى وحيويتهم العلمية ..

بنت الشاطىء

التاريخ: ٦ / ١٠ / ١٩٥٩

الأزمة من جذورها

المعلم ..

بقلم الدكتورة
بنت الشاطئ



بصرف النظر مؤقتا ، عن نظام الامتحان وعيوبه التى افردنا لها المقال الاول من هذا البحث .

وبصرف النظر ، كذلك ، عن سياسة التنسيق وما فيها من ثغرات اشرنا اليها فى المقال الثانى .

ندع الان ، نحو عشرين الف طالب من ناجحى التوجيهية هذا العام ، استطاعوا بوجه ما ، ان يجدوا سبيلا الى مواصلة الدراسة العالية ، ولو عن غير رغبة او استعداد ..

وننظر فى امر الالوف الهابطة المستوى ، ممن سدت فى وجوههم كل الابواب ، حتى باب الانتساب .

ومن ورائهم الوف اخرون ، رسبوا فى الامتحان ..

ان ماساة هؤلاء جميعا ـ وعدتهم نحو خمسين الفا ـ ليست فى عيوب الامتحان ، ولا فى ضيق المجال ، ولا فى سياسة التنسيق، بقدر ما هى ماساة هبوط فى المستوى ..

هبوط شنيع ، اعيا ثلاثين الفا منهم ان ينجحوا فى التوجيهية ، ولو بادنى المجموع ، او مع الرسوب فى مادة او مادتين . . .

واعيا نحو عشرين الفا غيرهم ،عن الوصول الى الحد الادنى الذى استطاعت الكليات والمعاهد ان تقبله .

وبعض هذا الهبوط ،يرجع الى ضعف الطلاب دون شك ..

وبعضه ايضا ،يرجع الى ازدحام الفصول الثانوية بطلابها، مع قصور الوسائل والامكانات .. دون شك كذلك

ولكن بعضه بلا ريب ،لا ذنب لضعف الطلاب فيه

ذلك لان تساهل ادارة التعليم الثانوى فى الامتحان ،الى حد انزال نسبة النجاح الى ٤٠٪ من مجموع الدرجات، مع التعويض فى مادتين راسبتين ،هذا التساهل يبيح للطالب الضعيف ـ ضعفا معقولا ـ فرصة النجاح بشكل ما ..

ومن هنا وجب ان نبحث عن السبب الخفى ،الذى من اجله هبط نحو عشرين الف طالب الى ما دون المستوى الذى نزلت اليه درجة القبول، وهبط نحو ثلاثين الفا ـ فى عام واحد ـ الى ما دون القاع الذى يقف عنده مستوى النجاح

فمن الصعب ان نتصور ان هذه الالاف الخمسين ،مصابة بالضعف من الضعف!

اذ المفروض انهم جميعا من مستوى عقلى مقبول، اتاح لهم اجتياز دورين من ادوار التصفية: الى المدرسة الاعدادية اولا ،ثم الى المدرسة الثانوية بعد ذلك

واجتازوا كذلك سنوات الدراسة الثانوية الثلاث، بامتحانات نقل، بسنة

بعد سنة، بل فترة بعد فترة

ولو كانوا مصابين بقصور عقلى ،لعز عليهم ان يقطعوا ذلك الشوط الطويل الممتد، من المدرسة الابتدائية الى آخر المدرسة الثانوية

والا فليس امامنا الا ان نتهم نظام التعليم كله من اساسه ،اذ كيف امكن ان يمر الوف بعد الوف ،بمراحل ثلاث من مراحل التعليم دون ان تنكشف اصابتهم بالقصور العقلى ؟

ولكنا نؤثر ان نتجنب هذا الاتهام ، لخطر دلالته،وفداحة المصاب به.ونحاول ان نبحث عن علل اخرى لهذا الهبوط الاليم الذى يكشف عنه امتحان التوجيهية عاما بعد عام

✻

ايكون المعلم وراء هذه المأساة ؟

لم لا ،وهو جندى المعركة وقوتها

لا اقصد معركتنا ضد الجهل وحده، ولكنى اقصد المعركة الكبرى لبناء الغد.

فالمعلم وحده، هو الذى ينفرد بمهمة صنع الرؤوس ،واعداد الذخيرة الحية لكل ميدان:

للجيش ،والطب،والقضاء، والهندسة، والتجارة، والزراعة وما لا احصى الان من ميادين العمل

ونحن قلما نلتفت الى هذا المعلم، على جلال مهمته ،وخطر مسئوليته ،وصعوبة الامانة التى يحملها دون غيره ...

فتحت ضغط الظروف ،الفينا فى المدارس الاعدادية والثانوية ،بالوف عدة ممن لا تعترف وزارة التربية بصلاحيتهم للتعليم

وتحت ضغط الظروف ،اغمضنا عيوننا عن المستوى المادى للمعلم ،فتركناه يخوض معركة العيش بمرتبه الضئيل ،وارهقناه بعبء لا يطاق من كثرة الحصص ،واعداد الدروس ،وتصحيح الكراسات ،وما وراء ذلك من نشاط مدرسى وحفلات ورحلات ثم هو مضطر فى آخر نهاره المجهد، ان يستجدى عملا اضافيا آخر ،او يبحث عن « دروس خصوصية » تعينه على مواجهة اعباء العيش المادية ،فلا يكاد يصل الى سن الستين ،حتى تخور قواه ولا يبقى فيه نفس !.

ومن بين هؤلاء الجنود المجهولين ،عدد قليل جدا، لا يتجاوز العشرات ،يرقون الى مناصب الوكالة والنظارة او المناصب الادارية فى الديوان، فيرقى مستواهم المادى ويخف عنهم العبء الفنى ،

عبء التدريس والتصحيح وملحقاتهما، ولكن الكثرة الكاثرة تبقى حيث هي ، مثقلة بالاعباء ،مرهقة بالعجز عن مواجهة تكاليف الحياة ..

وهو قضاء محتوم لا مفر منه ، بحكم ضيق مجال الترقية امام المدرس ،مادام مدرسا ! !

وماذا عن المركز الاجتماعي للمعلم ؟

سنغالط انفسنا اذا زعمنا انه غير مرتبط بالمركز المادى الذى رضيناه لجندى المعركة ..

وسنغالط انفسنا اكثر ، اذا ادعينا ان المجتمع عندنا يساوى بين المعلم ، وبين احدث معاون نيابة فى الاقاليم ، او اصغر ضابط فى نقطة البوليس ، او احدث محام فى المركز ، ممن كانوا بالامس القريب تلاميذ لهذا المعلم .

ونتجنى على الحق ، وعلى المعلم ، اذا تجاهلنا هذا الواقع المرير ،وانتظرنا من المعلم — وهو بشر — أن يقبل على عمله بنفس مفتوحة وصدر منشرح وقلب راض مرتاح ، وأن يجد من « وقته » سعة ليتصل بالحياة من حوله ، ومن « ماله » فضلا ينفقه على زاده الفكرى والثقافى

واسمعوا هذه القصة :

منذ بضعة اشهر ، فى ابريل الماضى على التحديد ، كنت عضوا فى لجان الاختبار الشخصى للمرشحين لتدريس اللغة العربية فى الاقطار الشقيقة .

والمفروض ان المرشح لا يصل الى هذه اللجان ، الا بعد ان يمر بمراحل تصفية اخرى ، وان يكون تقريره من درجة ممتاز او جيد جدا ، فى العامين السابقين للترشيح ، وان تزكيه المنطقة التى يعمل بها ، شخصية ومادة ..

اى ان هؤلاء المرشحين هم صفوة اهل المهنة !

فماذا سمعنا وماذا راينا ؟

سمعنا من بعضهم ان الدار البيضاء هى البيت الابيض ..

وأن مجلس الامن ، مقره مدينة القاهرة .

وأن الصومال والحبشة ، من بين الاقطار العربية .

وأن السيد ثروت عكاشه ، موظف بادارة الثقافة فى وزارة التربية .

ورأينا من هؤلاء الصفوة ، من لا يعرفون

التاريخ: ٦ / ١٠ / ١٩٥٩

طريقة الكشف عن لفظ استعمار ، فى لسان العرب ، او وسيلة التثبت من صحة اية قرآنية ، ربما استشهد بها احد التلاميذ فى موضوع انشاء !

ولم اعجب لشىء من هذا قط ، بل قدرت اننا نشق على المعلم حين نطالبه — وهو يرزح تحت عبء عمله المرهق ، ويئن من ضآلة الجزاء — أن يجد فراغا ومالا ، لمطالعة صحيفة يومية بانتظام ، او شراء مراجع لمادته ، كالقاموس المحيط ، وفهرس الفاظ القرآن الكريم ، ومعجمى البلدان والادباء لياقوت .

وانما كان عجبى لاننا حصرنا المعلم فى دائرة ضيقة ، بحيث صار افقه لا يتجاوز حدود المنهج المقرر على تلاميذه ، وصارت مادته لاتكاد تزيد عما فى الكتاب المدرسى الموزع عليهم ، ثم ننتظر منه مع ذلك ان يصنع المعجزات ، ناسين أن زمان المعجزات قد فات ..

ولست بحيث اجهل ان موضوع « المعلم » اضخم واشد تعقيدا من أن نعالجه فى هذه الظروف المعجلة ، نظرا لارتباطه بمسائل متشابكة شتى ، منها ما يتصل به من قرب ، كنظام اعداد المعلم واختياره ، ومنهج دراسته وتمرينه ، واسلوب معاملته والاشراف عليه ، ومستواه المادى والاجتماعى . ومنها مايتصل به من بعد ، كثقل الاعباء التي تحملها الخزانة العامة فى عهد الثورة .

لكنى حين اتمثل الجهود المضنية التى تبذل وزارة التربية من اجل التعليم ، والاموال الطائلة التى تنفقها على اعداد الجهاز التعليمى وتدبير المبانى المدرسية ، اود لو أعلن بملء الصراحة والايمان ، ان « المعلم » هو العصب ، وهو الاساس .

فالمعلم الصالح وحده ، يستطيع ان يحقق لنا النصر فى المعركة ، ولو اعوزنا المبنى المدرسى الملائم ، والادوات الكافية ، والمنهج الرشيد ، والامتحان الدقيق .

ولا شىء من هذا كله بالذى يجدى ، لو اعوزنا معه المعلم الصالح .

وللكلام بقية .. « بنت الشاطىء »

التاريخ: ١٢ / ١٠ / ١٩٥٩

الازمة من جذورها

.. والكتاب !

قلت في حديثي عن « المعلم » وصلته بهبوط المستوى ، ان للكلام بقية ..

بقية تعفي المعلم – أيا من كان – من بعض المسئولية عن ذلك الهبوط الاليم الذى تسجله الامتحانات ، على ما فيها من تساهل وما بها من نقص وخطأ .

ذلك لان المعلم مقيد ببرنامج مرسوم ليس له ان يحيد عنه ، وبكتاب مدرسى مقرر ، لا يحدد له مادته فحسب ، ولكنه كذلك يرسم له خطة السير ، ويتحكم فى الشرح والتذوق ، ويحدد له تمرينات التطبيق وأسئلة الاختبار .

وما أعرضه اليوم ، لا يعدو محاولة جزئية لنقد كتاب مدرسى واحد على سبيل المثال ، راجية بها ان الفت الى جذر خفى غائر ، من جذور الازمة المعقدة التى ارهقتنا وأعيتنا !



بقلم
الدكتورة بنت الشاطئ

ان ارتباط الامتحان عندنا بالكتاب المدرسى ، يسلب المعلم حريته فى اختيار المادة الصالحة للمنهج المقرر ، واكاد اقول انه يهدد شخصيته ويعطل ملكاته ، ويجعله شبه آلة تسير فى خط معين ، لا تملك ان تحيد عنه خطوة ذات اليمين او ذات اليسار ..

ولا فرق هنا بين معلم صالح وآخر غير صالح ، فمبلغ ما يطلب من كليهما ان يوصلا الى التلاميذ مادة هذا الكتاب ، بطريقة محددة واسلوب ملزم وأية محاولة من المعلم لممارسة حريته فى اختيار المادة او الطريقة او تمرينات التطبيق ، لا تخرج عن كونها مغامرة خطرة ، يقامر فيها بمستقبله ومستقبل تلاميذه جميعا

فبمقتضى النظم واللوائح ، يحرم اشراك معلم المدرسة الثانوية فى وضع اسئلة الامتحان العام ، كما يحرم عليه ان يصحح اجابات تلاميذه ، واقصى ما يسمح له به ، هو ان يشترك فى لجان التصحيح العامة ، بعد ان تقوم هيئة المراقبة بنزع بطاقات الاسماء من اوراق الاجابة ، ثم اعطائها ارقاما سرية .

وهذا النظام المتبع ، يكشف عن مدى التزام المعلم بالخضوع للكتاب المدرسى ، وتقيده به : مادة وطريقة واسئلة وتمارين ، لانه الكتاب الذى توضع منه اسئلة الامتحان ، ونماذج الاجابة الموزعة على لجان التصحيح

وهذا التوحيد لاسئلة الامتحان ونماذج الاجابة ، مع سرية الارقام ، يفرض على المعلم ان يلغى شخصيته ليكون نسخة مكررة من زملائه ، يرددون نفس الكلام ، ويتبعون طريقة معينة ، من اقصى الصعيد الاعلى ، الى اطراف البرارى فى شمال الدلتا

وحسبنا هذا لنتمثل خطورة ذلك « الكتاب » وندرك مدى احتكامه فى المعلم والتلميذ ، والممتحن والمصحح ، على السواء ..

فهل قدرنا هذا الخطر ؟

اشهد انه ما من مسالة اتعبت وزارة التربية كما اتعبتها مسالة الكتاب

التاريخ: ١٢ / ١٠ / ١٩٥٩

(٢)

المدرسى ، فكم بذلت من محاولات لاصلاحه ، وكم الفت من لجان لوضع « مواصفاته » واخرى لتأليفه ، ثم لمراجعته قبل ان تفرضه على التلاميذ والمعلم !

اقول هذا عن خبرة ومعاناة ، فلقد تتبعت هاتيك المحاولات المضنية عن قرب ، وكنت عضوا فى أكثر من لجنة ، من عشرات اللجان الاستشارية التى عهدت اليها الوزارة بمطالعة الكتب المدرسية وابداء الرأى فيها .

ولو كانت مثل هذه الامور تقدر بالجهود المبذولة فيها ، بصرف النظر عن نتائجها ــ لما كان لى اليوم مجال للكلام . .

اما ونحن امام ذلك الهبوط الشنيع فى المستوى العلمى لطلاب المدارس الثانوية ، فمن الحق الا نتجاوز عن « الكتاب المدرسى » اكتفاء بما بذلوما لايزال يبذل فيه من جهد .

من الحق ، ونحن نلفت الى الجذور الاصيلة للازمة ، الا نغفل هذا الكتاب ومسئوليته عن هبوط المستوى لاتقل ــ ان لم تزد ــ عن مسئولية « المعلم » .

ولكن من اين نبدأ ؟

ان مواد الدراسة الثانوية بشعبها المختلفة ، كثيرة شتى .

ولكل مادة كتابها المقرر ، فمن المتعذر ان ناخذ الموضوع جملة .

وليس من حقى ان اجاوز اختصاصى ، فاتحدث عن غير كتاب اللغة العربية بحكم مالى به من صلة وتخصص .

واللغة العربية هى المادة الاولى ، فى المدرسة وفى الوطن العربى الكبير .

والاحصاءات تؤكد ان نتائج الامتحان فيها ، تستاثر بأكثر حالات الضعف . لابين الراسبين وحدهم ، ولكن بين الذين نجحوا كذلك على تفاوت المستوى .

واذا كانت الوزارة تشترط للنجاح فيها نسبة ٥٠ ٪ ، فليست هذه بالنسبة العالية التى تكلف الطالب المتوسط ما لايطيق . .

فلننظر اذن الام انتهت المحاولات المبذولة لكتب اللغة العربية ،

ولناخذ كتابا واحدا منها على سبيل المثال ،وليكن كتاب « الادب والنصوص، السنة الاولى الثانوية » وقد الفه اربعة اساتذة ، من كبار المختصين فى اللغة العربية والادب ، بتكليف من وزارة التربية .

وتاريخ الطبعة التي بين يدي ، (١٣٧٩ : ١٩٥٩) اى انها الطبعة الموزعة على تلاميذنا فى هذا العام .

والكتاب ضخم ، عدد صفحاته ٢٥٤ صفحة من القطع الكبير ، وموضوعه الادب فى العصر الجاهلى وصدر الاسلام والعصر الاموى ، وقد حدد للتلميذ والمعلم ، مادة الادب وتاريخه فى هذه الفترة ، وعين النصوص والشواهد ،ثم تدخل فى « التذوق » فذيل كل نص ادبي بالملاحظ النقدية التي يجب على التلميذ ان يتعلمها ، وعقب على هذا كله ب‍ ... موضوعة لكل باب وكل نص مما فى الكتاب ، بحيث لم يدع للتلميذ او المعلم فرصة لتذوق النص ونقده ومناقشته .

واستفتح بالصفحة الاولى ، فاجد وصفا لبلاد العرب ينص على انها « صحراء بها كثير من الجبال الجرداء، يتخللها وديان تجرى فيها السيول احيانا ، الى جانب بعض العيون والواحات ، هذا الى الغيث الذي يجود احيانا فينبت الكلا فى بعض السهول وترعاه الدواب والانعام . ولكن ذلك كله لايسد حاجة السكان . ولقلة المياه لم يكن فى البلاد كثير من المزروعات التي تصلح للانسان »

ومثله فى ص١٠٤ . «وسكان الصحراء فى اقامتهم معرضون للقحط ولقسوة الطبيعة ورحيلهم عرضة للمفاجات والازمات »

خلاصة فى ص ١٢٦ ، تقول « هذه لمحة خاطفة عن حياة العرب فى الجاهلية ، كما تدل عليها امثالهم ،تظهر فيها الصحراء برمالها وسرابها وحيوانها وحشراتها وندرة المياه فيها »

لكن الكتاب ينسى هذا كله ، فى ترجمة امرىء القيس ، حيث نراه قد « نشا يمرح مع لداته فى رياض نجد الفيحاء ، وتحت ظلها الظليل وبين عيونها الجارية ــ ص ١٧ » !

فبالله ماذا ابقت نجد ــ وهي من صميم البادية ، وفي قلب الصحراء ــ لغوطة دمشق والقناطر الخيرية ؟ وهل يتسق هذا الكلام ، مع ماملا الكتاب من وصف لجدب الصحراء وندرة الماء فيها ؟

بسيطة ؟ نسوف نغيرها :

فى ص (٢) نقرا من وصف حياة العرب في الصحراء ، « انها حياة اساسها الحرية والاعتماد على النفس ، فان البداوة تصقل النفوس وتصهر الطباع وتربى فى القلوب حب الاستقلال، وتغرس فى النفس كثيرا من الخلال التى اتصف بها العرب،ومن اظهرها الشجاعة والكرم وايواء الضيف ، والوفاء بالعهد، والذود عن الحمى ، واغاثة الملهوف ، وحماية الجار »

كلام طيب ، ولكن نقرا معه فى مواضع اخرى ، ان ادراك العرب لفضائلهم فى الجاهلية كان اهوج جامحا (١٤٤) وان كرمهم نفاق سخيف يباع بالمدح (١٤٦) وان شجاعتهم كانت من التهور الذى هو فى الحقيقة رذيلة(١٢٨) وان شعارهم كان حب القتال حرفة يحترفونها ويتمتعون بالغناء فيها ويتبرعون بها لاقل داع (١٢٩) وانهم كانوا يمتدحون بالظلم والعدوان كله دستور اساسى لحياتهم (١٢٥) ...

فاين هذا كله ، مما نقلناه آنفا ، من التنويه بفضائل العرب وخلالهم ؟

اندع هذه أيضا ؟

لا باس ، ولننظر الان فى النصوص المختارة :

قال « قيس بن عاصم » يخاطب زوجه وقد احضرت له الطعام

اذا ما صنعت الزاد فالتمسى له
اكيلا ، فانى لست آكله وحدى
اخا طارقا ، او جار بيت فاننى
اخاف ملامات الاحاديث من بعدى

نص رائع ، قد يبدو للمعلم او التلميذ ان يتذوق ما فيه من مروءة واريحية ، ولكن الكتاب المدرسي يفرض عليه الحكم « بان هذا كرم فاسد ، افسده خوف قيس ملامات الاحاديث من بعده ، أى أنه كرم له ثمن !»ص ١٤٦

وقول حاتم الطائى :

أ « ماوى » ان المال غاد ورائح
ويبقى من المال الاحاديث والذكر

ماله ؟ ان الكتاب المدرسى يفرض على المعلم ان يلقن تلاميذه ، أن قائل

هـذا الشعر « كان احرص على حسن السمعة عن طريق الـكرم ، منـه على الـكرم نفسه . وهو يعلن ذلك فى غير مداراة ولا استحياء اذ يقول :

ويبقى من المال الاحاديث والذكر» ص ١٤٦

وقصيدة الحطيئة

وطاوى ثلاث عاصب البطن مرمل
ببيداء لم يعرف بها ساكن رسما
راى شبحا وسط الظلام فراعه
فلمـا راى ضيفا تشـمر واهتما
وقال : هيا رباه ، ضيف ولا قرى
بحقك لا تحرمه تا الليـلة اللحما
فقـال ابنـه ، لمـا رآه بحيـرة :
« ايا أبت اذبحنى ويسر لهم طعما
ولا تعتذر بالعدم ، عل الذى طرا
يظن بنـا مالا فيوسعنـا ذما »
فروى قليـلا ، ثم احجم برهـة
وان هو لم يذبح فتاه فقد هما !

ربما بدا للمعـلم ان يلفت تلاميـذه الى ما يبهرنا فى هذه القصيدة الرائعة ، من حيوية الشعور ، وعمق الانفعـال ، والتنبيـه الدقيق للحركة والهمسـة ، وللخاطرة تمر بالبـال ، لكن الـكتاب المدرسى يلجمه ، ويحدد له ما يجب ان يلفت تلاميذه اليه ، وهو ان « هـذه البطولة تخفى نقـائض لم يرض عنهـا الدين الاسـلامى ، فـذبح الابن ، بل مجرد التفكير فيه اثم لا يرضاه الاسلام .. ثم ان السبب الذى ترتكز عليه هـذه البـطولة الزائفـة سـخيف لا يقـره الاسلام (!!!) وهو الخوف من ان يظن الضيف الطارىء أن لهم مالا فيوسعهم ذما ، فالعبرة اذن كانت عنـدهم بحب المدح وخوف الذم ، لا بالـكرم فى ذاته لانه صفة حميدة تبعث الرضا والارتياح فى نفس صاحبها » ـ ص ١٥٠

فهل فى طاقة معلم ، ان يقنع تلاميذه بان ابتغاء حسن الذكر منقصة ورذيلة ، وعار يستحق الاستحياء والمداراة ؟

ربما ! لكن ماذا يكون موقفه ، حين يتلو لتلاميذه من قول الله تعالى : « من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنـا فيضاعفه له اضعافا كثيرة ـ من جـاء بالحسنة فله عشر امثالها » ؟ !

بل ماذا يـكون موقفـه ، وقـد قرا لتلاميذه فى ص ٩٣ من الكتاب المدرسى نفسـه ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اصغى الى وصف بنت حـاتم لابيها ، وكانت قد جىء بها سبية مع نساء طيىء ، فتاثر الرسول وقال لها : « يا جارية ، هذه صفة المؤمن .. لو كان ابوك اسلاميـا لترحمنـا عليه .. خلوا عنها فان اباها كان يحب مكارم الاخلاق ، والله يحب مكارم الاخلاق »

انها هنا مكارم اخلاق ، ولكنها بعـد خمسين صفحة ، منقصـة يجاهر بهـا حاتم فى غير مداراة ولا استحياء !

وكذلك الامر فى « عنترة » .. نقرا فى ترجمته انه « بطل صنـديد ، وفارس مغوار .. فخور بشجاعته الخارقة وخلقه الكريم ـ ص ٨٦ » لكن شجاعته هذه تمسـخ فى ص ١٢٨ وتصـبح مرذولة هوجاء ..

وزهير بن ابى سلمى ، يبدو لنـا مرة « رزينـا متروبا فى اموره ، محبـا للحق ، داعية للسلام ـ ص ٤٢ » ثم ينقلب بين صفحة واخرى فاذا هو مادح للظلم والعـدوان ، معلن ان هـذا هو الدسـتور الاسـاسى لحيـاة العرب ـ ص ١٣٩ .

وهـذه ايضـا نتركها ، لنرى مـا فى الـكتاب المدرسى من اخبـار تاريخنـا الادبى :

المنـهج المقرر ، على السنـة الاولى الثانوية ، فى الادب والنصوص ، يمتد كما قلت من العصر الجاهلى الى الدولة الاموية .

وهذا الكتاب يقسمه الى ثلاثة عصور متميزة : الجاهلى ، ثم صدر الاسلام ، ثم الاموى ..

وفى الفصل الخاص بالخطابة فى صدر الاسلام (١٧٥ : ٢٢٠) نماذج من خطب الرسول عليه الصلاة والسلام ، والخلفاء الراشدين ، ومنهم الامام على ..

ثم يبدا الفصل الخاص بالخطابة فى العصر الاموى من ص ٢٢١ ، وبعـده تراجم خطباء ذلك العصر : على بن ابى طالب (!!) والحجاج ، وزياد بن ابى سفيان (٢٣٢ : ٢٥٩)

والمعلمون ، والتلاميذ ، قـد درسوا تاريخ ذلك العصر ، وصدقوا وآمنوا ان العصر الاموى لا يمكن ان يبدا الا بعـد مقتل الامام على !

لكن الكتاب المقرر ، يضع لهم ترجمته تحت « عصر بنى اميـة » مع الحجاج وزياد !

ولم يكن حظ الشعر من هذا الخلط والخطأ ، دون حظ النثر ..

فـتحت الفصل الخـاص بالشعر فى الدولة الاموية ، ومخـاراته وفنـونه (٢٧٨) وخصـائصه ومميزاته (٢٨٣) تاتى التراجم الادبية لشـعراء الدولة الاموية ، وهـم على ترتيب الـكتاب : الاخطل (٢٨٥) وجرير (٢٨٩) والفرزدق (٢٩٤) والكميت (٢٩٨) ..

ثم .. الخنساء !! (٤٠٧)

والخنساء ، فيما يعرف اجهل معلم ، تنتمى فنيا الى العصر الجاهلى ، وان ادركت الاسـلام عجوزا تجتر احزانهـا على صخر !

ولـكن عليه ان يلغى عقـله ، ويتهم معارفه ، ليضع الخنساء بعد الكميت والفرزدق ، تماما كما وضع الامام عليا مع الحجاج وزياد ، فى العصر الاموى !

ووافقتـه سوداء ، اذ هو جـازف بالخروج على هذا الوضع الذى يفرضه عليه الكتاب المدرسى ، بـكل ما له من جاه وسلطان !

والغريب ان الـكتاب نفسه ، قـد اختار فى موضع اخر ، قصائد من ديوان الخنسـاء وكلهـا جاهلية صميمـة ـ ونسبها الى عصر صدر الاسلام ، ثم نسى هذا وادرج ترجمة الشـاعرة فى العصر الاموى .

خلط شاذ ، لا يمكن ان نفسر وجوده فى كتاب واحد ، الا بان السادة المؤلفين قد تقاسموا العمل فيما بينهم ، فانفرد كل واحد بتاليف قطع من الكتاب ، ثم جمعوا هذه القطع جمعا لما ، دون تنبه الى ان بعضها يكذب بعضها ويناقضه .

فاحـدهم مثلا قـد كتب عن جدب الجزيرة وشح المـاء فيها ، وآخر راح يتغنى برياض نجد الفيحاء وظلها الظليل

احـدهم اختار خطبـة للامام على ، ووضعها مع خطب صدر الاسلام ، وجاء ثان فوضع ترجمة « على » مع خطبـاء العصر الاموى ، وكذلك فعلوا بالخنساء

احـدهم راح يمسـخ كل فضـائل اسلافنا العرب فى الجاهلية ، وينكر هوج عنترة ورعونة زهير ، ووقاحة حاتم اذ يصرح ـ فى غير مداراة ولا استحياء ـ بانه يبتغى حسن الذكر ، وآخر كتب يمجد فروسية عنترة ، واناة زهـير ، وينقل من حـديث الرسول لبنت حاتم حين وفدت عليه سبية مع نسوة طيىء : « هذه صفة المؤمن ... خلوا عنها فان اباها كان يحب مكارم الاخلاق » .

والان هذا يكفى ...

او لا ، فلنا عودة !

بنت الشاطىء

التاريخ: ١٨ / ١٠ / ١٩٥٩

الازمة من جذورها

لغة المدرسة !

وهذه ايضا علة يجب ان تعالج !

انها علة مزمنة حاولنا دائما ان نتجاهلها ، وكلما طال عليها المدى ازددنا لها تجاهلا ، والتمسنا به راحة اليأس او خدعة الاطمئنان الى انه ليس فى الامكان الا ما كان !

ومن عجب اننا مع هذا ، نستغرب هبوط المستوى العلمى لطلابنا ، ونجار فى تعليله ، ثم نرتجل له الاسباب القريبة الظاهرة: من ضعف الطلاب ، او ازدحام الفصول ، أو قصور الامكانيات ، ناسين ان هذه جميعا ليست الا ظواهر، وراءها علل خفية كامنة، وجذور غائرة متاصلة .

وفى بحثى عن تلك الجذور ، تحدثت قبل اليوم عن الامتحان ، والمعلم، والكتاب ، والآن الفت الى لغة المدرسة التى قلما يخطر بالبال ان لها بالازمة ادنى اتصال !



بقلم : الدكتورة بنت الشاطئ

وابدا بالحديث عن ظاهرة لافته ، وهى « مثنوية اللغة » فى المدرسة فالتلميذ يتعلم العربية مادة منعزلة عن بقية المواد اذ يلقنه معلم العربية قواعد النحو والصرف ،ويلزمه بوجوب رعايتها فيما يكتب او يقرا ،وكذلك يعلمه الفاظا واساليب ،من نوع معين،حتى اذا ماانتهت حصة العربى جاء معلم التاريخ او الجغرافية او الحساب ،او غيرها من المواد فملا اذنيه بلغة اخرى، لاأثر فيها للالفاظ والاساليب اياها ،ولا ضابط لها من تلك القواعد المحفوظة ،فليس يعنيها مثلا ان تنصب جمع المؤنث بالكسرة ،وتجر الممنوع من الصرف بالفتحة ،أو تميز العدد من ١١ : ٩٩ بمفرد منصوب ،أو تفرق بين ما حكمه النصب على الاختصاص ،وما حكمه الرفع على الخبرية ...

وهكذا لا يكاد التلميذ يعى قاعدة لغوية ويجهد نفسه فى التطبيق عليها ،حتى يتلقاه معلمو المواد الاخرى ،فينسوه ما تعلم، او يوقعوه فى حيرة وارتباك

والتعليم فى الاصل ،قائم على اعتبار المدرسة وحدة متكاملة متعاونة، تشترك اجزاؤها فى انسجام وترابط ،لتصنع راسا وتنضج عقلا وتنمى ثقافة

ولكنا هنا أمام وضع شاذ ،تفككت فيه الوحدة وفقدت عنصر نجاحها وهو التعاون والتكامل .وابسط نتائج هذا الوضع ان نصير العربية مجرد «مادة» يحاول التلميذ ان يحفظها ،ثم يتخفف من حملها الثقيل بعد الامتحان

اما أخطر نتائج هذا الوضع، فهو ما يحدثه فى نفسية التلميذ من نعقد، وفى عقليته من ارتباك واضطراب، وما يعقب ذلك من فشل المدرسة فى مهمتها التعليمية ثم عجز المتعلمين عن ان يماسكوا اداة التعبير

وما اسهل أن يقال فى تبرير هذا الوضع، انه صدى لمثنوية اللغة فى حياتنا العامة !. مااسهل ان ننفى عن المدرسة كل العبء ،ونضعه على كاهل « المجمع اللغوى » ثم نبقى حيث نحن، الى ان يحل لنا المشكلة ، ويجد منها مخرجا !.

ومثل هذا القول يجوز، لو انها مشكلة عامية وفصحى ،بين المتعلمين والاميين، اما والمدرسة بيئة علم ومتعلمين ،وغير معقول ان يكون فيها من لا يعرف لغة الكتابة، فمن الواجب ان نبحث عن سر العقدة ، لا ان نكتفى بالقائها جزافا على كاهل « المجمع » الوقور ..

وحين نسال: كيف يعيى المد[illegible]سين ـ وهم من صفوة المثقفين ،واللغة اداة صنعتهم ـ ان يتكلموا فى ساعة الد[illegible]رس ـ لا اكثر ـ بلغة سليمة ،يبدو لنا من المشكلة وجه آخر خفى، غير ذاك الوجه الظاهر ...

فليست المسالة عجز الامين عن معرفة لغة الكتابة ،ولكنها مسالة عجز المدرسة عن تعليمها للمتعلمين ،بحيث يشق على من اتم دراسته العليا، فى اى فرع من فروع التخصص ،ان يكتب خطابا بسيطا بلغة سليمة ،دون ان يتعثر فى التعبير عما يريد

ولغة المدرسة هى المسئولة عن هذا الفشل !. ذلك لان لمدارسنا فى تعليم العربية لغة خاصة مستقلة ،لا ابالغ اذا قلت أنها لغة متحفية !!.

وما من مرة، حضرت فيها احدى حصص العربية بالمدارس الثانوية ـ اثناء اشتغالى بالتفتيش، او لتمرين طالبات التخصص فى العربية ـ اقول مامن مرة حضرت فيها احدى هذه الحصص ،الا خيل لى أن لهذه اللغة المدرسية الفاظا وصيغا ونماذج للاساليب ،تحفظ فى خزانة مغلقة بقاعة الدرس كما تحفظ الاثار المتحفية ،ويجىء معلم العربية فيفتحها ويستعمل ما بها ، حتى اذا ما انتهت الحصة ،ردها الى خزانتها المصونة ،حتى لا تخرج من الباب او النافذة الى الحياة.

واكبر الاثم ان تختلط هذه الالفاظ والصيغ والاساليب ،بما وراء جدران حجرة الدراسة

فالكلمات الصعبة تفسر بالفاظ معجمية تنص المعاجم نفسها على انها الفاظ «مماتة» بسبب عدم جريانها على الالسن

والصيغ الصرفية ،تختار لها مواد اثرية مما لم يدنسه الدوران على اللسان حدث مثلا أن كتبت احدى التلميذات فى كراسة التعبير « رايت اخى يلم الورد الصغير بتشديد الياء ـ من الجنينة » فشطبتها المعلمة وكتبت مكانها: « يجمع الوريدات من البستان » مع ان (يلم) فصيحة قرآنية ، «وتأكلون التراث اكلا لما » وصغير ،صيغة تصغير لا شك فى صحتها، وجنينة تصغير جنة ،اما بستان فاعجمية فارسية !.

والقواعد اللغوية والبلاغية ،تقدم الى التلاميذ فى قوالب محفوظة ،تستمد جلالها

وأهميها ، من البعد عن مألوف الاستعمال !

وهذه «عينة» من الفاظ يجب ان تعرفها ابنتي ، في السنة الاولى الثانوية هذا العام :

هبنقة ــ تنق ومنق ــ مفتاد ــ حقلد ــ جلعد ــ عصل ــ رعوث ــ الكديد ــ تائفك ــ شيظمة ــ جيال ــ اصليت ــ السبنتى ــ حبقية ــ اطانيب ــ اشائب

وهى ــ بلا ريب ــ الفاظ فصيحة ، جاءت بها شواهد من الشعر القديم ، لكنها الفاظ مكانها المعاجم ، وما من لفظ فيها يستطيع ائمة العربية منا ، ان يفسروه دون الرجوع الى القاموس ، ففرضها على المبتدئين فى الادب العربى، من شأنه ان ينفرهم منه ويزهدهم فيه ، ويزيدهم صدودا عن اللغة العربية ، ويؤكد شعورهم بجفوتها .ولا ذنب للعربية لا الادب ،فمجال الاختيار فيها واسع ،ولن تقع السماء على الارض اذا تحاشينا فى اختيار النصوص الجاهلية بعض الابيات المزدحمة بغريب الالفاظ ، ولن تكف محطة الفضاء عن الدوران ،اذا نحن اعفينا ابناءنا الصغار من شيظمة واصليت وحقلد ، ومن تائفك وحبقية وجعلد .ولن تفوتهم معرفة الخصائص المميزة للادب الجاهلى،اذا لم يحفظوا منه:

* نهضت الى وجناء كالفحل جلعد *
* على ظهرها من نيها غير محفد *
* منهكة ذى قربى ولا بحقلد *
* ونم القتود على عيرانه أجد *
* سفود شرب نسوه عند مفتاد ! *

لكنها « لغة المدرسة » تتحرى الالفاظ الاثرية ، وتوقع بان تلقم صغار ابنائنا احجارا لا تدخل من زور الفقهاء فى اللغة.

وهذه ايضا نماذج مما تحفظه ابنتي ــ وعمرها اثنتا عشرة سنة ــ فى حصة البلاغة :

« غاية التشبيه تأكيد صفة من صفات المشبه بعقد مماثلة بينه وبين شيء آخر تكون هذه صفة متمثلة فيه بصورة قوية واضحة »

أما الاستعارة فهى «حركة ذهنية فى تصوير امر من الامور . وهى خطوة ابعد فى التخيل الذى يعبر عن تأثرنا بمظاهر الطبيعة والحياة تعبيرا حافلا بالشعور»

واؤلم ان ابنتي او اى تأييد فى مثل سنها ومستواها ، ليس فى حاجة الى مثل ذلك الجهد المضنى لمعرفة التشبيه والاستعارة ، وهو يستعير قميص اخيه دون ان يكون له اصلا ، وهو يستعير من مكتبة المدرسة كتابا ليس له ،فيكون « خاتم المكتبة » على غلافه قرينة على أنه مستعار ..

فماذا لو قلنا له فى حصة البلاغة ان الاستعارة فى اللغة وفى البيان لا تخرج عن هذا كثيرا ، فهى استعمال لفظ فى غير ما وضع له اصلا ، مع قرينة تبين انه مستعار ؟

لكن متحفية « لغة المدرسة » تابى هذه البساطة المألوفة

فهل يفهم التلميذ ؟ ولا انا يارسول الله !وارجو الا يكون فى هذا الاعتراف ما يمس سمعتى العلمية ، ويهدد مركزى فى الجامعة !

ومن اجل خاطر مئات الالوف من ابنائنا ، ومن اجل خاطر العربية التى احبها واعتز بها،امضى فى المجازفة فاعترف باننى ساعدت ابنتي ــ حين كانت فى المرحلة الاعدادية ــ على كتابة موضوع انشاء ، فكانت الدرجة التى استحقها موضوعنا من المعلم ، خمسا من عشر، والحمد لله على نفاذنا من السقوط

ولما عادت لى بالدرجات الخمس المسكينة ، حاولت ان اعرف سبب خيبتنا ، فبان لى اننا لم نتبع ترتيب عناصر الموضوع كما رسمه المعلم ، فقد بدأنا وصف الحادث مثلا ، بسماع ضجة عالية ايقظتنا فى سكون الليل ، على حين كان المعلم قد رتب العناصر، مبتدئا بتسلل اللص الى المسكن .كما اننا استغنينا عن بعض ما زود به المعلم تلميذاته من الفاظ وعبارات مختارة ، مثل عبارة « ماخف حمله وغلا ثمنه » التى لم نجد لها اى مكان ، فى وصف حادثة وقعت فعلا ، وانتهت باكتشاف اللص قبل ان يحمل ماخف او ما ثقل!

وهذا فى ذاته غير عجيب ، وانما العجيب حقا ان تستغرب معه ،ان حصة العربى اثقل الحصص ظلا ،وان النجاح فيها اشق من النجاح فى الهيروغليفية او الديموطيقية لمن يتعلمونها ، وان طلاب الجامعة يتهربون من التخصص فيها ويؤثرون عليها التخصص فى الانجليزية او الفرنسية او اليونانية او السريانية ! وان نتيجة جهد السنين فى تعلمها ، تنتهى الى ذلك المستوى الهابط الذى نئن منه ، والذى يتمثل فى عجز الصفوة من المثقفين عن اتخاذ لغتهم القومية وسيلة ابانة وتفاهم وتعبير ....

الأهرام
وزارة الثقافة والإرشاد القومي
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ: ٢٥ / ١٠ / ١٩٥٩

ظلال الأزمة

أمية المتعلمين

٣

((لهذه الازمة التى طال حديثي عنهـا ، ظلال كابية تفشى افقنا الاجتماعي العـام ، واذا لم املك الآن ان احدد صلتهـا بالجريمة ، والانحراف، والتعطل ، فلعلى استطيع ان اتحدث عن صلتها بامية المتعلمين))

بقلم : دكتورة بنت الشاطئ



اليوم احاول ان انظر الى الازمة فى مجالها الاوسع ، فاراها ليست ازمـة هـؤلاء الراسـبين وهابطي المسـتوى فحسب ، وانما هي اولا واخيرا ازمـة قومية عامة ، تمس حيـاة الوطن مسـا مباشرا ، وتهدد كفاحه المرير فى معركة البناء

والموضوع ــ هـكذا ــ بالغ الدقة والخـطر ، ومحـاولة معالجتـه تقتضى وسائل وادوات ليست ممـا يتنـاوله اختصاصى او يجدى فيه جهدى ،واول ما يعوزنا فيه ، ان تقدم لنـا الهيئات المسئولة ، ارقامها الاحصائيةعن مصاير الالوف المتعاقبة من هؤلاء الذين تلفظهم المدارس الثانوية تباعا ، الى الحـاضر الحائر التائه ، والمستقبل المبهم المعتم: فمكتب البحوث الجنائية ، هـو الذى يجب ان يحدد صلةهذه الازمة بجرائم الشباب ، ومراقبة الاحصاء هى الملزمة بان تبين لنـا خطواتهـم المتعـثرة فى الخضـم الـكبير ، ووزارة الشـئون الاجتماعية هي التي تملك ــ او يجب ان تملك ــ جهازا دقيقا يسجل اصداء الازمة في المجتمع والوطن

ولا شيء من هذا كله قد كان ، وما من بادرة على الافـق ، تشـير الى ان شيئا منه سوف يتاح لنا فى غد قريب او بعيد

كلا . . لاسبيل الآن الى دراسة مجدية، وانما اقصى الجهد ان نلفت الى بعض ظلال بالغة الدلالة على تعقد الازمـة ، اونفاذها الى صميم حياتنا

من هذه الظلال مثلا ، مانسميه((امية المتعلمين)) التى عدمنا فى كل مناسـبة والتى طالما ضج بالشـكوى منها ديوان الموظفين ، ولجان الاختيار الشخصى ، ودور الاعمال،وتحضرنى فى هذه المناسبة نماذج غريبة من امية المتعلمين ، اوثرها بالذكر لقرب عهدى بها :

ذهبت مـع زميـلة لى من هيئـة التدريس فى احـد المعاهـد العليـا لوزارة التربيـة ، لنشـهد جلسـة لمحكمة الجنايات ، كان المقرر ان يصدر فيها الحكم فى قضية تهم الزميلة. وقبل ان يجيء دور القضـية التى جئنا من اجلها ، نظرت المحكمة فى قضية لص عائد متهم بسرقة بضع دجاجات . ولشد ما دهشت صـاحبتى لعرض قضـية تافهة كهذه على محـكمة الجنايات الموقـرة ! ولشـد ما انكرت ان يحـكم على المتهم

بالاشغال الشاقة لبضع سنوات ، جزاء على هذه السرقة البسيطة ، وقد كان يكفى ـ فى رايها ـ أن يحبس السارق ليلة او ليلتين فى سجن المركز ! وعبثا حاولت ان انبهها الى عنصر ((العود)) الذى جعل السرقة جناية ، فقد بداعلى صاحبتى انها لم تسمع فى حياتها ـ على طول ما تعلمت ـ بمسالة ((العود)) هذه!

واخرى تحمل درجة جامعية عالية فى العلوم، سمعتنى اناقش احد علماء الازهر، فى مشروعية ((المحلل)) الذى يؤتى به صوريا لتحليل رجوع زوجة الى زوج لها سابق ، بعد طلاق بات بائن . فاقبلت تسالنى عن معنى كلمة ((بائن)) هذه ، ولما شرحت لها الفرق بينه وبين الطلاق الرجعى ، استغربت ما تسمع ، وعجبت كيف اتمت كل هاتيك المراحل التعليمية دون ان تفقه امس الامور بحياتها . وتذاكرنا يومئذ قصة التلميذ الفالح الذى ظن ان ((الملاح)) اضاع نصف عمره، لانه لم يتعلم الجيولوجيا والجبر والكيمياء ، ثم لما هبت عاصفة قلبت الزورق ، عرف التلميذ ساعتها انه اضاع عمره كله ، لانه لم يتعلم السباحة !

وثالثة ، زميلة صحافية لامعة، لقيتنى منذ ايام قرب دار الاذاعة ، فلما سمعت منى انى فى طريقى لاسجل حديثا للبرنامج الثانى عن محنة ((مى)) واثرها فى الادب المعاصر، انكرت اذناها ماسمعت، وراحت تستعيد اسم ((مى)) مرتين وثلاثا، حتى اذا استيقنت منه ، عادت تسألنى :

ـ ومن تكون ((مى)) هذه ؟

تماما كما تسأل احدى المشتغلات بالحركة النسوية عن ((هدى شعراوى)) أو كما يسأل شاعر حديث عن ((شوقى)) من يكون !

وخجلت ان أقول لها : انها الرائدة التى تدينين لها بكل الفضل ، فهى التى غزت لك ولى هذا الميدان ، وعبدت لنا الطريق !

واكتفيت بان اجيب : انها اديبة الطليعة واولى صحافيات الجيل !

ولكن فيم العجب ؟ أن أمية المتعلمين ليست الا نتيجة محتومة لعزلة المدرسة عن الحياة ، منذ صارت مهمتها ان تعد تلاميذها ((للامتحان)) اعدادا يقوم على التلقين والحفظ ثم تفريغ الشحنة فى ورق الاجابة ، دون ان يكون لها اثر فى تنمية الوعى او توسيع الافق او انضاج الشخصية !

ويمتد خطر هذه الامية الى مدى ابعد، اذا قدرنا ماتحدثه فى وحدتنا الاجتماعية من تفكك وتصدع ، اذ ان امية المتعلمين قد جعلت منهم طوائف بددا ، ليس بين احداها والاخرى صلة ثقافية جامعة ، او رابطة فكرية مشتركة فليس بين الاطباء مثلا من يعنيه ان يسمع محاضرة لاحد اعلام القانون ، ولا بين المهندسين من يحس حاجة الى مطالعة كتاب فى تاريخنا الادبى ،ولا بين التجار من يهمه قراءة مقال فى الادب او العلم. بل لماذا لا اقول ان بين الطبيب والمهندس والتاجر ـ وقد يكونون اخوة اشقاء ـ انفصالا فكريا منشؤه عدم وجود مشاركة ثقافية عامة يلتقون بها على اختلاف تخصصهم ، فكل واحد منهم يعيش بعقله وتفكيره فى عزلة معنوية عن الاخرين ،وقلما يجد نفسه الا مع زملاء مهنته ، فاذا اقتضت الظروف ان يجتمع بغيرهم ، فى ناد عام مثلا ، لم يجدوا مجالا لحديث مشترك بينهم ، اعلى مستوى من توافه الاخبار ورائج الشائعات ، ولم تقم الالفة بينهم الا حول موائد اللعب والشراب ، او فى تصيد اسرار العائلات والبحث عن جديد من الفضائح ...

ولو ان المدرسة تخلصت من اخطاء الامتحان ، وقدرت خطر المعلم والكتاب، لادت مهمتها فى بناء الشخصية المتفتحة للمعرفة ، المشوقة الى الوعى والاستنارة الطامحة الى زاد معنوى كريم ،وعندئذ تنجو وحدتنا الاجتماعية من التصدع بهذه الامية الفاشية التى اشاعت فينا ضحالة الثقافة وعامية التفكير ، حتى مايفرق بعضنا بين الدار البيضاء والبيت الابيض

التاريخ: ٣ / ١١ / ١٩٥٩

من ظلال الأزمة

الغزو الفكرى !

في مقالي عن ((الكتاب المدرسى)) اشرت الى صنيعه فى مسخ فضائل اجدادنا عرب الجاهلية ، وتشويه ماضيهم البعيد . وقد ذكرنى هذا المسخ بالعقدة التى ترهق نفوس الشباب بشعور النقص ، اثرا لغزو فكرى طويل المدى ...

ولا مفر لنا هنا من مواجهة واقع اليم ،وهو أن الكثرة المطلقة من شبابنا يظنون ان شرقيتهم سر تأخرهم ، وان الاتصال بماضى عروبتهم ليس الا رجعية تنحدر بهم الى قاع التخلف والانحطاط، ثم ما تزال هذه العقدة تلح عليهم حتى يروا أن لا سبيل الى البرء منها الا بالانسلاخ من شرقيتهم والتنكر لماضيهم، وهذا يفسر لنا ظاهرة الاسراف فى التشبه بالغرب ، والافتتان بتقليد مانستورد منه من مظاهرة وعادات ، ومن نظم وأساليب !

بقلم الدكتورة
بنت الشاطئ

ونحن نواجه هذه الظاهرة بالجزع حينا، وباللوم احيانا ،ويحاول المحاولون منا، بهذه الوسيلة او تلك ،أن يردءوا الشباب ويحملوهم على الاعتزاز بشرقيتهم وهى محاولة قلما تجدى، لانها قلما تلتفت الى اصل العقدة ،او تلتمس اسبابها العميقة الغائرة

التاريخ: ٣ / ١١ / ١٩٥٩

لقد لبث هذا الشرق احقابا ،يخضع لغزو معنوى منظم، عبثت له قوى الاقطاع الماردة ،واسلحة الاستعمار الخبيثة. وكان كل همها ان تعزل ابناءه عن ماضيهم وبترهم من اصولهم، فالحت على تاريخنا بالتشويه والتحريف والبتر، حتى استطاعت لمدى قرون ان تحجب اضواءه وتطوى مفاخره وتمسخ امجاده ،فعاشت اجيال منا فى عزلة رهيبة عن ماض لنا افر، اذهل الدنيا وبهر التاريخ ،ولم يعودوا يذكرون الا الاكذوبة الكبرى التى تزعم ان هذه الارض الطيبة قد اعتادت الاستعمار من قديم بعيد ،والفت تتابع الغزاة عليها من كل جنس وكل لون، مع ان التاريخ يشهد أن بلادنا لم تغب لحظة واحدة عن مسرح الاحداث ،ولم تذب شخصيتها يوما فى غاصب او دخيل بل كان الغزاة هم الذين ذابوا فيها، فلم يستقر باحدهم مكان هنا الا بقدر ما ادعى انه منا، والا لفظته الارض الطيبة بعيدا، فمضى مدحورا، وبقيت هى ملء الحياة وملء التاريخ !.

وطال علينا الامد ،وبيننا وبين ماضينا واصولنا، حجب متكاثفة واسوار عاتية ، حتى جاء العصر الحديث ،فارتبطت نهضتنا فيه بالغرب الجديد ،حين جعلت حملة ((نابليون)) التى وصلتنا بالغرب ،بدءا رسميا لعصر اليقظة ،وارخ المؤرخون بها ما يسمونه عصر النهضة الحديثة ،وراح الطلاب فى كل مدارس الشرق العربى ، يرددون ما يملا كتب التاريخ المقررة، عن دوى المدافع الفرنسية الذى ايقظ الشرق العربى من سباته الطويل وبهر عيون ابنائه باضواء الحضارة الغربية

وكان لذلك الربط المتعمد ،بين يقظتنا وبين الغرب، اثره القوى العجيب فى لفت ابناء الشرق نحو الغرب، وفتنتهم به ، وولعهم بتقليده

وبعض هذا كان ضرورة محتومة، بل كله كان مما لا غنى عنه، لو انه خضع لشىء من الضبط والتوجيه ،مما تقضى به ضرورة الحياة لبلد عريق ،لكن الموجه اكتسحت وادينا وباعدت بيننا وبين ماضينا ،او بتعبير ادق ،زادتنا بعدا على بعد ،فظللنا كما كنا ابان المحنة ،بمنأى من أصولنا ،وكل الفرق اننا فيما مضى كنا نخضع للغزو الفكرى غافلين مكرهين، اما بعد الحملة الفرنسية ،فقد غدا ذلك الغزو بارادتنا واختيارنا ومسعانا، وصرنا نحن الذين نتلهف على استيراد القيم والمثل والافكار والازياء وانماط السلوك، من العالم الغربى الذى عرف نقطة الضعف فينا، فراح يغذى ((عقدتنا)) بغذاء مسموم ويورد لنا بضاعة فكرية تفسد معنويات الشباب ويغزو عقله ووجدانه بعناصر التحلل والوهن ،فاذا جمهرتهم لا تعرف عن معارك الفتوح العربية الكبرى قدر ما يعرف عن مغامرات لصوص شيكاجو وغوانى مونمارتر وهوليوود

وتجمعت كل هاتيك الروافد لتستقبل الجيل الحالى ،صاحب الغد، فالفى نفسه مجذوبا الى الغرب ،بحكم رواسب موروثة فى اعماق كيانه ،وبحكم خضوعه لذلك الغزو الفكرى الطويل المنظم وكان علينا ــ لكى نقاوم هذه الجاذبية ــ ان نقضى اولا على هاتيك الرواسب قدر ما نستطيع، وان نعبىء قوانا لكى نهدم الاسوار التى عزلت شباب الشرق العربى من ماضيهم

ولكن ابناءنا لا يزالون ــ مع شديد الاسف ــ يخضعون لالحاح مستمر يؤكد عقدة شعورهم بالنقص، لانتمائهم الى آباء جحدت كل فضائلهم ،وشوهت آكثر مآثرهم

أبناؤنا يقراون اليوم ــ وهم فى مرحلة التوجيه ــ ان شجاعة اجدادنا العرب

التاريخ: ٣ / ١١ / ١٩٥٩

كانت سنها طائشا وحمقا اهوج ، وان اباءهم للضيم كان ستارا زائفا لحبهم للقتال: حرفة يحترفونها ويتمدحون بالفناء فيها ويتبرعون بها لاول داع، وان كرمهم كان تجارة بغيضة، لا يتورعون من الجهر بغير استحياء ولا مداراة بانهم يشترون بها حسن الذكر وطيب الاحدوثة !!.

وكان يجب ان نلقنهم ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعتز بنسبه في قريش وبامهاته في الجاهلية فيقول: « انا ابن العواتك من سليم » وان اجدادنا عرب الجاهلية ، هم هم آباء النبي المصطفى ، وآباء الصحابة الذين قهروا في أقل من ربع قرن ، اباطرة الروم واكاسرة الفرس!.

وبناتنا – في سن التأثر – يقرأن كتابا عن مراهقات امريكا، ويأخذن عنهن دروس الحرية والتمدن، وكان يجب ان نؤكد لهن أن مبادىء تحرير المرأة ، في جوهرها الاصيل، بضاعة محلية لهذا الشرق العريق الذي مجد انثاه من قديم العصور والاباد ، فالعشتار وايزيس ، ونوج بلقيس والزباء وحتشبسوت وكليوباترا وشجرة الدر . كان يجب ان نضع في ايديهم نماذج شرقية اصيلة، من منجبات العرب وصانعات تاريخه السياسي والروحي والادبي

اجل ، يجب أن نفعل شيئا ، لا لنقاوم به رواسب الماضي فحسب، ولكن لنحمي كذلك اصحاب الغد، من البضاعة الاجنبية التي لا تزال تغزو وجدانهم وعقولهم ، وتستخدم اسلحة بتارة ماضية

وما يضيرنا هذا في كثير ، لو استطعنا ان نضمن على الاقل ، تنبه « المدرسة » في المرحلة التوجيهية ، الى ما يتعرض له شبابنا من تلك المؤثرات الخارجية، وادراكها نصيبها من المهمة الصعبة الكبرى: مهمة تربية جيل واع، يعتز بعروبته ويرى في الاحتفاظ بشرقيته ، مظهر اصالة واعتداد بالذات .

التاريخ: ٨ / ١١ / ١٩٥٩

كلمة صريحة

رأى فى الصحافة

بقلم
دكتورة بنت الشاطئ

هل اشق على ((صفحة الرأى)) اذا انا رجوت أن تتسع لراى فى الصحافة ربما لا يرضيها ؟

انها تنشر كل يوم مختلف الاراء فى نقد جوانب شتى من حياتنا، فماذا عليها لو افسحت صدرها لهذا الراى الذى ينهم صحافتنا بانها تخلت عن دورها التقليدى فى التوجيه ، منذ صار كل همها أن تنقاد لما يطلبه القراء ، مهما يكن الصنف الذى يطلبون ؟ ! .

وانما اتجهت الى نشر هذا الراى ، لاجلو شبهة خيلت لبعض القراء ، انني بما كتبت عن « امية المتعلمين » القى على المدرسة وحدها عبء المسئولية عما يصدمنا من جهل المتعلمين وضحل ثقافتهم والواقع انى تناولت موضوع هبوط المستوى الثقافى من زاوية معينة ، فلم امسه الا من حيث صلته بالمدرسة ، أو بتعبير ادق ، من حيث بدت هذه الامية نتيجة محتومة لاوضاع مدرسية نشكوها، فى الامتحان والمعلم والكتاب واللغة

ولم يغب عن بالى قط ، وانا اكتب ما كتبت عن امية المتعلمين ، أن للصحافة صلتها بهذا الذى نشكوه ، ونصيبها من المسئولية عنه ، وذلك باعتبارها جهازا ثقافيا قوى النفوذ بالغ الخطر

وقد اتى على الصحافة حين من الدهر، انفردت وحدها بعبء تثقيف الشعب وتوجيهه ، ونشر الوعى بين افراده ، يوم لم يكن لدينا الا « مدرسة دنلوب » لتخريج موظفين يصنعهم المستعمر على عينه ، والا حفنة من مدارس الارساليات الاجنبية، موزعة فى انحاء الوادى المستباح تعلم ابناءه على هواها ، دون محاسب أو رقيب .

فى ذلك العهد الخالى، كانت الصحافة هى التى تحمل شعاع النور فى داجى الظلمة ، وعلى ضوء ذلك الشعاع، كانت الامة تتلمس طريقها الوعر ، نحو فجر جديد. والذين قراوا منا تاريخ الصحافة، يبهرهم الدور النبيل الذى قامت به فى معركة البعث ، يوم كانت المجال الفرد لاقلام اساتذة الجيل واعلام البيان وقادة الراى ورواد النهضة . فكان معلمو الشعب اذ ذاك ، هم كتاب الصحافة من امثال : محمد عبده وعبد الله النديم وعلى يوسف ومصطفى كامل واحمد لطفى السيد سعد الله فى عمره وداود بركات وجورجى زيدان ويعقوب صروف . ولم يكن من المستغرب ، أن يأخذ طالب العلم عن هؤلاء ، ما يصحح انحراف مدارس دنلوب والارساليات ، ويعوضه عن قصورها . وعلى ايدى اولئك الائمة والاساتذة الكبار ، تتلمذ جيل واع، ونبغ فيه نابغون كبار ، تلقوا ثقافتهم الخصبة ومعارفهم الواسعة ، عن الصحافيين والكتاب ، لا من « خوجات » المدارس النظامية

ثم حدثت التطورات التاريخية المعروفة فى حياتنا السياسية والاجتماعية والتعليمية ، فكان للصحافة دورها الفذ فى الثورة على رواسب الاقطاع وبقايا الاستبداد ، كما كان لها مشاركتها فى اكثر النهضات التى عرفها تاريخنا القومى المعاصر .

وما كانت الصحافة وهى مجال الدعوة لكل تطور وانتقال ، أن تجمد حيث كانت فلا تستجيب هى نفسها للتطور الحاسم الذى جد على الميدان الصحافى العالمى ، بل قضت عليها طبيعتها ان تساير كل مجرى مستحدث ، وهكذا رايناها تحتفل بالخبر والاعلان وتركز فيهما جهدها ، بعد أن كان « المقال » هو الذى يستاثر بكل ذلك الجهد ، فلا يدع لغيره الا الهوامش والحواشى والذيول

وشيئا فشيئا ، بدأ المقال يتراجع وينكمش ويتوارى ، وتتوارى معه اقلام الصفوة من ائمة البيان ، اذ لم تعد الصحيفة فى حاجة الى ذوى الموهبة البيانية ، قدر حاجتها الى ذوى الموهبة الصحافية والنشاط الاخبارى والاعلانى

وحين تحتفظ الصحف فى هيئة تحريرها ببعض أعلام الفكر والادب ، فانها تؤثر غالبا ان يكون لمقالاتهم الصفة الاخبارية ثم ان مكانهم يأتى حتما بعد الذين يزودونها بالخبر اللافت والاعلان الرابح

ولم يعد لمقال غير اخبارى ، ايا من كان كاتبه ، ان يطمع فى مكان بالصفحة الاولى او صفحتى الوسط

وهذا التطور فى الصحافة ، كان بلا شك تجديدا يساير روح العصر ويستجيب لنداء التطور ، وقد اجدى على حياتنا بما إثار فينا من اهتمام بالشئون العامة ، وتتبع لسير الاحداث ، واتصال بالعالم الكبير . كما اجدى على الادب نفسه ، بوصله بالحياة ، وتحريره من قيود الصنعة وبهارج الزخرف وسماجة التكلف ، وتخليصه من جفاف الالفاظ المعجمية المماتة ، وبما رفع عن اسلوب الاداء من اثقال الفضول والحشو واللغو ..

لكن الصحافة ما لبثت فى زمان الفترة الذى استغرق الربع الثانى من هذا القرن . ان تخلت - او تخلى اكثرها عن رسالتها فى التوجيه والتثقيف ، وذلك حين اضلتها الحزبية العمياء ، واتخذت من اكثر الصحف ، اداة تضليل للراى العام ، ووسيلة تشهير بالخصوم ، فانحط المستوى وتدهور الاسلوب ، حتى امسى اشبه بنباح الكلاب المسعورة . ثم لما حدث الفراغ اثر نجاتنا من التطاحن الحزبى المسف ، راحت الصحافة تلهث وراء الخبر المثير والمادة الرخيصة التافهة . ورصدت اكبر جهدها على التفنن فى عرض « الريبورتاج » اللافت بل الصارخ ، الذى يسلى القارىء بمغامرات الطبقة الفارغة اللاهية ، وفضائح المجتمع الماجن العابث فاذا لم تجد من هذه المادة المثيرة ما يكفى ، اتحفت القارىء باخبار تافهة عما اكل فلان وماشرب «علان» ، وعن جولات هذه وتلك ، فى الاسواق والحفلات

وتعتذر الصحافة بان جمهرة القراء بهذا الصنف من المادة الخفيفة المسلية ، وان الصحيفة - فى سباق التوزيع - مضطرة الى تملق اهواء العامة وارضاء عقلية الجماهير ، وتنسى انها هى التى اغرت القراء بذلك الصنف حتى ادمنوه فما عادوا يطيقون منه صبرا

وهنا نصل الى عقدة المأساة ، فالصحافة - لكى تروج - قد القت قيادها الى جمهرة من القراء لا يرضيهم الا توافه المثيرات ورخيص المسليات ، واذا حاولت بشىء من التضحية ، ان تمنع منهم البضاعة المرغوبة ، زهدوا فيها وانصرفوا عنها فذهبت تضحيتها عبثا

والاصل فى المجتمعات الديمقراطية ان تكون القيادة للجماهير ، على ان يتولاها منهم أهل الخبرة وذوو الاختصاص ، تبعا لمقتضيات توزيع القوى وتنظيم الجهود . وهؤلاء القادة ، فى اى مجال ، ليسوا اجانب غرباء ، وانما هم الصفوة الموهوبة من صميم الشعب . فاذا نحن رجونا ان تأخذ الصحافة مكانها التقليدى فى قيادة الراى ، فليس هذا بدعا فى النظم الديمقراطية ولا هو ببعيد من روحها ، لانه لايعدو ان يكون نوعا من التنظيم والضبط ، على غرار مانفعل فى شئون السياسة والاقتصاد والدفاع والقضاء وكل الشئون الاخرى ، حين نعهد بادارتها العليا الى قادة من الخبراء

لكن الصحافة - من ناحية اخرى - لن تصلح لهذه القيادة ، بل لن تكون اهلا لها ، الا حين تدرك ان دورها فى معركة البناء ليس اهون ولا اقل خطرا من الدور المشهود الذى كان لها فى معركة البعث . واذ ذاك لن يهون عليها ان تشغل الصفحات الغالية التى نحتاج الى كل سطر فيها للتوجيه والتثقيف ، بقصص تنقلات الغوانى بين الرجال ، ومغامراتهن فى صيد الجيوب والقلوب ، بل لن يهون عليها ان تستنفد جهد مندوبيها فى التقاط الاخبار الشخصية الهزيلة ، عما نأكل وما نلبس !

وانما يعظم رجاؤنا فى الصحافة ، بقدر ما نتمثل من قوة سلطانها ونفوذ كلمتها ، وقدرتها على ان تخلق رأيا عاما مستنيرا ، يطلب من صحيفته ان تأتيه بالخبر الهام لا التافه المثير ، ويأبى عليها ان تبدد طاقتها الفذة ، فى ابتداع وسائل التسلية الرخيصة والترفيه الهزيل ، ونحن نصارع من اجل الوجود الواعى الكريم ، ونطمح الى ان يكون لنا مكان فى عصر غزو الفضاء !

★

بنت الشاطىء

التاريخ: ١٧ / ١١ / ١٩٥٩

كلمة صريحة

المرأة في الأزهر



بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

منذ ايام ، نشرت هذه الصفحة كلمة صريحة لفضيلة الشيخ الشرباصي ، طالب فيها بتعمير حي الازهر ، وانكر الاطار الشائه الذى يحيط بالجامعة الاسلامية العريقة .

وبعده بقليل،قرانا هنا كلمة لفضيلة الشيخ سرور ، عن النهضة العمرانية التى بدات حول الازهر ، وعن النهضة العلمية فى اصلاح مناهجه .

ووراء هذين ، التعميروالمناهج ، جانب آخر مغفل لم يظفر بالتفات .

وهذا الجانب فيما اقدر ، اولى بالعناية والاهتمام ، لانه الجانب المعنوى الذي يتصل بالعقلية والروح والجو ..

وأقول الحق ، انني ما فكرت قط فى ان اقحم قلمي فى هذا الموضوع من قريب ولا من بعيد ، لا اتقاء لحرجه فحسب ، ولكن لانى اعرف كذلك ان القوم تضيق صدورهم بما لم يضق بمثله صدر امير المؤمنين « عمر بن الخطاب » يوم راجعته امراة فى موقفه من مهور النساء ، فعاد الى المنبر ليقول كلمته الخالدة التي بقيت ملء سمع الزمان : اصابت امراة واخطا عمر ..

واقول مع ذلك انني لا ادعى الصواب لراى ابديه ، وانما هى كلمة اراها مما يجب ان يقال ، بعد ان القت بي الظروف فى صميم المعركة ، وحملتني حملا على ان اكتب فى هذا الموضوع الذى لم اتجه اليه من قبل .

والامر وما فيه ، انى دعيت لاشترك فى افتتاح موسم المحاضرات بقاعة الجامعة الازهرية ، بكلمة عن حيرة الشباب .

وسعيت الى هناك ، وكانما اسعى الى بيت نشات فيه ، فلفتني اول ما لفتني ، هذه الالوف التى احتشدت فى القاعة هناك حتى ضاقت بهم على سعتها ، فلم اشك فى أن اكثر هؤلاء انما جاءوا ليتفرجوا على ما حسبوه ظاهرة تطور وتجديد فى هذا المجتمع المحافظ اشد ما تكون المحافظة ! .

ثم كانت المفاجاة ، أن تقدم الى ، احد الشيوخ الاجلاء برجاء رأنى اهلا له ، وهو أن انسحب من الموقف حتى لا تكون سابقة ، هى عند رجال الدين بدعة منكرة ، ياباها الاسلام وتاباها تقاليده ! .

ووجدت من حق الاسلام على ، الا استجيب لهذا الرجاء ، فما سعيت الى الازهر الا وانا اعرف تماما ، انني انما اقفو اثر اناث كريمات ، سبقنني على ذلكم الدرب ، وعرف لهن تاريخنا الفقهي واللغوى آثارا باهرة السنا ماكان يمكن أن تنسى،لولا موجة الظلام التي اجتاحت هذا الشرق الاسلامي وجثمت عليه حينا

التاريخ: ١٧ / ١١ / ١٩٥٩

من الدهر ،

ويقولون بدعة ! .. بدعة ان تقف مسلمة على منبر الجامعة الاسلامية العريقة ؟ هكذا هى فى حساب من جهلوا تاريخنا ، ولو قد عرفوه حق معرفته ، بل لو عرفوه بعض معرفته ، لبهرتهم فيه اسماء لامعة ، لمسلمات بلغن مرتبة المشيخة فى الفقه والحديث وعلوم العربية ولادركوا ان ما نحسبه اليوم جديدا طارئا ، ليس الا ومضة مستعادة من نور ماض لنا اغر مجيد ..

وما هنا مجال النشر لهذا التاريخ المطوى ، وانما يكفينى ان اذكر ان من الالقاب العلمية التى ظفرنا بها : الاصيلة الثقة ، والمحدثة الحافظة ، وتاج الفقهاء ..

فواعجبا ! فى القرن التاسع الهجرى كانت بنت شيخ الاسلام تتصدر مجلس الرواية وتجيز من تراهم اهلا لها من الرجال والنساء ، واليوم مايزال يحرم علينا باسم تقاليد الاسلام ، ان نفقه الاسلام ، مايزال يحال بيننا وبين هذه الجامعة الدينية ،ويظن ان مجرد وقوفى على منبرها بدعة او تجديد ! .

بدعة ان ندخل الجامعة الاسلامية ، على حين يؤذن لنا ان نتعلم فى معاهد رسمية للرقص والسينما والتمثيل ! !

وأريد اليوم،ويريدمعى كل الحريصين على صحة عقيدتهم ، ان يعرفوا بالضبط اين وجه المنكر فى هذا ، وان يستبينوا من أين ياخذون مثلهم وتقاليدهم واعرافهم ، وان يميزوا بجلاء ، حدود ماهو مباح فى الشرع وما هو غير مباح ، فالامر قد اختلط علينا وتشابه : فما كان منذ ستة قرون يباح لبنت شيخ الاسلام ، صار اليوم فى عصر غزو الفضاء ، بدعة وتاباها تقاليد الاسلام !

وشيوخنا الاجلاء ، لابد قد سمعوا ان المسلمة اشتغلت سمسارة ، ومضيفة بالفنادق والطائرات ، وساقية بالمشارب والملاهى الليلية ، وعارضة ازياء . .

ولو كانوا قد رأوا فى هذا ضيرا على الاسلام وتقاليده ، لاعلنوه على الاقل ، بالقلم واللسان ، وهذا اضعف الايمان ، لكن سكوتهم عليه معناه ان لاضير على الاسلام من اشتغال بناته بمثل هذه الاعمال ، لكن الدنيا تزلزل زلزالها ، اذا طالبت مثلا بان احاضر بالجامعة الازهرية فى مادة تخصصى وهو التفسير البيانى للقرآن الكريم ؟ ويطير النوم من جفون حماة الاسلام ، لو طالبت زميلة اخرى بمنصب القضاء !

ثم هل لى ان اسال : اين ائمتنا الروحيون من هذا الجيل الحائر الذى تلفه دوامة الاعصار المارد ، فى زمان غزا الانسان فيه القمر ، وسخر الاثير وطير الفولاذ ،وابرأ الاكمه والابرص ، ورد الاعمى بصيرا والمقعد قائما والاصم سميعا ؟ الا يحسون ان الشباب فى حاجة الى من يفسر لهم هذا الموقف ، تفسيرا يعصمهم من لوثة الشك ، ويحمى ايمانهم من الزيغ والضلال ؟ /

بل اين هم ، من تلك التيارات العنيفة الصاخبة التى تغزو عقول الشباب ووجدانهم ، وقادتهم الروحيون فى عزلة عنها وعنهم ، مكتفين ببقايا من سلطة مرهوبة ، يحللون بها ويحرمون ، ويمسكون فى ايديهم مفاتيح رحمة الله وغفرانه ، من شاءوا اعطوه ومن شاءوا حرموه ، والله وحده يدرى اين يضع رحمته ، وهو سبحانه ، ((لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء)) !؟

وما لمثل هذا وجدوا ، وانما وجدوا ليكونوا رعاة هادين ، يعطفون على الشاردة من القطيع ويرفقون للضالة ويفتقدون التائهة ، واطباء روحيين ، يعالجون مرضى النفوس بالعطف والتسامح ، لا بالرجم والكفير ، والنبذ والازدراء . . .

واعود على بدء ، فاقول ان الازهر بطبيعة كونه بيئة دينية ، مرجو لان يؤدى رسالة الدين الكبرى فى هداية الحائر وارشاد التائه واصلاح المجتمع ، وليس من هذه الرسالة فى شىء ، ان يصد رجاله المسلمات عن الجامعة الاسلامية

فمتى نسمع ان ائمتنا الشيوخ ، قد صحت عزيمتهم على ان يتصلوا بالحياة فى مجالها الرحب ومعتركها الصاخب ، وان يفهموا طبيعة البشر ونوازع الفطرة واحتكام الغرائز وسلطان التطور وجاذبية الجديد ، فيروضوا الناس على هدى دين الفطرة ، رياضة تحترم البشرية ولا تجردها من اهوائها ، لكنها فى الوقت نفسه تستثير اعمق وانبل ما فى فطرتها من نزوع الى الخير ، واستشراف للعظمة ، وقدرة على النضال ، وطموح يعرج بها الى اعلى الافاق ، الى حيث تكون اهلا للمنزلة السامية التى كرم الله بها البشر ، حين امر الملائكة ان يسجدوا لآدم ! ؟

متى نسمع انهم لم يعودوا يرون فى دخولنا الازهر ، طالبات او محاضرات او مدرسات ، الا احياء لسنة كريمة وتقاليد صالحة ؟ !

ام ترى منهم من يضيق صدره بهذا الكلام ويعده خطا كبيرا وذنبا لا يغتفر؟ اذ ذاك لا املك ان اتلو فيهم الاية الكريمة:

((قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا ، انه هو الغفور الرحيم)) !

بنت الشاطىء

التاريخ: ٢٤ / ١١ / ١٩٥٩

آراء للمناقشة حول المرأة في الأزهر

الذين علقوا على مقال « الدكتورة بنت الشـاطىء » عن المرأة فى الازهر، سوف يلتمسون لنا العذر فى تلخيص ردودهم وتعليقاتهم، اذا نحن ذكرنا لهم انها بلغت بضع عشرات ، من بينها ما يملأ ست صفحات وسبعا

معارضون :

ونبدأ بتلخيص اقوال المعارضين لانهم قلة . فمنهم الشيخ عبد الرحيم فوده الذى يرى فى مقاله ان عـرض الدكتورة للموضـوع ، فيه شىء من مجافاة الحق وكان يود « لو انها تلقت هذه الظاهرة بروح رياضية عالية ، وبخاصة عـنـدما رأت صـدور الحاضرين تتفتح لها ،واكفهم تضج بالتصفيق والترحيب لمقدمها .ثم ان الشـيخ الغـاضب لم يعترض على ظهورها غير محجبة ، اما ما كان من امر الجمهرة فى الوقوف معها ومناصرتهم لها، فلم يكن لتغطية خطأ وقـع فيه فضيلة الشيخ ، بقدر ما كان تغطية لخطأ وقع فيه المسئولون من الازهـر مـن حيث يشعرون او لا يشـعرون . اما ما قالته الدكتورة ونقلته من امثلة لنساء بلغن مرتبة المشـيخة فى الفقـه والحـديث والعربية ، فليـس جديدا على الازهريين وانما الجديد عليهم ان تتهمهم سـيدة بانهم يمسـكون بايديهم مفاتيح الرحمة ؛

ثم يقف واحد منهم ـ يشغل منصـبا كبيرا فى الازهر ـ فيعقب على كلامهـا بما يرضيهـا ويغضب الدين والتاريخ والازهر . والجديد كذلك ان يروا صفا من الحسـان الانيقـات الرشـيقات ، يجلسـن فى المقاعد الامامية بقاعة المحاضرات الازهرية .

« ولو تذكرت الدكتورة ان القضاة فى انجلترا يضـعون على وجـوههم لحى مسـتعارة ، وعلى رءوسهم تيجانا من ريش منفوش ، لخففت كثيرا من حدتها وحملتها على الحائطين ، بل لو عـرفت ـ وقد عرفت ـ ان الشـيخ ابو العيون ، كان يريد ان يحييها بأسلوب مهذب جميل : ويثنى عليها اطيب الثناء ، لترددت فى ان تكتب كلمة تجرح بها شعور من حيوها احـسـن تحية ، ولقوها اجمل لقاء »

والاستاذ عبد المنعم النمر ، يأسـف كذلك لان سيدة فاضلة ، لها مكانتها فى قلوب الازهريين ، ولها دورها فى قيـادة بنات جنسها ، اساءت الظن بموقـف

الشيخ ابو العيون ، فما اراد الا ان يقول كلمات كلها تقدير لبنت الشاطىء ثم يرجوها ان تقبل شاله الكشميرى لترتديه على المنبر الازهرى ؛ وكان بذلك يؤدى واجبا عليه ، فهل يستحق مثل هذا التهجم المبنى على غير حقيقة ؟

ويمضى الكاتب فيقول انه كان ينتظر من السيدة الفاضلة ، وهى بنت عالم فاضل ، ان تقدر هذا الموقف ، والا تتجنى على الازهر فتتهمه بجهل مكانة المرأة فى الاسلام ، وهى تعلم ان فى الازهر ملفا ضخما يحمل عنوان (المعهد الازهرى للفتيات) ينام منذ سنين ، ولم يمنع ظهوره الا عدم حصول الازهر على الامكانيات المادية اللازمة له ، ولو اتيح له المال اللازم لافتتاحه ، لكان الان حقيقة واقعة ، ولكانت الدكتورة بنت الشاطىء احدى دعائمه . « اما الفساد الذى تموج به الشوارع والمجتمعات ، فقد ادى علماء الازهر ما فى استطاعتهم من النصائح والتوجيهات والنقد ، وطالبوا بالقضاء على هذا الفساد ، فما ذنبهم وقد بحت حناجرهم ونفدت وسائلهم التى يملكون ؟ »

والشيخ فؤاد محمد الجبالى يتحمس فى انكاره ، ويتساءل : اين المفاجأة فى موقف الشيخ المحافظ ، والسيدة الفاضلة تعرف رأى الشريعة فى تحريم اختلاط المرأة بالرجال ، وان تبدى زينتها امام الاجانب عنها ؟ واذا كانت احدى الشيخات المحدثات قد خرجت على هذا ، فذلك حجة عليها لا على الدين ، « وان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر » .

اما ان امرأة عارضت عمر رضى الله عنه ، فقد كان ذلك فى المسجد ، حيث للنساء مكان خاص بهن يؤدين فيه صلاتهن دون ان يختلطن بالرجال او يظهرن عليهم

واضاف السيد ، ان صوت المرأة . لا مانع من سماعه اذا كانت هناك ضرورة ولكن ، حتى الصوت الذى هو اخف منعا من الرؤية ، مشروط بان يؤمن ضرره ، فان لم يؤمن ذلك الضرر ، لم يجز للمرأة ان يسمع صوتها اجنبى عنها !

مؤيدون ..!

وهم كثار ، وبخاصة من شباب الازهر وطلابه ، نذكر منهم : طلاب كلية اللغة العربية ، والسادة محمد رزق الخطيب ، ومحمد عبد اللطيف ، ومصطفى محمود بربع ، وعبد الله مصلح ، وطالبه بقسم التدريس بالازهر ، والشيخ جميل احمد غازى ، والسيد احمد فرج عبد الفتاح وعدد من الطلاب الشرقيين بالازهر ..

وهؤلاء جميعا يحيون الدكتورة فى موقفها الذى نافحت فيه بشجاعة وايمان ، عن حق المرأة المسلمة ، ويؤيدونها فى ثورتها على الجمود ، الذى يشمل تفكيرنا ويعوق خطانا . وهم يرون فى بنت الشاطىء ، مثلا كريما للسيدة الشرقية المسلمة ، اذ تؤكد بشخصيتها وسلوكها وثقافتها ؛ ان المرأة الجديدة تستطيع ان تبلغ غاية التحرر ، وتظفر باعلى الدرجات فى الحياة العلمية والادبية ، دون ان تنسلخ من شرقيتها او تتحلل من تقاليد قومها .

ويعض هؤلاء المؤيدين ، يعجب للكلام الان فى — الحجاب — والجدل حوله ، وقد كانت السيدة المحاضرة ، محجبة فعلا ، فى ثوبها الاسود السابغ الساتر ؛ وعلى رأسها وشاح خفيف ألم العارضين ام يروه من بعيد ، ثم — وهذا هو المهم — لا زينة ، ولا تبرج ، ولا عطر ؛ ولا اصباغ ! فهل يمكن ان نطمع فى اكثر من هذا الحجاب فى زمان كهذا الزمان ؟

وشيخ جليل « من هيئة كبار العلماء » يسأل زملاءه « اين فى بناتنا مثل الدكتورة بنت الشاطىء ؟ اليس من سوء الحظ الا يغضب غاضب لتقاليد الازهر الا مع سيدة يعتز الازهريون بانتمائها اليهم ، ويغتبطون لاعتزازها بنسبها فيهم اليس من سوء الحظ ، الا تقوم قيامة الغاضبين للاسلام ، الا مع سيدة مثلها ، لم تر يوما متبرجة ، ولا شوهدت مرة مبدية زينتها ، ولا عرف عنها انها خرجت الى الناس فى زى غير محتشم ؟

التاريخ: ٢٤ / ١١ / ١٩٥٩

« بل اليس من عثرة التوفيق ، ان يكون فينا من لا يرى فى دخولها الازهر كسبا له ، وظاهرة بعث لحيويته ، وهى التى خدمت الاسلام كما لم يخدمه سواها وشغلت نفسها بما لم تشغل به بنات العلماء ، من التفسير الادبى للقرآن الكريم وقدمت الى المكتبة الاسلامية ، الكتاب الوحيد عن « ام النبى » وعن « بنات النبى » الى جانب كتبها الاخرى عن سيدات الاسلام : نساء النبى ، وزينب بنت على ، وسكينة بنت الحسين ؟ انما تستحق سيدة كهذه ، ان يمنحها الازهر درجة فخرية ، تقديرا لجهودها العلمية

، خدمة الثقافة الاسلامية ، وحثا لبنات هذا الجيل ، على ان يقتدين بها ويسرن على خطاها ؟ »

كلمة اخيرة !

وبقيت كلمة للدكتورة بنت الشاطىء نرجو ان تحسم الموقف وتنهى المناقشة:

« اما عتاب الذين غضبوا لما حسبوه تجنيا منى ، فعلى العين والراس . ولهم العتبى حتى يرضوا . والذى يبدو لى، ان التوفيق خاننى فلم احسن التعبير عما اريد ، بدليل ان قوما اساءوا فهم ما قلت ، فحسبوه تهجما على البيئة الكريمة التى نشأت فيها ، ومعاذ البر والوفاء ان افعل ، ومعاذ الرشد ان اتجنى على ناس انا منهم :

* فاذا رميت يصيبنى سهمى *

ووالله ما اردت بشىء مما قلت ، الا الرد على القلة التى زعمت ان موقفى على منبر الازهر بدعة من البدع ، وخروجا على تقاليد الاسلام ، ورأت — حتى فى الصوت — عورة ، ونحن فى زمان نسال الله فيه الستر لبنات الجيل ، ونحمده تعالى اذا وفقهن الى ان يفهمن من الحجاب الاسلامى معنى التصون والاحتشام ، والبعد عن مواطن الشبهات وان يفهمن من حرية المراة ، انها عزة وكرامة ووعى ، وليست زيا انيقا او — تسريحة — عصرية ، او تفننا فى طلاء الوجوه بمستحدثات التجميل

كذلك اردت ان الفت الى مكانة لنا فى تاريخ العربية والاسلام ، ربما جهلها كثير ممن يتصورون ان الدين اراد بحجاب المراة وادها معنويا ونبذها اجتماعيا ، وعزلها عن الحياة العامة .

واود بعد هذا كله ان اؤكد للعاتبين الكرام ، اننى ماغضبت من الشيخ الجليل الذى اراد ان يكرمنى باهدائى وشاحه، وان اعتذر كذلك عما لم اقصد اليه قط من تجن على قوم رحبوا بى اجمل ترحيب ولقونى احسن لقاء ، وما كان حماسى الا دفاعا عن حق لنا سلبتنا اياه الرجعية الظالمة ، والا انفعالا بما ارجو للازهر الشريف من النهوض بالرسالة الكبرى فى القيادة الروحية ، وفى اصلاح الحياة بالدين ، فاذا كنت لم احسن الابانة عن هذا فمعذرة .. وسلام على من اتبع الهدى » .

بنت الشاطىء

التاريخ: ٢٦ / ١١ / ١٩٥٩

رواسب اقطاعية
.. في دراسة الأدب
مناقشات حرة



بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

في جهادنا الاكبر ضد الاقطاع والاحتلال ، شغلنا عن الالتفات الى رواسب اقطاعية من مخلفات عصور المحنة ، فتركناها حيث هي ، متغلغلة في اعماق وجداننا العام ، مسيطرة على عقليتنا وتفكيرنا ، محتكمة في نظرتنا الى الحياة . وكلما طال عليها المدى، ازداد تأثيرها فينا عمقا ، حتى غلبتنا على امرنا فلم نعد نطيق المساس بهذه الرواسب المشئومة .

فدراسة الادب عندنا مثلا ، لا تزال تعيش في الجو الاقطاعي وتتنفس هواءه السام ، وتخضع لسيطرته القاهرة .

وبحسبي أن أذكر هنا — وليس المجال ذا سعة — انها تحتفل بأدب البلاط الذي نشأ في ظل الحكم الاستبدادي المطلق ، وتخضع في أحكامها ومقاييسها النقدية ، لمقررات قديمة ، استمدت نفوذها من ممالأة الطغيان. فاعلام الادب الذين يظفرون اليوم بعنايتنا وتمجيدنا واكبارنا ، هم الذين باعوا ضمائرهم لذوي الجاه والسلطان ، وتنازلوا عن كرامتهم الانسانية اجتلابا لرضا الحكام واستجلابا لعطاء الاغنياء واتقاء لجبروت الطغاة ، وهم هم الذين استغلوا الادب ابشع استغلال ، فسخروه للتغرير بالعامة وتضليلها ، واقناعها بأن ليس في الامكان ابدع مما كان ..

ولمن شاء أن يفتح كتاب الادب والنصوص للمدرسة الثانوية ، فسيرى أن ابناءنا في مرحلة التوجيه ، ملزمون بأن يحفظوا لشعراء البلاط في العصر الاموي ، قصيدتي مدح للاخطل في عبد الملك بن مروان وفي الحجاج ،وأربع قصائد لجرير ، منهما اثنتان — وكأن واحدة لا تكفي — في مدح الحجاج ، وثالثة في مدح عبد الملك ورابعة في مدح ابنه هشام ، ثم قصيدتين أخريين للفرزدق ، في مدح عبد الملك وابنه الوليد !!

التاريخ: ٢٦ / ١١ / ١٩٥٩

وافهم أن نعتنى بدرس أمثال هاتيك النصوص ، لطلاب التخصص فى الادب العربى بالجامعة ، لنلفتهم الى انحراف الشعر عن منهجه القديم فى خدمة الجماعة ممثلة فى القبيلة التى كانت الوحدة السياسية والاجتماعية فى العصر الجاهلى ، واتجاهه الى خدمة الحكام ، تأثرا بالتطور السياسى الذى صار به الحكم فرديا مطلقا . لكنى لا افهم كيف نفرض على أبنائنا فى المدرسة الثانوية هذا الاحتفال البالغ بقصائد المدح التى لا تصدر عن اعجاب بالممدوح ، وانما تستجدى عطاءه أو تتقى غضبه . لا أفهم كيف نلقنهم الحكم التقليدى بعظمة جرير والاخطل والفرزدق ، ثم نستشهد لهذه العظمة ، أو نربطها بنصوص كهذه ، تدور فى فلك الحكم الفردى وتتبارى فى مدح أقطابه . وتخلع عليهم من الصفات ما يجاوز قدر البشرية . ولو كان لهذه النصوص ، قيمتها الفنية ، لقبلنا وفهمنا وعذرنا ، لكنى لا أدرى حتى الساعة ، أين مجد الشاعرية فى مثل قول « الفرزدق » لعبد الملك :

ما تنه عنه فانى لست قاربه
وما نهى من حليم مثل تجريب
وما يفوتك شىء أنت طالبه
وما منعت فشىء غير مقروب

فلماذا بالله نصدع رءوس الشباب بمثل ذلك الكلام ، واى خير نرجوه من تلقينهم فى هذه المرحلة الغضة من العمر ، ادب الاستجداء الرخيص الذليل ، ونضع امامهم هذا المثل غير الكريم ، لمجد شاعر ذائع الصيت؟

واسمعوا الشعراء الذين نسميهم كبارا يتنافسون على تمجيد جبروت « الحجاج » وبطشه ، وقذفه الكعبة الحرام بالمنجنيق

فيقول جرير :

لقد جرد الحجاج بالحق سيفه
لكم ، فاستقيموا لا يميلن مائل
لقد جهد الحجاج فى الدين واجتبى
حبا لم تعله فى الحماس الغوائل
اطيعوا فلا « الحجاج » مبق عليكم
ولا جبرائيل ذو الجناحين غافل !

وهذه أبيات نحسب ، من قصائد طوال عراض ، تملأ الصفحات ذات العدد من كتاب السنة الاولى الثانوية ، ويتعلم بها ابناؤنا ، كيف يتاح للشعراء ان يظفروا بالمجد والخلود !!

واليكم مثلا آخر من رواسب الاقطاع ، فى دراسة الأدب العربى [illegible]

ان طلابنا قد يغفر لهم ان يجهلوا اى شىء فى تاريخنا الادبى ، الا امامة « المتنبى » لشعراء العربية ، وقل فينا من يلفتهم الى أن هذا الامام المتبوع ، طاف ببضاعته متنقلا من بلاط الى بلاط ، يبيعها لكل من يدفع الثمن الذى يرضيه : رفع « سيف الدولة » الى السماء ، فلما لم يسعفه بما شاء من عطاء ، هجره الى « كافور الاخشيدى »

ثم لبث ملازما لكافور ، يغنيه وهو يأكل ، ويطربه وهو يشرب ، مستجديا - فى ذلة وهوان - فضل كأسه ان كان فيها فضل

ثم لما لم يرضه ، هرب من مصر وهو يلعن كافورا ، ويلعن مصر وأهل مصر !

وكان - وهو بمصر - نظم قصيدة فى أحد كبارها ، « جعفر بن الفرات » ثم تلبث برهة ينظر الى « جيبه » ويحصى عطاياه ، فلما استقله ، لم ينشده القصيدة ، بل ابقاها فى خزانته حتى اذا توجه الى بلاد فارس ، باعها لابن العميد بثلاثة الاف دينار

ويروون أنه أراد دخول المغرب ليمدح المعز الفاطمى ، وكان « الحسن بن هانىء » شاعر بلاطه ، فلما سمع باقتراب المتنبى خاف على مركزه ، فخرج له متنكرا فى زى اعرابى فقير على راحلة هزيلة ، وامامه شاة عجفاء ، فلقيه قرب « قابس » فسأله المتنبى : من أين اتيت ؟ اجاب : من عند الملك . قال له : فيم كنت عنده ؟ اجاب : امتدحته بهذه الابيات ، فاجازنى هذه الشاة - وانشده قصيدة من روائعه - فأمر المتنبى بتقويض خيامه ، وكر راجعا وقد اقسم الا يمدح ملكا ، هذه جائزته على هذا الشعر ! »

وهكذا لم يكن الشاعر يمدح بوحى العاطفة او دفع القلب ، ولا يصف فى الممدوح جمالا يراه او عظمة يقدرها ، وانما يعالج الشعر من حيث كونه مكسبا للرضا ، موصلا الى العطية ، فاتحا لخزائن الرازقين !

وعبثا نحاول ان نغرى القوم باعادة النظر فى هذه المناهج الادبية والموازين النقدية العتيقة ، بل عبثا نحاول أن نرجوهم ابعاد هذه المثل اللئيمة عن ابنائنا فى سن التأثر ومرحلة التوجيه ليستبدلوا بها مثلا اخرى كريمة ، للادب الاصيل ، والادباء الذين عاشوا كراما امناء ، يؤدون رسالة الفن العليا ويقدسون حرمة الكلمة وجلال البيان ، فلقد سيطرت تلك الرواسب الاقطاعية على عقلية الكثرة من مؤرخى الادب عندنا ودارسيه ، حتى ما عادوا يطيقون ان يسمعوا رأيا جديدا فى مخلفات موروثة انحدرت الينا من عصور المحنة المزدوجة : محنة الادب بالحياة المريضة ، ومحنة الحياة بالادب المريض !

اقول هذا ، وما ارتاب فى أن صحيفة الرأى سوف تعانى ارهاقا مضنيا ، من حملات قراء ينكرون أن نقول فى تاريخنا الادبى غير ما يقولون ، ويستفظعون منا ان نمس مقدسات لهم ، ليست - فى راينا - غير رواسب اقطاعية من عصور غبراء !

بنت الشاطىء

التاريخ: ٢٧ / ١١ / ١٩٥٩

المرأة فى الأزهر

أومن بأن التمسك بأهداب الدين هو غاية الكمال والجمال . كما اومن بأن الدين يسر لاعسر ، واننا يجب ان نوائم بقدر المستطاع بين حياتنا الحاضرة وتعاليم ديننا . وقد حفزتنى للكتابة فى هذا الموضوع تلك الرسالة العجيبة الغريبة . التى تلقيتها من الطالب عبده احمد الزينى بكلية اصول الدين : ينعى فيها على الدكتورة عائشة عبد الرحمن انها وقفت تحاضر فى الازهر سافرة ، بل رفضت الدثار الذى تقدم لها به الشيخ ابو العيون لكى تغطى به رأسها ، فانصرف واشياعه ساخطين !

ادهشتنى هذه الرسالة ، بل اغاظتنى . ولم اشأ ان ارد عليها قبل ان استمع الى راى الدكتورة بنت الشاطىء فى هذا الموضوع .. واليك ردها

« كنت يومها ارتدى الثياب السوداء ، طويلة الاكمام ، مقفولة الرقبة . وكنت كعادتى بغير زينة ولا تبرج . وكان على رأسى « فوال » خفيف لعل الاستاذ لم يره . وليس على وجهى أصباغ ولم استعملها قط . وكم اتمنى ان يكون هذا هو زى بنات رجال الازهر مثلى فى هذا العصر ، سواء فى حرم الازهر او خارجه ، لان الاسلام لا يبيح للمسلمة ان تتبرج خارج الازهر ، وان تكون محجبة فى داخله . وانما الحجاب الاسلامى فى تقديرى هو احتشام وتصوف ، وبعد عن كل ما يثير الريبة . كما اتمنى لبنات الازهريين مثلى ان يشغلن بما اشغل به من دراسات دينية ، ونشر للثقافة الاسلامية ، وكتابة المؤلفات عن السيدات الكريمات من بيئة الرسول ، كما كتبت عن نساء النبى وبنات النبى وام النبى والسيدة زينب بنت على والسيدة سكينة بنت الحسين » الى هنا انتهى رد الدكتورة بنت الشاطىء، ولى كلمة اود ان أقولها لرجال الازهر الشريف ..

« تطلعوا الى تطور الحياة . ولا تتمسكوا بالمظهر دون الجوهر ، واجعلوا من ديننا السمح قبسا يضىء القلوب بالايمان ، وليس احكاما جامدة مستحيلة التحقيق عسيرة الفهم

سكينة

التاريخ: ٣ / ١٢ / ١٩٥٩

رواسب اقطاعية

في الأحوال الشخصية



بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

كلمة صريحة

من زمان ، ايام كان المجتمع العربى يرزح تحت ضغط النظام الاقطاعى والحكم الاستبدادى ، سخر الطغيان جنود الرجعية ليعبثوا بمقومات الامة ، وكانت « الاسرة » هدفا اول لهم ، باعتبارها روح المجتمع ، والوحدة الاساسية فيه .

وفى ظل ذلك الاقطاع المستبد ، وضعت احكام للاسرة ، عبثت بكل حرمة لها ، ومزقتها شر ممزق . وما تزال بقايا من هذه الاحكام تتحكم فينا ، وتسل كل محاولة لحماية الاسرة والمجتمع .

ذلك لانهم استغلوا اسم (الدين) فى هذه الاحكام ، وزعموا انها مستمدة من الشريعة الغراء .

ولا اريد أن ادفع هذا بالمبدأ المقرر فى اصول الفقه ، وهو أن مقاصد الشرع مناطها المصلحة .

بل لا اريد كذلك ، ان اذكر الناسين منا ، بان روح الدين لايمكن ان تجافى روح العصر ، اى عصر ، أو تنافى مقتضيات التطور

وانما أريد أن انظر فيما يسمونه « الاحوال الشخصية » من الوجهة الدينية الخالصة ، واردها الى الله تعالى ورسوله الكريم .

اريد أن اسأل : اين حدود الله في هذه الاحوال التي صارت ذريعة فساد ، ومعول هدم ، وأداة تخريب ؟

اين حدود الله في معاشرة تقوم على الاكراه ، وفي طلاق يساء استعماله فيخرب البيوت ، وفي حضانة تشرد الصغار الابرياء وتقذف بهم الى الهاوية ، وفي « محلل » صورى يحلل ماحرم الله ؟

والسؤال الاول هو : هل تشريع الاسرة في الاسلام ، يمكن ان يدخل في نطاق الاحوال الشخصية ، بما تدل عليه من كونها متروكة للاعتبار الفردى الخاص ؟

الذى أعلمه أن الشريعة السمحة ، حين اهتمت بالاسرة ذلك الاهتمام البالغ ، أخرجتها من هذا النطاق الشخصى ، فلم تترك شئونها لهوى الافراد وتصرفاتهم ونزواتهم ، بل سنت لها الاحكام التى تنظم أحوالها ، فلم تغادر صغيرة ولا كبيرة من تلك الاحوال الا جاء بهما حكم صريح في الكتاب الكريم . وقد سمى القرآن هذه الاحكام « حدود الله » ثم قال : « ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه »

وفرق بعيد ، بل شاسع البعد ، بين المصطلح القرآنى لاحكام الاسرة : « حدود الله » بما يضفى عليها من حرمة ومهابة وجلال ، يصونها من العبث والانتهاك ، وبين « احوال شخصية » بمفهومها الذى أشرت اليه .

ولست أدرى كيف تكون احوالا شخصية وهى لاتختص بالزوج وحده ، بل يرتهن بها مصير الزوجة والابناء ، والبيت والامة ؟

وكيف يباح للرغبة الشخصية ان تحتم في شئون هى بطبيعتها أخطر الشئون العامة ، واقواها تأثيرا في سلامة المجتمع: يباح للفرد أن يتزوج ويطلق على هواه ، وأن يورد الى الامة — متأثرا بنزوة خاصة — أطفالا مشردين ومنحرفين ، وأن يهز كياننا الاجتماعى كله ، بأنقاض مبعثرة ..

لقد سجل الاحصاء الرسمى ؛ ان عدد حالات الطلاق التى وقعت بالاقليم المصرى عام ١٩٥٣ ، بلغ نحو ٦٤ الف حالة ، بنسبة تقرب من ثلث عقود الزواج التى سجلت في العام نفسه

وبلغ عدد الاولاد الذين نشأوا تحت الانقاض في عامى ١٩٥٣ ، ١٩٥٤ أكثر من خمسين ألف طفل مصرى .

وسجلات اصلاحيات الاحداث ، وملاجىء المشردين ، وتقارير الهيئات الاجتماعية ، واحصاءات معاهد الجريمة ،

لؤمد أن فساد حال الاسرة ، هو المسئول الاول عن التشرد والانحراف ، وان البيت المختل ، هو المورد الرئيسى لعصابات الغلمان ، ومدارس الاجرام ، ودور الشواذ والمنحرفين ..

ومحال أن نحدث هذه الاثار التعسة ، ونحن نلتزم حدود الله فى احكام وضعت لصلحة الاسرة والجماعة ، انما هى كما قلت واقول ، بعض النتائج المشئومة لممارسة الحياة الزوجية فى نطاق الاحوال الشخصية ، وبتأثير الرواسب الاقطاعية!

واعود فأسأل . أين حدود الله فى هذه الاحوال الشخصية ؟

الزواج الذى جعله الله من اياته التى يمنن بها على عباده فقال عز وجل : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة » قد آل الى عقد بيع أو عقد ايجار ، والمهر فيه نظير الثمن او المنفعة !..

والحياة الزوجية التى حرص القرآن اشد الحرص على حمايتها والابقاء عليها ، ولم يبح فصم عروتها الا عند الضرورة القصوى ، وبعد استنفاد الوسائل الاخرى للاصلاح ، قد آلت الى أن تمسى معلقة على كلمة يلفظها الرجل ، وربما كان هازلا او مكرها أو سكران لايميز السماء من الارض !

والامساك بمعروف ، أو التسريح باحسان ، صار الى حكم بالطاعة الاجبارية ، تساق فيه الزوجة بالشرطة، لتعاشر بالاكراه زوجا لاتطيقه ، ونحن نتلو آية الله فى الزواج ، ونعلم أن لا اكراه فى الدين ، ولا اكراه فى معاشرة زوجية، بدليل اشتراط رضا المراة لصحة عقد الزواج ، واباحة الطلاق الذى هو أبغض الحلال ، عندما تغدو المعاشرة الزوجية غير محتملة ..

واباحة زواج الرجل ممن طلقها طلاقا بائنا ، بعد أن تكون قد تزوجت غيره ثم مات عنها أو طلقها ، قد صارت الى تمثيلية « المحلل » البشعة ،حيث أبيحت — على مرأى من الفقهاء ومسمع — استئجار شخص يعقد على المراة المحرمة على مطلقها ، ثم يردها اليه بعد زواج صورى حسب الشروط المتفق عليها ، ولا بأس بتحليل الحرام، مادامت الشكليات محترمة مستوفاة !

كلا .. ليست هذه الاوضاع المريضة « حدود الله » المبينة فى كتابه الكريم، ولا فيها أثر من روح الشريعة التى اظلت الاسرة بحمايتها واضفت عليها حرمة دينية ، وأبت أن تضع البيت تحت رحمة الهوى الفردى او النزوة العابرة ، أو العبث الطائش ، أو المؤثرات الوقتية العارضة .

وانما آلت الى ماشهدنا ونشهد من تعدو فساد ، لان أكثر الفقهاء والمشرعين تناولوا أحكام الشرع بروح جامدة ، ووجهوا همهم الاكبر الى الناحية الخارجية التنظيمية ، دون مبالاة بالاعتبارات النفسية والروحية التى اهدرت فى عصور الاقطاع ، فانحدرت العلاقة الزوجية التى أقامها القرآن على أساس من المودة والرحمة ، الى سوق البيع والاجارة والثمن ، وكان من أقوى عوامل ذلك الانحدار ،هبوط المستوى الاجتماعى الذى شاع فيه الرق ، وذلت فيه المراة عاطفيا واجتماعيا . كما ساعدت عليه الاوضاع السياسية المنحرفة ، التى كانت تأخذ بيعة المسلم للامير ، وتستحلفه بالايمان رجع فى بيعته ، فنساؤه طوالق واماؤه عوانق ، مما دفع الفقهاء أن يعتبروا الطلاق يمينا من الايمان ، ويدخلوه مع العتاق فى احكام مشتركة !!

ولن يستقيم لنا حال ، مالم نتخلص من تلك الرواسب الاقطاعية ، ونضع حدا لهذا التعدى لحدود الله ،فنستبدل بقانون الاحوال الشخصية ،« تشريعا للاسرة » يحمى سلامها ويضمن استقرارها ويرد اليها حرمتها المنتهكة واعتبارها المهدر !!..

التاريخ: ١٧ / ١٢ / ١٩٥٩

رأى حر

رواسب إقطاعية فى أدبنا الشعبى

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

فى عصور المحنة ، عنـدما تخلى الادب الرسمى عن وظيفتـه فى التعبير عن وجدان الجماعة وحراسـة مقومات وجودها المعنوى ، وصـار اداة طيعة ماجورة لتبرير الطغيان وتمجيد ذوى السلطان والمال ، لاذت الامة بادبها الشعبى ، والتمست فيه متنفسا لما تعانيه من ضغط الاستبداد ولؤم الاقطاع ، فراحت الامثال العامية ترجع صدى الطغيان على الوجدان الشعبى بمثل :

يا فـرعون ايش فرعنـك ، قال : ما لقيتش حـد !
الغنى شـكته شـوكة ، بقت البـلد فى دوكة ،
والفقـير لدغه تعبـان ، قالوا : اسـكت بلاش كلام !
قال له : نام لما ادبحـك ، قال : دا شىء يطـير النوم !
اكمن ابوك سـنجق ، داير على حل شـعرك ؟

كما راحت تحض على السعى ، وتحرض على النضال فى سبيل الحق ، وتلح على العقول والقلوب بمثل :

الحق اللى وراه مطالب ، مايموتش !
اعمل حاجتى بايدى ، ولا اقول للـكلب يا سيـدى !
يمشى على الحيطة ، ويقول : يا رب سـلم !

التاريخ: ١٧ / ١٢ / ١٩٥٩

وكذلك راحت الاغانى الشعبية ، تشدو فى اصرار وعناد : « لك يوم ياظالم » فتؤرق مضاجع الطغاة ، وتترقب — عن الشعب — مطلع فجر جديد ، تمحو آيته ظلمة الليل الذى طال !

وعن عمد واصرار ، حاول اعداء الشعب ان يعطلوا هذا الادب النبيل من اداء مهمته ، نحشدوا طائفة من جنودهم وعملائهم ، لكى ينحرفوا به ويصيروه اداة تدمير لمعنوية الجماعة ، فكان القصاصون الشعبيون — منذ بدء الحكم الفردى الاستبدادى فى تاريخنا — يعبثون من البلاط ، ليندسوا فى المجتمعات الشعبية ، ويعبثوا بالوجدان العام ، ويضللوا الجماهير . وكان الوعاظ فى المساجد — وهم موظفون رسميون — جندا للسلطان ، يستغلون العاطفة الدينية للناس ، فيتسللون الى ضمائرهم ونفوسهم باسم الدين ، ليكيفوهما على هوى الاقطاعيين ، ويزينوا لهما الخنوع والتواكل ، فالدنيا ظل زائل ، والجنة اكثر اهلها الفقراء ، والقناعة كنز ، وتبقى فى يدك وتقسم لغيرك ، ويابخت من بات مغلوبا ولم يبت غالبا ، ويا طالب العلا ياخائب الرجا ، وحسبك مما تبتغيه القوت ، وما اكثر القوت على من يموت ، ولمن نبنى ونحن الى التراب نصير ؟

وعن هذا الطريق الخبيث ، راجت فينا حكم وامثال معطلة للوعى والطموح منومة للارادة والهمة ، من مثل : وطى لها تفوت ، والعاقل تعبان ، وضرب الحاكم شرف ! وعلقة تفوت ماحد يموت ، والطمع يقل ماجمع ، والقناعة صدف ، وعود فى حزمه يعمل ايه ؟ !

واذا لم يكن قد كتب لهذا الباطل ان يطفىء نور الحق ، او ينتصر على ارادة الشعب ، فالذى لاشك فيه انه قد مد فى عمر المحنة ، وساعد على تنويم الوجدان العام لمدى ماكان بحيث يطول ، لو نجا الادب الشعبى مما شابه من عناصر دخيلة زائفة ، وخلى بينه وبين رسالته القومية الجليلة التى ناطها به الشعب وحمله امانتها الصعبة !

واذا كنا قد نجحنا اخر الامر فى تحطيم اغلال الرق الجماعى ، وتقويض صرح الطغيان ، فالذى لاشك فيه ايضا ان فى امثالنا العامية واغانينا الشعبية رواسب اقطاعية من مخلفات الماضى !

فما تزال جمهرة منا ، تردد فى ايمان

التاريخ: ١٧ / ١٢ / ١٩٥٩



وتسليم ان الفقر حشمه ،والمزبهدلة، وقيراط بخت ولافدان شطاره ،والسعد وعد ، والشحات له نص الدنيا !

ولا تزال الكثرة فينا ، تتسلط عليها الحكمة الموروثة : رزق يوم بيوم ، والنصيب على الله ..

بل مانزال نتواصى بما رسخ فى وجداننا على مر الزمن :الباب اللى يجى منه الريح ، سده واستريح ..

واغنيتنا المفضلة فى الريف حتى اليوم، هى تلك التى نشدو بها، ماحلاها عيشة الفلاح ، مطمن قلبه ومرتاح ، يتمرغ على ارض براح ، والشكوى عمره ماقالهاش ، أن لقى او مالقاش !

وفى مسامر القرية ، وفى المقاهى الشعبية ، وربما فى المدارس ايضا ، لا يزال قومنا يتسلون بقصة الاسكافى الفقير الذى كان يعيش بفقره خلى البال بادى السعادة والبشر والمرح ، الى ان اطل عليه الامير من نافذة قصره ، وسأل حاشيته عن سر سعادة الاسكافى ، فلما عرف انه الفقر ، بعث الى المسكين بخمسة جنيهات ، كانت كافية لهدم سعادته وتدمير حياته ، وكأنما يحرم على الفقير ان تصل الى يده بضعة جنيهات، الا هبة مشئومة من امير ، تنتزعه من جنة الفقر وتقذف به الى جحيم الغنى!!

والسعادة ، كما طالما علمتنا الحكمة الانطاعية ، فى الكوخ لا فى القصر ..

وسواء أكانت كل هاتيك الامثال والحكم والاغانى والقصص ، زائفة مدسوسة على الادب الشعبى كما أرجح، أم كان بعضها صدى طبيعيا لما أحدثه الطغيان الانطاعى من افساد لمعنوية الجماهير، وما ترك فى نفسية الشعب من أثر عميق ، فحرام علينا ونحن نبذل ما نبذل من عرق ، لكى نبنى مجتمعا كريما واعيا ، أن ندع تلك الرواسب اللئيمة متغلغلة فى أعماق وجداننا .

واعرف أن القضاء عليها غير هين ولا يسير ، ولكنى لا أفهم لماذا لا نستغل الاذاعة ، والمدرسة ، والمسجد ودور العبادة ، والصحيفة ، والكتاب ، لنقاوم ذلك التراث البغيض الذى انحدر الينا من عصور الاقطاع ؟

وسيحتاج الامر الى زمن طويل ، والى جهد عنيف، ولكنه يحتاج قبل كل شىء، الى انتباه واع لخطر تلك الرواسب ، وارادة حازمة لتحرير الوجدان الشعبى من أغلالها ...

مشكلة تبحث عن حل

رواسب إقطاعية في .. "أبغض الحلال"

بقلم : بنت الشاطئ

من الظواهر المؤلمة حقا في مناقشاتنا ، ان الواحد منا قلما يعنيه ان يتدبر الرأى الذى يتصدى لمناقشته ، وانما حسبه ان يلتقط فكرة عامة ، اثر قراءة عابرة خاطفة واثبة ، ثم يسرع الى قلمه ليرد على كلام لم يقرأه !

من ذلك مثلا ، انني تناولت في مقال لي سابق ، بعض الرواسب الاقطاعية في الاحوال الشخصية ، بينت فيه الى اى مدى تعدينا حدود الله في معاشرة زوجية تقوم على الاكراه ، وفي طلاق يساء استعماله فيخرب البيوت ، وفي حضانة تشرد الصغار الابرياء وتقذف بهم الى متاهة الضياع ، وفي محلل صوري يحلل ما حرمه الله .

فاذا بالاستاذ ((احمد فتحى القاضي)) يرد على متسائلا : ((ما شأن حدود الله بهذه الرواسب ؟ اذا قال الله : الرجال قوامون على النساء ، كان ذلك المبدأ ظلما ورواسب اقطاعية ! !)) .

ولا ارد على هذا الكلام باكثر من ان اطلب الى الاستاذ الفاضل ان يعود فيقرأ ماكتبت ، ليرى انني لم اشر فيه من قريب ولا من بعيد الى قوامة الرجال على النساء ، ولا كان الاساس الذى اعتمدت عليه ، الا حدود الله المبينة في كتابه الكريم . فكل فكرتي في هذا الموضوع ، ان هناك فروقا ضخمة ، بين روح القرآن العالية ونصوصه المثالية ، وبين هذه الاحوال الشخصية المتأثرة

بأوضاع سياسية واجتماعية أجمعتها في « الانطاعية » . وكل ماطلبته واطلبه ، هو أن أستنجد بالقرآن وأعوذ منه بمعاذ يرد على الاسرة الاسلامية تلك المعاني السامية التي لم يسايرها دائما فهم الفقهاء ..

فكيف يخطر ببال قارىء – مفروض فيه أن يعرف حرمة النص ويفقه العبارة – اني اردت بالرواسب الاقطاعية مبدأ جاء به القرآن الكريم ، وهو مالا يمكن أن يصدر عن مثلي ولو كنت مريضة أهذي ...

ماعلينا .. لندع هذا فالكلام فيه يطول ، ولندخل في صميم الموضوع :

الاستاذ القاضي يقول مانصه : « ان قلتن بتقييد الطلاق وجعله باذن امام القاضي ، فتلك مهزلة المهازل ، والطلاق مباح .. »

وقد كان يكفي للرد على هذا ، بأن المحاكم عندنا لاتعطي أي حق في التقاضي ، مالم يكن عقد الزواج **مسجلا في وثيقة رسمية على يد المأذون** ، مع أن الشرع لايلزم بشيء من هذه الرسمية ، وانما هو تنظيم اقتضته المصلحة التي هي مناط الاحكام الشرعية كلها ..

هل نحن اللواتي نقول بتقييد الطلاق ؟

كلا ياسيدي القاضي ! الله جل جلاله هو الذي وضع الحدود والقيود لهذا الحلال البغيض ، وهو – تعالى – الذي اقتضت حكمته الا يباح الطلاق الا بعد استنفاد الوسائل الاخرى لاصلاح ذات البين .

والله جل جلاله – لا أنا ولا سواي من السيدات المصريات – هو الذي نص في كتابه الكريم على هذه الوسائل المقيدة للطلاق ، مبتدئا بالحث على رياضة النفس ، ومغريا بالامل مع احتمال مانكره .

« وعاشروهن بالمعروف ، فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » – النساء ١٩ –

فان خيف الشقاق ، كان التحكيم هو الفرصة الاولى لتسوية الخلاف واصلاح ذات البين ، بتوفيق من الله ورعايته :

« وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من أهلها ، ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما » – النساء ٣٥ –

فاذا اعيا الحكمين أن يصلحا مابينهما كان الفراق بالمعروف ، مع اشهاد ذوي عدل ، يقيمان الشهادة لله :

« فاذا بلغن اجلهن ، فامسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف ، واشهدوا ذوي عدل منكم ، واقيموا الشهادة لله » – الطلاق ٢ –

والاشهاد هنا بصيغة الامر ، وأقل مراتبه باتفاق الائمة ، هو أنه مندوب ، كما نص على ذلك الامام القرطبي في تفسير آية الطلاق هذه ..

على أن الطلاق لايقع باتا بائنا ، قبل اعطاء الفرصة مرتين لتدارك الامر قبل ان يخرج من ايدي الزوجين ، وذلك هو الطلاق الرجعي الذي نزل به الوحي الالهي ، وسيلة أخرى من وسائل الاصلاح ، وقيدا من قيود الطلاق ، قبل أن يصير باتا بائنا :

« الطلاق مرتان ، فامساك بمعروف أو تسريح باحسان » البقرة ٢٢٩ –

ولا تتحقق الحكمة في رجعية الطلاق ، الا ان يقع مرة بعد مرة ، لا أن يلفظ الرجل بكلمة الطلاق ثلاثا أو على التتابع في مرة واحدة ، كأن يقول : « انت طالق ، انت طالق ، انت طالق » وهذا هو مانص عليه القرآن ، وكان الاجماع على اعتبار الطلاق بلفظ الثلاث أو على

التاريخ: ٢٢ / ١٢ / ١٩٥٩

السابع ، طلقة واحدة ، من اول الاسلام الى ثلاث سنين من خلافة عمر رضى الله عنه . وهذا الاجماع لم ينقضه اجماع بعده ، كما أكد ذلك الامام ابن القيم في « اعلام الموقعين »

وقد وضع القرآن بتحديد مرات الطلاق الرجعى ، حدا لمضارة النساء بتكرار الطلاق والارتجاع ، فاذا لم يصلح مابين الزوجين بعد الطلاق مرتين ، كان ذلك ايذانا بأن مابينهما قد فسد ، فلا معنى لاكراههما على المعاشرة الزوجية :

« فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره ، فان طلقها فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله »

وهكذا شاءت حكمته تعالى ، الا يكون الفراق بالطلاق البائن ، هو آخر مابين الزوجين ، وانه — سبحانه — ليعلم نوازع النفس البشرية ، وما جبلت عليه من حنين الى قديمها ، بعد أن تبلو جديدا قد يشعرها بقيمة ما اضاعت ، فجاز للزوجين ان يتراجعا ، ان ظنا ان يقيما حدود الله ، بعد أن تكون التجربة قد صهرتهما ، ومضت بهما الى نهايتها .

« وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون »

هكذا نرد الامر الى الله تعالى ، فنرى فيه حدودا مبينة تقيد الطلاق ، وتأمر بالصبر والاحتمال ، ثم التحكيم ، ثم الاشهاد ، ولا نرى فيه اباحة مطلقة ، متروكة لعبث الاهواء

ونرى فيه معاشرة بالمعروف او فراقا بالمعروف ، وتسريحا باحسان ، ولا نجد فيه معاشرة زوجية بالاكراه ، وشرطيا يسوق امراة الى زوج تكرهه .

ونقرأ في كتابه الحكيم :

« ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ، ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه » يعظهم الله بذلك

ولا نقرأ اجبارا على دخول بيت الطاعة ، ليتفنن الرجل في تعذيب الزوجة حتى تبرئه من كل حق لها تباله ، وتفتدى نفسها بما تملك من مال ، والسادة الفقهاء قد قرأوا من قبلى قول الامام مالك في التى تفتدى من زوجها : « انه اذا علم أن زوجها اضر بها ، وضيق عليها ، وعلم انه ظالم لها ، مضى الطلاق ، ورد عليها مالها ، فهذا الذى كنت أسمع ، والذى عليه أمر الناس عندنا »

فهل نحتكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونرد الامر اليه بعد ان رددنا الى الله تعالى ؟

اذن فاقرأوا في « السيرة لابن هشام » — وهى المصدر الاول لسيرة الرسول — قصة المرأة التي خطبها محمد صلى الله عليه وسلم ، فلما رأتها السيدة عائشة غارت منها ، واتفقت مع بعض أمهات المؤمنين على التخلص منها يوم الزواج ، فكان مما أوصينها به ، ان تستعيذ بالله حين يدخل الرسول عليها . وفعلت المسكينة : لم تكد ترى الرسول مقبلا عليها ، حتى استعاذت بالله وفى حسابها أنها تستجلب رضا الزوج العظيم ، فصرف الرسول وجهه عنها وقال : لقد عذت بمعاذ . وغادرها من لحظته وأمر ان تلحق بأهلها ، ولم تسمح نفسه الكريمة أن يردها ، حتى بعد أن علم بالقصة ، فأين هذا من الطاعة الاجبارية ، والشرطى الذى يقبض على المرأة ويسوقها الى زوج تبغضه ؟

والقصة مروية فى السيرة (٢٩٧/٤) وفى تاريخ الطبرى (١٢٢/٣ ، ١٣٩)

والآن وقد رددنا الامر الى الله ورسوله فهل بقى فينا من يرتاب فى أن شريعة الاسلام لا تعترف بمعاشرة زوجية تقوم على الاكراه ، وان بيت الطاعة ليس الا اثرا من المخلفات الاقطاعية التى ورثناها من عهود شاع فيها الرق الفردى والجماعى ...

وهل لايزال بيننا ، من يرى ان تقييد الطلاق ، بالتحكيم والاشهاد امام القاضى ، الذى نراه أهلا لان تقام الشهادة بين يديه لله — مهزلة المهازل ، وبدعا من مطالب النساء المصريات ، وتمردا منهن على حدود الله ؟

اللهم فاشهد ...

بنت الشاطئ

التاريخ: ٣ / ١ / ١٩٦٠

رواسب إقطاعية :

في سحر البيان

رأى حر



بقلم :
الدكتورة بنت الشاطئ

« الذين يظنون انني فيما تناولت من موضوع الرواسب الاقطاعية اعتمد فى الاقناع على ما وصفوه بسحر البيان ، قد فاتهم أن يتبينوا اوجه الحق فيما كتبت واكتب ، وما ذلك الا لانهم متأثرون فى فهمهم لسحر البيان ، بفكرة قديمة ورثناها فيما ورثنا من مخلفات الاقطاع :

لقد مضى على هذا الشرق العربى حين من الدهر ، صار البيان فيه صنعة لفظية ، وغدا سحره مرتهنا بما يبذل الاديب من جهد فى تزويق اللفظ وزخرفة القول والتأنق فى العبارة ، وكان ذلك الملعب اللفظى اثرا طبيعيا محتوما لانحراف الادب فى عصور الاقطاع ، وحرمانه من الصدق الفني الذى هو جوهر فنيته وسر اصالته . فحين تزاحم الادباء على ابواب الحكام فى عهود الحكم الفردى الاستبدادى ، انصرفوا نهائيا عن الاصغاء الى وجدانهم ، وخانوا امانة الكلمة التى ناطتها الجماعة بهم ورجتهم لها . وراحوا يتفننون فى صياغة الاساليب الفخمة التى لا يعوزها الطنين والرنين ، وان اعوزها عنصر الصدق وحرارة الايمان : فليس على الشاعر او الناثر حرج ، ان يقول فى السفاح الطاغية انه ملاك الرحمة ورسول السلام ، بل ليس عليه حرج فى ان يمجد عفته وزهده وصلاحه ، وطرب الارض يضج من فسقه ومجونه وضلاله !

وانحرفت المقاييس النقدية تبعا لهذا ، فلم تعد تأخذ على الشاعر ان يجعل الابيض اسود ، او تنكر عليه ان يسمى البغى عدلا والفجور تقى ، وانما كل ما يعنيها فى التقويم النقدى ، ان تنظر فى براعة صنعته ورنين الفاظه وخلابة اسلوبه ، دون التفات الى المقومات الاصيلة التى لايكون الفن بغيرها فنا !

وبلغ من سوء الحال ، ان شغل النقاد لدى قرون ذات عدد ، بقضية اللفظ والمعنى ، واشتد الخلاف بينهم حول البيان القولى ، وهل يكون بجودة لفظه او بقوة معناه - وهى قضية تكفى وحدها لبيان ماوصل اليه الادب عندنا من انحراف وسوء حال ، اذ اللفظ فى حقيقة الفن القولى لايمكن ان ينفصل عن المعنى او يقوم وحده فى عزلة من دلالته ، وانما قيمة اللفظ ، فى مدى ادائه للمدلول

التاريخ: ٣ / ١/ ١٩٦٠

المراد ، وتعبيره عن المعنى المقصود . وكذلك الامر فى المعنى ، لايمكن ان يقوم وحده مستغنيا من اللفظ الذى يؤديه ويجلوه ويعبر عنه ، فكيف ـ والصلة بينهما على هذا النحو من الجبرية والالزام ـ كيف أمكن تصور الفصل بينهما الى الحد الذى ملأ الاسفار الضخمة ، وظل يشغل النقاد زمانا ، ويقسمهم فريقين : يتعصب احدهما للفظ ، ويتعصب الاخر للمعنى ؟ !

ويقول قائلهم فى هذا : ان المعانى مطروحة فى الطريق ، ويجدها العربى والاعجمى والنبطى ، وانما العبرة بالصياغة !

ويعقد « ابن خلدون » فى مقدمته فصلا عنوانه ان صناعة النظم والنثر انما هى فى الالفاظ لا فى المعانى ، يقول فيه ما نصه :

« فالمعانى موجودة عند كل واحد ، وفى طوع كل فكر منها مايشاء ويرضى ، وانما العبرة فى اللفظ . فكما ان الاوانى التى يغترف بها الماء ، منها آنية الذهب والفضة والصدف والزجاج والخزف ، والماء واحد فى نفسه ، وتختلف الجودة فى الاوانى المملوءة بالماء باختلاف جنسها لا باختلاف الماء ، كذلك جودة اللغة وبلاغتها فى الاستعمال » .

واضلهم القياس ، ففاتهم ان يدركوا ان الناس ليسوا سواء فى الفكر والحس والوجدان ، وان المعانى الادبية لايمكن ان تكون مطروحة فى الطريق مبتذلة لكل عابر سبيل ، وان عابرى السبيل لايمكن الا ان يتفاوتوا فى ادراك هذه المعانى المطروحة ، والالتفات اليها ، والاصغاء الى وقعها على نفوسهم وصداها فى مشاعرهم . بل فاتهم ان الماء نفسه يختلف ويتفاوت ، فمنه نقى صاف ، ومنه فاسد ملوث عكر !

هى كما قلت آثار محتومة لحرمان الادب فى ظل الاستبداد الاقطاعى ، من عنصر الصدق الفنى ، وعزلته عن المشاعر والوجدان ، وعبثه بحرمة الكلمة وكرامة البيان ، وخضوعه لسيطرة الاقطاع الطاغى : يتملقه ويترضاه ، ويصدر عن وحيه والهامه ، وينطق بلسانه اتقاء لنقمته او التماسا لهباته وعطاياه .

ولم يكن عجبا ، وقد صار الادب الى ما صار اليه ، ان يخطىء القوم مفهوم سحر البيان ، فيجعلوه رهنا بالاقتدار على احكام الصنعة اللفظية وضخامة رنينها وعلو طنينها وبعد دويها ، مهدرين بذلك سر البيان الاعظم ، وهو اقتدار لفظ بعينه ، على ان يؤدى المعنى الادبى اداء لايقوم به لفظ اخر ولا يغنى فيه سواء ، وهذا السر البيانى لايعترف اطلاقا بالمترادفات فى فن القول ، ولا يؤمن اطلاقا بالالفاظ المشتركة للمعنى الواحد فى المجال الادبى ، وانما يجوز الترادف والاشتراك اللفظى فى الدلالة المعجمية ، أما الدلالة الادبية فمحال ان يغنى فيها لفظ عن لفظ ، او تتساوى كلمتان فى اداء المعنى الواحد ، دون فرق دقيق ، يحسه ذوو الوجدان الادبى المرهف ، ممن يملكون ـ دون سواهم ـ سر التعبير !

وما من ريب فى ان فهمنا لسحر البيان ، لايزال الى اليوم مشوبا بتلك الرواسب الاقطاعية ، وآية ذلك ان يقرا قاض كريم ما كتبت عن الاحوال الشخصية ، فيعترف ـ فى مقال نشرته له صفحة الرأى ـ بان بيانى سحره سحرا ، ثم لايسلم بشىء مما كتبت ! ولا تفسير لهذا ، الا ان يكون سحر البيان عنده صياغة شكلية ، تتصل بالاداء اللفظى وحده ، مجردا من مفهومه ومعانيه ! تماما كما كان النقاد فى عصور المحنة ، يعزلون اللفظ عن المعنى ، ويؤمن اكثرهم بان الالفاظ وحدها تستأثر بسحر البيان !

واقول الحق : لقد روعتنى هذه الظاهرة بما كشفت عنه من انحراف فى فهمنا لحقيقة البيان وادراكنا لمناط سحره ، وبما أكدت لى من ان علينا عبئا ثقيلا فادحا ، لنكافح فى تحرير المفهوم الادبى من تلك الرواسب الاقطاعية ، كيما يسترد البيان كرامته المضيعة واعتباره المهدر .. فلا يعود ـ كما لايزال يفهمه غير قليل من كتابنا وقرائنا ـ زخرفا من القول وزورا ، ورواء ظاهريا لايتجاوز الشكل والصورة ، وضجيجا اجوف ، يقرع الاسماع برنينه ، فاذا حققته لم تجده الا خواء !!

ويالها من امانة صعبة ، يتصدى لحملها من يؤمنون مثلى بأن البيان حق وخير وجمال ، وان مناط سحره رهن بأن يصدر عن ايمان ويعبر فى صدق ، ويؤدى فى حيوية وحماس ، ويملك سر التعبير عن وجدان ملهم !

التاريخ: ٢٠ / ١ / ١٩٦٠

البحث عن هدف

أطياف ذكريات .. في دمشق



بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

ذكريات تحتشد في خاطري وتعمر وجداني ، كلما زرت هذا البلد الطيب الاصيل. ورؤى من الماضي البعيد ، تلوح لي حيثما اقمت واني اتجهت ، في ربوع الشام. وصفحات من تاريخنا الحي ، تتراءى لي في كل مكان من هذا الاقليم العريق ، فاتلوها مبهورة ، وهي تعيد ما طوى الزمان من وحدة كانت بيننا منذ كنا ..
وحدة تمتد جذورها في اعماق الماضي الى غير مدى محدد ولا معروف ، فمنذ ما لايحصى من حقب وادهار ، ربطت بيننا الطبيعة باواصر من القربى والرحم والجوار، دعمتها مصالح مشتركة ، ومصاير موحدة !

فهنا في سهول العاصي ، حيث وتمت المعاهدة بين الفراعنة والحيثيين قرب «حمص» ، اذكر كيف كانت هذه الرابطة الحيوية هي الموجهة الاولى للتاريخ السياسي والحربي لهذه المنطقة ، فحيثما وهنت العلاقة الرسمية بين اقليميها كان ذلك خطرا على كليهما ، وصار كل منهما معبر الغزاة الى الآخر ، حتى ليبدو لقارىء التاريخ ان ما بين القطرين من حدود ، انما كان وضعا سياسيا لا تقره الطبيعة التي ربطتهما معا بوحدة المصير، وجعلت سلامة احدهما ضرورة محتومة لامن القطر الآخر وسلامته . ولولا ان هذه الوحدة طبيعية ، لما استمرت تلك الصلة الجبرية بين مصيرهما على اختلاف العصور . وهذه احداث التاريخ تشهد بان حملات الغزو الاجنبي — من شرق او غرب — لم تكن تنفذ الى احد الاقليمين حتى تعبره الى الاقليم الآخر : فمن طريق مصر ، عبر الاسكندر المقدوني الى سورية ، ومن طريق سورية ، عبر الغزاة الى مصر : من هكسوس وفرس وروم !

وكان هذا هو ما حدث بعينه قبل الاسلام ، حيث كانت مصر وسورية تكونان معا منطقة استراتيجية موحدة في الصراع بين جبابرة الفرس وطغاة الرومان : فحين غلب الفرس على سورية تقرر مصير مصر التي كانت محكومة بالرومان ، ولما عاد هرقل فاسترد سورية ، كان ذلك ايذانا بانتهاء عهد الفرس بمصر كما انتهى بجارتها الشقيقة ، وعادتا معا للحكم الروماني ، وكانت المحنة المشتركة محنتهما بغزو المقدوني ، والاحتلال الفارسي ثم الروماني ، اثرا لما بينهما من وحدة جبرية لا تعترف الطبيعة فيها بحدود فاصلة ، وانما هما سواء في الخير والشر ، معا في السلم والحرب ، في الشدة والرخاء .

وهنا في ساحة المسجد الاموي الكبير ، تعود بي الذكرى الى عهد الفتوح الاسلامية الكبرى ، فارى كيف تقرر مصير مصر منذ دخل العرب بلاد الشام



ظافرين ، يحملون راية الاسلام !

تقرر ماديا ، حين ادرك « عمرو بن العاص » القائد الذكي والسياسي الداهية ، الا امان لسورية العربية ومصر خاضعة لنفوذ الرومان .

وتقرر معنويا ، حين ادركت مصر ان فتح سورية سوف يعقبه حتما فتح مصر ، فتهيأت نفسيا لاستقبال العرب ، قبل ان يعبر « عمرو » حدودها ..

وتقرر حربيا وسياسيا ، بانتصار العرب على عسكر الرومان الذين كانوا يقاتلون في معركة خاسرة ، ويتشبثون بالبقاء في ارض لم يعد لهم فيها مكان ، منذ صارت سورية ولاية عربية اسلامية .

(ثم تعربت ...)

وتمت لهما وحدة الوجدان والفكر واللسان ، وفي الحق انها وحدة عامة ، جمعت اقطار الشرق الاسلامي كله ، وربطت ما بين الشامي والمغربي ، والعراقي واليمني ، والمصري والفارسي ، وتماحت الحدود السياسية او كادت بين اقطار ذلك الوطن الكبير ، فكانما كل واحد من ابنائه « أبو تمام » اذ يقول :

بالشام اهلي ، وبغداد الهوى ، وانا
بالرقمتين ، وبالفسطاط اخواني !

ولكن ما بين مصر وسورية ، كان وحدة خاصة ، لها اصولها الطبيعية العتيدة ، وجذورها العميقة الراسخة ، فلا عجب ان رأيناهما تكونان معا وحدة اقليمية في قلب ذلك العالم الكبير : فلم تستغن مصر الطولونية عن الشام ، وتماحت كل الحدود بينهما في عصر الايوبيين ، وحين دخل الفاطميون مصر آتين من المغرب كان حتما عليهم ان يواصلوا السير الى الشام ، وعندما انحدر العثمانيون الى سورية مدوا سلطانهم الى مصر ، فلما جاءت الحملة الفرنسية سارع «نابليون» الى سورية مقدرا الامكان له في وادي النيل اذا لم يثبت قدمه في الشام . وعندما سلخ الانجليز مصر من الدولة العثمانية ، مدوا سكة الحديد بينها وبين بيت المقدس طريقا الى الشام . وهكذا على مدار التاريخ ، كانت الوحدة بين مصر وسورية واقعا تاريخيا ، يقوم على اعتبارهما وحدة طبيعية متكاملة ، لا تستغني احداهما عن الاخرى .

وهنا في جوار صلاح الدين ... كيف الغيت الحدود ـ كل الحدود ـ بين مصر والشام ، حين ضعف مركز الدولة الاسلامية الكبرى بالعراق ، وطمع فيها الطامعون من شرق وغرب ، فتدفقت جيوش الفرنجة نحو الشرق العربي ، وان كادوا ليكتسحون الشرق الاسلامي كله ، لولا ان تصدت لهم مصر والشام في جبهة موحدة ، ودارت المعارك في الميدان الفسيح العريض الممتد من اطراف سورية الى حدود مصر الشرقية وراحت جولات الصراع تنتقل في ذلك الميدان : فهي يوما في حلب او حمص او حماه

وزارة الثقافة والإرشاد القومي

قطاع خدمات المعلومات

التاريخ: ٣٠ / ١ / ١٩٦٠

او دمشق ، وآخر فى اللاذقية وصور وعكا وبيت المقدس ، وثالثا فى دمياط وراس الخليج والمنصورة . ولم يكن عماد الدين زنكى ، او نورالدين محمود ، او صلاح الدين يوسف ، او نجم الدين الصالح ، او عصمة الدين شجرة الدر ، لم يكن احد هؤلاء يقود المعركة لحساب الشام او مصر ، وانما هى معركتهما معا ، تقرر مصير الوطن الكبير كله ، فما ان يصيح المنادى فى احد ثغورنا : حى على الجهاد ، حتى يجد مسمعا فى كل اذن وقلب . فاذا الجموع تتدفق من سفوح قاسيون والمقطم ، وشطوط بردى والعاصى والنيل ، لتلتف حول قائدها حيث كان : فى دمشق او القاهرة ، فى حلب او المنصورة ، فى دمياط او بيت المقدس .

كذلك لم يكن احد من مصر او الشام يدخل المعركة لحساب بيته واهله وولده ، وانما هو الجهاد الاكبر فى ظل اللواء الموحد ، والشمل الملتئم والكلمة المجتمعة ، وهى هى الجبهة المؤتلفة تواجه الخطر الداهم الذى هدد الشرق الاسلامى كله !

وتتتابع الذكريات ، ماضية بى هنا الى مطلع القرن السابع الهجرى ، حيث تلوح نذر الخطر هذه المرة من اقصى المشرق ، تترية عاتية ، ثم لاتلبث جيوش « هولاكو » ان تندفع كاعصار مارد ، فتتهاوى امامها حصون الشرق الاسلامى حصنا فى اثر حصن . واجتاح الاعصار فارس كلها ، ودمر فيما دمر ما لايحصى من كنوزنا الثقافية ومعالمنا الحضارية ، ثم اكتسح العراق ، فسقطت بغداد ، عاصمة الدولة الاسلامية سنة ٦٥٦ هـ . وبدا الا عاصم عندئذ من الهلاك والياس ، وظن ان الاعصار المارد سوف يمضى فى طريقه لا يلوى على شىء ، لولا ان تصدت له مصر والشام ، فى جبهة موحدة ، لحمى الانسانية ، وتحمى العربية دينا ودولة ، من الاعصار التترى ..

واذ ذاك بدأت مصر والشام دورهما الجليل المشترك فى استنقاذ بقايا تراثنا ، وراحتا معا تجمعان تلك البقايا من بين الانقاض المتخلفة ، وشهد التاريخ جنودا من علماء مصر والشام ، عاكفين فى رهبنة علمية على استخلاص معارف العربية ، وتراثها الروحى والفكرى والادبى ، من غول الفناء الرهيب .

وارنو هنا الى علمنا الموحد ، يخفق عاليا فى كل مكان ، معلنا اننا التقينا اخيرا ، وما كان عجبا ان نلتقى ، بل ما كان لنا الا ان نلتقى ، فكذلك ارادت لنا الطبيعة واراد الله ، وسنظل ابدا نلتقى ، لا فى مصر وسورية فحسب ، بل فى رحاب الوطن العربى الكبير !

التاريخ: ٢٨ / ١ / ١٩٦٠

لماذا تلقى المحاضرة مرة واحدة ؟

فكرة للمناقشة



بقلم دكتورة بنت الشاطئ

فكرة لم تخطر لى من قبل على بال ..

فلقد جرى العرف حتى اليوم ، على الا يلقى المحاضر محاضرته اكثر من مرة وكنا نخضع جميعا لهذا العرف عن تقليد ومسايرة ، دون ان نلتفت الى ما فيه من شذوذ ظالم ، يحرم المحاضر فرصة الدعوة الى فكرة يؤمن بها ، والاقناع براى يناضل عنه .

حتى دعيت منذ ايام لاحاضر فى سورية ، وواجهتنى هناك الظاهرة المالوفة اعنى شدة اقبال اخواننا السوريين الكرام على سماع المحاضرات ، وصدق اهتمامهم بها ، وحرصهم البالغ على مناقشة مايعرضه عليهم المحاضر من راى او فكره

ولاول مرة اتساءل : لماذا لايتاح للمحاضر ان يلقى محاضرته اكثر من مرة ، وان ينتقل بها من ناد الى ناد داعيا الى فكرته ومناضلا عنها ؟

اننا نحرص عادة على ان نأتى فى المحاضرة بجديد غير مألوف ، ونعرض على المستمعين رايا لم يسبق عرضه . ومن شأن كل محاولة جديدة ان تخالف الشائع المعروف ، وان تصطدم بمقررات وآراء لها قوتها المكتسبة من طول الف الناس لها ، وعمق رسوخها فى اذهانهم واعصابهم ووجدانهم . ومن المسلم به ان الناس اعداء لما جهلوا ، وهذا يقتضى بطبيعة الحال ان يتابع صاحب الجديد دعوته اليه ، وان يلح فى الدفاع عنه والاقناع به ، وان يلتمس الفرصة بعد الفرصة ، لكى يهز ثقة الناس فيما الفوا ، ويزعزع الحواجز التى تصرف قلوبهم وعقولهم ، عمن يلقاهم بغير ما اطمانوا اليه . فكيف نفرض عليه ان يعلن هذا الجديد مرة واحدة لايتجاوزها ، وان يقصر دعوته على عدد من المستمعين هيهات ان يبلغ الفا ؟ لماذا نحرمه فرصة تكرار الدعوة الى جديد يؤمن به ، والنضال عن فكرة يود لها ان تنتشر وتذيع ؟

ان من طبيعة الايمان بفكرة ما ، حرص المؤمن على ان يهدى غيره الى ما آمن به ، فمعاودة الكلام فى جديد يتحمس له صاحبه ، أمر يلزمه به ايمانه بهذا الجديد ، وتشبثه بالرغبة فى نشره .

سيقال هنا : ان المحاضر يستطيع ان

التاريخ: ٢٨ / ١ / ١٩٦٠

يسجل رايه فى كتاب يخرج الى الناس ، او مقال تنشره صحيفة فى نطاق اوسع من نطاق المحاضرة ، وهو قول يرد عليه ما نعلم من محنة الكتاب فينا ، وكساد سوقه بيننا ، واسالوا دور النشر عن عدد النسخ التى تباع من اكثر الكتب رواجا ، واسألوا قراء الصحف كم منهم من تستهويه مطالعة مقال جاد يدعو الى راى او يناضل من فكرة ، وكم منهم من يعبر الصحيفة فى دقائق يلتقط بها بارز العناوين ومثير الاخبار ، وهو يرشف قدح قهوته او يتناول طعام !

ثم ان المقال فى الصحيفة ، لايحتمل الاطالة التى يتطلبها عرض راى جديد ، ولا يطيق الالحاح الذى يحتاج اليه الاقناع ، ولا يتسع للشواهد والادلة التى تدعم الجديد وتسنده ، كما ان نشر الفكرة فى كتاب ، يحرم الكاتب فرصة المناقشة مع من يختلفون معه فى الراى ، ويحرم الفكرة الجديدة فرصة الانتفاع بآراء الاخرين فيها والرد عليها وعبها اتسعت لمثل هذا كله واطاقته، فاين فرصة التجاوب والتأثير ، التى تتاح للمحاضر حين يلقى فكرته بانفعال المؤمن ويدافع عنها بحماس المقتنع ! ان اشد المستمعين معارضة للفكرة ، يبهره بلا شك ايمان صاحبها بها ، فيلقى اليه سمعه متأثرا بحرارة هذا الايمان ، ويتخلى ـ دون ان يشعر ـ من عناده لغير ما ألف واعتاد .

خطر لى هذا كله ، اثر محاضرة القيتها فى جامعة دمشق عن « قيم جديدة للادب العربى » فانكرت لاول مرة ، ان نحرم نحن المحاضرين ، من فرصة الدعوة لفكرة لنا حيثما استطعنا الى ذلك سبيلا ، وشغلنى هذا الخاطر فلم املك ان اتحدث فى غيره ، حين اجتمعت بعدد من الاساتذة وصفوة اهل الفكر ، فى مكتب الاستاذ « الدكتور حكمت هاشم » مدير الجامعة السورية ، فاذا هم يسالون معى :

« بلى ، لم لايلقى المحاضر محاضرته الا مرة واحدة ! »

ولا يعنى هذا ان تتكرر المحاضرة فى المكان الواحد ، او ان تعاد بنصها على من سبق لهم سماعها ، بل يعنى ان يكو من حقى وحق كل محاضر ، ان يعرض محاولته الجديدة فى موضوع ما ، على جمهور لم يستمع اليها من قبل ، وان ينتقل بها من بلد الى بلد ، ملتمسا لها ما استطاع من سبل النشر ووسائل الذيوع .

وآمنت بالفكرة . .

ولم انتظر حتى يعترف لنا الناس بهذا الحق المهدر ، فمن شأن الحقوق ان تفرض ولا تستجدى ، ولذلك اعلنت تمردى على العرف الشاذ الذى خضعنا له طويلا ، فحين دعيت لاحاضر فى « النادى العربى بدمشق » لم ار بأسا فى ان اعيد محاضرة لى كنت القيتها فى « حمص » قبل ايام ، تحمسا منى لفكرة آمنت بها .

ولست ادرى على وجه اليقين ان كان الناس يسلمون لى بمثل هذا الحق ، لكن الذى ادريه اننى لن ادع لاحد بعد اليوم ان يصادر حق المحاضر فى ان يناضل عن راى له جديد ، وان يدعو اليه فى كل فرصة تتاح له ، فذلك وحده دليل ايمانه به ومظهر حماس واعتزاز !

وزارة الثقافة والإرشاد القومي
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ: ٩ / ٣ / ١٩٦٠

أيام .. مع مؤلفة «أيام معه»!

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

لم أكن أنا التى سعيت الى لقاء « كوليت سهيل » فى دمشق فلقد أشفقت من مواجهتها بعد ان قرات قصتها « أيام معه » ، وأنكرت منها اشياء تجعل اللقاء بيننا بالغ الحرج ..

ولم أطمع فى أن نتفاهم ، بل قدرت انها سوف تصر على اننى ازن قصتها بموازين خلقية واجتماعية لا صلة لها بالفن ، وهيهات أن اقنعها بما أومن به من استحالة الفصل بين الفن والخلق أو المجتمع ، اللهم الا اذا جردنا صاحب الفن من انسانيته • وبغير هذا الايمان لن تستطيع كوليت ان تطمئن الى اننى كنت أخضع لاعتبارات فنية خالصة ، فى كل ما انكرت من « أيام معه »•

انكرت منها مثلا أن « حواء » فيها قد أصابها شىء من المسخ ، فليس من طبيعتها أبدا أن تصف مغامرة عاطفية لها بكل هذه الجراة ، وكل هذه الصراحة • والعهد بحواء الا تذيع سرها ، ان لم يكن عن حياء وتحرج فلكى تستبقى غموضها الساحر ..

وكوليت ترى هذا تحررا جديرا بالفتاة الجديدة، على حين أراه « مسخا » لطبيعة حواء !•

وأنكرت منها انها رسمت للمجتمع فى دمشق صورة غريبة ، بل شاذة ولا أدل على هذا الشذوذ من أن تستطيع فتاة مراهقة مثل « ريم » أن تستقبل حبيبها كل ليلة فى مخدعها وان تتردد على غرفته من الباب الامامى !•• حين تشاء وفى أى وقت تختار •• وان تشهدها شوارع دمشق فى الساعة الثانية بعد منتصف الليل سكرى تترنح ، وان تشيع فيها قالة السوء وهى بخير ، تستمتع بحنو جدتها ورعاية خالها وعطف الاهل والاصدقاء، تقدير خطيبها الرسمى !•

ولو صح أن فى امكان فتاة — كائنة من كانت — أن تخلق هذا المجتمع الخاص فى البلد الشرقى العريق المحافظ — وهو ما لا أتصوره — لضاعت كل الحبكة



الانسة كوليت سهيل خورى

الفنية للقصة التى تحكى تمرد فتـــاة مراهقة على مجتمع رجعى جامد ، ذلــك لان مجرد امكـــان محاسبة « ريم » لمغامرتها الجريئة علنا على مرأى مـــن الاهل والاصدقاء ومسمع ، يؤكـــد أن القيود التى ثارت « ريم» متمردة عليها كانت قيودا وهمية أو هى على أحســـد الفروض قيود واهنة واهية لا تعـــدو كلمة عتاب من العم وعبارة اشفاق من الجدة ، ونصيحة ملطفة من زوجة الخال .. وهكذا تتحلل العقدة التى بنـــت كوليت عليها قصتها ، فجـاءت الثورة عنيفة جامحة ، على قيود لم تفلح الكاتبة فى اقناعنا بوجودها ولو عـــلى سبيل الوهم !..

وقد تقول « كوليت» ان هذا مجتمع خاص ، أوجدته « ريم » بارادتهـــا العنيدة لتعيش على هواها .. على حين أراه ضعفا فنيا خطيرا ، لان بنـــاء القصة قد اهتز كله أثرا لوهن العقدة وانهيار الاساس !.

* * *

ولم يكن عجبا وقد انكرت هذا كله من قصة « ايام معه » أن اشفق مـــن لقاء صاحبتها ، فربما كان من اليسيـر أن اسجل رأيى فيها ، فى نقد ينشر أو حديث يذاع ، أما المواجهة فصعبة ، وبخاصة مع مثل « كوليت »!.

غير انى لم أكد أصـــل الى دمشق حتى كانت كوليت قد دبرت بحيلتهـــا وذكائها ، فرصة لقائنا !.

وتقدمت اصافحها فى شىء مـــن الارتباك ، وكل ما أخشاه أن تعـــرف رأيى فى قصتها !.

ولم تدعنى كوليت ريثمـــا استجمع نفسى والوذ بما يفرضه على الموقف من لباقة المجاملة ، بل بادرتنى قائلة :

— لقد سمعت رأيك فى « ايام معه » وما جئت الا لاسمعه منك شخصيـــا ، للمرة الثانية !.

وحدقت فيها مليا ، احاول ان انفذ ما وراء الوجه الضاحك والحيوية الثائرة والملامح الذكية الماكرة ... وسرعان ما اطمأننت ـ ربما لسذاجة في فطرتي ـ الى بساطتها وصراحة طبعها. فزايلني ما كنت اشعر به من اشفاق . واتصل الحديث بيننا على المكشوف دون تكلف او حذر .

سألتها :

ـ اعن تجربة كتبت قصتك ياكوليت؟ أعني هل أنت « ريم »؟

أجابت على الفور :

ـ ان لم أكن هي ذاتها ، فانا صاحبتها وصانعتها !.

قلت وانا اتأملها :

ـ هذا الضحك الرنان ، وذلك المرح الفياض ، ينكران أن تكوني قد عانيت أو انفعلت بتجربة فتاة اجهدتها المغامرة العنيفة !. فمن الصعب ان أتصورك الان قد شهدت بالامس القريب مصرع قلب تحطم ، ومأتم حب مات !.

فكان جوابها :

ـ الم اقل في نهاية القصة أن النار الاكلة خمدت . والرجل الذى طالما ودت « ريم » أن تتلاشى في ظله وتضمحل بين ذراعيه ، أمسى غريبا عليها كأنها تراه لاول مرة !.

ولم اقتنع بجواب ...

كما لم اقتنع بدفاعها عما أنكرت علينا من شذوذ « ريم » على ما اعرفه فطره في حواء ، وعلى وهن الاساس في قصة بنيت على « قيود » أو هى من نسيج العنكبوت !.

وامتدت بنا السهرة الى منتصف الليل ولم يبد على كوليت انها تعبت، ولكنها لمحت بوادر التعب على ، فودعتني الى اللقاء !..

* * *

ولم اعجب حين جاءت تزورني مرة ثانية وثالثة .. وازددت معرفة بها ان اجمل ما في كوليت انها اذ تترك نفسها على سجيتها وتهيم بممارسة حريتها الى حد الطيش ، لم تعد تكره شيئا مثلما تكره التكلف والنفاق والرياء، ومن اجل هذا لم تضايقها صراحتي الموجعة ولم تضق بما كشفت لها عما في قصتها من عثرات !.

ومن أجل هذا أيضا ، تهللت فرحا حين قلت لها مرة :

ـ اذا كانت قصتك تحكي تمرد مراهقة متحررة على مجتمع رجعي جامد، فقد فشلت فشلا ذريعا حين مكنت « لريم » أن تخلق مجتمعها على هواها ، بكل بساطة وبلا ادنى مشقة !.

وهى فاشلة كذلك ، اذا أريد بها تصوير طبيعة الانثى ، فليست حواء بحيث تتخلى هكذا ، بكل بساطة ، عن سحر غموضها وتذيع كل المطوى من سرها ...

ولكن القصة رائعة حقا ، اذ تمثل حواء هذا الشرق ، وهى تبذل وتتفانى وتحتمل محنة الصد والاذلال والاسترقاق مغمضة العينين ، ثم اذا بكلمة بسيطة تصدمها فجاة ، فتتمرد وتتنكر وتمضى بعيدا ...

ويقول الناس : يا لها من غادرة متلونة !. وما دروا ان شيئا في اعماقها كان يتكون في بطء ، من ذكريات مؤلمة ومواقف شقية ، واحداث عابرة. وكلمات مرة . ويظل هذا الشيء يتضخم في غفلة منها ، ويكمن في « اللاشعور » طبقات من مرارة ثم حقد ثم كراهية ، حتى يفلح آخر الامر في خنق ما ظنته حبها الكبير ..

وهذا وحده أروع ما في « ايام معه» ومن أجله وحده ، تستحق ان تقرأ.

* * *

اجل تهللت كوليت فرحا حين سمعت هذا مني لانها واثقة انى لا اجاملها !

وعندما ودعتني يوم سفري الى القاهرة، سألتني وهى تفيض بالمرح والامل :

ـ أفلا تنتظرين مني أن اكتب قصة اخرى !

اجبت وانا اضحك لها :

ـ بلى ... اكتبى قصة « أيام بعددا»

★

قطاع خدمات المعلومات

التاريخ: ١٥ / ٢ / ١٩٦٠



وهذه العصبية المعهدية.. من رواسب الاقطاع

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

عالجت ((صحيفة الراى)) فى مقال نشرته فى اليوم الرابع من فبراير الحالى ، موضوع الاتحادات الاقليمية التى يخشى ان تتيح الفرصة لتكتل ابناء الاقليم الواحد على حساب الآخرين ، وان تقوم على عصبية محلية لم يعهد لها مجال فى العهد الجديد . .

واظنها مصادفة محضة ، ان ينشر ((الاهرام)) فى الصفحة الاخيرة من العدد نفسه ، خبرا عنوانه ، ((كل ابناء الفرير يجتمعون فى كتاب)) وفيه يعلن مدير البنك البلجيكى ((أن هذا الكتاب سوف يصدر بعد شهرين ، جامعا لاسماء كل من تخرجوا فى مدارس الفرير وصورهم ، ليوزع على مكاتب رجال الاعمال ، حتى يسهل على خريجى المعهد الواحد ان يساعد بعضهم بعضا)) .

ونشر الخبر هكذا ، فى العدد الذى انكرت فيه صحيفة الراى ان تقوم اتحادات اقليمية لخدمة ابناء اقليم على حساب الآخرين ، يثير اكثر من سؤال !

فلقد يمكن ان نتصور قيام الاتحادات الاقليمية ،على معنى من التعاون والتراحم والتكافل الاجتماعى ،وان يوجه نشاطها وجهة صالحة خيرة ،تتازر فيها جهود القادرين من ابناء هذه المديرية او تلك لخدمة المحتاجين من اهلهم وجيرانهم ، وبذل المعونة الادبية والمادية ،للنهوض باقليمهم المحلى الخاص . .

كما يمكن ان يقال ان للجيرة والقربى حقا مفروضا ،يوصى به الدين ،ويلزم به العرف ،وتحترمه القوانين . . .

لكن ،على اى حق تقوم هذه العصبية لابناء الفرير ،واى معنى من معانى التراحم يمكن ان نفترضه ،والخبر يقول ان الكتاب يوضع ليوزع على رجال الاعمال حتى يسهل على خريجى الفرير منهم ان يساعدوا زملاءهم ؟

واى خير يرجى للوطن ،فى عصبية كهذه تسفر عن حزبيتها صريحة معلنة ،لتقرر للمتخرج فى مدارس الفرير على مدير البنك البلجيكى وامثاله ،حقا ليس لغيره من ابناء المعاهد القومية التى لم يتح لهم الحظ نعمة التعلم فى مدارس الفرير ؟

التاريخ: ١٥ / ٣ / ١٩٦٠

ان طبع سجل خاص لخريجى اى معهد من المعاهد ليس بدعا فى ذاته . كما ان ايجاد رابطة بين طائفة موحدة الثقافة ، ليس بمنكر على اطلاقه ، وانما المنكر حقا ان تتداعى هذه الطائفة بعصبية معهدية ، وان تبتدع لكل فرد منها حقوقا غير مشروعة ، لتعارضها مع الحق العام فى تكافؤ الفرص ، امام ابناء الشعب جميعا ...

وسانجاوز الان عما كانت بلادنا تشكوه قبل الثورة ، من انحراف المدارس الاجنبية وساغضى كذلك عما نعلمه جميعا من ان التعلم فى هذه المدارس كان – ولا يزال – وقفا على فئة بعينها من ابناء الطبقة الغنية التى يتيح لها ثراؤها المادى العريض ، ان تحتمل نفقات التعليم الباهظة فى المدارس الافرنجية ، بحيث كان وجود هذه المدارس ، ظاهرة اقطاعية صريحة ، واثرا من اثار سيطرة النظام الطبقى الذى احتكم لينا زمانا ، لجعل



لابناء (الذوات والاعيان) مدارس خاصة ، تعزلهم عن ابناء عامة الشعب ، الفقراء الكادحين ....

بل امضى الى ابعد من هذا فى التجاوز والاغضاء ، ناعترف بان كثيرين ممن تخرجوا فى هذه المدارس الاجنبية ، تدنجت نفوسهم من مأساة التنكر لعروبتهم وشرقيتهم ، وسلمت ضمائرهم من محنة الانحراف ، حين كان بعض هذه المدارس فى عهود الظلمة ، اوكارا سرية لاعوان الاستعمار ، ومراكز خفية للغزو الفكرى والمعنوى ....

لكن يبقى بعد هذا كله ، ان نتساءل : الى اى مدى يتصدع كياننا الاجتماعى لو اتحنا لابناء كل معهد ، او انصار كل ثقافة ، أن يتداعوا علنا بعصبية معهدية ، ويلتقوا جهرا على حقوق لهم مزعومة ، ليست لغيرهم من عامة افراد الشعب !

وتصوروا حالنا يوم تتوزعنا احزاب شتى ، كل حزب منها يتعصب لابناء معهد بعينه ، فيؤثرهم بالمساعدة والتشجيع ، ويفتح لهم دون سواهم منافذ الفرص ، ويمهد لهم طرق الوصول !!

تصوروا حالنا ، يوم تذيع فينا هذه البدعة الغريبة ، فاذا عصبيات فكتورية وجيزويتية وامريكية ، تقابلها من ناحية اخرى عصبيات شتى لخريجى الازهر ، ودار العلوم ، وجامعات القاهرة وعين شمس ودمشق والاسكندرية واسيوط ، بحيث تصبح الزمالة المعهدية مؤهلا عرليا س مؤهلات الممس ، ويصبح سجل الخريجين مرجعا خطيرا ، لفرص التعيين والترقية ، والتقدير والتزكية

واى شيء يكون هذا ، الا بعثا للحزبية البغيضة التى مزقتنا بددا ، والا رجعة الى الطائفية المشئومة التى تذرع بها الاستعمار ليفرقنا طرائق قددا !

اى شيء وراء هذا ، الا التصادم والتباغض ، والا التصدع القومى الذى لم نكد نحس بوادر النجاة منه ، حتى جاء يهددنا من جديد !

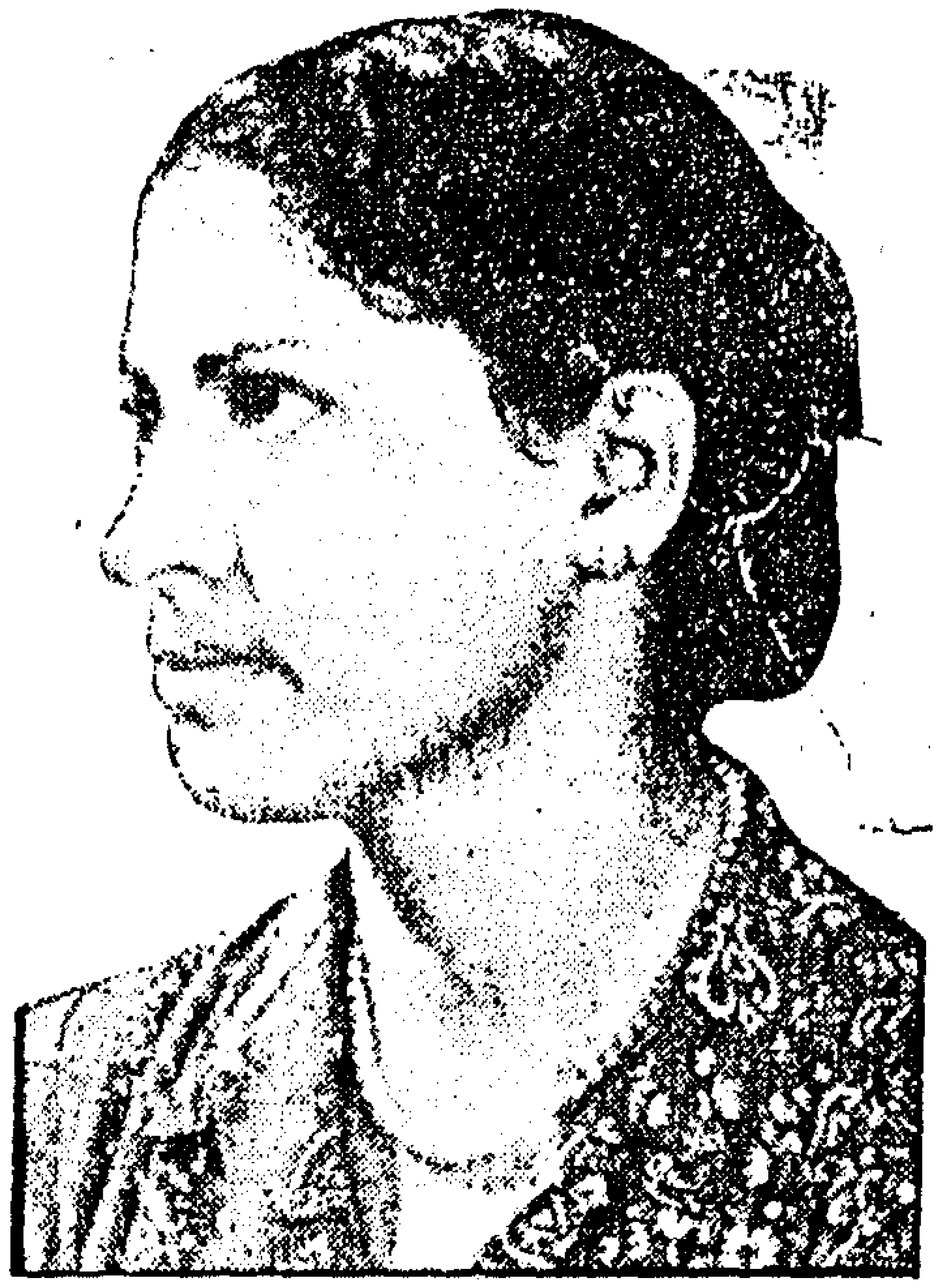
كلا .. انها لفتنة !

فتنة نامت بالقضاء على الطائفية والحزبية ، وما يجوز لاحد كائنا من كان – ان يوقظها ، لتتصدع ما نبنى ، وتبعثر ما نجمع ، وتمزق الشمل الذى آن له ان يلتئم !

التاريخ: ٢٠ / ٣ / ١٩٦٠

بنت الشاطئ ترشح لجائزة نوبل!

الأدباء مرضى بالخوف من النقاد



الدكتورة بنت الشاطئ، اكتشفت في ابي العلاء نواح جديدة

بعد لحظات من دخولي مكتبها ظننت انى أشاهد آثار حملة قوية ، زحفت من اروقة الازهر ، ومن قاعات الجامعة ، ومن آفاق الغرب الحديث واقتحمت حي مصر الجديدة واستقرت أخيرا ، في هذا البيت الفريد الذى يضم أستاذين كبيرين ، الشيخ أمين الخولي ، والدكتورة بنت الشاطىء

هذه هي الصومعة التى يقضى فيها الشيخان ساعات طويلة

• صفوف الكتب ترتفع من الارض الى السقف تغطى جدران الحجرة ، وتترك مكانا ضيقا لباب الدخول

التاريخ: ٢٠ / ٣ / ١٩٦٠

وهممت ان اسال :
مكتب من هذا ؟

فالمجلدات الضخمة تذكرنا بكتب الازهر الشريف ولكننى تركت السؤال فلابد ان هذه المجلدات نفسها زحفت الى بقية حجرات البيت. وجعلت ابوابه تفتح على حلقة الدرس ونودع كل يوم ، تلاميذ هم فى الواقع اساتذة .

سالت الشيخ امين الخولي :

ـ هل قرات الكتاب الاخير الذى اصدره الاستاذ العقاد ..

ولا ادرى كيف تحول الحديث بسرعة الى ذكريات سابقة عن ادباء معروفين وحياة غزيرة عاشها الشيخ .

وعندما مضى الاستاذ الخولي ليستقبل ثلاثة من تلامذته ، اساتذة الجامعة . كنا قد بدانا نسترجع ذكريات حياتها .

انها تقول من نفسها .

« تعلمت على منهج الازهر فكان القرآن كتابى الاول وحتى الان اعتبره كنزى الاعلى »

ولكن كم من الالاف وعشرات الالاف حفظوا القرآن ، ولم يذكرهم احد ؟ لقد صنعت بنت الشاطىء ، من حياتها، نقطة التقاء للثقافة الازهرية العريقة، والثقافة الجامعية الحديثة .

وكانت تلك هى معركة حياتها الكبيرة .

كانت تعمل مدرسة فى مدرسة اولية ، وكانت تريد ان تصل الى قمة الثقافة .

بحثت عن منهاج وطريقة .. التحقت فى اقسى الظروف ، وخفية عن ابيها ـ بكلية الاداب عام ١٩٣٦ ، فاختارت اساتذتها ، فى صمت وحذر ، فليس كل ما يلمع فى الجامعة استاذا !

كانت تحضر الاسبوع الاول من العام الدراسى بانتظام لتعرف من من الاساتذة يغنى عنه كتاب .. ومن منهم لا تجده فى كتاب !

عرفت ان طه حسين ومصطفى عبد الرازق وامين الخولى لا يمكن العثور عليهم فى الصفحات المطبوعة .. لانهم اساتذة الجامعة بحق .

كان امين الخولى ، استاذها ، كما كان استاذ أجيال .

وكان يدرس لها التفسير والبلاغة ، ويهديها الى صحة المنهج ، وفقه المادة، وسر التعبير . وبعد الليسانس، مضت تحضر رسالة الماجستير ، باشراف الدكتور طه حسين

سالتها :

● ولماذا اخترت أبا العلاء دون الشعراء ؟

ـ لانه الشاعر الذى وجد نفسه . كنت اشعر ان فيه من العظمة ما كان يرضى غرورى فى تلك الفترة ، وربما اخترته لانه الرجل الذى عاكس حواء واوصى الا تتعلم القراءة والكتابة ، فتعلمت وذهبت الى مدينته حلب لتكون اول سيدة تحاضر عن «جنة الغفران» لشاعر المعرة !

● ومتى بدا اعجابك بأبى العلاء ؟

ـ اثناء الدراسة في قسم الامتياز. كان مقررا علينا ان نقرا كتابة الفصول والغايات فشاقنى ان اعرفه حق معرفته . وكنت اقرا هذا الكتاب على استاذنا الدكتور طه حسين الذى اغرتنى سعة علمه ، وعذوبة محاضراته، ان اتابع اكتشاف ابى العلاء .

وبنت الشاطىء اكتشفت بالفعل نواحى جديدة فى أبى العلاء

انها تتحدث عنه ، وكانها عالم من علماء الذرة ، عرف اسرار المواد التى كانت مجهولة لقرون طويلة .

من رأيها أن أبا العلاء لم يكره الحياة ابدا ، ولم يزهد فيها لانه كان يمقتها ، العكس هو الصحيح. يضمر للدنيا اصدق العشق ..وهو يئن من هواها فيقول :

« أحب الدنيا وآلتها ليست لى »
فنشعر على الفور ان الطبيعة جردته من هذه الوسيلة ، التى منحتها لسائر الناس كى يباشروا الحياة .

وبنت الشاطىء هى التى كشفت عن محاولة ابى العلاء الانتحار ، وهى تفسر هذه المحاولة الاليمة على ضوء الفكرة السابقة ، فتقول : انه حاول الانتحار بعد ان جاوز الستين ، وحدد طريقة الانتحار فقال « لو امنت التبعة لجاز ان امسك عن الطعام والشراب ، لكننى اخشى غوائل السبيل »

ولماذا اراد ان ينتحر ! ليس كرها فى الحياة ، بل يأسا من بلوغها ،ويأسا من الراحة مما كان يكابد من هواها

ويبدو لى ان ابا العلاء ملا عالمها ، فهى تتحدث عنه بايمان وحب تستشهد بالنصوص من آثاره . وتحفظها من ظهر قلب .

فما رأيها في الشعراء المعاصرين ؟
قالت : انها تقرا كل ما يصدر من دواوين كواجب !

سألتها وما رأيها في ناجى !
قالت :

ـ عاطفياته مؤثرة تذكرني بشعر كامل الشناوى ، على فرق ما بينهما

● وشوقى !

ـ اجله واقدره ، وارى في مجرد اقتران اسم حافظ باسمه ظلما وخطا

ـ والشعراء الشبان !

اقرا لهم جميعا ، ولا احكم عليهم الان ، اذ ينبغى ان ننتظر فما يزال امامهم مجال ..

● والشعراء الكبار ؟
وفتح هذا السؤال جبهة القتال
قالت :

ـ بنزاهة الناقد الذى يرى العلم امانة ، ومن غير مظنة التاثربالخصومة بين الجيلين ، هؤلاء الكبار بدا اكثرهم كبارا وانتهوا صغارا

فى قصائدهم الاولى تجد المعاناة الوجدانية ، وفى اخريات شعرهم ، تجد جهد الصنعة والمعاناة اللفظية وارجو ان تحمينى انوثتى من غضباتهم المشهورة.. فهؤلاء الكباريكرهون النقد

ذات مرة كتبت نقدا موضوعيا فى كتاب دفاع عن البلاغة للاستاذ الكبير احمد حسن الزيات ، وفى حسابى ان النقد مظهر تكريم للمنقود ، فكاد رده فى صفحتين كلهما سخرية بى واستهزاء .. وانكار ان اعرف او اكتب فى البلاغة وانا لا اعرف فيها الا ما يعرفه هو عن الهيروغليفية وانني استعرت قلم زوجي الشيخ وانا لا افرق بين كسر الجرة ، وتحطيم الذرة فلما قرات هذا الرد اشفقت عليه وتاكدت انه انتهى لانى مؤمنةبان العالم اذا اخطا « لاادرى»اصيبت مقاتله

ـ وصدق ظنى فالكاتب المجيد الذى كان يغذى الحياة الادبية بمقالاتهالقيمة فى الرسالة والذى قدم الينا روائع من مؤلفاته ومترجماته انتهى فعلا ، اطال الله عمره .

قلت لها :

● لكن الخوف من النقد والهجوم على النقاد ظاهرة مرضية موجودة فى الشبان

قالت :

ـ الشبان معذورون فهم اولا قد نلقوا هذا الدرس من الاعلام الكبار، وهم ثانيا لم يبلغوا بعدُ القمة وطبيعى ان يشفقوا من كل ما يظنون انه يعوق خطاهم او يعطل سيرهم .

قلت لها :

ـ ولكن.. اليس هناك شاعر تفضلينه من بين الشعراء المعاصرين !

فقالت :

ـ شاعرة العربية الاولى هى نازك الملائكة اننى اصحب دائما احد دواوينها معى فى السفر وميزتها انها لم تتحرر من القديم عجزا او افلاسا، فهى تجيد النظم على النسق التقليدى وما كان تحررها الا انطلاقا وابداعا . انها لا تهتم بالوصف ، وانما تستو ذاتها ، وهى لا تتحرر من موسيقيه الشعر ، بل تتصرف فى هندسةالبحور لتؤدى المعنى الشعرى كاروع واتم ما يكون الاداء . وقد اضافت الى القصيدة العربية بعدا ثالثا هوالعمق، والعمق عندها اخطر واهم من الطول والعرض .

سألتها :

● والكتاب ، اليس من بينهم من تعدينه اديبك المفضل ؟

اجابت على الفور ، وكأنما كانت تنتظر هذا السؤال :

ـ بلى ، عالمنا الطبيب الاديب ، الدكتور محمد كامل حسين ، استاذ جراحة العظام ، ومبدع قرية ظالمة ، ووحدة المعرفة ، والتفسير البيولوجى للتاريخ .

قلت : فهل ترشحينه مثلا لجائزة الدولة فى الادب ؟

اجابت في انفعال : كلا .. ولكنى ارشحه لجائزة نوبل ، ولن يدهشنى ان ينالها قبل ان تفكر هيئاتنا الادبية الموقرة فى ترشيحه لجائزتنا المحلية !

ودعت الدكتورة عائشة عبد الرحمن ، وفى أوراقى ما يملأ عشر مقالات .

وفى الطريق ، بعد أن ودعتهما ، تذكرت انى نسيت أن اوجه الى الدكتورة عائشة ، أول سؤال كنت انوى أن أبداها به ..

تذكرت انى لم اسألها ، من قصة لقائها باستاذها الذى تتلمذت عليه ، واحبته ، وتزوجته !

ويظهر اننى ما نسيت هذا السؤال ، الا لانى عرفتالجواب عنه ، بمجرد انرأيتهما معا ، فى بيتهماووسط كتبهما ..

فمن النظرة الاولى ، اليهما معا ،لم اعد فى حاجة الى ان اسأل عنالقصة الرائعة : قصة التقاء عقلين وائتلاف قلبين ، واندماج روحين وامتزاج عاطفتين ، فى نغمة عميقة منسجمة ، عذبة صافية ، تبكى قصة حب كبير .

التاريخ: ٢٢ / ٢ / ١٩٦٠

من اجل حماية الوحدة وضمانا لسلامة المصير

لابد أن نصنع شيئاً خطيراً

يهيئ الجيل الصاعد لحمل الامانة فإن الاستعمار شوه تاريخنا وبتره



بقلم الدكتورة
بنت الشاطئ

من اجل الغد ..

من اجل حماية هذه الوحدة ، التى هى امانة يسلمها جيل الى جيل ..

وضمانا لسلامة المصير ، الذى قال الرئيس جمال ان الشعب هو صانعه !

واداء لحق هذا الوطن العربى ، الذى يرتهن وجوده باتحاد الكلمة وائتلاف الشمل ، وتآزر القوى ..

من اجل هذا كله ، يجب أن نصنع شيئا ذا خطر ، يهيىء الجيل الصاعد لحمل الامانة الصعبة الذى سوف يتلقاها فى غده !

هذا الجيل يجب ان يعرف تاريخه ويتصل بماضيه !

وما آتى بجديد ، حين اقول ان عهود الطغيان والاستعمار ، قد الحت على تاريخنا بترا وطباوتشويها ، وان اعداءنا قد عزلونا عمدا عن اصولنا ، وطووا عنا عمدا حقائق ماضينا وامجاده ، وسهروا على تدمير معنويتنا بما القوا فى اذهان اجيال عديدة منا ، من مفتريات واباطيل ، وبما باعدوا بينهم وبين الآباء والاجداد

وكلمة حق يجب ان تقال :

تلك هى ان نفرا ممن تأثروا بذلك الغزو المعنوى الخبيث ، وعاشوا زمانا تحت ضغطه الملح المرهق ، حين كانوا فى سن التأثر والتلقى ، مايزالون حتى اليوم يشغلون مراكز خطرة ، فى صنع الشباب وتوجيهه ..

كما ان اكثر الكتب التى بين أيدى الشباب ، قد كتبت بعقلية العصر الاقطاعى الاغبر !

اتريدون مثلا ؟

كتاب فى دراسة ادب واحد من اعلام الجيل ، طبع سنة ١٩٥٣ ، يحلل شخصية هذا الاديب فيقرر انه مصاب بعقدة نقص ، ثم يمضى الكتاب فى التماس الاسباب لهذه العقدة ، فيردها صراحة الى امور ثلاثة :

اولها ، ان هذا الاديب ((سورى الاصل سورى الاب والام ، وان استوطن مصر فليس من طبيعة الاشياء ان يكون هواه خالصا معها ، وانما شانه شان الدخيل ، ايمانه على حرف ، فان اصابه خير اطمأن به ، اما اذا مسه شر ، فليس البلد بلده ، واهلها ليسوا باهل له ، ومن ثم استباح لنفسه ان يلعنهم ، ويبعث بابنه الى جامعة بيروت ، متجاهلا الجامعة المصرية)) ! !

والامر الثانى ، انه فقير ((وككل مصاب بمركب نقص ، يجب ان يستعلى .. فقلة حظه من المال لا يطلقها زهد فيه ، وانما هو ساخط متبرم حاقد))

والامر الثالث ، انه معتل الصحة ، ورسائله الى اصدقائه ، ملأى بشكواه من ضعف صحته ..

وعقلية الاستعمار وحدها ، هى التى لقنت كثيرين منا ، ان السورى اذا عاش فى مصر فهو دخيل معقد النفس ! وانه اذا بعث بولده الى جامعة بيروت ، فذلك شاهد على عقدته ، وكأن ليس بين المصريين حتى اليوم ، من يبعث بأبنائه الى جامعات فرنسا وانجلترا ، ومن يتزوج من اجنبيات ، ينتمين الى دول استعمارية ، ماتزال تستبيح استرقاق شعوب هذا الشرق !

وعقلية الاقطاع وحدها ، هى التى علمتنا ان الفقر آفة تتعقد بها النفوس ، ومنقصة تزرى بصاحبها ، وتسقم وجدانه ! وننسى ان بطل الابطال فى تاريخنا ، هو اليتيم الفقير ، المبعوث بآخر رسالات السماء ...

وعقلية العصور المظلمة ، هى التى يمكن ان تجعل من شكوى العلة فى الجسم ، دليلا على سقم النفس ، وليس فى البشر جميعا من لا يشكو علة ، وليس فيهم من اخذ على القدر عهدا ان يظل ماعاش ، مبرءا من العلل والامراض ! !

وابناؤنا فى مرحلة التوجيه ، ينتهون من الدراسة الثانوية ، وليس لهم أدنى علم بوحدة مصر والشام فى تاريخهما السياسى والحربى والادبى منذ سقوط بغداد الى ان فرقهما الاستعمار ، ولا عندهم اى خبر ، عما صنعته مصر والشام معا ، لحماية تراث العروبة والاسلام من خطر الاعصار المدمر الذى اجتاح الشرق العربى فى هجمات التتار والمغول والصليبيين ....

بل ليست لديهم فكرة واضحة ، من اعلام الادباء والمؤلفين فى مصر والشام ، وما خلفوا لنا من كنوز فكرية ، تعتز بها العربية لغة وفنا ، فالقسم الخاص بمصر والشام فى كتاب الادب ، لايزيد على صفحات ثلاث (١٧٩ : ١٨١) ، وبين أيديهم كتاب كامل بالفرنسية ، يعرفهم بأعلام الكتاب الفرنسيين ، مع نماذج مختارة من آثارهم الادبية ، فى الوقت الذى لايعرفون فيه شيئا — اى شىء — عن ادباء الاقليم السورى ! !

وهذا الشباب — صاحب الغد — لايعوزه الحماس ، ولا ينقصه الايمان ، وانما الذى يعوزه حقا ان يستكمل معرفته لنفسه ووعيه لوجوده ، بأن يعرف ماضيه حق المعرفة ، ويرتبط بأصوله اوثق ارتباط ، فلتكن منا طائفة مخلصة نزيهة ، تهيىء لجيل الغد زادا فكريا ووجدانيا سليما ، بتصفية رواسب الاستعمار والاقطاع فى المكتبة العربية ، ونشر المطوى من تاريخنا الطويل العريق

التاريخ: ٢٨ / ٢ / ١٩٦٠

من تاريخنا الروحي

رسالة .. ومعجزة

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ



المكان : فى مكة ام القرى ، موطن العرب الدينى منذ مالا يحصى من دهور حقاب !

والزمان : فجر ليلة من شهر رمضان ، منذ الف وثلاثمائة وتسعة وثمانين ا قمريا .

وقد نامت « مكة » آمنة فلم تكد فى غبش الفجر ، متئد الخطوات شاخصا س بمحمد بن عبد الله الهاشمى مذرورا ، فما بلغ بيته حتى اوى الى شى ، وهو يخرج من « غار حراء » زوجته «خديجة» يلتمس الدفء والسكينة

واصغت اليه بملء وعيها ، وهو يفضى اليها بالذى كان

لقد جاءته اذ هو فى الغار يتعبد ، رسالة من الله جل جلاله ، حملها اليه أمين الوحى ، من الافق الاعلى ..

أتراه يحلم ؟ أم به مس من مرض ؟

وجاءه الجواب من زوجته ، تقول فى حماس وثقة وايمان :

« الله يرعانا يا أبا القاسم . ابشر يا ابن عم واثبت ، فوالذى نفس خديجة بيده ، انى لارجو ان تكون نبى هذه الامة .. والله لا يخزيك الله ابدا ! انك لتصل الرحم وتصدق الحديث ،وتحمل الكل ،وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق . »

هنالك أشرقت أسارير محمد صلى الله عليه وسلم ، وزايله روعه ، فما هو بالكاهن ، وما به من جنة أو مرض ، وهذا صوت زوجته الحبيبة ، ينساب مع نور الفجر الى فؤاده ، فيبث فيه الراحة والاطمئنان .

ومضى يستعيد ما شهد وما سمع

النور يملأ عليه الغار، وهو فى عزلته عن الدنيا ، يلمح وراء جلال الليل ورهبة الصحراء وبهاء السماء ، قوة عظمى خفية ، تدبر امر هذا الكون وفق نظام دقيق ونواميس ثابتة ، « فلا الشمس ينبغى لها ان تدرك القمر، ولا الليل سابق النهار ، وكل فى فلك يسبحون

وترى تأملاته الى البيت العتيق ، فتصطدم هنالك بأصنام تكدست فى الحرم الاقدس ، صماء عمياء ، لا تملك لنفسها نفعا ولا ترد عن نفسها ضرا ..

ويعاوده خاطر طالما الح عليه كلما خلا بنفسه فى الغار عابدا متأملا : أتمسى الكعبة ، مصلى ابراهيم ، مقرا لهذه الاوثان ؟ يا له من عدوان على الحرم الاقدس ، مقام محطم الاصنام !

وتخف عقول قومه، فيتعبدون لحجارة بالغة الهوان ، ويقدمون القرابين لاوثان وأصنام صنعوها بأيديهم ، ثم جعلوا منها آلهة وأربابا ؟ ياله من سفه ، وياله من هوان !

كلا ... ما يجوز أن يكون لهذه الاصنام مكان فى الكعبة ، ومحال أن تمضى حياة قومه هكذا ، على سفه وضلال !..

ومع التأملات ، يزداد النور تألقا ، ويحس العابد كأنه يدنو من الحقيقة الكبرى التى طالما نشدها ، ويوشك ان يستجلى السر الاعظم ، فتأخذه هيبة ، ويرجف قلبه ووجدانه وحسه للتجلى الباهر ...

وسمع صوتا لا يحقق مصدره :

« اقرا » ...
فيجم لحظة ، ثم يستجمع كل يقظته ليصغي الى الصوت يعود اشد وضوحا:
« اقرا » ..
يقرا ؟ وماذا عساه ان يقرا ؟ وانى له ان يقرا ؟
ثم لا يملك الا ان يجيب !
« ما أنا بقارىء ! »
فيعود الصوت :
« اقرا باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق . اقرا وربك الاكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم . »
ويمتثل العابد ، ويعيد قراءة ماأوحى اليه من ربه ؛ وملء قلبه خشوع ، وملء خاطره دهشة ؛ وملء كيانه رهبة ...

تلك كانت آية الوحى الاولى ...
ومن عجب أن تكون آية القراءة ، والقلم ، والعلم ، هى اول ما يتنزل من الوحى على نبي عربي ، بعثه الله « فى الاميين رسولا منهم »
سبحانه ... أفأراد بهذا الاستهلال ، ان يلفت هؤلاء العرب الاميين ، الى خطر القراءة ، ومجد القلم ، وجلال العلم ؟

وتتابع الوحى .. وتمت الرسالة
وشهدت الدنيا عجبا من العجب :
بشر رسول، معجزته الواحدة «كتاب»!
كتاب ؟ وهو الامى الذى لا يقرأ ولا يكتب !.
كتاب ؟ وليس لقومه العرب مكتبة ، ولا لهم عهد قبله بكتاب !
وتقف الدنيا مبهورة ، وهى تشهد النبى الامى ، يحطم الاصنام، ويقضى على الوثنية ، وكل معجزته كتاب، اول كلمة فيه « اقرا »

وبالقلم دون « الكتاب » الخالد ، وبالقراءة وعاه المسلمون ، وكان لهم على مر العصور وتتابع الاجيال هدى ومنارا وملاذا ...

وبدأ تاريخ جديد للعرب وللانسانية كلها ..
تاريخ صنعه « كتاب » انزل على النبى العربى الامى ، وحمله المسلمون معهم فى فتوحاتهم الكبرى ، فتمت به وحدة اللسان الى جانب وحدة العقيدة، فى ذلك الوطن الكبير الممتد من أطراف الشرق الاسيوى الى أقصى المغرب الافريقى ..
وكانت هذه الوحدة، هى التى حفظت تلاقى القلوب والعقول، والافكار والارواح،

عندما مزق الاستعمار هذا الوطن الكبير اقطارا شتى ، واقام بينها الحدود والاسوار ...

فعن طريق الكتاب ، والقراءة، والقلم، كنا جميعا ، نحن العرب ، نلتقى فكرا وروحا ووجدانا ، رغم كل الحواجز والسدود ..

وتجلت آية الله فينا ، اذ جعل معجزة النبى العربى الامى كتابا ، يستهل بقوله تعالى : « اقرا ... »
وستظل ابدا تتجلى فينا ، حين تتم الوحدة فى وطننا العربى ، وحين يمضى بنا طموحنا ووعينا ، الى حيث نستكمل وجودنا الكريم ، بالقراءة ، وبالقلم ، والعلم ...

بنت الشاطىء

التاريخ: ٩ / ٣ / ١٩٦٠

من تاريخنا الروحي
حصار .

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ



((الى الذين صمدوا بالامس فى بورسعيد ، والى الذين صمموا على الصمود فى جهادهم الباسل ، حتى يتحرر شرقنا الكبير))

الدنيا ليل ...

وقد انفض سامر قريش فآبوا الى مضاجعهم مطمئنين ، يحلمون بيوم قريب يفرغون فيه من امر محمد واصحابه .

لقد اوشك الحصار الذى فرضوه على بنى هاشم ان يبلغ غايته ، فمن المستحيل ان يصمد المحاصرون طويلا ، بعد ان جهدوا جوعا وعريا ...

فمنذ تعاقدت قبائل قريش على بنى هاشم وبنى عبد المطلب ، الا يصهروا الى احد منهم ، ولا يبيعوهم ولا يبتاعوا منهم شيئا ، وسجلوا هذه المقاطعة فى صحيفة علقوها فى جوف الكعبة ، وآل محمد يتعرضون فى شعب ابى طالب لما هو اقسى من الموت .

لقد بلغ بهم الحال انهم كانوا ياكلون العشب وورق الشجر ، وربما وطىء احدهم على شىء رطب فالتقاه فى فمه وابتلعه دون ان يدرى ما هو ! وقد يفد على سوق مكة تجار غرباء ، لا ناقة لهم فى الامر ولا جمل ، فيأتى احد المسلمين السوق ليشترى شيئا من الطعام لعياله فلايكاد يهم ان يفعل حتى تأخذه صيحة عالية ، واذا « ابولهب بن عبدالمطلب » ينادى بأعلى صوته : يامعشر التجار ، غالوا على اصحاب محمد حتى لايدركوا معكم شيئا ، لقد علمتم مالى ووفاء ذمتى فانا ضامن الا خسار عليكم » فيزيد التجار السلعة اضعاف قيمتها ، حتى يرجع المسلم الى اطفاله وهم يتضاغون من الجوع ، وليس فى يديه شىء يطعمهم به . ويغدو التجار على « ابى لهب » فيربحهم فيما بأيديهم من الطعام واللباس ...

الا ان لطاقة البشر حدا ، وقد بلغ الحصار بأصحاب محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ اقصى مداه ، فان هى الا عشية او ضحاها ، ويفنى الاحتمال وتنفد الطاقة ويغلب الصبر ...

وبهذا كانت تحلم قريش ..

الدنيا ليل ...

والظلمة حالكة ، وسيد من قريش ، هو هشام بن عمر بن ربيعة ـ وكان ابن اخى نضلة بن هاشم لامه ـ قد تناهى الى سمعه فى سكون الليل ، جؤار الصبية الجائعين من بنى هاشم ، فاطار النوم من جفنيه ، فخرج يضرب فى احشاء الظلمة قلق النفس والضمير ، حتى بلغ بيت زهير بن ابى امية ، زاد الركب المخزومى ـ وكانت امه عاتكة بنت ابى طالب ـ فالفاه مسهدا مثله ، فابتدره قائلا : يا زهير ، اقد رضيت ان تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء ، واخوالك حيث علمت ؟ اما انى احلف بالله ، ان لو كانوا اخوال ابى الحكم بن هشام ، ثم دعوته الى مثل مادعاك اليه منهم ، ما اجابك اليه ابدا ...

قال زهير محزونا : ويحك يا هشام ، فما اصنع ؟ انما انا رجل واحد ، والله لو كان معى رجل آخر ، لقمت اسعى حتى انقض صحيفة المقاطعة ..

فهتف هشام : قد وجدت رجلا ، فانا معك !

قال زهير : فالتمس لنا رجلا ثالثا .

وخرج هشام ، فمازال يسرى حتى بلغ المطعم بن عدى بن عبد مناف ، فقال له : يا مطعم ، اقد رضيت ان يهلك بطنان من بنى عبد مناف ، وانت شاهد على ذلك موافق لقريش فيه ؟

اجاب يائسا : ويحك ، انما انا رجل واحد فما حيلتى .

قال هشام : بل معك ثان وثالث ..

ثم انطلق يسعى حتى ابلغ « ابا البخترى بن هشام » وحدثه فى امر الحصار ، فسأله : وهل من احد يعين على نقضه ؟

اجاب : بلى .. لقد صرنا اربعة ..

ثم تركه الى حين ، وذهب الى زمعه ابن الاسود بن المطلب ، فذكر له قرابة بنى هاشم وحقهم عليه ، ووصف ما يعانون من جوع وعرى ، ثم مازال به حتى انضم الى الاربعة ..

وضربوا للقاء موعدا من تلك الليلة..

وحددوا مكانه : خطم الحجون ، فى اعلى مكة ..

وهنالك اجمعوا أمرهم ، وتعاقدوا على القيام فى نقض الصحيفة وفك الحصار، واتفقوا على الخطة ، ثم آبوا الى مساكنهم فناموا ، وطوى الليل سرهم فما درى به ليلتئذ أحد غيرهم ..

ثم كان لذلك الليل الطويل آخر ..

وتنفس الصبح ، فكان « زهير » أول من خرج يسعى من مشرق الشمس الى الكعبة ، فطاف بالبيت سبعا : ثم انثنى الى ندوة قريش وقد حفلت بوجود القوم ، فابتدرهم قائلا :

« يا اهل مكة ، أنأكل الطعام ونلبس الثياب ، وبنو هاشم هلكى لا يباع ولا يبتاع منهم ؟ والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة ! »

وصكت كلمته مسمع ابى الحكم بن هشام ، فهب قائلا فى تهديد مشوب بالسخرية :

« كذبت ، والله لا تشق »

فهب الأربعة الاخرون، الذين تعاقدوا على فك الحصار ، يقول أحدهم بعد الاخر ، بل انت الكاذب وصدق زهير ..

وانا لنبرأ من الصحيفة وما كتب فيها

فنقل أبو الحكم بصره بينهم ثم قال مغيظا : « هذا أمر قضى فيه بليل ! تشوور فيه بغير هذا المكان »

ثم الجمته المباغتة فسمرت قدميه ، وقد قام المطعم بن عدى الى الصحيفة ليشقها ، فاذا الارضة قد أكلتها فلم يبق فيها الا « باسمك اللهم » !!

وعلت ضجة ملأت أرجاء مكة ، حتى بلغت أسماع من فى الشعب ، فخروا لله سجدا ، ثم قاموا يسعون الى الكعبة ، واجسامهم المهزولة ستنعش بنشوة اليقين ووجوههم الشاحبة تتألق بنور الايمان، وهتافهم الواحد : « الله أكبر » يزلزل الارض تحت الوثنية الطاغية ، ويعلن بملء الثقة والاصرار أن لهذا الامر ما بعده .

وخشع الجبابرة من قريش، وارهقتهم ذلة ، وهم يصغون برغمهم الى قارئ يتلو فى المسجد الحرام ، من آى الذكر الحكيم :

« كلا والقمر .. والليل اذ أدبر والصبح اذا اسفر ، انها لاحدى الكبر ، نذيرا للبشر ، لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر ! »

صدق الله العظيم .

التاريخ: ٢١ / ٣ / ١٩٦٠

كلمة صريحة

يا أستاذ عقاد .. اللهم إني صائمة !

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ



بنت الشاطىء



عباس العقاد

اللهم انى صائمة ..

قلتها مرة ، حين قرأت كتاب المرأة فى القرآن،حتى لا يخرجنى الغضب عن طورى ..

واليوم الوذ بها مرة ثانية وانا اكتب هــذا المقال ، كيلا يفلت منى زمام القلم بما لا يليق فى شهر الصيام الذى يروض على الصبر والاحتمال ..

والكتــاب من تاليف الاســتاذ الكبير عباس محمود العقاد ،المرشــح لجــائزة الدولة التقديرية فى عامنا هذا

وقد اتجهت الى قراءته ،وفى حسابى انى قد القى فيــه شــيئا جديدا ،فلما مضيت فى القراءة ،الفيت الجديد فيه ان الكاتب الكبير يبتدع اسلوبا طريفا فى الاقتبــاس ،وهو ان ينقــل عشرات من الصفحات ،متتالية متتابعة ، من كتب له سـابقة ...

فمن صفحة ٤٠ : ٤٨ ثم من صــفحة

التاريخ: ٢١ / ٣ / ١٩٦٠

٥٧ : ٦٤ منقول بنصه من «هذه الشجرة»
ومن صفحة ٦٤ : ٨٠ – مرة واحدة – منقول بنصه من « مطالعات بين الكتب»
ومن صفحة ١٩١ : ١٩٤ ثم من صفحة ٢٠٦ : ٢٠٨ منقول بامانة ، من « عبقرية محمد »

والكتب الثلاثة ، المنقول منها ، كلها من تاليف الاستاذ العقاد ، فليس يضيره ان يقتبس من نفسه، وربما لا يضيره كذلك ان يسرف فى هذا الاقتباس بحيث ينقل فى موضع واحد نحو عشرين صفحة ، لكن الذى ناخذه عليه هنا ، انه لم يخرج مؤلفه الجديد بعنوان «كتاب من كتب » على غرار ما نفعل بالشعر فى « ديوان من دواوين » ...

وما انكر ان صفحات الكتاب جاوزت المائتين عدا ، لكن غير المنقول منها نصا، لا يخرج فى جوهره عما قرانا للاستاذ العقاد من قبل !

وليس هذا ، على اى حال ، ماجئت اكتب بشانه ، فلافترض ان الكتاب جديد كله ، فما يعنينى منه ، الا ان الكاتب المملاق ، رضى فى هذه المرة ان يتضاءل ويتضاءل ، امام خصم عنيد جبار مرهوب هو المراة !

وخصومة العقاد للمراة قديمة ، وكنا حسبنا انه افرغ ما فى نفسه منها فى كتبه السابقة وبخاصة « هذه الشجرة » .
وكنا نحسب كذلك ، ان شيخوخته سوف تهون عليه ما يلقى من وطاة شعوره بالغيظ من حواء ، ولكن يبدو ان شبحها ما يزال يؤرقه ويفسد عليه سلامه النفسى فى هذه السن المتاخرة ، ويحرمه ما تحتاج اليه شيخوخته – فى السن وفى صنعة الكتابة – من هدوء واتزان ووقار ، والا فكيف نفسر ان ياتى الشيخ الجليل ، على مهابة شيبته وذيوع شهرته ، ليعيد اخيرا ما قاله منذ عشر سنين ، وعشرين وثلاثين ، فى كتب مطبوعة مقروءة !!

وكيف نفسر ، ان يحشد كل براعة منطقه – وهو فى قمة نضوجه – ليقنع قراءه بان المراة قذرة ، سافلة ، متخلفة ناقصة ، لا خلق لها ولا ضمير !!

اقسم بالله ، وبحق الصيام ، انني شعرت بالاشفاق على العملاق ، وانا اقرا [illegible] ساله المريرة المنهكة ، ليكذب دعوى من [illegible] بان تخلف المراة ، اثر اوضعها الاجتماعى الذى حبسها عن العمل لمدى قرون واعمار !

وحجة شيخ الكتاب ، ان الرجال تفوقوا على النساء ، فى الاعمال التى لم تحجب المراة عنها قط «فالمراة تشتغل بالطبخ منذ كانت ، وتتعلمه فى طفولتها ، ولكنها بعد توارث هذه الصناعة فى جنسها الاف السنين ، لا تبلغ فيها مبلغ الرجل الذى يتفرغ لها بضع سنوات » ص ١٥

« وصناعة التطريز من صناعات النساء القديمة فى البيوت ، لكن المراة تعول فى ازيائها على الرجل ، وتفضل معاهد «التفصيل» التى يتولاها الرجال ، وكذلك تفضل معاهدهم على [illegible] النساء فى اعمال التجميل والزينة ، وهما من اختصاصها من قديم » ص ١٦

« وتنوح المراة على موتاها ، وتتخذ النواح على الموتى صناعة لها فى غير

التاريخ: ٢١ / ٣ / ١٩٦٠

ماتهما ،ولم تؤثر من النساء قط فى لغة من اللغات (!!) مرثاة تضارع المراثى التى نظمها الرجال ،ولا تظهر فى مراثيهن مسحة شخصية ،وراء الكلمات والمرددات التى تقال فى كل مأتم ، كأنها الاصوات التى تترجم من غرائز الاحياء على نحو واحد فى الحزن والالم ، او فى الشوق والحنين ! ص ١٦

« والملاهى من ضروب التسلية التى تشجع الرجال المرأة عليهما ، ولكن الاستاذية فى الرقص المفرد وفى رقص الجنسين ، لم تكن من حظ المراة فى العصر الحديث ولا فى العصور القديمة »

« واسم السيدة مارى كورى ، اول الاسماء التى يذكرها القائلون بالمساواة التامة بين الجنسين ، ولو صح انها تضارع علماء الطبقة الاولى لما كان فى هذا الاستثناء النادر ما ينفى القاعدة ، الا ان الواقع ان حالة هذه السيدة خاصة ،بعيدة من ان تحتسب استثناء ، لانها لم تعمل مستقلة عن زوجها ، ولم يكن عملها من قبيل الاختراع والابتداع ، وانما كان كله من قبيل الكشف والتنقيب » ص ١٩

بلى ، اشفقت على العملاق وهو يتكبد كل ذلك العناء ، فى موضوع كهذا ،اقل ما يقال فيه انه لا يلائم العمالقة ، ولا يناسب عصر غزو الفضاء ، والقمر الصناعى يلف ويدور .. !

ولا بأس علينا من هذا كله ، فما يشوقنا اليوم ، وقد بلغنا منصب الاستاذية فى الجامعة — ان ننازع الرجال استاذيتهم فى الرقص الفردى او الزوجى بل ربما لم يشقنا كذلك ، ان ننتزع من ايديهم مجد الاستاذية فى احتراف الطبخ او التجميل او صنعة الازياء .

ولكن . . . ماهذا الكلام الطويل عن قذارة المراة ،وضعة اخلاقها ، فطرة وغريزة

لقد اجهد العملاق عقله وقلمه ، لكى ينفى عن المراة اخص الصفات الانثوية الحياء والحنان والنظافة :

« فهى انما تستحى لانها تتلقى خليقة الحياء من الطبيعة او من املاء الرجال عليها ، وحياؤها الذى تتلقاه من الطبيعة انها لا تفاتح الرجل بدوافعها الجنسية ، وتنتظر المفاتحة من جانبه ، وشأنها فى ذلك كشأن جميع الاناث فى جميع انواع الحيوان .. فاذا اجتمع النساء معا بعيدا من اعين الرجال ، نسين الحياء ولم يكترثن له ، فالمراة لا تتوارى عن المراة فى الحمام ، ولم يمهدفى الحرائر الخفرات انهن فى الامم التى استخدمت الخصيان كن يحجبن عن ظهورهن امامهم عاريات . ويسوغ للنساء ان يذهبن معا الى ضروراتهن ولا يسوغ ذلك فى عرف الرجال ص ٥٢ »

وحنانها المشهور للاطفال ، صفة من صفات الغرائز توجد فى اناث الاحياء ، وليس خلقا يمليه الوجدان الادبى وسلطان الضمير ص ٥٣

« اما النظافة فليست هى من خصائص الانوثة الا لاتصالها بالزينة وحب الحظوة فى اعين الجنس الآخر ، فلو لم تكن النظافة مفروضة عليها ، باشراف الرجل على حياتها العامة والخاصة ،لكان استقلالها بنفسها وشيكا ان يضع النظافة موضع الاهمال والاستثقال » ! ص ٥٥

كلام لا يصدر عن غير عملاقنا العقاد .

لكن ما غايته وما جدواه ؟

هل يريد ان يقنع البشرية بانها خرجت من ارحام قذرة ؟ ام يريد ان نبتلى جميعا بعقدة النقص ، حين نصدق ان امهاتنا يتكلفن النظافة والحنان والحياء لانها صفات فرضت عليهن ، وليست اصلا من خلقهن ؟

انى لاعرف ان الكاتب الكبير لم يعرف المراة زوجة ولا بنتا ، ولكن الذى لا شك فيه انه عرفها اما ووالدة ، فكيف هان عليه — وهو ابن انثى — ان يحشد كل منطقه وبيانه ، لينفى عن المراة النظافة والحنان والحياء ! ؟

ولست اقول للكاتب الكبير ان عهد « الخصيان وحمامات السوق » قد ولى وراح ..

ولست آخذه بمنطق المنهج ، فاسأله كيف يستقيم كل هذا الكلام الذى نقلته بامانة ، مع الفصل الاخير من كتابه !

بل لست الزمه ايضا ، بايمانى عن اصالة الطهر والعفة والنظافة والحياء فى فطرة حواء ، فذلك ابعد ما افكر فيه وانا اتحدث الى الكاتب الكبير ،ولكنى اقول ان كلاما كهذا ، يجوز ان يصدر منه فى كتاب يحمل اى عنوان آخر ، اما ان يذاع فى الناس ، بعنوان « المراة والقرآن الكريم » فهذا ما لا يجوز

ولا ازيد .. بل الوذ بما لذت به حين قرات هذا الكتاب ، فاقول : اللهم انى صائمة !

★ بنت الشاطىء

التاريخ: ٢٤ / ٣ / ١٩٦٠

مناقشة بين بنت الشاطىء وفوزية مهران



كتبت فوزية مهران منذ اسابيع فى صباح الخير تعاتب بنت الشاطىء لأنها قالت إن حواء من طبيعتها الغموض ، وأنها لا يمكن ان تعبر ببساطة وصراحة عن تجربة عاطفية مرت بها ..

وقد جاءنا خطاب من السيدة بنت الشاطىء ، تصمم فيه على رايها .. فتقول :

« الذى قلته ــ ومازلت أؤكده ــ ان حواء لا يمكن ان تصف مغامرة جريئة لها مع رجل ، بكل صراحة وجراة ..

وفرق بعيد بين تجربة عاطفية ، وبين مغامرة طائشة !

وفرق ابعد ، بين الصدق والبساطة ، وبين الجراة والصراحة المكشوفة .

ودعينى اسالك اولا : هل قرات قصة « ايام معه » التى انكرت انا فيها ماسميته المسخ لطبيعة حواء ، اذ تذيع مغامرة كهذه ، بكل صراحة وجراة !؟

ان كنت لم تقرئيها ، فارجو ان تفعلى ، ولعلك ان تستبينى الخيط الرفيع بين التجربة والمغامرة ، ولا بين الصدق والبساطة والجراة [illegible] الصراحة [illegible]

وان كنت قراتيها ، ومازلت على رايك ، فاخشى ان الخلاف بيننا سيظل قائما :

انت ترينها تجربة عاطفية ، واراها انا مغامرة طائشة .

وانت تتصورين ان حواء يمكن ان تسجل كل ماتفعل ، وتصرح بكل مايخطر ببالها ، وانا ازكد ان هناك حدا لجراة الصراحة ، لا اتصور ابدا ان واحدة منا تستطيع ان تتعداه .

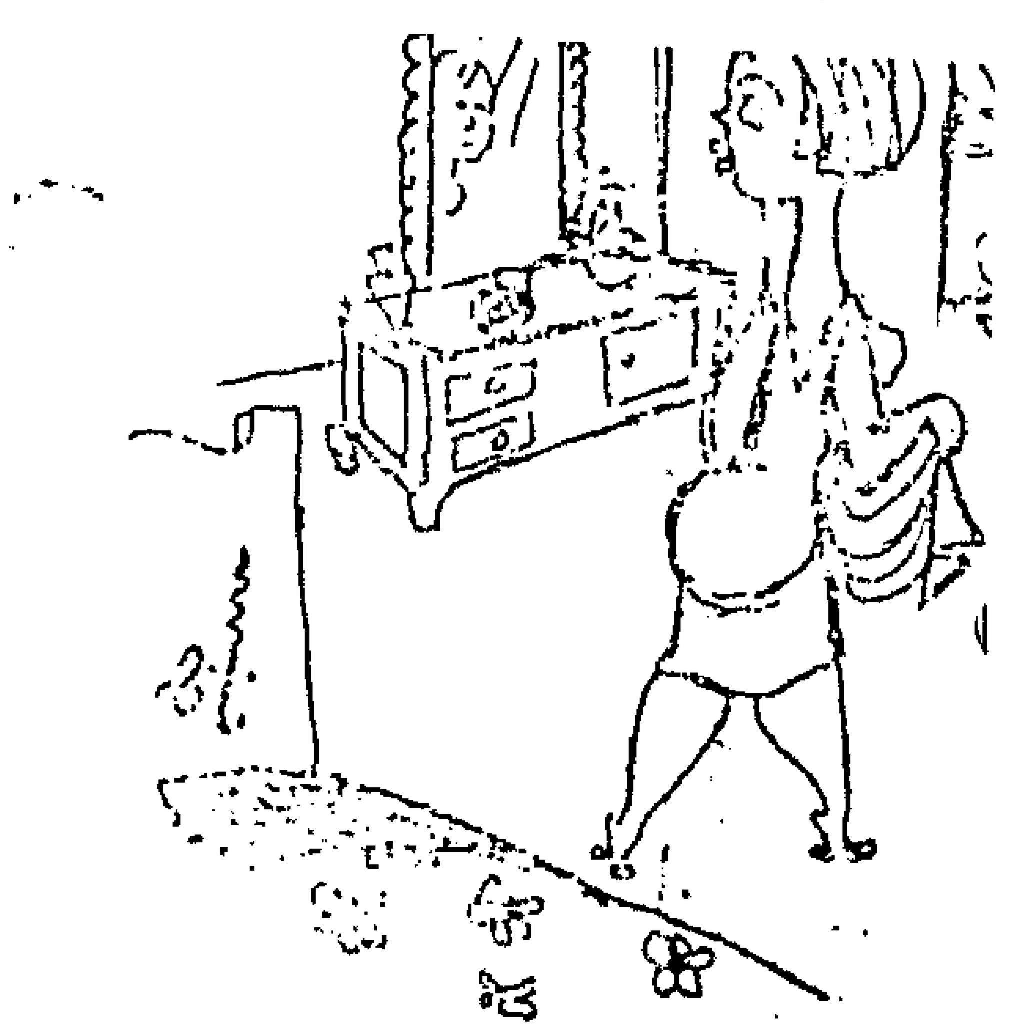
لااتصور ، ان تذيع كل اسرارها ، حتى الذى لايجوز أن يذاع ، وان تسجل كل خواطرها واحاسيسها وحركاتها ، حتى مايتصل منها بالمخدع والفراش !

واذا لم يصدمك [illegible] صدمنى ــ ان تصف لنا [illegible] زيارتها الاولى لمخدع رجل تعرفت به قبل اسبوع واحد من هذه الزيارة ! فتلمح اول مايلمح مضجعه وتقول [illegible] بل تكتب : « ديوان احمد [illegible] بنتظر من يندفع الى احضانه [illegible] المديد فى جنباته .. ص ٦٣ ، [illegible]

واذا لم يصدمك ــ كما صدمنى ــ ان فتاة شرقية تدعو صاحبها ليزورها [illegible] ثم تكتب وصفا لذلك اللقاء :

« زياد ، مادمت انت الى جانبى [illegible] اتحدى السماء ! .. اليوم عيدى . البس الدنيا ، هذه اللحظات ملكى ، والليل لى [illegible] احاط كتفى بذراعه ودخلنا معا [illegible] اضواء الفانوس الأصفر الصغير ، وقدمت له مع الكاس سيجارة ، وتكومت عند قدميه كقطة صغيرة اليفة ، ورفعت الطرف أتامل هذا الوجه الذى انطبع فى عيونى ، واحنيت راسى على كتفيه فتسللت اصابعه تنقذ الخصلات السود من الدبابيس القاسية ، وتعيد الحرية لشلال





الشعر .. ص ١٥٠ »

اقول اذا لم يصدمك هذا كما صدمنى ، فالأمل عندى فى ان نتفاهم ، يضمحل ويصير الى سراب .

ذلك لان التجربة العاطفية عندى يا صديقتى ، شىء آخر غير دبابيس الشعر وخديد الديوان الاحمر والكاس والسيجارة !

فلا تقولى اننى انكر على حواء ان تعبر عن تجربة عاطفية عانتها ، وأن تكتم شجوها ومواجدها وتدارى أشواقها ومواجعها ، ولست بحيث أكفر بما دعوت اليه ، من ان تكافح المراة الجديدة لتسد الثغرة الخطيرة فى تاريخنا الادبى والاجتماعى ، فلقد لبث الرجال زمانا ينطقون بلساننا ، ويزيفون عواطفنا ومشاعرنا ، ويزورون علينا باطل الاقاويل ، ويرسمون لنا صورا شاذة منكرة بما قالت هند وما فعلت بثينة وما احسته ليلى وما شعرت به سارة ، واكثر هذا لا يعدو تلفيق خيال مريض ووجدان معقد !

اننا فى حاجة الى ان تكتبها اقلام اصيلة ، ان جوهر حرية المراة عندى ، اهم بكثير جدا من السفور ومن التعلم والخروج .. ولتتاكدى ان ان دعوتى الى تحرير المراة من الواد المعنوى ، ليست خاطرة عابرة مرتجلة ، ولكنها عقيدة راسخة وايمان عميق ..

ولعلها — ايضا — جديرة بان توضح لك غموض « المثاليات » التى تقولين — صادقة — اننى اتشبث بها ..

وساظل متشبثة بها ، داعية اليها ، طالما بقى القلم فى يدى ، حتى يتحرر فهمنا لمعانى الحرية والأصالة والمساواة ، وأنها أشياء اخرى ، بعيدة كل البعد ، عن التحلل والفوضى والمسخ ، والسيجارة والكاس !!

« بنت الشاطىء »

الاهرام
وزارة الثقافة والإرشاد القومي
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ: ٢٧ / ٣ / ١٩٦٠

كلمة صريحة — بمناسبة عيد الأم ..

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ



لكيلا ننسى ماضينا ونقطع الصلة بيننا وبين اصولنا ...
ولكيلا يغيب عنا ، ما لعيد الام عند العرب من قدسية وجلال.
اعود فاكتب اليوم عن هـذا العيد ، ليشهد قومنا الى اى حـد جحدوا عراقة تاريخنا فى الاحتفال بالامومة ، وجهلوا ان العـرب جعلوا عيدها عبادة ودينا ! ..

ولست اريد ان اكرر اليوم ما سبق ان كتبته فى الاهرام منذ عام ، عن خطأ الذين يزعمون ان الاحتفال بعيد الام تقليد مستحدث نقلناه عن الغـرب ، جاهلين ان العـرب يحتفلون به منذ مالا يحصى من دهور واحقاب ، فى موعده الذى لم يتخلف قط ، من كل عام ...

كما لا اريد ان اعيد قصة « هاجر » أم العرب ، التى لم تكد تضع وليدها « اسماعيل » حتى جنت غيرة سيدتها « سارة » فأصرت على الايجمعها واياهما مكان ، فمضى « سيدنا ابراهيم » بهما بعيـدا ، حتى تركهما بمكة عند أطـلال البيت العتيق ، وسط واد اجرد موحش ، لانبات فيه ولاحياة ، فلما نفـد ما كان لديهما من زاد وماء ، راحت الام المنبوذة المهجورة ، تسـعى مهرولة بين الصـفا والمروة ، باحثة لوليدها عن قطرة ماء ، وهى تضع يديها على أذنيها كيلا تسمع لهاثه ، « وتغطى وجههـا بلفاعهـا كيلا تنظر موت الولد »

كلا .. لن أعيـد هنا ماقلته من قبل ، ولكنى أسـأل : لماذا لانربط بين احتفالنا بعيـد الأم ، وبين ذلك الموقف الرائع لتكريم الامومة فى تاريخنا العريق ؟

ان لجنة الاحتفال ، قد اختارت يوم ٢١ من مـارس موعدا له ، فقطعت كل صلة بينه وبين عيـدنا التاريخى الذى يقام سـنويا فى التاسع من ذى الحجة ، حيث يسعى مئات الالوف من الحجاج بين الصـفا والمروة ، كما سـعت الام

هاجر ، من قديم موغل فى أعماق الماضى.

وليست المسألة مجرد اختلاف زمنى فى تاريخ العيد ، فالامر فى هذا يهون ، لولادلالته على جهلنابتاريخنا ، واصرارنا على تجاهل عيدنا الاصيل العريق ، بكل ما يحف به من مهابة وحرمة وجلال ...

ومن عجب ، أن تجتمع اللجان وتنفض، لتبحث فى برنامج الاحتفال ، وتحدد له المكان ، وتدرس المقترحات بشأن الدعاية له والاعلان عنه ، دون ان يخطر ببالها مرة ، ان تلتفت الى ان للعرب ــ حقا وصدقا وواقعا ــ عيدهم المشهود للامومة، قد اختاروا له اقدس مكان فى أرضهم ، وحددوا له موعدا فى موسمهم الدينى الاكبر ، ووضعوا له برنامجا باهرا ، بأن يعيدوا المشهد المثير لسعى هاجر مهرولة ، بين الصفا والمروة ، سبعة اشواط ، على نفس المسرح الذى شهدها قبل فجر التاريخ تكابد هموم الامومة ، وتغالب قسوة الظمأ والجوع ، ووطأة النبذ والهجر ، كى تنقذ وليدها من الهلاك !

فكيف يهون علينا ، ان نبتدع لنا عيدا مرتجلا ، مجردا من كل هاتيك الحرمة ، بعيدا كل البعد عن ذلك الجو المتألق بالسنا والبهاء ، وبين أيدينا «التوراة» تروى قصة الام العربية الخالدة ، والشرع الاسلامى يجعل السعى بين الصفا والمروة شعيرة من شعائر الحج ؟ !

ان اهدار معنوية العيد وروحانيته وعراقته ، لايعوضه ابدا ذلك الضجيج الاعلانى الذى راجت به سوق البيع والشراء على حين أن فى استطاعتنا أن نضم اليه مايرفع معنوياتنا ، ويخصب وجودنا الروحى .

ويخطىء من يظن او يزعم ، ان عيد الام يغدو اسلاميا خالصا لو احتفلنا به فى تاسع ذى الحجة من عام القمر ، ونظمنا برامجه على هدى ذلك النمط الرائع المأثور ، فالحق ان التوراة قد باركت امومة « هاجر » كما بارك الاسـ[illegible] مسعاها ، والعرب قد احتفلوا مـ[illegible] قديمهم البعيد بتلك الذكرى الخالدة ، وضنوا بها على ان تطوى فى غيابة الزمن او تضيع فى متاهة النسيان ...

فكفانا بالله عزلة عن ماضينا ، وبعدا عن أصولنا ، وليكن احتفالنا بعيد الام نابعا من صميم بيئتنا الشرقية ، محتفظا بكل ما أضفى عليه تاريخنا الدينى من قدسية وجلال !

وليشهد عالم اليوم ، ان العرب عرفوا عيد الام على نحو لاتطمح البشرية الى مثله مهابة وروعة ، وشرف مغزى ، وسموا به الى حيث يكون عبادة ودينا !

ترى هل بلغت ؟ اللهم فاشهد !

التاريخ: ٣ / ٤ / ١٩٦٠

مالم اقله فى الصيام !!

كلمة صريحة بقلم الدكتورة بنت الشاطئ





حين كتبت مقالى : ((اللهم انى صائمة)) امسكت عن اشياء ،اكراما لشهر رمضان ..

ولم يكن فى نيتى ان اعود فاكتب ما امسكت عنه ، لولا ان الاستاذ العقاد، تفضل بالتعليق على ما كتبت ،وهذا مالم اتوقعه !

ذلك لانى لم انسب اليه لفظا لم يقله، ولم انازعه ما استاثر به للرجال من استاذية الرقص المنفرد والمزدوج ، وصناعات الطبخ والتجميل والازياء ،وفن النواح على الموتى ! ..

وانما ابديت رايا فيما يجوز انتختلف فيه الاراء ،ولم آخذه مع ذلك بما اومن به من اصالة الطهر والنظافة والحياء والحنان فى خلق حواء ..

ومن هنا كان يقينى انه لن يجد مجالا للرد على مثلى ،اما وقد فعل ، فلاقل اليوم بعض الذى لم اقله وانا صائمة !

وابدأ بعتاب : فالكاتب الكبير فى كلمته منى ، قد جردني من لقبي العلمي الذى نلته بكفاح مرير لا يهون على ان يهدر

وتجريد الناس من القابهم العلمية ، ليس من حق اى فرد، ولو كان كاتبا عملاقا ، يراس لجنة الشعر فى المجلس الاعلى للفنون والآداب .

وربما فسر هذا بان الكاتب الكبير يزدرى الدرجات الجامعية ، وقد ساله محرر احدى المجلات الاسبوعية عن سر عبقريته ، فكان جوابه : انه لم يدخل الجامعة .

غير انه عاد بعد هذا ، فارسل برقية تهنئة الى زميلة لى فاضلة ، بنيلها درجة الدكتوراه ، فسجل بهذه البرقية اعترافه بالدرجة التى أحملها ، واعتز بها ، ولا ارى اختلافى مع الاستاذ الكبير فى الراى ، يبرر حكمه على ، بالتجريد منها !

وادع العتاب الى ما لم اقله فى رمضان!

ان الاستاذ العقاد ، شديد الولع بقصة اغراء حواء لآدم ، واخراجها اياه من الجنة : كتبها منذ اعوام فى « هذه الشجرة » ثم عاد فنقلها الى « المراة فى القرآن الكريم » وزعم انها وردت فى كتب الاديان ،بما فيها الدين الاسلامى، مع انه يعلم ان القرآن الكريم لم يسند الغواية قط الى حواء ،وليس فيه اشارة من قريب او بعيد ، الى انها التى اغرت آدم فاكل من الشجرة المحرمة ، وانما الذى فيه :

« فوسوس اليه الشيطان ، قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى . فاكلا منها ، فبدت لهما سوآتهما ،وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، وعصى آدم ربه فغوى . » سورة طه .

واذا كان بعض المفسرين قد اسندوا الغواية والعصيان الى حواء ، فمرجعهم

التاريخ: ٣ / ٤ / ١٩٦٠

فيها « التوراة » لا القرآن ، وقد نقلها اليهم «وهب بن منبه» وامثاله من اليهود الذين اسلموا وحرصوا على ان يحشوا اذهان المسلمين باسرائيلياتهم .

واقول مع هذا : ان القصة كما فى التوراة تجعل حواء مسئولة عن خروج آدم من جنته ، ومن ثم بدات حياة البشرية على هذه الارض ،وقد خطر لى ان اقول للكاتب الكبير ، انه مادام مصرا على لعنة حواء بفعلتها القديمة ، فلماذا لا يتخلى من الحياة التي كانت حواء سببا فيها ، باخراجها آدم من الجنة ؟

لكني كرهت ان اقولها فى شهر الصيام!

ومدلول القصة عند الاستاذ عجيب ، فهى عنده «تعبر برموزها السهلة عن دور كل من الجنسين ، على الوجه الوحيد الذى تتم به ارادة النوع .. وانما تتم هذه الارادة بين جنس يملك الزمام ، وجنس تقوم ارادته على ان يحرك ارادة غيره » ص ٢٩

الرجل يملك الزمام !

والمراة تحرك ارادة الرجل ..

وقد اردت ان اقول للمفكر الكبير ،ان معنى هذا بداهة ،ان المراة هى التى تقود واننا نحتاج الى ان نلغى عقولنا لكى نأخذ بمنطق الاستاذ العقاد فى امساك الرجل بالزمام !

لكنى كرهت ان اقولها فى رمضان ،لان « الغاء العقول » شىء صعب !

وقال الاستاذ العقاد ما نصه :

« ان الرغبة الجنسية عند المراة تنفصل عن الغريزة النوعية فى معظم ايامها ،فليست الرغبة الجنسية بحكم الطبيعة ــ عبثا فى وقت من الاوقات عند الرجل (!!) ولكنها عبث عند المراة فى اوقات حملها وفى غير اوقات حملها من طوارئها الشهرية . وقد عوفيت انثى الحيوان من هذا العبث لانها اذا حملت صدت عن الذكر وصد الذكر عنها ،ولكن المراة التى تحس انها عابثة فى احق الوظائف النوعية بالجد والمبالاة ،يختلط عندها العبث بالجد ،والسرور العقيم بالوظيفة الطبيعية ،وقد تقضى بعد سن اليأس زمنا يحكمها فيه هذا العبث العقيم الذى لا نظير له فى حياة الرجولة»

ص ٣٠

وقد بدا لى ان اقول :اهذا الكلام عن السرور العقيم المنفصل عن الوظيفة الطبيعية ، مما يجوز ان يجرى به قلم الاستاذ العقاد ؟ لكنى تحرجت .. ومازلت اتحرج من مزيد من الخوض فيه ،وحسبى ان ارد عليه هنا بما قاله فى صفحة ١٩٩ :

« ولا بد ان تكون نفاية ضائعة حقا ،**تلك المراة التى تقصر بها امالها الانثوية دون التطلع الى منزلة ربة الدار وام البنين**»

وهو كلام صريح الدلالة ،على ان من يمارسن السرور العقيم منفصلا عن وظيفة الامومة ،لسن الا النفاية الضائعة حقا !

فهل نحكم على الجنس كله» بنفاية ضائعة منه ؟

يجوز ،لكن عند الاستاذ العقاد وحده!

وشبيه بهذا ،ما قاله فى صفحة ٦٠، اقتباسا من كتابه هذه الشجرة :

« جرى حديث فى مجلس يضم رهطا من الرجال والنساء على قسط شائع من التعليم والعرف والاداب الخلقية ، فانساق الحديث الى رجل يتجاوز الخمسين ،ذاع عنه انه يستدرج الفتيات الغريرات الى داره فيلهو بهن ويدفعهن الى سهرات العبث والمجون ،فكان النساء اقل من حضر المجلس اشمئزازا من سيرة ذلك الخليع ،كانهن لا يرين نقصا فى رجل من الرجال بعد ان تكتمل له تلك الفحولة الحيوانية ،او كانهن لا يصدقن ان الفتيات الغريرات يسقطن فى شراكه مخدوعات مغلوبات على مشيئتهن ،ولكنهن راضيات مسرورات بما اتيح لهن من فرص المتعة والابتهاج .وكلما بدا عليهن بعد ذلك من الاشمئزاز فقد سرى اليهن مستعارا ممن كان بالمجلس من الرجال فقد كانوا فى هذا المجتمع الخاص كما كانوا فى المجتمع العام كله ، مصدر السلطات على حد قولهم فى لغة الدساتير ، ومتى سقط سلطان الرجال فى الامة ، سقط معه سلطان الاخلاق ، سواء منها اخلاق العرف واخلاق الارادة . »

وقد اردت ان اسأله : اى صنف من النساء كن فى مجلسه هذا ؟ لكنى تأذيت

من نقل مثل ذلك الكلام والتعليق عليه ، فى شهر رمضان المبارك ...

وقال الاستاذ العقاد فى صفحة ٥٢ ما نصه : « ويسوغ للنساء ان يذهبن معا الى ضروراتهن ، ولا يسوغ ذلك فى عرف الرجال » وذلك بعد كلام بشع عن عرى النساء فى الحمام ، وعما يفعل الخصيان بالحرائر الخفرات !

وقد اردت ان اقول له : ان تصميم الاماكن العامة لقضاء الضرورات ، يجعل للرجال اماكن مكشوفة بلا ابواب ، حتى فى عواصم اوربا ، ولا نعرف ان هذا التصميم جائز بالنسبة لاماكن السيدات. ويسوغ فى عرف الرجال ان يقضوا ضروراتهم فى الطرقات على اعين الناس، ولم يسغ ذلك قط ولا يسوغ ، فى عرف النساء ، من اى طبقة، وفى اى مستوى!

لكنى استبشعت ان يقال كلام كهذا ، فى شهر الصيام !

وعنوان كتاب الاستاذ العقاد ، هو « المراة فى القرآن الكريم » والذى فى القرآن :

« ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة » سورة الروم

« يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء » ـ النساء

« خلقكم من نفس واحدة ، ثم جعل منها زوجها » ـ الزمر

«والله جعل لكم من انفسكم ازواجا» ـ النحل

« فاطر السموات والارض ، جعل لكم من انفسكم ازواجا » ـ الشورى .

« وهو الذى انشأكم من نفس واحدة، فمستقر ومستودع ، قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون » ـ الانعام

وقد لفتنى ، ان الاستاذ العقاد قد اغفل هذه الآيات الكريمة جميعا ـ ولعلى لا اقول هذا عن سهو اثناء قراءتى للكتاب ـ مع ان هذه الآيات اساس الوضع القرآنى للمراة ، وجوهر نكرته فيها ، واصل نظرته اليها ، فاردت ان اسأل الاستاذ العقاد : هل اشفق من ان تلزمه الحجة بها ، فيرتد اليه سهمه ويلحقه ما رمينا به، امام هذا الاصرار القرآنى على وحدة الاصل للجنسين ؟!

لكنى كرهت ـ وما ازال أكره ـ ان ارد اللعنة عن حواء، فاقذف بها البشرية كلها ، وهو ما لا ارضاه فى رمضان ، وفى غير رمضان .

وبعد ، فقد قال الكاتب الكبير فى كلمته عنى ، اننى ، بتفكيرى وعقليتى وشخصيتى ، واقرارى لمبدأ تعدد الزوجات ، آخر سيدة يجوز لها ان ترد على ماكتب سيادته عن المراة !

فياله من جنس ، ذلك الذى يشهد الاستاذ العقاد ، اننى آخر واحدة فيه !

وكنت اود ان اسأله : كيف حكم على الفصيلة كلها بآخر واحدة فيها ؟ لكنى لا اريد ان احرجه بالرد على مثلى ، اذ ليس اقسى على رجل عملاق ، ان يضطر الى منازلة سيدة يقول انها لا تحسن الا العويل والبكاء ، كما لا اريد ان اجشمه مشقة قطع الطريق الطويل ، بين مكانه العالى على قمة جنسه المتفوق الممتاز ، ومكانى الهابط ، فى آخر صف النساء !

★

بنت الشاطىء

الأهرام
مركز الأهرام للتنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ: ١٠ / ٤ / ١٩٦٠

الدكتورة بنت الشاطىء تقول:

إباحة تعدد الزوجات أهون من الضياع والانحلال!



قالت الدكتورة بنت الشاطىء رايها فى تعدد الزوجات .. ان دراستها لاحكام التشريع الاسلامى للاسرة قد اثبتت لها انها وضعت لمصلحة الاسرة اولا واخيرا . ان تعدد الزوجات – فى رايها – كثيرا ما اوقع على الرجل اعباء ثقيلة وانقذ الزوجة من اوضاع خاطئة .

تقول الدكتورة بنت الشاطىء

● من المسئول ؟

نشأت بحكم تربيتى الدينية على التسليم بحكمة التشريع الاسلامى للاسرة والايمان بان القصد منه هو المصلحة .. وكان هذا الايمان تقليدا وتاثرا بالبيئة الدينية المحافظة التى عشت فيها . ثم اتيح لى بعد ذلك ان ادرس الشريعة الاسلامية وانظر فى اصولها واحكامها بعقلية متحررة ، على ضوء ما لى من خبرة بالحياة وتجارب فيها ، فخرجت من دراستى وقد ازددت ايمانا بحكمة التشريع الاسلامى للاسرة ، وانه ليس المسئول عما وصل اليه المجتمع الاسلامى من سوء الحال ، وانما المسئول عن ذلك هو سوء الفهم وسوء التصديق وسوء الاستعمال للحق المشروع ، فتعدد الزوجات مثلا ابيح للضرورة ، ووضعت له شروط وحدود ، وليس ذنب الاسلام ان تعدى ناس حدود الله ، فاساءوا استعمال هذا الحق تاثرا بعبث الهوى واستجابة لرغبات شخصية مريضة وتلبية لنزوات فردية منحرفة ..

● عبء ثقيل على الرجل :

واكبر الخطأ ان يظن ان الاسلام باباحة تعدد الزوجات قد اقر الوضع الظالم للمراة فى المجتمع ، وحابى الرجل على حسابها وعلى حساب الام ، فالحق ان تعدد الزوجات كثيرا ما اوقع على الرجل عبئا ثقيلا وانقذ المراة العربية من وضع ابشع واشنع من تعدد الزوجات ، وهو هذا الرق العصرى الذى يعترف بزوجة واحدة ويدع لغيرها ممن يعاشرهن الزوج الضياع والهوان ، ويعفيه من مسئولية الزواج والابوة لمن يولدون حراما .. والمراة الخاسرة هى التى تدفع الثمن باهظا ، ويدفعه معها الابناء المضيعون ، ويدفعه كذلك مجتمع تعس يبيح تعدد العشيقات ولا يبيح تعدد الزوجات .

● سر المأساة :

ان فى مسالة تعدد الزوجات – كما قلت فى كتابى من نساء النبى – جانب دقيق غفل عنه كثير ، ذلك هو ان الرجال ليسوا سواء ، وقد تؤثر انثى راضية ان يكون لها حظ النصف من حياة رجل على ان يكون لها غيره كاملا . ان مأساتنا الاجتماعية ليست فى مبدأ تعدد الزوجات عند الضرورة وبشروطه الشرعية ، فما من سيدة رشيدة كريمة ترضى ان يستبدل بهذا النظام الوضع المتبع فى الغرب . ولكن سر المأساة ان رجالا مارسوا هذا الحق المشروع لغير ضرورة الا النزوة الطائشة العابرة وآخرين مالوا كل الميل فى معاملة الزوجتين ، فنبذوا احداهما ونبذوا معها اولادها فكان ما كان من كوارث ليس الاسلام مسئولا عنها بحال.

● ضعوا حدا لعبث الازواج !

ان من حق الدولة – بل من واجبها – ان تتدخل لوضع حد لمثل ذلك العبث المريض ، حماية لكيان المجتمع الذى لاسبيل الى سلامته ان لم يسلم البيت وتسلم الاسرة . ان من حق الدولة ان تمنع كل تعدد للزوجات لاتلجىء اليه الضرورة ، ولا تتحقق به مصلحة ، ولا تراعى فيه حدود الله .

اما ان نمنع رجلا الجأته الضرورة الى الزواج للمرة الثانية ، من ايواء زوجته الاولى برا بها ورحمة ، وان ترغمه على طلاقها حتى لايجمع بين اثنتين ، فذلك مالا يرضاه الشرع ، ولا ترضاه الانسانية ولا ترضاه المراة نفسها ...

واما ان يقول المجتمع للرجل : امسك عليك زوجة واحدة ، واتخذ من شئت من صاحبات غير شرعيات ، فذلك هو الانحلال والضياع

التاريخ: ١٠ / ٤ / ١٩٦٠

كلمة صريحة: الحكاية ... من اولها !!

بقلم : الدكتورة بنت الشاطئ

على الرغم مني اعود فاكتب في هذا الموضوع الذى لم اتناوله الا كارهة ،وعلى قدر الضرورة . لكن كثيرا من القراء ، ارسلوا الي ردودا وتعليقات ، ليس من حقي ان اكتمها ، مهما يكن موقفهم مني ورايهم فيما كتبت . وكنت اود لو اتسع المجال لنشر ردودهم كاملة ، لكنى تحت ضغط الظروف وامام ضيق المجال ، لم اجد بدا من الاكتفاء بالتلخيص ، وقد يشفع لى في هذا ، ان كثيرا من الردود فيه تشابه وتكرار ، وان واحدا منها قد ملأ عشر صفحات بالخط الدقيق !

واصحاب الردود والتعليقات ، قد انقسموا فريقين ، فكان منهم معارضون ومؤيدون . والمعارضون في رأيي اولى بالتقديم واحق بالاهتمام . وخلاصة ما كتبوه ـ جملة ـ انني بجراتي على مخالفة راى للكاتب الكبير ، قدمت ابلغ دليل على صدق نظريته في المراة ، وشهدت بأن الانثى تظل انثى ،مهما تتعلم وان الجامعة لم تفلح في تحريرنا من الجهل والنقص !

واقولها جملة واحدة : انني لا اعتز بشيء قدر ما اعتز بكوني أنثى وطالبة علم، وما افتا ادعو الله ان يقيني محنة المسخ والانحراف من فطرة حواء ، وشر الابتلاء بعقدة الشعور بالكمال ..

ثم اعرض لتفصيل ما اوجزت :

«السيد محمد نعمان ـ بالاسكندرية» يسألني كيف وسوس لى الشيطان ان أقول ما قلت في « الكاتب العملاق الذى يفخر بانه لم يدخل الجامعة ،وهو مع ذلك يستطيع ان يهزم عمداء العلم وأساتذة الكليات ، ويجعلهم امامه اقزاما جهلاء ! »

وجوابا عن سؤاله ، أؤكد له ان ليس في الامر وسوسة شيطان ، وانما الحكاية من اولها ، انني قرات الكتاب منذ بضعة اشهر ، ولم اعلق عليه كما لم أعلق على كتاب آخر للمؤلف الكبير ، ثم حدث أن ذهبت يوم ١٧ من فبراير الماضى الى جمعية الاقتصاد والتشريع ، لسماع محاضرة فضيلة الاستاذ الجليل الشيخ فرج السنهورى عن تشريع الاسرة فلقيني هناك شاب قدم نفسه الي بأنه كان زميل شقيقي في دار العلوم، ويشتغل الان محررا في احدى الصحف ، ثم صارحني بانه ـ وكثيرا من أمثاله ـ ينكرون علىّ ألا أقدم روائع الفكر العربي الحديث ، مثل كتاب « المراة في القرآن الكريم » الذى لم تظفر المكتبة العربية بمثله . واستجبت لرجائه فرجعت الى الكتاب وقراته للمرة الثانية ، ثم كتبت « اللهم اني صائمة » وانا لا اتصور ان الكاتب الكبير سوف ينكر علي ، ان ادافع من كرامة جنسي ،بعد ان صرحت في مقالي بانى لا الزمه بايمانى بأصالة الطهر والنظافة والحياء والحنان في خلق حواء ...

ولكن القيامة قامت !

وكان « السيد عبدالحى دياب »الذى اقترح علي ، تقديم الكتاب ، هو اول من جرد قلمه فكتب عشر صفحات ، بداها بمثل ما جاء ـ بعد خمسة ايام ـ في كلمة الاستاذ العقاد عنى ، من انني الدليل على صواب نظريته في المرأة !

ثم قال السيد دياب :

ونفهم من عنوان مقالها : اللهم انى صائمة ، ان قلمها لا يتعفف عن زلاته الا في الصيام فقط ، أى ٣٠ يوما بالنسبة الى أيام السنة التى تبلغ ٣٦٥ يوما فحكمت على نفسها بالخروج من زمرة المفكرين ذوى العبقرية الخلاقة ، لان كل أيامهم صيام !

« وقالت ان الكتاب تجاوزت صفحاته مائتى صفحة ،مع انها عرفت انه بالتحديد ٢٤٢ صفحة !

« واشارت الى اقتباس الاستاذ الكبير من كتب له سابقة ، ثم استشهدت بست وثلاثين صفحة فقط ، وهذا القدر لا يتجاوز خمس الكتاب !

« وعنوان الكتاب : المراة في القرآن

التاريخ: ١٠ / ٤ / ١٩٦٠

الكريم ،وقد اقترحت الكاتبةان تستبدل به عنوان : كتاب من كتب العقاد ، **واظن ان بنت الشاطىء تعلم ان القرآن الكريم منزل من عند الله لا من عند العقاد (!!)**

« واشارت الى تكراره لاقوال نشرها

غير مرة فى كتب له سابقة ، وجهلت — وهى تدرج على السفح بعيدا من القمة — ان الزمن قد يتقدم وقد يتاخر (!!) ولكن المفكر العبقرى لا يعود الى راى ابداه بالنقض ، فهو يقول اليوم فى ١٩٦٠ من تعدد الزوجات مثلا ، ما قاله فى كتابه خلاصة اليومية سنة ١٩١٢ ، لان اصالته وعبقريته الخلاقة لا تخرج على الناس بنظرية ، الا بعد ان تكون قد استنفدت كل مقومات الفكر فى بحث الحقيقة ، وهو لذلك لا يحيد عنها ابدا ..

« وقالت ان الاستاذ الكبير لم يعرف المراة زوجة ولا بنتا ، ولكنه عرفها اما ، فكيف هان عليه ان يقول ما قال فى المراة! وتريد الكاتبة المقدامة ان تقول إنه لم يتزوج ، ثم ترتب على ذلك خصومة — فى خيالها وحدها — بين العقاد والمراة ، ولم تدر ان العقاد كان بغية كل انثى **فى وطننا المفدى** ، بهما وصلت من عراقة الاصل او علو المكانة او كانت ملكة من ملكات الجمال ، ولكن العقاد ، المفكر العملاق ، لم يشا ان يتزوج وهو يعلم ان الحكام يطلبونه للسجن والقتل ، فيترك زوجته واولاده للشقاء بعده .. فلما استقر سياسيا كان قد جاوز الخمسين من عمره ، **فلم يشا ان يتزوج بعد الخمسين كما يفعل الغوغاء من الناس (!!)** وهذا مقياس المفكر ، وياليت كل انسان ياخذ نفسه بما اخذ به العقاد نفسه ، فلا يتزوج بعد الخمسين ، لكى ترتقى الانسانية من عثارها .

« وانى لاهمس فى اذن الكاتبة بكلمة : ان العقاد قمة لا تعلوها قمة ، ولا تشبهها قمة اخرى ، فاقرئى له وتعلمي وانتفعي »

وكلام السيد دياب لا يحتاج الى رد ..

كل ما اقوله ، ان مكانى فى مهبط السفح لا يجعلنى قادرة على التحليق الى القمة العالية الشاهقة ، وكنت فى مستهل دراستى قرات تاريخ عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فلم انفعل بشىء منه قدر ما انفعلت بكلمته المشهورة : « اصابت امراة واخطأ عمر » كما وعيت — فى دراستى لتاريخ الفقه — وصية « هرمز » الشيخ لتلميذه الامام مالك بن انس : ينبغى ان يورث العالم جلساءه قول « لاادرى » فان العالم اذا اخطا « لاادرى » اصيبت مقاتله ! ويظهر اننى منذ وعيت هذه الوصية ، لم اعد صالحة للانتفاع ممن ينكرون ان الحق دولة بين الناس ، والتعلم ممن تجردوا مما يجوز على البشر — وفيهم رسل وانبياء — من السهو والخطأ والقصور !

ثم الا يرى السيد دياب ، انه بمطالبة مثلى بالتعليم من الكاتب العملاق ، يناقض نفسه ، ويكلفنى ما ليس فى طاقة جنسى ، بعد ان حكم علينا بقصور العقل وضحولة التفكير !

اما مكانى على السفح ، فليطمئن الى اننى لن ازعم يوما اننى جاوزته وشارفت القمة ، اذ لست ارضى ، باى ثمن ، ان اخسر لذة الكفاح ، ونعمة الطموح ، ومتعة السعى الى غد افضل وعلم اكثر ..

والسيد « الاستاذ محمد مراد — بادنو » يتهمنى بالمروق من الدين ، اذ لو كنت

مؤمنة حقا ، ما نشرت صورتى فى الاهرام عارية الرأس ، ولوجب على الاقرار بتبعية المرأة للرجل وتفوقه عليها

وردا عليه اتلو الآية الكريمة : « قل ياعبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا ، انه هو الغفور الرحيم . » واتلو معها قوله جل جلاله : « ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء »

ثم اقر واعترف بتفوق الرجل ، ولكنى مؤمنة بانه تعالى خلقنا من نفس واحدة !

اما رسائل القراء ، فاكتفى بالتعليق على واحدة منها لا اكثر ، تمس رأى « قاض بمحكمة الجيزة » انه اذا صح ما نقلت من كلام الاستاذ العقاد – وهو صحيح ! – فقد وجب على ان ارفع الامر الى القضاء ، لان ما يقوله المؤلف عن موقف النساء ممن يستدرج الفتيات الغريرات الى داره فيلهو بهن ، « كان النساء لا يرين نقصا فى رجل من الرجال بعد ان تكمل له تلك الفحولة الحيوانية ، او كانهن لا يصدقن ان الفتيات الغريرات يسقطن فى شراكه مخدوعات مغلوبات على مشيئتهن ، ولكنهن راضيات مسرورات بما اتيح لهن من فرص المتعة والابتهاج » هذا الكلام ومثله يدخل قطعا تحت طائلة العقاب ، بمقتضى المادة التى تحظر القذف فى هيئة من الهيئات

واقول للسيد القاضى الكريم ، اننى لا اعتبر ما فى كتاب الاستاذ العقاد قذفا فى هيئة النساء وحدها ، وانما تلحق وصمته بالبشرية كلها ، بحكم امومة المرأة للرجال والنساء جميعا ، ولن يبرأ من هذه اللعنة ، الا من يولدون فى « الانابيب » بمعامل التفريخ البشرى ، وهو ما لم يحدث حتى اليوم !

وبقيت كلمة ارجو ان تحسم هذا الموقف الكريه ، وهى ان كل ما يقوله الكاتب وغيره من خير فى الرجال فهو منا والينا ، لانهم ابناؤنا وازواجنا واخوتنا وآباؤنا ، وكل شر يقال فى المرأة ، فهو مردود حتما الى الرجل ، لان الدنيا لا تعرف رجلا لم تلده انثى !

أيكفى هذا ؟ أم لابد من مزيد ؟

لص .. حتى فى الكتابة !

نشر الاهرام فى ١٩٦٠/٤/١٢ نص الرسالة التى كتبها محمود امين سليمان قبل مصرعه بيومين ، وتركها فى منزله ، باسم رئيس تحرير الاهرام .

ولم يلبث « الاهرام » ان اكتشف ان اللص قد سرق رسالته ، من حديث ، للدكتورة بنت الشاطىء ، فى كتابها « أم النبى » .

وانها لعجيبة : فان اللص لم يشأ حتى فى رسالته الا ان يكون لصا .

واعجب منه ، ان ينقل الحديث من جوه الدينى الوقور ، الى جو الجريمة . وان يتحدث عن اجرام زوجته نوال يقدم لحديثه عن زوجته نوال ، بالالفاظ والعبارات التى تحدثت بها بنت الشاطىء عن السيدة « آمنة بنت وهب » !

وللدكتورة كتاب عن « نساء النبى » وآخر عن « بنات النبى » لكن اللص لم يقع اختياره الا على كتاب « أم النبى » مع ان هذا الكتاب نفدت طبعته الاولى ، ثم اعيد طبعه سنة ١٩٥٨ فنفدت طبعته الثانية ايضا ، ولا توجد منه نسخة فى السوق !

ونحن نعيد اليوم نص رسالة اللص على ما يقابلها من كتاب بنت الشاطىء ، ومنهما يرى القراء ان ليس لمحمود امين سليمان شىء مما كتب ، اللهم الا جهد تحوير الحديث ونقله من جوه الدينى ، وتوجيهه الى جو الجريمة .

من كتاب
الدكتورة بنت الشاطىء



بدات هذه المحاولة فى درس سيرة السيدة آمنة وانا اعى اتم الوعى نقص المصادر والاخبار التى تحدث عن تلك الام المنجبة ، لكنى لم اجزع لذاك اذ قدرت انى انما احدث عن والدة الرسول العظيم ، ومن ثم مضيت اتلمس ملامحها فى صورة ابنها الذى اوته احشاؤها واتصلت حياته بحياتها ، فلقد كان «محمد» هو الاثر الجليل الذى خلفته آمنة ، فليس بعجيب أن اراها فى ضوء هذا الاثر ، وان يكون فهمى لها عن طريق تأمل عملها الفذ ، ممثلا فى ولدها العظيم .

فهذا الحديث عن آمنة بنت وهب ، يتخذ من شخصية ابنها مصدرا هاما نستعين به على فهم شخصيتها ، وذلك بما تركت فيه من اثر واضح ، وما انتقلت اليه من دماء قومها الكرام الذين تنقل فى اصلابهم جيلا بعد جيل .

ثم كان لى الى جانب هذا المصدر ، ماوعى التاريخ من اخبار آباء آمنة واجدادها نساء ورجالا ، وما حفظ لنا من طابع البيئة التى نشأت فيها ، وما عرفت الحياة من صورة الانوثة والامومة عند قومها ، وما اطمأن اليه العلم من ترابط الاسباب وتناسق الاصول ومجرى الوراثة ، وفى هذا كله ما يجلو شخصية آمنة كما عرفتها دنياها ، وصنعتها بيئتها ووراثتها وظروفها .

ذلك ان آمنة لم تكن سوى ثمرة للبيئة والوراثة ، قد جرت فى عروقها دماء الاصول الاولى ، ونمتها العوامل التى تركت طابعها الخاص فى كل ما احاط بها من ظروف الزمان والمكان .

وزارة الثقافة والإرشاد القومي

قطاع خدمات المعلومات

التاريخ: ١٨ / ٤ / ١٩٦٠

اجل ، هي ثمرة طبيعية ، يستطيع الدارس المحقق أن يلتمس جذورها الاصيلة الممتدة في اعماق منبتها واعراق آلها ، وان يستبين ملامحها ومعارفها في الهواء الذي تنفسته والجو الذي عاشت فيه ، فاذا لديه تفسير مقبول لاكثر ما حسبه بعض الناس خوارق مبالغة ومفاجآت عجيبة .

على أني حين مضيت في تتبع الاصول البعيدة لآمنة ، ولمح المشخصات لدنياها ، الفيت الى جانب ما يطمئن اليه العلم من مجرى الوراثة وفعل البيئة ، حشدا من آثار اخرى ليست من ذلك الصنف الاول .. آثار يحرص كثير من الدارسين على تجاهلها ، إذ يرون فيها طابع الخيال وظل الوضع ، وفاتهم أن ينتبهوا الى دلالتها الاجتماعية التي لاتكذب والتي تمد الدارس بأضواء تكشف عما وراء التاريخ من عالم "نفسي" ، وتكمل ما تتركه الاخبار من ثغرات في فهم طبيعة المجتمع .

تلك الآثار ، هي ما خلفه لنا قوم رأوا في السيدة آمنة صورة الكمال المطلق لام رسول ، فتحدثوا عنها بوحي من قلوبهم المعجبة ، ودافع من وجدانهم المؤمن ، ما كذبوا في ذلك ولا مانوا ، ولا خدعوا ولا خانوا ..

ولغيرهم من اهل العلم والتحقيق ان يقولوا ما يأذن به الدرس المنهجي وراء سور الوجدان وبعيدا عن عالم القلوب ، ودون أفق الحب والايمان ، ولا بأس على هؤلاء ولا أولئك ، مما يقال هنا باملاء العقل ، أو يقال هناك بلسان العاطفة والوجدان .

وكذلك يلتقي العلم والفن ، لا يعدوان على حقيقة ، ولا يجوران على صواب ، ولا يتهمان بكذب ، فاذا قال الدارس عن « آمنة » ما قال ، مستنبطا الوراثة ، مستلهما البيئة ، متتبعا المؤثرات والآثار في الاصول والفروع ، فهو محق صادق غير متهم !

واذا قال فيها المحب الوامق والمؤمن الواثق ما قال ، بلسان الوجدان ، مفسرا بذلك مايشعر به من عظمتها معبرا عن صورتها عنده ، وحقيقتها في وزنه، وجوهرها في قلبه ، فهو صادق محق كذلك ، لا يسيء الى الواقع الخارجي ، لانه ليس من اهل هذا الواقع ، بل هو يحدث عن عالم قلبه ، ويعبر عن دنيا وجدانه ، ويترجم عن تفسيره لما بهره من عظمة ، وما أحس من الانفعال بجمال تراه بصيرته ، وجلال يهز مشاعره ، وتلك دنياه لايشركه فيها احد ، ولا يزاحمه في آفاقها أحد ، مهما تتسع وتمتد ، أو تبعد وتترام .

واحسبني بهذا القول قد مهدت لما أريد أن أقرره هنا ، من عنايتي البالغة بكل ما قيل عن السيدة آمنة .

هكذا حرفا بحرف ، وكلمة كلمة ، مع ما يقتضيه سياق حديث المجرم ، من مسخ وتشويه وتغيير وتحريف ... عجيبة فعلا ! من آمنة بنت وهب ، الى نوال عبد الرءوف ؟! من سيدة الامهات ، الى زوجة اللص المجرم ؟! من افق النبوة ، بكل حرمته وسناه الى حضيض الجريمة ، بكل فظاعته وقسوته وظلامه ؟! فهل لهذا تفسير ؟ ان ام محمد صلى الله عليه وسلم ، هي آخر سيدة يجوز ان تخطر على بال محمود سليمان وهويفكر في زوجته نوال ... فلماذا اختارها بالذات ، وجعل كتابها امامه، ينقل منه رسالته عن زوجته ؟ وكيف استطاع ان ينقل حديثا عن ام النبي ، يفيض خشوعا واجلالا ، الى جو المفعم بالحقد والشر ؟ اسئلة ... تنتظر جوابا ، لعله عند علماء النفس !

التاريخ: ١٨ / ٤ / ١٩٦٠

(٣)

من رسالة

الأصبع القاتل



اليوم بدأت هذه المحاولة في درس زوجتي نوال عبد الرؤوف علي ، وانا في كامل وعيي أن هناك نقص في المصادر والاخبار عن حياتها الاولى، ولكني لم اجزع لذلك ، اذ قدرت اني انما اتحدث عن زوجتي ، ولذا تجدني ماضيا التمس ملامح حياتها في صورة عامين ونصف تقريبا، عشت بين الجريمة اتحدى القانون في ظل فاجرة،

غير ان الاثر الذى خلفته بنفسي هو الاعدام ، فليس بعجيب ان اراها في ضوء هذا الاثر ، وأن يكون فهمي لها عن طريق تأمل عميق لعملها الاجرامي ممثلا في افراد اسرتها ..

فهذا الحديث عن نوال عبد الرؤوف علي ، يتخذ من شخصيتها صورة مكبرة للجريمة ، ولاشك اذ [illegible] دورا هاما نستعين به في فهم شخصية زوجها بما تركت من أثر واضح ، وما [illegible] اليه من عادات موروثة من أصلاب اهلها جيلا بعد جيل!

ثم كان لي الى جانب هذه المصادر ، الايام التي ساقت الى اخبار نوال وشقيقاتها وأشقائها ، وما عرفته من طابع البيئة .. التي نشأت فيها ، وصور الحياة المكبرة للجريمة والرذيلة عن أهلها ، وما اطمأن اليه قلبي من ترابط الاسباب وتناسق الاصول ومجرى الاحداث ، وفي هذا كله ما يجلو شخصيتها كما عرفتها طيلة عامين ونصف عام .

ونمت العوامل التي تركت طابعها الخاص ، في كل ما احاط بها من ظروف الزمان والمكان ..

اجل ، هي ثمرة للجريمة والرذيلة، يستطيع الدارس والمحقق ان يلتمس جذورها الاصيلة الممتدة في أعماق نفسها ومنبتها واعراق اهلها ، وان يستبين ملامحها ومعالمها في الكذب الذى تنفسته ، والجو الذى عاشت فيه ، واذا وجد من لديه تفسيرا مقبولا لاكثر او اقل من هذا ، فليزد اذن على صفحات الاهرام .

على اني حينما عرفت موضوع حياتها من الرذيلة ، مضيت في تتبع اعترافاتها حسب الاصول ... الفيت الى جانب ما يطمئن اليه قلبي وضميري من مجرى الحوادث وفعل البيئة ، حشد من آثار أخرى ليست من ذلك الصنف الذى شاهدناه . آثار يحرص كثير من الدارسين على تجاهلها ، اذ يرون بينها طابعا خياليا من الجريمة والرذيلة وظل الوضع ! غير ان دلالتها الاجتماعية لا تكذب ، والتي تمد الدراسة بأضواء تكشف عما وراء النفس الشهوانية والمادية ، وتكمل ما تتركه الاحداث من تغيرات في فهم طبيعة المجتمع !

تلك الآثار ، هي ما خلفته تلك الزوجة في نفسي .. صورة الجريمة المطلقة .. فتحدثوا عنها اذن بوحي من قلوبكم المحبة بالحقائق ، ودافع من وجدانكم المؤمن ، ما كذبوا فيه وخدعوا [illegible] خانوا !!

• • • • • • • • • • • • • •

• • • • • • • • • • • • • •

ولذلك يلتقي العلم والفن والادب على صفحات الاهرام الغراء ، لا يعدو على حقيقة ولا يجور على صواب ، ولا يتهم بكذب . فاذا قال الدارس عن « نوال » ما قال ، مستنبطا من مذكراتها الكاذبة ، مستلهما البيئة ، متتبعا الاحداث المؤثرة والآثار في الاصول والفروع ، فهو محق صادق غير متهم !

واذا قال فيها المحب الشهواني ما قال ، بلسان الشهوة ، مفسرا ما يشعر به من أنوثتها ، معبرا عن صورتها عنده ، وحقيقتها في وزنه ، وجوهرها في قلبه ، فهو صادق محق لا يسيء الى واقع نفسه بشيء ، لانه ليس من اهل هذا الواقع ، بل هو يحدث عن عالم قلبه ، ويعبر عن دنيا شهوته ، ويترجم عن تفسيره لما يبهره من عظيم الرذيلة وحب المادة ، وما احس من انفعالات بجمال تراه بصيرته ، وجلال يهز مشاعره . وتلك دنياه لا يشاركه فيها أحد ، ولا يزاحمه في آفاقها احد ، مهما تتسع وتمتد ، أو تبتعد وتترامى .

واحس بهذه السطور قد مهدت لما اريد ان أقرره هنا من حقائق لم تزل وراء الستار ، أخص الاهرام بنشرها في صحفها !

التاريخ: ١٩ / ٤ / ١٩٦٠



فى عيد الفصح المجيد
قرية ظالمة .. ذكرى .. وتحية

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

فى مناسبة هذا العيد المجيد ، ذكرت قصة « قرية ظالمة » التى كتبها عالمنا الطبيب الاديب الدكتور محمد كامل حسين .

وعدت اليها ، اطالعها من جديد فى ترجمتها الأنجليزية التى ظهرت منذ اشهر ، وآثرت ان ادعها حتى افرغ لها . فلما دنا عيد الفصح ، التمستها فى كثير من اللهفة والحماس ، وطاب لى ان اقراها فى ايام العيد .

واعترف بانى لم اقراها هذه المرة بقصد المتعة ، فالقصة ليست جديدة على ، وقد قرأتها عقب ظهورها ، فى لغتها العربية الاصيلة ، واقترحت يومئذ – على صفحات الاهرام – ان تترجم الى اشهر اللغات الاوروبية ، ليشهد الغرب فيها مثالا من ادبنا المعاصر ، ينفى بأصالته وحيويته وعمقه ، تهمة التقليد والجفاف والسطحية ، التى يحلو لبعض كتاب الغرب ان يلصقوها بالادب العربى جملة ، قديمه والحديث .

وقد حاولت من قبل ، حين اشتغلت بدرس « رسالة الغفران لابى العلاء » ان ارد بها على مزاعم المستشرقين ، لكنى قلما عدت الى هذه المحاولة ، حتى ظهرت « قرية ظالمة » فوددت لو انها تترجم ، لتصحح راى الغربيين فى ادبنا ...

ومن اجل هذا ، حرصت على قراءة الترجمة الانجليزية فى صبر واناة ، لاطمئن الى الصورة التى نقلت بها قصتنا الفريدة الى المكتبة الغربية ، وارى مدى اقتدار المترجم الاجنبى على ادراك سرها الاصيل ، والنفاذ الى عمقها البعيد ، وان لم اطمع قط فى ان يؤديها بكل ما لبيانها العربى من ايحاء باهر ..

على انى ماكدت اطمئن من الصفحات الاولى الى قدرة المترجم وفهمه وذوقه حتى مضيت فى المطالعة ، ابتغى ان اصغى مرة ثانية ، الى حديث « قرية ظالمة »

* * *

وانتهيت من القراءة واجراس الكنائس تدق ، تحية للذكرى المجيدة ، فرحت استعيد رؤى يوم الجمعة ، حين اجتمعت قرية كاملة على الظلم والبغى ، وقد تخففت ضمائر اهلها – منفردين – من وطاة العبء الفادح بهذه المشاركة الآثمة التى وزعت الوزر الثقيل على اهل القرية ، لا ينفرد واحد منهم بتبعته !

واذ تنبهت الى اننا اليوم فى عام ١٩٦٠ ، احسست متعة روحية غامرة وانا اصغى الى رنين الاجراس معلنا انتصار الحق والخير ، ومباركا اسم السيد المسيح عليه السلام ، وقد ظنت قرية ظالمة انها فرغت منه حين حكمت عليه بالصلب ، فعاش ملء التاريخ ملء الحياة ، وبوركت آلامه التى احتملها فى سبيل رسالته ....

* * *

ثم عاودتنى ذكرى قريبة ، لقصة اخرى لم يمض عليها غير ثلاثة اعوام : تلك هى اننى اخترت « قرية ظالمة » موضوعا لدراسة فى النقد الادبى بالجامعة ، وقدمت فيها محاولة نقدية استغرقت خمس محاضرات ، بدا منها اننى اضع هذا الاثر الادبى فى اعز مكان من الادب العربى المعاصر . وبعد اسبوع ، كتبت احدى الطالبات نقدا للقصة ، اخذت فيه على الاستاذ الدكتور كامل حسين ، انه كتبها مقتنعا بغلبة الشر ، وترك الاحداث تمضى متجهة الى النهاية الفاجعة ، دون ان يحاول التدخل ليجعل انتصار الخير ممكنا او محتملا . وقالت الطالبة الناقدة ، انها تعلم ان ظلم القرية حق تاريخى ، لكنها تعلم كذلك ان للاديب حرية ليست للمؤرخين ، فليته استطاع ان يعرض المادة التاريخية عرضا نطمئن به الى حق الانسانية فى انتصار الخير!

وقرات النقد ، واذ لم اهتد فيه الى راى مقنع ، بعثت به الى استاذنا الكبير ، دون ان يخطر ببالى ان فى هذا ما ينقص قدره ، او يغض من قيمة عمله الفريد ...

ومضت بضعة ايام ، تلقينا بعدها رسالة من الطبيب الاديب ، بداها بتحية اعجاب بالمحاولة النقدية ، وتقدير خالص للملحظ الدقيق الذى اخذته الناقدة على القصة ، لكنه استاذن – متواضعا – فى ان يلفتها الى ان ما

يبدو انتصارا للشر بالحكم على السيد المسيح بالصلب ؛ لم يكن فى الحق التاريخى وفى الواقع المشهود ، الا نهاية حاسمة للشر ، ونصرا حقيقيا لرسالة المسيح . وليس يهون من ذلك النصر ؛ ان يدفع الرسول حياته ثمنا لرسالته ، بل ان هذا هو المجد الحق

ثم كتب الاستاذ فى ختام كلمته :

« ... فاذا أعوزك الاقتناع بهذا عندما قرأت قرية ظالمة ، فذلك قصور منى فى البيان بلا شك ، وهو قصور أرجو ان يغفره لى عندك اننى بشر ! »

وقرأت الرسالة يومئذ فى قاعة المحاضرات ، واتخذتها درسا يعرف به الشباب خلق العلماء ، ويتعلمون منه حرمة النقد وشرف الكلمة وامانة العلم .

واليوم تعاودنى الذكرى مختلطة بصدى الاجراس التى تعلن انتصار الخير ، فاتناول قلمى لاكتب هذه الكلمة ، اجلالا للسيد المسيح عليه السلام ، وتحية للقلم الملهم الذى كتب « قرية ظالمة »

التاريخ : ١ / ٥ / ١٩٦٠

كلمة صريحة

الدنيا بخير..

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

النقد الادبى عندنا يمر اليوم بمحنة عصيبة ، تهدد كرامة الفكر وحرية الراى ، وتعطله عن اداء مهمته الكبرى فى تقويم العمل الادبى وتوجيهه ، منذ صار التصدى لمشهورى الكتاب نوعا من المخاطرة .

وقد خضت معارك نقدية ذات عدد وباوت من آثارها واصدائها ما يبعث على التشاؤم والياس ، ولكنى لم اتخل احظة عن ايمانى بان الدنيا ما تزال بخير ، وستظل بخير ابدا — اقول هذا ، ومنذ جرؤت على ابداء رأى فى كتاب من الكتب ، ورسائل القراء لم تكف عن موافقتى ، اما التهديد والوعيد ، واما بالخوف والاشفاق ..



بنت الشاطىء



عباس العقاد

التهديد بما سوف القاه ، بعد ان سولت نفسى المغرورة ان اسمى الى حتفى بدخولى مع الاستاذ العقاد فى معركة لن تضيره فى قليل او كثير ..

والخوف والاشفاق ، من غضبة المارد العملاق الذى لا يطيق ان يناقشه احد ، والذى لم يتعرض له ناقد الا باء بسخطه ولعنته !

ولست افهم كيف يرضى الغاضبون للاستاذ العقاد ، ان يصفوا موقفى منه بالمعركة !

ان المعركة لا تكون — فى رايى — الا بين متكافئين ، وليس بينى وبين الاستاذ العقاد تكافؤ !

هو عملاق وصل الى القمة ، وقد ألف أكثر من سبعين كتابا أوصلته الى اخطر المراكز الادبية الرسمية ، ورشحته لجائزة ما احسبنى ارشح لها يوما ..

وانا واحدة من بنات حواء ، ما تزال تدرج على السفح ، ورصيدها من المؤلفات نقير متواضع ، هيهات ان يصل الى نصف الرصيد الضخم للكاتب المشهور .

ومن عجب ان يقولوا انها « معركة » وقد قراوا كلمة أستاذهم الكبير عنى اننى آخر من يجوز له الرد على ما كتب من المراة ، ولذلك فهو يصون كلامه الى غير هذا المقام » ! وكان هذا هو كل رده على نقدى لكتابه ...

ثم ماذا يقولون ايضا ؟

« السيد عبدالحى : لم يرضه انى هربت من الرد على ما كتب ، واكتفيت

فهل يرضيه اليوم ان اعترف بانني هربت عامدة من التعليق على كلامه لقد وجدت من العبث ان اناقش من يقول: « ان الزمن قد يتقدم وقد يتاخر والعبقرى العملاق ثابت عند رأيه ،لايعود بالنقض على قول كتبه منذ خمسين عاما»

اذ يعز علي — حقيقة — ان افهم كيف يتاخر الزمن ، وقد حفظت من زمان قول شاعرنا الاكبر ابى العلاء :

امس الذى مر ، على قربه
يعجز اهل الارض عن رده

كما وجدت من العبث ان اناقش من يقول : « لقد كان كاتبنا العبقرى بغية كل انثى فى هذا الوطن (! ؟) لكنه لما استقر سياسيا لم يشأ ان يتزوج بعد الخمسين ، كما يفعل الغوغاءمن الناس!»

اولا لان كلمة ((كل)) هذه ، تكفي وحدها لاهرب من مناقشته ...

وثانيا لاني قرات فى سيرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم : انه تزوج السيدة عائشة بعد ان جاوز الخمسين من عمره، **وتزوج السيدة ميمونة بنت الحارث ، فى عمرة القضاء سنة سبع من الهجرة وهو يومئذ فى الستين من عمره !**

كما قرات فى تاريخ الخلفاءالراشدين، ان ابا بكر رضى الله عنه تزوج السيدة أسماء بنت عميس ، بعد السنة الثامنة الهجرية ، وقد جاوز الثامنة والخمسين من عمره !

وتزوج عمر بن الخطاب رضى الله عنه، السيدة أم كلثوم بنت الامام على ، وقد شارف الستين من العمر ... فهل يستغرب — وأنا اعرف هذا كله — ان أهرب من مناقشة من يقول ان الزواج بعد سن الخمسين ، فعل الغوغاء من الناس ؟ !

وثالثا ، لانى لا استيغ اقحام مثل هذه المسائل الشخصية فى النقد ، ولست ارى وجها لان يرد السيد دياب علي بمثل هذا ، وما قلت أكثر من « ان الاستاذ العقاد لم يعرف المراة زوجة ولا بنتا لكنه بلا ريب قد عرفها أما » فكيف هان عليه — وهو ابن انثى — ان يجند منطقه وبيانه ، « ليؤكد اصالة القذارة وقلة الحياء والقسوة فى خلق حواء ..

و« الدكتور عزت سندى موسى — بالدقى » معجب بموقف زميلاتى السيدات ، حين أصررن على عدم التدخل فى هذه المعركة ، وهو يرى انه يكفى فى الرد على الاستاذ العقاد ، أن نذكر له شهيرات النساء فى تاريخنا ،وان الاسلام كرم المراة كل التكريم بالحديث الشريف « الجنة تحت اقدام الامهات » وهو شرف لم يظفر به الاباء ، وان وراء كل عظيم أمراة ، هى الجندية المجهولة..

والسيد الطبيب — كما ذكر فى خطابه — لم يقرا الكتاب موضوع المناقشة ، وأحسبه لو فعل ، لعذرنى حين لم اقصد لمناقشة الكتاب منهجيا ،ولم يعننى ان أثبت للمراة اى نبوغ او تفوق ،بقدر ما عنانى ان ادافع عن كرامة البشرية ، ضد من يؤكد ان النظافة والحياء والحنان ليست اصلا فى خلق المراة التى هى أم البشرية ، وانه يجوز فى عرف النساء قضاء ضروراتهن معا ! وان اللذة الجنسية عند المراة تنفصل من الغريزة النوعية ، فهى تمارس السرور المقسم فى طوارئها الشهرية وفى اوقات الحمل وبعد سن اليأس الى غير ذلك مما كتبه الاستاذ العقاد ، فى كتاب بعد كتاب بعد كتاب !

[illegible] الطبيب على دعائه لى
اذ يقول فى ختام رسالته : « والسلام عليك حين تكرمين الرجال بالدفاع المجيد عن امهاتهم واخواتهم ، وزوجاتهم وبناتهم . والسلام عليك يوم هوجمت ويوم صمدت ! »

وآخرون من القراء ، معجبون بشجاعتى – استغفر الله – فى موقف يهابه الرجال . يقول السيد الطبيب « الدكتور احمد القاضي – بسيدى بشر » فى خطاب منه : « ... منذ ثلث قرن ، ونحن نقرا هذه الاراء المنحرفة للكاتب المشهور واخوان له ، منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر . وقد تصدى لهم المغفور له الاستاذ مصطفى صادق الرافعى فكانت الغلبة له دائما ، لكنه منذ انتقل الى رحمة الله ، خلا الجو للاستاذ العقاد فعاد ينشر مثل هذه الاراء ويكررها فى كتاب بعد كتاب دون رقيب او حسيب ، والنقاد خائفون من قلمه الجارح . وانتهى به الامر الى أن ينقل هذه الاراء من كتبه القديمة الى كتاب جديد يحمل اسم القرآن الكريم وتلك هى الكارثة ومع ذلك لم يجرؤ ناقد على محاسبته »

وكذلك الح قارىء من العريش « م . ع . ع » علي بأن انسحب من المعركة فلا اتعرض بعد اليوم لما يكتبه الاستاذ العقاد . يقول قارىء العريش : « ... وبعد فانا من عامة الشعب ، جئت اسألك لماذا تردين على الاستاذ العقاد اذا اخطأ ؟ هل تظنين انه سوف يعترف بالخطأ ؟ انك اذن لا تعرفين العقاد .

« تأكدى انه لن يرد عليك بغير الشتائم واللعنات ، واخاف ان يجرحك بقلمه ، فارجوك الا تتعرضى له بعد اليوم مهما كان الحق معك ، ومهما ضمنت الغلبة بحقك . فكرامتك اغلى من النصر على من لا يجادل الناس الا بشتمهم » .

وبعد فما زلت أقول : ان الدنيا بخير ذلك لانى مؤمنة بأنه سيظل فينا أبدا من يجرؤ على الجهر بما يعتقد انه حق ، ولو تعرض لغضب كاتب عملاق ، ذى نفوذ وسلطان ، يزعم لنفسه العصمة من الخطأ ، فلا يطيق ان يناقشه أحد فيما كتب ، ولا أن يسأله سائل : ثلث الثلاثة كم ؟ .

فمن ارتاب فى هذا ، فليقرا ما كتبته هنا منذ أيام عن موقف استاذنا العالم الاديب « الدكتور محمد كامل حسين » من الطالبة التى نقدت « قرية ظالمة » وهو موقف يكفى وحده ، ليحفظ علينا ايماننا بأن الدنيا لا تزال بخير ...

التاريخ: ٨ / ٥ / ١٩٦٠

في ذكرى النصر

بطلة في المعركة

سلام على شجرة الدر.. وتحية لحواء في عيد البطولة

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ



لم تركب فرسا ولم تحمل سلاحا ، ولكنها كانت هناك في قلب الميدان ، تصنع الاحداث الجليلة التي نعيش اليوم في ذكراها ..

كانت هناك ، تمسك زمام الموقف في احرج اللحظات ، وتقود المعركة الحاسمة الى النصر ، وتملي على التاريخ فيكتب وتفرض عليه ارادتها فيلبي ويستجيب !

ولا اريد هنا ان اروى حديث التاريخ عن « شجر الدر » او اتابع خطواتها من طفولة مغمورة تائهة ، الى العرش العريق الذي لم تجلس عليه ملكة سواها في تاريخ الاسلام ، فذلك ماتكفل به مؤرخو عصرها ، وبخاصة « المقريزي » في «كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك »

كما لا أريد ان اتحدث اليوم عما خلفته من آثار باقية ، فذلك ما أغناني عنه الاستاذ الاثري « حسن عبد الوهاب » في مقاله الذي نشرته الاهرام منذ ايام

وانما اعرض هنا مشهدا بعينه من مشاهد حياتها الحافلة المثيرة ، استطاعت فيه ان تغير مجرى الاحداث .

وما كان لها من سلاح غير انوثتها الذكية ، وحيلتها الماهرة ، وعزيمتها الماردة ، وارادتها القوية

وبهذا السلاح ، قهرت جيوش الفرنجة وهم على وشك النصر

بل قهرت الموت الذي لا يغلب ، فنفثت الحياة في جثة هامدة ، لمدى شهرين كاملين ، كل دقيقة منهما لها حساب ولها ثمن !

***

ويبدأ المشهد التاريخي ، حين حمل الملك الصالح نجم الدين ايوب ، الى قلب الميدان في مدينة المنصورة ، قد انهكته العلة ، ويئس الاطباء من شفائه

وكان نبأ مرضه الذي طال ، قد اضعف القوى المعنوية لجنده ، واطمع فيهم الفرنجة ، فاستولوا على دمياط التي طالما دوختهم وردتهم على اعقابهم

وهناك في قصر المنصورة المطل على النيل ، وقفت « شجر الدر » تشهد زوجها المحتضر ، وهو يجتر ذكريات انتصاراته لمدى عشر سنين ، ويتململ

في فراشه عاجزا مقهورا ، لا يفتأ يردد كلما اسعفه النطق : « اما قدرتم تقفون بين يدي الفرنج ، ومن قبل طالما صمدت دمياط امام جيوشهم ! »

وعز على « شجر الدر » ان تكون هذه نهاية البطل الذي ملأ حياتها وملأت حياته سنين عددا !

واوجع قلبها ان تشهده هكذا ، قد اذله المرض وهدته العلة واضناه القهر ، وهو الذي كان ملء العيون شجاعة وبأسا وحزما ، ملء القلوب مهابة وجلالا ، « يأخذ مكانه في المجلس فلا يجسر احد من خاصته على ان يتكلم بين يديه الا جوابا . ومع هذه المهابة ، كان عف النفس عف اللسان ، يغضي حياء حين يخاطب ، ولم يسمع منه قط في حق احد من خدمه لفظة فحش ، فأكثر ما يقول اذا شتم احدا : متخلف ! لا يزيد على هذه الكلمة »

ومن بعيد .. كانت اصداء المعركة الطاحنة تصل الى سمع «شجر الدر» فتدرك ان الغزاة باتوا قريبين من المنصورة ، لكنها تتماسك فلا تتحدث الى حبيبها المحتضر الا بالنصر المرتقب !

كانت تلمح « الموت » يحوم على فراشه ويدنو منه حثيثا ، فلم تعد تملك له الا ان تهون عليه غصة الاحتضار

واوشكت ـ والليلة النصف من شعبان ـ ان تسترجع له ذكريات اعياد هنيئة سعدا بها ، لكن اطرافه تثلجت بغتة ، واضطربت انفاسه لاهثة متحشرجة ثم همد كل شيء فيه ، وانطفأت الحياة في بدنه فأمسى بين يديها جثة !

وحدقت فيه مرتاعة ، وهمت بأن تصرخ نادبة ، ثم امسكت صرختها قبل ان تفلت منها ، وقد تنبهت الى ان لهذا الامر ما بعده !

كان الموقف بالغ الدقة والحرج . الملك مسجى على فراشه امامها ، ورائحة الموت تملأ المخدع وتكاد تتسرب من النوافذ والابواب ، وولي العهد « تورانشاه » بعيد في حصن كيفا بالشام ، والعدو رابض عند مشارف المنصورة ، متحفز للانقضاض ، والمعركة تدنو من نهايتها المحتومة ، لم يبق دونها الا ان يذاع موت الملك فتكون القاضية !

كلا !

قالتها « شجر الدر » حاسمة قاطعة في تلك اللحظة الحرجة التي يخون فيها الصبر وتتمزق الاعصاب ، ويعز التجلد .

وطوت جرحها الدامي ، ثم بعثت في طلب الطبيب ، واحتجزته في مخدع الملك ريثما قام بغسل جثمانه وتكفينه ، ثم استدعت ثلاثة من امناء سرها ، فأسرت اليهم بالنبأ الفاجع ، وتعاونوا جميعا فوضعوا جثة نجم الدين في تابوت حمل خفية الى قلعة الروضة ..

واقبلت « شجر الدر » تستأنف الحياة ، وكأن لم يحدث شيء ، اي شيء !

طعام الملك يحمل اليه في اوقاته ..

والطبيب يعوده صباح مساء ..

والاوامر الملكية تصدر من مخدع السلطان الى الوزراء والقواد ، وتقاريرهم ترفع اليه عن طريق زوجته « شجر الدر »

والكتب تخرج من القصر وعليها علامة الملك الصالح ، مقلدة في مهارة واتقان !

ومجالس القيادة تعقد في القصر ، برئاسة الامير فخر الدين بن شيخ الشيوخ ، نيابة عن السلطان المريض .

وكبار رجال الدولة ، يستدعون من القاهرة ، ويكلفون بأمر ملكي ، ان يأخذوا البيعة للامير تورانشاه ، ويتلقون توجيهات الملك من شجر الدر ..

ورسول القصر يذهب الى تورانشاه في الشام ، بكتاب من ابيه يستدعيه الى المنصورة على عجل !

وهكذا ظلت الامور تجري في مجراها المألوف ، « وتسير على حالها » ، وشجر الدر تدبر امور الدولة كلها ، حتى جاء تورانشاه في منتصف ذي القعدة ، واذ ذاك فقط ، اعلنت شجر الدر وفاة الملك وبكته ما شاء لها البكاء ، ولبست عليه ثوب الحداد ..

واقامت هناك ، ترقب سير المعركة وقد تغير اتجاهها ، فتم النصر لعسكر العرب ، وهزم الفرنجة ، وسيق قائدهم لويس « ريدافرنس » الى دار ابن لقمان بالمنصورة ، اسيرا ذليلا مكبلا بالاغلال .

واسدل الستار على هذا المشهد المثير ليعود فيرتفع بعد اشهر عن « شجر الدر » ملكة متوجة . تملي على التاريخ فيكتب انه ماعرف انثى قبلها توجت ملكة على المسلمين ، ولا راى غيرها وغير ايزيس من يقهر الموت فيفرض الحياة على جثة ملك مات وانتهى .

سلام عليها في ذكرى النصر ..

وتحية لحواء الشرق في عيد البطولة والمجد

التاريخ: ١٦ / ٥ / ١٩٦٠

آخر كتاب قرأته

اسم الكتاب: الوحدة العربية

اسم المؤلف: الدكتور محمد عزه دروزه



بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

ظهر هذا الكتاب منذ اكثر من عامين، لكن لم يتح لي ان اطلع عليه رغم حرصي على ذلك ، حتى كانت « ادارة الثقافة بوزارة التربية » هي التى فرضت علي ان اقراه ، مع بضعة كتب اخرى قررت ان يمتحن فيها المدرسون المرشحون للاعارة الى الاقطار العربية الشقيقة ، وذلك بحكم اختيارى عضوا فى لجنة الامتحان .

والكتاب ضخم ، تبلغ صفحاته اكثر من سبعمائة صفحة من القطع الكبير . ولا اقول انى استوعبته فى هذه الفترة القصيرة ، لكنى فرغت له اياما وليالى ، قرأته فيها قراءة واعية ، تجيز لى ان اعطى فكرة عامة عنه ، او ابدى رايا مجملا فيه .

والدكتور دروزه ، واحد من مؤلفين قلائل عندنا ، يفرضون على القارىء ان يحترمهم ، لانهم يحترمون عقولهم وعقول القراء ، ويقدرون كرامة القلم وحرمة العلم ..

وموضوع الوحدة العربية ، مظنة ان يعالج معالجةعاطفية مثيرة ، وكان الدكتور دروزه يستطيع ان يعالجها هكذا فى فيض من الحماس العاطفى والاثارة الوجدانية ، وهو مطمئن كل الاطمئنان الى نجاح قضيته ورواج كتابه ، لكن شخصية العالم المؤرخ فيه ، ابت عليه ان يتكىء على هذا الجانب ، وكرهت له استجداء الرواج بلفظ خلاب واسلوب اعلانى رنان ، على نحو ما يفعل كثير من مشهورى الكتاب ، وابت عليه الا ان يلتزم منهج الدارس المحقق ، وان يعتمد فى عرض قضية الوحدة على ادلة منهجية وان يحشد لها كل ما استطاع من وثائق تاريخية وحقائق مادية وارقام احصائية ، وان يناقش مختلف الاراء فى جوانب القضية باسلوب رصين مهذب ، قوامه المنطق والحجةوالبرهان ، دون ان يحاول فرض رايه بالقوة او بالاستهواء ، بل دون ان يدعى لنفسه الاستئثار بالعلم والمعرفة والفهم والايمان ، فليس على القارىء الا ان يتلقى منه ما يقول ، فى خضوع واستسلام !

وهذا ما اعجبنى فى كتاب الدكتور دروزه ...

واعجبنى معه ، ذلك الصبر الجميل على البحث ، وتلك الاناة الدريسة التى لا مجال معها لراى مرتجل او فكرة (مسلوقة) او كلمة مبتذلة طائرة ، او نظرة سطحية خاطفة . فجاء الكتاب دراسة تاريخية شاملة ، لمقومات الوحدة واصولها فى الوطن العربى الكبير وضرورتها لنا سياسيا وعسكريا واقتصاديا وانسانيا ، ومدى ادراك العرب لضرورات الوحدة ، والعقبات الخارجية والداخلية التى تقف فى الطريق ، والخطوات التى تمت رغم كل هاتيك العقبات .

وليس من الانصاف ان اعرض لنقد كتاب كهذا ، فى مقال سريع محدود ، وبخاصة حين اعترف انى لم استوعب كل ما فيه ، فحسبى الان ان اقول اننى لم اقرا كتابا الف فى موضوع الوحدة العربية ، توفر له ما لهذا الكتاب من وعى واتزان ، ومن احاطة وسعة وشمول ، ومن وفرة مراجع وخصب مادة . ولعلى استطيع فى فرصة اخرى ان شاء الله ، ان اجد مجالا اوسع لمناقشة آراء فى الكتاب تبدو لي فى حاجة الى مزيد من العناية والاهتمام .

التاريخ: ٢١ / ٥ / ١٩٦٠

نساء في القمة
تقدمهن زينب محمد حسين

بنت الشاطئ

تقدمت للامتحان الابتدائية ... وهي معلمة .. ولا تؤمن بأن المرأة تستطيع الجمع بين البيت والعمل !

تعرفها الصحافة باسم ((بنت الشاطئ)) ... وتعرفها الجامعة باسم ((الدكتورة عائشة عبد الرحمن)) .. وتعرفها الحياة باروع قصة من قصص الكفاح ، نضربها مثلا ، لا للنساء وحسب ، وانما للرجال ايضا .. انها قصة الارادة التى تفعل المستحيل .. قصة فتاة خرجت للحياة ، لا تحمل غير كفاءة التعليم الاولى ، ثم اصبحت اليوم استاذا مساعدا للادب العربى بجامعة عين شمس ، وعضوا مؤسسا لاتحاد الجامعيات ، ومستشارة للاتحاد النسائى ، وعضو الهيئة الاستشارية للمكتب النسائى بالاتحاد القومى ، وعضو اللجنة الثقافية العامة للجامعات ... واليك قصتها ...

صراع مع التقاليد

نشأت فى اسرة محافظة ، شـديدة التمسك بالتقاليد ، ترى فى خروج البنت الى المدرسة عاراء واى عار .. ولذلك بدأت تتلقى العلم فى البيت .. ثم دخلت الامتحانات العامة من الخارج .. ولم تكن « عائشة عبد الرحمن » فى سنها المبكرة تظن ان هناك نوعا آخر من التعليم ، غير التعليم الاولى، الذى تلقته على ايدى مدرسيها فى البيت..ولذلك كان أول امتحان عام تستعد له ، وتدخله هوامتحان كفاءة المعلمات .. وبعد ان اجتازته ، تعلمت من اتصالها بالحياة ، ان هناك نوعا آخر من التعليم.. هناك التعليم الابتدائى ، والثانوى .. ثم هنـاك الجامعة .. ولكن هذه المعرفة لم تؤثر على اتجاهها

بادىء الامر ، لانها تعيش فى بيئة لا تعرف اللغات الاجنبية ، ولكن عنـدما تهيأت لامتحـان القسم الاضافى ، بعد كفاءة المعلمات الاولية ، اعيـدت أوراقها اليها ، لان دخول هذا الامتحان من الخارج، غير مسموح به .. وامام هذه العقبة ، رسم القدر اتجاها جديدا فى مستقبلها ...

المعلمة تمتحن للابتدائية !

وجاهدت « عائشة عبد الرحمن » حتى اشتغلت مدرسة بالمدارس الاولية ، ولكنها كانت تتـوق للاغتراف من مناهل العلم ، فاتجهت ناحية التعليم الابتدائى ، والكفاءة ، والبكالوريا .. من المنزل . مع احتفاظها بعملها كمعلمة اولية ..وبعد البكالوريا،

قامت فى وجهها عقبـة ابرى .. لم يكن باب الانتساب للجامعة مفتوحا فى ذلك الوقت..وكانت اسرتها ترى فى دخولها الجامعة شيئا يشبه الكفر، ولذلك اضطرت ان تتستر وراء وظيفتها ، وتتسلل الى الجامعة لتحضر بعض المحاضرات ، وامام شغفها بالعلم .. نالت درجة الليسانس بامتياز فى قسم اللغة العربية بآداب القاهرة ، وعينت معيدة به . وهكذا قفزت المعلمة الاولية من مدرستها المتواضعة، الى مكانها المرموق تحت قبة الجامعة .. وهيأ لها هذ المركز العلمى ، ان تحصل بعد ذلك ايضا على درجة الماجستير سنة ١٩٤١ ، ثم على الدكتوراه سنة ١٩٥٠ ، وكان موضوع رسالتها عن « رسالة الغفران » لابى العلاء المعرى ..

التاريخ ٣١ / ٥ / ١٩٦٠

خدمة المجتمع ليست وظيفة

ولعل الكثيرين يجهلون ان « عائشة » قد عملت فترة من الزمان رئيسة لقسم الملاجىء « بوزارة **الشئون الاجتماعية** » ، وكان ذلك عقب حصولها على الليسانس .. فقد لفتت مقالاتها التى كانت تكتبها فى « **الاهرام** » ، وهى طالبة فى الجامعة ، عن اصلاح الريف ، انظار المسئولين ، فلما حصلت على الليسانس ، فوجئت بنبأ تعيينها مشرفة على الشئون الاجتماعية بوزارة المعارف ، ولم يكن فى نيتها ان تتخذ الخدمة الاجتماعية وظيفة ، وانما هى تفضل ان تمارس هذا العمل عن طريق الهواية .. ولذلك لم تكن مستريحة لهذه الوظيفة ، فلما انشئت « **وزارة الشئون الاجتماعية** » اختارها وزيرها للاشراف على قسمى الملاجىء ، والبحوث الاجتماعية .. وبعد ان مارست العمل فيهما لفترة قصيرة ، وهى شديدة التضجر بالعمل الديوانى ، الذى لا تستطيع التنفس فيه .. عينت معيدة فى كلية الآداب .. ولم تتردد مطلقا فى الانصراف نهائيا عن الدواوين ، والوظائف ، الى الجو العلمى الذى يلائم طبيعتها ، واستعدادها ..

ولم يصرفها عملها الجامعى بعد ذلك ، عن معالجة المسائل الاجتماعية .. كل ما فى الامر ان اهتمامها اصبح يتجه الى ناحيتين : الاولى هى الناحية الاكاديمية .. فبحكم اشتغالها فى الجامعة الان تمارس الدراسة الادبية ، ولا بد ان تؤلف فيها .. اما الناحية الاخرى .. فهى الناحية الاجتماعية ، التى ما زالت تعالجها عن طريق الادب ، لا عن طريق التأليف المباشر فى الموضوعات الاجتماعية .. فمثلا صدرت لها قصة « **سيد العزبة** » ، وقصص من الريف مثل « **امرأة خاطئة** » .. وكلها تعرض مأساة الريف ، وخاصة فى العهد الاقطاعى ، عن طريق تقديم نماذج انسانية من الريف ، وكذلك صدر لها فى الموسم الماضى كتاب « **صور من حياتهن** » .. وهو يعالج بالاسلوب الادبى اخطر مشكلة واجهت فتاة هذا الجيل ، ويصور انتقالها من الحريم الى الجامعة ..

اما مؤلفاتها فى الجانب الاكاديمى .. فهى كتب منها « **رسالة الغفران** » ، و « **الحياة الانسانية عند أبى العلاء** » ، و « **الخنساء** » ، و « **سكينة بنت الحسين** » ، و « **نساء النبى** » ، و « **ام النبى** » ، و « **بنات النبى** » ...

الصحافة .. هوايتها

وعائشة عبد الرحمن قديمة العهد بالصحافة ، فقد اشتغلت محررة بمجلة « النهضة النسائية » ، ثم رئيسة تحرير لها . وهى تستعد لامتحان الدراسة الثانوية بنفسها . وفى السنة الاولى من مرحلة التعليم الجامعى سنة ١٩٣٦ ، التحقت باسرة تحرير « الاهرام » .. وصلتها بالصحافة ما زالت قائمة ، ولكن صدور قانون نقابة الصحفيين جعلها تنتقل من وظيفتها الرسمية بالصحافة ، الى صفة الهواية .. ولكنها ما زالت تكتب مقالاتها الادبية كالعادة ، ولذلك فموقفها من الصحافة لم يتغير .. وبالرغم من ان كل هذه الاتجاهات ، لم تشغلها عن دورها فى الحياة كزوجة ناجحة ، فهى لاتؤمن بان المراة تستطيع ان تجمع بين البيت ، والعمل .. وتقول فى ذلك :

((اننى لا اكاد اصدق ان فى وسع اى امراة ان تجمع بين عملها ، وبيتها الا بمشقة ، وبتضحية جسيمة على حساب صحتها ، وراحتها ، وأعصابها ، أما مشكلتى أنا فقد بدأت مع اول طفل انجبته ، ولذلك استقلت من عملى فى الجامعة فى السنوات الخمس الاولى ، التى تعتبر الفترة الحضانة للطفل ، وكان ذلك من سنة ١٩٤٦ الى ١٩٥٠ .. ومع ذلك اضطررت أيضا الى الاستعانة بمربية اجنبية ، تساعدنى فى الاشراف على تربية أولادى ، وادارة البيت .. ان اكثر عملنا نحن المشتغلات فى الجامعة نقوم به فى البيت ، فاستاذ الجامعة يذهب الى الجامعة ثلاثة أيام فى الاسبوع ، ثم يعكف فى مكتبه بالبيت على الدراسة ، والقراءة ، والاطلاع ، ولذلك استطعت ان أشارك فى الاشراف على شئون البيت ، ولو من بعيد ..))

أنا تلميذة زوجى

ولزوجها دور كبير فى قصة نجاحها ، وهى تعترف انها منذ ان دخلت الجامعة الى اليوم ، كانت ، ولا تزال ، وستظل تلميذة لزوجها ، وانها تدين له بكل ما فى حياتها العلمية من توجيه منهجى ، وانها عندما تحاضر ، او تشتغل بالدراسة الادبية ، تتمثل دائما شخصية استاذها ، ويكون نجاحها فى هذه الدراسة بقدر ما تنجح فى هذه التلمذة ..

التاريخ: ٢١ / ٥ / ١٩٦٠



وقد عرفت « بنت الشاطيء » استاذها .. فى اول اتصالها بالجامعة ، وتتلمذت عليه من أول درس تلقته على يديه ، لانها وجدت عنده ماكانت تفتقر اليه من المرونة .. وما لم تجده أبدا عند أحد سواه .. اما الزواج فتاخر الى ما بعد حصولها على درجة الماجستير ، واشتغالها بالتدريس فى الجامعة .. وبذلك كانت التلمذة اسبق بنحو سبع سنوات من الزواج ..

وعائشة عبد الرحمن لا تعرف الفراغ ، لانها لاتجده ، ثم هى اقل الناس احتفالا بتبادل الزيارات ، او الخروج للترفيه .. اللهم الا الرحلة السنوية التى تقضيها كل صيف مع الاولاد .. أما الهواية التى تجمعها مع زوجها فهى الدراسة، والقراءة ..

وكان لابد للجو العلمى المنزلى ، أن يكون له اثر فى توجيه أولادها ، ولذلك شبت « امينه »، و « اميرة » ، و « اكمل » .. مسرفين فى ميلهم الى القراءة ، والاطلاع ..

وبالرغم من قصة النجاح المشرف التى حققتها ((بنت الشاطيء)) فهى تقول : ((أنا لا أعتبر نفسى نجحت ، وانما أنا أكافح ، وسأظل اكافح فى سبيل ما هو أفضل ، واظن ان كفاحى سيستمر الى نهاية العمر ، لان حب الكفاح شيء فى كيانى ، وأعصابى ، ودمى ..))

★ ★ ★

ان قصة كفاح عائشة عبد الرحمن تعتبر صفحة ناصعة فى تاريخ المرأة العربية .. تؤكد ان فى وسعها أن تفعل الكثير ، اذا هى آمنت برسالتها كمواطنة صالحة ، وزوجة ، وام ناجحة .

التاريخ: ٢٣ / ٥ / ١٩٦٠

في ذكرى النكبة

على مسرح المأساة !



بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

مر يوم الذكرى والقلم فى يدى ملجم اخرس ، وخواطرى مبعثرة حيرى ، ومشاعرى مشردة تائهة ، تطوف بالخيام والاطلال ، وتتنقل هائمة على حدود مثلث الرعب ، حيث المسرح الرهيب الذى يعرض مشهدا فاجعا من مشاهد النكبة ...

وردتنى الذكرى الى ايام عشتها فى صميم المأساة ، حين قدر لى منذ عامين ان ازور القدس والخليل ونابلس،حتى انتهى بى المطاف الى الخطوط الامامية عند «طولكرم» حيث يبلغ المشهد المثير ذروة عنفه وقسوته ، ويتجاوز بفظاعته وبشاعته أفاعيل (الكابوس) وتهاويل الخيال ...

وتجمعت خواطرى المبعثرة عندموقف بعينه ، وتفنه هنالك على مشارف طولكرم، أطل من قرب على الحمى الذى ديس واستبيح ، واشهد على مرمى البصر، الفردوس الذى انتهب واغتصب، واحاول عبثا ان اصرف سمعى عن جؤار اهله الذين تجمعوا من حولى ، يقولون فى اصوات تقطر مرارة وقهرا ولوعة ، وهم يشيرون الى المروج الخضر ترعاها ذئاب صهيون :

ـ هذه بياراتنا ..

ـ وتلك ديارنا وربوعنا ..

وهناك تحت ثراها مثوى الراقدين من اهلنا ...

وعبثا كذلك حاولت ان اغمض عينى، كيلا ارى رجلا يشق طريقه بصعوبة وسط الزحام ، وهو يحمل على كتفيه حطام عجوز مهدودة الحيل خابية البصر، فلما بلغ ادنى نقطة من الخط الحرام التى بها هناك ، حيث تكومت على التراب،وتشبثت عيناها بدارها الغالية كما اعتادت ان تفعل كل نهار طوال عشر سنين ، وقد اطبقت انامله الواهنة على مفتاح صدىء ، هو كل ما بقى لها من امسها الضائع وعالمها المنهوب ..

ومن بعيد ... لاحت لنا « يافا » الجميلة ، مطاطئة الهامة غبراء الملامح حزينة السمات ، وحمل الينا الهواء شذى عطرها مسمما بأنفاس الذئاب الصهيونية، ومن ورائنا كانجبل جرزيم المهيب ، قد تناثرت على ثاعه عندمهبط السفح ، خيام اللاجئين تحكى قصة المساومة الغادرة والاتفاقية المشئومة ، وتروى مأساة هؤلاء التعساء الذين اخرجوا من ديارهم على عجل، وقيل لهم ان ذلك اجراء مؤقت اقتضته ضرورة طارئة من ضرورات الدفاع . ولن يلبثوا ان يعودوا بعد ايام الى الحمى والسكن، والى الزرع الذى حان اوان حصاده،ثم تتابعت الايام ، والشهور ، والسنون ، ولا يزالون منبوذين بالعراء حيارى مشردين !

التاريخ: ٢٣ / ٥ / ١٩٦٠

ومضت بي الصديقة الشاعرة «فدوى طوقان» نجوس خلال هاتيك الخيام البائسة، ونشهد صور النكبة تتراءى لنا كقطيع حائرة من ليل ادهم طويل ...

وتتابعت شخوص المأساة على المسرح الرهيب، وقد انطفأت فيها الحياة فأمست ظلالا مترنحة، تهزها ريح الشقاء

وحين لم يعد في طاقتنا ولا في احتمالنا ان نتابع المشهد، انثنينا الى السفح نجلس في الخلاء ريثما نلم انفسنا الممزقة ونسترد قوانا الذاهبة، فما راعني الا ان رأيت «فدوى» الى جانبي ترتجف منتحبة، ثم تمد بصرها المذعور الى الخيام، وهي تحاول ان تجمع من تلك الظلال المنطفئة رؤى ماض لها سعيد، ولى وراح. فلما اعياها ان تحس خفقة الحياة في الاشلاء والحطام، ..دت بصوت متعب، يخنقه الحزن والشجن:

على العتبات تدب هوام
ولعبر قافلة فافلة
وبين الزوايا عناكب تحبو
وتمعن في زحفها واغله
وابصرت اشلاء قومي هنا
وهناك على طرق السابله

• • • •

وكان هناك وراء الدخان
قطيع تشتت في كل بيد
قطيع وديع ... بقية قومي.
فهذا شريد ... وهذا طريد
تظللهم في العراء الخيام

وقد اخلدوا في هدوء بليد
براكين خامدة لا تفور
استحال اللظى في حشاها جليد
فصارى مطامحهم لقمة
مغمسة بهوان العبيد
تجود بها كف جلادهم
لتخديرهم كل صبح جديد

• • • •

لم صمتت تداري اساها وتطوي جرحها لكن صدى صوتها الحزين لم يسكت، بل بقي يتردد ملء سمعي وخاطري ما بين سفوح جرزيم والمكبر، وما زال يعاودني كلما هاجت الذكرى فردتني الى تلك الايام التي عشتها في صميم المأساة ..!

وعلى الافق البعيد من وراء الغيب، احاول ان استبين بوادر الفجر المرتقب، فاتساءل في لهفة والحاح:

ترى هل استطيع يومئذ ان انسى المشهد الفاجع الذي روعني في طولكرم، وعلى مشارف مثلث الرعب، وعند الجدار المجيب الذي يشق بيت المقدس ويشطره شطرين !؟

وهل تستطيع اية النهار الموعود، ان تنسخ هموم الليل الذي طال، وتمحو آثاره العميقة الغائرة في القلوب والضمائر والوجدان ؟

من يدري ....!

بنت الشاطىء

التاريخ: ٣ / ٦ / ١٩٦٠

الاهرام يتيح الصفحات للمناقشة في مستقبل الصحافة [illegible]

يواصل « الاهـرام » اليوم نشر التعليقـات التى تلقاهـ على مقال محمد حسنين هيكل عن تنظيم الصـحافة .. لكى يبدى الشعب رايه فى مستقبل الصحافة ويمنحها الضـوء الذى تسير على هداه باعتبـاره وحده ـ سيدها واستاذها ..

مايطلبه القرّاء !

بقلم
الدكتورة بنت الشاطئ



« من الحق ان صحافتنا لم تكن كلها منحرفة ، بل كان منهـا مايرعى كرامة المهنة وحق الوطن وحرمة الامانة ، لكن هذا العنصر الصالح كان مهددا بالبوار والكساد ، لو لم تتدخل الدولة فتكبح جماح التيار الاهوج الـذى اندفع لايلوى على شىء ، مدمـرا فى طريقه معنويات شعب يخوض اليوم معركته الـكبرى من اجـل الوجود الكريم ..

ولو نرك الامر بلا تدخل حاسم ، لاكتسح التيار كل ما فى الميدان من عناصر طيبة ، ولما كان عجبا ان نصبح ونمسى ، فاذا جمهرة القراء قد ادمنت الصنف اياه ، وزهدت فى كل ماتقدمه اليها الصحف الرشيدة من زاد معنوى كريم ، واذ ذاك تجد هذه الصحفنفسها امام احد امرين لا ثالث لهما : فاما ان تساير التيار فتلهث كسواها وراءالخبر التافه والفضائح المثيرة ، واما أن تثبت على مقاومة اغراء الصنف المطلوب والبضاعة الرائجة ، فلا تلبث أن تصفى اعمالها وتغلق ابوابها وتنسحب منميدان لم يعد لها فيه مكان "..

وكانت هذه هى عقدة المأساة التى طالما دوخت كل من فكروا فى محنة الصحافة او حاولوا التماس حل يحد من جموح التيار او يغير مجراه الى الطريق السوى .

وهنا فى هذا المكان من صحيفة الراى كتبت فى اليوم الثامن من نوفمبر الماضى عن هذه العقدة المحيرة . وقلت فيما قلت : « ان الصحافة قد تخلت ـ او تخلى اكثرها ـ من رسالتها الاصيلة فى التوجيه والتثقيف ، منذ اضلتهاالحزبية العمياء واتخذت من أكثر الصحف أداة لتضليل للراى العام ووسيلة لتشهير بالخصوم ، فانحط المستوى وتدهور الاسلوب حتى امسى اشبه بنباح الكلاب المسعورة . ثم لما حدث الفراغ اثر نجاتنا من التطاحن الحزبى المسف ، راحت الصحافة تجرى لاهثة وراءالخبر المثير والمادة الرخيصة التافهة ، ورصدت اكبر جهدها على التفنن فى عرض (الريبورتاج) الصارخ من مغامرات الطبقة الفارغة اللاهية ، وفضائح المجتمع الماجن العابث . فاذا لم تجد منها ما يكفى ، اتحفت القارىء بأخبار تافهةعما اكل فلان وماشرب علان ، وعن جولات هذه وتلك فى الاسواق والاندية والحفلات وتعتذر الصحافة بان جمهرة القراء مولعون بهذا الصنف ، وان الصحيفة فى سباق التوزيع ، مضطرة الى تملق اهوائهم وارضاء عقليتهم ومزاجهم »

وقدرت يومئذ ان مطالبة احدى الصحف بمقاومة مايطلبه القراء ، تضحية خاسرة . اذ المفروض انهاتكتب ليقراوا ، فما لم تقدم اليهم الصنف الذى ادمنوه ، انصرفوا منها الىسواها، من الصحف التى تعالج ادمانهم على طريقة ابى نواس :

★ وداونى بالتى كانت هى الداء ★

وكان من الممكن ان يعالج الادمان بمنع تداول البضاعة السامة ، بحيث لايجد المدمن امامه من يقدم له المخدر او يغريه به . وعلاج كهذا ، كان يحتاج الى موقف اجماعى من الصحف كلها بلا استثناء ، يمليه وعى عام مشترك لجلال المسئولية وعظم الامانة ، فلايشذ منه خائن مستهتر او تاجر مسعور او سمسار ماجور ، لكن الواقع المر كان يصدمنا صباح مساء ، حتى غلبالياس الامل ، وصار من العبث الضائع أن ننتظر اجماع كل الصحف على تقاليد مقررة ، تحمى شرف المهنة ، وتحمى الشعب من ضلال فئة وكل اليها مهمة حمايته من الانحراف ، فكانت هى أداة الانحراف ، وصح فيها قول شاعرنا ابى العلاء :

التاريخ: ٢ / ٦ / ١٩٦٠

**ظلموا الرعية واستجازوا كيدها
وعدوا مصالحها وهم اجراؤها !**

فهل كان من الممكن ، ان تمضى الامور هكذا ، فى عهد يكافح لبناء مجتمع صالح ؟ !

او كان من المستطاع ان تصبر الدولة على انحراف ينولاه اخطر جهاز للتوجيه الشعبى والتأثير على الراى العام ؟

يجوز ، لكن عند من لايزالون يعيشون بعقلية العهد الاغبر الذى ولى وراح..

ويجوز ، عند من لايزالون يتصورون ان للصحافة أن تمارس لعبتها الخطرة فى ترويج المخدرات المعنوية ، دون رقيب او حساب !

وغير صحيح أن هذا الشعب الكادح الواعى كان المسئول عن محنة الصحافة ، وانها انما كانت تلبى ما يطلبه القراء !

وانما الصحيح انها التى الحت على الجماهير بهذا الصنف من توافه المثيرات ، واستخدمت وسائلها الفذة فى الاعلان عنه والترويج له ، والاغراء به ، وتدنجحت فعلا فى استهواء مئات الالوف من المراهقين وضعاف النفوس والاميين من المتعلمين ، لكن الضمير الشعبى العام بقى مروعا قلقا يؤرقه التفكير فى هذه المحنة ، بل ان المدمنين انفسهم كانوا فى لحظات الافاقة من تأثير الجرعة المخدرة ، ينتبهون الى سوء اثرها ويتمنون لو تهيأت لهم النجاة من شرها ، الى ان تأتيهم الجرعة التالية بكل سحرها واغرائها فيقبلوا عليها مسلوبى الارادة :

وآلات الطباعة تدور ليل نهار ، عمياء صماء ، والتجار من ورائها يغرقون السوق ببضاعتهم السامة ، وهم يقولون: هذا ما يطلبه القراء !

فبالله لماذا لاتترك الدولة تجار الحشيش والافيون والمورفين ، يمارسون تجارتهم احرارا ، ويلبون مايطلبه « الزبائن » المساكين ؟!

والقياس مع الفارق : فخطر الحشيش والمورفين محصور فى نطاق المرضى ، أما خطر المخدرات المعنوية فلا حد لضراوته وشره ، بحكم ما للصحافة من نفوذ على العقل والضمير والوجدان !

وبعد فقد كانت الصحافة فينا سلطة رابعة ، لكن طائفة من اهلها نزلت بها من مكانها ، حين حسبت ان السلطة تمنح عبثا ، او انها مجرد أداة للجاه ووسيلة لاستغلال النفوذ فى التجارة المحرمة ، وقد القى التنظيم الجديد عبئا ثقيلا على العناصر الصحافية الكريمة التى ناضلت فى فدائية واستبسال لتحفظ للمهنة شرفها وهيبتها ، فان عليها منذ اليوم ، أن تناضل من جديد حتى تسترد للصحافة ما اضاعت . وتعود بها الى مكانها الاصيل فى قيادة الرأى العام : سلطة رابعة يحسب لها ألف حساب ، وتتولى تعبئة قوى الشعب المعنوية لاحتمال مشقة البناء وتبعات الحرية

التاريخ : ٦ / ٦ / ١٩٦٠

انحراف الشباب

كانت الندوة عن الشباب . وكان موضوعها انحراف هذا الشباب .
واشترك فيها : الدكتورة بنت الشاطئ، والشيخ محمد المدني والدكتور فؤاد البهي
والدكتور محمد كامل البطريق. وعقب عليها وزير الشئون الاجتماعية .

● قالت الدكتورة بنت الشاطئ :

كنت أود أن يكون معنا إحصائيات من الدراسات التي تقوم بها لجنة انحراف الشباب كمؤسسات الأحداث وغيرها لتؤيد وجهة نظرنا . أما ولم توجد تلك الإحصائيات فإن الرأي الذي أراه إنما هو من باب الاجتهاد ..

ونحن نستريح كثيرا لو حددنا المفهوم الناتج من انحراف الشباب . فحين يذكر انحراف الشباب تتجه أذهاننا إلى حالات معينة مثل الشذوذ الجنسي .. والسرقة مثلا وذلك كجريمة البار وجريمة مقتل الطالب تشيات وأحد السماسرة في الفندق ..

والانحراف في حقيقته هو الميل عن الطريق السوي المعتدل . فأي انحراف عن الطريق السوي كالانحراف في العقيدة إنما هو انحراف وله خطورة ولكني أتركه لفضيلة الشيخ المدني وسأكتفي أنا بالحديث عن الانحراف في السلوك .. فبرغبة الشباب مثلا انحراف عن الرجولة وتقديس الشباب للفردية انحراف وسوء لاستعمال الحرية ... الانهماك في تقليد الغرب في كل سلوكه إلى الحد الذي يلغي شخصيتنا ووجودنا بحيث تنفي أصالتنا التي هي مظهر وجودنا .. انحراف .. كذلك فهم كثيرات من بنات اليوم لحرية المرأة انحراف . يجب أن تفهم البنت أن حرية المرأة ليست في تربية جميلة وليست انطلاقا جامحا . إنما حرية المرأة هي وعي للذات واعتداد بالشخصية ، وليست حريتها زيا يلبس والقابا [illegible] ... والسبب في هذا الانحراف السلوكي إنما هو تأثر الشباب بالغرو الفكري الأوربي . وانخداعه بالصورة البديعة البراقة أن الشرقية تدعو للتأخر .. أي الاتصال بأحداث وحدة إلى الوراء .. تأثر الشباب بالغزو الفكري من ناحية وتشتت الدعوة من ناحية أخرى ..

وليس أدل على ذلك من قضية الشبان الذين يرسلهم الوطن هنا تحت [illegible] وبصره ثم يرسلهم إلى الغرب المتأثر بالمظاهر الخداعة والمدنية البراقة فنتوقع منهم أن يرجعوا ليفيدوا في هذا الشرق ويفيدوا أي مركز لعمل ذلك .. وهذا الغر من الشباب ماذا يصنع الدولة أمامه لأنه أكثر من أن ترجع أمره إلى الحكم المخالفة بالنتائج التي ترتبت عليهم .. وهذا لا يكفي .. وإنما يجب أن نذهب إلى الأسباب لعلاج المشكلة هناك قبل أن نحصد الشباب نفسه ..

وهناك أمر آخر .. الشباب الذي ينحرفون عن قوميتهم .. وراء الغرو الفكري أيضا .. هؤلاء الشباب يحيدون بوسيلة لأمور شتى .. قد تكون هي الشباب المال .. ولكن لا يعني هذا شيئا فقط لأن فيهم أبناء .. وهناك فقراء كثيرون فقراء .. ومثل الذي حصل في قضية الجواسيس والدولة ترجع أمر هؤلاء إلى القضاء فقط .. إن الأشياء التي تضبط معهم من أخبار سرية، وأجهزة للتسجيل والتصوير وغير ذلك تعني القضاء فقط .. وهناك أمر أخطر من هذا .. هذه الأمور من الناحية .. وبعبارة أخرى .. الآباء والأمهات .. والمدارس التي تربوا فيها .. هذه كلها أمور خطرة يجب أن نصغي إليها بآذاننا وتفكيرنا .. وأن نحاول أن نتتبع الداء من جذوره حتى نستخلص الدواء من خطر انحراف الشباب .

الانحراف الحاد

● أما الشيخ محمد المدني فيبلغ كلية الشريعة فإنه يرى أن الانحراف هو أخطر من العوامل السوداوية [illegible] الانحراف الحاد لأن ما يقول : « إن الذين يتحدون في آبائنا لا يحمد منهم »

وقد أحمد الله كثيرا ما أصابنا من الشباب فإنه يرجع أولا وأخيرا لانحرافنا عن الإيمان .. فبعض الناس مثلا يرون أن الإسلام حرام تطيل لحيتك .. وأن تطيل صلاتك لتكون مؤمنا ..

ومسألة أخرى هي مسألة الفراغ الروحي إذا صح هذا التعبير ونحن عندنا امتلاء مادي .. لأننا ننظر إلى الدين والمثل العليا والفضائل الإنسانية على أنها أشياء غريبة عنا وأنها رجعية ... والواقع أن الحياة بدون دين وبدون مثل وبدون فضائل لا خير فيها ..

● وكان من رأي الدكتور فؤاد البهي أستاذ علم النفس بكلية التربية أن نهدف أولا إلى تحديد المعالم الرئيسية لسلوك شبابنا وخطة للدراسة والتجربة والإصلاح .

التاريخ : ٦ / ٦ / ١٩٦٠



[illegible]



الدكتورة بنت الشاطىء



الدكتور فؤاد البهي

على انه يجدر بنا اولا ان احدد مفهوم الانحراف من وجهة علم النفس .. وهو في ذاته الميل عن المستوى العادى .. ميل الى اعلى او الى اسفل .. والميل الى اعلى ذكاء ونبوغ والميل الى اسفل ... وضياع . ولذلك يجب ان نعالج المشكلة على اسس تربيية ، لان الانحراف ليس حتما في التكوين او الوراثة او الولادة وانما يرجع الى المجتمع الذى نشأ فيه الفرد

فالانسان الذى ينشأ على القدوة الصالحة والمثل العليا والمبادىء السامية ... بيئته التى نشأ فيها يصبح انسانا سويا - معتدلا - بعيدا عن الانحراف والانسان الذى ينشأ على القدوة الفاسدة في بيئته تؤدى به الى الانحراف ..

والانحراف ايضا اختلاف في الدرجة والنقصان .. اختلاف في درجة الصفة ونوعها .. فالانسان الذى يضحك في جو محزن منحرف .. والانسان الذى ينطوى على نفسه في جو مرح منحرف لانه خرج على سلوك الجماعة ..

والانحراف في الشخصية موجود في كل مكان .. موجود في كل شارع وموجود في مدارسنا .. بتقليد المراهقين لابطال السينما والمجرمين .. وليس ادل على ذلك من مسألة السفاح التى حدثت بالامس القريب . والتى اسرفت في الكتابة عنها صحافتنا حتى اصبح السفاح في نظر هؤلاء المراهقين بطلا يحسدونه على هذه الشهرة

والصحافة باعلانها عن مثل هذه الجرائم انما تساعد على الانحراف والمشكلة في حد ذاتها ليست مشكلة شباب فاسد وشباب صالح .. ولكن هذه النواحى المختلفة من الانحراف التى يسلك شبابنا فيها مسلكا واضحا انما يسلك هذا المسلك للفت الانظار ... لان الشباب في مرحلة المراهقة ... هو في مرحلة بين الرجولة والطفولة .. والشباب في هذه السن يريد ان يحقق ذاته . يريد ان يثبت ... انه رجل وللرجولة انه ... طفل . ومن هنا تتكون ... التى ... في نواحى الشوارع ، ان هذا الشباب ... بدون هدف ... ، ويجب ان نقوم بتوجيهه

● اما الدكتور محمد كامل البطريق مدير ادارة خدمات الشباب بوزارة الشئون فيقول :

[illegible]

في شبابنا . غاية الامر انه يعانى صراعا عنيفا .. ولذلك نجده يهرع الى التقليد .. وفي التقليد يظهر بعض الانحراف البسيط ..

وهذه المشكلة يقوم بمعالجتها المجلس الاعلى لرعاية الشباب انه يقوم بالدراسة المتنوعة للوصول الى الشباب المثالى .. وتأتى بعد تلك الدراسة التطبيقية لتكون تنشئة الجيل تنشئة صحيحة

● وعقب السيد وزير الشئون الاجتماعية الشنيطى على الندوة بقوله :

لاتنفرد وزارة الشئون بمعالجة هذه المشكلة .. وهذه المشكلة لاتكفيها ساعة او ساعات بل في حاجة الى دراسة عميقة يقوم بها المختصون ، لاننا شعب له تقاليده الاسرية وبين الاسر روابط وهذه الروابط قوية ومتينة ، ولذلك يجب ان نبادر بعلاج بعض الحالات المنحرفة عند الشباب والا نهملها

انى اقول هذا القول لانى احس بها المسئولية لانى اب لولدين وبنتين .. واخاف عليهم جدا من ان ينحرف ولد منهم .. ولذلك يجب ان نراجع انفسنا وان نراقب اولادنا مهما كثرت شواغلنا لان الام والاب هما الاساس .

التاريخ: ١٤ / ٦ / ١٩٦٠

كلمة صريحة

وما يطلبه المستمعون أيضا

« اكثر الناس عندنا ، لايتصورون ابدا ان النقد امانة ،يحملها الناقد لوجه الحق والخير وان احتمل فى سبيله الاذى والضر . وانما الناقد عندهم احد اثنين : ماجوراو موتور

« ولهؤلاء اقول اننى منذ ايام معدودات ، فى اول هذاالشهر على التحديد ، قبضت من خزينة الاذاعة ثلاثين جنيها ، مكافاة عن بضعة احاديث لم تستغرق اذاعتهاكلها ثلاثة ارباع الساعة ! ولهذا المبلغ قيمته فى ميزانية مثلى ، وخصوصا فى موسم عيد !

ويساوى هذا المبلغ ، ثلث مرتبى تقريبا من الجامعة ،لمدى شهر كامل !

ولى احاديث دورية فى البرنامج العام، وفى البرنامج الثانى مع "النقاد . وكنت الذيع باستمرار فى برنامج «ركن المراة» ، حتى اضطرتنى شواغلى الى الاعتذار ..

لا وهذه مقدمة امهد بها لحديثى اليوم عن الاذاعة ، راجية ان تؤكد لمن لايفهمون ان النقد امانة صعبة ، انني غير ماجورة ولا موتورة »



بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

والان ادخل فى صميم الموضوع ...
الاذاعة مؤسسة غير تجارية ، وهذا الوضع يعفيها من اللجوء الى الاساليب « اياها » التى تضطر اليها المؤسسات التجارية ، خضوعا لرغبتها الطبيعية فى الربح الذى هو مقياس نجاحها ، والضامن لاستمرارها وبقائها .

والاذاعة كذلك ، لاتخضع (للروتين الديوانى) وهذا الوضع يعفيها من الجمود ، ويحررها من أكثر القيود التى تشل بعض الادارات الحكومية ، وتسترقها لفهم الاداريين لنصوص لوائح اكثرها من مخلفات عهد الاستعمار والطغيان .

ولكن هذا الاعفاء من ضرورات التجارة ، واثقال الروتين ، يلقى على الاذاعة مسئولية خطرة ، هى مسئولية الحرية التى لا اعرف مسئولية افدح منها ولا اصعب !

كما ان طبيعة الظروف التى يمر بها الوطن ، تزيد مسئوليتها تضخما وثقلا !

وكل هذا من البديهيات التى لايجحدها الا جاهل او مكابر ..

جاهل لمعنى الحرية وتبعاتها

او مكابر فى اهمية الجهاز الاذاعى لبلد ثلاثة ارباع اهله من الاميين ، واكثر الباقين تشيع فيهم امية التفكير ويعيشون فى عزلة عن عالم اليوم .

واذاعتنا يسمعها ملايين العرب ، متعلمين وغير متعلمين ، فى الريف والحضر . بل لعل الاميين منهم ، والمنعزلين فى المجاهل النائية ، اكثر اقبالا على تتبع البرامج الاذاعية ، لانها تسليتهم الوحيدة واداة وصلهم بآفاق الدنيا .

وليس الامر كذلك فى اى جهاز آخر من اجهزة الاتصال بالشعب وخدمته :

الصحف لا يطالعها ، الا بضع مئات الالوف ، من المتعلمين ..

والمدارس لايدخلها الا طلاب العلم ..

ودور العبادة ، لا يؤمها الا الاتقياء الذين يحميهم الوازع الدينى من الانحراف والانحلال .

الاذاعة وحدها هى التى يصل صوتها الى نائى القرى ، ومجاهل الصحراء ، وكهوف المجرمين الذين تطاردهم العدالة ، وآذان المعزولين وراء اسوار السجون ..

بل ان صوتها ليصل قسرا الى مسامع من لا يرغبون فى الاصغاء اليها ، والبركة فى المقاهى والسيارات العامة ، ومساكن الجيران !

فالى اى مدى تقدر الاذاعة ، ثقل تبعاتها وجلال رسالتها ؟

الذى يبدو لى انها اكتفت بتقسيم برامجها مناصفة ، بين التثقيف والترفيه

وهذا هو ما يجب ان يكون ، فالحياة بغير ثقافة ووعى ، عقيم جوفاء ، كما انها بغير ترفيه وتسلية جافة ثقيلة لاتحتمل .

ولكن الاذاعة تحتكم فى توجيه برامجها غالبا ، الى مايطلبه المستمعون . وكذلك تفعل الاذاعات فى ارقى الدول الغربية ، التى تكثر من ايفاد الاذاعيين اليها لاقتباس احدث النظم او استيراد اروج الاساليب .

ومما اقتبسته اذاعتنا نظام الاستفتاء اما مباشرة بالاحصاء ، واما غير مباشرة بفتح شباك بريدها لرغبات المستمعين ، ثم على ضوء هذه الاستفتاءات تغير وتبدل ، وتضيف وتحذف ، وتقرب وتبعد ، وتعطى وتحرم !

والموقف يبدو فى ظاهره طبيعيا لا غرابة فيه ولا شذوذ ، ولكنا حين نتدبره مليا — على ضوء ما يذاع استجابة لما يطلبه المستمعون — نكشف عن خطأ كبير فى الاساس وفى القياس : فمثل هذا الاسلوب اذا جاز ان يكون مرجعا للاذاعة فى شعب لا يشكو محنة الامية ورواسب الاقطاع والاستعمار ، فانه لايجوز ابدا فى ظروف كظروفنا ، حيث نخوض معارك داخلية لنقضى على هاتيك الرواسب ، ونتخلص من آثار التركة المثقلة التى امتحن بها الوطن العربى .

وما قلته بالامس فيما يطلبه القراء ، اقوله اليوم فيما يطلبه المستمعون .

فهذه الاغانى الخليعة والمرنهات المبتذلة التى تقوم على تسجيل النكت الباردة وترديد شتائم نترات المقاهى والغرز ، ومعارك نسوة الحوارى مع الازواج والجارات ، هذه وامثالها لا يطلبها فى الحقيقة الا قلة من الفارغين الذين يتتبعون الاذاعة — وياطول بالهم ! —

(٣)

لسماع اسمائهم والقابهم اذاعه على من هذا الوقت الضائع !
الملايين ، ومن المراهقين والمراهقات الذين يهدون « نار يا حبيبي نار — وحبيبي اهه .. خطيبي اهه » الى الحبايب والاحباب ، ويسخرون اداة الدولة لنقل رسائل الغرام الى الهاجر القاسي ، حافلة بالصبابة ملحنة مغناة !

ولايمكن ان يكون هؤلاء ، ممثلي الملايين من الشعب الكادح الذي يطرب لسماع ام كلثوم وفيروز ونجاة الصغيرة ، ممن تحول اغاني الحب واشجانه وآهاته في اصواتهن ، الى اناشيد صوفية !

لايمكن ان يكون عشاق الترفيه السطحي الرخيص المبتذل ، ممثلي الشعب الذي الهب حماسه واعجابه ، نجيب الريحاني وهو يؤدي رسالته في نقد المجتمع باسلوبه الساخر ونكاهته اللاذعة وتفشاته التي في الصميم !

والاذاعة هي مدرسة الشعب الكبرى

واذا كنا لانتصور ان تلبي مدرسة ثانوية رغبات طلابها المراهقين ، فتعفيهم نصف الوقت من جفاف دروس اللغات والرياضة والجغرافيا ، ومن صرامة المعلمين والمشرفين ، وان تزود المكتبة المدرسية بكتب الاثارة الجنسية واسطوانات الاغاني الماجنة تحت طلب التلاميذ ، اذا كنا لانتصور هذا من مدرسة ثانوية ، فكيف نسيغه ونحتمله من اكبر مدرسة للشعب ! ؟

كلا .. ليس من مهمة اذاعة الدولة — في هذه المرحلة من حياتنا — ان تلبي نزوات الفارغين وترضي شهوات الطائشين والمراهقين !

وليس من حقها ان تهدر وقتا غاليا في سرد قوائم مملة باسمائهم والقابهم وبلدانهم ، ونحن في حاجة الى كل دقيقة

. انما مهمتها الاولى ان ترفع المستوى الفكري بثقافة واعية موجهة .

وان تهذب المستوى الوجداني بتربية راق ، وتسلية من الصنف الذي كان يقدمه نجيب الريحاني ، وعلى غرار ماكان يقدمه مسرح موليير ، وما لايزال يقدمه شارلي شابلن فيضحك ويوجه ويعلم ويهذب ..

وان تحمي ابناءنا في سن المراهقة ، من الاصوات الخليعة التي تحيل الكلمات المالوفة المعتادة ، سياطا من لهب ، يشعل الغرائز ويثير ضراوتها !

ولا شيء ابدا يحول دون قيام الاذاعة بهذه الرسالة الجليلة ..

لاشيء من نقص الكفاية والاستعداد

لاشيء من مقتضيات التجارة او جمود الروتين

واعرف ان هذا الاسلوب سوف يغضب مئات والوفا من المستمعين

لكني اعرف معه انهم في حاجة الى ان ناخذهم بشيء من الجد ونروضهم ببعض الحزم ، رحمة بهم في زمان لايعترف بالخبز لغير من يعرق ، ورحمة بالوطن الذي ينتظرهم لغده المرجو ..

وبعد فقد نشرت هنا في هذا المكان ، كلمات صريحة في نقد الصحافة وفيما يطلبه القراء ، وما يزال « الاهرام » مع هذا يفتح صدره لما اكتب ، فهل اطمع في ان تقف الاذاعة مني مثل هذا الموقف الكريم ، او انها سوف تحذف اسمي من برامجها وتحرم على دخول دارها ؟

هو على كل حال شيء في الحساب ، ولن اراه ثمنا غاليا اذا قدر لصوتي هذا ان يصل الى اذاعتنا ، وان يحدث صداه اثرا ما ، فيما نرجوها له من دور جليل في معركة البناء والمصير !

التاريخ: ٢٧ / ٦ / ١٩٦٠

«لو لم يكن لنا من المؤتمر الا هذا الذي كان فعلا ، لكفانا به شاهدا على سلامة الجوهر الحر لشعب عانى ماعانى من ضغط الطغيان ومحنة الاستبداد ، فلم يستطع شيء — اى شيء ! — ان يشوه فطرته الكريمة او يفسد معدنه الاصيل ...»

عندما التقينا



بقلم : الدكتورة بنت الشاطئ

في آخر صف من قاعة المحاضرات بالجامعة ، وقفت ادير عيني في هذا الجمع الكبير الذي احتشد هناك . قد اختلفت صورهم واسماؤهم ، وتعددت لهجاتهم وازياؤهم ، وتفاوتت ثقافاتهم ومهنهم ، واتحدت مع ذلك قلوبهم ومشاعرهم واهدافهم فرايت فيهم وطني الكبير مجتمعا في مكان واحد ، واحسست انني قد التقيت لاول مرة بكل الملايين من ابناء بلادي في انحاء الارض الطيبة : من برارى الشمال الى اقصى الصعيد الاعلى ، ومن شطوط النيل الى مجاهل الصحراء ..

ومن قبل طالما اجتمعت حشود اثر حشود في قاعتي البرلمان تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ، قد مزقتهم الحزبية وفرقتهم الاهواء ، وبدت بينهم العداوة والبغضاء ، فانقطع ما بين الاب وولده ، ونأى الاخ عن اخيه ، وبعد ما بين الجار وجاره ، منذ باع كل منهم نفسه وتصيره للحزب الذي ينتمي اليه ، ونزل له عن حريته وعقله ورايه ، فعاد آلة صماء يسخرها الحزب على هواه ، ويحركها فتنطق او تهتف او تصفق !

وشاقني ان امر ببعض لجان المؤتمر ، فرايت في الصف الواحد ، بدوية من الصحراء الغربية ، قد جلست الى جانب « الملكة دينا » تتحدثان في الفة ومودة وزمالة ، فتجلت لي عظمة الديمقراطية حين تتحول من لفظ وشعار الى حقيقة وواقع . واخذني جلال الموقف بما يحمل من دلالة عميقة على اصالة استعدادنا للتحول الجرىء الذي التقينا به اهلا واخوانا وزملاء ، بلا حواجز ولا فروق ...

واسمعت الى صديقة من اسوان ، تناقش السيد الاستاذ احمد نجيب هاشم وزير التربية ، في شجاعة غير متهيبة، وتطالبه بان يكون لابناء سيدات التعليم » مثل الحق الذي قررته لوائح الوزارة والجامعة لابناء رجال التعليم » فيؤكد لها السيد الوزير أنها على حق وان مطلبها مجاب ..

اذ ذاك ادركت ـ كما لعلى لم ادرك من قبل ـ مدى التطور الذي جاء بهذه السيدة من مدرستها الابتدائية في اقصى الصعيد ، لتحاسب الوزارة على خطأ اداري في تطبيق بعض اللوائح ، وتكشف للسيد الوزير عن جمود الاداريين الذين التوا حولهم أمام حرفية النص ، فكان لابناء المعلمين ما ليس لابناء المعلمات !

وساءلت نفسي : ترى هل كان رواد نهضتنا في دعوتهم الباسلة لتحرير المراة منذ بضع عشرات من السنين، يتصورون هذا الموقف او تجرؤ احلامهم على الطموح اليه ؟ ورحت استعيد ذكريات المعركة المريرة بين أولئك الرواد الكرام ، وبين الرجعية المأجورة التي سخرها الطغيان لتبقى المراة العربية في سجن « الحريم التركي » مغلولة بأغلال الجهل والتبلد والوأد ، بدعوى حمايتها باسم الدين وباسم التقاليد ، من « افساد » العلم ، و « بلوى » الحرية ، و « متعة » الطموح ، و « وهج » النور ، و « ضجيج » الحياة ...

وفي قاعة أخرى من قاعات المؤتمر ، شاهدت قرويا من اعماق الريف ، يقف بين عدد من اعلام الادب وقادة الفكر والراي ، ليحاسبهم حسابا عسيرا على احتشادهم في العواصم الكبرى، وبذكرهم بالريف الطيب الذي هجروه ، ثم يسألهم السؤال المحرج كم منهم من عاد الى قريته فعاش اياما بين اهله وعشيرته وجدد صلته بالارض الكريمة التي انبتته ؟ وكم منهم من يقبل الرحلة خارج القاهرة والاسكندرية ، ليحاضر في احد بنادر بحري او مراكز الصعيد ؟ بل كم منهم من فكر في ان يكتب عن كفاح رشيد والمنصورة وفارسكور ودمياط لو لم يذهب السيد الرئيس ليحيي سلالة المجاهدين هناك ، ولو لم ترصد الدولة جوائز مالية لمن يكتب قصة ذلك الجهاد ؟

ذاك شعرت ـ كما لعلى لم اشعر من قبل ـ ان نسير الشعب الحي اليقظ ، يتتبع خطواتنا وخطراتنا ، فلا يغادر من امرنا صغيرة ولا كبيرة الا احصاها !

وحين اذيعت توصيات المؤتمر ومقترحاته، كان أول ما خطر ببالي هو :

أيا ما كانت هذه التوصيات ، وايا ما كان مصيرها في مجلس الامة ثم في يدي السلطة التنفيذية فالذي اعرفه يقينا ان ما قد كان فيه الاجتماع العظيم يستحق كل الجهد العظيم الذي بذل فيه ...

لقد التقينا ، نحن الملايين من ابناء الشعب ، في طريق واحد بعد ان تشعبت بنا السبل والدروب والمسالك، وكشفت التجربة عن الجوهر الذي لشعب عريق مجيد ، يعي وجوده ويعرف طريقه ويميز هدفه ، ويملي ارادته على الدنيا وعلى التاريخ ...

ولو لم نخرج من المؤتمر بغير هذا الذي كان ، **لو لم يكن لنا منه الا ان نشهد الفلاح والعامل والبدوي الذي يفد الى العاصمة لاول مرة ، ياخذون مكانهم في الصف الى جانب الوزراء والقادة واساتذة الجامعة ، بغير تهيب ولا تكلف ، ويناقشون المسئولين كما يناقش ولي الامر وكيله واجيره ...**

لو لم يكن لنا منه الا ان نرى « ابن البلد » المغمور ، في جلبابه المتواضع ، يشق طريقه في قاعة الجامعة في اعتداد الاصيل واعتزاز من يدرك انه مصدر السلطة وممثل الشعب .

اقول : لو لم يكن لنا من المؤتمر الا هذا الذي قد كان فعلا ، لكفانا به شاهدا على اصالة الديمقراطية فينا ، وسلامة الجوهر الحر لشعب عانى ما عانى من تسلط الطغيان ومحنة الاستبداد ومأساة الاستعمار ، فلم يستطع شيء ـ اي شيء ـ ان يشوه فطرته النقية الكريمة ، او يفسد معدنه الاصيل !

التاريخ: ٧ / ٧ / ١٩٦٠



ما يطلبه المتفرجون

كلمة صريحة

بقلم

الدكتورة بنت الشاطئ

في حفل تكريم الدكتور «جوزيف سيرجا» المرشح لرياسة جمهورية اوغندة سمعته يتحدث في حماس بالغ عن «فيلم جميلة» ويفيض في وصف ماتركه في نفسه من اثر عميق، ثم مضى يستشهد بهذا الفيلم على مدى وعي السينما عندنا وارتفاعها الى مستوى الاحداث الكبار، ومشاركتها في معارك التحرير التي يخوضها الشرق الاسيوي الافريقي وطننا الكبير.

وكنت اصغي اليه ماخوذة بحماسه، وانا ادعو الله — في سري — الا يتاح لضيفنا الكريم ان يشاهد كثيرا من افلامنا، تحت تاثير الفكرة الطيبة التي اخذها عن «جميلة»، وشعرت بخوف مشوب بالخجل، حين تمثلت خيبة الامل التي يمكن ان يحسها، لو بدا له ان يستزيد من متعة التفرج على «افلامنا» ويتزود منها بما يعينه على انهاض هذا الفن في بلاده، عندما تسترد حريتها قريبا باذن الله.

وبقدر ماروعني هذا الخاطر، شعرت بالغبطة الصادقة، وانا المس الاثر النائل للفيلم العربي في نفوس مواطنينا الشرقيين، عربا كانوا او غير عرب وقد سألت الضيف الكريم ان كان قد قرا شيئا من آثارنا الادبية او سمع بعض اغانينا، فلما اجاب بالنفي، معربا عن اسفه الشديد لما يفوته من ذلك بسبب مايعوزه من معرفة اللغة العربية، وبسبب ما اقام الاستعمار بيننا من اسوار العزلة الفكرية، تنبهت الى مدى خطر «الفيلم» باعتباره الوسيلة الوحيدة للتبادل الفكري والمشاركة الوجدانية، بيننا وبين الوف الالايين من اخواننا في الشرق الكبير.

وهنا خطر لي ان اسأل هنا: هل قدرنا هذه الرسالة الجليلة، للفيلم العربي واوليناها ماتستحق من عناية واهتمام؟ وماذا في رصيدنا الفني من افلام على غرار «جميلة» تعرض قضايانا الكبرى وكفاحنا المشترك، وتفضح اساليب المستعمرين في نشر حضارة الغاب ومدنية الوحوش!!

ولا اريد ان اتطوع بجواب، فلست من اهل الاختصاص في نقد الفيلم، ولا انا ممن يهتمون به اهتماما جادا مباشرا، ولكني استطيع على الاقل، ان اعرف من النشرات الاعلانية لافلامنا، اي صنف يقدمه لنا تجار السينما، كما استطيع ان اتذكر ماقرات من نقد النقاد وما سمعت من شكوى الشاكين من اصحاب المهنة، فادرك من هذا كله ان رسالة «الفيلم العربي» في المجال الذي اتحدث عنه، هي اخر ما يخطر على بال الكثرة من التجار الذين لا هم

لهم الا استخلاص اقصى مايمكن من الارباح ، بأى الطرق ، المشروع منها وغير المشروع ، دون اكتراث بما عدا ذلك من اعتبارات فنية او قومية

او هذا هو ما يشهد به شهود من اهلها :

فما من يوم يمر ، دون ان نقرأ لهم شكوى لهم من هزال اكثر افلامنا وانحرافها وهبوطها ، ورخص اساليبها الاعلانية ، ويقرأها معنا منتجو هذه الافلام الهزيلة الرخيصة ، ثم يلوون رؤوسهم وهم يعتذرون بأن هذا هو مايطلبه المتفرجون . ولو كان حقا مايدعيه هؤلاء من رغبة الجماهير في الافلام المبتذلة ، لما لقيت الافلام الجادة النظيفة اى حظ من رواج ، ولو كان حقا مايزعمون من زهد المتفرجين في الفن الاصيل . وولعهم بنجوم الاغراء والجاذبية الجنسية – على ما تقول الاعلانات – لما كان لمثل فاتن وماجدة ومريم ، اى مكان في هذا الميدان ، ولانطفأ نجمهن امام البريق الساطع للخليعات الفاتنات ..

وانما يقبل الشعب على الافلام الهزيلة ، لان دور السينما الرخيصة لاتقدم له عادة سواها . وقد استغل التجار هذه الطاقة المادية المحدودة لجمهرة الشعب ، فاغرقوا الاسواق بافلامهم البهلوانية الهابطة ، وهم واثقون انها سوف تلقى رواجا اجباريا ، وتفرض على جماهير المتفرج فرضا ، بحكم عرضها في الدور الرخيصة المنتشرة في صغار المدن وفي الاحياء الشعبية

وبعملية حسابية بسيطة ، يضمن التاجر بهذا الرواج الاجبارى كسبا فاحشا ، يجعله لايكترث بما يفوته من جوائز ماليه رصدتها « مؤسسة دعم السينما » للافلام الرفيعة المستوى ، ذلك لان دور العرض الرخيصة ، تستقبل الملايين ممن يعجزهم ماديا ان يدخلوا الدور الراقية التي تحرص على اختيار الفيلم النظيف .

وليس في الامر هنا اختيار ، فما على جماهير المتفرجين – من عامة الشعب – الا ان يتقبلوا مايعرض عليهم ، وفيهم ملايين من الاميين الكادحين ، لايملكون غير السينما الرخيصة وسيلة للتسلية والترفيه

والموضوع من هذه الناحية جد خطير ، ولكن ما اظنه يفوت المسئولين في حرصهم على نظافة الفن عندنا ، بل ما اظنه يفوت التجار انفسهم ، وهم يلمحون . بوادر من وعي الشعب ، تؤكد ان هذا العبث لايمكن ان يستمر الى غير مدى ، وانما الذى يعنيني ان الفت اليه اليوم ، هو جلال رسالة « الفيلم العربي » في وصل اقطار الشرق الكبير ، ومدى مايمكن ان يحققه من وحدة وجدانيه واتصال فكرى ومشاركة عاطفية ، حين تعز علينا الوحدة اللغوية التي هي سبيل التعارف واداة التفاهم .

وما ازعم ان هذا الملحظ قد فات كل المشتغلين بصناعة السينما عندنا ، ففيهم بلا شك ، من يحترمون كرامة مهنتهم ، يودون لو مارسوها فنا ورسالة ، ولكن للتجار الدخلاء اساليب خبيثة ماهرة في محاربة العنصر النظيف والترويج للبضاعة الفاسدة ، مما لايدع مجالا لمنافسة شريفه تكافأ فيها فرص الدعاية والاقناع ، في حماية نقد حر نزيه . وتلك مشكلة أرجو ان يكون لها حظ من اهتمام الذين يعنيهم سلامة هذا الجهاز الخطير من اجهزة التوجيه القومي والاتصال بين شعوب الشرق

واقل مانستطيع ان نفعله الان ، هو ان نتيح للجماهير من عامة الشعب ، مشاهدة الافلام الراقية النظيفة في حدود طاقتهم المالية ، وان نرصد اكبر جوائز السينما للافلام التي تصلح للسفارة بيننا وبين دول الشرق كله ، وتعرض قضايانا الكبرى على الضمير الانساني . فمن العجيب حقا ، وقد بلغت صناعة السينما عندنا مابلغت من ضخامة ، ان لم تنتجه حتى اليوم الى عرض جاد مثير لنكبة فلسطين ، ومأساة دنشواى ، ومحنة التفرقة العنصرية .. وكفاية علينا شهر عسل بصل ، وعفتى فتافيت سكر ، وعش الغرام ، وقبلني في الظلام ، وارحم حبى ، ولوعة الحب وحب من نار ! !

بنت الشاطئ تقول!



أخفيت اسمي الحقيقي احتراما لتقاليد الأسرة

عجبت للعقاد كيف يهاجم المرأة وأمه امرأة!

الفتاة التي وقفت في وجه التقاليد.. فدخلت المدرسة .. والتحقت بالجامعة طالبة واستاذة .. وكتبت في رسالتها للماجستير عن ((الحياة الانسانية عند ابي العلاء)) ونالت الدكتوراه بالتحقيق الرائع عن ((رسالة الغفران)) ، والهبت جذوة القارئين بفيض وافر من قصص القرية ، ودراساتها عن ((نساء النبي)) ، والوان من صنوف المراة وحياتها . هذه الفتاة هي ((عائشة عبد الرحمن)) ،وهي نفسها ((بنت الشاطئ)) وفي منزلها تم اللقاء الممتع مع الطالبات المغتربات .. ودار الحديث عذبا شهيا رائعا

الطالبة الفلسطينية « شهلاء نزال » وجهت السؤال الاول للدكتورة بنت الشاطئ :

● ما السر في تسميتك ببنت الشاطئ ؟

— السبب انني نشأت في بيئة ريفية محافظة . وكان والدي يعتبر تعليم الفتاة عيبا كبيرا . ورغم قيود العائلة واصلت دراستي .. لكنني اخفيت اسمي الحقيقي احتراما لتقاليد الاسرة . واخترت « بنت الشاطئ » بالذات لاننا كنا نقيم على شاطئ دمياط ، ومن هنا جاءت التسمية

● بما انك عضو في الاتحاد القومي . فبماذا تطالبين من اجل المراة ؟

— انني اطالب بادخال التعليم المهني مادة علمية اساسية تدرس في جميع مراحل تعليم البنات . واطالب بحماية الطفل الذي يعيش بعيدا عن أسرته لضمان مستواه . كما إطالب بمقاومة الاستعمار الفكري

● لماذا لاتوحد اللهجات العربية في جميع الدول العربية وبهذا يتيسر لنا التخاطب بلغة واحدة مفهومة ؟

— من الصعب ان يحدث ذلك ، فاختلاف اللهجات امر طبيعي تفرضه البيئة

● اي الكتب تساعد على تعلم اللغة العربية ؟

— ارقى درجات الفصحى هو القرآن الكريم

● وما رايك في مستوى التعليم في الجمهورية العربية المتحدة ؟

— يرتفع يوما بعد يوم . واعتقد ان يوما قريبا سياتي وقد وصل فيه مستوانا في التعليم الى مرحلة القمة . وعموما .. اعتقد ان المراة الشرقية متفوقة عن غيرها من نساء الدول الاجنبية . لاحظت ذلك عندما كنت في الخارج . فالمراة لا تعرف هناك سوى لغة بلدها ، ولا تفقه الا القليل من البلاد الاخرى . بينما المراة في الشرق تتقن عادة عدة لغات وتعرف الكثير من الغرب الى جانب حصيلتها من دراسة الشرق

الشعر الحديث

واتجه الحديث مع الدكتورة بنت الشاطئ وجهة اخرى سألتها الطالبة الفلسطينية « حفصة العنانى » :

● مارايك في الشعر الحديث ؟

— لا يخلو من نماذج طيبة تبشر بالتفاؤل . واحسن شاعر حديث في نظري هو الدكتور محمد كامل



الهام زكى



— حفصة العنانى



— شهلاء نزال

التاريخ: ٩ / ٧ / ١٩٦٠



في الصومال يتزوج الأمراء والأميرات من عامة الشعب

حسن وهو طبيب عظام . عندما اقرا شعره احس بكل كلمة يكتبها وانفعل بها . واحسن شاعرة من السيدات هي الشاعرة العراقية نازك الملائكة .. لشعرها ممتاز جدا

وحامت الاسئلة مرة اخرى حول المراة . سألتها الطالبة السورية « الهام زكي » قائلة :

● ما رايك في حجاب المراة في الوقت الحاضر ؟

ـ لا ارى في حجاب المراة ضرورة او مبررا ، خاصة وانها تطالب بحقوقها السياسية ، وتتعلم ، وتغزو المجتمع وكل الميادين . واعتقد ان الحجاب مقصود به ان تكون المراة غير متبرجة . وفي استطاعة كل امراة ان تكون انيقة في غير تزمت او تحرر . الاحتشام في الحدود المعقولة

● اذن ما رايك فيما كتبه العقاد عن المراة ؟

ـ رايي قلته للعقاد . قلت له كيف يكون هذا رايه في المراة ، وقد انزلته الى هذه الحياة امراة ! كان يجب على العقاد ان يستمد احترامه للمراة من احترامه للام التي انجبته !

وصمتت الدكتورة بنت الشاطيء ، كان واضحا انها تريد ان تستمع اكثر مما تتكلم . ودورها كأستاذة كان يراودها في ان تختبر افكار الطالبات اللاتي يلتففن حولها . فتهيء لهن فرصة الحديث .. وحرية التعبير . واستطاعت ان تصل بالحديث الى هدفها . قالت وهي تشير ـ طبعا ـ الى موضوع العقاد والمراة :

ـ دعونا من الخوض في هذا الموضوع . حدثني انت عن حياتكن

الصومال المكافح

عندئذ تلفتت احداهن الى زميلتهن الطالبة الصومالية « حواء يوسف » قائلة لها :

● حدثينا يا « حواء » عن الصومال وكفاحه ضد الاستعمار

قالت « حواء »

ـ تعداد الصومال حوالي مليوني نسمة ، بينهم ٣٠ الف عربي . والصومال اشترك في استعماره ثلاث دول كبرى هي فرنسا وبريطانيا وايطاليا . فهناك صومال فرنسي وصومال انجليزي وصومال ايطالي وقد بدا الاستعمار عام ١٨٨٣ عقب سلسلة من الحروب والالاعيب وخداع السلاطين المحليين . والصومال الايطالي سيسبق غيره في نيل الاستقلال وذلك لانه وضع تحت وصاية الامم المتحدة التي عهدت الى ايطاليا بادارته عشر سنوات . ومن ثم سيستقل الصومال الايطالي اولا

وكانت الدكتورة بنت الشاطيء قد عادت الى هدوئها الطبيعي .. موجهة السؤال الى حواء يوسف :

● ما هو دور المراة الصومالية في الحياة العامة ؟

ـ المراة عندنا اخذت حقها من الثقافة مثل الرجل تماما . ولكنها لا تشتغل بالوظائف العامة . بل تمارس الاعمال التي تلائم طبيعتها . فلدينا حكيمات ومدرسات وعاملات الفنون . وفي المصانع والشركات تساهم المراة بمجهود لا باس به في عمل الثياب

وعادت بنت الشاطيء الى توجيه سؤال اخر :

● هل عندكم فوارق بين الطبقات ؟

ـ الفارق الطبقي معدوم لدينا تماما . ونظام الحكم عندنا جمهوري وقريبا يتم الاتحاد بين الصومال الايطالي والصومال البريطاني ولتكون جمهورية صومالية كبرى . والدليل الاكيد على انعدام الفوارق الطبقية ان الامراء يتزوجون من بنات الشعب وكذلك الاميرات يتزوجن من ابناء الشعب . والحب هناك اساس للزواج . والحرية مكفولة للفتاة في اختيار الزوج كما هي مكفولة للفتى في اختيار زوجته . واسرتا الفتى والفتاة تتعاونان دائما في تاثيث عش الزوجية واهم ملامح الفتاة الصومالية انها عنيدة . فاذا رغبت في عمل شيء ، فانها تقوم به رغم انف الظروف والعوائق

عادات وعادات

وقبل ان تنتهي الزيارة الممتعة استطردت حواء يوسف قائلة :

ـ اما الفرق بين عادات المصريين وعادات الصوماليين فهو فرق طفيف . مثلا كل انواع الاطعمة موجودة عندنا كما في مصر . فقط نحن لا ناكل الارانب او الملوخية ، ولا نشرب لبن الجاموس !

وودعتنا الدكتورة بنت الشاطيء .. بينما تطلعت جميع الطالبات اليها وكأنهن يشكرنها بنظراتهن على هذه الزيارة الجميلة

صفية ناصف



ـ سهير القرباوي



فريال يوسف

حدود الله في ميراث الأنثى

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ



الى المطالبات بتعديل تشريع المواريث ، رجاء ان يقرأن هذه الكلمة ، قبل ان تقول احداهن ان الشرع قد ظلم المراة ..

من مظاهر حيوية المراة العربية الجديدة ، انهـا لا تكاد تفرغ من كسب حق لها جديد ، حتى تتجه على الفور الى معركة اخرى ، تناضل فيهـا كى تظفر بمزيد من حقوق مهدرة ، او تصحح وضعا جائرا ...

وهى لم تكد تطمئن الى اقتناع اولى الامر فينا بضرورة تعديل تشريع الاسرة، بما يضمن امنها واستقرارها ، ويحميها من عبث الاهواء وسوء الاستعمال للحق المباح ، حتى بدأت تسعى حثيثا الى تعديل نظام المواريث ، تحقيقا لمبدأ العدل والمساواة بين الجنسين ، واعترافا بما تحمل حواء اليوم من اعباء الحياة العامة ، الى جانب قيامها بدورها الاصيل : والدة واما ، تهب الوجود وتصنع الحياة ..

ومن حقها ، ان تطالب بتصحيح اى وضع تراه مجحفا بجنسها ، وان تسعى الى رفع اى ظلم تراه واقعا عليها ، فذاك ادنى ما ينتظر من كل مظلوم ذى حس ووعى وكرامة ..

ولكن السؤال هو : هل فى التشريع الاسلامى للمواريث ظلم للمراة ؟

ظاهر الامر ان الشرع لم يسو بين الجنسين فى الميراث ، فللذكر ، ابنا كان او اخا او زوجا ، مثل حظ الانثيين ، بنص قرآنى صريح ، لا يحتمل التأويل .

ولكن اكبر الخطأ ان نأخذ الامر على ظاهره ، فننظر الى تشريع المواريث من حيث ما أعطى الرجل ، دون ان نلتفت الى ما ألقى عليه من اعباء أعفى المراة منها كل الاعفاء ..

فالزوج فى الشريعة الاسلامية ، هو الذى يدفع الصداق للزوجة ، عاجله ومؤخره ، ولا يرد على هذا بأن فينا من تقبل الزواج بصداق أسمى قروش معدودات ، او انها تنفق الصداق كله ، وربما اضعافه معه ، على تأثيث بيت الزوجية ... ذلك لان الوضع الشرعى لا يلزم المراة بشىء من هذا ، وانما هو متروك لارادتها واختيارها ان شاءت امسكت المال فلم تنفق منه شيئا ، واذا ارادت انفقته كله فى اعداد جهازها الذى يعتبر ملكا خاصا لها ، على حين قرر الشرع ان يدفع الرجل صداق زوجته على وجه الالزام ، لا على سبيل التطوع والاختيار ..

والزوج كذلك ، هو الملزم شرعا بأن ينفق على زوجته طالما بقيت فى عصمته ، او فى فترة العدة .

ولا يقال هنا ان من الزوجات من تحمل عبء الانفاق على الزوج والاسرة ، ومن تشارك فى نفقات البيت بنصيب قل او كثر ، فالامر فى هذا ايضا متروك لاختيار المراة تقوم به على سبيل التطوع او الالزام الادبى ، وفرق بعيد جدا بين الالزام الشرعى او القانونى ، وبين الالزام الادبى او العرفى . وقد يختلف الزوجان ويصل الامر الى القضاء ، فيحكم على الزوج بنفقة زوجته ولو كان فقيرا معدما وكانت هى ذات مال .. ولها ان تستدين عليه فى النفقة ، ولها ان تطلب حبسه فيما تجمد لها من النفقة المحكوم عليه بها ، حتى ولو لم يملك قوت يومه ...

والزوج ملزم شرعا بأن ينفق على اولاده من زوجته ، وان يؤدى لها - بعد الطلاق - أجر حضانتها للصغير منهم وارضاعها لمن لم يبلغ سن الفطام . ولا يعفيه من هذا الالزام ان يكون معدما وهى ثرية ، بل ان لها اذا شاءت ان تمتنع عن حضانة اولاده منها وارضاعهم ، وعليه ان يلتمس مرضعا أخرى غير الام ، بمقتضى آية الطلاق : « اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن ، وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن ، فان ارضعن لكم فآتوهن اجورهن وائتمروا بينكم بمعروف ، وان تعاسرتم فسترضع له اخرى »

فهل يقال بعد ذلك ان الشرع قد ظلم الانثى حين قضى لها بنصف حظ الذكر من الميراث ، وقد الزمه بكل هاتيك الاعباء الثقال ، واعطى النصف للمراة خالصا من كل تبعة ، متحررا من كل قيد او الزام !

وحين تسعى الساعيات منا الى تعديل تشريع المواريث ، يفوتهن ما وراء هذا السعى - لو نجح - من تغيير فى الاوضاع . فالمساواة فى الحقوق ، تقتضى حتما المساواة فى الواجبات والاعباء ، واذ ذاك يكون من حق الزوج المعسر ان يطلب الحكم على زوجته بان تنفق عليه من مالها ، وله اذا شاء أن يطلب حبسها فى متجمد نفقته عليها اذا امتنعت عن الاداء !!

او على اهون وضع وابسط تقدير ، لن يكون للزوجة على زوجها من ذلك كله ما ليس له عليها ، اخذا بمبدأ العدالة ، وخضوعا لمقتضى المساواة ..

واياما كان راى المطالبات بتعديل نظام المواريث فيما يترتب على هذا التعديل من نتائج وآثار بعيدة المدى ، فانى أرجو على الاقل ، الا تقول احداهن ان تشريع المواريث قد ظلمنا بهذه التصفية المعفاة من كل تبعة ، وانما ظلمنا رجال احتالوا على الشرع وآثروا الذكور بكل ما لهم ، عن طريق البيع الصورى أوما اشبهه من فنون الاحتيال حتى لا تذهب البنت بميراثها من مال الابوين الى زوج غريب ، فتعدوا بذلك حدود الله « ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ! »

أفليس الاولى بنا ، ان نطالب بحماية الحق الشرعى للمراة فى الميراث ، ونطالب بوضع قيود تكفل صيانة هذا الحق من عبث العابثين وكيد المحتالين الظالمين !!

التاريخ: ٢٧ / ٧ / ١٩٦٠

فجر جديد في إفريقيا

من كانو ـ نيجيريا : حملتنا الطائرة من روما في ظلمة ليل،وانطلقت تشق بنا امواج الفضاء متجهة جنوبا بغرب، فما كاد القائد يعلن اننا بلغنا الساحل الافريقي حتى شعرت انني اقبل على وطن لى. وانتصف الليل وانا احاول عبثا ان انام ، فقد كان مجرد تفكيري في انني اوشك ازاري لاول مرة هذه المنطقة من قارتنا الكبرى ، تجربة جديدة مثيرة ، تطير النوم من عيني .

وقبيل الفجر ، بدأت الطائرة تهبط بنا الى مطار «كانو» في قلب نيجيريا ، فلما مست قدماى ارضها ، فاض بي الشوق والحماس، وانا املأ عيني من دنيانا هذه التي عزلنا عنها الاستعمار طويلا.

وودت لو انطلق ما وسعني الانطلاق،لاطوف بالمنطقة واصافح كل من القى بها من اهل لنا واخوة، ينتمون مثلى الى هذه القارة المريقة . لكن المطار ما لبث ان امتلأ بأفواج متتابعة

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ



جال القوات البلجيكية وقدحملوا امتعتهم وهم يغادرونليوبولد فيل بعد اناستقرت قوات الامم المتحدة فيها

من بيض الشمال، حتى لم يبق فيه مجال لحركة او موضع لقدم . ولم اكن فى حاجة الى ان اسأل من هؤلاء العابرين: من يكونون ومن اين جاءوا والى اين يذهبون ، فقد بدأ واضحا انهم فلول المستعمرين من البلجيكيين ، لفظتهم افريقيا فى صحوة الفجر ، فولوا الادبار عائدين الى بلادهم فى اقصى الشمال الافريقى ، الى غير رجعة ...

وكأنما انشقت الارض عن عدد من مراسلى الصحف الغربية ، عرفت من بينهم « مستر جون اوسمان » مراسل الديلى تلجراف » وسمعته يسألهم عن محنتهم وهل كان فى الامكان تفاديها لو تأخر استقلال الكونجو عشر سنين !! فأجابه منهم مجيب : كلا ! فمع يقظة المارد الافريقى ضاع كل امل للغرب هنا، إلا ان يكون خدعة سراب او ضلال وهم وغفلة !..

وسأل مراسل آخر ، عن مصير المعركه الناشبة فى الكونجو ، ومدى دلالتها على خطر الاستقلال قبل الأوان ، فجاءه الرد حاسما رهيبا : ان مصير هذه المعركة ، وكل معركة فى افريقية قد تقرر ، وانما يخدع الغرب نفسه ان ظن انه قادر على ان يرد المارد الى القمقم ، بالقوة او بالمكيدة والاحتيال !

واعجبا ! لقد طاب المرعى هنا طويلا لهؤلاء الدخلاء ، وعاشوا السنين الطوال يثبتون اقدامهم فى ارض القارة النائمة، وغرتهم الامانى فظنوا انهم لن يخرجوا منها ابدا . واضلهم السراب فمكثوا يلونون خريطتها بصبغات اجنبية شتى، يرمز كل لون منها الى دولة مستعمرة . وبلغت بهم الجراة ان تناسوا افريقيا القارة ، فنسبوا اقطارها الى دول منهم

فهذا كونجو بلجيكى وذاك صومال ايطالى او فرنسى وهذه غانا بريطانية وتلك جزائر فرنسية ، كما اطلقوا على المدن المستعمرة اسماء ملوكهم وملكاتهم ، وفى حسابهم ان هذا كله يكفى لتصير افريقيا لهم !

وفجأة ،على غير انتظار منهم، تململت القارة النائمة تحت وطأة البغى والعدوان وتحرك الافريقى المارد فحطم الاغلال والاصفاد ،وصاح بكل ايمانه ووعيه : هذه ارضى انا ،وارض آبائى وابنائى !

فزلزلت الارض زلزالها تحت اقدام اللصوص الغاصبين، وادركوا ان لم يعد لهم فوقها مكان ...

وعلى نور الفجر الوليد ،جلست ارقب موظفى مطار « كانو » من ابناء نيجيريا ، يؤدون الخدمات الجمركية لفلول البلجيكيين فى صمت وهدوء ،ويبصمون على جواز سفرهم بتأشيرة الخروج من افريقية ،ثم يتبعونهم بانظارهم وهم يولون الادبار فى ذعر يائس ،تطاردهم لعنة الانسانية

وعلى طول طريقنا الجوى ما بين كانو واكرا ،رأيت ابناء افريقية يسمون مع الصبح المشرق فوق ارضهم الطيبة ، المطهرة من دنس الدخلاء . ويكدحون ليزرعوها من جديد ،وعيونهم السمر تتالق ببريق الحب والحنان،ووجوههم السمراء تختلج بنشوة الظفر والانتصار ،وقطرات العرق تنحدر من جباههم العريضة الشامخة تشربها الارض الطيبة فى لهفة الظامىء المشتاق !.

هذه قارتنا !

افريقية المجيدة،بكل عراقتها واصالتها بكل جلالها ووقارها ...

تفتح قلبها لبنيها الاحرار الاصلاء . وتسلمهم كنوزها المذخورة بعد ان لفظت المستعمرين الغزاة ،فذهبوا جميعا مع الريح ،ما عرفوا قدرها ،ولا استطاعوا قط ان يغلبوا ارادتها او يكسروا صلابتها وعنادها او يذلوا كبرياءها واباءها ...

راحوا بعارهم وهزيمتهم وخيبتهم وبقيت حيث هى فى مكانها من الشرق الكبير ،لم تتزحزح خطوة نحو الغرب ، ولم تنتقل من موضعها العتيد ،الى سواحل خليج بسكاى او بحر المانش او بحر الشمال !.

وتماحت الصبغات الاجنبية التى لوثت خريطتها فى الصور الجغرافى،وكأنما كانت هذه الصبغات ظلالا عابرة ،خطها الوهم على صفحة من سراب ...

التاريخ: ٣٠ / ٧ / ١٩٦٠

٢ فجر جديد في إفريقيا

مع النساء الافريقيات



سيدتان من وفد غانا ، تعقدان بزيهما اللومى ، فى شموخ واعتداد



فى حفل افتتاح المؤتمر ، بعض الافريقيات من اعضـائه ، فى ازيائهن الوطنيـه

بقلم الدكتورة [illegible]

من اكرا ـ غانه : وصلنا اكرا فى اللحظة التى كان الرئيس كوامى نيكروما ، يفتتح فيها مؤتمر النساء الافريقيات . فاتجهنا من المطار رأسا الى قاعة الاحتفال ، وقد نسينا حاجتنا الى الراحة اثر سفر شاق طويل ، استغرق ستا وعشرين ساعة ، اسلمتنا فيها طائرة الى ثانية فثالثة ، قبل ان يستقر بنا هنا مقام

وجلسنا نصغى الى الرئيس نيكروما ، وهو يتحدث من الدور المجيد الذى قامت به نساء غانه فى معركة الاستقلال ، ثم التفت يحيى النساء الافريقية المجاهدات ، ويؤكد ان مصير الشرق المتحرر امانة فى ايديهن ..

وصافحنا مودعا ؛ فالتفت حوالى ، لاجد نفسى بين ثمانين سيدة ، يمثلن عشرة أقطار افريقية ؛ ومعهن عدد غير قليل من الامريكيات ذوات الاصل الافريقى . وقد حرصت أكثر الافريقيات على حضور المؤتمر بأزيائهن الوطنية ، كما حرص كل وفد على ان يتبادل الحديث بلغة بلاده الاصلية ، وهكذا بدا المؤتمر معرضا لازياء شتى والوان متعددة ، والسنة مختلفة ، لكنا رغم كل هذا شعرنا بالالفة من أول لقاء ، فقد كانت جاذبية الدم الشرقى الواحد الذى يجرى فى عروقنا جميعا ، تغلب كل اختلاف بيننا . كما



في حفل الاستقبال الذي اقامته السيدة فتحية نكروما لاعضاء المؤتمر

كانت وحدة مشاعرنا ، وعقلياتنا وامزجتنا ، تدني بعضنا من بعض ، وان لم يسبق لنا من قبل تعارف أو لقاء..

وذكرت مؤتمرات اخرى شهدتها في اوربا ، كانت أزياؤنا فيها متشابهة أو تكاد ، وكان مستوانا الفكري متقارب او شبه متقارب ، وكنا غالبا نتخاطب بلغة واحدة ، ونعالج موضوعا واحدا ، ولكنا مع ذلك جد مختلفين متباعدين نفسيا شرقي وغربي ، لو تساقط دماؤهما تزايلت حتى ما يمس دم دما ..

ولم يكن لمؤتمرنا هذا موضوع محدد على النحو المألوف في المؤتمرات ، ولكن سرعان ما اتجه بنا الحديث والحوار في تيار واحد ونحو هدف واحد : كان ماضينا المشترك – بعيده والقريب – نقطة البدء في الحديث ، ومنه انطلقنا نتذاكر همومنا طوال ليل الاستعمار المظلم ، ونستعيد ذكريات مشاهد أليمة ومآس فاجعة ، من جرائم المستعمرين ثم انتقلنا الى الفجر الجديد ، حيث راحت كل منا تصف انتفاضة اليقظة في بلدها . فاذا نحن جميعا سواء واذا المشهد يتكرر بكل فصوله ، في كل قطر افريقي : فحينما لاحت لبائر الفجر ، وثبت المرأة الافريقية من سباتها ، ومزقت حجاب الغفلة والجهل ، وحطمت اغلال التبلد والتعطل والاستكانة ، ووثبت ملء الوعي ، لتشارك في معركة البناء ...

وهزني أن أرى اخواتي الافريقيات ، يحمين تراث الاباء والجدود ، ويحرصن على صيانة تقاليد هذا الشرق العريق ، لئلا يجرفها تيار غربي . سمعت احداهن تقف لتعقب على حديث لمندوبة اليونسكو اقترحت فيه تشجير الحقول لتحمي الزراع من ضربة الشمس ، فتقول : لكن ابي علمنا أن الارض في حاجة الى الشمس !

واضافت افريقية اخرى : سمعت من جدي أن عدد الذين ماتوا بضربة الشمس في كل قارتنا ، لايكاد يذكر ، الى جانب من ماتوا بضربة الاستعمار وعسف الطغاة في قطر واحد من اقطارها ...

وفي اللجنة الثانية ، لم يكن لنا حديث الا عن خطر الغزو الفكري ، يتسلل – بوسيلة او بأخرى – الى عقول أبنائنا ووجدانهم ، فيفتنهم بسحر الغرب ، وربما زين لهم ان ينسلخوا من شرقيتهم ... وتداعى الحديث بيننا فتكشف لنا عن حاجة مشتركة : هي ان يكتب تاريخنا من جديد ، بعد ان امعن اعداؤنا في تشويهه وبتره ، وان تحمل كل منا دعوة المقاومة للاستعمار الثقافي والوجداني أينما كانت ، وتنبه الى خطر المؤسسات الاجنبية التي تقوم بيننا ، وتغرق اسواقنا ببضاعة فكرية معينة ، يراد بها السيطرة على عقلية ابنائنا وقلوبهم ... وتعاهدنا كذلك على حماية تراثنا وفنوننا وآدابنا ، وتشجيع كل ما هو شرقي منها اصيل ...

وهكذا عشنا معا ، نحن الافريقيات ، في ماضينا المشترك ومصيرنا الموحد .. عشنا اياما وليالي ليست كثيرة ، لكنها خصبة عامرة ، اكدت ما بيننا من تجاوب وتفاهم وتعاون ، وسجلت اصرارنا على ان نصون حرية وطننا ونحمل تبعاتها ، واعلنت تصميمنا على ان نزود شرقنا الكبير ببناة الغد الكريم الذي اشرق فجره ...

التاريخ : ٤ / ٨ / ١٩٦٠

٣ فجر جديد في إفريقيا

جرعة النسيان

... محال ان تقوم صداقة بيننا وبين جلادنا المستعمر ؟ ما لم يهتد الغرب الى اختراع « جرعة نسيان » يحقن بها جيلا كاملا من ابنائنا ، فتضيع ذاكرته ، ويتوه ماضيه وينبتر من جذوره بحيث لاتؤرقه ذكريات فواجع هيروشيما ودنشواى ، وفلسطين والجزائر وجنوب افريقية .. ولا تخايله اطياف الشهداء من صرعى البغى وضحايا الاستعمار !

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

من افريقية الغربية . كان لقاء لم اسع اليه ولم ادبر له ، وانما كنت واقفة عند مدخل جامعة اكرا ، فى انتظار سيارة تنقلنى الى مركز المدينة ، على بعد ثلاثة عشر ميلا . فمرت بى سيارة عابرة تقودها اخت افريقية ، لم تكد تلمحنى حتى اوقفت سيارتها على مقربة منى ، وتقدمت الى ، تسالنى : هل صدقت فراستها فى عروبتى ؟ فلما اجبت بالايجاب استطردت تقول فى ذكاء : ومن ريف مصر ؟ فعجبت لهذا التحديد، لكن عجبى زال حين اخبرتنى انها امريكية من اصل افريقى ، تعمل فى منظمة اليونسكو، وقد اقامت بالمرفية مايقرب من عام ...

واتفقنا على موعد للقاء ، جمعتنى فيه بعدد من زميلاتها ينتمين مثلها الى اصل افريقى ، لكنهن نشأن فى امريكا، فلما نظمت الامم المتحدة مؤسساتها الدولية ، اختارتهن مبعوثات لها فى افريقية ، بقدرة انهن ـ بلونهن الاسمر، ودمهن الشرقى ـ اقرب الى فهم الروح الافريقية، واقدر على الاندماج فى اهلها، واجدر باداء المهمة الموكولة اليهن ، فى دراسة الشعوب الافريقية ، واهدى الى سبل الاقناع ووسائل التاثير

وحدثننى طويلا عن الرسالة النبيلة التى يحملنها من امريكا الى افريقية : رسالة الصداقة بين الشرق والغرب ، وازالة ماخلف الاستعمار من ضغائن واحقاد .

وكنت اصغى اليهن ماخوذة بحماسهن، لكن حماسى لم يلبث ان فتر ، حين سمعتهن يغنين ـ تحية لى ـ نشيدا جئن به من امريكا الى قلب افريقية ، واستاذن فى نقل النشيد بنصه الانجليزى، لكى يؤدى معناه فى امانة ودقة :

You are my friend :
What is your's, is mine !
And what is mine, is your's

وصك النشيد سمعى ! الذى لك ، لى .. والذى املكه ، ملك لك ماذا عسى ـ بالك ـ هو ملك لنا مما تملكه امريكا ؟ وماذا عساها تريد منا ، غير كنوز ارضنا الطيبة والا اموالنا تتدفق الى خزائن اليهود وانصارهم

التاريخ: ٤ / ٨ / ١٩٦٠

هناك ، ثمنا لبضائع يغرقون بها أسواقنا !!

وملكت نفسي – بقدرة قادر – وقلت لمضيفاتي في هدوء: هذه اشتراكية عالمية لا اتصورها بعقليتي الشرقية كيف يمكن أن تتحقق معانيها لانزال نكافح لكي تحقق الاشتراكية في الوطن الواحد ، وبين أفراد الشعب الواحد .

فأجابتني احداهن في حرارة : بلى سوف تتحقق ، فامريكا تطلع بالصداقة الى شعوبنا ، وبين الاصدقاء ، لامجال لانانية الفردية او عصبية القومية .

قلت وانا لا ازال اتماسك : لكني مثلا لن انسى قوميتي العربية ابدا ، وهيهات ان ادعها تذوب في قومية مشتركة تجمع الشرق والغرب .

فما راعني الا انا جئن جميعا بصوت واحد : ان عشر سنين امضيناها نعمل في منظمة اليونسكو جعلتنا ننسى الى اي قومية ننتمي !! فالمجال الدولي الذي نشتغل في نطاقه ، محا الفروق بين مختلف القوميات ، واغرانا بالامل في تحقيق حلم الانسانية في الصداقة بين الشعوب

واذ ذاك لم املك نفسي ، بل اندفعت اقول منفعلة : ما اعجبها من صداقة تقدمها الينا – نحن الافريقيين او الاسيويين، دول تدين بالتفرقة العنصرية وتتفنن في اضطهاد الملونين ما اعجبها من صداقة ، بين دول تغلغل في دمها داء الاستعمار ، وبين شعوب طيبة كادحة مؤمنة ، بذلت دمها لتنجو من محنة الرق والاستعباد .

كلا ! ليس هذا اوان تحقيق الحلم الإنساني في صداقة الشعوب ، فهذا الجيل من ابناء الشرق ، قد شهد مأساة دنشواي ، وفاجعة هيروشيما ، ونكبة فلسطين ، ومعركة الجزائر والكونجو .. ومحنة جنوب افريقية .. هذا الجيل منا ، يستحيل ان يتصور او يعترف بامكان قيام صداقة بينه وبين جلاده .. ويجب أن تنتظر الانسانية امدا طويلا لا حد له ، حتى يأتي جيل من ابناء اسيا وافريقيا ، لا تؤرق منجعه رؤى المذابح والمشانق ، واطياف الشهداء واشباح الضحايا .. جيل يمكن ان يتخلص من ميراث تاريخه ، وذكريات ابائه واجداده . تلك التي تروى مآسي الفدائيين والابطال ، من صرعى البغي والعدوان !

ومما يشبه المستحيل .. ان ينشأ منا جيل كهذا ، في المستقبل القريب أو البعيد، فلقد حدثني أبي – مثلا – من دنشواي ، وانا نقلت الحديث الى ابنائي وسوف ينقلونه حتما الى الاحفاد على تتابع الاجيال ، تراثا راسخا في النفس والوجدان ، وفي العقيدة والضمير .. تراثا لن يمحى ولن يطوى او يضيع ، مالم يهتد الغرب المستعمر الى اختراع جرعة النسيان » يحقن بها جيلا كاملا من ابناء هذا الشرق الكبير الممتد من هيروشيما ونجازاكي في اقصى الشرق الاسيوى ، الى الجزائر وطنجة في اقصى المغرب الافريقي ، ومن فلسطين وبور سعيد على ساحل البحر المتوسط ، الى راس الرجاء الصالح على الساحل الجنوبي لافريقية !

جرعة نسيان ، تتيح للغرب ان يجد من ابنائنا او احفادنا ، جيلا جديدا ، ضاعت ذاكرته ، وتاه ماضيه ، وانبتر من جذوره ... اما نحن ، فبيننا وبين الغرب اسوار شاهقة من الضحايا والشهداء .. بيننا وبينهم ، مشانق دنشواي ، ومذابح الجزائر ، واشلاء هيروشيما ، وخيام اللاجئين من عرب فلسطين ، وذكريات معارك التحرير ، وفواجع المضطهدين من اخواننا في جنوب افريقية بل في صميم امريكا نفسها ..

ومن وراء هاتيك الاسوار الشاهقة ، لايمكن ان تعبر الينا رسالة صداقة بيننا وبين جلادينا ، الا ان تكون صداقة الذئب والحمل ، او الثعلب والديك ..

واسعدني ان استجابت لي اخواتي الافريقيات بكل قلوبهن وضمائرهن ، وهتفن في ايمان : بلى .. الحق معك !

واستطردت اقول مطمئنة : لكن فات الغرب المستعمر وهو يخادعنا بحيلة الصداقة بين الشعوب ، ويورد لنا نشيده الجديد ، ان الذئب قد شاخ ؛ وان الحمل قد شب عن الطوق فما عاد يطمئن الى جلاده !! وفاته كذلك – وما اكثر مايفوته – ان ذكاء الديك قد غلب مكر الثعلب ، حين تقدم اليه يلتمس مصافحته ويبشره باعلان منشور يقضي بالسلام والصداقة بين كل الوحوش والطير ، فاستمهله الديك لحظة ريثما طار الى شجرة هناك وقال للثعلب اني المح دبا آتيا من بعيد ، فانتظر حتى يأتي الينا ونحتفل جميعا بعهد الصداقة والسلام الجديد ..

هنالك انطلق الذئب يعدو هاربا ، وهو يعتذر الى الديك قائلا : لعل هذا الخبيث لم يسمع النداء !

وانفض المجلس ، لكن بعد ان رجوت صديقاتي ان يبعثن الى امريكا بهذه القصة ، ردا على نشيد الصداقة والسلام !

الاهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ: ٢٨ / ٨ / ١٩٦٠

الطريق الطويل



بقلم
الدكتورة بنت الشاطئ

من تيما ـ على ساحل الذهب : النهضة العمرانية فى هذه المنطقة من افريقيا ، قد تبهر السائح الغريب الذى يتصور ان للعمران حدودا تحصره فى البلاد الغربية ، فهو ياتى الى هذا البلد او ذاك من بلدان الشرق متخيلا انه سوف يتفرج على أناس بدائيين ، يركبون الجمال والافيال ، ويسكنون الكهوف والاكواخ ...

اما انا ـ الزائرة الشرقية ـ فلم تبهرنى مظاهر العمران هنا الا لمدى لحظات معدودات ، سرعان ما ادركت بعدها ، ان فجر الحرية مايكاد ينبثق فى اى قطر من اقطار شرقنا الكبير ، حتى يبدأ سباقه مع الزمن ، لكى يعوض فى سنوات قصار ، مافاته ابان ليل الاستعمار ..

ونحن فى الجمهورية العربية المتحدة قد مررنا بهذه التجربة : طال علينا الليل ونحن نعبىء كل قوانا لمعركة التحرير ، حتى اذا انتصرنا لم نهدأ لحظة ريثما نلتقط انفاسنا المجهدة ، وانما بدأنا على الفور ، نخوض معركة التعمير والبناء ، ونعبىء لها كل قوانا ، لكى نستدرك مافات وناخذ مكاننا الكريم فى عالم اليوم ..

ومن قبل ، مرت شعوب شرقيةاخرى بهذه التجربة ، وسيمر بها من بعدنا كل شعب يتحرر من اغلال الاستعمار ، فلاترك لغيرى من السائحين الاجانب الغرباء ، ان يصفوا مايروعهم هنا من مظاهرالعمران ، وان يسارعوا ـ كدابهم ـ الى التقاط صور للفنادق الفخمة والمساكن الانيقة والعمارات العصرية والميادين الحديثة كى يبهروا بهاعند عودتهم إلى بلادهم ، من لايزالون يتصورون اننا نركب البغال والافيال ، ونعيش عيشة بدائية كالتى عاشها انسان ماقبل التاريخ ...

شىء آخر وراء هذه المظاهر كلها هو الذى لفتنى واثار اهتمامى : ذلك هو مابلغته المراة من مكانة فى المجتمع الافريقى الجديد . فلقد بدأت رحلتى هذه الى افريقيا الغربية ، وفى ظنى ان المراة هنا تخطو خطوتها الاولى لكى تثبت وجودها ، وتفرض ذاتها على مجتمعها ، ولذلك عجبت حين وجدت بين زميلاتى فى مؤتمر النساء الافريقيات : القاضية ، والمحامية ، والاديبة ، والطبيبة ، والتاجرة ، والمدرسة ، وعضوالبرلمان ، والسياسية التى يحسب لها الف حساب !

وبدا لى مع ذاك ، أنها حالات فردية ليس من الصواب ان اتخذها مقياس الوضع الاجتماعى للمراة الافريقيةبوجه عام ، ومن اجل هذا حاولت أن اتحقق مما وراء هذا الستار اللامع ، فمضيت أتصل باخواتى الافريقيات عن قرب ، ولبيت كل دعوة تلقيتها لزيارة البيت الافريقى الصميم ، واختلطت بالافريقيات الاصيلات ، فى المدينة الجامعية ، وفى الحفلات الرسمية وغير الرسمية ، وفى المتاجر والاسواق ، قبل أن أستيقن من حقيقة الدور الذى يقمن به فى بناء الوطن .

وكان مما لفتنى ، ان ارى الرئيس نيكروما ـ فى احتفال سفارتنا فى اكرا بعيد الثورة ـ يصغى فى اهتمام بالغ الى حديث سيدة من اعضاء حزبه

C.P.P. وان التقينا بسيدة افريقية، تملك وتدير مصنعا من اكبر مصانع عصير الفاكهة فى غانا ، وان يحدثنى اعضاء الجالية العربية عن نفوذ المراة فى المجال السياسى والاقتصادى على السواء .

وحين سالت عن عمر هذه النهضة، اكدت لى مبعوثات الدول الافريقية ،ان المراة كانت هناك دائما ، وراء الاحداث الكبرى فى تاريخ القارة العريقة ، والى جانب كل بطل من ابطال الحركات القومية التى قهرت جبروت الاستعمار. ثم اشارت على « السيدة كيسلى ميفورد : احدى زعيمات النهضة النسوية » ان اقرا ماكتبه الرئيس نيكروما عن امه ، فى ترجمة حياته التى اهداها اليها ، عرفانا بجميلها وتقديرا لفضلها . فلم اكد افعل ، حتى راعنى انالدكتور كوامى نكروما لايمل الحديث عن تاثيرها العميق فى تكوين شخصيته وتوجيه حياته ، بحيث تبدو وقد استاثرت بالقسم الاول ـ والاهم ـ من اقسام الكتاب ، وسيطرت عليهالسيطرة الكاملة . ثم ظل طيفها يلازم ولدها الوحيد فيما تلا ذلك من مراحلحياته، وبقى اثر منها باقيا ، يذكرنا بها ابدا فى زحمة الاحداث التى تتابعت ، عنيفة ثائرة ..

وفى تيما ، على ساحل الذهب، جلست مع زميلات لى من اقطار افريقية عديدة ، نصل حاضرنا المرجو بماضينا الاغر، ونتحدث عما فرضعلينا الاستعمار فى عصور المحنة ، من واد معنوى .ثم رحنا نتسلى بمطالعة تقرير امريكى عن المراة الافريقية اليوم ، كتبته السيدتان « مارى شوللر واليزابث هويلر » فكانت اول فقرة التقطتها عيوننا تقول ماترجمته :

« انه من اجل الطريق الطويل الذى يمتدامام افريقيا ، لكى تنتقل منالبيئة الريفية وحياة الرعى ، وتنسجم مع فخامة الحياةالعصريةالمتحضرة ،تستطيع المراة فى افريقيا ـ وفى الشرق ـ ان تلتمس القوة علىالسير فى هذا الطريق الطويل ، من صداقة نساء امريكا ومعونتهن ، وانتهتدى بما تقدمه اليها منظماتهنومؤسساتهن ، من مثلونماذج، ومن تجارب وخبرات ! »

ياسلام ! اين كانت هذه النماذج والمثل ، حين كانت صانعات التاريخمنا يفرضن وجودهن على الدنيا ، قبلان تظهر امريكا فى خريطة العالم بقرون وادهار ؟..

واين كانت تلك الصداقة والمعونة ، عندما اله هذا الشرق ايزيس وعشتار، ومجد السيدة العذراء ، وتوج بلقيس وحتشبسوت والزباء وسميراميس وكليوباترة وشجرة الدر ؟

بل اين كان الغرب كله ، يوم كان هذا الشرقيحمل مشعلالمدنية ، ويبدا كتابة التاريخ وقصة الحضارة ؟

وبدا الطريق امامنا طويلا فعلا ، لنقنع امثال هؤلاء باننا نعرف طريقنا دون حاجة بنا الى استيراد مثلاجنبية او استعارة نماذج غربية ، فشرقيتنا هى سر اصالتنا ، وامجاد ماضينا هى المنارات الهادية على طول الطريق !

الأهرام
وزارة الثقافة والإرشاد القومي
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ: ٨ / ٩ / ١٩٦٠

لماذا لا تترك هذه اللجنة الأمريكية شئون إفريقيا للإفريقيين ؟

أهل افريقيا يعرفون طريقهم وهدفهم

فلتهتم اللجنة الموقرة بالاضطهاد العنصري في أمريكا

« افريقيا النساء » هو اسم لجنة علمت أخيرا انها احدى لجان « المعهد الافريقى الامريكى » فى نيويورك ولجنة افريقيا النساء (Women's Africa) يحزنها ان افريقيا لا تزال دنيا الرجل ، وهى لذلك قد وضعت برنامجا حافلا ، لتتمكن المرأة الافريقية — بارشاد صديقتها الامريكية ومعاونتها — من ممارسة نشاطها ونفوذها لتصل الى مراكز قيادية ، وتصبح افريقيا لها .

واسم اللجنة مثير ، والحلول التى تفترحها لتنفيذ برنامجها أشد اثارة ، وهى لا تتعرض للمسائل النسوية فحسب ، بل تتجاوزها كذلك الى مسائل اعم ومشكلات ادق ، كمشكلة تعدد اللغات أو اللهجات فى القطر الواحد تلك التى اعيت عبقرية المفكرين منا ، وحلتها لجنة افريقيا النساء ببساطة مذهلة .

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ



لم يكن فى نيتى ان اكتب فى هذا الموضوع الآن ، لولا ما قرأت من انباء الاضطهاد العنصرى فى امريكا ، فعجبت للمفارقة الشاذة ، وانكرت ان تهتم اللجنة بشئوننا نحن الافريقيات ، وبين جيرانها من هم احق بجهدها الطيب وخدماتها الثمينة »

وتبدأ القصة فى « كانو » حين مررت بها عائدة من اكرا ، والتمست كتابا

التاريخ: ٨ / ٩ / ١٩٦٠

اتسلى بمطالعته ، واقاوم بهملل السفر الطويل ربثما يستقر بى مقام .

ولفتنى كتاب بالانجليزية عنوانه «دور النساء فى افريقيا » فظننته يصلح زادا للطريق ، غير انى ما كدت اعبر صفحاته فى قراءة سريعة ، حتى علمت ان للافريقيات وانا منهن دورا لم يخطر لى قط على بال .. فليس ينقص المراة الافريقية ، لكى تكون القارة لها غدا ، بعد ان ظلت دنيا الرجل لمدى قرون وادهار ، الا ان تقرأ هذا الكتاب وأمثاله ، مما تنشره لجنة « افريقيا النساء » التابعة للمعهد الافريقى الامريكى فى نيويورك !!

ولشد ما تاثرت ، حين علمت ان على الساحل الغربى البعيد للمحيط الاطلسى ، معهدا يهتم بنا نحن الافريقيات كل هذا الاهتمام ، ويجند لجنة من لجانه ، يسميها « افريقيا النساء » لكى تضع زمام القارة العريقة فى ايدينا ، وتختار لنا مكاننا فى مجتمع الغد ، وتقودنا اليه فى تطوع وحماس !!

واقبلت على الكتاب ، اقرا ما فيه بوعى وتنبه ، ولم اعد ارى فيه مجرد مشغلة لفراغ سفر طويل ، يستغرق يوما وبعض يوم .

والكتاب اصلا ، يعتمد على تقرير لمؤتمر عقدته « لجنة افريقيا النساء » فى نيويورك ، فى شهر نوفمبر ١٩٥٩ ، لدراسة موضوع دور النساء فى افريقيا ، لكنه فى الواقع ، برنامج موجه هادف ، اكثر منه دراسة تقرير عن اعمال المؤتمر

وهو غير موجه الى الافريقيات مباشرة ، وانما الى السيدات الامريكيات فى افريقيا ، يتولين مهمة تنفيذه على وجه الالزام الادبى : زوجات كن ، او موظفات ، او مبعوثات ، او حتى سائحات (ص ٢٠) فعلى هؤلاء جميعا ، تلقى لجنة افريقيا النساء ، عبء المهمة الخطيرة . مهمة ارشادنا وتوجيهنا ومساعدتنا ، حتى نصل الى مراكز القيادة !

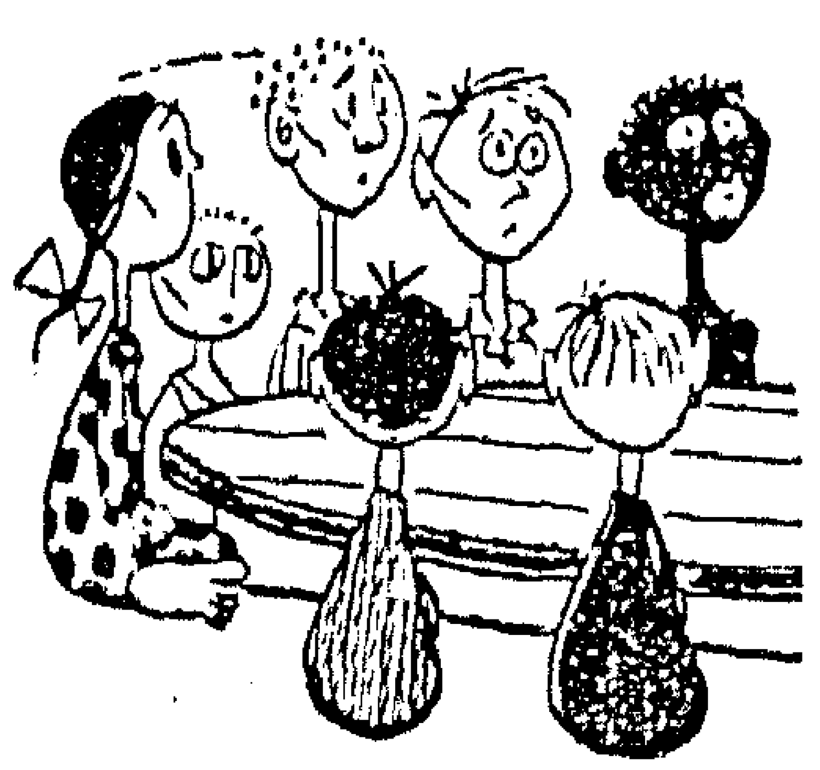
ثم ياتى بعد ذلك دور الافريقيات اللامعات ، ذوات المراكز القيادية فى مجتمعاتهن . واليهن تلتفت لجنة افريقيا النساء التفاتا خاصا ، وترسم الخطة الذكية ، لكى تضمهن اليها وتستفيد بهن فى تنفيذ برنامجها وتحقيق اهدافها ، اذ ترى اللجنة « ان منحات السفر الى امريكا ، التى تقدم الى الافريقيات اللامعات ، تضمن فائدة محققة ، حيث ثبت بالتجربة ، ان الافريقيات اللواتى زرن امريكا ، بدعوة من حكومتها او احدى المنظمات فيها ، اظهرن شعورهن بالامتنان الخالص والتقدير الصادق ، للفرصة التى اتيحت لهن ، مما لا يدع مجالا للارتياب فى جدوى التوسع من مثل هذه المنح والدعوات ، وتنظيم برنامج الضيافة الكريمة لمن يقبلن المنحة ويلبين الدعوة » ص ٢٠

اما مجال عمل اللجنة ، فهى لا تحصره فى المسائل النسوية الخالصة كما قد يتبادر الى الظن ، وانما يتجاوز اهتمامها نطاق حواء ، الى نطاق اوسع ، ومشكلات ادق واعم ، من مشكلات المجتمع الافريقى الجديد . فاللجنة تتعرض مثلا ، لمرحلة انتقال هذا المجتمع ، من بساطة الحياة الزراعية وفطريتها ، الى البيئة الصناعية المتحضرة المعقدة . وترى من اختصاصها ، ان تعالج ازمة التقاء جيلين فى البيئة الواحدة بل فى البيت الافريقى الواحد : جيل قديم محافظ ، وجيل عصرى متحرر كما تهتم بمشكلة الشاب الافريقى الجديد « حين يعود من الخارج فيفتقد بين بنات وطنه ، الزوجة « المورد » التى تصلح رفيقة له فى النوادى والمجتمعات ، وتستطيع القيام بدور « المضيفة » عندما يدعو الى

بينه ضبوفا من الزملاء او الاصدقاء »

س ٢

بل يمتد اهتمام اللجنة الى ابعد من ذلك بكثير ، حين ترى من واجبها — وهى تخطط لمستقبل المراة الافريقية — ان تتعرض لمشكلة تعدد اللغات او اللهجات الاقليمية فى البلد الافريقى الواحد ، وهى مشكلة اعرف انها اعيت عبقرية المفكرين منا ، حتى اجتمعت لجنة افريقيا النساء فى المعهد الافريقى الامريكى بنيويورك ، واهتدت الىّ حلها ببساطة مدهشة ، من حيث لا تحتسب ولا نتوقع!



اتدرى قومى ما هذا الحل الموفق السعيد ؟ لا شيء اكثر من ان نتخذ اللغة الانجليزية — مثلا ! — لغة رسمية وتعليمية ، فى كل الادارات والمدارس ، حيثما تعددت اللغات او اللهجات الاقليمية فى البلد الواحد ، فنكسب فائدة مزدوجة كما تقول اللجنة :العلاج الحاسم لمشكلة اختلاف اللهجات التى تحول دون تفاهم ابناء الوطن الواحد وتعاونهم ، والوسيلة المضمونة للانتفاع بالمواد التعليمية فى الغرب، التى تعتبرها اللجنة ضرورية لرقينا ونهضتنا !

واحتفاظا للجنة افريقيا النساء بحقها الاصيل فى هذا الحل العبقرى للمشكلة، اورد هنا نص الفقرة الخاصة به ، منقولا بأمانة ، من الصفحة الخامسة فى كتابها من دور النساء فى افريقيا :

(One great barrier to Communication, is the multiplicity of languages and dialects in each country. y'in an effort to overcome this great advantage, many countries had chosen English as the official language and the only (! !) foreign language to be taught in the schools. Obviously, a general understanding of a modern language is essential, if Africa is to make use of Western educational materials.)

واهتمام اللجنة بحل هذه المشكلة ، فى معالجتها لدور النساء فى افريقيا ، معناه انها تعتبره عنصرا جوهريا فى برنامجها الذى يوصلنا الى المركز القيادى فى المجتمع الافريقى الجديد . وهو أيضا صريح الدلالة ، على المسئولية التى تنيطها اللجنة بمن اختارتهن لتنفيذ هذا البرنامج !

ولست مع ذلك اريد أن اعطل نشاط اللجنة او اشل جهودها المبذولة للخير ، فلقد شاءت الظروف أن اقرأ ، اثر اطلاعى على برنامج اللجنة وأهدافها ، مانشرته الصحف اخيرا عن حادث الوزير الباكستانى فى امريكا ، حين تصدى له مدير احدى الحدائق العامة فى ولاية جورجيا ، ومنعه هو واسرته من دخولها قائلا : « انكم تشبهون الزنوج كثيرا . وانصحك انت وعائلتك بعدم دخول هذه الحديقة ، حرصا على سلامتكم !» . ثم قرات من انباء « فلوريدا » فى ١٤

التاريخ: ٨ / ٩ / ١٩٦٠

اغسطس الحالى اعتراف شاب ابيض ، بانه هاجم احد الزنوج اثناء نومه فى قطار ، وقيد يديه وكتم انفاسه بدون اى سبب ، ثم جلس بجانبه حتى تأكد من موته ، ثم قرأت من بعد اعتراف هذا القاتل « جيمس ليلاند ويب » نتيجة الاستفتاء الذى اجرى فى مدينة « تكساس » الامريكية ، من الاختلاط العنصرى فى المدارس ، وكانت نتيجته ان ٨٠ ٪ ممن سئلوا ، عارضوا السماح لابناء الامريكيين الملونين ، بالالتحاق بمدارس البيض !

ولا شك أن أعضاء اللجنة المحترمات، قد قرأن هذه الاخبار التى نشرت فى اسبوع واحد من اغسطس الحالى، وقرأن معها مالم تذعه وكالات الانباء ، من قصة الملونين. فهل لى ان أسأل اللجنة الكريمة ، ان تتفضل فتعفينا نحن الافريقيات من خدماتها الثمينة ، وان توجه جهدها المبذول لنا — عبثا — لخدمة اخوان لنا فى أمريكا ، يتعرضون لاضطهاد عنصرى بشع ، يؤرق كل ذى ضمير حى ، ويدمغ مدنية « الغرب » الحديث بوصمة العار؟

ان الجار فى شريعتنا اولى بالشفعة واجدر بالمعونة ، فلتهتم اللجنة الموقرة بجيرانها ، ولتدع افريقيا لاهلها ، فهم — كما قلت غير مرة — يعرفون طريقهم وهدفهم ، دون حاجة بهم الى استعارة نماذج أجنبية ، أو الاسترشاد بأدلاء غرباء !

التاريخ: ٢٥ / ٩ / ١٩٦٠

رأى حر

صراع القيم

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ



« ليس بالخبز وحده يحيا الانسان ! »

من فينا: رايت الناس هنا يتبعون نتائج السباق الاوليمبى المحتدم بين روسيا وامريكا بمثل الحماس الذى يتتبعون به انباء سباقهما العنيف فى مجال غزو الفضاء وقد خصصت « الكوريير » صفحتين يوميا للالعاب الاولمبية طوال الدورة ، كما حرصت فى الوقت نفسه على تسجيل خطوات رحلة الفضاء ، خطوة خطوة ، فى ابرز مكان. ومن المشاهد المالوفة هنا ، ان ترى الجموع محتشدة امام اجهزة التليفزيون بالمشارب العامة وقت العرض المرئى للسباق الاوليمبى وان ترى شرفات البيوت ونوافذها ؛ وبخاصة فى الضواحي الخلوية والمناطق الجبلية ، ممتلئة منذ التاسعة مساء بمن يتطلعون الى السماء مترقبين فى لهفة مرور القمر الصناعى..

وتسالهم اين مكانهم من هذا السباق الذى تتبارى فيه روسيا وامريكا ، فلا يخفون مرارة اسفهم لتخلفهم فى المجال العلمى ، ولا يكتمون شعورهم بالخيبة والاسى حين خرجوا من الاولمبياد وليس فى ايدى ابطالهم الرياضيين سوى (ميداليتين) بتيمتين ، لكنهم لا يلبثون ان يصرفوا الحديث عمدا الى نهضتهم الفنية ، فيباهوا باحدث دار للاوبرا افتتحوها فى هذا الموسم بمدينة سالزبورج بلد موتسارت — ويعتزوا بما لهم فى مجال الفن من اصالة وتفوق ، وكأنما يتعزون بهذا كله عما فاتهم من سبق فى المضمار الرياضى او العلمى ، دون ان يحاولوا التهوين من خطرهما .

وقل فيهم من يطيق ان تجادله فى قيمة الفن وجلاله ، او تقنعه باستحداث قيم جديدة تنزل بالفن من مكانته الكائنة لمكانة العلم مهما يحقق من انتصارات باهرة . وليس ذلك من غفلة او تعصب ، ولا هو من قبيل التبرير لتخلفهم فى غير المضمار الفنى ، ولكنه فيما ارجح ، ايمان عميق بقيمة الفن ، واصالة دلالته على انسانية الانسان. والا فلست اتصور ابدا ، ان تبلغ الغفلة باشد المتعصبين للفن ، ان يزعم ان اروع الاثار الفنية الخالدة ، يمكن ان تقوم بالحاجات المادية التى لا غنى عنها للجسم البشرى بما هو كائن حى ، ولكن وراء هذه الضرورات المادية ، حاجات اخرى لا يستغنى عنها الانسان بما هو انسان ومهمة الفن — والدين كذلك — ان يدبرها للبشر : فكل مخلوق حى ، انسانا كان او حيوانا او نباتا ، محتاج الى الغذاء والجو الملائم ، والحماية من الامراض والآفات . والطبيعة ذاتها تتولى تزويد الحيوان الاعجم بما يقوم مقام الكساء ، وتهيىء له وللنبات ايضا ، الظروف الملائمة لبقائه ، غير الانسان لا يعيش بالخبز وحده ولا يحيا بالضرورات المادية لا غير ، وانما يحتاج معها الى زاد لقلبه وروحه وضميره ووجدانه ، وكلما ارتقت انسانية الفرد ، زاد شعوره بالحاجة الى ذلك الغذاء المعنوى حتى ما يستطيع

الحياة بدونه ، ومن هنا يظل للفن مكانه فى عالم اليوم والغد ، اذ أن انتصار العقل البشرى فى غزواته الظافرة للكشف من اسرار المجهول، يزيد حتما من شعوره بذاته ، ويفسح لطموحه آفاقا جديدة رحبة . وهيهات ان يقنع مثل هذا الانسان الكريم المتفوق الطامح ، بما لا يستغنى عنه حيوان اعجم ، من طعام وشراب ومأوى !

ولا شيء يثير نشاط المجالس الادبية هنا ، مثل التعليق على ما تذيعه وكالات الانباء تبعا ، من اهتمام الدول المتفوقة علميا ورياضيا ، بالفنون والاداب ، وهذه ظاهرة تؤكد عندهم حاجة التفوق العلمى الى ازدهار فنى يسايره والى مجد معنوى يرضى كرامته وطموحه ففى الوقت الذى وقف فيه العالم الروسى « ليونيد سيدوف » يعلن فى المؤتمر الدولى للعلوم الفلكية باستوكهولم « ان ما فعلوه فى روسيا حتى الان قد يثير الاعجاب ، ولكنه لايعدو ان يكون بداية » فى هذا الوقت بالذات - اعنى الاسبوع الثانى من شهر اغسطس - كانت اكاديمية العلوم بموسكو تحتفل بمؤتمر المستشرقين فيها ، وتبذل لنجاحه اكبر جهد مستطاع .. ومنذ شهر انعقد مؤتمر دينى فى ميونخ ، مؤكدا عناية المانيا فى نضال البعث - بالجانب الروحى دون ان يشغلها عنه ضجيج معركة البناء لمجدها الصناعى ، او الكفاح فى السباق الاوليمبى ، وقد اذاعت - فى يوم واحد - نبأ احتفالها قريبا بأول قطار يسير بالعقل الالكترونى ، وبرنامج احتفالها القومى فى هذا الشهر ، بذكرى مرور مائة عام على وفاة الفيلسوف الالمانى آرثر شوبنهاور ..

وايطاليا ، لم تنس فى مشغلة الدورة الاوليمبية ، ان تنظم لزائريها برنامجا سياحيا لتشهده مباهجها وآثارها الفنية وقد اختارت عمدا ، لاقامة ضيوفها من رجال الصحافة والدعاية ، فندق « دوماس ماريا » بمدينة الفاتيكان ، رغم بعد المدينة من القرية الاوليمبية . ورضيت ان تتحمل مشقة نقل الضيوف الى الملاعب طوال الدورة ، فى سبيل اقامتهم فى احفل مناطق روما بالتراث الفنى والمجد الروحى ..

وامريكا التى اجهدها السبق بينها وبين روسيا فى الالعاب الاوليمبية والتى يؤرقها نضال المنافسة بينهما على السبق الى الفضاء ، تلح فى اظهار عنايتها بالفن ، وتسرف فى الاعلان عن اهتمامها به ، اسرافا يدعو الى كثير من التساؤل ، ومن التفسير والتاويل ..

وامام هذه المشاهد المثيرة لصراع القيم ، لا نرى الدول الكبرى تكتفى بالنضال فى ميدان واحد ، ولا نسمع ان ناصحا من اهلها ، ينصح لها أن توفر جهودها المبذولة فى المجال الرياضى او الفنى ، كى تتفرغ للسبق العلمى الذى هو فتنة العصر ، والذى يخلب الباب كثير منا ، فينادون بتعبئة كل قوانا للبحوث العلمية والتفرغ لمعركة التصنيع ، مهدرين مقومات وجودنا المعنوى وزاعمين ان الاشتغال بالادب والفن ، والاهتمام بالدراسات النظرية والتاريخية ، عبث لايجدى فى عصر غزو الفضاء

وانما العبث حقا ان نظل نشغل حتى اليوم، بمناظرات عقيمة يراد بها تحديد حاسم لموقفنا اما مع العلم واما مع الفن والحياة من حولنا تؤكد حاجتنا الجوهرية اليهما معا ، اذا كنا نشعر بكرامة انسانيتنا ، ونعى مسئوليات طموحنا واعباء وجودنا الحر ..

التاريخ: ١٣ / ١٠ / ١٩٦٠

الأزمة من جذورها

رواسب من أيام دنلوب



بقلم الدكتورة بنت الشاطئ

((... الى الذين يطالبون الدولة بان تفتح الجامعة لكل ناجح فى التوجيهية ويطالبون الجامعة بان تتحرى حاجة السوق وتضمن لطلابها سبيل الرزق ، وينسون ان الجامعة ما وجدت الا لتقاوم سياسة ((دنلوب)) المشئومة ، التى جعلت من دور التعليم ، مصانع آلية لتخريج موظفين !))

من جديد ، اعود فاكتب عن الازمة من جذورها ...

ازمة عشرات الالوف من الطلاب ، تقذف بهم المدرسة الثانوية كل عام ، الى متاهة الحيرة والضياع ...

وحين تناولت هذه الازمة ـ فى مثل هذا الموسم من عام مضى ـ ظننت انى قد استنفدت مجال القول فيها ، اذ تحدثت عن : الامتحان ، والتنسيق ، والمعلم ، والكتاب ، ولغة المدرسة ، باعتبارها جذورا اصيلة لهذه الازمة الموسمية التى يروع شبحها الرهيب كل اسرة ذات ولد فى سن التعليم .

ولكنى تنبهت فجأة ، امام الدورة الحالية للازمة ، الى جذر غائر لم التفت اليه من قبل ..

اما لانه من العمق وبعد الغور ، بحيث يخفى فلا يبين ..

واما لان تفكيرى لم يتجه اليه ،لقدم العهد به ، وزوال الظروف التعسة التى نبت فيها ذلك الجذر المشئوم .

واما لان ازدياد تعقد الازمة ، كان وحده كافيا لان يدعو الى جديد من التفكير فيها ، ومزيد من البحث عما لعله لا يزال خفيا من جذورها ..

وكان الظن أن تخف حدة الازمة ، بعد الجهود المضنية التى بذلتها الدولة وبذلها التلاميذ انفسهم ...

فوزارة التربية ، لم تهدأ لحظة طوال العام ، كى تدبر الوسائل لمواجهة الازمة .

شكونا لها المنهج ، والكتاب ،والمعلم، فأصغت الى الشكوى ، وبادرت الى تأليف لجان من المتخصصين ، تعالج المنهج ، وتختار الكتاب ، وتعد المعلم..

والتلاميذ ، بذلوا من جانبهم فوق طاقتهم ، فارتفعت النسبة العددية للنجاح ، وارتفع كذلك – رسميا – مستوى النجاح ...

ثم كانت النتيجة غير المتوقعة لذلك الجهد المبذول ، أن واجهتنا الازمة فى موسمها هذا ، بمقدرة لم تكن فى الحساب !

فالازمة فيما عودتنا، كانت تمر تاركة وراءها الوفا من ضعاف المستوى ، قصرت بهم درجاتهم الهابطة عن دخول الجامعة ، او مواصلة الدراسة فى المعاهد العليا .

ولكنها اليوم ، يوشك موسمها أن يمر ، وقد خلفت من ورائها الوفا آخرين ، نجحوا بتقدير جيد أو فوق الجيد ..

ونسأل اول ما نسأل ، عما فعلت الدولة لمواجهة هذه الازمة النافذة ، فنراها قد بذلت ما فوق الطاقة ، لتهيىء لناجحى التوجيهية – ذوى المجموعات العالية – فرصة الالتحاق بالجامعة او غيرها من المعاهد .

وقد شاهدت بعينى ، مدير جامعة عين شمس ، ووكيلها ، يطوفان لمدى ثلاث ساعات من نهار ، فى قاعات احدى الكليات وطرقاتها وابهائها وممراتها ، رجاء تدبير بضعة اماكن اكثر ، تنقذ عددا من الطلاب الواقفين بالباب ..

وما اشك ان مثل هذا حدث فى جامعات القاهرة والاسكندرية واسيوط ودمشق وحلب ..

وسمعت ان بعض المعاهد الزراعية ، قد اضطر الى مد الدراسة فى بعض ايام الاسبوع ، الى الساعة الثامنة مساء ، كى يواجه ضغط الطلاب المستجدين .. وشرع فى تزويد القسم الداخلى بأسرة مزدوجة –ذات طابقين– ليتسع لضعف من فيه من الطلبة الذين جاءوا من مناطق بعيدة ...

ورغم هذا كله ، بقى الوف والوف ، ممن اجتازوا امتحان القسم العلمى بالتوجيهية ، بدرجات جاوزت الستين فى المائة ، خارج الابواب ...

لا مكان لهم فى الجامعة وقد اوشكت ان تختنق ..

وليس لهم كذلك مكان فى المعاهد العليا ، وقد ضاقت بمن فيها فلم تعد تحتمل المزيد .

وأبواب العمل موصدة فى وجوههم ، اذ ليس من طبيعة المدرسة الثانوية بوضعها الحالى ، أن تعد طلابها للحياة العملية .

كل ما امامهم ، فرصة ضئيلة لبضع عشرات منهم فحسب ، ربما احتاجت اليهم دواوين الحكومة ، عن طريق ديوان الموظفين ، وينافسهم عليها منافسة غير متكافئة ، حملة التجارة الثانوية .

وربما كانت هناك فرصة اخرى ، لكنى لا أجرؤ على الكلام فيها ، كما جرؤ زميل كريم ، كتب يعلل هؤلاء الناجحين الضائعين ، بمواهب قد تكون كامنة فيهم لم تكشف عنها الايام ، ويذكر لهم ما عانى « شارلى شابلن » وهو يشق السفح الصخرى الى القمة !

وما أسهل أن تقال نصيحة كهذه ، لكن ما أمر وقعها على نفوس من يخبطون فى التيه ، دون ان يلمحوا اى شعاع يهديهم فى ظلمة الحيرة !

وكنا نقول بالامس ، ان الازمة أزمة هبوط فى مستوى الناجحين ، لكنا اليوم امام تقدير رسمى يعترف بأن من بين هؤلاء الحائرين ، ألوفا ليسوا من المستوى الهابط .

وكنا نقول كذلك ، ان الدولة قد تملك ان تفتح مجالا أمام هؤلاء الطلاب ، لكن الواقع يصرخ فينا : ان الجامعة والمعاهد العليا لم تعد تحتمل اى مزيد من الضغط الخانق ، وان ليس من المعقول أن تظل نعالج الازمة الموسمية على حساب طاقة الجامعات ، ومستوى الدراسة العليا .

وامام هذا الموقف المحير المعقد ، يكشف لنا جذر غائر من جذور الازمة !

انه ظل « دنلوب » لا يزال يلقى امواجه الكابية على بعض الاوضاع التعليمية عندنا ..

وقد مضى « دنلوب » ، ومضى العهد البغيض الذى أظل سياسته اللئيمة ، لكن رواسب منه بقيت تسيطر على عقلية نفر منا ، وتتحكم فى فهمهم لوظيفة الجامعة ورسالتها ، فلا يفقهون سببا لوجودها اذا لم تلب حاجة السوق وتخرج موظفين لمختلف الدوائر الحكومية وغير الحكومية !

وننسى أن الجامعة ما وجدت الا لتحارب سياسة « دنلوب » التى جعلت دور العلم مجرد مصانع آلية لتخريج موظفين حسب الحاجة ، وطبقا للمواصفات .

ننسى ان قادة الحركة القومية ورواد البحث ، بنوا الجامعة لتكون منار الوعى ومثابة العلم ورائدة النهضة ومصنع الرءوس والضمائر ، لا ليضيفوا الى مصانع دنلوب ، واحدا من صنفها !

وما اكثر ما نسمع ونقرأ ، من يطالب الجامعة بأن تتحرى « حاجة السوق » قبل ان تضع ميزانيتها او ترسم سياستها التعليمية !

ويشتط بعضهم فلا يرى اى جدوى للدراسات الادبية ، ما دامت لا تضمن وظائف لاصحابها !

ويسخر الساخرون حين يسمعون ان احدنا يقضى الاعوام من عمره فى الجامعة ، يحقق مع طلابه نصا أدبيا ، أو يعالج قضية فقهية ، أو يناقش موضوعا لغويا أو تاريخيا ...

كأننا بدع من البدع !

بدع لا تعرفه جامعات الدنيا ، ولو كلفوا خاطرهم فقرأوا دليل ابة جامعة عريقة منها ، لراعهم احتفالها بما يرونه منا مدعاة للسخرية ...

وفى ظل « دنلوب » هذا ، يمضى التيار مرحلة فى اثر مرحلة ، حاملا مئات الالوف من التلاميذ ، من المدرسة الابتدائية الى الاعدادية فالثانوية ، ثم يفرض على الجامعات والمعاهد العليا ، أن تفتح لهم الابواب ، وتضمن لهم بعد ذلك سبيل الرزق ، وتسلمهم مفتاح الوظيفة !

فان لم تفعل ـ وما كان لها أن تفعل ـ فقد فشلت وخانت ، وفقدت حقها فى الوجود ..

وما لم نتحرر من هذا الفهم الدنلوبى لمهمة الجامعة ، فان الازمة ستزداد على الايام حدة وتعقدا ...

ولنا ان نتصور مدى حدتها وتعقدها ، يوم تستكمل وزارة التربية برنامجها المرسوم ، لضمان مكان بالمدرسة الابتدائية لكل من بلغ سن التعليم ، وتثمر جهودها فى الارتفاع بمستواه ، فيتضخم المدد الذى يتنقل على المعابر فى الطريق الى الجامعة ...

التاريخ: ٣٠ / ١٠ / ١٩٦٠ م

التراب الذى يهدد أعز معاقلنا بالاختناق

دور الجامعة أن تعد الطالب .. للحياة

هو تراب الميرى ، يكشف عنه بحثنا عن جذور الازمة ، فنراه صاعدا من الاعماق ، يهدد اعز معاقلنا الفكرية والقومية ، بازمة اختنــــاق ...

ذلك لان الخلط بين الدرجة الجامعية وشهادة التوظف ، هــو المســئول الى حد كبير ، عن هذه المحنة التى نواجهها كل عام ، وسنظل نواجهها ما لم نتحــرر من هذا الفهم الدنلوبى لوظيفة الجامعة ورسالتها .

بقلم دكتوره بنت الشاطىء

وكنت حين كتبت عن « ظلال من ايام دنلوب » قدرت ان المقال لن يمر بسهولة على من لا يتصــورون للجامعة وجودا مستقلا عن حاجة الســوق ، منفصلا عن « المواصفات والارقام » المطلوبة لمختلف المهن والحرف .

وقــل منهم من يرســـل ولده الى المدرسة الابتدائية ، الا وهو يؤمل ان يصل يوما الى الجامعة ، ليتسلم منهـا مفتاح الوظيفة !

ومن الصعب ان نواجه النــاس بغير ما يعتقدون .

واصعب منــه ان نفجعهم فى امــل لا يطيقون ان يتخلوا عنه ..

واشد صــعوبة ، ان نقول لهم كلمة الحق ، اذا كانت امر من العلقم !

قــدرت هــذا كله ، فلم افاجأ بما تلقيت من رسائل ، تلطف اكثر مرسليها فاستكثروا ان اخلف ظنهم ، ورأوا انى زدت المسألة تعقيدا ، حين كشفت عن ذلك الجذر الدنلوبى ، ثم لم اقل لهم ماذا يفعل ابناؤهم بالجامعة ، اذا لم يضمنوا الوظيفة .

واقول بكل ايمان ، وبملء الصراحة والاصرار : ان الجامعة فيما انهم ليست الا قاعة بحث علمى ، وبيئة وعى واستنارة ، ورسالتها هى ان توصل منهج البحث ، وتهدى الى فقه المادة ، وتدرب على الدرس المنهجى الذى هو فى ذاته هدف وغاية .

وهى تعد الطالب للحياة لا للوظيفة!

.. واذا جاز ان تكون مصنعا ، فمحال ان تكون من صنف مصانع دنلوب، وانما هو مصنع رءوس وقلوب ، واخلاق وضمائر !

واذا جاز ان تسمى معهدا، فلن يكون معهد تدريب على حرفة ، يتحرى « مواصفات السوق » وانما هو معهد لتدريب عقلى وخلقى ، يعد للوطن اصحاب غده وقادة مستقبله ، ممن استنارت عقولهم ، وسلمت عقيدتهم ، وصحت ضمائرهم ، وتحرر فكرهم .

وبمقدار ما تحمى الجامعة من كرامة العقل والنفس ، وحرية الفكر والرأى، وايمان بالحق والخير والجمال ، يكون نجاحها فى رسالتها وتحقيقها لوجودها .

وتنتهى مهمة الجامعة عند هذا بالنسبة الى الطالب، لتبدأ مهمة الهيئات الاخرى فى تدريب من يصلح من الطلاب لمهنة ما.

فالمستشفيات لا كليات الطب هى مجال تدريب الاطباء .

والمؤسسات التجارية ، هى الميدان الطبيعى لتمرين من تخرجهم كليات التجارة ، متخصصين فى الدراسة التجارية ، لا تجارا محترفين او موظفين تجاريين .

والمصانع والورش ، لا قاعات الدرس فى الكليات العملية ، هى مكان الاعداد لاى نوع من الاحتراف ، حسب تخصص الطالب .

والمدارس ، ودور الكتب والصحافة والاذاعة ، لا مدرجات الجامعة ، هى المعاهد الاصيلة لاعداد المعلمين، وموظفى المكتبات ، والصحافيين ، والاذاعيين ، ممن دربتهم الجامعة على الدراسة المنهجية، وزودتهم بوعى الذات، وحرية العقل ، وصحة الفهم . وهدتهم الى فقه المادة لا الى سر الصنعة .

ومكاتب المحامين ، ودور المحاكم ، لا كليات الحقوق ، هى وحدها المختصة بتمرين من تخصصوا فى دراسة القانون.

وبغير هذا الفصل ، بين الجامعة ومعاهد التدريب المهنى ، ستزداد الازمة على مر السنين حدة وتعقدا ..

بغير هذا الفهم المحرر لمعنى الجامعية، والادراك الواعى لمهمة الجامعة ورسالتها، ستكثف « تراب الميرى » فيهدد اعز معاقلنا الفكرية والروحية بأزمة اختناق

فستظل الجامعة ، تستقبل الوفد بعد الوفد ، من طلاب الوظائف ، لا مطمح لهم الا التمرغ فى التراب الخانق ..

فالذين يلتحقون بكليات الزراعة ، كل همهم ان يخرجوا موظفين فى المصالح والهيئات الزراعية ..

والذين يلتحقون بكليات التجارة ، تتعلق آمالهم بوظيفة ما ، فى الدواوين او الشركات .

والالوف ممن يدرسون الحقوق ، يكدحون بعد التخرج ليظفروا بوظيفة ما ، ولا يلتحق منهم من يلتحق بمكاتب المحامين ، الا فرارا من سبة التعطل !

وهنا تكون الصدمة ويكون الفشل .

فالوظائف ، مهما تكثر ، لا يمكن ان تتسع لهذه الالوف المتلاحقة التى تخرج سنويا من الجامعة .

وصبى التاجر او المعلم، فى اى ميدان، يدرى من الاسرار العملية للمهنة ، ما لا يدريه حامل البكالوريوس او الليسانس:

وتتعالى الصيحات من كل جانب ، تلعن الجامعة وتسخر من مناهجها العلمية!

ويلقى عليها عبء المسئولية عن ازمة التعطل ، وعن تصور الجامعيين فى المجال العملى الذى يخرجون اليه مباشرة من قاعات الدرس !

اما اذا تحرر فهمنا للجامعية ، فلن يدخل الجامعة طالب وظيفة ، وانما يدخلها طالب بحث ، وتخصص فى المادة، ثم يكون التدريب المهنى بعد ذلك .

عندئذ نرى ابناءنا يخرجون من كليات التجارة ، فيؤثرون ان يشتغلوا عمالا بالمتاجر ، على وظيفة ديوانية تئد فيهم روح الكرامة والطموح ..

وسينطلق طلاب الزراعة الى الحقول، حيث يشتغلون مع آبائهم ، او عمالا فى الغيط ، عن الفلاحين الخبراء ..

وسنرى حامل ليسانس الحقوق ، لا يأنف ان يبدأ كاتبا صغيرا فى مكتب محام يتلقى عنه سر الصنعة ..

وستتسع آفاق الحياة والعمل امام من يتخرجون فى الجامعة عاما بعد عام ، وكل منهم يدرك ان هذا التخرج ليس ايذانا بأنه بلغ درجة من الوعى والرشد، يستطيع بها ان يشق طريقه فى الحياة مستقلا ، ويبدأ خطوته الاولى ، فى المعترك الكبير ...

الاهرام
وزارة الثقافة والارشاد القومي
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ: ١٧ / ١١ / ١٩٦٠

الازمة من جذورها
الى اين نمضى ؟

معركة الامية ، التى نعدها من اجل وانبل معاركنا الثورية ، توشك ان تنحرف عن طريقها السوى .

ونحن مع شديد الاسف ، نعين على هذا الانحراف دون ان ندرى ، حين نسمح لضعاف المستوى ان يواصلوا سيرهم المتعثر فى طريق التعليم ، لانهم لا يتصورون ابدا ان يشتغلوا فى الحقل او المصنع او المتجر ، او يتدربوا على حرفة من الحرف ، بعد ان فكوا الخط !

وكانما نحارب الامية ، لينشا جيل من ابنائنا يحتقر العمل اليدوى ، ويترفع على الحرف المهنية ، ويصر كل افراده على متابعة الدراسة ، حتى الذين يعوزهم الاستعداد لها والقدرة العقلية عليها !



بقلم الدكتورة
بنت الشاطئ

نحين تصدت الدولة لحرب الامية ، التزمت بتبعة خطيرة من تبعات الحرية والاستقلال ، وقد بدات منذ سنين ، تخوض هذه المعركة الجليلة مصممة على ان تضمن مكانا فى المدرسة الابتدائية لكل من بلغ سن السادسة .

وتبدو فداحة ذلك العبء ، فى ضوء الاحصاء العام الاخير ، الذى شهدت ارقامه بان عدد السكان فينا يزيد بمتوسط مليون فرد سنويا

واكثر هذا المليون ، ياتى بطبيعة الحال من زيادة المواليد

ومعنى هذا ، اننا لكى ننتصر فى المعركة ، يجب ان نعمل حسابنا لاستقبال نحو مليون طفل ، يصلون سنويا الى سن التعليم

والعدد قابل للزيادة ، بحكم الجهود الثورية المبذولة لرفع المستوى الاقتصادى والصحى لافراد الشعب .

ولن تستطيع الدولة بحال ما ، ان تتخلى من هذه التبعة مهما تكن فادحة ، ولن يشفع لها اذا هى قصرت فى القضاء على الامية ، ما يثقلها من تبعات اخرى وما تحمل من اعباء فى شتى الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، اذ يستحيل ان يثمر اى جهد اصلاحى ، فى شعب تتخبط اكثريته فى امية عمياء ..

والذين يتتبعون منا هذه المعركة ، يقدرون ما تبذله الدولة فيها من جهود مضنية ، ويشفقون عليها من ثقل العبء بهذا التضخم المطرد فى عدد السكان . لكن ما من واحد فينا ، يمكن ان يعذرها لو توقفت لحظة ريثما تلتقط انفاسها ، وهذه الاهمية القصوى لمعركة الامية ، هى التى تجعلنا نحرص كل الحرص على سلامة اتجاهها وتامين مصيرها ..

وفى بحثنا الذى طال ، عن جذور الازمة التعليمية التى نواجهها فى هذا الموسم من كل عام ، لم يخطر ببالنا قط ان لها صلة مباشرة بمعركة الامية النبيلة التى تخوضها الثورة ، حتى قرات منذ ايام خبرا صغيرا لفتنى الى هذه الصلة ، وكشف عن جذر غائر خفى من جذور الازمة الموسمية المعقدة التى تلفظ عشرات الالوف من المدرسة الثانوية ، الى متاهة الحيرة والضياع .

والخبر — كما نشرته الصحف — هو

التاريخ: ١٧ / ١١ / ١٩٦٠

اهتمام ادارة التعليم الابتدائى ، بتدبير مسالة اعادة القيد لنحو عشر الاف تلميذ ، انهوا المرحلة الابتدائية ، ولم يقبلوا فى المرحلة الاعدادية لضعف مستواهم .

ولو اخذ الامر على ظاهره ، لكان فى هذا الخبر ما يدعو الى الغبطة والتقدير لما يشهد به من اهتمام بمستقبل هؤلاء الالوف من ابنائنا

ولكنه – بشىء من التأمل والتروى – يكشف عن عدم التنبه الى انحراف خطير فى سير معركتنا ضد الامية !

وموضع الخطر فيه ، ان كل الذين يدخلون المدرسة الابتدائية ، يصممون على مواصلة السير حتى الجامعة او المعهد العالى ، مهما تقصر بهم طاقتهم الذهنية عن السير فى الطريق الطويل .

اى ان هذه الملايين ، التى نكافح لضمان حقها المقرر فى التعليم الابتدائى لايتصور اى واحد منهم ان يقف عند المرحلة التى توصله اليها طاقته العقلية، ليتجه الى التدرب على حرفة من الحرف .

ومن هنا يبدا التعثر ، ويبدا الانحراف :

فضعاف المستوى ممن انهوا المرحلة الابتدائية ، يصرخون فى طلب الدخول الى المدرسة الاعدادية ، ويستجيب المسئولون لصراخهم ، فيحشرونهم فى الفصول الاعدادية حتى اذا اختنقت بهم، اتجه الباقون الى المدارس الخاصة والحرة ، التى تعلن فى الصحف انها « تقبل التلاميذ من اى سن ، وباى مجموع من الدرجات »

والذى يحدث فى هذه المرحلة ، يحدث مثله فى الانتقال الى المرحلة الثانوية . حيث تقبل – تحت الضغط – ضعاف المستوى ، ونيهم من يستنفد مرات الرسوب – مع اباحة النقل بمادتين واسبتين – فيعاد قيده، ليدرس فى ثلاث سنوات ، ما يدرسه ذو الذكاء المتوسط فى سنة واحدة ! . .

وآباؤهم من ورائهم يكافحون الكفاح المضنى، ليدبروا لهم مصروفات المدارس الخاصة والحرة ، او رسوم اعادة القيد بعد استنفاد مرة الرسوب ! . .

واسألوا المدارس الحرة، كم فيها من ابناء الفقراء الكادحين الذين لا يكادون يجدون قوت يومهم ، ويتحملون مع ذلك عبء المصروفات ، لان ضعف مستواهم حال دون التحاقهم بالمدارس الحكومية

واسألوا المدارس الثانوية ، كم فيها من اعيد قيده ، بعد ان استنفد كل مرات الرسوب !

ومعنى هذا بصراحة ، ان كفاحنا فى معركة الامية ، يتجه بكل هاتيك الملايين المتابعة ، الى المرحلة الثانوية فالعليا، بصرف النظر عن طاقتهم ومستواهم

التاريخ: ١٧ / ١١ / ١٩٦٠

وكل هؤلاء ، يطمحون الى « وظيفة الميرى » التى تنال بصك الشهادة الدراسية طبقا للتسعيرة المقررة !

وما من واحد ، يرضى ان يكف عن مواصلة الدراسة بعد طول التعثر ، ليبدا كفاحا فى ميدان اخر ..

ما من واحد ، يتصور انه بعد ان فك الخط ، يشتغل صبى معلم ،ليتمرن على حرفة من الحرف !

وهكذا تنحرف معركة الامية عن طريقها السوى ، فلا يفهم منها ان التعليم الابتدائى ضرورى لكل مواطن ، بل يصير هذا التعليم مدعاة الى احتقار المهن العملية والانصراف عنها !

وانها لماساة فادحة ، ان تصير شهادة اتمام الدراسة الابتدائية مجرد مؤهل لمتابعة مراحل التعليم بعدها ، لمن لا يقوون على السير ولا يطيقونه .

فهل لمثل هذا نحارب الامية ؟

هل نحاربها ليحتقر ابن الفلاح مهنة الزراعة بعد أن فك الخط ... ويترفع ابناء السواحل عن مهنة الصيد ،ويزدرى ابناء الصناع والتجار حرف آبائهم ، لمجرد انهم نالوا « الشهادة الابتدائية »؟

ونعجب لتعقد الازمة ..

ونجهل اننا ننحرف باخطر معاركنا الثورية ، حين نستجيب لضغط المتخلفين ومن استنفدوا مرات الرسوب مرحلة بعد مرحلة ، بدلا من ان ندبر حلا لازمتهم ، من غير هذا الطريق ..

وانما رجونا بمحاربة الامية ، ان يغدو كل مواطن متعلما ، ولو كان فلاحا فى الغيط او صبيا فى متجر او مصنع ؛

وهذه معركة اخرى يجب ان نخوضها بشجاعة ، لكى يصح فهم الشعب لمغزى التعلم ، ويؤمن بانه فى ذاته غاية وضرورة وحق ، وليس مجرد وسيلة لشهادة توظف تنال بالعافية ، ويغرى بها من ليس لديهم الاستعداد لمواصلة الدراسة بدلا من ان يتجهوا الى ميادين التدريب العملى ، فى الحقول والورش والمتاجر

والا فالى اين نمضى ؟

الى اين نمضى بهذه الملايين التى تدخل المدرسة الابتدائية ، ثم لا تتصور على الاطلاق ــ ان يكون منها العامل المتعلم ، والصانع الواعى ، والفلاح المستنير ؟

التاريخ: ٣ / ١٢ /١٩٦٠

مصر

الأزمة من جذورها

قبل أن يفوت الأوان ..!

نحن في حاجة ..

الى ثورة تغير نظام التعليم من أساسه !

لم يغب عنى، وأنا ألفت الى ظاهرة انحراف فى معركة الأمية، أن صراحتى موجعة وقاسية.. لكن الذى لم يخطر لى على بال ، أن يسىء قارىء فهم ما كتبت، فيزعم أننى أدعو الى حرمان ضعاف المستوى ، حقهم فى الطموح الى حياة أفضل ..

بقلم الدكتورة بنت الشاطئ



ذلك لان الثورة ، بالغائها مثنوية التعليم ، وجعلها مجموع الدرجات هو المقياس الوحيد للقبول فى مختلف مراحل التعليم ، قد فتحت مجال التطلع امام كل مجتهد ، وقررت مبدأ تكافؤ الفرص امام ابناء الشعب على السواء لا فرق بين غنى وفقير ..

وانما الذى يجوز ان يقال ، بعد ان انكرت السماح لضعاف المستوى بالسير المتعثر فى طريق التعليم مرحلة بعد مرحلة : ماذا يفعل هؤلاء الضعاف ، اذا اوصدت ابواب المدارس فى وجوههم ، وهم فى منتصف الطريق ؟

ذلك لاننا جميعا نعرف ، ان المدرسة الاعدادية او الثانوية ، لا تعد التلميذ لاى عمل ، ولا تزوده باى استعداد ليتجه وجهة أخرى ، اذا هو لم يستطع اتمام التعليم ..

بل لماذا لا نعترف بأن المدرسة ، تباعد بين التلميذ والحياة العملية ، حين تحجزه سنوات - قلت او كثرت - بين جدرانها ، وتكتفى بأن تعلمه الحياة

التاريخ: ٣ / ١٢ / ١٩٦٠



فى الكتاب المدرسى !

وهذا ، بدوره ، يكشف لنا عن جذر خطير غائر ، من جذور الازمة التعليميه التى نواجهها فى كل عام ، وسنظل نواجهها – مع مزيد حدة وتعقد – ما لم نغير نظام التعليم من اساسه !

وزارة التربية المركزيه، قد حرصت منذ وجدت ، على تعديل مناهج التعليم بما يلائم روح الثورة ، فالفت لجانا من ذوى الاختصاص ، عكفوا ولا يزالون عاكفين ، على بحث المناهج الدراسية لمختلف المواد ، وفى كل المراحل .

واعرف بحكم عضويتى فى اللجنة العليا للغة العربية ، أن الوزارة رسمت لنا أهدافا عامة مشتركة ، لابد من التزامها وتقريرها .

ومن اهم هذه الاهداف : « ان يحترم التلميذ العمل اليدوى ، ويشعر بقيمته ، ولا يتعالى عن ممارسة الحرف والصناعات مهما يكن شأنها. »

ومهما يختلف اختصاص اللجان ، وتتغير طبيعة التعليم فى مدرسة عن أخرى ، فمن المفروض حتما ، ان ينص على هذا المبدأ الطيب فى كل فرع من فروع المواد الدراسية ، ولكل صف من صفوف المدرسة ، وأن يراعى بدقة فى « المواصفات » التى توضع لاى كتاب مدرسى ...

وبقى ان نسأل : هل هذا يكفى ؟

وهل نتصور ان التلميذ سيحترم مهنة النجارة او الحدادة او الصيد او الزراعة ، لمجرد انه يقرأ فى كتابه المدرسى ، فصولا منمقة ، تمجد هذه الحرف ، وتشيد بفضل اصحابها ؟!

الواقع يصرخ من حولنا : كلا ...

واسألوا التلاميذ : من منهم يرضى – اذا تعثر فى دراسته – ان يخرج ليشتغل نجارا او صيادا او زارعا ؟

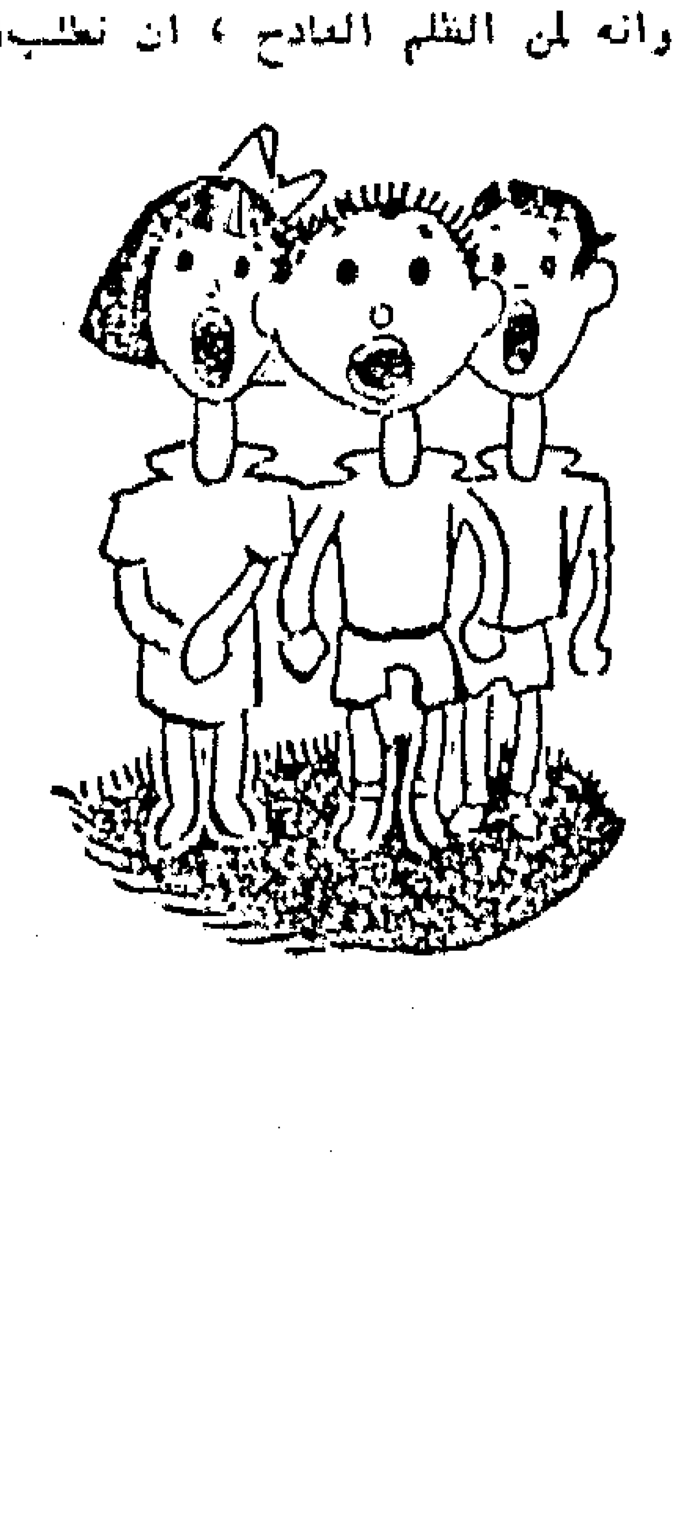
والتمسوا الاحصاءات ، لتعرفوا كم ممن تعلموا فى المدارس التجارية او الزراعية ، يؤثر احتراف التجارة او الزراعة ، على ابسط وظيفة كتابية ؟!

واذا كانت اقصى امانى المتخرجين فى المدارس المهنية، ان يشتغلوا موظفين، فكيف بالله ننتظر ان تعلم فى المدارس غير المهنية ، « ان يمارس حرفة من الحرف مهما يكن شأنها ! »

اقولها بصراحة: ان التوجيه المنهجى، وملء الكتب المدرسية بتمجيد الحرف والصناعات ، لن يجدى شيئا ذا بال، بل اخشى انه سيظل جهدا ضائعا ، ما لم نلتمس وسيلة اخرى ، لتحقيق هذا الهدف الكريم من اهداف التعليم فى عهد الثورة .

ونقطة البدء فى العلاج ، ان نعترف بالامر الواقع الذى يشهد بأن المدرسة بنظامها الحالى – تعزل التلميذ عن الحياة العاملة ، وتفقده الصلاحية لها، حين تحصره بين جدرانها ؛ فتمضى به الاعوام ، وهو لا يعرف الحياة إلا مقعدا فى المدرسة ، وكتابا يتعلم فيه ،وواجبا مدرسيا يؤديه فى البيت ، ورحلات ترفيهية او تثقيفية الى هنا وهناك ..

وانه لمن الظلم الفادح ، ان نطلب الى



من هذا التلميذ، بعد سنوات من الترف النفسي والنشاط الذهني، أن يمسك الفأس، أو يصطاد السمك، أو يبدأ – حتى الكبر – تدريبا مهنيا !!

ذلك لأن كل يوم امضاه في المدرسة، نظيفا انيقا، قارئا كاتبا، قد باعد بينه وبين الحياة العاملة الكادحة ..

فحياة المدرسة، بالنسبة الى الملايين من ابناء الشعب، حياة ناعمة مرفهة، وهيهات بعدها، أن يصلحوا لعمل شاق او يطيقوه ..

ووزارة التربية اليوم، مرجوة لأن تحدث ثورة تغير نظام التعليم، من الجذر والاساس ..

فليس يعوزها الرجال المتخصصون الكفاة ...

ولا تعوزها، كذلك، ارادة الاصلاح والخير، والجرأة الثورية على تغيير اوضاع تعليمية قائمة ..

وانما الذى يعوزها، هو ان تقتنع بان هذه الاوضاع يجب أن تتغير، وأن أسلوب التعليم لا يجوز أن يمضي هكذا، مبتعدا بأبناء جيل الثورة، عن الواقع وعن الحياة ...

ويوم تقتنع بهذا، لن يشق عليها ان تستحدث نظاما مزدوجا، يسير فيه التعليم المدرسي – في كل مراحله وعلى اختلاف أنواعه – جنبا الى جنب، مع التدريب المهني الجاد ...

ولست أقصد بهذا التدريب، ان نجهز كل مدرسة بقاعة تدريب، او نمرنهم في حديقة المدرسة على فلاحة البساتين وتربية الدواجن، فقد جربنا مثل هذا وبلوناه، على سبيل الهواية وسد (الخانة) المعروفة بالنشاط المدرسي ...

وانما الذى نعنيه، ان يكون التدريب الزاميا، على نطاق واسع، خارج المدرسة .

فتلاميذ المناطق الصناعية، مثل المحلة الكبرى، وكفر الدوار، وشبرا الخيمة، واسوان، وكفر الزيات، يفرض عليهم أن يمضوا فترة تدريب عملي، على التلمذة الصناعية، بمصانع الغزل والنسيج والصابون، والزيوت..

وتلاميذ المناطق الساحلية، مثل دمياط ورشيد وبورسعيد والبرلس والاسكندرية والسويس، يفرض عليهم التدريب العملي على الملاحة، وصيد السمك، والصناعات البحرية !

وتلاميذ الريف، جميعا بلا استثناء، يجب أن يخرجوا للعمل في الحقول ...

وتلاميذ العواصم، يفرض على كل واحد منهم، أن يمضي فترة تدريب، في متجر او مطبعة او مستشفى، او غيرها من دور العمل، حسب ميولهم واستعدادهم .



ولن نحتاج الى اموال باهظة لانشاء مراكز تدريب، وتعيين معلمين من ذوى الخبرة المهنية، بل كل الذى نحتاج اليه: ارادة وتصميم، وتنظيم واشراف

ارادة تؤمن بحاجتنا الى انقلاب ثوري في نظام التعليم ...

وتصميم على أن يمارس ابناؤنا عملية الحياة، ويتدربوا على مشقة العمل منذ الصغر ...

وتنظيم، يحدد للتلميذ فترة تدريبه، ويختار له مكان التدريب، تبعا لميله واستعداده .

واشراف يجعل من هذا التدريب، عملية جادة، ويضمن حمايتها من ان تصير مضيعة وقت وعبث فراغ .

وبهذا وحده، نلقن أبناءنا حب العمل، ونصلهم بالحياة ...

وبه نستطيع أن نقول لغير القادرين منهم على المضي في الدراسة، ان يكتفوا بالمرحلة التي تنتهي عندها طاقتهم، دون ان يسألونا : الى اين !

ان الوقت لا يزال معنا، والزمام لا يزال في ايدينا، ولابد ان نفعل شيئا قبل ان تضيع الفرصة، ويفلت الزمام، ويفوت الاوان ...

التاريخ: ٩ / ١٢ / ١٩٦٠

في الكتب مستقبل اللغة العربية المشتركة

ليس من اختصاص هذا الباب أن يقدم الكتب الجديدة على الطريقة المألوفة من العرض والتقويم او الاخبار والاعلان، وانما يتجه الى متابعة المطبعة العربية ، ليناقش فى الجديد مما تخرجه ، مسألة تعرض لها المؤلف ، او فكرة أثارها ، او رأيا جاء به .

والغرض من هذا ، تركيز الاهتمام فى نقط بعينها نراها جديرة باللفت والمناقشة ، لما تكشف عنه من اتجاه فى الفكر العربى ، او لما تستحدثه من قيم جديدة لادبنا .

قضية الوحدة اللغوية ، هى مدار البحث الجاد الذى عالجه « الاستاذ الدكتور ابراهيم انيس » فى كتابه الجديد : « مستقبل اللغة العربية المشتركة »

وهذه الوحدة اللغوية امل كبير تعترضه صعوبات جمة ، يذكر الاستاذ الدكتور منها « صعوبات من ناحية الاختلاف فى الاداء والنطق ، ومن حيث المصطلحات والدلالات ، ومن حيث الاساليب التى تأثرت باللهجات المحلية

او بلغات اجنبية كالانجليزية فى مصر والعراق ، والفرنسية فى الشام وبلاد المغرب، وغير ذلك من مشكل اذا استطعنا التغلب عليها ، ظفرنا فى آخر الشوط بتلك اللغة العربية المشتركة تنتظم جميع الامم العربية » ـ ص ٤٢

ويرى السيد الدكتور ، انه « لكى تتحقق تلك الوحدة اللغوية ، يجب على كل الامم العربية ان يؤمنوا ايمانا قويا بفائدة ونفع ذلك الاتجاه ، بالنسبة لمستقبلهم السياسى والاقتصادى والاجتماعى . وان تجتمع كلمتهم على العمل لنجاح ذلك . ولا يمكن ان يتم هذا الا بأن يسلموا القياد لهيئة موجهة كالجامعة العربية مثلا ، لترسم الخطة وتحدد المعالم ، وعلينا جميعا الخضوع لتعليماتها وما تقترحه علينا » ـ ص ٥٦

وقد ترك الدكتور انيس للزمن مهمة الفصل بين من يرون ـ لتوحيد اللغة ـ اعادة الفصحى الى عزها القديم واحياء تراثها الاصيل ، وتعبئة القوى لنشرها عن طريق التعليم والاذاعة ومختلف وسائل النشر الاخرى ، حتى تسترد الفصحى سلطانها وتنتصر على اللهجات المحلية .

وبين من يذهبون الى اختيار اللهجة المصرية ، فى اسلوبها المهذب الذى يستعمله المثقفون لتكون لغة حديثة مشتركة بين الامم العربية

▲▲▲

وكنت ارجو لو ترك سيادته للزمن كذلك ، مهمة حل هذه المشكلة التى عقدتها ظروف طارئة شاذة ، لا اشك فى ان الزمن لن يسمح ببقائها

فليست عقدة الموقف ، فى وجود لهجات محلية ، تقضى بها حاجة الحياة اليومية ، فلكل لغة حية فى عصرنا لهجاتها المحلية التى تختلف باختلاف الاقاليم . والعربية نفسها ، قد كان فيها ، ايام عزها واصالتها ، لهجات



بنت الشاطىء



الدكتور ابراهيم انيس

محاباة للقبائل ، لم تمنع ما ينسبه الوحدة اللغوية ، فى المجال الادبى ؛ ولم تحل دون نزول القرآن الكريم بلغة فهمها العرب جميعا على اختلاف لهجاتهم

وليست عقدة الموقف ، ان بين الشعوب العربية فروقا صوتية فى الاداء « كالاختلاف فى نطق الاصوات الساكنة مثل الكاف والقاف والجيم والدال والثاء والظاء ، جهرا وهمسا وتفخيما وترقيقا ، او بعض اصوات اللين مدا وقصرا ، او اختلاف فى موضع النبر ضعفا وامالة وثقله (ص ٤٢ - ٤٥

لقد وجد مثل هذا الاختلاف بين العرب الفصحاء الاصلاء قبل ان يخرجوا من جزيرتهم ، وبقيت آثاره واضحة فى « القراءات السبع » يؤدى فيها اللفظ الواحد بطرق عدة يحتملها رسمه ، ولم يؤد هذا الاختلاف الى نفور العربى من اخيه العربى ، ولا عد مشكلة خطيرة تحتاج الى العلاج والحسم ، اذ الامر فيه طبيعى ، وليس فى الامكان ان نكلف الاشياء ضد طبيعتها فنفرض على ملايين العرب ان يؤدوا اللفظ الواحد بصورة صوتية واحدة ، لا تطوع بها السنتهم

وليست العقدة كذلك فى اختلاف بعض اساليب التعبير بين الاقطار العربية تبعا لظروف بيئتها وتأثرها بأساليب اجنبية (ص ٤٦) فمثل هذا يحدث فى ابناء الاقليم الواحد ، حيث تختلف اساليب التجاريين عن الزراعيين ورجال الصناعة عن رجال القانون او الادب او الطب ، وسكان الجبال عن سكان السواحل ، ثم لا يكون هذا الاختلاف الطبيعى فى صور التعبير واساليب الاداء ، ظاهرة تمزق فى الوحدة القومية لابناء الوطن الواحد والقطر الواحد .

وليست العقدة كذلك ، فى استحداث دلالات جديدة للالفاظ لم تنص عليها المعاجم القديمة ، فالعربية فى عصور اصالتها ونقائها ، كانت تتابع استحداث دلالات متجددة للالفاظ ، ويعينها على هذا التجدد مرونة طبيعية ، يكفى ان نستشهد لها بسمة الاستعمال المجازى الذى يستحدث دلالة جديدة للفظ اعتمادا على ادنى صلة بالدلالة الحسية الاولى ، ونحن اليوم نقول رحل فلان بالقطار او الباخرة مع ان الدلالة الاصلية للرحلة ، شد الرحال على البعير للسفر ، ونقول بساطة اقلعت الطائرة مع ان الاقلاع فى الاصل اللغوى للسفينة ذات الشراع ، فهل تكون مشكلة ان نستحدث للمظاهرة مثلا ، دلالة جديدة فى اعلان الراى او اظهار العاطفة فى صورة جماعية - ص ٤٧ » ولدينا آية التحريم ، انقى واعلى نص عربى ، قد استعملت التظاهر فيما يشبه هذه الدلالة المستحدثة : « ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما ، وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير » !

وهل نبعد كثيرا عن الدلالة المعجمية للفشل « بمعنى الكسل والضعف والتراخى ، حين نستعمله بمعنى الخيبة - ٤٧ » التى هى نتيجة الكسل والضعف

وهل نتعسف فى التجوز ، حين نستعمل لفظ « الشقى على اللص وقاطع الطريق وهو فى المعجم ضد السعيد . ٤٧ » ومتى كان اللص سعيدا ؟ ثم السنا نستعمل اليوم الشقى بدلالته المعجمية فى مثل قولنا : اشقاه ! ويا للشقاء

لا .. ليست عقدة الموقف فى شىء من هذا ومثله ، وانما هى فى اصرار بعض حماة اللغة عندنا على عزلة الفصحى عن الحياة ، وولعهم باستعمال الفاظ غريبة اماتتها الحياة ونصت المعاجم القديمة نفسها على انها «الفاظ مماتة» ، وفى اصرارهم على تعطيل المجاز وتجميد الاساليب والدلالات فى لغة حية اخص خصائصها المرونة والتجدد والتوسع فى استحداث دلالات مجازية لادنى ملحظ فى الدلالة الاصلية .

بل هذا هو سر المأساة التى تفرض العقم والجمود على لغة حية ، وتأبى عليها ان تنمو وتساير الزمن .

ولكنى مؤمنة بان حيوية اللغة ، ستأبى هذا العقم والجمود ، وانقة ان حتمية التطور والتجدد ، ستتولى حتما ، مهمة تحطيم الاغلال التى يحاول بعضنا - بحسن نية - ان يشلوا بها لغة كالعربية ، زاخرة الحيوية وافرة المرونة .

التاريخ: ٩ / ١٢ / ١٩٦٠

واذ ذاك لن توجد مشكلة لان القضية كلها ستصبح غير ذات موضوع .

ولن نحتاج الى هيئة كالجامعة العربية او المجمع اللغوى ، نسلم اليها القياد لتوحد الحناجر وتقضى على اللهجات المحلية ، وتفرض علينا — نحن ملايين العرب — ان نؤدى اللفظ بصورة واحدة ، وان نعبر بأسلوب موحد ، فوجود اللهجات المحلية امر طبيعى مقرر ، ليس لاحد عليه سلطان ، وهذه اللهجات لا تمنع من الوحدة اللغوية فى مجال الثقافة والفكر والادب ، وانت اليوم تسمع الالمانية فى النمسا بلهجة غير التى تسمعها بها فى المانيا او سويسرا ، ويمكنك بسهولة ان تفرق بين لهجة ابناء انجلترا وبين لهجة الامريكان ، وان تميز اسلوب البحارة فى الساحل الايطالى ، من اسلوب الجبليين على قمم الالب الايطالية

وكل اللغات ، فى كل العصور ، عرفت وتعرف وستظل تعرف ابدا ، فروقا واضحة بين لغة الحياة اليومية ، ولغة الفكر والادب . والعربية لا تشذ عن هذا ، وقد عرفته فى قديمها الاصيل حيث كانت هناك لغة عالية — والتعبير بنصه من رسالة الغفران لابى العلاء — ولغة معتادة لعامة الناس ، فكيف بالله نتصور امكان صنع لغة موحدة الاساليب ودلالات الالفاظ وطرق ادائها الصوتى ؟ واى سلطان يمكن ان يتحكم فى حناجرنا والسنتنا ، ويوحد لنا مستوانا فى التفكير وصور التعبير ؟

انى لارجو ان يكون بحث الاستاذ الدكتور ابراهيم انيس ، فى « مستقبل اللغة العربية المشتركة » بما تناول من عرض دقيق رصين لهذه القضية ، بدء اتجاه سليم فى النظر اليها والتفكير فيها ، ولعلنا به نعفى من جدال عقيم حول مشكلة اثارها جمود يأخذ مظاهر صورة المحافظة على قديمنا العريق وتراثنا الغالى ، فيلجم العربية باغلال تعطل نموها وازدهارها ، ويضيع الجهد عبثا فى مقاومة حيويتها وقهر مرونتها ، وفى محاولة ايقاف سير الحياة وتعطيل سنة التطور والنماء !

بنت الشاطىء

★★★

الاهرام
مركز الأهرام للتنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات

التاريخ: ١٦ / ١٢ / ١٩٦٠

ثورة الأدب: مسئولية الهيئات الأدبية

ثارت الهيئات الادبية فى فرنسا وايطاليا ، على وحشية فرنسا فى الجزائر ... والمعركه معركتنا ، والقضية قضيتنا ، والمصير مصيرنا ، ولم نسمع ان احدى الهيئات الادبية عندنا اجتمعت لتشكو فرنسا الى الضمير العالمى ، كما نسمع عن اجتماعات تعقد لتدبير الميزانية وتوزيع المناصب والالقاب ، والترشيح للجوائز !

التزام الاديب بالتعبير عن قومه ،كان ولا يزال موضع تنبه والتفت واهتمام ، على صعوبة تصور أن يكون للاديب الاصيل فى هذا الالتزام خيار: ان شاء خضع له ،واذا أراد تحرر منه !.

وكنت قد عالجت فى « الاهرام » فى صيف مضى ،موضوع هذا الالتزام الادبى، واتجهت فيه الى تقرير جبريته ،فالاديب يشعر تلقائيا بوجدان الجماعة التى ينتمى اليها ويحس تلقائيا بما تدرك وما لا تدرك من هموم ،ويستشرف لبعيد آمالها او آماله لها ،ومن ثم فهو ملتزم بان يتولى العرض الادبى لقضاياها، ويعبر عما خفى وبان من مشاعرها ،لانه الذى يمثل وجدانها فى ارقى مرتبة من التهذيب والصفاء ، وانقى درجة من الحساسية، واعمق تأثرا بوقع الاحداث وانفعالا بها !.

ولكن احدا منا لم يهتم بهذا الموضوع من حيث صلته بالهيئات الادبية ،رسمية كانت او غير رسمية

فكل حديثنا عن الالتزام ،يدور فى نطاق الاديب فردا ،وقلما يتجاوزه الى الهيئات والجماعات ذات الصفة الادبية ،او ممن تتخذ لها شعارا ادبيا !.

واظن اننا فى هذا الموقف ،متأثرون بشعور « الفردية » الذى لا يزال يتحكم فينا ويغلب علينا ،ويعيينا أن نتحرر منه كل التحرر ،دون أن نلتفت الى اننا بهذه الفردية ،لا نساير التطور المستحدث الذى جد على حياتنا العامة

ولست ابرىء نفسى من هذه التهمة، بعد أن اعترفت هنا بأنى تناولت القضية من جانبها الفردى



وفى الاقليم المصرى هيئات وجمعيات ادبية ،ربما جاوزت العشر عدا، ولكل هيئة منها نشاطها المعلن وبرامجها المقررة ولم يخطر ببال النقاد منا أن يتابعوا هذا النشاط ليختبروا مدى التزام هذه الهيئات بمسئوليتها عن معالجة القضايا الكبرى للوطن !.

وكان الذى نبهنى الى صلة الهيئات الادبية بقضية الالتزام ،ما ظلت الانباء تنقله الينا تباعا ،من اهتمام هيئات فكرية وادبية فى الخارج ،بقضية انسانية كقضية الجزائر !.

وكانت ثورة الاحرار من أدباء « فرنسا » ذاتها ،على هذه المأساة ،شاهدا على



التاريخ: ١٦ / ١٢ / ١٩٦٠

جريرة الالتزام بالمسئولية الادبية لجماعات ، فقد انكر هؤلاء الادباء وحشية البغى الفرنسى ، وابوا ان يمحوا احكومتهم ان تروع ضمائرهم بالاصرار على استرقاق شعب كريم يناضل في بسالة رائعة عن حريته ، ويقدم الملايين من ابنائه وقودا لمعركة الحرية

واجمعوا أمرهم على اعلان ثورتهم على حكومتهم الباغية ، وانهم ليمضون على اليقين أنهم بهذا يتعرضون لمحنة الاضطهاد

وسيق من سيق منهم الى المحكمة ، وعزل من عزل منهم عن وظيفته الادبية في المراكز التي للحكومة عليها سلطان ، فاذا بالباقين ممن لم تتعرض لهم الحكومة ، يحتجون على حرمانهم شرف السجن والمصادرة ، في سبيل قضية اعتنقوا التزامهم بالدفاع عنها

وتتابعت الانباء ، ناقلة الينا خبر احتجاج الادباء في ايطاليا على وحشية فرنسا في الجزائر ، وقد بلغ من نفوذهم على الجماهير الواعية ، ان ثار طلاب الجامعات متضامنين مع قادتهم الاحرار ، وآخر ما قرأناه من انبائهم ، تظاهر طلاب جامعة «فلورنسا» احتجاجا على حدتهم فرنسا ، واكتتابهم لتدبير نفقات الطلاب الجزائريين الذين يتلقون العلم في ايطاليا

وليست الهيئات الادبية في فرنسا او ايطاليا ، باولى منا بالجزائر العربية المناضلة ، التي تخوض معركتها الدامية للسنة السابعة ، والهيئات الادبية عندنا بمعزل عنها ، لم نسمع ان واحدة منها اجتمعت لتعلن احتجاجها على فرنسا ، كما نسمع عن اجتماعات تعقد لتدبير الميزانية وتوزيع المناصب والترشيح للجوائز !.

والمعركة معركتنا جميعا ، نحن العرب ..

والقضية قضيتنا ، والمصير مصيرنا !.

ووقوف الهيئات الادبية بمعزل عنها ، يلفت الى ما غاب عنا من مسئولية الالتزام بالنسبة الى هذه الهيئات التي لا نفهم مبررا لوجودها الا ان تتولى الدفاع الادبي عن قضايانا الكبرى التي لا يستطيع الاديب ان ينهض بها فردا ، ولا نعرف لها دورا اجل واخطر من ان تولى عن الامة المشاركة الوجدانية في معارك التحرير التي يخوضها شرقنا الكبير !.

بنت الشاطىء

الأهرام
مركز التنظيم والميكروفيلم
قطاع خدمات المعلومات
التاريخ: ١٩ / ١٢ / ١٩٦٠

رأى في موقف

تجربة جديدة في عالمنا نحن النساء.. ويا ويلنا إذا خسرناها

عما يفسرون موقفنا ويحكمون علينا إذا أضعنا الفرصة في الخصومة والتجريح؟

مما يدعو الى الاسى حقا ، ان نختلف نحن السيدات الاعضاء في مجلس المحافظة ، على اهمية وجود لجنة للاسرة ، ثم نخرج على الناس ، في اول تجربة لنا ، بخصومة حادة معلنة ، حول النشاط النسائي جملة ، بحجة انه مظهر انعزال وتخلف !

والحق أن مشكلات المرأة الجديدة إنما نشأت عن تحررها .

والهيئات الدولية تعقد مؤتمرات للنساء ، ولم نسمع عن مؤتمر للرجال، وكل الدول — بلا استثناء — تعترف للمرأة العاملة باجازة امومة ، ولم تسمع الدنيا باجازة ابوة للرجل !

والناس يرقبون ، ويرصدون، ولا يرحمون ! وهذه تجربتنا الاولى، ويا ويلنا اذا خسرناها !

بقلم دكتورة بنت الشاطئ

لأول مرة ، تشترك المرأة العربية في هيئات الحكم المحلي .

ولا شك في أن الثورة صححت بهذا ، الوضع الشاذ الذي عزل العنصر النسوي عن الحياة العامة ، وأهدر الاعتراف بحقها في أن تشترك برأيها وجهودها ونشاطها ، في وضع الأسس الصحيحة لبناء مجتمع سليم .

وعزل المرأة عن الحياة العامة ، كان يأخذ – زورا وبهتانا – صفة المحافظة على تقاليدنا العربية ، ويستتر – خدعة وتضليلا – وراء شعار الدين . والحق التاريخي يشهد أن المرأة العربية المسلمة لم تقيد بأغلال الجهل والنبذ والتعطل إلا في عصور المحنة وعهود الظلام ؛ ويؤكد أنها كانت على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعهد خلفائه الراشدين تأخذ مكانها المرموق في الحياة العامة وتصل إلى المراكز القيادية ، في الميدان الديني والعلمي والأدبي والسياسي .

إنما بدأت المرأة العربية تتوارى وتنعزل عن الحياة العامة ، منذ ابتلى المجتمع العربي بمحنة الشعوبية ، إلى أن بلغت المأساة أقصى مداها بالحجاب التركي الذي مسخ تقاليد العروبة والإسلام ، حين فرض على المرأة أغلال الجهل والنبذ والوأد المعنوي ، باسم الدين والتقاليد !

وما جئت اليوم لأتحدث عن تلك المحنة ، وإنما هي مقدمة أردت أن أمهد بها للحديث عن تجربتنا الجديدة ، التي أتاحت لنا – نحن العربيات – أن نشترك في مجلس الأمة ومجالس الحكم المحلي ، ليكون لنا رأي في حياتنا العامة تشريعا وتخطيطا وتوجيها وتنظيما !

ولم يكن هذا تصحيحا لوضع شاذ فحسب ، ولكنه كذلك ، أمر محتوم في دولة يقوم نظامها على مبادئ الديمقراطية الاشتراكية التعاونية .

فالديمقراطية ، تكون ناقصة مبتورة ، إذا لم تسو بين النساء والرجال فيما تجب فيه المساواة .

والتعاونية تغدو لا مفهوم لها ، إذا استأثر الرجال وحدهم بسلطة التخطيط والتشريع والتنظيم . والمرأة تمثل نصف الأمة عددا ، لكنها في الواقع والحق تمثل أكثر من هذه النصفية العددية ، بحكم تأثيرها الحاسم الخطير في النصف الآخر : زوجة وأما .

وشعورنا بشرعية اشتراكنا في الحياة العامة ، لا يعني بحال ما ، أننا نشعر أو نعترف بخصومة بيننا وبين الرجال !

ذلك لأنها خصومة موهومة ، لا يمكن أن تخطر ببال واعية منا ، لسبب بسيط هو أن الطبيعة تأبى أن تقوم خصومة بين جنسين متكاملين ، لا يستغني أحدهما قط عن الآخر ، ولا تقوم الحياة إلا بهما معا !.

كذلك ليس المجال فيما بيننا مجال تنافس أو تنازع ، لأن كل خير ينال المرأة أو الرجل ، هو خير مشترك مشاع ، لا يستأثر به الرجل دون أمه وبنته وزوجه وأخته ، ولا تنفرد به المرأة دون زوجها وأبيها وأبنائها !

لذلك أسفت أشد الأسف حين قرأت ما نشرته زميلتان من أعضاء مجلس محافظة القاهرة ، من تبرير لموقفهما في معارضة اقتراح وجود لجنة للأسرة في المحافظة ، بأنهما تقاومان عقدة الخصومة بين الجنسين !

وزادت إحداهما ، فأعلنت أنها تريد أن تعالج هذه العقدة بخبرتها في علم النفس !

وتصور وجود هذه الخصومة ، هو في حد ذاته عجيب !

وأعجب منه ، أن يكون هذا التصور مبررا لمعارضة وجود لجنة للأسرة ، بين لجان مجلس المحافظة .

ذلك لأن كيان « الأسرة » لا يمكن أن يتصور على فصل الجنسين .

وإذا جاز لأحد أن يتوهم ما وصفته إحدى الزميلات ، بأنه وضع انفصالي انعزالي ، فالأسرة أبعد ما تكون عن هذا الوهم ، لأنه بالنسبة إليها من المستحيلات

التاريخ: ١٩ / ١٢ / ١٩٦٠

ومما يدعو الى الاسف حقا ، ان نختلف نحن السيدات من اعضاء المجلس ، على اهمية وجود لجنة الاسرة ، ثم نخرج — فى اول تجربة لنا — فتقوم بيننا خصومة حادة معلنة ، حول هذا الموضوع الذى ماكان ينتظر ان نختلف فيه

والناس يرقبون ، ويرصدون ، ولا يرحمون !

وهم لا يستطيعون ان يفسروا هذا الموقف ، بانه مجرد اختلاف فى الراى.

وقد كثر الكلام فى هذا ، حتى ما عد يجوز لى ان اظل صامتة ، وانا طرف فى الموضوع ، وقد مسنى ما مس زميلاتى من قيل وقال .

ثم انى صاحبة الاقتراح ، وقد تقدمت به فى الجلسة الافتتاحية ، ناحيل الى لجنة اللائحة ، بنص « لجنة للاسرة » كما سجل ذلك فى صفحة ٣٢ من مضبطة لجنة اللائحة

وكانت وجهة نظرى ، ان اهمية الاسرة تقتضى تخصيص لجنة لها ، واننى قد افهم ان نكتفى بهامن الشئون الاجتماعية ، لان الاسرة اصل المجتمع ، ولا افهم ان نغفل ذكرها اكتفاء بلجنة الشئون الاجتماعية ، مع اننا لم نكتف بالزراعة عن الرى ، على صعوبة الفصل بينهما ، ولم نكتف بالشئون الاقتصادية عن الشئون المالية وهما سواء !

ولكن الموضوع ما لبث ان اخرج عمدا من (الاسرة) الى النشاط النسائى ، وقيل فيما قيل : هل يوجد نشاط رجالى !

ولم يكن الاقتراح اصلا — بشهادة مضابط الجلسات — يدعو الى لجنة نشاط نسائى ، ولا كانت المناقشة تدور حوله

ومع ذلك ، فليم ننكر هذا النشاط ، وما منا من لاتشترك فى هيئة نسائية ؟

ولسنا بدعا ولا « تقليعة » فى هذا

فمنذ ايام ، عقدت هيئة دولية مؤتمرا نسويا — على مستوى دولى — فى الحبشة ولم نسمع عن مؤتمر رجالى دولى او غير دولى ! ...

وفى شهر يولية الماضى ، عقد مؤتمر فى « اكرا » للسيدات الافريقيات ، ولم نسمع عن مؤتمر للرجال الافريقيين !

والقاهرة تستعد لعقد مؤتمر فى شهر يناير المقبل ، لنساء آسيا وافريقيا ، ولا اعرف ان هناك اتجاها لعقد مؤتمر لرجال آسيا وافريقيا !

وفى وزارات العمل ، بالدول الكبرى ، مكاتب للنساء ، وليس فيها مكاتب للرجال

وكل الدول — بلا استثناء — تعترف للمراة العاملة باجازة امومة ، ولم تسمع الدنيا باجازة ابوة للرجل ..

ذلك لان للمراة فى المجتمعات الجديدة مشكلات خاصة بها ، لا يمكن تجاهلها او اغفالها !

وهذه المشكلات هى فى الواقع ظاهرة ونتيجة لتحرر النساء ، وليست — كما قيل — ظاهرة تخلف !

فلاننا تحررنا ، نريد ان نصحح اوضاعا خاطئة فى تشريعات الاسرة ، لم تفكر فيها امهاتنا من جيل الحريم التركى

ولاننا تعلمنا وخرجنا الى ميادين العمل ، جدت على حياتنا مشكلات مستحدثة ، لم تتعرض لها امهاتنا ، لانهن لم يخرجن من البيت !

فماذا يقول الناس ، اذا سمعوا احدانا تعلن ان العناية بمشكلات المراة ، ظاهرة انعزال وتخلف

وبم يحكمون علينا — فى تجربتنا الاولى — اذا راونا نكافح لنقنع قومنا بالغاء النشاط النسائى ، وهم يعلمون اننا نشترك فى اتحاد الجامعيات ، وفى الاتحاد النسائى ، وفى المؤتمرات الدولية للنساء!

وباى تفسير يفسرون به موقفنا ، اذا هيأت لنا الدولة فرصة التعاون المثمر ، فاضعناها فى الاخذ والرد ، وفى الخصومة والتجريح ، والمباهاة بالانتصار الساحق فى مقاومة لجنة الاسرة ! !

انها تجربتنا الاولى ، ويا ويلنا ويا ويل المجتمع كله ، اذا خسرناها !

التاريخ: ٢٣ / ١٢ / ١٩٦٠

معارك أدبية

نجوم الأدب في صحافتنا اليومية وماذا فعلوا؟



طه حسين
يكتفي بإسداء النصيحة للأدباء



عباس العقاد
مشغول بتدريب القرود في المصانع



يوسف السباعي
نسي "أرض النفاق" و«أيام تمر»

« اعددت هذا المقال لينشر في الاسبوع الماضي، ثم عدت فارجأت نشره ، كراهة ان يظهر غداة المهرجان الكريم الذى احتفلت فيه الدولة بالادب والفن والعلم .

« وآخر ما يدور بخلدى، ان اجحد ما لأدبائنا المشهورين من فضل، وانما هي كلمة عتاب، اوجهها الى الذين رفعناهم الى المنزلة العليا، ورجوناهم ليخوضوا بنا معركة الوجود الكريم، فاذا بهم يتخلون عنا في اللحظات الحرجة ، ويشغلون فيما يكتبون للصحف اليومية، بغير ما رجوناهم له ....

(٣)

ولم يكن « المهرجان » هو الذى لفتنى الى ذلك الموقف، وانما لفتنى اليه المقال الذى افتتح به « الاهرام » صفحة الادب منذ اسبوعين ، واشار الى ما كان من تخلى الصحافة اليومية من الادب ، على ما بينهما من وثيق الصلات ..

وبقى جانب من الموضوع ، لم يتعرض له المقال ، وهو موقف الادباء الكبار انفسهم من الصحافة ، ومسئوليتهم من ذلك الوضع الشاذ الذى عزل الادب من الصحافة اليومية ، وجعله فيها خبرا من الاخبار ..

ففى غمرة التيار الذى اندفعت فيه الصحافة وراء الاعلان والخبر ، مضى الادباء الكبار — من لهم صفة ادبية رسمية — منساقين وراء التيار نفسه ، وهان عليهم ان يلغوا صفتهم الادبية لكى يجاروا التيار الغالب ، ظانين انهم بهذه المجاراة ، يناضلون من مجال لهم فى صحافة اليوم ، حتى لاتتعطل اقلامهم

وحين كان المفروض فيهم ، ان يقاوموا شذوذ العزلة بين الصحافة والادب ، ويناضلوا من اجل الاحتفاظ له بموضعه فيها، رأينا كبارهم يتخلون ببساطة ويسر، عما به سبب وجودهم ، ويساعدون ، — ما استطاعوا — على ابعاد الادب عن منبر الرأى العام ، وبتر الصلة بينهما .

وكنا نستطيع ان نلتمس لهم بعض العذر ، لو لم يكن لهم فى الموقف رأى ولا لاقلامهم فى الصحف مجال .

لكن اى عذر يمكن ان يلتمس لهم ، وقد انفسحت لهم الصحف صدرها ، وتنافست على ضم كبارهم الى هيئة محرريها وكتابها ؟

وما اظنها فرضت عليهم ان يتجردوا من صفتهم الادبية ، او اشترطت عليهم ان يتخلوا من رسالتهم فى القيادة الوجدانية للجماعة ...

انما تخلوا هم انفسهم من مهمتهم الادبية فى الصحف بمحض اختيارهم .

وارادوا هم لانفسهم، او اراد اكثرهم، ان يكونوا مجرد معلقين على احداث واخبار عابرة، يعييك فى اكثر الاحيان ان تجد صلة لها بالادب .

اتريدون مثلا ؟

ساكتفى بالثلاثة الكبار ، الذين يتولون اخطر المراكز الادبية الرسمية ، وهم فى الصحافة نجوم لامعة ، لكل واحد مكانه المعروف ، واعمدته ذوات العدد !

وابدأ باستاذنا الكبير « الدكتور طه حسين » وانا آمنة من غضبه ، فلقد واجهته شخصيا ببعض ما اكتبه عنه اليوم، فلم يسخط ولم يتوعد .

استاذنا الكبير ، عميد الادب العربى ونائب رئيس المجمع اللغوى ، ومستشار الادارة الثقافية بالجامعة العربية، ورئيس لجنة من اهم لجان المجلس الاعلى للفنون والاداب ، استاذنا الكبير حفظه الله ، يحدثك فى الصحافة اكثر ما يحدثك « من بعيد » عن حياة الادب وقضايا الفكر ، فاذا خطر له ان يكتب فى الادب ، فانما هو الحديث المر عن عثرات الادباء الذين لم يصلوا الى القمة ، والنصائح الطيبة يزجيها اليهم فى عطف وتفضل ، دون ان يفكر مرة فى ان يتحدث عن عثرات زملائه الكبار — وانها لكبيرة ! — او يعلن ما

نعرف له من راى فى كتب لهم ومقالات ، كانما لايجوز عنده ان يحاسب الا المساكين، ممن لم يصلوا رسميا الى قمة العمالقة.

ويمضى موسم كامل، يخوض فيه الادباء على السفح معارك جادة قاسية ، وهو — الله يسامحه — فى شغل عنهم، لا يعنيه امرهم فى قليل او كثير ، ولا يذكرهم الا حين يلتقط عثرة من عثراتهم ، او ينفض بازجاء النصح اليهم وهم يصارعون الامواج العاتية .

يمضى الموسم كاملا ، فلا نقرا له فى الصحف نقدا لسلوك ادبى ، او انكارا للعدوان على شرف الكلمة وخيانة امانة القلم، او احتفالا بكتاب ذى اثر فى حياتنا الفكرية ، كمثل احتفاله الرائع النفذ ، بكتاب تاريخى بحت، عن الشرق الاوسط!

وينسى الدكتور طه ما يفرضه عليه مركزه فينا ومكانه بيننا، من اتصال مباشر بالحياة الادبية ، وتتبع واع لتياراتها ; رصد امين لاتجاهاتها ، وتقويم صريح ارها ، فى المجال المتاح له ، على منبر ى العام .

ويكتم رايه عمدا ؛ اذا احس انه قد يغضب زملاءه الكبار ، الواقفين معه على القمة العليا !.

والشاعر العملاق « الاستاذ عباس العقاد » الذى نال جائزة الدولة — مبروكة عليه — وعضوية المجمع اللغوى الموقر ، ووصل الى مركز الرئيس للجنة الشعر فى المجلس الاعلى للفنون والاداب.

الشاعر الكبير ، رئيس اكبر هيئة رسمية للشعر ، لم يفلت قلمه مرة فى يومياته الصحافية المشهورة ، ببيت واحد من الشعر يستبقى به صلة الصحافة بهذا الفن القولى ، ويبرر به حاجة الجماهير اليه، ويناضل عن مكانه فى صحافة اليوم، وهذا اول ما تلزمه به صفته الرسمية : رئيسا للجنة الشعر العليا ...

وتمر احداث كبار ، تهز وجدان الامة هزا، والرئيس الرسمى لشعرائها صامت غير مكترث !

ونحتفل بمصارع الشهداء من ابطالنا، وبذكرى نكبة فلسطين ، وبيوم الجزائر الباسلة، وزعيم الشعر الرسمى مشغول بنقل رسائل قرائه الى يومياته فى الصحف، مشغول بالرد على أسئلتهم عن قبر الاسكندر ، وابناء سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام ، والتعليق على نبأ تنقله الاخبار عن « تدريب القرود فى المصانع» مسجلا فى هذا التعليق ، سبقه الخطير الى الكتابة عن قدم عهد الهنود بذلك التدريب للقرود ومتحديا به الدكتور «مندور غندور داير ما يدور » لانه جرؤ على مناقشة رايه فى مثل هذا السبق !

ولمن شاء ان يرجع الى يوميات الاستاذ الكبير ، فسيقرا له اثر احتفالنا بالشهيد عدنان المدنى ، يومية عن طائفة من النشالين ظهرت أيام الحرب الماضية . ثم يومية اخرى بعنوان كبير «زازا جاءور كذابة» وثالثة عن اشارة المرور الحمراء التى يرجو« ان تصل الى اعين المتواعدين والمتواعدات — على اللقاء فى الاماكن الضعيفة الاضاءة — قبل ان تصل الى مصابيح الرصيف واعلام المنصات » وقد نشرت هذه اليوميات فى شهر نوفمبر الماضى، الذى احتفلنا فيه — دولة وشعبا — بيوم الجزائر ، ونكبنا فيه بحريق «عامودة»

وسيطالع القارىء بعدها ، فى ١٤ من ديسمبر الحالى ، ومذابح الجزائر تروع كل عربى ، وتؤرق كل ذى ضمير حى : يومية للكاتب الكبير عن الترفق فى المصافحة باليد ، واخرى يحصى فيها ما طبع من نسخ «سارة» واحدى «العبقريات» ويزهو بانه لقى قراء وقارئات، يحفظون عن ظهر قلب ، فقرات بل صفحات ، من قصته سارة، فى الوقت الذى كانت فيه وكالات مشغولة باحصاء ضحايا المذابح الوحشية فى الجزائر العربية ، والصراع المرير فى الكونغو الافريقى !

ولم تهز هذه المذابح والفواجع، شعرة دة من راس العملاق ، كما هزته انباء يب القردة ، وذكريات جيل النشالين،

ومشهد المتواعدين والمتواعدات في شهر المرور، وتنسبة التعويض من ضرر سنته صانحة «جانلة» بالابدى، واكاذيب زازا جابور المتجرة بأسرار المخادع .

وما اذكر انه تعرض لمسألة ادبية او تنسبة نكرية ، الا ردا معجلا على رسالة من بريده ، في حدود اسطر اليومية لايتعداها ، كما لا اذكر انى قرات له مرة في صحيفته اليومية، مقالا كاملا في موضوع ادبي ، كذلك المقال الطويل الذى قرأته له يوم السبت ٩ من ديسمبر الحالي — بعنوان « بنك من البنوك » يصف فيه ما تعرض له من متاعب، عند صرف (شيكات) باسمه .

وقد سمعت الاستاذ الكبير ، يتحدث عندما تسلم جائزة الدولة للادب، عن شكر النعمة. واني لارجو ان يكون من مظاهر شكره للنعمة، ان يشعر الامة بانه يشاركها وجدانيا ، ويتأثر بما يهزها من جليل الاحداث !

ونجم ثالث من نجوم الادب في صحافتنا اليومية :

« الاستاذ يوسف السباعي » الذى يتولى عددا غير قليل من اخطر المراكز الرسمية للادب: في المجلس الاعلى للفنون والاداب ، ونادي القصة ، ونادى القلم، وجمعية الادباء ، ولجنة الفنون والاداب بالاتحاد القومى ..

وقد عرفناه قبل ان يصل الى هذه المراكز ، كاتبا لامعا للقصة ، لا يبارى في نشاطه. وفرض نفسه على المجتمع الادبى بقصته الرائعة « السقا مات » وبكتابه المبدع «ارض النفاق » وكان المفروض عليه بحكم مركزه، ان يكافح ليستبقي صلة الادب بالصحافة اليومية ، ويدافع عن مكانه فيها ، ولكن « الايام تمر » دون ان نقرا له نقدا جادا لقصة تشغلنا ، او مشاركة قلمية في معركة ادبية نصلى نارها، كانما يشق على ايامه ان تمر بالادب ! في مثل الاهتمام الذى مرت به — ذات مرة — على حركة (عزال) لغرف مسكنه من الجناح البحرى الى الجناح القبلي او العكس !

فاذا كانت الصحافة قد تخلت عن الادب كارهة ، تحت ضغط ظروف قاهرة، فهؤلاء هم نجوم الادب في صحافتنا اليومية، قد اعانوا على هذا الوضع بدلا من ان يقاوموه! وهؤلاء هم ، قد تخلوا باختيارهم عن صفتهم الادبية فيما يكتبون للصحف اليومية مجاراة للتيار الغالب. وما دروا انهم بهذه المجاراة، انما يلغون وجودهم، ويعلنون الا مكان لهم — ادباء — في صحافة اليوم !

بنت الشاطىء

التاريخ: ٣٠ / ١٢ / ١٩٦٠

القصة والكاتب

المرأة الجديدة فى قصصهم وقصصها

« التمست المرأة الجديدة فى أحدث ما قرأت من قصص لأدبائنا ، فألفيتها عند سميرة عزام هى هذه التى نعرفها — نحن بنات حواء — فى فطرتنا ، ونجدها فى ذواتنا ، وليست هذه البهيسة الممسوخة التى رسمها مصطفى محمود فى « المستحيل » للأستاذة فاطمة المحامية ، ولا هذه الطالبة الجامعية « ة » التى تفكر بعقلية عباس خضر ، وتخضع لمنطقه ومقاييسه فى « الست علية »

وازددت يقينا بأن الانثى أفهم للانثى ، وأدرى بحقيقة مشاعرها وكنه فطرتها ، أما الأديب الرجل ، فمبلغ الأمر عنده أن يكتب عن المرأة كما تصورها وتمثلها ، أو كما ظهرت له فى حدود تجربته ونطاق دنياه . »

لا تزال المرأة تستأثر بالدور الهام فى اكثر قصص اليوم ، وليست هذه ظاهرة جديدة فى القصة المصرية ، فالواقع ان المرأة كانت دائما بطلة الاساطير والحكايات والقصص ، على مر العصور وتتابع الاجيال ولم يحدث قط ، ان افلتت من يد « حواء » الخيوط الظاهرة او الخفية التى تحرك الابطال الرجال ، على مسرح الحقيقة او الخيال ، فليس لنا اذن ، ان نعد اهتمام كتاب القصة المعاصرين بالمراة ، ظاهرة جديدة مستحدثة ، وانما الجديد هو تصويرهم لهذه المراة التى تحررت وانطلقت ، وعانت تجربة الخروج من دنيا حواء ، وواجهت الحياة العامة بكل ضجيجها وغبارها واضوائها .

واكثر كتابنا قد مروا بهذه المراة الجديدة ، من غير ان يلتفتوا اليها ، او يحسوا عنف التجربة التى تكابدها وقليل منهم من القى عليها نظرة سطحية خاطفة ، ثم راح يكمل خطوط الصورة من دنياه ، ويضفى عليها من وجدانه الخاص ، ما شاء من الوان وظلال ..

من هؤلاء : « الاستاذ عباس خضر » الذى التقط صورة عابرة لطالبة جامعية جاء بها فى مجموعته القصصية التى سماها (الست علية) ولست ادرى لماذا لم يعط المجموعة اسم واحدة من قصصه التى ابدع فيها وصف حياة (الموظف الحكومى) باصالة واقتدار

ولم يخنه التوفيق فى رسم صور شعبية للست علية والست نعيمة والست حسنه وام بسيمة ، من بقايا الجيل الذى لم يعان تجربة الخروج الى الحياة العامة ، بقدر ما خانه قلمه عندما صور لنا « امينة » الطالبة الجامعية التى يخطبها « ابن حلال » كامل الصفات « وتلح عليها امها الا تفلت الفرصة الذهبية من يدها ، فتتردد امينة لحظة لم تطل ، ثم لا تلبث ان تحسم الموقف باقصى سرعة فترفض الزواج متاثرة بما حدث لاختها « القلبانة المكسورة الجناح » وتصمم





مصطفى محمود
يصنع بطلة قصته حسب مزاجه
عباس خضر
يفرض منطقه على البطلة

وسميرة عزام هي وحدها التي صورتها بأصالة

على المضي فى دراستها حتى تتسلح لمعركة الزواج بجناح فمر مكسور

واللقطة سريعة جدا ، وقد رسمها الكاتب من زاويته، وأخضعها لمذهبه التى تفرض على امينه ان تنتفع بتجربة اخت لها ، شتان ما بينهما ! واعارها منطقة ، فاستجابت لنداء العقل وحده دون ان يحسب لعاطفة الانثى اى حساب!

وضاعت منه ـ فى تعجله ـ عقدة الموقف، حيث يحتدم صراع مرير بين العقل والفطرة ، بين تراث امينة القهرى من امها حواء ، بكل سلطانه واحتكامه ، وبين هذا الجديد الطارىء ، بكل جاذبيته وسحره !

اما « الدكتور مصطفى محمرد » فلم يأخذها لقطة سريعة ، بل وقف متمهلا يصنع نموذجه المختار للمراة الجديدة، ثم جاء يعرضه مع نموذجين اخرين ، يزيدان ملامحها وضوحا ، ويبرزان خطوط الصورة التى تفنن فى رسمها ، ليعبر بها عن حقيقة المراة الجديدة عنده، ومثالها فى رأيه وتجربته .

هن ثلاث نساء فى حياة رجل !

اولاهن الزوجة التقليدية ، اختارها له ابوه كما اختار كل قطعة من اثاث البيت . ومات الأب وراح الشاب يبحث عن نفسه ، فهاله الشعور بانه ضائع الشخصية ، مهدر الوجود ، مسلوب الارادة .

ولكي يجد نفسه ، انكر كل شيء فى دنياه التى فرضت عليه فرضا ، وكانت زوجته ، شيئا من هذه الاشياء !

وحين بدأ يجرب ممارسة وجوده الحر مستقلا ، التقطته امرأة ، جاء بها الكاتب زائرة للزوجة ، جردها من كل معنى انساني ، وعكف فى اناة واصرار ، يجسد بها الخطيئة فى ابشع صورها واحط درجاتها .

ومثلها لنا ، كتلة من اللحم الفائر ذى ملاسة حيوانية ، تجر الرجل من بيته فى أول لقاء ، وتمضى به الى فراشها لتريه من فنون فجورها مايثير اشمئزازه فاذا رأته باردا متكمشا ، أطلقت ضحكة هستيرية مجلجلة وهى تزار :

« انا مدمنة خطرة لكل شيء . . مدمنة لحظات سعيدة . مدمنة دنيا . انى احيانا اكون نشوانة لدرجة انى اشتهى

التاريخ: ٣٠ / ١٢ / ١٩٦٠

ان اجرى عريانة فى الشارع .. اننا ليس لدينا فكرة اطلاقا عن حكاية العرض المقدس هذه .. ولا نفكر اطلاقا فى ان نحمى شفاهنا من القبلات .. نحن نفعل هذا لنضحك عليكم ، ثم نعيش حياتنا الخاصة من ورائكم كما نشتهى ونحب .. يادلاديل يا بلهاء ! » ص ٤٧

وافلت منها ، بعد ان اختنق بالوحل ، وترك ابشع ناجرة ، ليتعلق بثالثة من صنف آخر : « نادية » زوجة صديقه ، الرقيقة الحالمة ، التى يذيبها الحب وهى ضائعة الحيلة ، لا تجرؤ على الخطيئة !

وما جاءت « نادية » هنا الا لتبرز فجور « ناطمه » !! !

افتدرون من ناطمة التى جرت الرجل الى مخدعها من اول لقاء ، واثارت اشمئزازه بفجورها ، فولى الادبار هاربا يلوذ بهائمة حالمة لا تعرف الخطيئة ؟

انها استاذة محامية !

أو بتعبير ادق ، انها عند مصطفى محمود ، تمثل المراة الجديدة التى تعلمت وخرجت وكافحت . لا اقول هذا استنتاجا ، ولكنى اخذه من عبارته بنصها ، يقولها على لسان الرجل الذى جرته من بيته الى فراشها :

« انت احط زوجة فى الدنيا ! هل هذا هو التقدم المنشود الذى حلمنا به فى المراة المتعلمة ؟ » ص ٤٨

وآخذه كذلك من قوله على لسانها ، اذ تقول عن كل صنفها :

« اننا ليس لدينا فكرة اطلاقا عن حكاية العرض المقدس هذه .. ولانفكر اطلاقا فى ان نحمى شفاهنا من القبلات! نحن نفعل هذا لنضحك عليكم » ص ٤٧

واقول لمصطفى محمود : مستحيل ان تكون هذه واحدة منا ! بل مستحيل ان تكون هذه ، احدى بنات حواء على الاطلاق !

مستحيل ان تزل حواء هكذا ، بلا مبرر ولا دافع قاهر !

ورابع المستحيلات ، ان تتمرغ فى وحل الخطيئة هكذا ، بكل بساطة وارتياح !

ومن عجب ان تكون هذه الصورة الشاذة بقلم مصطفى محمود الذى نعرف فيه خبرته بالنفس البشرية ، والذى هيأت له دراسته الطبية ممرنة بدوافع الجريمة ، واتصالا بعلماء البشرية الذين قرروا ان المجرم ضحية ظروف صنعته ، واكدوا انه يتعرض — وهو يمارس جريمته — لمحنة قلق ، ونوبات من يقظة الضمير البشرى فيه !

فأين هذا كله فى الاستاذة ناطمة المحامية ؟

اين المبرر ؟ واين البقية من انسانيتها ! بل اين ضمير الكاتب ، وهو يرسم هذه الصورة البشعة للمراة المتعلمة ، ويصم بها الملايين من بناتنا المربيات ، اللواتى يتعلمن ويعملن ؟

كلا ! هذه المخلوقة الممسوخة ، ننكرها بفطرتنا ، ولا نعرفها ابدا فى دنيانا !

انما نعرف هذه التى تصورها « سميرة عزام » .

واكاد ألمح علامة استفهام كبيرة ، ترتسم على وجوه من يقرءون اسم سميرة لاول مرة !

ولهؤلاء اقول : انها ابرع كاتبة عربية للقصة القصيرة ! وازيدهم معرفة بها فاذكر لهم ان اصلها من فلسطين ، وبفلسطين تفتح صباها وتفتحت موهبتها ثم شردتها النكبة فعاشت فى العراق حينا ، حتى مضى بها التشرد اخيرا الى بيروت ، وفيها تقيم الان

ومجموعتها القصصية الجديدة ، لا تحمل اسما بعينه ، وانما عنوانها « .. وقصص اخرى » .

والعنوان لافت بغرابته ، ولم تكشف لنا سميرة عن سره ، او سر اختيارها له .

ربما لانها لم تشأ ان تؤثر قصة من المجموعة على الاخريات ، فكلهن عندها سواء !

وربما ارادت بهذا الصنيع ، ان تعبر من ضياعها ، هى ذاتها ، فى التيه ...

او لعلها جاءت بواو العطف ، لتضم هذه المجموعة الى مجموعتها السابقة ، التى تحمل عنوان « الظل الكبير » !

وفى « الظل الكبير » وجدنا صورة كل واحدة من جيلنا ، تحررت وانطلقت ، وكبرت فى نفسها حتى ماعاد الافق يتسع لظلها الكبير ، ثم كانت المعاناة ، وكانت صدمة الهبوط الى دنيا الناس ، فتضاءل الظل وتلاشى فى ضوء الواقع السافر ، واكتشفت صاحبته آخر الامر انها ليست اكثر من انثى ، تحكمها فطرة حواء ، كما حكمت امها وجدتها من قبل!

« .. وقصص اخرى » تقدم لنا كذلك صورا صادقة ، امينة معبرة ، لحواء الشرق فى مختلف اطوارها :

ففى « ليلة الضياع » صورة مشحونة بمشاعر حماة شاخت وانزوت فى ظل زوجة ابنها ، ولاذت فى وحدتها بكلب عجوز يؤنس شيخوختها . وذات ليلة ، قذفت الزوجة الشابة بهذا الكلب الى العراء لانه لم يعد ذا نفع ، فادركت الحماة العجوز ، انها المقصودة بهذا .. وملاها الشعور بالضياع !

وفى « الفيضان » صورة مثيرة لخاطئة اخرى غير التى عرفها مصطفى محمود ! صورة لاتخرج الا من ترسم اديبة انثى ، تعرف الطهر اصيلا فى فطرة حواء ، وتقدر الظروف التى تقذف باخت لها الى هاوية الدعارة ، فتمارسها متعبة محزونة ، وتجرع كاسها المر برغمها وهى تكتم مابها . حتى اذا سمعت الصبية من باعة الصحف ، يصيحون فى الزقاق معلنين عن فيضان اغرق البلدة التى كانت مهد طفولتها الغريرة وملعب صباها النقى الطاهر ، فاضت كل مشاعرها المكبوتة جياشة هادرة ، « وانطوت على نفسها فى حجرتها بدار الخطيئة وحيدة تبكى ، وقد اختلطت فى اذنيها اصوات ضحكات حادة جافة تطلقها جارة لها مشغولة ، بايقاع المطر الحزين على بلاط زقاق الشقاء »

وكذلك هى فى قصة « الثمن » تصور مشاعر اصيلة لزوجة تنبهت الى ان زوجها لا تربطها به سوى علاقة الجسد . فتشمئز ، وتنفر ، ويحاول استرضاءها فيضع على سريرها كومة من الاوراق المالية ، لتشترى معطفا اعجبها ، « وشدت نعمت جفنيها اكثر واكثر وهو يطوقها بذراعيه . كان الاشمئزاز يزحف على روحها فيمسح الانفعال والحياة .. وكل شىء . ولم تعد مع هذه الاوراق التى تغطى فراشها فتخنق انسانيتها ، اكثر من جثة .. كاى جثة يدفع لها ثمن ! »

وهذا الصنف من سيدات المجتمع ونجوم النوادى واعضاء جمعيات الصيف والظهور ، وعرض الجديد من الازياء ، تقدمهن لنا سميرة فى صورة ساخرة حية ، تكشف عن اخطاء شائعة فى فهم عدد منا لمعنى الحرية ومغزى النهضة ، وتعرض فى سخرية مرة ، جهود بعضنا فى الجمعيات النسوية للخدمة العامة .

والقصة عند سميرة ، ليست حكاية طويلة مختصرة ، ولا خطبة وطنية او موعظة اخلاقية ، وانما هى لقطة بارعة ملهمة ، لموقف انسانى يهز الوجدان هزا ، بعمق نفاذه الى صميم الذات البشرية ، فى تناقض اهوائها وعنف صراعها بين الخير والشر ، بين الواقع والمثال ...

والمراة فى قصص سميرة ، هى هذه التى نعرفها بفطرتنا ، ونجدها فى ذواتنا ونالفها فى دنيانا ، وليست هذه البهيمة الممسوخة التى رسمها مصطفى محمود فى « المستحيل » للاستاذة فاطمة المحامية ، ولا تلك الطالبة الجامعية امينة المفكرة بعقلية عباس خضر ، والمحكومة بمنطقه فى « الست علية » !

بنت الشاطىء